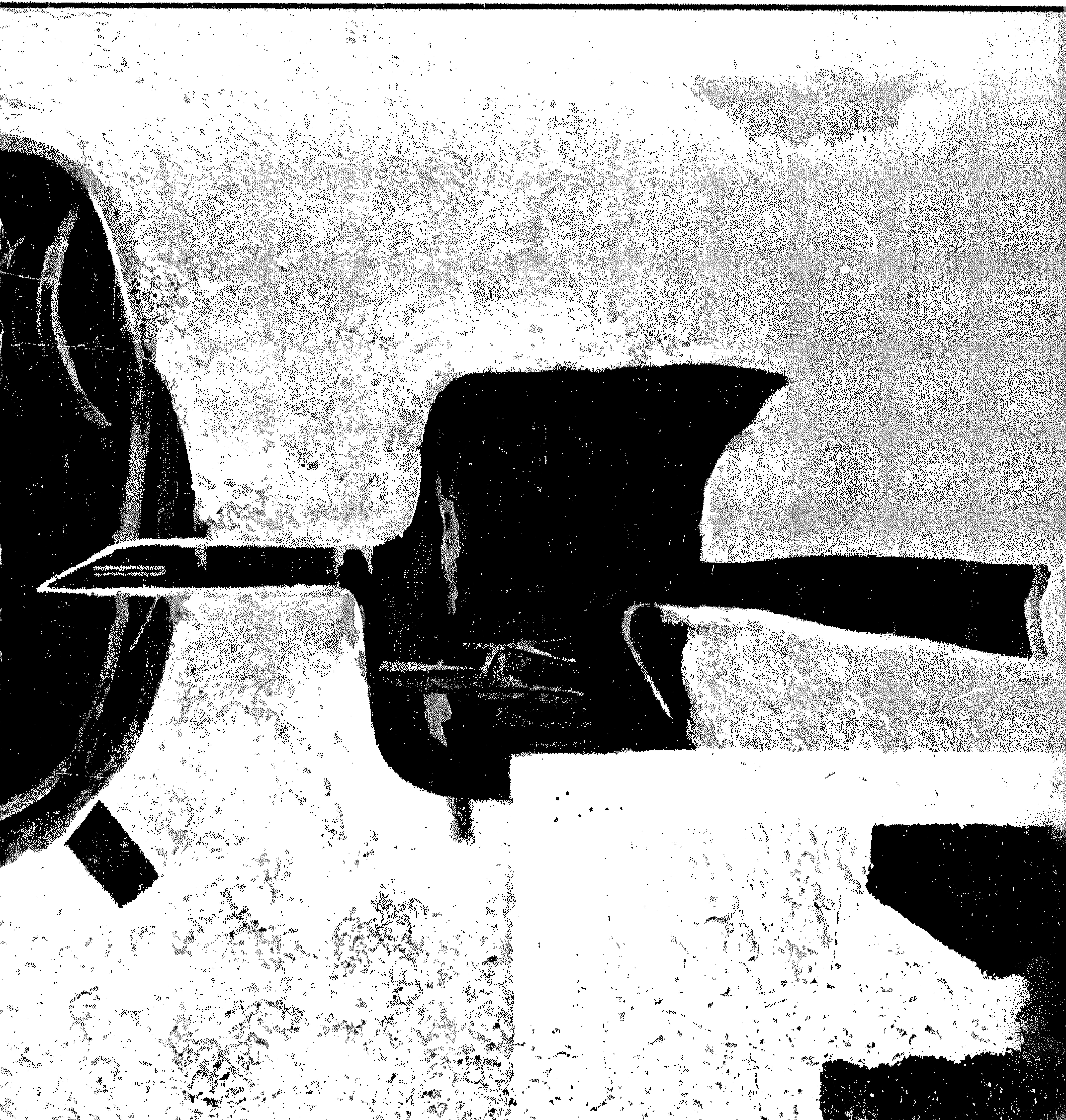
شؤون فلسطينية

٩٨ — كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠



شؤون فلسطينية

٩٨ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

المحتويات

الصفحة

العلاف للعالمي براك

المدير العام : صبري جريس * رئيس التحرير : محمود درويش

سكرتير التحرير : فيصل حوراني

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ، (متفرع من السادات) ، راس بيروت ــ لبنان ، ص . ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠ ، برقيا . مرابحاث ، بيروت

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل .ل . في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل . ل في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل . ل . في اوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل في جميع الدول غير العربية .

رسالة الاخ ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، في الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة

عام الاقتحام الثوري

أيها الاخوة المجاهدون ، يا رفاق السلاح
ايها الشعب المثابر المكافح
يا جماهير امتنا العربية المكافحة ،

لقد دخل العام الخامس عشر لثورتنا المظفرة سجل التاريخ من بابه الواسع العريض . لقد دخل عام الجمر والنار ، عام النور والامل ، سجل التاريخ بأحرف من نور ونار .

أليس هو عام انتصار الثورة الايرانية المؤمنة بقيادة الامام الخميني ؟ اليس هو العام الذي صمدت فيه ثورتنا الفلسطينية امام اشرس حرب استنزاف استمرت اكثر من سبعة اشهر ، ولا تزال بقايا جمرها متقدة حتى الآن في الجنوب اللبناني . تلك الحرب التي استخدم فيها العدو احدث الاسلحة الامريكية ، بما فيها المحرمة دوليا ، ضد الشعبين اللبناني والفلسطيني ؟

أليس هذا هو العام الذي انفجرت فيه قنبلة الشعب الفلسطيني الزمنية في ارضنا المحتلة ، في الوقت الذي كان ثالوث كامب ديفيد يمني نفسه ، ويرسم لتمرير مؤامرة الحكم الذاتي ، فكان هذا الانفجار اروع رد وابلغ جواب ثوري على المؤامرة والمتآمرين ؟ اليس هو عام محاصرة اطراف كامب ديفيد ، ومؤامرة كامب ديفيد ، عربيا واسلاميا وافريقيا ، ومن خلال دول عدم الانحياز ، واخيرا الامم المتحدة عبر قرارها بادانة هذه المعاهدة المشؤومة وملاحقها ؟

أليس هذا هو عام الانتصارات الدبلوماسية الرائعة وفي الجدار الاوروبي المنيع الذي ظل حكرا على الصهيونية و « اسرائيل » دون أصحاب الحق والثوار والاحرار لتركع كما شاءت وحسبما تراءى لها ؟

أليس هو عام فراق الاحبة من الشهداء الابرار بداية ونهاية وعلى طول اشهره وايامه ؟

أليس هو عام التلاحم اللبناني الفلسطيني ، الاسطورة والنموذج الثوريان الاصيلان

اللذان تحطمت عليهما مؤامرات ودسائس هدفها تركيع الثورة والثوار ، وضرب الثورة والاحرار من الشعبين اللبناني والفلسطيني ؟

هل هذا هو كل ما مر بعام الجمر والنار عام الثورة والامل ؟ بالطبع لا ، فجمره كان كثيرا ونيرانه متسعة ، ولكنها عجاله باحداثها الجسام ازدانت بها ابهاؤه وممراته ، ولتسجل في اسفار التاريخ شامخة قوية ، وليتوج بها هامات الثوار في ثورتنا المباركة ، لانها اكاليل الفخر والعزة وسمات الرجولة والصلابة ، وصفات العنفوان والكبرياء لشعبنا امام ضخامة التحديات .

انها مشاعل تكتب لهذه الثورة المباركة سجلها الثوري بأحرف من نور ونار ، تاركة على جباه الزمن اخاديد عميقة للدلالة على عظمتها واصالتها ، ولتؤكد على انتمائها الحضاري كجزء حي نشيط وفاعل في حجم امتنا العربية ، بل وفي مسيرة الاحرار والشرفاء والثوار في العالم اجمع .

ايها الاخوة رفاق الدرب الطويل ،
يا شعبنا الصامد ،
يا جماهير شعبنا المعطاءة البطلة ،

اليوم ونحن نحتفل بالذكرى الخامسة عشرة من انطلاقة ثورتنا المسلحة لندخل عامنا السادس عشر ، تلك الانطلاقة التي انتصبت من وسط سكون طال وامتد بعد كارثة سنة ١٩٤٨ ، حتى تهيأ للكثيرين ، اعداء واصدقاء ، انه سكون الموت ، فاذا بهذه الرصاصة الاولى المباركة تنطلق لتمزق السكون الذي فرض علينا ، والذي لم يكن سوى السكون الذي سبق العاصفة .

حقا لقد كانت ثورة الفتح في الفاتح من كانون الثاني (يناير) عام ١٩٦٥ هي التي حددت ، بما هو اكثر من البلاغة ، وبما هو اهم من كل الجمل التورية اللفظية والمنمقة بانها ثورة شعبنا التي طال انتظارها لتخرج من رحم الشعب بطولات واساطير وملاحم ، احدثت تغييرا جوهريا في مجرى الصراع في منطقتنا كلها . واثبتت قوة الشعوب ، عندما تؤمن بالهدف ، وتتخذ الثورة مشعلاً وهاديا ، ولتؤرخ بكل الفخر والاعتزاز مفاهيمها التورية الجديدة ، واحداثها الجسام المتتالية ، التي صمدت وتصدت للمعادلات التي حاولت الامبريالية العالمية والصهيونية العنصرية ان تفرضها على امتنا ومنطقتنا ، لتبقى اسيرة لنطقها الاستعماري ، ولتظل تحت هيمنتها الامبريالية . ولكن الجماهير بصدقها ووعيها وبالثوار الثوار ، واولئك الشهداء الابطال الذين قدموا ارواحهم رخيصة في سبيل الهدف ، وفداء للمبادىء والمثل ، والذين سيبقى عطاؤهم مشاعل على الدرب الطويل . هذا هو الزخم الثوري الذي واجه شعبنا به التيه ، وسنواته العجاف ، والاحتلال وقساوته ومرارته ، فأحيا في امتنا الامل وبعث في الوجدان الرجاء .

فهذا هو الشعب المعطاء البطل ، الخزان الذي لا ينضب ملاحم واساطير ، مصدر الالهام والعطاء الثوري الصحيح ، والنموذج الباسل لارادة الجماهير وللشعوب التي لا تقهر ولا تلين ،

مهما كانت المصاعب ، ومهما كانت الخطوب ، ومهما تعددت المؤامرات ، ومهما كثر الاعداء .

ومن هنا كانت الثورة التي تصنع المعجزة تلو المعجزة ، والملحمة اثر الملحمة ، بهؤلاء الشهداء الابرار الذين تحولت دماؤهم الى شلالات من الدماء الزكية المباركة ، ومن عذابات من هم في السجن الكبير من شعبنا تحت الاحتلال وآلامهم ، الى معاناة وشقاء من هم في السجون الصغيرة في زنازين الاحتلال .

ومن الحرمان والنفي والتشريد ، ومن المتاعب اليومية لشعبنا في التيه بعيدا عن الوطن الحبيب ، الى ضراوة النضال وقسوة الظروف للثوار والمقاتلين في اصعب الحالات واعتى المواجهات ، كل هذه الملاحم والعذابات والآلام والمعاناة والمصاعب والمحن ، التي تنصهر جميعها في بوتقة الثورة لتصنع النسيج العظيم للثورة العظيمة وللشعب العظيم في جهاده الاصغر والاكبر .

ايها الاخوة رفاق الدرب
يا شعبنا الصامد البطل ،

تدخل ثورتنا عامها السادس عشر مختالة بالابطال فيها وبالثوار منها ، مزهوة بشعبها ، عزيزة برفاق الدرب من اخواننا الابطال من الشعب اللبناني الاصيل الذين تقاسمنا واياهم الضراء قبل السراء ، والمعاناة والصعاب ضد اخطر حلقات المؤامرة على امتنا العربية . ونحن نقف اليوم واياهم ندافع ونقاتل ونجاهد ، ليس دفاعا عن انفسنا ، وليس دفاعا عن شعب فلسطين ، وليس دفاعا عن شعب لبنان فحسب ، ولكن في الخندق والرباط الاماميين لامتنا ، وفي المواجهة المتقدمة للجماهير العربية دفاعا عن عزتها وكرامتها ، عن وجودها وحضارتها ومستقبلها ، وذودا عن كل ما هو حر ديمقراطي وشريف في هذه المنطقة .

فالشعوب الشعوب هي الثورة ، والثوار الثوار هم الحياة والانبعاث الجديد لهذه الامة .

هؤلاء الثوار والمقاتلون المتدفقون حيوية وعنفوانا ، الذين يغمر صدورهم الايمان الكبير وحتمية الانتصار لقهر سنوات التيه والمنفى والاحتلال ، انهم الجيل الجديد ، جيل الثورة ، الجيل الذي شاءت اقداره ــ وما اعظمها واورعها من اقدار ــ لتكون شاهدة على ان هذا الجيل هو جيل الامل ، جيل النصر لانه جيل الثورة العارمة ، ثورة الشعب المسلحة ، هذه الثورة غير الخاضعة ولا التابعة ولا الموجهة الا من ارادة شعبها وجماهيرها المناضلة .

يا جماهير شعبنا المناضل
يا جماهير امتنا العربية
يا رفاق الدرب الثوري الطويل ،

ان علينا ان نعي ، بالعمق المطلوب ، حقيقة العدو الذي نحارب ، ونوعية حلفائه الذين نتصدى لهم ، وان نتذكر جميع الظروف الموضوعية التي تحيط بثورتنا الشامخة الصلبة لتجعلها فريدة من نوعها بين الثورات المعاصرة ، ولتعطي البرهان الساطع على قيمة المعاني السياسية في اهدافها التي تقاتل دونها ، وما حددته هذه الاهداف من مضامين ثورية في مواجهة التحديات الخطرة التي تخوض غمارها .

علينا ان نعي اننا نخوض حربا ضروسا امام اشرس التحالفات الاستعمارية في العالم ، وما يمتلكه هذا التحالف الصهيوني الاستعماري الامبريالي برئاسة الولايات المتحدة الامريكية ، من احدث واخطر وسائل القمع والارهاب والابادة ، بل واكثرها جبروتا ووحشية .

وبالرغم من كل هذا ، وقف شعبنا داخل ارضنا المحتلة هذا الموقف الثوري الرائع ، وتصدى لمهزلة الحكم الذاتي ومؤامرة ثالوث كامب ديفيد . وسيظل شعبنا البطل يتصدى لكل المحاولات والاشكال التي يمكن ان تغرزها هذه الصيغ ، وسيمزقها جميعها كما مزق مؤامرة ثالوث كامب ديفيد بارادته وتصميمه .

وهنا تأتي روعة الصمود الاسطوري وتحقيق الانتصارات تلو الانتصارات ، واهمها الحفاظ على الوجود الثوري في مواجهة هذه المؤامرات والمواجهات الصعبة الشرسة والتي تخرج منها ثورتنا اكثر قوة كل يوم وبعد كل تحد ، اكثر قوة عسكريا وسياسيا وثوريا وتنظيما .

ومن هنا يا اخوتي تأتي اهمية الحفاظ على ثورتنا امام ضخامة التحديات ، وامام هذا العدو وبأسه . لان هذا في حد ذاته مهمة اساسية ضمن المهمة الاستراتيجية العليا ، وهي الحفاظ على الهدف ، وايصال شعبنا لهذا الهدف الذي علينا ان نقدم في سبيله كل مرتخص وغال ، وان نفتديه بالمهج والارواح . فالثورة في هذا الخضم من الصراع هي الشعب ، والشعب هو الثورة ، والنصر هو الهدف .

ومن هنا كان علينا ، ونحن نقتحم الصعاب ونصنع المستحيل في هذه الظروف القاسية ، ان نجعل من اعوام الثمانينات القادمة اعواما فلسطينية بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معان ومضامين واشكال ونتائج . وان هذه الثورة تعمل وتصنع الهدف الذي تفرضه بدمائها وشهدائها وبجهادها ونضالها .

وليكن مفهوما للقاصي والداني ، انطلاقا من ذلك ، ان لا سلام ولا استقرار ولا امن ولا حلول في هذه المنطقة الا من خلال السلام الفلسطيني . سلام الثوار في الثورة الفلسطينية – ولا اقول الثوار الفلسطينيين – فهذه الثورة واحة لكل ثوار امتنا العربية . بل هي واحة لكل ثوار واحرار العالم .

ليكن مفهوما ان لا سلام ولا استقرار الا من خلال ارادة الشعب الفلسطيني والثوار في الثورة الفلسطينية . سلام الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني . سلام دولتنا المستقلة فوق ترابنا الوطني الفلسطيني . سلام امتنا العربية وارادتها . لان هذا السلام الفلسطيني والعربي مترابط في جذوره وماضيه ومستقبله ، لانه يشكل الترابط الحقيقي للمصالح الحيوية والتاريخية لامتنا العربية ، وباعتبار قضية فلسطين المحور المركزي لنضال امتنا العربية امام مجمل التحديات الحضارية التي تواجهها امتنا وهي تعيش اليوم مخاض بزوغ الفجر الجديد ، والميلاد الجديد ، للامة العظيمة بكل محتواها الحضاري وعلى كافة المستويات والاصعدة السياسية والعسكرية والثقافية والاجتماعية والفكرية ، هذه المصالح التي تلتحم التحاما مصيريا بكل استراتيجيات هذه المنطقة .

وهنا يأتي المعنى العام لهذا الالتحام والترابط ما بين امتنا العربية وثورة الشعب الايراني المسلم المؤمن بقيادة الامام الخميني ، ومع كل القوى الوطنية والديمقراطية والتقدمية في منطقتنا وما يحيط بها ، لتشكل قوة فعالة في خضم المواجهات الحتمية والمصيرية ضد الامبريالية والصهيونية والاستعمار ، ضد الاحتكارات الدولية ومنطق النهب والسلب لخيرات هذه المنطقة ومحاولات ربطها وتقييدها بحلقاتها الجهنميةً كتوابع في كياناتها الاقتصادية ، تمتص منها كيفما وحسبما تشاء ، دون رقيب او حسيب .

بل ان قرار التلاحم يجب ان يمتد ويمتد ، ليشمل جميع الاصدقاء والشرفاء والاحرار والمدافعين عن حريتهم ، والمستضعفين في الارض ، وخاصة حركات التحرير في اسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، وفي كل بقعة يخيم عليها استعباد او استعمار او ظلم او قهر .

كما ان حتمية المواجهة التي تنطلق من حقيقة الصراع الدائر الآن في منطقتنا يجب ان تنطلق من مبدأ الفرز الاستراتيجي للاصدقاء والاعداء ، من هم اعداؤنا ومن هم اصدقاؤنا ، ويتحتم علينا ازاء ذلك تعزيز معسكر الاصدقاء والحلفاء من الدول الاسلامية ، والافريقية ، ودول عدم الانحياز ، والدول الاشتراكية ، والدول الصديقة ، حتى نتمكن من فرض ارادة شعوبنا امام معسكر الاعداء مصاصي دماء الشعوب ومحتكري ارزاقها ، عبر التصعيد الثوري ، وليس بالتنازلات المهينة ، وليس بتقديم مياه النيل للعدو الصهيوني ، وليس برشوة امريكا ببعض براميل من البترول او استجداء الامبريالية العالمية ببعض الاتفاقيات المذلة والمهينة لشعوبنا ، أو التنطح لمعاداة الشعب الفلسطيني وثورته ، خدمة للامبريالية والصهيونية ، وكسبا لرضاها .

هذه هي القاعدة الاساسية في مجرى الصراع الخطير الذي يرسم صورة منطقتنا لعدة اجيال مقبلة ، وليفرض ارادة شعوبنا التي ستنتصر حتما في هذا الصراع في مرحلته الخطيرة والصعبة ، بعد خروج مصر مؤقتا بثقلها ووزنها من دائرة هذا الصراع الحضاري على يد السادات ، لتصبح في خندق واحد مع العدو الصهيوني ، فيتركز الجهد ويزداد الثقل ، كل الثقل ، علينا وعلى اخواتنا في الجبهة الشمالية الشرقية ، عبر خطوط المواجهات الساخنة والخطيرة والمتفجرة .

يا شعبنا المناضل البطل .
يا اخوتي رفاق المسيرة الصعبة ،

دربنا قاس وطويل ، ونحن في هذا نعرف بكامل وعينا الثوري ، وبحس المناضل ،كم هذا الدرب خطير وكم اعداؤنا فيه كثر ، لاننا نفهم ونعي ان ثورتنا هي المنطلق الاساسي لاحداث تغييرات في المفاهيم في مجمل الوضع في المنطقة العربية ومنطقة الشرق الاوسط ، لانها لب الصراع ومحور التصادم مع هذا العدو الامبريالي الاستعماري المتربص بنا .

اننا نعتمد في هذه المعركة على رصيد لا ينفد ولا ينضب ، انه رصيد شعبنا داخل وخارج الارض المحتلة ، هذا الشعب الذي صمم على المضي في طريقه حتى تحقيق الانتصار ، حاملا معه وفي جعبته رصيد خمسة عشر عاما من كفاحنا المسلح لثورة الفاتح من يناير (كانون

الثاني) ، ومختزنا رصيد ستين عاما من جهاده منذ وعد بلفور المشؤوم . هذا الشعب الذي يصنع الملاحم والاساطير داخل ارضنا المحتلة ، باطفاله ، وبنسائه ، برجاله ، بكوادره ، برموزه البطلة ، بتحدي الارهاب والقمع والاحتلال الاسرائيلي بعزيمة لا تكل ، وارادة لا تلين : عزيمة الثوار وارادة الاحرار ، صانعا مع جحافل شعبنا في التيه والمنفى المقاتل الثائر اهزوجة متناسقة تسيج وحدها في الايثار في العطاء ، والتضحية ، وفي الفداء في الثورة ، وفي الملحمة الثورية المستمرة الجبارة .

الا بوركت يا شعبنا يا شعب العطاء والبذل .
الا بوركت يا شعبنا شعب التضحية والفداء .
الا بوركت السواعد المقاتلة المرابطة في خنادق الجهاد .

ايها الاخوة يا رفاق الدرب الطويل .
يا جماهير شعبنا الثابرة ،

اننا في هذا المعترك ، وفي هذا الاتون ، لا نقاتل من اجل القتال ، ولكن من اجل النصر وفي اتجاه الهدف « كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم » صدق الله العظيم .

ولكننا في ثورتنا نجاهد ونناضل ونقاتل من اجل مستقبل اطفالنا واولادنا ، من أجل مستقبل شعبنا ومصيره ووجوده . لذلك فاننا نقاتل من اجل السلام العادل ومن اجل حياة العزة والكرامة ، وليس من اجل اي سلام ولا اية حياة . اننا نناضل من اجل السلام العادل على ارض السلام ، ارض فلسطين ، ونرفض الاستسلام الذي يحاولون فرضه على شعبنا الفلسطيني وامتنا العربية . ونحن في نضالنا لسنا ضد اليهود ، ولكننا ضد الصهيونية التي تضلل وتستغل حتى اليهود انفسهم . نحن ضد الحركة الصهيونية والقيادات العسكرية الاسرائيلية التي تقود اليهود الى طريق الهاوية . هذه الحركة وتلك القيادات التي لم تقدم لهم الا النزيف الدموي الدائم ، والاستمرار في خوض الحروب واستخدامهم كطعم ووقود للاطماع الامبريالية والاحتكارات العالمية التي تريدهم دائما ادوات لراس الجسر للاستعمار في منطقتنا ، وادوات طيعة في اياديهم ، ولتنفيذ مآربهم وخدمة لمخططاتهم كشرطي وكلب وحراسة في هذه المنطقة ... لذلك ، ومن خلال المفهوم الانساني والحضاري لثورتنا ، فاننا نفهم ان السلام العادل في فلسطيننا هو السلام الفلسطيني الذي يشمل في تطلعاته اليهود الذين يعيشون في فلسطين ، ويقبلون العيش معنا دون تمييز او عنصرية ، بل بمساواة وعدل واخاء مسلمين ومسيحيين ويهود على ارض فلسطين ، أرض السلام .

وانني اقول لهم ان هذا الحلم الصهيوني لن ينفعهم ، لانه ليس الا كابوسا حاقدا لا يرى سوى القتل والدمار لهذه المنطقة ، لاشباع غريزة مجنونة مبنية على الاستعلاء والتمييز العنصري البغيض .

يا جماهير شعبنا العظيم
يا رفاق الدرب رفاق السلاح ،

كم هي الطريق شاقة وطويلة ، صعبة ومريرة ، ولكن لا يطالهـا الا الابطـال والصناديد ... انتم يا من امتلأت قلوبكم بالايمان فكتبتم تاريخ فلسطين بدماء المهج وبارواح الشهداء ، وسطرتموها في سجل الخالدين ، وحفرتموها على صفحات الزمن نورا وضياء ببطولاتكم ، بتضحياتكم ، بعطائكم ، بثورة عملاقة هويتها البندقية ومدادها الدم الزكي ، ودرعها الشعب الوفي الامين .

فهذا كان تاريخ فلسطين وسيبقى ، تاريخ البطولات والشهداء ، تاريخ الارض المجبولة بالدم الطاهر الزكي .

فمزيدا من الالتصاق بهذه البندقية ، فهي صانعة كل هذه الانتصارات ... وعبر فوهتها تحول شعبكم من لاجيء الى ثائر ... من كميات وارقام مكدسة في سجلات الاحسان والصدقات في وكالات الاغاثة والاعانة الى طوابير في دروب الثوار والاحرار والمجاهدين .

مزيدا من الالتصاق بهذا الشعب قولا وعملا ، فعلا وممارسة ، فلا ثورة بلا شعب ، ولا ثوار خارج اطار الجماهير واحتضانها .

ومزيدا من وحدتنا الوطنية في بوتقة واحدة . شعب متماسك متحد ملتحم بثورته داخل ارضنا المحتلة وخارجها . شعب متلاحم صلب بمنظماته الجماهيرية وتنظيماته المسلحة ... بكفاءاته ، بكوادره ، بمناضليه ، بمقاتليه ، بمجاهديه ، باطفاله ، بنسائه ، برجاله ، بشيبه وشبانه ، صفا واحدا كالبنيان المرصوص ، قوة متماسكة بعيدا عن الوصاية والتبعية ، بعيدا عن الاحتواء والابتزاز – تشكل في مجموعها وحدة قوية متينة تحت راية منظمة التحرير الفلسطينية ، الناطقة باسمنا جميعا ، الممثلة لكياننا الوطني على درب التحرير والعودة بمشاعل الانتصار الحتمي على ارض فلسطين ، ارض فلسطين الوطن ... ارض فلسطين السلام ... ارض فلسطين المحبة ... ارض فلسطين الثورة ... ارض فلسطين الثوار ... ارض فلسطين الدولة المستقلة التقدمية لشعبنا المجاهد الحر ... وليكن عامنا السادس عشر ، ونحن ندخل اعتاب الثمانينات الفلسطينية بكل الكبرياء المتجمع في امتنا العربية ، بكل الايمان الذي تزخر به قلوبنا ... بكل المثل السامية التي نؤمن بها ، ليكن هذا العام عام الاقتحام الثوري على طريق الهدف الكبير ، عام التغيير في هذه المنطقة وفي هذا الوطن العربي الكبير لنتقدم جميعنا باتجاه فلسطين .

لقد اقتحمنا المستحيل معا يوم اعدنا شعبنا المشرد الى الخارطة السياسية في المنطقة ، ليصبح الرقم الاساسي والصعب في معادلة الشرق الاوسط .

والآن سنقتحم المستحيل الثاني ، ونقف امام التحدي المصيري باتجاه الهدف على طريق فلسطين الى القدس ، لنرفع عليها راياتنا عالية خفاقة ، على مآذنها وابراجها .

وعاشت فلسطين حرة عربية .
المجد والخلود لشهدائنا الابرار .

وانها لثورة حتى النصر .

اخوكم
ابو عمار

ياسر عرفات يتحدث
نظرة شمولية الى الصراع

□ بعد ١٥ عاماً من الثورة ، أين فتح من هدفها ؟

● هدف فتح تحرير فلسطين ، ونحن قريبون من تحقيق الهدف ، ونقترب منه كل يوم ، وقد دربنا الاشبال ، فهم جيل النصر الذي سيصل الى البحر .

ثورتنا ليست نزهة وليست ثورة عادية ، ولهذا قاتلت وتقاتل على جميع الجبهات في الشرق الأوسط ، لأنها حركة تاريخية للرد على التحدي الاستعماري ، من معاهدة سايكس ـ بيكو التي لا نعترف بها ، الى وعد بلفور الى قيام الكيان العنصري الصهيوني في فلسطين ، إلى معاهدة أنور السادات للاعتراف بتكريس نتائج الغزوة الاستعمارية والصهيونية . إن ثورتنا هي الرد القومي والحضاري على الموجة الاستعمارية الجديدة ، وهذه الثورة تشكل استمراراً تاريخياً للرد العربي والاسلامي على حملات الفرنجة لاستيطان المشرق العربي . ولقد نجح أجدادنا بقيادة صلاح الدين في رد الفرنجة ودحرهم وتطهير بلادنا العربية منهم ، والثورة الفلسطينية تحمل الراية نفسها ، وتكفي نظرة الى العمق العربي لنرى اهتزاز الأرض العربية طولا وعرضاً لسد الثغرات وقطع الاختراقات وصولا إلى الدرع العربي الذي تحمله ثورتنا ويسقيه دم شعبنا الفلسطيني في ممر الماراثون .

□ أخ أبو عمار ، في هذا الاتجاه التاريخي ماذا حققت الثورة ؟

● إننا كطليعة للأمة العربية ، نقاتل منذ ١٥ عاماً وبلا توقف القاعدة الصهيونية في وطننا فلسطين ، باعتبارها القاعدة الرئيسية للغزو الاستعماري الصهيوني ورأس جسر للامبريالية العالمية . ويكفي أن ينظر المرء الى هذه المسيرة لحظة انطلاقها ، ويرى ما وصلت إليه الآن من مكانة عالمية . كانوا حفنة من الرجال المؤمنين في مطلع عام ١٩٦٥ ، واليوم شعب مسلح ومقاتل ،يأخذ مكانه الطليعي ودوره التاريخي في مقدمة أمته العربية . إنه رأس

---

* حديث مشترك لـ شؤون فلسطينية ، وفلسطين الثورة ، اجراه صبري جريس واحمد عبد الرحمن

الرمح الضارب في أمتنا العربية ، وهذه الثورة تأخذ مكانها اللائق بكفاحها في جميع المنتديات الدولية . فنحن على أوثق صلة وأعمق صداقة مع أصدقائنا في المنظومة الاشتراكية ، وثورتنا تلعب دورا قياديا في مجموعة دول عدم الانحياز ، ولها احترامها عند إخوتنا الأفارقة ، ولها دورها المتقدم في عمقها الاسلامي .

وتسألني عما أنجزناه لتحرير فلسطين ، وأنا أقول أننا نوفر شروط التحرير وأداته في ثورة شعبية يرتبط بانتصارها مستقبل الشرق الأوسط كله . وتجري هذه العملية الثورية بمسالكها الصعبة ودروبها الملغومة مرتكزة على قاعدة من اللبنات الثورية الصلبة التي يحركها عذاب شعب مشرد ، وتاريخ أمة عريض لم يكتب بعد .

إنطلاقا من هذا كله أقول أن الثورة قد قاربت السير الى الهدف ، وأصبح الهدف تحت مرمى النظر وفي مرمى مدافع الثورة ، ومن هنا نقول : يرونها بعيدة ، ونراها قريبة وانا لصادقون .

□ أخ أبو عمار ، شعبنا المشرد كان قميص عثمان عند مواليد سايكس ــ بيكو ، فهل خلصته فتح من الاتجار بقضيته ؟

● تدخل الثورة عامها السادس عشر ، لتشكل في هذا الأتون العربي الكبير ، المحور الأساسي في خطة النضال . ويوم انطلقت كان شعبنا كما عدديا مهملا في سجلات وكالة الغوث الدولية ، واليوم ، شعبنا طوابير مسلحة ، وثورة شعبنا هي اليوم محور النضال العربي وطليعته الصدامية . ومن هذا الموقع تطل الثورة اطلالتها الراسخة على آفاق العالم بأعدائه وبأصدقائه . وأذكر أنني كنت وأخوكم أبو جهاد في بكين في عام ١٩٦٤ نشرح للمسؤولين هناك خطتنا لتفجير الثورة ، فقالوا لنا إن ثورتكم مستحيلة ، فظروف الثورة غير موجودة ، وشرحوا لنا هذه الظروف والشروط ، وقد قلنا لهم إن ظاهر المنطقة غير قلبها ، فقلبها معنا ، وغادرنا بكين وبعد عام فجرنا الثورة .

وتوقف الأخ أبو عمار قليلا قبل أن يروي لنا قصة لقائه مع الجنرال جياب في عام ١٩٧٠ :

في عام ١٩٧٠ زرت هانوي وقابلت الجنرال جياب وقلت له حسب ما أذكر : إنني فخور عندما أقابل قائد أعظم ثورة شعبية . وقبل أن أكمل قاطعني الجنرال جياب بقوله : أنتم أصعب ثورة ، فلا تنسوا أنكم في أغنى مناطق البترول في العالم ، والامبرياليون سيحاصرونكم لتقاتلوا في جزيرة معزولة ، ليقضوا عليكم ...

□ وما رأيك في تنبوءات الجنرال جياب ؟

لا أسميها تنبوءات ، أنها نصيحة من قائد ثوري صديق لنا . ولو لم يكن الوليد الثوري الذي نبت في رحم هذه الأمة يملك عوامل النجاح وقوة البقاء كاملة ، لما استطاع أن يتغلب على كل ما صادفه في الأتون الملتهب الذي أحاط به ولف الثورة كلها ، وبمعنى آخر ، إن المرتكزات التي قامت عليها الثورة كانت من الأصالة ومن القوة ومن المنعة ، ومن خلال تضحيات الأبطال الذين كانوا على استعداد للعطاء دائما من دمهم ، حتى أصبحت الثورة المستحيلة والصعبة هي حقيقة شعبنا وحقيقة المنطقة العربية ومستقبلها .

□ في حديثك تلازم كامل بين النضال لتحقيق الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني والنضال لتحقيق الهوية القومية للشعب العربي ...

● في الحقيقة هاتان القضيتان متلازمتان في الواقع ، ونحن لا نستطيع أن نقول أن الثورة الفلسطينية قد حققت الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني ، دون أن يصب هذا في النضال التاريخي لتحقيق الهوية القومية لأمتنا العربية التي نحن جزء لا يتجزأ منها . وأذكرك بما أقوله دائما : إن الثورة الفلسطينية هي الهوية النضالية للأمة العربية . « انها ثورة فلسطينية الوجه عربية العمق والامتداد ، عالمية الجذور والأبعاد ، تقدمية الوجه والمسيرة » .

وان نظرة سريعة لما استطاعت الثورة ، بقيادة فتح ، أن تحدثه في مجمل الأوضاع العربية قبل وبعد هزيمة ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا ، توضح لنا كم كان البعد القومي شفافا وأصيلا في هذه المسيرة الثورية . فعندما وقعت هزيمة حزيران ، لم يبق في خطوط القتال غير هذا الفارس الفلسطيني الذي لم يترجل حتى الآن . وفي أوج نشوة العدو الاسرائيلي بخمرة النصر السهل الذي أحرزه على الجيوش العربية في عام ١٩٦٧ ، وقعت معجزة الانتصار في معركة الكرامة في آذار١٩٦٨، فاذا بها أول هزيمة تصيب قوات العدو منذ تأسست دولته وأول انتصار لأمتنا العربية ، انتصار صنعه وأحرزه الثائر في هذه الثورة المباركة .

ومن معركة الكرامة التي استمرت ١٥ ساعة إلى حرب الاستنزاف المستمرة حتى الآن ، مرورا بحرب الـ٨ أيام وبالدور الفلسطيني في حرب تشرين ، وبالمقاومة المشتعلة ضد الاحتلال الاسرائيلي ، والتي أسميها بالقنبلة الزمنية الفلسطينية التي تواصل تفجيراتها الرائعة داخل أرضنا المحتلة منذ الاحتلال وحتى يومنا هذا .

ألا يصب هذا النضال كله في تأكيد الهوية القومية وابرازها بوجهها المناضل لا بوجهها المساوم ؟ إن الثورة الفلسطينية التي تشكل المحور الصدامي الدائم في خط الماراثون ،انما تدافع عن وجود الأمة ، بنفس القدر الذي تحقق فيه الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني ، إنهما قضيتان متلازمتان ، ولا مجال للفصل بينهما في أرض المعركة .

وهل ترون هذا العدد الكبير من أحرار أمتنا العربية ، الذين ينضوون تحت راية الثورة ، ويدفعون معنا الغرم قبل الغنم ؟ وبهذا كله ، فالثورة الفلسطينية هي الهوية النضالية للأمة العربية ، الفريدة في تكوينها وتزاوجها . ولعل هذا التزاوج اللبناني ــ الفلسطيني الذي عمدته الدماء ، هو الصورة المشرقة لمستقبل أمتنا العربية في أتون الكفاح المشترك ضد الغزوة الصهيونية ــ الامبريالية وقاعدتها الرئيسية « اسرائيل » .

□ هل يمكن القول إن هذا الدور التاريخي للثورة يفسر كثرة اعدائها واصدقائها في الوقت ذاته ؟

● كثرة الأعداء وكذلك كثرة الأصدقاء هي تعبير عن أصالة هذه الثورة ، فأعداؤنا يتشبثون بالقديم الذي بنوه على حساب أمتنا ، وأصدقاؤنا يرون فينا حليفا مجربا للاجهاز معا على معاقل الاستعمار ، ومن أجل بناء حياة جديدة على أنقاض عالم الامبريالية الموسوم بالقمع والاستغلال والاحتلال والاستيطان والتجزئة .

□ تقول دائماً أنك تصارع كيسنجر ، فماذا تعني بذلك ؟

● أنا لا أصارع شخصاً ولكني أصارع سياسة . فكيسنجر يرمز لدي للسياسة الاميركية في الشرق الأوسط في خطين مرتبطين باسمه ، أوصلا المنطقة العربية الى ما وصلت إليه . هذه السياسة في أعلى مراحل شراستها وعدوانيتها، وفي أقل من عشر سنوات جرى أكبر جريمتين بحق الشعب الفلسطيني في أيلول ١٩٧٠ وفي لبنان ١٩٧٥ .

وأخيراً بداية سياسة الخطوة خطوة التي بدأت باتفاقيات سيناء الأولى والثانية وانتهت بكامب ديفيد . واذا احتكمنا إلى النتائج الحاصلة ، فانني أجزم بفشل هذه السياسة ونجاح الثورة .

وأخيراً يجب ألا ننسى أن قرارات هذه المؤامرات والحروب قد وقعت في البنتاغون الأميركي .

□ هل تعني أن الحرب الأهلية في لبنان قد وقعت بقرار أميركي ؟

● ليس الحرب الأهلية فقط ، وأنا بالمناسبة أسميها بالحرب الامبريالية الصهيونية ضد الثورة الفلسطينية وضد الشعبين اللبناني والفلسطيني ، وقد تغطت بغطاء طائفي شفاف من مخلفات سايكس ــ بيكو . أما حقيقتها فهي مؤامرة استعمارية مكشوفة الأهداف لضرب الثورة الفلسطينية التي تشكل أعظم عقبة في وجه المخطط الذي يريد أن يحول لبنان الى فلسطين أخرى . ويكفي أن نقرأ ما كتبه روجرز موريس ، أحد ضباط السي . آي . أي . حول أحداث لبنان لنكتشف مدى ضلوع المخابرات الاميركية في هذه الأحداث الدموية التي حدثت على الساحة اللبنانية . ولكن النتائج جاءت معاكسة لأهداف هذه المخططات بعد أن كسرت الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والقومية اللبنانية العمود الفقري لها .

□ أين تقع إذن اتفاقيات كامب ديفيد والحكم الذاتي في إطار الاستراتيجية الأميركية في المنطقة ؟

● هذه حلقات متصلة من استراتيجيه واشنطن في الشرق الأوسط ، وبدون قرار أميركي ما كان يمكن أن توقع اتفاقيات كامب ديفيد . وبالطبع فهذا القرار جاء ليخدم المصالح الاميركية الكثيرة في الشرق الأوسط ، فالمعاهدة المصرية ــ الاسرائيلية جاءت بعد شهر من انتصار الثورة الايرانية ، لتعويض خسارة واشنطن في ايران ، وتأمين جدار من النظام المصري لاستناد الحارس الاسرائيلي الذي يقوم على حراسة المصالح الاميركية في المنطقة ، بعد أن سقط الجدار الايراني . وقد حاولت واشنطن أن تغلف عمليتها هذه بغلاف السلام ، ولكن الأمة العربية والمجموعة الدولية ، رفضت هذه المعاهدة العسكرية ، التي زادت من خطر الحرب في المنطقة ، والتي جلبت على الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني وكذلك الشعب اللبناني حرباً وحشية مدمرة منذ تلك اللحظة التي وقع فيها السادات وبيغن وكارتر وثائق حلفهم العدواني الجديد . إن المعاهدة برمتها تنازل مصري عن العرب وعن مصر ودورها القومي وعن فلسطين وقضيتها وحقوق شعبها .

□ أخ أبو عمار ، الثورة الفلسطينية صمدت وانتصرت على المؤامرة في لبنان ، فهل كسبتم الجولة في مواجهة كامب ديفيد ؟

● لا تنسوا أنهم عندما وقعوا المعاهدة ، كانوا يراهنون على أن دولا عربية عدة ستلحق بهم ، ولكن مؤتمر القمة في بغداد ومن قبله قمة الصمود والتصدي رفضت المعاهدة وأدانتها ، واعتبرت الحكم الذاتي عبودية جديدة للشعب الفلسطيني وتكريسا للاحتلال الاسرائيلي . وأستطيع أن أقول أن الأمة العربية بموقفها الحاسم ضد كامب ديفيد ، قد استطاعت أن تطوق أطراف هذه المعاهدة في عزلة دولية متزايدة ، والبرهان على ذلك أن المؤتمرات الدولية جميعها لم تقبل كامب ديفيد كمعاهدة دولية معترف بها ، بل أدانتها وشجبتها من زوايا عدة ، لعل أبرزها كون المعاهدة اعتداءاً صارخاً من أطرافها على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره بحرية . لقد رفضت القمة الاسلامية هذه المعاهدة ، وأبرزت القمة الافريقية تمسكها بمنظمة التحرير الفلسطينية وبتلبية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطني . وفي قمة عدم الانحياز أدينت المعاهدة بشكل صارخ ، وفي الأمم المتحدة أدينت هذه المعاهدة بقرار دولي ، وهذه المرة الأولى التي تتعرض فيها الهيئة الدولية لمعاهدة من هذا النوع وتعلن ادانتها وشجبها لها وعدم اعترافها بها .

ونستطيع القول أن أطراف المعاهدة قد عزلوا عربيا ودوليا .

□ كيف تفسرون التصلب الاسرائيلي مع كل تنازل مصري جديد ؟ .

● للأسف فالسادات بتنازلاته الهائلة على الصعيد القومي والمصري يقدم كل يوم للقيادة الاسرائيلية ما يقوي من تصلبها وعنادها ، فتزداد تصلبا أكثر في مواجهة هذا الاستخذاء من الجانب المصري . لقد بدأت هذه التنازلات بالتفريط في قضية العرب المقدسة ، ثم أتبعها السادات بالتفريط بالسيادة المصرية على سيناء ، وأخيرا بالتفريط بمياه النيل ، لينكب الأمة العربية مستقبلا بملايين الصهاينة ، في عملية تعمير صحراء النقب . وبالمقابل لا بد أن نعرف أن « اسرائيل » تعيش الآن في أخطر أزماتها الاقتصادية . وأمامها عدد من الحلول لمواجهة هذه الأزمة ، فاما مزيدا من التصلب لمزيد من ابتزاز مصر وحاكم مصر ، واما بتصدير متاعبها الاقتصادية الى الخارج بمغامرة عسكرية مجنونة على الجبهة الشمالية الشرقية والتي يسمونها في العلم العسكري الضربة الاجهاضية الاستباقية ، وهذا ما يفسر هذه الظواهر في المغالاة الاسرائيلية في التصلب داخليا وخارجيا .

□ الا تطرح هذه الأخطار مجددا موضوعة الجبهة الشرقية لمواجهة هذا الخطر ؟

● من هنا أقول دائما بأهمية العلاقات السورية ــ العراقية ، والعلاقات السورية ــ الفلسطينية ــ العراقية ، والعلاقات السورية ــ الفلسطينية ــ العراقيــة ــ الاردنيــة ــ اللبنانية .

وكذلك أهمية قيام علاقات وثيقة بين هذه الدول العربية مجتمعة والثورة الايرانية ، باعتبار ايران بما تشكله من قوة بشرية وعسكرية هي البديل لما فقدناه مؤقتا بخروج مصر من دائرة الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

□ الثورة الايرانية هي الزلزال الذي يهز المنطقة ، فما هو تقييمكم الخاص لهذه الثورة ؟

● الثورة الايرانية المباركة بقيادة الامام الجليل آية الله الخميني ، ليست حدثا عارضا في تاريخ هذه المنطقة ، وفي الصراع الدائر فيها . إنها الحدث الكبير الذي أنهى أكبر قاعدة امبريالية أميركية ، وطرد الشاه أكبر حليف لهذه الامبريالية ، وصديق اسرائيل ، والمؤيد لسياسة كامب ديفيد والسياسة الاميركية لتطويع المنطقة وفرض السيطرة الاميركية عليها .

لقد أنهت الثورة الايرانية المباركة هذا كله ، ودفعت ايران لتكون في نفس الخندق الذي نحن فيه لنتصدى معا للأعداء المشتركين وللمؤامرة الكبرى . لقد أنهت هذه الثورة مراكز التجسس وهزت هيبة أميركا ، كما تصدت لامبراطورية التروستات العالمية النفطية التي جنت ولا زالت تجني أرباحا خيالية تفوق في نسبتها نسبة أي استغلال امبريالي ظهر في العصر الحديث .

ومن هنا تأتي قيمة هذا التلاحم وأهميته بين الثورة الفلسطينية والثورة الايرانية عمقا وأصالة وارتباطا مصيريا .

□ بعد تحرير النفط الايراني ، هل يمكن أن يؤدي النفط العربي دوره في المعركة القومية ؟

● النفط العربي هو أقوى سلاح من أسلحة أمتنا العربية . وحتى الآن لم يستخدم هذا السلاح في المعركة الاستخدام المطلوب ، إنه القنبلة النووية والهيدروجينية العربية .

□ نود ، أخ أبو عمار ، أن نسألك عن قصة الحوار الأميركي ـ الفلسطيني .

● ليس هناك حوار أميركي ـ فلسطيني .

□ ولكن ؟

● أكرر وأقول : ليس هناك حوار أميركي ـ فلسطيني .

□ والحوار الأوروبي ـ الفلسطيني ؟

● لقد قمت بزيارة عدد من الدول الأوروبية واجتمعت مع المسؤولين فيها ، وشرحت لهم قضية شعبنا ، وأحرزنا نجاحات هامة اعترف بيغن بأنها تثير قلقه الكبير . انه من الأهمية بمكان أن تزيد دائرة الاعتراف العالمي بمنظمة التحرير وبحقوق شعبنا الفلسطيني وهذا ما حدث بالضبط .

□ فلماذا الضجة التي اثيرت حول هذه الزيارات ؟

● إنهم يخلطون بين العمل السياسي والحل السياسي .

□ هل يمكن أن توضح هذه النقطة ؟

● نحن نفرق بين العمل السياسي والحل السياسي بينما البعض لا يرى الخط الفاصل بينهما ، نحن بعملنا السياسي والدبلوماسي وسائر أشكال النضال الأخرى نعمل على تعزيز

مكانة الثورة . وتحركنا هذا يرتكز على قاعدة عملنا العسكري ، فليس عندنا فصل بين أشكال النضال ، إنها روافد تصب في النهر العريض للثورة لخدمة قضية الشعب وأهدافه ، وبكافة السبل والوسائل .

□ **أخ أبو عمار ، ما هي الثورة ؟**

● الثورة هي محصلة مجموع النضالات للشعب الثائر . فالنضال الجماهيري عامل مهم في الثورة ، هل تتذكرون ماذا كان تأثير انتفاضة الشعب الجزائري عندما خرج إلى الشارع بعد فشل محادثات ايفيان ؟

وكلنا يذكر ماذا فعلت جماهير ايران عندما تغلب الدم على السيف في طهران ، والامثلة كثيرة في تاريخ النضال على أهمية العامل الجماهيري في الثورة .

وبجانب النضال الجماهيري ، هناك العمل العسكري بكل أشكاله وأنواعه ، والعمل التنظيمي لحشد طاقات الجماهير ومضاعفتها ، وهنالك العمل السياسي والدبلوماسي والاعلامي والاقتصادي . ولكن يجب أن يكون واضحا أن جميع هذه الفعاليات النضالية ، لا يمكن أن تسمى في مفهومنا بالثورة ، ما لم تكن قد ارتكزت أساسا على العمل الثوري المسلح .

من هنا فاننا في الثورة الفلسطينية نقول : كما أن هناك معارك عسكرية ، كذلك هنالك معارك على سائر الجبهات الاخرى تقوم بها الثورة . فعملية الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية في الجامعة العربية وفي القمة الاسلامية والافريقية وعدم الانحياز والامم المتحدة ، إنما هي تتويج لهذا العمل السياسي الرائع الذي خاضته الثورة والذي ما كان يمكن أن يكون لولا ارتكازه على قوة البندقية الفلسطينية . ومن هذه الزاوية ننظر إلى عملنا الدبلوماسي والنجاحات التي حققتها الثورة في أوروبا الغربية .

□ **لماذا يهاجمون « فتح » ولماذا يركزون كل هجومهم عليها ؟**

● يقول ماوتسي تونغ : عندما يتوقف أعدائي عن مهاجمتي فعلي أن أعيد حساباتي ، وهذه المقولة ترد بقوة على هذا السؤال . نحن نصنع الأحداث ونترك للآخرين التعليق عليها . لقد أطلقت فتح الرصاصة الأولى وتركت للآخرين أن يعلقوا عليها سلبا أو إيجابا ، وفتح هي التي فتحت الباب على مصراعيه للكفاح المسلح يلجه شعبنا ويلحق به الآخرون . وفتح هي التي قالت بالدولة الديموقراطية الفلسطينية ، وهي التي قالت بحرب الشعب الطويلة الأمد ، وفتح هي التي رفضت الوصاية والخضوع والتبعية والاحتواء ، وفتح هي التي قاتلت من أجل البرامج السياسية التي اعتمدتها المجالس الوطنية الفلسطينية ، وفتح هي التي خلقت الأرضية للديموقراطية في الساحة . ولقد طورت فتح الكفاح المسلح وثبتت المؤسسات الثورية التي تشكل اليوم قواعد راسخة للثورة الفلسطينية ، وفتح هي التي أوجدت الصيغ العسكرية وطورتها ولا زالت في الساحة الفلسطينية العسكرية . لقد كانت فتح وما زالت هي المترجم الأمين والمجسد الصادق لتطلعات جماهير الشعب الفلسطيني المشرد في التيه والمنفى وتحت الاحتلال من اجل الغد المشرق والحياة الحرة الكريمة لشعبنا فوق أرض وطنه المحرر .

لقد فعلت فتح هذا وغيره ، مؤكدة دورها الطليعي في قيادة الثورة ، ولتشق الدرب إلى فلسطين عبر فوهة البندقية التي لا تعرف المساومة على المبادىء .

□ فلماذا الهجوم على فتح وهي التي تقوم بهذا الدور التاريخي الطليعي ؟

● لأن أعداءنا يعلمون أن ضرب فتح هو ضرب الثورة الفلسطينية ، باعتبارها الحلقة المركزية في الصراع . ولقد خابت وستخيب جميع هذه المحاولات . فهذه الثورة بقيادة فتح عملاقة عملاقة ، اكتب ... اكتب : (يا جبل ما يهزك ريح) .

□ هل يمكن أن تعرف فتح ؟

● حركة فتح هي حركة الشعب الفلسطيني لتحرير وطنه فلسطين من الصهيونية العنصرية المغتصبة .

□ هل لديك وصف لفتح ؟

● فتح هي السهل الممتنع ، وهذا جزء من أصالتها الوطنية والثورية . تبدو على السطح مثل مياه النهر الهادئة الرقراقة ، ولكن عندما يأتي الفيضان يجتاح كل شيء .

□ تقول دائما أن الشعب الفلسطيني يتحمل عن الأمة عنف الغزوة الامبريالية ، نود توضيحاً لذلك ؟

● لا بد من نظرة شمولية للصراع تبدأ من المعاهدة المشؤومة لسايكس ـ بيكو لندرك أننا لا نواجه على سبيل المثال نظرية الفراغ التي أطلقها ايزنهاور ولا حلف السنتو ولا اتفاقيتي سيناء الأولى والثانية والا اتفاقيات كامب ديفيد ، ولكننا كأمة نواجه هذه المؤامرة التي بدأت منذ سايكس ـ بيكو ووعد بلفور ، ومن سوء حظ الشعب الفلسطيني ، أن الضربة الأولى أصابته .

إن المشروع الاستيطاني منذ نابليون وبالمرستون وبلفور ، كان بهدف تمزيق الأمة العربية ، ونقطة ارتكاز وانطلاق هذا الهجوم كان استيطان فلسطين من قبل الحركة الصهيونية لتحويل شعبنا الى هنود حمر . ولكن هذا الشعب المثابر تحول الى القوة الصدامية للأمة العربية في مواجهة هذا المشروع الامبريالي الصهيوني الاستيطاني ، الذي يمثل رأس الجسر للامبريالية العالمية بغض النظر عمن يتزعم هذه الامبريالية في الماضي أو الحاضر .

ولكن رغم ضراوة المعارك وشراسة الهجمة ، فانها فشلت في تحويل شعبنا الى حفنة من الهنود الحمر ، ليصبح شعبنا بثورته المسلحة الصخرة التي تتحطم عليها هذه الموجات الغازية .

ولا أنسى هنا كلمة للرئيس الراحل هواري بومدين كان يرددها دائما : « فلسطين إما أن تكون الاسمنت المسلح لهذه الأمة ، واما أن تكون البركان الذي يفجرها إذا حصلت الخيانة » .

□ على ذكر المرحوم هواري بومدين ، نود أن نسألك عمن افتقدت من أصدقائك ؟ ومن سقط من أعدائك ؟

● لن أتكلم عن كل أصدقائي الذين فقدتهم ، فهم كثيرون بقدر عدد شهداء هذه الثورة ، قادة ومقاتلين . ولكني لا بد أن أذكر شهيد العروبة جمال عبد الناصر وشهيد العروبة هواري بومدين وشهيد العروبة كمال جنبلاط ، والقافلة طويلة طويلة وذكراها مؤلمة ، ولكنها عطرة بفوح بطولاتهم . أما أعدائي ، فأنا لم أتخلص من أي منهم ، وهم بالمناسبة أعداء شعبنا الفلسطيني ، فكلما سقط عدو أو عميل دفعت القوة الامبريالية بآخرين إلى مواجهة ثورتنا وشعبنا .

□ أخ أبو عمار ، ما هي أسوأ لحظات حياتك وما هي أسعدها ؟

● أسوأ أيام حياتي هو اليوم الذي رأيت فيه أنور السادات يهبط في مطار اللد ، ليقدم للعدو ما لم يحلم به أي صهيوني في التاريخ الحديث ، لقد تنازل السادات يومها عن فلسطين .

أما أسعد أيام حياتي فلم يأت بعد ، وليس سرا أن أخبركم أن أسعد أيام حياتي هو يوم تحرير فلسطين وارتفاع علم فلسطين فوق القدس عاصمة وطننا .

□ كتب أحد الصحفيين الأجانب بعد زيارة السادات للكنيست يقول : لقد أصبح العالم العربي جسداً بلا رأس ، ما تعليق الأخ القائد العام ؟

● هذا التشبيه خاطىء ، إنه تشبيه سوداوي يحاول أن يؤثر على معنويات الأمة العربية ، ولكن لا أحد ينكر الخسارة التي لحقت بنا لانتقال النظام المصري من خندق العرب الى خندق العدو ، بكل ما تمثله مصر تاريخا ووجوداً وحضارة وقوة . إلا أنني في هذا المجال أتذكر قول تشرشل عندما سقطت أوروبا في أيدي النازيين ، وقال كلمته المشهورة : « لم يبق لنا غير العرق والدم والدموع » . ويذكر العالم كيف وقف وحفنة من الطيارين البريطانيين ليغيروا وجه المعركة بعد هزيمة دنكرك . والشيء نفسه فعله ستالين عندما أصر على استعراض احتفالات ثورة أوكتوبر في موسكو والجيوش الالمانية على أبوابها .

وما حدث في مصر ، حدث شبيه له أيام الفرنجة عندما تفوق شاور مصر في ذلك الحين على ضرغام ، وصالح الفرنجة وقدم لهم التنازلات وبالتحديد تنازل لهم عن فلسطين . ثم جاء صلاح الدين ليغير المعادلة . لذلك ما حدث في مصر بخروج النظام المصري من الخندق العربي الصدامي هو حدث مؤقت ، وليل مصر لن يطول ، وشعب مصر سيعود ليشارك أمته العربية في صنع تاريخها ومستقبلها ، فهذه حتمية تاريخية لا مجال لاسقاطها . وهنا لا بد أن اذكر أن صلاح الدين الايوبي حارب ٣٣ عاماً ، منها ٢٥ عاماً في الداخل العربي لتوحيد الصف وضرب المنحرفين .

□ استقلالية الثورة ، استقلالية القرار ، وكانت فتح دائما في مقدمة المقاتلين من أجل تحقيقه ، الى أي مدى وصلتم في انجازه ؟

● استقلالية الثورة واستقلالية قرارها مبدأ ناضلت من أجله الثورة ، وفي هيكلنا

الثوري وفي صفحته الأولى ورد ما يلي: «ثورتنا غير تابعةولا موجهة ولا خاضعةإلا لارادة الشعب الفلسطيني وثواره الأبطال». ولقد كانت حركتنا، في هذا المضمار، حريصة كل الحرص على عدم السماح لأي كان ، عدواً أم صديقاً ، حليفاً أم غريباً ، أن يمس قدسية هذا المبدأ . وضحت ثورتنا في سبيل ذلك بالشيء الكثير ، ولكن هذا اعطاها حياة مستمرة ، فهي لم تكن في يوم من الأيام حريصة على بقائها خارج مضمون هذا المبدأ ، لاننا نعتبر أن التفريط في هذا المبدأ هو خضوع للتبعية ودخول في بوتقة الاحتواء وخضوع لمراهنات الآخرين .

ولقد استطاعت الثورة ، من خلال هذا المبدأ أن تفرض وجودها الذي عمدته دماء شهدائها وأسراها ومعتقليها ، وأن تثبت وتكرس هويتها النضالية كقطب فاعل ومؤثر في سياسة المنطقة ، وأن تحفر في مسارها أخاديدها العميقة .

☐ نسألكم عن الوحدة الوطنية الفلسطينية وما هي العوائق في وجه انجازها على الوجه الأكمل ؟

● هنالك تكبير متعمد في الحديث عن الوحدة الوطنية الفلسطينية لزعزعة الصورة الفلسطينية . لقد اتفقنا في الساحة الفلسطينية على الاسلوب الديموقراطي كطريقة في التعامل والعمل في الساحة ، وقد ارتضى الجميع بهذا الأسلوب ، وانطلاقا من هذا فانني لا بد أن أشير الى اعتزازنا بهذه التجربة الديموقراطية الفريدة من نوعها ، والتي استطعنا تثبيتها كتجربة رائدة في الثورات .

وهنا أقول بأن العمل الديموقراطي كل متكامل ، على الأقلية أن تلتزم برأي الأغلبية ، فاذا كان المقصود ببعض دعوات الوحدة ، أن يكون رأي الأقلية هو الملزم ، وأن تحكم السلسلة بأضعف حلقاتها ، فهذا هو أسوأ أشكال الدكتاتورية التي لن نقبلها ولن نسمح بها داخل ثورتنا .

وانطلاقاً من ذلك كله ، سارت وحدتنا الوطنية على هذه الأسس الديموقراطية . وأعطني في هذا الجزء من العالم مكاناً أكثر ديموقراطية من واحتنا الفلسطينية ، وهذه الديموقراطية هي ديموقراطية القوة وليست دكتاتورية الضعف ، وهي التي لفت الساحة واحتضنت كل القوى الفلسطينية بل وكل فرد في شعبنا الفلسطيني وكل مناضل سواء في المنظمات الجماهيرية أم في التنظيمات الفلسطينية كافة . فديموقراطيتنا تضمن للجميع نفس الحقوق وعليهم نفس الواجبات في كل ما يختص بأمور الثورة ، فللجميع الحق في العمل ، ولكل فرد الحق في التفكير الحر المستقل وفي ابداء الرأي وفي ممارسته بكل حرية وديموقراطية .

ولقد اتفقنا أيضا في ساحتنا الفلسطينية على أن لهذه الساحة مؤسساتها المختلفة ، من تشريعية وتنفيذية وعسكرية واعلامية واجتماعية وقضائية وشعبية ، وأن القرار يجب أن يتخذ ضمن هذه المؤسسات ليصبح قراراً فلسطينيا . وغير ذلك هو اعتداء على الشرعية الفلسطينية واعتداء على استقلالية القرار الفلسطيني ، واعتداء على الديموقراطية الفلسبطينية ، فثورتنا كما قلت وأكرر غير تابعة ولا موجهة ولا خاضعة الا لارادة الشعب الفلسطيني وارادة ثواره الأبطال .

□ هناك من يقول بأن الثورة تغلب العمل السياسي على العمل العسكري ، نود توضيحا من القائد العام للثورة ؟

● يبدو ان الذين يقولون ذلك لا صلة لهم بالعمل العسكري الجاري الان ، ضد العدو الاسرائيلي داخل الارض المحتلة وفي مواجهته في جنوب لبنان ، وبالتالي لا علم لهم بما يجري على ارض الواقع . يبدو ان هؤلاء لم يكتفوا بشلال الدم الفلسطيني واللبناني الذي سال ولا زال يسيل في الجنوب من جراء حرب الاستنزاف الجارية بيننا وبين العدو ، الذي يستخدم ضدنا احدث الاسلحة المحرمة دوليا . ان هؤلاء لا هم لهم الا النيل من الشعب الفلسطيني وثورته المسلحة ، ويكفي ان اذكر هؤلاء بما صرح به مؤخرا الجنرال يسرائيل تال والذي كشف النقاب فيه « عن خطورة العمل الفدائي على وجود اسرائيل » واذكرهم ايضا بما اعلنته لجنة الدفاع والامن في بداية عام ١٩٧٩ عن عدد افراد البوليس ورجال الامن والحرس الوطني عدا قوات الجيش الاسرائيلي ، الذين تجندهم حكومة العدو لمواجهة ثوارنا ، وعملياتهم داخل الأرض المحتلة . لقد بلغ عددهم ١١٠ الاف مجند .

وبعد ألا يسمع هؤلاء اخبار عملياتنا المستمرة داخل ارضنا المحتلة من اذاعة العدو نفسه ؟ ألا يسمع هؤلاء بالاعتداءات الاسرائيلية المتكررة على شعبنا طوال هذا العام ؟

[ملاحظة : اعترف العدو الاسرائيلي أن أكثر من ٩٠ ٪ من الذين يعتقلون نتيجة قيامهم بعمليات فدائية ينتمون الى حركة فتح] .

□ هناك تجاوزات واخطاء في العلاقة مع الجماهير ، وهناك قرارات لملاحقة المخالفين ، نود ان نسمع من القائد العام للثورة تفصيلا لهذه القضية التي تربك علاقة الثورة بالجماهير ؟

● « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر » ، ولكن نحن في الثورة الفلسطينية لا نتخذ من هذا القول ذريعة للسماح لأي عمل تجاوزي يمكن أن يحدث . نعم ، هناك تجاوزات من أفراد ولكننا لهم بالمرصاد ، ويكفي نظرة على قوانيننا الثورية والأحكام التي صدرت بحق من ثبتت إدانتهم لتعطي الدليل على اصرارنا على عدم السماح بهذه التجاوزات . وللأسف فان كثير من الايجابيات لا تذكر في هذا المجال ، الى جانب ان هنالك تعمدا لتكبير حجم التجاوزات وتضخيمها . ويستغل هؤلاء عنف الضربات الاسرائيلية وخاصة في الجنوب لادارة الدفة ضدنا وتوجيه اصبع الاتهام الينا ، والقاء التبعة علينا ، لانهم في الحقيقة يوظفون هذه التجاوزات لا خدمة للمواطنين ، بل لتمرير مخططات بحجة أن هناك تجاوزات ضد المواطنين . اننا لا نبرىء كثيرا من الهامسين من دم يوسف ، وهنا لا بد أن أشير الى أن القيادة المشتركة قد اتخذت اجراءات مشددة لملاحقة هذه العناصر التي ترتكب المخالفات والتجاوزات بشدة واصرار حرصا على سلامة جماهير الثورة وراحتها لانه لا ثورة بدون جماهير مؤمنة بأهداف الثورة .

□ اخ ابو عمار ، ما هي قصة التوطين التي يتحدث عنها اعداء ثورتنا ليل نهار ؟

● من الذي يريد التوطين ؟ انهم اعداء الثورة اسرائيل ، اطراف كامب ديفيد ، الانعزاليون . ولكن الثورة تريد العودة الى وطنها ، واقامة دولتها المستقلة فوق ترابها الوطني ، وأحب أن أكرر ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام . والله لو وضعوا القمر في يميني والشمس في يساري ، لما قبلت بديلا عن وطني فلسطين .

إن مؤامرة التوطين مؤامرة مستمرة عمرها من عمر النكبة ، وجميع هذه المؤامرات تحطمت على ارادة وتصميم شعبنا بأن لا بديل له عن ارضه فلسطين .

□ **هل من كلمة للثوار ؟**

● مزيدا من الالتصاق بهذه البندقية صانعة النصر ، وبهذا الشعب ، صاحب المعجزة .

هـاني الحسـن

وقفة عند الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية

مع اشراقة عام ١٩٨٠ يكون عمر الكفاح المسلح الفلسطيني قد القى ظله على خمسة عشر عاما مضت . والثورة كالجبال الشاهقة كلما صعدتها اكثر كلما تفتح المنظر عن مدى اكبر . ومن القمم التي وصلت اليها الثورة الفلسطينية نستطيع اليوم ان نلقي نظرة على الماضي ، وان نميز بوعي اشمل بين الاتجاهات والهفوات . ان الحديث عن النضال الفلسطيني عبر ١٥ عاما يعني الحديث عن تاريخ شعب ، مسيرته النضالية هي تاريخ منطقة الشرق الاوسط . في عام ١٩٦٤ زار وفد فلسطيني الصين الشعبية ، والتقى بماوتسي تونغ ، وجرى حوار طويل تبادل فيه الطرفان مواقف الدعم بين ثورة عريقة وقفت على الارض وثورة فلسطينية لم تبدأ بعد . وعند الوداع على باب غرفة متواضعة في بكين ، تريث ماوتسي تونغ لحظة ثم قال بنبرة من الصدق الذاتي . يا رفاق ، لقد تبادلنا الحديث بحرارة ولكنني اريد ان اقول لقد درست قضيتكم والظروف المحيطة بها بدقة ، انها قضية صعبة تتداخل فيها المشاكل تداخل اسنان القرش ، اذا تمكنتم من تفجير ثورة والاستمرار بها فاني سأكون سعيدا لدراسة قوانين جديدة لحرب شعب في ظروف لا تنطبق عليها قواعد حرب الشعب التقليدية .

ان ظروف التجزئة العربية ، وحجم السيطرة الامبريالية في المنطقة ، والقيمة الاستراتيجية للمنطقة وثرواتها ، والطبيعة الاستيطانية والتوسعية للحركة الصهيونية واسرائيل ، كل ذلك يجعل الحديث عن تاريخ الثورة الفلسطينية ليس في النهاية سوى حديث عن سلسلة من المراحل التاريخية حيث جرت في كل مرحلة مواجهة لمشكلة محدودة ، وانبثق عن ذلك نضال دؤوب لتجاوزها . ومن هنا فقد يكون من المفيد بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة للثورة ان نستعرض بايجاز بعض سمات المراحل التي جرى تجاوزها بما هي مراحل تحد او مراحل ازمة .

مرحلة التأسيس ... مرحلة التجاوز الفكري

مما لا شك فيه ان تفسير الاسباب الكامنة وراء قدرة ثورات شعبية كالثورة الفيتنامية او الصينية او الفلسطينية على الاستمرار يرجع بالدرجة الاولى الى السيطرة الفكرية على (الآن)

التاريخي لبلد معين في فترة معينة ، ومن خلال هذه السيطرة لا تبقى المسألة الاساسية امام الثورة . ما العمل ؟ بلا جواب ، وحسب هذا الجواب يأتي الانتقال من مرحلة الرفض اللفظي الى مرحلة التصدي الدائم .

لقد تجاوزت الثورة الفلسطينية الفكر العربي السياسي الذي ساد في الستينات بواسطة القوى العربية القومية والماركسية والتي تخلص لتحليلات وبرامج سياسية مارست تطبيقها على مدى عشرين عاما ، تحقق في ظلها نجاح جزئي في بعض المجالات وهزائم كبرى في مجالات اساسية . وكانت تجربة الفكر القومي الناصري ابرز تلك المحاولات للمجابهة مع القوى الخارجية وقيادة معركة التحرير والبناء . الا ان تلك التجربة اذ بقيت غير شاملة ، لم تستطع الصمود امام تحالف الرجعية العربية مع الصهيونية عبر امريكا . ومن خلال عدم قدرتها على الصمود شكلت الرحم الذي ولدت في ثناياه الرؤية الفلسطينية الثورية التي كانت نقيضا للاطروحات السائدة .

ان الفتحوية بما هي منهج نجح في قيادة النضال الفلسطيني عبر السنوات الخمس عشرة الماضية ، لم تختلف مع الماركسيين العرب حول صحة مقولة الصراع الطبقي التي هي قانون طبيعي من قوانين التطور الاجتماعي ، ولا هي اختلفت مع القوميين العرب حول هدف الوحدة والحرية والاشتراكية ، ولكن الخلاف كان في اختيار النقطة الصحيحة للبدء التي تشكل وحدها النقطة الملائمة للتقدم نحو التطور والتغيير .

ان الفتحوية وجدت منذ اواخر الخمسينات ، ان التناقض الرئيسي الذي على الامة العربية ان تواجهه هو التناقض بين الامة العربية من جهة ، وبين الامبريالية الامريكية من جهة اخرى . وان ابرز تجسيد مادي للامبريالية الاميركية هو اسرائيل . وان مضمون هذا التناقض هو الصراع العربي الاسرائيلي . والنقطة الهامة التي وضعت الفتحوية يدها عليها هي . هل المحرك الاساسي لتطور الاحداث في المنطقة هو في مواجهة الوجود الاسرائيلي ، ام بمواجهة الرجعية العربية ؟ ومن يحمي الاخر ؟ لقد اجابت الفتحوية على هذا السؤال بان اعتبرت التناقض الاساسي هو مع اسرائيل ، دون ان يلغي ذلك العلاقة الجدلية بين التناقض المذكور والتناقضات الذاتية في الوطن العربي ، الا ان اي تقدم تحرزه على جبهة المواجهة مع العدو الاسرائيلي ، تحرز بمقداره تقدما على الجبهة الداخلية ضد القوى الرجعية ، التي هي تجسيد اخر للامبريالية تحميه المظلة الاسرائيلية وليس العكس . ان مقولة القوى الماركسية والقومية العربية منذ الخمسينات ، والتي تمثلت في ان القضاء على الرجعية العربية اولا وبناء انظمة ثورية سيؤديان حتما الى الوحدة والحرية والاشتراكية وتحرير فلسطين ، لهي بنظر الفتحويين وهم ايديولوجي . انها تبدو مترابطة منطقيا ،ولكنها غير ممكنة التطبيق من الناحية العملية ، لانها ليست حقيقة واقعية . فالرجعية العربية ليست اختيارا بسبب تخلف فكري او ثقافي ، ولا هي بسبب نتاج اقتصادي ، انما هي بناء تحتي ايضا امدته اسرائيل وامريكا بقوة الحياة وانتيء لمعظمه وبالمفاصل الحساسة منه بشكل قسري . ومن هنا فان تحرير اية منطقة عربية ، وخاصة في دول الطوق ، لا يكون تحريرا حقيقيا على مستوى الاستقلال السياسي والاقتصادي الا بمقدار ما يكون ذلك التحرير على حساب اسرائيل . وهل يمكن ان ننسى ان عبد الناصر الذي اتى ردا على هزيمة عام ١٩٤٨ ، واجه حرب حزيران ١٩٦٧ بكل ما انطوت عليه من محاولات لاعادته

الى النقطة التي انطلق منها عام ١٩٥٢ ، وان الجيش السوري يقف عاجزا عن الانتشار في كل لبنان لانه يعرف ان طريقه الى جونيه هو طريق اسرائيل الى صيدا والقنيطرة ، وانه فقط عندما يضعف العامل الاسرائيلي ولو مؤقتا ، كما حدث في حرب الجنوب مؤخرا ، تستطيع القوى الثورية ان توسع رقعة سيطرتها الحقيقية لا الوهمية ؟

اننا اليوم ، وبعد خمسة عشر عاما من النضال المسلح الدامي والمأساوي ، نجد ان جملة حقائق قد تكرست على المستوى السياسي لا يمكن لاحد ان يقربها . كان العمل الحزبي العربي يرفض فكرة النضال القطري ، ويتصدى للثورة الفلسطينية ، منذ البداية ، متهما اياها بالاقليمية . الا ان التجربة اثبتت ان النضال القطري ضمن الاطار القومي هو افضل الطرق للحصول على افضل محصلة للنتائج النضالية . والسؤال المهم هو كيف ؟ والجواب بدون تردد هو ان تكون النضالات القطرية جميعها بموازاة وداخل القضية التاريخية للمرحلة الراهنة ، للامة العربية ، بحيث تكون القضية التاريخية هي الاساس والمحور ، ولها الاولوية على كل شيء في الامكانيات ، وفي الاستمرار بالنضال ، وليس هنالك من قضية تاريخية في المرحلة الحالية للامة العربية الا فلسطين ، باعتبارها ــ كما قلنا سابقا ــ المدخل الاساسي للمواجهة مع النفوذ الامبريالي . ان فلسطين بعد قومي وليست بعدا جغرافيا . وهذه الحقيقة التي غابت عن اذهان بعض الثوريين جعلتهم يلجأون الى مصادرة الشخصية الفلسطينية ، ومن ثم اذابتها داخل الاطار القومي ، بحجة قومية وعروبة المعركة . والثورة الفلسطينية ، التي رفضت بحزم هذا المنظور ، واصرت على بلورة الشخصية الفلسطينية عبر النضال ، لم تفعل ذلك ارتدادا ورفضا للبعد العروبي للقضية ، وانما تأكيدا له . فبدون الفلسطينيين تفقد الثورة صفتها التحررية والقطرية الاساسية ، وتبدو القضية عالميا وكأنها نزاع بين الدول العربية واسرائيل ، الامر الذي يسلب الثورة احد اركان الثالوث اللازم لخوض اي حرب . الرأي العام العالمــي . والاهم من ذلك هو ان الفلسطينيين بسبب المعاناة وحال الاغتراب والضياع ، يشكلون نبعا غنيا للثورة والعطاء ، من هنا فان اذابة هذا القطاع ، ومصادرة اسمه وكيانه يعنيان ، بالنتيجة ، سلب الامة العربية قضيتها التاريخية الوحيدة من فعاليتها ، والابقاء على جانب البؤس السلبي فيها .

لقد اثبتت تجربة ١٥ سنة ماضية ان العمل الفلسطيني قومي التركيب والوجود ، وانه نقطة تجمع وتلاق لكل القوى الثورية العربية ذات الرؤية الواضحة لمعنى الاستفادة من التناقض الاساسي ، فالثورة الفلسطينية هي قاطرة الثورة العربية . والمستقبل في الوطن العربي ليس في يد الحزب او الحركة التي تملك البرنامج الاكثر تقدمية ، وانما في يد الحركة الوطنية التي عمودها الفقري ادراك طبيعة الخطر الاسرائيلي ، وادراك قومية العمل الثوري الفلسطيني ، والتي تعرف بناء على ذلك . كيف ستجلب الجماهير العربية الى ممارسة دورها الكفاحي على ارض فلسطين ، او باتجاه فلسطين .

مرحلة الرفض المسلح للامبريالية

ان المحك الحقيقي للتجاوز الفكري والسياسي هو القدرة على الانتقال به من حيز النظرية الى ورشة العمل والتنفيذ ، وخط الانظمة الوطنية كان يؤمن بتأجيل المواجهة مع اسرائيل الى ما بعد الانتهاء من مرحلة بناء القوى الذاتية وتطوير القوى العسكرية ، بحيث يمكن فجأة توجيه ضربة

استراتيجية للعدو فيقضي عليه ، دونما اعطاء اية فرصة للامبريالية الاميركية بالتدخل . وقد كان تحرك فتح في ١/١/١٩٦٥ لضرب نفق عيلبون هو الرد على ذلك الوهم الاستراتيجي المتماسك نظريا ، وغير الممكن عمليا ، كما كان التحرك بداية عملية لفرض استراتيجية الكفاح المسلح الطويل الامد ، بديلا عن استراتيجية الحرب النظامية . وكان من الطبيعي ان تكون الولادة ولادة صاخبة في الداخل والخارج .

في داخل « فتح » عاشت الحركة اول ازمة داخلية لها في الصراع بين خطين . خط أصر على حرب شعبية تبدأ شابة وفتية بعملية مسلحة يشارك بها الالاف ، وخط قاده ياسر عرفات يقول بان الثورة كالانسان لا يمكن ان تولد شابة ، بل من الطبيعي ان يكون المولود صغيرا ينمو عبر الصراع ومواجهة التحديات . حتى احمد موسى ، قائد اول عملية ، جلس مقابل بيسان على الارض يستجمع قواه لاول عبور مسلح منذ عام ١٩٤٨ ، وعندما اكتشف ان القنبلة اليدوية التي معه مربوطة بخيط بدل حلقة الامان تساءل . ابهذه القنبلة المربوطة بخيط تريدون التحرير ، فكان الجواب نعم ، هذه القنبلة هي طريقنا لامتلاك قنبلة كاملة ، وهذا الرشاش الصغير هو طريقنا للرشاش المتوسط والثقيل . واليوم ، بعد خمسة عشر عاما ، لم يعد هنالك نقاش حول صحة تلك المقولة .

اما على الساحة العربية فقد ثارت نقاشات طويلة اتهمت عبرها فتح باتهامات كثيرة ، لم يكن اقلها انها عميلة حلف السنتو ، وكتبت تحليلات مطولة حول خطورة توقيت بدء الثورة ، الذي سيعطي فرصة للعدو الصهيوني كي يهاجمنا بدون استعداد ، وان عدم التنسيق مع القوى الوطنية هو توريط للوضع العام . وهذا الحوار كان طبيعيا ، لانه عندما تولد استراتيجية جديدة وتخرج من ورشة العمل الى التطبيق العام ، فهذا يعني ان نظرية ستعيش واخرى ستموت ، وبالتالي لن يحسم الخلاف الا بسقوط خط وتكريس خط آخر .

والثورة الفلسطينية طيلة عامي ١٩٦٥ ــ ١٩٦٦ لم تهزها تلك الاتهامات ، لانها كانت ترى فيها عجز الانظمة والقوى الوطنية رغم اخلاصها وهي تصر على ان ترى الامور من موقع طوباوي . والطوباوي تأملي يظل دائما في اطار ما يعرف ويبالغ بمخاطر ما لا يعرف . وهو يستطيع رؤية الهدف والتمسك به بحزم ولكنه يقف عاجزا امام تحديد البرنامج ونقطة البدء فيه .

ان دروس التاريخ الثورية هي ملك للجميع ، وما كتبه ماركس في ١٧ نيسان الى Kugelmann اصبح مع هزيمة حزيران ١٩٦٧ جزءا اساسيا من تجربة الثوريين العرب بشكل عام والفلسطينيين بشكل خاص . كتب ماركس ما ملخصه .

١ ــ التاريخ سيكون صوفيا جدا اذا كانت الشروط اللازمةللتنفيذستتجمع بشكل لا خطأ فيه .

٢ ــ ان رفض الكفاح بحجة عدم توفر الشروط اللازمة في المدى القصير ، سيخلق شروطا اقل مؤاتاة بالنسبة للكفاحات المقبلة .

٣ ـ ان المخاطر الان لا يجوز ان تلهينا عن الحقيقة من ان امورا اكثر خطورة كامنة في المستقبل .

وعلى ضوء كلام ماركس هذا من المفيد ان نستذكر بعض ما كتب ضد حركة فتح من انها لم تصدر دراسة واحدة تحلل فيها اسباب هزيمة حزيران ١٩٦٧ ، فمع ان هذا صحيح الا ان كتابه نسوا ان ممارسة الرفض المسلح التي بدأت عام ١٩٦٥ كانت انطلاقا من ايمان راسخ بأن الاستراتيجية الخاطئة ستقود الى نتائج خاطئة ، ومن هنا فأن فتح لم تصب بالذهول والارباك لزلزال هزيمة حزيران الذي كانت تتوقعه منذ عام ١٩٦٢ . بل كانت الثورة الفلسطينية هي الرد السريع على الهزيمة ورفعت شعار . لتكن هزيمة حزيران بداية النصر العظيم ، وقد حدث كل هذا لان رؤيتها لم تكن منطلقة اصلا من استراتيجية الانظمة ورؤيتها لقضية التحرير .

لقد كانت هزيمة عبد الناصر عام ١٩٦٧ هزيمة لكل الكبرياء والكرامة العربيتين ، وما ان وقع العملاق على الارض حاملا على ظهره المستقبل العربي حتى اقبلت الثورة الفلسطينية عليه ، رافضة اقامة وليمة نهش له ، ومدركة اهمية ان تتبنى مصر الثورة خط الثورة الفلسطينية فتعطيها بذلك عمقها العروبي الاصيل بعدما كانت سوريا العريقة بوطنيتها قد سبقتها الى ذلك .

عندما جرى اول لقاء بين الثورتين بعد اسابيع من حزيران ١٩٦٧ ، كان عبد الناصر يقول . لقد فهمتكم ... لقد فهمتكم . وسيسجل التاريخ ان عبد الناصر المهزوم عسكريا ، لم يهزم سياسيا . لانه وهو جاث على ركبتيه ازداد قناعة بان مهادنة الوجود الصهيوني والتدخل الامريكي في المنطقة لن يقود الا الى مزيد من الكوارث . ووضعت في ذلك اللقاء خطة تحملت فيها الثورة الفلسطينية عبر غور الاردن مسؤولية التصدي المنفرد للعدو الصهيوني ، بقصد ابقائه مستنفرا وسلبه بالتدريج بريق النصر المعنوي الذي حققه .ويومها فقط انتهت الاتهامات ضد الثورة ، وانخرطنا جميعا بالثورة الشعبية المسلحة ، وخضنا معركة الكرامة لنؤكد للعدو والعالم ان عهد الهروب والتراجع قد انتهى ، وان عهد التشبث بالارض قد بدأ

وفي الوقت الذي كانت فيه مصر تستعد للبدء بحرب الاستنزاف عام ١٩٦٩ كانت الثورة الفلسطينية قد استرجعت ايضا اذان وعيون العالم ، وبدأ العالم يتكلم لاول مرة عن المقاتل الفلسطيني بدلا من الحديث المقوت عن اللاجيء الفلسطيني .

التجربة المرة عام ١٩٧٠ (ادراك العامل الدولي)

ان التاريخ سيسجل ان الثورة الفلسطينية ، في الاشهر القليلة التي سبقت ايلول ، قد عاشت مرحلة شمشون الجبار ، الذي انتهى لان اعداءه نجحوا في القضاء على مركز قوته ، ومما لا شك فيه ان الدارس لتجربة ذلك العام سوف يجد ان عوامل ذاتية هي التى مكنت القوى المضادة للثورة من انجاح خطتها ومخططها . صحيح انه لا يمكننا ولا نستطيع ان نسقط ببساطة ضخامة المؤامرة الخارجية ، والتي شارك في التخطيط لها هنري كيسنجر ، الا انه لا يمكن السيطرة في الممارسة المباشرة ، على ظاهرة لا نعرفها ، نظريا ، معرفة صحيحة ، او بشكل ادق ، تجد انفسنا منذ البداية خارج الحالة التي تسمح لنا بهذه المعرفة .

كان عام ١٩٧٠ ، اول مواجهة مباشرة علنية على مستوى الاستراتيجية الكبرى بين الامبريالية وادواتها اسرائيل والانظمة الرجعية من جهة ، والثورة الفلسطينية من جهة اخرى . ففي شهر نيسان عام ١٩٧٠ بلغت الثورة الفلسطينية بالاردن قمة الصعود والقوة ، فاذا بالقوى المضادة تبدأ بهجومها المضاد ، فتعرض مشروع روجرز الذي كان الهدف الرئيسي منه عزل المقاومة عن حليفها الرئيسي مصر الناصرية ، ليجري بعد ذلك الاستفراد بالمقاومة وسحقها بالاردن . وفي نفس الوقت يتقدم ضابط بدأ حياته السياسية ناصريا ، وانتهى شقيا يعرض على احدى القوى الفلسطينية فكرة الاطاحة بالنظام عن طريق خلق فوضى بالعاصمة ، ليدخل العاصمة بلوائه المدرع الاربعين ، فيحتل رئاسة الاركان بدل سحق الجماهير ، وجرى مسلسل خلق الفوضى العشوائي غير المفهوم الا ممن كان عندهم السر .

صحيح ان الاحداث اثبتت ان للانظمة العربية لا تستطيع احتمال ظاهرة الشعب المسلح ، لان هنالك تناقضا موضوعيا ، بين الشعوب المسلحة والانظمة ، اما لانها مرتبطة باستراتيجيات خاطئة ، واما لان النضال المسلح يوصل الصراع لدرجة من الحدة ارقى واعلى من درجة حسابات الانظمة وتوازناتها ، فيلجأون الى ضربها بدلا من التجاوب معها . ولكن القوى الموضوعية التي كانت متوفرة لم يجر الاستفادة منها ، مع انها كانت كافية جدا ، للسيطرة على اهم مفصل استراتيجي بالوطن العربي الاردن ، الذي هو بوابة سوريا والعراق والسعودية وفلسطين .

الا ان الشيء المذهل هو اننا دخلنا معركة المواجهة مع الاردن بدون حليف دولي ، اي بدون التنسيق مع الدول الاشتراكية وخاصة مع الاتحاد السوفياتي . لقد كانت احداث ايلول اول درس عملي للثورة الفلسطينية عن معنى المعادلات الدولية ولعبة الامم ، عن حقائق العصر .

ان ادراك الظرف الثوري الفلسطيني ادراك « الآن » التاريخي ، يستتبع فهم ما سلف من التاريخ الفلسطيني ، وفهم العلاقات الدولية في تلك اللحظة وذلك « الآن » . في ظل الانتقال من السرية الى العلنية ، وفي ظل الانتقال من هدف تحقيق الولادة والوجود للثورة الى مرحلة احتلال القاعدة الارتكازية ، سيطرت علينا روح الاستهانة بالعدو ، وغاب عنا ان تاريخ الشعب الفلسطيني مليء بالانتفاضات والتمردات الثورية ، ولكن في العشرة امتار الاخيرة كان الاستعماريون والرجعيون ينجحون مرارا بتعبئة القوى اللازمة للهجوم وتفتيت قواه وهزيمته .

ان المؤرخين لاحداث ايلول سيسجلون ان الجهل بكيفية ادارة التحالفات ، سواء داخل الصف الفلسطيني او على المستوى الدولي الخارجي ، قد ترتبت عليه خسارة القاعدة الارتكازية . فالثورة مستحيلة بدون ازمة وطنية عامة ، ذلك هو القانون الاساسي الذي اكدته كل الثورات . وعلى ارض تلك الازمة المتصلة بصراع دولي يمكن حسم القضايا . هذه الوصفة المثالية لحدوث انتفاضة كانت متوفرة بشكل تام عام ١٩٧٠ ، ولكن استغلال تلك الازمة كان يتطلب من القيادة الفلسطينية ان تمثل حقا ما اسماه انجلز (الطبقة الوطنية) والتي هي طبقة اردنية فلسطينية عريضة جدا .

في عام ١٩٤٥ عقد مؤتمر يالطا ، وتقرر فيه شطب الشعب الفلسطيني واقامة دولة

اسرائيل . وذلك حدث بالدرجة الاولى لانه لم يكن لنا حليف يجلس هناك ، يتبنى مصالحنا ولو جزئيا ، رغم هذه الحقيقة بقينا ثلاث سنوات ننظر الى الاتحاد السوفياتي وكأنه جزر القمر او مونت كارلو ، ولم نقدم على علاقات جدية معه الا بعد الهزيمة ، حيث اتضحت الرؤية بان الحلف الاسرائيلي الامريكي لن يوازيه الا حلف عربي سوفياتي .

الان ، ومن القمم التي وصلنا اليها نستطيع ان ندرك اخطاء الماضي ، وعلى رأس تلك الاخطاء ان الخط الصحيح ينعكس في مدى التحالفات الملائمة التي يستطيع انشاءها ، وان على هذه المسألة يتوقف ان تصبح الاقلية اكثرية حقيقية او لا تصبح . قد يقول البعض ان هذا ليس سوى بديهيات ، ولكن الم يكن ديغول على حق عندما قال . ان الحرب هي فن تطبيق البديهيات ... ولذلك هي صعبة .

مرحلة النهوض

ان حقبة من الردة المضادة للثورة قد بدأت ، وسوف تستغرق ما لا يقل عن عشرين عاما ، الا اذا اندلعت حرب كبرى وزعزعت اركان النظام القيصري . بهذه الكلمات ودع لينين احد اصدقائه عندما قرر العودة الى جنيف بعدما عاش « ايلوله الاسود » الروسي ، وبقي عشر سنوات ينتظر عودة الظروف الموضوعية .

اذكر انني ذهبت بعد مأساة جرش وعجلون بزيارة للصين ، ونقلت للقائد شوأن لاي رسالة من الاخ ابو عمار عن ممر الاختناق الاجباري الذي نجد انفسنا فيه ، ولكم كانت دهشتي عندما علق على شرحي قائلا .

ابلغ الرفيق عرفات انني درست قضيتكم ووجدت فيها شيئا محيرا ، وهي ان ظروفها الصعبة ولياليها السوداء لا تطول اذا ما استمررتم بالنضال . المهم ان تجدوا جبهة تستمرون فيها بعمل مسلح ذي صوت مسموع . خرجت يومها من ذلك البناء الضخم الى تلك الساحة الفسيحة ، مقارنا التحول الذي حدث في الرؤية الصينية خلال عشرة اعوام فقط ، والذي هو تقييم وتثمين للشعب الفلسطيني العظيم الذي لا يعرف حدودا للعطاء .

وفعلا ... في جو ضياع القاعدة الامنة في الاغوار ، استعادت القوى المضادة والانظمة العربية قوتها ، بينما كان الارهاق وخيبة الامل يسودان اوساط شعبنا في الداخل والخارج . والهزيمة كما هو معروف تولد اليأس والتشكك بين القوى الثورية ورجالها . فالانتهازية اليمينية توجهت فورا للالتجاء للانظمة ، بينما برزت الانتهازية اليسارية التي فاجأها التحول المفاجيء من المد الى الجزر ، والذي حدث بينما كانت اناشيدهم عن ترداد اللازمة الرتيبة عن سقوط النظام تسمع بكل مكان ، ومن كان يطالب بالتفكير فينبغي اسقاطه .

رغم ذلك لم يصب مفجروا صانعو عبور الحدود عام ١٩٦٥ بالهلع بل ضمدوا الجراح وودعوا الشهداء وتراجعوا بانتظام الى جنوب لبنان ، الى دفء ثلوج جبل الشيخ .

كان شبعنا في الداخل يعيش صدمة الهزيمة الاولى من ثورة بقاؤها يعتمد على التقدم الدائم ، فانكفأ على نفسه لاول مرة . كان وجودنا على ضفة نهر الاردن يجعله يعتقد ان

الخلاص على بعد خطوات منه ، وفجأة غادر الخلاص وذهب . وفي ظل ذلك الانكفاء المؤقت حقق العدو الصهيوني هدفين كبيرين له ، فالحق ضربات مهمة بالعمل المسلح بالضفة ، وكاد ان يسحق بشكل كامل الانتفاضة الشعبية المسلحة بغزة ، التي حملت العبء عامي ٦٦,٦٥ .

وهنا ظنت الامبريالية ، اننا تلقينا درسا حولنا من ثوار يعيشون لتحقيق هدف الى ثوار اصبح الحفاظ على حياتهم هو الهدف . فتقدموا لنا بسخاء غريب بمشاريع الدولة الفلسطينية بصورها المتعددة . وفوجئوا بالرفض الكامل لتلك المشاريع . وذلك الرفض لم يكن في حينه موقفا خاطئا ، بل صحيحا ، لانهم كانوا يعرضون علينا دولة ونحن نتراجع ، لتكون دولة بشروطهم . وقد علمتنا التجربة والممارسة ان الكسب السياسي الذي لا تنتزعه ولا تستطيع ان تحميه ليس كسبا ولا نصرا ، لان العدو يستدرجك فقط الى كسب مزيف كي يعزلك جماهيريا ويدمر ارادة الصمود لديك ثم يأخذ منك كل الكسب السياسي من جديد ، والذي يعطى بسهولة يؤخذ بسهولة .

الواقع ان الفترة بين السقوط والنهوض لم تستمر اكثر من سنتين حتى انتعشت من جديد الحركة الثورية الفلسطينية ، وبدأ العمل العسكري يتزايد ، وقامت الجبهة الوطنية التي ربطت الخارج بالداخل . وعربيا قامت حرب تشرين التاريخية حيث قام جيش عبد الناصر وجيش سوريا وقوات الثورة الفلسطينية بحرب هجومية اثبتت ان الجيش الاسرائيلي ودولته بدأ العد العكسي لزوالها ، اي انها وصلت الى قمة صعودها حيث توقفت . وشارك سلاح النفط لاول مرة في المعركة ، وانفجرت مشكلة التضخم بالمعسكر الرأسمالي ، وحيثما يوجد التضخم يبدأ الصراع والتفكك بين دول الحلف المقدس الموجه ضد الشعوب .

اذا كانت الشجاعة في المعارك تتصل بكفاءة الرجال ، فان نتيجة الحرب تتصل بالفكر السياسي والعسكري الذي يقود . ولا يمكن ان ينسى احد ذلك التصعيد الفلسطيني للقتال ، اثناء وبعد قرار وقف اطلاق النار ، في حرب اكتوبر الشهيرة . عندما وقف مندوب العدو بمجلس الامن يصرخ اوقفوا الجبهة الثالثة التي فتحها الفلسطينيون ، لقد قاموا بـ ٢٠١ عملية خلال الاربع والعشرين ساعة الاخيرة ، كان ذلك المندوب يعني من حيث لا يدري ان نتائج ايلول الاسود قد انتهت ، وان زمام المبادرة قد استعادته الثورة الفلسطينية .

كان المناضلون الفلسطينيون الثوريون قد فهموا تعبير لينين بان فن الكفاح السياسي ، هو فن الاندراج في الوقت المناسب ، وفي اللحظة المطلوبة في سياق موضوعي ، وكانوا وعلى رأسهم ياسر عرفات ، قد تعلموا كم النصر غالي الثمن كي لا يفرط به ، وكم الهزيمة مرة وعالية الخسارة كي لا نتساهل بحدوثها . ومن هنا لم يضيعوا فرصة واحدة لحظة استعادة زمام المبادرة ، لاستغلال لحظة تغيير موازين القوى لصالح الفلسطينين والعرب . وبينما كانت الانتهازية اليسارية تنظر لخط التسوية وخط القتال ، كان الثوريون في القيادة الفلسطينية يترجمون اللحظة الراهنة بخط سياسي لبه السلطة الوطنية « الوطنية الفلسطينية » ، ويتقدمون لاقتناص الفرص حيث تلزم احيانا سنوات وسنوات للتعويض عن شهور ضاعت . وهنا ، وعلى ضوء التغير في موازين القوى ، كان صحيحا تماما ، تبني شعار الدولة الفلسطينية الذي رفضته سابقا .

اما الترجمة العملية للواقع الفلسطيني الجديد ، فقد عبرت عن نفسها في مؤتمر القمة العربي ، حيث اقرت قمة الرباط ان منظمة التحرير هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني . وانفتح العالم علينا وخاصة الاشتراكي ، وهنا صرخ مهندس الاستعمار كيسنجر قائلا . الغريب ان العرب هم الذين خاضوا حرب اكتوبر بينما الفلسطينيون يجنون ثمارها . وهنا بالذات تراجعت امريكا عن كل عروضها ، وبدأت حربها ضد فكرة الدولة الفلسطينية ،لانها اصبحت دولة ستقوم على شروط الفلسطينيين الوطنية ذات السيادة . ووقف ياسر عرفات داخل الامم المتحدة يعلن الانتقال من مرحلة المقاتل الفلسطيني الى مرحلة ولادة الشعب الفلسطيني من جديد، وتجسدت تلك الولادة بان دخل الرقم الفلسطيني في معادلة المنطقة قسرا ، ورغم انف الولايات المتحدة الامريكية ، وامام النصر الفلسطيني اضطرت امريكا الى نزع قفاز الحرير الذي لبسته مؤقتا فكانت حرب لبنان ، بعد ان فشلت المناورات الامريكية لجرنا الى مؤتمر جنيف بصيغته الاميركية وعلى اساس القرار ٢٤٢ .

الحرب اللبنانية ... وحرب كامب ديفيد

مما لا شك فيه ان المقاومة الفلسطينية لم تؤخذ على حين غرة في لبنان . فأول دروس ايلول الاسود التي تعلمتها المقاومة ان وراء كل عرض امريكي للتسوية مخطط تصفية للثورة الفلسطينية . ولقد فضح اندرو يونغ ، بعد استقالته من تمثيل بلاده في مجلس الامن ، خطط امريكا في لبنان ، حيث قال . لقد كانت سياسة امريكا منذ العام ١٩٧٥ في القضاء على منظمة التحرير حسبما خطط كيسنجر ، ولهذا جرى تفجير احداث لبنان . وعلينا اليوم ان نعترف بأن منظمة التحرير ازدادت قوة ، وعلينا ان نقر بوجودها ونعترف بها .

ان هذا القول يفسر لنا طول امد الحرب اللبنانية .

لقد شكلنا منذ بداية الحرب تحالفا بين القوى الوطنية والثورة الفلسطينية لمواجهة المؤامرة التي كانت وما زالت تهدف الى تصفية القوى الوطنية ومنظمة التحرير الفلسطينية . وكانت السياسة العليا لهذا التحالف تتركز حول تكريس عروبة لبنان ، وحماية الوجود الفلسطيني فيه ، واحداث اصلاحات جذرية بالنظام حسب رؤية ومطالب الحركة الوطنية . ولقد مرت ظروف صعبة حافظنا فيها على تحالفاتنا مع القوى الوطنية ، رغم عدم اقتناعنا احيانا ببعض الخطوات والقرارات السياسية، اذ ان التجربة علمتنا انه فقط عبر التوحد مع القوى الوطنية يمكن صناعة النصر . واثبتت الاحداث صحة هذه المقولة ، فلولا الحركة الوطنية ممثلة الشعب اللبناني العظيم الذي حمانا بالصدور قبل الدور، لما تمكنت الثورة الفلسطينية من الاستمرار والصمود . وبمقدار ما اثبتت الاحداث ان سوريا ، رغم قوتها وتاريخها لا تستطيع التقدم خطوة بدون حلفائها التاريخيين وان القوى الانعزالية لا يمكن استغفالها . فقد ثبت ايضا ان الثورة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية لا تستطيعان التقدم وتغيير الواقع بدون سوريا .
ان التاريخ سيسجل مستقبلا انه ما من احد تحمل وعانى من اجل فلسطين كما تحمل وعانى شعب لبنان وارض لبنان . ولكن التاريخ سيسجل ايضا ان حرب الابادة والتدمير التي نظمتها امريكا واسرائيل ضد فلسطينيي لبنان ، على حساب لبنان ، فالتوطين والوطن البديل افكار امبريالية رفضها الشعب الفلسطيني منذ النكبة ، ومن يعمل على اطفاء شعلة النضال المسلح

الفلسطيني يعمل في النهاية على تنفيذ مخطط التوطين .

بعد مؤتمر الرياض ظن كثيرون ان ذلك المؤتمر هو نهاية مطاف الحرب اللبنانية . واذكر بعد العودة من الرياض يوم ان وقفنا طويلا في غرفة العمليات المركزية امام تعليق كيسنجر على المؤتمر عندما قال . سينعم لبنان خلال سنوات قليلة بالامن والاستقرار . لماذا لم يقل خلال اشهر قليلة ؟ ... لقد اتضحت الامور ان امريكا لا تريد حلا للبنان قبل انتهاء مخططها الرامي الى اعادة السيطرة ، واحكام القبضة على منطقة الشرق الاوسط ، عبر مخطط اتضح تماما بعد كامب ديفيد .

بمجرد ما ان توقفت حرب الاشقاء بين سوريا والقوى الوطنية الفلسطينية واللبنانية ، حتى عوقبت سوريا ومنع الردع من اجتياز خط الزهراني النبطية من الانتشار بكل المناطق . وبينما كان الفلسطينيون يطبقون اتفاقية القاهرة بالانسحاب نحو الشرق ، قام الاسرائيليون ، بغطاء انعزالي ، في اوائل عام ١٩٧٧ ، باحتلال الطيبة والخيام ورب ثلاثين والناقورة ، واطبقوا على بنت جبيل والعيشية كخطوة على طريق الاتصال بجزين . وقمنا يومها بحضور ضابطين كبيرين من سوريا باسترداد السيطرة على تلك المناطق . وأتت بعد ذلك حرب الجنوب الكبرى ، حيث فشل الجيش الاسرائيلي في تحقيق هدفه الاستراتيجي باحتلال صور وسحق مخيمات اللاجئين الفلسطينيين .

لقد صمتنا حول دخول قوات الامم المتحدة الى الجنوب ، لعلها تشكل حاجزا في وجه المطامع الاسرائيلية بالجنوب اللبناني . ولكن اسرائيل منعت الجيش اللبناني وقوات الطوارىء من سد الممر الذي يجعل اسرائيل تصل الى نهر الليطاني . وقد فضح ذلك السناتور الاميركي ساوندرز ، الذي قال في خطاب امام لجنة العلاقات الخارجية في الكونغرس ، ان وضع حل لتوزيع المياه الاقليمية شرط لوضع حل لمشكلة الجنوب اللبناني .

ان سقوط الشاه في ايران ، وصمود شعبنا الاسطوري ووحدته الوطنية داخل الارض المحتلة وخارجها ، قد خلقت معادلة جديدة بجنوب لبنان وفي كل المنطقة ، فبدلا من الانسحاق بالجنوب تراجعت اسرائيل ، وحققنا نصرنا الجديد وهو اقتحام اوروبا الغربية . فالصمود الفلسطيني واللبناني والعامل الايراني والموقف التاريخي لقمة بغداد جعلت اوروبا تدرك ان كامب ديفيد لا يشكل حلا يمكن فرضه بالقوة . والحرب اللبنانية التي كان مطلوبا منها ان تحل المشكلة اصبحت هي المشكلة .

المستقبل ... مرحلة الوقوف على الارض

قبل خمسة عشر سنة كان انتصار ثورة الجزائر والصين ، وتنامي ثورة الفيتنام ، هو الدليل على ان ثورتنا ستنتصر . ولكننا اليوم في هذه الذكرى فان النصر والعودة اصبحا واقعا ممكنا في المدى المنظور . الحرب الطويلة المدى ، التي اخترناها طريقا ، ليس حبا بالحرب ، وانما لكونها الطريق الوحيد لتراكم القوى اللازمة لفرض التراجع على الامبريالية وهي في قمة قوتها وعتوها .

كان جيفارا يسير عبر جبال المايسترا ، ينتظر اللحظة التي يصبح الخارق فيها اليفا وغير

الممكن ممكنا ، ليندفع بعد ذلك بكل قوته نحو الهدف ، ويحقق اكبر مردود من النصر. واليوم الا نعيش جميعا تلك المرحلة ـ الحل ، مرحلة القوة والعجز الذي تعاني منه امريكا ؟ كانت استراتيجية امريكا في الشرق الاوسط تقوم على مظلات ثلاث بضبط العرب . اثيوبيا واسرائيل وشاه ايران ، وكانت اسرائيل هي فك الكماشه المشترك بين كماشة الحبشة وكماشة الشاه . واليوم انهار هيلا-سيلاسي باثيوبيا ، وانهار الشاه في ايران ، ويبقى فك الكماشة الاسرائيلية وحيدا . وكي يصبح الفك الاسرائيلي وحيدا واسيرا لنا فهذه قضية اصبحت تتعلق بمقدار التضحية التي علينا ان نقدمها فلسطينيا وعربيا ، لاحداث المزيد من التغيير بموازين القوى التي كان من غير الممكن الاخلال بها كما كان الوضع في السابق . لقد انتهت المرحلة التي كانت تتكون من تراكيب وعناصر قوية لدرجة خيل لغير الثوريين انها ثابتة لا تتحول ولا تتغير ، ودخلت الامور في مرحلة ضعفت فيها القوى الامبريالية ، وتنامت فيها القوى الثورية .

١٥ سنة مرت اجتزنا فيها عددا من المازق ومجموعة من التجاوزات . اجتزنا مرحلة الولادة ثم مرحلة النمو . وانتقلنا من لاجئين الى مقاتلين ، واعدنا الى ذاكرة العالم ان الشعب الفلسطيني واقع موضوعي موجود لا يمكن تجاوزه . واليوم ، والامبريالية قد بدأت تضعف والشعوب قد بدأت على مدى العالم اجمع تنهض ، لا بد لنا من ان نعلن بان هدفنا المرحلي القادم هو الوقوف على الارض ورفع علم السلطة الوطنية في ارضنا .

ان هذا الهدف الطموح الذي يعني ولادة خارطة سياسية جديدة للمنطقة ، يحدد نجاحنا به قدرتنا على التحكم وادارة الصراع .

ففي الساحة الفلسطينية يجب الا ننسى ان الكفاح المسلح يزرع والنضال السياسي يحصد ، ومن لا يزرع لا يحصد ومقصر بحق شعبه من يزرع ويرفض ان يحصد . اننا اذ يعترف العالم بنا اليوم سياسيا فاننا انتزعنا ذلك الاعتراف انتزاعا . ففي السياسة الدولية لا يوجد شيء يوهب هبة او منحة ، بل عبر النضال المسلح وآلاف الشهداء والضحايا فرض الشعب الفلسطيني نفسه وليس هناك أغبى واسخف ممن يعتقد في عصر الامبريالية بان هنالك نضالا سياسيا فعالا ومثمرا ومنتجا ان لم يكن وراءه نضال شعبي مسلح ينضج الثمار السياسية .

والخط السياسي الصحيح الذي يضمن تصاعدا مستمرا للكفاح المسلح ، لهو الخط القادر على تجميع اوسع دائرة من الشعب تعمل تحت لوائه ، ومن هنا فان تعميق الوحدة الشعبية الفلسطينية التي تكرست داخل شعبنا في الداخل والخارج والتي تجسدت اروع صورها في الضفة والقطاع والجليل في الاونة الاخيرة ، لا بد من الحفاظ عليها من ابتداع وسائل واساليب جديدة لتعميقها وتمتين الصلة بينها وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، اذ ان الوحدة الشعبية ، والتضامن الكامل للشعب مع منظمة التحرير الفلسطينية ، هو الذي انقذ القيادة من مأزقها عندما كان تامر الاشقاء والاعداء يحيط بنا او يطبق علينا .

والخط السياسي الصحيح هو الخط القادر على تبرير نفسه خارجيا بحيث يتمكن مع الزمن من عزل اعدائه الحصول على الشرعية الدولية وتوسيع دائرة تحالفاته الدولية . ان الدول الاشتراكية هي الحليف الطبيعي للشعب الفلسطيني ، بسبب عدائها الحقيقي للامبريالية

الامريكية ، ومن ثم فان كسب النصر لا يمكن ان يتم بدون التحالف والتنسيق الكامل معها .

ان الثورة الفلسطينية تتمسك اليوم اكثر من اي وقت مضى باستقلاليتها . ومن يحاول ان يمس شعارها (غير خاضعة وغير تابعة وغير موجهة) فهو كمن يغتالها ، فقد ذهب زمن كانت فيه الانظمة تحل مشاكلها القطرية على حساب الكيس الفلسطيني الذي لا صاحب له ، واصبحت الانظمة مطالبة بدلا من ذلك بسياسات محددة في ظل وضع شعبي لم يعد يقبل موقف الحياد من اي منها ، وهي تواجه الان ضغوطا متزايدة لاستخدام سلاح النفط في الضغط على امريكا لانتزاع تنازلات منها . ان النفط ليس سلاحا عاديا للضغط ، بل انه سلاح ينطبق عليه وصف شوان لاي حين قال فيه لوفد فلسطيني . انتم العرب ، الوحيدون في العالم ، الذين تملكون قنبلة ذرية صالحة للاستعمال .

ان درس الثورة الايرانية العظيمة بقيادة الامام الخميني ، ليشير الى ان تغييرات واسعة تعصف الان بالعالم الاسلامي ، الامر الذي سيؤثر تأثيرا واسعا على البلاد العربية . وها هي تركيا تتململ ، وباكستان تغلي ... الخ . والثورة الفلسطينية هي الوحيدة التي تحاول الاستفادة من الوضع ، بينما الانظمة العربية تقف خائفة وجلة ، وكأنها تخشى ان تتحرر وتتخلص من قبضة الصهيونية وامريكا .

لقد حول الخميني امريكا الى نمر من ورق ، وجعلها تقف عاجزة وكأنها دولة من الدرجة الثانية ، فاذا لم نستغل هذا الوضع وهذه اللحظة التاريخية لنفرض على امريكا شروطنا فمتى نفعل ؟

بعد النكبة الاولى سئل دالاس عن رأيه بمستقبل فلسطين ، فقال دعوها للزمن يحلها ، فالذين سيولدون خارج فلسطين سينسون فلسطين . وبعد نكسة ١٩٦٧ سئلت غولده مئير عن الفلسطينين فتساءلت اين هم الفلسطينيون ، اني لم اسمع بهم . واليوم ، بعد ١٥ عاما تخطينا مجموعة من المآزق بشكل اصبح الحديث عن الثورة حديثا عن تجاوز المأزق ، الامر الذي ترتب عليه الاستمرار بالوجود واتساع التأثير لهذا الوجود .

في عام ١٩٤٨ كان الحديث يدور عن اللجوء والضياع ، واليوم بعد ١٥ عاما من النضال المسلح اجبرت الامبريالية على التسليم بحق الفلسطينيين بالوجود وبالعودة . وشعبنا الفلسطيني اصبح يعيش حالة « عودة الروح » ، او حالة شعور بانه عثر على نفسه ، وحالة امة تبحث عن دورها .

لقد ادى الشهداء دورهم بان انتزعوا الاعتراف بالشعب الفلسطيني ، فهل سينجح الاحياء برفع راية السلطة الوطنية في السنوات الخمس القادمة . هذا هو التحدي الكبير لثورة قادتها حركة « فتح » وابو عمار ، وتخطت معها عشرات التحديات .

الهيثم الأيوبي

مسيرة الكفاح المسلح الفلسطيني
خلال ١٥ عاماً

عرفت مواجهة الغزوة الصهيونية قبل العام ١٩٦٥ مرحلتين تاريخيتين ، لكل منهما سماتها وأساليبها وقواها . وكانت المرحلة الأولى نضالا جماهيريا ، بدأ مع بداية الغزوة في مطلع هذا القرن ، وأخذ أشكالا متعددة من بينها الكفاح المسلح ، وحمل شعب فلسطين عبئه الأساسي طوال نصف قرن ، في حين أخذت المرحلة الثانية ، التي بدأت مع دخول الجيوش العربية الى فلسطين في ١٥/٥/١٩٤٨ شكل نزاع عربي ـ اسرائيلي تقليدي ، حملت الجيوش العربية أعباءه (بنسب متفاوتة) ، وتم فيه تغييب الدور النضالي لشعب فلسطين .

ومع اطلاق الثورة الفلسطينية رصاصتها الأولى في ١/١/١٩٦٥ ، بدأت مرحلة تاريخيه جديدة تحمل في طياتها تحولا نوعيا في طبيعة مواجهة الغزاة ، وأسلوبها ، والقوى المشاركة فيها . ولقد ظهر منذ البداية أن هذه المرحلة التي اكتسبت الطابع الشعبي ، وتبنت الكفاح المسلح كوسيلة أساسية في مواجهة الغزوة ، تتشابه مع الفترات الساخنة في المرحلة الأولى ، وتشكل من بعض الوجوه ، امتدادا تاريخيا لها . إلا أنها تتميز عنها بأنها أكثر تنظيما وأقل عفوية ، وأقدر على تقويم المعضلات الاستراتيجية للصراع وتفهم معطيات التعبئة والمناورة .

وفي الوقت نفسه ، فقد كانت عودة شعب فلسطين الى ساحة الصراع كقوة مسلحة ديناميكية ، وتبنّي منطق الثورة في المواجهة ، وتقديم قضية التحرير على جميع القضايا ، ورفض الاستقرار القسري الناجم عن الردع الاسرائيلي ، والالتزام بخط الصدام المستمر دون توقفات ، من أهم السمات التي ميزت المرحلة الجديدة عن المرحلة الثانية ، التي كانت المواجهة فيها سلسلة من المعارك والهدنات المحكومة بمنطق الدولة ومدى قدرة الدول العربية على تحقيق الحشد في مواجهة الردع الصهيوني ، ومدى استعدادها لتصعيد الصدام الى مستوى مجابهه القوى الاستعمارية التي زرعت اسرائيل في المنطقة العربية ، ثم زودتها بعناصر القوة (الاقتصادية ـ العسكرية).وضمنت تفوقها العسكري على قوى حركة التحرر العربي .

ولقد كانت هذه السمات بمجملها ايجابية ، ثم جاء تجسيدها فيما بعد ، من خلال

الكفاح المسلح ضد الغزوة ، ليقدم برهانا عمليا على أن انطلاقة ١/١/١٩٦٥ كانت بداية ثورة حقيقية . ولكن هذه السمات نفسها وضعت أمام الثورة ، منذ ولادتها ، العديد من العقبات ، وشكلت في السنوات اللاحقة المصدر الرئيسي لمعظم ما تعرضت له الثورة من محن كما سنرى .

والحقيقة أن عودة شعب فلسطين الى أخذ قضيته بيده ، وممارسة حقه المشروع في النضال من أجل استرجاع حقوقه ، قد أقلقتا الاسرائيليين وبعض الأنظمة العربية بآن معا . واذا كانت اسرائيل قد رأت في انبعاث شعب فلسطين ، بعد ١٧ عاما من الغياب شبه الكلي ، مؤشرا خطيرا ينفي المقولة الصهيونية التي تؤكد عدم وجود شعب فلسطيني ، ويهدد بعودة المشكلة الى وضعها الصحيح (مشكلة شعب اغتصبت حقوقه وليس مشكلة لاجئين) ، وينذر بحرب عصابات طويلة الأمد تستمد زخمها من دوافع معنوية قوية ، فان النظام الأردني وجد في انبعاث الهوية الفلسطينية خطرا على بنية المملكة التي شملت منذ العام ١٩٥٠ الجزء الأكبر من الأرض الفلسطينية غير المحتلة ، واحتوت غالبية الفلسطينيين في اطار الرعايا الهاشميين .

وكان تبني منطق الثورة ، والاخذ باسلوب الكفاح المسلح بلا هوادة ، وعدم الخضوع لتاثيرات الردع الاسرائيلي ، يتعارض مع منطق الدولة في هذا البلد العربي أو ذاك ، ويضع الأنظمة العربية القابلة بالاستقرار القسري الناجم عن الردع أمام خيارات صعبة ، ويكشف مواقفها النابعة من تقديم متطلبات الأمن القطري على متطلبات الصراع ضد العدو القومي ،ويخلق في المنطقة وضعا متفجرا لاتقبل به اسرائيل ، ولا يمكن إلا أن ترد عليه بتصعيد لاقبل للأنظمة بمواجهته ، نظرا لعدم استعدادها الجدي لهذه المواجهة ، ولعدم وجود مخطط على المستوى القومي يضمن هذا الاستعداد في المدى المنظور .

لهذا واجهت الثورة الفلسطينية منذ البداية عقبات ثلاث : تمثلت أولاها في محدودية القوى التي بدأت الثورة ، وقلة خبرتها النضالية بعد سنوات الجمود الطويلة التي فرضت على الشعب الفلسطيني . وجاءت العقبة الثانية من التدابير المضادة التي اتخذتها الدولة الصهيونية لضرب قوى الثورة قبل أن يصلب عودها وتتسع مرتكزاتها داخل الأرض المحتلة وخارجها . في حين جاءت العقبة الثالثة من سلبية بعض الأنظمة العربية إزاء العمل الثوري واعتباره « عملا توريطيا وانفرادا لا مبرر له » . ولقد زاد من حدة هذه العقبة انطلاق الثورة من خارج الحدود ، ووجود مركز ثقلها على أرض لا تخضع لسلطتها المباشرة بل تخضع لسلطة انظمة متناقضة مع العدو الصهيوني ، ولكنها واقعة في الوقت نفسه تحت ضغط سلبي ناجم عن تحديدات الفكر القطري ومشاكل التنمية وتاثيرات الردع ... الخ .

في هذه المرحلة التي نطلق عليها اسم **مرحلة النمو الجنيني**(١) ، والتي امتدت من كانون الثاني ١٩٦٥ حتى حزيران ١٩٦٧ ، شقت الثورة طريقها بصعوبة ، وتابعت مسيرتها رغم العقبات الثلاث . وكانت عملياتها العسكرية نوعا من « حرب العصابات الصغيرة » ، تشنها دوريات تنطلق ليلا ، من الدول العربية المجاورة ، بموافقة هذه الدول (سورية) أو بدون موافقتها (الأردن ، لبنان) ، للقيام بالاغارات والكمائن الصغيرة وحرب الألغام والمتفجرات ، والعودة في الليلة ذاتها الى قواعدها الخارجية (السرية غالبا) .

ولم يكن هدف الثورة من هذه العمليات محصورا في النتائج المادية التكتيكية للضربات

العسكرية المحدودة ، ولكنه كان يشمل أيضا تحقيق مجموعة من الأغراض السياسية والاستراتيجية ، وفي مقدمتها ترسيخ فكرة الكفاح المسلح وحتمية اللجوء الى العنف الثوري في مواجهة العنف الصهيوني القهري ، وتجسيد دور شعب فلسطين في مقاومة الغزوة ، وتحريك القوى الفاعلة في الجماهير العربية عامة والفلسطينية بشكل خاص ، ونقل شرائح جماهيرية واسعة من حالة السلبية الى حالة التحفز واليقظة الثوريين كمدخل للانتقال الى العمل الثوري ، والافادة من ديناميكية الكفاح المسلح والتحدي اليومي المستمر لتحقيق مزيد من الحشد ومنع استنقاع الثورة أو اهترائها من الداخل بفعل العطالة ، واستغلال ساحة المعركة كمدرسة حقيقية للمقاتلين والكوادر ، وكوسيلة فعالة في مواجهة العقبة الأولى (محدودية القوى وضعف الخبرة) .

بيد أن العمل العسكري وضع الثورة في مواجهة مكشوفة مع العقبتين الثانية والثالثة . إذ أن تهديدها المباشر لأمن المناطق المحتلة القريبة من الحدود العربية ، دفع العدو الصهيوني الى اتخاذ عدد من التدابير الدفاعية لتحديد حرية عمل المجموعات الثورية (تكثيف الدوريات ، نصب الكمائن عند الممرات الاجبارية ، مراقبة عرب الأرض المحتلة ، تدعيم الحراسة الذاتية للمستعمرات) ، بالاضافة الى تدابير هجومية أخذت شكل العمليات الانتقامية ضد المواقع العربية ، بغية الحفاظ على مستوى الردع الخارجي عند عتبة معينة ، ورفع معنويات المستوطنين الاسرائيليين في الداخل . كما أن انطلاق الدوريات من الأراضي العربية المجاورة ، والتهديدات الاسرائيلية بالانتقال من الرد المحدود الى العمل الواسع الذي يهدد الأمن القطري للدول المضيفة ، وضعت هذه الدول تحت ضغط ردعي أكبر ، ونقلت العقبة الثالثة من مستوى الموقف السلبي ازاء الثورة الى مستوى العمل الايجابي المضاد ، الذي حول بعض الجيوش العربية الى حرس حدود يضمن الأمن الاسرائيلي(٢) .

وفي الخامس من حزيران ١٩٦٧ اندلعت الحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة . وقامت الثورة الفلسطينية فيها (وخاصة على الجبهة السورية) بدور يتناسب مع امكاناتها والسرعة التي تم فيها حسم الصراع . وكان وقع النكسة كبيرا الى الحد الذي جعل الثورة تجمد عملها العسكري من حزيران حتى آب ١٩٦٧ . واعتقد العدو الصهيوني أن انتصاره العسكري سيؤدي الى ضمان التهدئة خلال فترة طويلة كما حدث بعد حربي ١٩٤٨و١٩٥٦ . ولكن الثورة خيبت آماله عندما اتخذت قرارها برفض الهزيمة ونتائجها ، وجسدت هذا الرفض عن طريق متابعة الكفاح المسلح .

وكان هذا القرار نابعا من قناعة الثورة بأن القبول بنتائج الهزيمة والاخلاد الى التهدئة القسرية يعني الرضوخ لارادة العدو الصهيوني ، والقبول بتصفية قضية شعب فلسطين ، والتخلي عن المهمة التاريخية التي حملت الثورة أعباءها ، بالاضافة الى الايمان بأن هزيمة أمة من الأمم واحتلال أرضها لا ينهي في العصر الحاضر النزاع الذي تكمن وراءه دوافع عنيفة وأهداف وطنية كبرى ، وأن بوسع الأمة المقهورة متابعة الكفاح المسلح ولو بوسائل مادية محدودة ، طالما أنها تملك قوة معنوية دافعة وارادة قتالية لم يصبها الوهن ، وتتلقى الدعم السياسي والمادي من دول صديقة .

ولم تصطدم الثورة عند تنفيذ قرار العودة الى الصراع بتحديدات العقبة الثالثة ، نظرا لأن

الأنظمة كانت تعيش أزمتها الخاصة الناجمة عن الهزيمة ، ولا تستطيع التصدي بعنف للبندقية الفلسطينية المرفوعة ضد العدو الذي طعن القوات المسلحة العربية في صميم كبريائها . ولأن التصدي لهذه البندقية بعد الهزيمة كان سيصطدم بحدة مع الجماهير العربية التي تزايد التفافها حول الثورة ، بعد أن وجدت في متابعة تحدي الآلة العسكرية الصهيونية في أوج انتصارها التعبير الصحيح عن طموحاتها الدفينة ، ونوعا من الانتقام للكرامة العربية الجريحة ، وتأكيدا عمليا لمقولة « أن العرب خسروا معركة ولم يخسروا حرباً » .

وافادت الثورة في هذه المرحلة من عدة عوامل أهمها : ١ ـ اتساع مسرح العمليات بعد سقوط أراضي عربية جديدة بيد العدو ، وعدم كفاية الترتيبات التي اتخذها العدو في البداية ، وعجزها عن ضبط المناطق المحتلة الواسعة والحدود العربية ـ الاسرائيلية ٢ ـ اتساع قاعدة الثورة التي شملت عرب الأرض المحتلة في حرب ١٩٦٧ . ٣ ـ دعم الدول العربية للثورة في مجالات التسليح والتدريب والتمويل . ٤ ـ نجاح منظمات الثورة في جمع أعداد كبيرة من الأسلحة والذخائر المتروكة على مسارح حرب ١٩٦٧ قبل أن يتمكن العدو من تأمين المراقبة الفعالة على هذه المسارح . وساعدها ذلك على تكثيف عملياتها العسكرية ، وتنظيم الخلايا النضالية في الضفة الغربية وقطاع غزة وتدريبها وتسليحها ، والاتصال مع خلايا المناضلين العرب في المنطقة المحتلة منذ العام ١٩٤٨ .

واعتمد النضال في هذه المرحلة على قواعد الداخل السرية وقواعد الخارج المتحركة ، وأخذ أشكالا متباينة بدءاً من الاعتصام وحركات الاحتجاج والعصيان المدني وعمليات التخريب في الداخل ، وانتهاء بالكمائن والاغارات وزرع الألغام في عمق الأراضي المحتلة أو في منطقة القشرة على الحدود العربية ـ الاسرائيلية . وبصورة متوازية مع العملين التنظيمي والنضالي ، مارست الثورة عملا سياسيا واسعا لانجاح التعبئة في الداخل ، وكسب المزيد من المؤيدين لحقوق شعب فلسطين في الخارج .

ومنذ مطلع العام ١٩٦٨ ، وبعد أن اكتسب النضال الفلسطيني التعاطف والمصداقية ، ظهر في الثورة اتجاه نحو الانتقال من **مرحلة القواعد المتحركة** الموجودة على الأراضي العربية بحكم الأمر الواقع ، الى مرحلة تسمح لها ببناء قواعد ثابتة معترف بها ، لأن « تجربة الشهور الأربعة » كشفت لها ضرورة إنهاء حالة التشرد التي لا تتناسب مع استراتيجية الحرب طويلة الأمد ، وتعرقل عملية إنماء الذات . وهكذا بدأت **مرحلة القواعد الثابتة** ، وانتشرت هذه القواعد في البداية على طول الضفة الشرقية لغور الأردن ، ثم ظهرت في سورية ولبنان ، وحصلت في كثير من الحالات على شرعية كاملة أو شبه كاملة . وأدى بناء هذه القواعد الى نتيجتين هما : تزايد فاعلية الثورة ، وتصاعد العمل الاسرائيلي المضاد .

في اطار هذا العمل المضاد وقعت معركة الكرامة (١٩٦٩/٣/٢١) ، التي أرادها العدو ضربة حاسمة ضد التجمع الرئيسي لقوى الثورة . ولكن صمود الثوار في هذه المعركة ، وفشل الجيش الاسرائيلي في تحقيق نجاح خاطف ، وضخامة الخسائر التي لحقت به ، واضطراره في النهاية الى الانسحاب ، منعت العملية من تحقيق أغراضها النفسية والاستراتيجية ، وجعلت نتيجتها النهائية لصالح الثورة ، التي استطاعت إلقاء الظلال على هالة العدو الاسطورية ،

وأثبتت فوق أرض المعركة القدرات الكبيرة الكامنة في المقاتل العربي ، وخلقت الملحمة البطولية اللازمة لتصعيد الزخم وتكثيف التعبئة الثورية .

بفضل ملحمة الكرامة تمكنت الثورة من اختراق الحصار الاعلامي ، واستقطاب التأييد والدعم ، والحصول على حرية أكبر للحركة والعمل ، ودخلت بالتالي **مرحلة الصعود الثوري .** وكان أهم ما يميز هذه المرحلة تصاعد العمليات العسكرية ضد العدو وتطورها ، وارتفاع المعنويات داخل الأرض المحتلة ، وامتداد المواجهة الى مختلف أرجاء الضفة الغربية وقطاع غزة ، رغم التدابير الاسرائيلية المضادة المتمثلة في التهجير والاعتقال الاداري ونسف المنازل داخل الأرض المحتلة ، وتشديد المراقبة على الحدود ودعمها بالوسائط الالكترونية ، وتسديد الضربات الانتقامية (البرية والجوية) لقواعد الثورة الخارجية . وكانت عمليات الثورة نوعا من حرب الاستنزاف المنفردة في البداية ، ورديفا لحرب الاستنزاف المصرية التي بدات على قناة السويس في ١٩٦٩/٣/٨ واستمرت حتى ١٩٧٠/٨/٧ .

ولقد أثرت تدابير العدو ولا شك على نشاطات الثورة ووضعت أمامها العديد من العقبات والتحديدات المادية ، وزادت نسبة الأخطار التي تواجهها . ولكن الخطر الأكبر الذي واجهته الثورة كان يكمن في نقطتين هما : الفشل في تحقيق الوحدة الوطنية ، والوجود وسط منطقة غير آمنة أو نصف آمنة في أفضل الحالات (٣) . واذا كان عدم تحقيق الوحدة قد ادى الى تعذر الحشد ، وتشتت الجهود (الأمنية والاستخبارية والقتالية واللوجستيكية) ، والازدواجية في الاعلان عن العمليات ، وتبديد القوى في الصراعات التي أخذت في بعض الحالات شكل الصدام الدموي ، فان العمل في منطقة غير آمنة فرض على الثورة تكريس جزء من القوى والوسائط (المحدودة أساسا) لحماية ظهرها من الضربات التي قد تلجأ اليها الدول العربية المضيفة للحد من نشاطات الثورة ، وما تسببه هذه النشاطات من ازدواجية في السلطة في منطقة القواعد ، وما تثيره من عمليات انتقامية اسرائيلية تهدد الأمن القطري للبلد المضيف ، كما فرض على الثورة في العديد من الحالات الصدام مع جيوش بعض البلدان المضيفة ، والدخول في معارك جانبية استنزفت جزءا من قواها(٤) .

في هذه المرحلة بالذات (آذار ١٩٦٨ ــ تموز ١٩٧٠) لجأ العدو الى تكثيف ضرباته الانتقامية باتجاه الأردن ، ورافق التلويح بالتصعيد العسكري الاسرائيلي ضغط سياسي أميركي رفع مصداقية الردع الاسرائيلي الى عتبة عالية . وتضافر الردع الاسرائيلي مع الفكر القطري والرغبة في التخلص من ازدواجية السلطة على دفع السلطة الاردنية نحو الصدام الشامل مع الثورة الفلسطينية . ولقد وجدت الثورة نفسها في وضع أمني غير مريح . وكان استمرار العمل العسكري ضد العدو وتصعيده يتطلب أساسا حل المسألة الأمنية . الا ان هذا الحل لم يكن بيد الثورة ، فوضع عمان لا يمكّنها من ان تلعب الدور الذي لعبته هانوي في الحرب الفيتامية ، وتبديل هذا الوضع لخلق هانوي يصطدم بمجموعة من العوامل الذاتية والعربية والدولية والاسرائيلية . لهذا قفزت المسألة الأمنية الى المرتبة الأولى على جدول اهتمامات الثورة ، وعطل الدفاع عن المؤخرة ديناميكية العمل ضد العدو ، وبدأت **مرحلة الهبوط الثوري .**

ولكن الدفع نحو الصدام لم يتوقف ، وساعد على تسريعه وجود التجاوزات ، واستكمال

الاعداد العسكري والنفسي داخل القوات المسلحة الأردنية ، وانشقاق حركة التحرر الوطني بسبب معارضة غالبية منظمات الثورة الفلسطينية لقرار الرئيس جمال عبدالناصر بقبول المبادرة الاميركية التي عرفت باسم مبادرة روجرز . وتم الصدام بالفعل في أيلول ١٩٧٠ ، وأسفر عن تدمير أجزاء كبيرة من قوى الثورة في الاردن ، والانسحاب من المدن الى جرش وعجلون ، وتحديد عمل القواعد القليلة التي تم الاتفاق على بقائها في غور الاردن .

وأدت نجاحات أيلول ، ووفاة الرئيس عبد الناصر ، وضعف رد الفعل العربي ، الى تشجيع عمان على متابعة العمل بغية تصفية الوجود المسلح الفلسطيني على كافة الأراضي الأردنية . فلجأت الى حرب استنزاف طويلة امتدت من أيلول ١٩٧٠ حتى تموز ١٩٧١ ، واستخدمت في هذه الحرب الضربات العسكرية الصغيرة المتعاقبة والمتزامنة مع الحرب النفسية ، الأمر الذي أضعف فاعلية الثورة ، وجعل مسائل الأمن والامداد والتموين والدفاع الذاتي تستهلك القسط الأكبر من طاقتها . وبعد أن ابتعدت الثورة عن جماهيرها ، وتقلصت منطقة تواجدها ، وعبىء سكان هذه المنطقة ضدها ، وتم حصارها بقوى ووسائط متفوقة ، جاءت الهجمة الأردنية (١٣ ــ ١٩ تموز ١٩٧١) التي أسفرت عن تصفية قواعد انطلاق الثورة في الأردن ، الأمر الذي دفع معظم مقاتلي الجبل ومناضلي المدن الى ترك الأردن والانتقال الى سورية وجنوبي لبنان ، حيث كان للثورة منذ انطلاقها قواعد تحظى بتأييد السكان ، وتقوم بعمليات عسكرية محدودة عبر الجولان وحدود فلسطين الشمالية .

وبوصول مزيد من المقاتلين الى قواعد الثورة في سورية ، ازداد نشاط هذه القواعد التي كانت تعمل بالتعاون مع السلطات السورية وبتأييد منها . وشهدت هضبة الجولان في فترة ١٩٧١ ــ ١٩٧٢ تزايدا ملحوظا في العمليات التي شنها مقاتلو الثورة بمعدل ٢٠ ــ ٥٠ عملية شهريا . ورد العدو الصهيوني على ذلك بتصعيد الرد الى مستوى استخدام الطيران لقصف قواعد الثورة ومعسكراتها التدريبية في العمق السوري ، وقصف قرى حوران ، الأمر الذي أدى الى انخفاض العمليات على هذه الجبهة .

وسارت الأمور في لبنان بشكل مختلف ، اذ أن انتقال مركز ثقل الثورة الى هذا البلد ، أدى الى « أردنة » الجنوب اللبناني ، وانتشار مؤسسات الثورة على مختلف الأراضي اللبنانية ، وخاصة في المخيمات وبيروت والشمال . ونجم عن ذلك تصعيد العمليات الانتقامية الاسرائيلية في الجنوب(٥) والضغوط السياسية الأميركية في بيروت ، بغية ابعاد الوجود العسكري الفلسطيني عن مستوطنات الجليل الحساسة المكتظة بالسكان . ولم تكن بيروت مؤهلة أكثر من عمان للعب دور هانوي ، لذا بدأت آثار الردع الاسرائيلي بالظهور دون ابطاء ، وزاد من حدتها تصعيد الاعتداءات الاسرائيلية(٦) وتزايد وتيرتها واتساع مداها وانتقالها الى ضرب أهداف تقع في شمالي لبنان وبيروت بالاضافة الى الجنوب(٧) . وبدا واضحا أن السلطة اللبنانية ستضطر تحت تأثير الردع الى القيام بعمل ما ، يستهدف ايقاف نشاط الثورة من أجل الحفاظ على أمن لبنان وسلامة أراضيه . وكانت كل المؤشرات تدل على أن هذا العمل آت بشكل محتوم ، وأنه سيؤدي الى صدام عنيف . لذا فان الثورة لم تستطع في لبنان تكريس كل جهودها لاعادة البناء ، والتخلص من آثار الضربة الاردنية ، والعودة بعد ذلك الى العمل بفاعلية ضد العدو الصهيوني ، بل اضطرت الى تخصيص جزء من الجهود والقوى لهذه الغايات ، مع التركيز

على تكثيف عمل خلايا الداخل ، وتجميد الجزء الآخر لحماية أمن الثورة .

ووقع الصدام المنتظر في أيار ١٩٧٣ . وكان يستهدف رأس الثورة الفلسطينية . ولكن حجم القوات المسلحة اللبنانية وبنيتها الداخلية ، ومجموعة من العوامل المحلية والعربية لم تسمح بوصول الصدام الى مستوى التصفية ، وإن كان قد أدى الى استنزاف الثورة وزيادة تحديدات العمل المفروضة عليها عربيا .

وهكذا اضطرت الثورة في هذه المرحلة الى تبني التكتيك الدفاعي للحفاظ على البقاء ، ومتابعة العمل الهجومي ضد العدو الصهيوني . ولكن تناقض التكتيكين واقتطاع قسط من القوى لتأمين الدفاع ، والاضطرار الى خوض معارك جانبية خارج مسرح العلميات ، قد خفضت حدة العمل الهجومي ، وعرقلت الى حد بعيد عملية البناء والتقاط الانفاس .

واستعادت الثورة فاعليتها القتاليه في حرب تشرين وشاركت القوى الفلسطينية (خلايا الداخل ، وقواعد الخارج ، وجيش التحرير) في العمليات العسكرية في اطار الجيشين السوري والمصري أو بشكل موازلهما . وبلغ عدد العمليات التي نفذتها الثورة خلال فترة الحرب أكثر من ٢٠٠ عملية(٨) ، وكان بوسعها ولا شك العمل بفاعلية أكبر وتحقيق نتائج افضل ، لو لم تتعرض خلال السنوات الثلاث التي سبقت الحرب لسلسلة من عمليات الاستنزاف الطويلة التي تخللتها ثلاث ضربات عربية قاسية .

وانعكست نتائج حرب تشرين على نشاطات الثورة التي انتقلت منذ اندلاع القتال الى **مرحلة استعادة الفاعلية** ، وكان اهتزاز العسكرية الاسرائيلية في زلزال تشرين عاملا مساعدا على استعادة الفاعلية عبر الحدود السورية واللبنانية . لذا فقد تابعت الثورة عملياتها بعد وقف اطلاق النار ، وبقيت البندقية الفلسطينية ، كما كانت بعد حرب ١٩٦٧ ، مشرّعة في وجه العدو . ولكن الوضع بعد تشرين كان يتميز على الوضع بعد حزيران بانخفاض مستوى الردع الاسرائيلي وخاصة بالنسبة الى سورية ، وارتفاع معنويات سكان الأرض المحتلة وازدياد أملهم بالتحرير واستعدادهم لمتابعة النضال بشكليه المدني والعسكري ، وتنامي العلاقة النضالية بين الثورة الفلسطينية وقوى حركة التحرر الوطني العربي والعالمي ، وتلاحم الثورة مع الجماهير اللبنانية ذات التوجهات القومية ــ الديمقراطية ــ التحررية .

وقد لجأت الثورة في هذه المرحلة الى تكثيف العمل السياسي بشكل متواز مع استعادة الفاعلية العسكرية . وكان العمل السياسي يستهدف تكريس شرعية البندقية الفلسطينية عالميا وعربيا ، في حين كان العمل العسكري برهانا على وجود هذه البندقية وقدرتها على متابعة المسيرة . وكان العدو قد كثف وجوده على الحدود اللبنانية ــ الاسرائيلية ، وجعل تسلل الدوريات الى الأرض المحتلة أكثر صعوبة ، لهذا سلكت الدوريات طريق البحر لبلوغ اهدافها ، وصعدت العمل العسكري في الداخل ، ولجأت الى أسلوب العمل الانتحاري بغية تحسين مردود وفاعلية الدوريات الخارجية المحدودة التي تتمكن من التسلل الى المناطق الحساسة التي يسيطر عليها العدو .

وأدى تناغم العملين السياسي والاعلامي مع العمل العسكري الى تعزيز المكانة السياسية

للثورة التي استطاعت جذب أنظار العالم الى قضيتها العادلة وحصلت على اعتراف معظم الدول بحق شعب فلسطين في تقرير مصيره على أرضه ، وتبدلت طبيعة المسألة الفلسطينية على الصعيد العالمي من مسألة انسانية (مسألة لاجئين) الى مسألة سياسية (مسألة شعب يطالب بحقوقه) . وجاء مؤتمر القمة في الرباط (١٩٧٤) ليؤكد اعتراف كافة الدول العربية بمنظمة التحرير كممثّل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني . وعبّد النضال الطويل الطريق الى الأمم المتحدة ، حيث غدت منظمة التحرير عضوا مراقبا دائما في الجمعية العمومية . واحتلت القضية الفلسطينية موقعها الحقيقي بعد أن أقر العالم بأنها جوهر النزاع في الشرق الأوسط .

وكان من الطبيعي في مناخ ما بعد تشرين أن تحقق الثورة مزيدا من النجاحات على الصعيدين العسكري والسياسي . ولكن الخرق الذي حققته الولايات المتحدة داخل النظام المصري منذ الأيام الأخيرة للحرب ، واستعدادالرئيس السادات للسير بخطوات تراجعية تصل الى حد اخضاع بلاده لنفوذ الولايات المتحدة ، وثقته المطلقة بوزير الخارجية الأميركي هنري كيسنجر ، والدعم الكثيف الذي قدمته واشنطن الى اسرائيل ، ساهمت في خلق وضع جديد ساعد على تصفية آثار تشرين بسرعة كبيرة ، فاختفى التضامن العربي ، وعاد الى المجتمع الصهيوني توازنه الذي اختل في تشرين ، واستعادت الآلة العسكرية الاسرائيلية قدرتها على العمل ، وبدأت من جديد تلوّح بالقوة وتهدد باستخدامها ، وأصبحت تصريحات قادة العدو، السياسيين والعسكريين نسخة عن تصريحات فترة العربدة الاسرائيلية التي سبقت تشرين .

ثم انتقلت الآلة العسكرية الى العمليات الانتقامية ضد قواعد الثورة ومخيمات اللاجئين بالاضافة الى القرى والمدن اللبنانية . وكان لعملياتها عدة أغراض هي :١ ــ تدمير الجهاز العسكري للثورة . ٢ ــ الحاق خسائر كبيرة بسكان المخيمات لخلق عامل ضغط معنوي على قيادة الثورة . ٣ ــ ايجاد التناقض بين الثورة والجماهير الوطنية اللبنانية الملتفة حولها . ٤ ــ رفع الروح المعنوية داخل اسرائيل ، وتخفيف حدة التناقضات والانتقادات التي ظهرت بسبب تشرين . ٥ ــ خلق واقع ردعي يضغط على السلطة اللبنانية والقوى اللبنانية اللاعروبية ويدفعها الى الصدام مع الثورة للحد من نشاطها العسكري وتجريدها من الهالة السياسية التي اكتسبتها . ويمكننا هنا أن نؤكد على أن الدولة الصهيونية لم تكن لتجرؤ على الانتقال من التهديد الى العمل لو أن روح تشرين بقيت حية ، لأن وجود الجيوش العربية على حدودها ، واستعدادها لمتابعة الاحتكام الى السلاح ، كانا كافيين لردع العسكرية الاسرائيلية وحرمانها من العمل .

ولم تحقق العمليات الانتقامية أغراضها الثلاثة الأولى ، ولكنها نجحت في تحقيق الغرض الرابع ، اذ ساعدت على رفع معنويات الاسرائيليين واخفاء تناقضاتهم الى حد ما . وتم التوصل الى تحقيق جزء من الغرض الخامس ، وظهرت تأثيرات الردع على السلطة اللبنانية . ولكن هذه التأثيرات لم تكن كافية لدفعها الى العمل المضاد المكشوف ، بسبب التحديدات التي تعترض مثل هذا العمل ، وفي مقدمتها التفاف اللبنانيين العروبيين حول البندقية الفلسطينية ، والخوف من انقسام القوات المسلحة اللبنانية عند وصول الأزمة الى نقطة الصدام العنيف الذي يستوجب استخدام الجيش في مقاتلة الثورة وحركة التحرر الوطني اللبناني . لذا وقعت السلطة في الشلل تحت تأثير الضغط الاسرائيلي ــ الأميركي ، وتحريض القوى اللبنانية اللاعروبية ، والعجز

الذاتي عن الحسم ، فاكتفت بالبحث عن وسيلة تضمن ايقاف النشاط العسكري الفلسطيني عبر اتفاقات وتدابير لا تصل الى مستوى الصدام ، وتحاول تأجيله ما أمكن أو تخفيف حدته في حال وقوعه .

ولكن منطق الأشياء كان يدفع الى الصدام ويتناقض مع محاولات تجنبه . إذ أن ايقاف العمل العسكري الفلسطيني كان مرفوضا من قبل الثورة ، لأنه يعني الخضوع غير المباشر للردع الاسرائيلي ، والسماح بمصادرة الثورة وتجريدها من مبرر وجودها . في حين كان استمرار النشاط العسكري يعني استمرار الضغط الاسرائيلي ــ الأميركي وتحريض اللاعروبيين بغية ايقاف العمل الفلسطيني بالقوة . وفق هذا المنطق كان الصدام على الأراضي اللبنانية محتما . ولقد وعت الثورة هذه الحقيقة في الأشهر الأولى من العام ١٩٧٤ ، عندما تكاثرت المؤشرات التي تدل على أن المواقف المعلنة وغير المعلنة للرئيس « المؤمن بأميركا » ، قد أعادت الى الدولة الصهيونية جزءا كبيرا من حرية العمل ، وجعلتها قادرة على الانتقال الى « مرحلة العربدة الثانية »(٩) ، على اعتبار أن هذه العربدة ستؤدي الى ضغط غير محتمل على السلطة اللبنانية ، وأن هذا الضغط سيولد في النهاية الانفجار .

وزاد من قناعة الثورة بحتمية الانفجار ، الحملة الاعلامية التي قادتها القوى اللبنانية اللاعروبية ضد الوجود العسكري الفلسطيني في لبنان ، وضد القوى اللبنانية العروبية والديمقراطية المؤيدة لهذا الوجود ، ورفعت فيها شعار السيادة والأمن ، مع التركيز على التجاوزات والأخطاء . ولا بد هنا من الاشارة الى أننا رغم ايماننا بضرورة تصفية التجاوزات والأخطاء لصالح النقاء والصلابة الثوريين ، وقناعتنا بامكانية تحقيق هذه التصفية ، فاننا لا نرى أن الاخطاء والتجاوزات كانت وراء التحريض اللاعروبي ، وأن الدافع الحقيقي لهذا التحريض هو التعبئة النفسية استعدادا لعمل مضاد يؤدي الى ضمان أمن الدولة الصهيونية ، وتجنب الضغوط الاسرائيلية الأميركية المتزايدة ، والبقاء خارج حلقة الصراع العربي ــ الاسرائيلي . أي العودة الى قبول « الرشوة الأمنية »التي حصل عليها لبنان منذ هدنة رودس (١٩٤٩) ، والمتمثلة في عدم قيام الصهاينة بالاعتداء على لبنان ، مقابل خروج لبنان من المعسكر العربي المقاوم (بحجة وضعه الخاص) ، والبقاء عمليا على الحياد أمام الأحداث الساخنة الدائرة في المنطقة ، حتى لو رافق هذا الحياد مواقف لفظية مضادة لاسرائيل . ولتجريد الحملة الاعلامية الاعروبية من الديماغوجية التي رافقتها ، يمكن القول انه لو لم يكن هناك أية أخطاء أو تجاوزات ، ولو كانت الثورة الفلسطينية تضم مجموعة من الملائكة ، لما منع ذلك الوضع الحملة الاعلامية التحريضية ، ولما أدى الى ايقاف الدفع نحو الصدام ، لأن المواقف الاستراتيجية التي لا تعترف بالعواطف ولا تستند الى الجزئيات ، كانت متناقضة بشكل جذري يحتم الصدام .

وبفضل وضوح الرؤية الاستراتيجية لعناصر المواقف المتناقضة ، وتزايد القناعات باقتراب الهجوم المضاد ، تبنت الثورة استراتيجية الحفاظ على البقاء . من أجل استمرار شعلة الثورة متقدة رغم الرياح التي تهب عليها من خط المواجهة مع العدو الصهيوني ، ويحتمل أن تهب عليها من الخلف . وبدأت بذلك **مرحلة الدفاع الاستراتيجي** ، الذي اعتمد على القوى الفلسطينية الذاتية والتفاف جماهير القوى اللبنانية العروبية والديمقراطية حولها . الا أن

الدفاع الفلسطيني لم يأخذ شكلا مطلقا ، بل حمل الطابع التعرضي المتمثل باستمرار العمليات ضد العدو الصهيوني في الداخل ، ومتابعة عمليات القشرة والتسلل عبر البحر .

في هذه الفترة كان التراجع الساداتي يتم بخطوات متسارعة ، وكانت الولايات المتحدة تطبخ اتفاق فصل القوات في سيناء على نار هادئة بتشجيع ضمني من المعسكر العربي المساوم . وكان مخططو ومؤيدو الاتفاق يعرفون مسبقا أن الثورة الفلسطينية التي وقفت في العام ١٩٧٠ ضد مشروع روجرز ، رغم حصول هذا المشروع على موافقة الرئيس جمال عبد الناصر ، بكل ما كان يمثله من هيبة ومصداقية وتأثير ، ستقف في العام ١٩٧٥ في مقدمة القوى المعارضة للاتفاق التراجعي الذي سيوقعه رئيس مصري لا يملك هيبة عبد الناصر ومصداقيته وقدرته على التأثير داخل حركة التحرر الوطني العربي . ولهذا كان من الضروري قبل التوصل الى توقيع الاتفاق ، اضعاف الثورة الفلسطينية التي سترفع لواء المعارضة ، مستندة الى قوتها العسكرية والشرعية السياسية التي اكتسبتها .

ولقد قوم مخططو ومؤيدو الاتفاق الموقف بشكل صحيح عندما قدروا حدة معارضة الثورة للاتفاق عند توقيعه ، وصعوبة احتواء هذه المعارضة ، ورأوا أن من الضروري ضربها ومشاغلتها بمعارك جانبية تحرمها القدرة على المعارضة . وهكذا تضافرت الضغوط الاسرائيلية ـ الأميركية ، مع تواطؤ المعسكر المساوم ، وتوحدت باتجاه تفجير الموقف في لبنان . وكانت القوى اللبنانية المتحمسة للتفجير (داخل السلطة وخارجها) تفضل تكرار التجربة الاردنية ، واستخدام الجيش اللبناني في ضرب الثورة ، على أن تلعب المليشيات خلال العملية دور الرديف ، وتؤمن الغطاء المحلي السياسي والاعلامي . ولكن طبيعة الجيش نفسه ، ونوعية العلاقات السائدة داخل المجتمع اللبناني ، منعت تكرار التجربة الأردنية . لهذا قامت المليشيات المدعومة ببعض جيوب السلطة ، باستلام المبادرة ، وأخذت على عاتقها مهمة البدء بالعمل المضاد ، بغية خلق وضع يدفع السلطة الى العمل تحت ضغط الأحداث ، أو يؤدي الى فرز القوى داخل السلطة بشكل واضح يسمح للمليشيات باستقطاب جزء من الجيش والاستعانة به في اطار العمل العسكري المضاد .

وهكذا بدأت الهجمة المضادة على الثورة في ١٣ نيسان ١٩٧٥ بمبادرة من المليشيات ، وخاضت الثورة معركة دفاعية طويلة ، ووقفت معها قوى التحرر الوطني اللبناني . وأظهرت المعركة استحالة استخدام الجيش ككتلة ضاربة ضد الثورة وحلفائها ، وتحقق الفرز داخل السلطة والشعب والمؤسسات الفاعلة بشكل عملي ، الأمر الذي جعل الهجمة على الثورة تتحول الى حرب أهلية خاضتها الثورة وحلفاؤها وفق استراتيجية دفاعية ـ هجومية ، وشهدت خلالها عددا من النجاحات والنكسات ، وخاصة في مرحلة الخلاف مع الحليف الاستراتيجي (دمشق) . وكان هدفها الاستراتيجي في مختلف مراحل الحرب · الحفاظ على البقاء ومنع مصادرة الارادة .

ومع انتهاء الحرب رسميا في ٢١/ ١٠/١٩٧٦ ، ودخول قوات الردع العربية الى معظم المناطق اللبنانية ، واجراء حسابات الأرباح والخسائر ، تبين بكل وضوح أن الحرب لم تحقق أغراضها كافة ، صحيح أن الحرب قد شاغلت الثورة ، ولكنها لم تشغلها نهائيا عن مهمتها

الأساسية المتمثلة في تسديد الضربات الى العدو الاسرائيلي . ففي أصعب الأوقات ، وعندما كانت الثورة مشتبكة على أكثر من جبهة ، كانت خلايا الداخل وقواعد الخارج تقوم بعملياتها العسكرية ضد أهداف اسرائيلية . ولم يمنع القتال في لبنان الثورة من المشاركة الفعالة في معارضة اتفاق سيناء الذي تم توقيعه في ١٩٧٥/٩/١ إثر اندلاع الحرب . ومن المؤكد أن الثورة قد خسرت العديد من كوادرها ومقاتليها ، الا أن عدد قواتها الاجمالي وحجم قوتها النارية ومستوى تدريبها بعد الحرب أصبحت أكبر مما كانت عليه قبل بدء الهجمة المضادة . ولم تفقد الثورة سمعتها السياسية ، وخاصة بعد أن تبين أن الحرب لم تندلع الا لضمان أمن العدو الصهيوني . ورغم الساعات العصيبة التي رافقت الخلاف مع الحليف الاستراتيجي ، فان هذا الخلاف قد أثبت للقيادتين السورية والفلسطينية حتمية تحالفهما الاستراتيجي في وجه العدو المشترك ، وكانت له في النهاية نتائج ايجابية على صعيد التلاحم المصيري بين الثورة ودمشق في مواجهة قوى الردة .

وكان النجاح الأكبر الذي حققته الثورة في هذه الحرب هو تأمين الهدف الاستراتيجي (الحفاظ على البقاء ومنع مصادرة الارادة) . وساعدها هذا النجاح على العودة الى العمل العسكري ضد العدو الصهيوني بفاعلية غير متوقعة .

ولم يرض هذا النجاح اسرائيل التي وجدت أن بقاء المقاومة وتزايد قوتها بعد الحرب يعيدان مسألة أمن المستوطنات في الجليل الى نقطة البداية . وكان موقفها المعارض لمقررات مؤتمري الرياض والقاهرة (١٩٧٦) اللذين أوقفا الحرب اللبنانية ، دليلا على أنها كانت المستفيد الأكبر من استمرار هذه الحرب . ولقد دفعها فشل القوى اللاعروبية في حسم الموقف في الداخل وعجزها عن تصفية الوجود العسكري للثورة ، الى دعم القوى اللاعروبية الموجودة على مقربة من حدودها ، واستغلال مخاوفها ، وتشجيعها على متابعة القتال لاستنزاف الثورة الفلسطينية ، مع التهديد بعمل عسكري واسع اذا ما اقتربت قوات الردع العربية من حدودها ، نظرا لقناعتها بأن دخول هذه القوات الى الجنوب سيؤدي الى وقف الاستنزاف ، الأمر الذي يتعارض مع المصالح الاسرائيلية العليا .

والحقيقة أن تحرك القوى اللاعروبية في الجنوب بدأ قبل وقف القتال،ولكنه تصاعد بعد صدور مقررات قمتي القاهرة والرياض كتعبير عن رفض الدولة الصهيونية لهذه المقررات واستعدادها للعمل على اجهاضها . ولكن محدودية القوات الانعزالية في الجنوب ، وتزايد قوى الثورة وحلفائها بسبب سحب القوات من مختلف الجبهات ودفعها الى الجنوب ، جعل اسرائيل تتدخل في القتال ضد الثورة بعدة أساليب (تقديم الأسلحة والمعدات ، القصف المدفعي من وراء الحدود ، القصف الجوي ، تعزيز المواقع اللبنانية اللاعروبية بدوريات اسرائيلية) . ورافق القتال في الجنوب قيام جبهة الكفور بخرق وقف القتال في مختلف المناطق اللبنانية . ومع هذا فقد بقي ميزان القوى لصالح الثورة الفلسطينية وحلفائها ، وأصبح بوسع الثورة في الجنوب تأمين ترتيب دفاعي مناسب (ضمن حدود امكاناتها) يكفي لاحتواء تحركات سعد حداد من جهة ، والقيام ــ ضمن اطار الاستراتيجية الدفاعية ــ بعمليات هجومية تستهدف تقليص المنطقة التي يسيطر عليها انعزاليو الجنوب ، بالاضافة الى استعادة القدرة على دفع دوريات تتسلل عبر هذه المنطقة وتدخل الأراضي المحتلة لضرب أهداف اسرائيلية .

وكان استمرار هذا الوضع سيؤدي في النهاية الى تصفية السيطرة الانعزالية في الجنوب واستمرار تهديد المستوطنات في الجليل . لهذا وجدت اسرائيل أن عليها التدخل لدعم سعد حداد على نطاق أوسع . وكان هذا الدعم يتطلب تدخلا اسرائيليا مباشرا ، على اعتبار أن تنمية قوة الانعزاليين في الجنوب لا يمكن أن تتم بسرعة ، ولا بد لها من أن تصطدم في النهاية بقلة عدد سكان القرى الحدودية الخاضعة لسيطرة الانعزاليين ، وعدم ولائها الكلي لسعد حداد ، وعدم قدرتها على تقديم عدد كاف من المقاتلين لمواجهة قوى الثورة وحلفائها . وعلى هذا الأساس تم التخطيط لعملية الليطاني .

وقد ساعد اسرائيل على القيام بهذه العملية (من ٣/١٥ الى ١٩٧٨/٣/٢٠) الخلل الخطير الذي أصاب ميزان القوى العربي ــ الاسرائيلي منذ زيارة السادات للقدس المحتلة في ١٩٧٧/١١/١٩ ، وانسحابه الكامل من الصراع العربي ــ الاسرائيلي، وحصول اسرائيل بالتالي على حرية عمل واسعة لم تعرفها منذ حرب تشرين . وجابهت الثورة وحلفاؤها قوات الغزو الصهيوني ، المتفوقة ماديا بنسبة تفوق ٢٠ الى واحد ، بدفاع مرن وعميق أعاق تقدم القوات الاسرائيلية ، وألحق بها خسائر غير متوقعة ، وحرمها من امكانية تطبيق أسلوب الحرب الخاطفة ، وجعل سرعة تقدمها لا تزيد عن ٣ كم في اليوم ، الأمر الذي منح القيادة الفلسطينية الفسحة الزمنية اللازمة للعمل السياسي الذي أسفر عن قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ (١٩٧٩/٣/١٩) .

ورغم وصول قوات الطوارىء الدولية الى لبنان للاشراف على تنفيذ القرار المذكور ، فان القوات الصهيونية (المدعومة بغطاء سياسي أميركي) لم تنسحب الا ببطء ، وبعد مساومات أسفرت عن استلام انعزاليي سعد حداد لعدد من قرى الجنوب ، وتشكيل خط حدودي متصل من الناقورة حتى جبل الشيخ .وبفضل هذا الخط ضمنت اسرائيل الى حد ما ابعاد قوات الثورة عن حدودها ، وأصبح انعزاليو الجنوب المخفر الأمامي لحراسة الأمن الاسرائيلي ، وتجسدت بشكل لايدع مجالا للشك أهداف الحرب اللبنانية التي حاول الاعلام الانعزالي اعطاءها أكثر من هدف ، وتغطيتها بأكثر من مبرر ، ثم أثبتت نتائج عملية الليطاني أن الهدف الوحيد للحرب اللبنانية لم يكن سوى ضرب الثورة أو الحد من نشاطها لضمان الأمن الاسرائيلي .

الا أن الجيب الحدودي ، الذي تحول فيما بعد الى دويلة سعد حداد ، لم يــؤد الغرض المطلوب منه ، اذ بقيت قوات الثورة قادرة على الوصول الى الأهداف الاسرائيلية عبر قوات الطوارىء الدولية والجيب الحدودي ، كما بقي طريق البحر مفتوحا . ولقد أكد القادة الاسرائيليون أن سد هذا الطريق بشكل مطلق أمر غير ممكن ، وأن تكثيف التدابير الأمنية على الشؤاطىء مسألة مهمة لاقلال احتمالات نجاح دوريات الثورة في الوصول الى أهدافها ، ولكن ضرب قوى الثورة قبل انطلاقها يحقق نتائج أفضل . لهذا عادت اسرائيل الى قصف العمق اللبناني والتهديد باجتياح الجنوب وتهديد سيادة لبنان وسلامة أراضيه .

وصمدت الثورة أمام التهديدات والغارات الجوية ، كما صمدت أمام الاغارات وعمليات القصف المدفعي التي قام بها العدو باسم سعد حداد . ولكن ميكانيكية الردع الاسرائيلي لعبت

دورها في دفع الحكومة اللبنانية الى المطالبة بتقييد العمل الفلسطيني، وساعدها على ذلك اعراب العديد من الدول المشاركة في قوات الطوارىء الدولية عن ضيقها من الوضع القائم في الجنوب وتفكيرها بالانسحاب من هذه القوات اذا لم يتم حل الوضع الذي يعرضها لخسائر عديدة في الارواح ، واختلال ميزان القوى لصالح العدو وخاصة بعد توقيع المعاهدة المصرية ـ الاسرائيلية (١٩٧٩/٣/٢٦) وعدم تحقيق الحشد العسكري العربي الذي طالبت سورية به لمواجهة العربدة الاسرائيلية ، وانعدام الاستراتيجية العربية الشاملة (العسكرية ـ الاقتصادية ـ السياسية ـ المالية) لمواجهة اسرائيل او الضغط على الولايات المتحدة لكبح العدوان الصهيوني .

على هذا الأساس دعا لبنان الى مؤتمر القمة العربي في تونس . وكانت ورقة العمل التي قدمها الى اجتماع وزراء الخارجية (١٥ ـ ١٩٧٩/١١/١٧) ومؤتمر القمة (٢٠ ـ ١٩٧٩/١١/٢٢) تستهدف احراج العرب عن طريق استغلال الواقع العربي العاجز(١٠) ، واحتمالات انسحاب قوات الطوارىء الدولية ، مع التلويح الضمني بالتدويل ،بغية دفع الدول العربية الى اتخاذ قرار يضغط على الثورة (عربيا) بشكل يضمن ضبط منطقها في اطار منطق الدولة ، ونقل عدوى تأثيرات الردع الى الثورة ، بعد أن فشلت محاولات الضغط وضبط المنطق (لبنانيا) . لقد كانت الورقة اللبنانية في تونس تريد من العرب كبح الثورة سياسيا بعد ان تعذرت مصادرتها أو تصفيتها عسكريا . وظهرت فاعلية التحالف الاستراتيجي السوري ـ الفلسطيني في مقاومة هذا الاتجاه ، وتم التوصل الى حل وسط يمثل انعاكسا للوضع العربي ، وموازين القوى العربية ـ الاسرائيلية ، وموازين القوى القائمة داخل الوطن العربي بين المعسكر المقاوم والمعسكر المساوم .

والمهم في الامر هو ان الثورة الفلسطينية التي اكتسبت شرعيتها بدماء شهدائها ، وعززت هذه الشرعية سياسيا بفضل نشاطها السياسي وعدالة قضيتها لا تزال حتى اليوم موجودة واصبعها على الزناد . ويمكن القول ان نجاحها في البقاء حية حتى الآن ، واستمرار الشعلة الفلسطينية ، رغم ضخامة قوى العدو الخارجي الذي يجابهها ، واضطرارها لحشد جزء كبير من قواها خارج أراضيها ، وتعرضها خلال مسيرتها للضغوط أو الضربات الناجمة عن الردع الاسرائيلي لبعض الدول العربية المضيفة ، واضطرارها للعمل في كثير من الحالات وسط مناخ عربي غير مناسب ، يشكل في حد ذاته انتصارا يرتقي الى مستوى المعجزة .

---

(١) راجع شؤون فلسطينية ، عدد ٤١ ـ ٤٢ كانون الثاني ، شباط ١٩٧٥ « عشرة أعوام من عمر الكفاح المسلح الفلسطيني » .

(٢) تجسد هذا العمل الايجابي المضاد في محاولات الحد من نشاط قوى الثورة على الاراضي العربية ، ومنع الدوريات الفلسطينية من اجتياز الحدود لتنفيذ مهامها القتالية . ونجم عن ذلك صدام الدوريات مع الجيش اللبناني على الحدود اللبنانيــة في ٥/٦ و ١٤ / ٥ / ١٩٦٧ . وصدامهـــا مع الجيش الاردنـــي على الحـــدود الاردنيـــة ـ الاسرائيلية في ١٦ / ١١ و ١٨/ ١١ و ١٥ / ١٢ و ١٦ / ١٢ و ١٩٦٦/١٢/٢١ (راجع وثائق عسكرية ، فتح ، الجزء الأول ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، ٨٣ ، ٨٥) .

(٣) لا بد من الاشارة هنا الى أن هاتين النقطتين قائمتان حتى الآن . واذا كانت النقطة الاولى تطرح أمام الثورة مجموعة من القضايا التي يمكن حلها ،

فان النقطة الثانية لا تزال دون حل ، وهي تشكل ، كما سنرى مصدر المعضلة الاستراتيجية المحورية التي واجهتها الثورة خلال خمسة عشر عاما .

(٤) نذكر في هذا المجال أحداث تشرين الثاني ١٩٦٨ ونيسان وتشرين الثاني ١٩٦٩ في لبنان ، وأحداث تشرين الثاني ١٩٦٨ وشباط وحزيران ١٩٧٠ في الأردن .

(٥) كانت العمليات الانتقامية في الجنوب قد بدأت قبل العام ١٩٧٠ ، وأخذت أكثر من شكل ، بما في ذلك اجتياح المناطق الحدودية (عملية العرقوب الأولى في أيار ١٩٧٠) .

(٦) أخذت العمليات الانتقامية بعداً كبيرا في عملية العرقوب الثانية (شباط ١٩٧١) ، واجتياح القطاع الأوسط في الجنوب (أيلول ١٩٧٢) .

(٧) شملت العمليات في بيروت الاغتيالات والتخريب والطرود الملغومة ، وأخذت في الشمال والجنوب شكل الاغارات البرية والضربات الجوية والبحرية .

(٨) جدول العمليات العسكرية ، **شؤون فلسطينية** ، تشرين الثاني ١٩٧٣ .

(٩) ابتدأت مرحلة « العريدة الاسرائيلية الأولى » مع نهاية حرب الاستنزاف ، واستمرت حتى حرب تشرين . ثم بدأت مرحلة « العريدة الثانية » مع البدء بتصفية أثار تشرين في بداية العام ١٩٧٤ ، ولا تزال مستمره حتى اليوم .

(١٠) ان هذا العجز نابع أساسا من واقع ذاتي مفصلاته الأساسية هي عدم التوصل الى الوحدة ، عدم تحقيق الحشد العسكري ، عجز بعض الأنظمة عن اتخاذ قرار بمواجهة أميركا ، الخلافات العربية ــ العربية الناجمة عن تغلغل الفكر القطري في العمق .

عبد القادر ياسين

الحركات القومية العَربية والكفاح المسلح الفلسطيني

« الـــوحدة طريق العودة » ... « قضية فلسطين لا تحل الا بالنضال القومي الثوري » ... « الوحدة طريق الثأر » ... تلكم هي شعارات الأحزاب القومية العربية الخاصة بفلسطين ، طوال الخمسينات وأوائل الستينات . فهذه الأحزاب كانت تعطي الوحدة العربية الأولوية على ما عداها ، وترى في تحقيق هذه الوحدة عتبة تحرير فلسطين . أما شعارات بقية القوى الوطنية الفلسطينية ، الداعية الى إعطاء الأولوية لتحرير فلسطين ، فقد اتهمتها تلك الأحزاب القومية بالأقليمية والشعوبية والقطرية ومعاداة الوحدة العربية ، الخ .

وأسهم الوطنيون الفلسطينيون بقسط وافر في نشاط الأحزاب القومية العربية (البعث ، وحركة القوميين العرب) . وحدث الانعطاف الجذري في الثورة الناصرية ، بعد أن كسر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر احتكار السلاح ، وعقد صفقة الأسلحة مع تشيكوسلوفاكيا ، صيف العام ١٩٥٥ ، وأمم قناة السويس ، صيف العام التالي ، مما أحدث نهوضا قوميا عارما ، شمل الوطن العربي من أقصاه الى أقصاه ، خاصة بعد إخفاق العدوان الثلاثي (البريطاني ـــ الفرنسي ـــ الأسرائيلي) على مصر في تحقيق أهدافه ، خريف العام ١٩٥٦ .

وأفادت الأحزاب القومية العربية كثيرا من هذا المد ، وانتعشت شعاراتها ، وبضمنها شعاراتها الفلسطينية ، على حساب شعارات بقية القوى الـوطنية الفلسطينية ، التي اضطرت ، تحت ضغط المد القومي ، في النصف الثاني من الخمسينات ، ومراعاة لاعتبارات التحالف مع الناصرية ، الى طي يافطاتها ، وتجميد شعاراتها .

ووصل المد القومي ذراه ، بتحقيق الوحدة بين مصر وسوريا ، في شباط (فبراير) ١٩٥٨ . لكن الصراع الذي احتدم بين الرئيس العراقي عبد الكريم قاسم ، والرئيس المصري ، جمال عبد الناصر ، منذ أواخر ١٩٥٨ ، والذي لعبت العناصر المشبوهة بصلاتها بالاستعمار والمندسة في الصف القومي دورا ملحوظا في افتعاله وتأجيجه ، غير الموضوعي ،دفع بالمد القومي خطوات غير قليلة الى الوراء ، واتسعت هذه الخطوات مع خروج الخلاف بين عبد الناصر

وحزب البعث الى العلن ، أواخر العام ١٩٥٩ . فالجبهة الوطنية على مستوى الوطن العربي تفسخت ، بالخلاف المصري ــ العراقي ، والجبهة الداخلية في الجمهورية العربية المتحدة فقدت وحدتها ، بزج الشيوعيين السوريين والمصريين في السجون والمعتقلات ،وبخروج البعثيين من الحكم . وازداد هذا التراجع مع انكشاف أمر الممارسات الخاطئة لأجهزة الجمهورية الوليدة ، والتي أفادت منها العناصر والقوى المعادية للوحدة ، فنجحت في مؤامرتها الرامية الى فصل سورية عن مصر ، من جديد ، في ٢٨ أيلول (سبتمبر) ١٩٦١ ، قبل أن تكمل التجربة الوحدوية العربية المعاصرة الأولى أربعين شهراً من عمرها .

وبوقوع الانفصال تراجعت الشعارات القومية ، لحساب الشعارات الوطنية والقطرية ، ومارست أغلب القوى القومية الانتقاد الذاتي فيما يخص تعجلها الوحدة . وأخذت هذه القوى تعيد النظر في شعاراتها ، بل تراجعت عن بعضها ، خاصة ما كان منها بصدد فلسطين.

فنجاح الانفصال أعطى انطباعا بأن الوحدة العربية لاتزال بعيدة المنال ، كما أن وقوع اسرائيل بين القطرين السوري والمصري حال دون تدخل الحكومة المركزية للجمهورية العربية المتحدة من أجل انقاذ الجمهورية الوليدة ، مما خلخل شعار « الوحدة طريق العودة » وأبان مدى موضوعية وصحة شعار « التحرير طريق الوحدة » .

كما أن عوامل أخرى عديدة أسهمت في فرض القضية الفلسطينية على جدول أعمال القوى العربية المختلفة . وعلى رأس هذه العوامل كان تعطش الجماهير الشعبية الفلسطينية الى الهوية الوطنية والى امتلاك أمر قضيتها الوطنية .

ففي النصف الثاني من الخمسينات بدأت التكـــوينات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الفلسطينية في اكتساب ملامحها ، لاول مرة منذ نكبة ١٩٤٨ ، وحققت البرجوازية الفلسطينية نفوذا اقتصاديا ذا شأن ، خاصة في إمارات الخليج العربي ، مما دفعها الى السعي لتحقيق نفوذ سياسي يوازي هذا النفوذ الاقتصادي .

وفي المجال العربي ، فان انتصار ثورة الجزائر ، ربيع العام ١٩٦٢ ، عزز التطلع الفلسطيني للهوية الوطنية وللكفاح من أجل تحرير فلسطين . كما ان وصول القوى الثورية العربية الى الحكم في كل من مصر والجزائر وسورية والعراق ، وأواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، عزز هذا التوجه الفلسطيني . فضلا عن ان الشقوق في الصف الرسمي العربي ــ أوائل الستينات ــ أتاحت للشعب الفلسطيني النفاذ الى قضيته الوطنية ، والتغلب على الحظر العربي الرسمي ، الذي طالما حال بينه وبين قضيته الوطنية ، وتركها نهبا للمزايدات والمناقصات « العربية » .

وفي المجال العالمي ، فان ازدياد دور المعسكر الاشتراكي في صنع الأحداث العالمية ، ساعد في إحساس الحركة الوطنية الفلسطينية بقوة حليفها العالمي . كما أن انتصار حرب الشعب في كل من كوريا وكوبا والفيتنام ألهم الوطنيين الفلسطينيين بالسلاح الأمضى في محاربة الاستعمار والصهيونية .

حزب البعث

كان المؤتمر القومي الرابع هو أول مؤتمر قومي لحزب البعث ينعقد بعد انفجار خلافات الحزب مع عبد الناصر . إذ انعقد هذا المؤتمر في أيلول (سبتمبر) ١٩٦٠ . وبالنسبة لفلسطين فان هذا المؤتمر رأى « ضرورة الاضطلاع بالمهام السياسية المرحلية التالية . أ ــ تاليف جبهة شعبية ، تضم كافة التنظيمات الشعبية الفلسطينية القائمة في البلاد العربية ، على أن تكون هذه الجبهة مستقلة ، في تنظيمها وعملها ونضالها ، عن أي من الحكومات العربية : ب ــ العمل على منع اسرائيل من تحقيق أي مكاسب جديدة ، وعلى الخصوص منها تحويل مجرى نهر الأردن ، ومن المرور في المياه العربية ، ومطالبة الحكومات العربية لاحكام الحصار الاقتصادي والسياسي على اسرائيل ، عن طريق انتهاج سياسة حازمة تجاه الحكومات التي تتعامل معها ، جـ ــ الدعاية لقضية فلسطين في كافة المجالات الدولية ، والسعي لاعادة اللاجئين إليها »(١) .

وتشير وثيقة بعثية رسمية الى أنه ، في العام ١٩٦٢ ، انعقد ، بمبادرة من القيادة القومية للحزب ، مؤتمر في بيروت ، ضم ممثلين عن البعثيين الفلسطينيين في التنظيمات المختلفة . وتمخض المؤتمر عن مشروعي « استراتيجية للعمل الفلسطيني ، ونظام أساسي لحركة التحرير الفلسطينية » . وترى الوثيقة أن حركة التحرير الفلسطينية هذه « لم يقدر لها أن توجد ، على الصعيد العملي ، بسبب ميل الحزب الى صيغة الجبهة ، التي تشمل كل القوى الفلسطينية » . وانتهى تقرير المؤتمر الفلسطيني الى الدعوة لخلق « تنظيم يكون بمستوى العمل لتحرير فلسطين ... وقيام تنظيم فلسطيني ، يفتح الطريق أمام الجماهير العربية ، كي تنظر نظرة سليمة الى قضية فلسطين ، ويتيح لهذه الجماهير أن تساهم بتهيئة الأقطار العربية ، وتدفعها للاستعداد »(٢) .

وحدد المؤتمر خطوطا عريضة « لاستراتيجية النضال » ، رأى فيها « طرح حل قضية فلسطين بالقوة » . وفي الأسلوب المقترح ورد « إعداد تنظيمات عسكرية في المناطق المحتلة » ، و « تهيئة الظروف العربية لمعركة التحرير » . وحدد المؤتمر « تحرير فلسطين » هدفا للحركة المقترحة ، وذلك باعلان حكومة مؤقتة، وتشكيلات عسكرية فلسطينية ، واعلان حرب التحرير(٣) . كما أوردت الوثيقة الرسمية نص النظام الأساسي الذي اقترحة المؤتمر البعثي الفلسطيني لحركة التحرير الفلسطينية(٤) .

وبعد ان انتقل البعث من المعارضة الى الحكم في سورية ، ربيع العام ١٩٦٣ ، انعقد المؤتمر القومي السادس للحزب ، في ٩ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٣ . وتبنى المؤتمر فكرة « جبهة تحرير فلسطين » ، وورد في قراره رقم (٢١) ، أن المؤتمر درس « بعناية ، المشكلة العربية في فلسطين ، في مرحلتها الراهنة ، وافاق تطورها ، وانتهى الى ضرورة اعتماد عرب فلسطين كأداة أولى في تحرير فلسطين ، وأقر تنفيذ فكرة (جبهة تحرير فلسطين) ، وهو يدعو الدول العربية ، بشكل عام ، والسلطة الثورية في سورية والعراق ، بشكل خاص ، الى تقديم كل الامكانيات لأقامة هذه الجبهة وتنظيمها ، وأن توجد لها الأدوات والقيادات المؤمنة والثورية ، وأن تكون بمنأى عن الخلافات بين الدول العربية »(٥) .

وفي ٥ آذار (مارس) ١٩٦٤ أصدرت القيادة القومية لحزب البعث بيانا ، حول الكيان الفلسطيني ، بعد أن كان مؤتمر القمة العربي الأول (كانون الثاني ١٩٦٤) ، قرر إبراز الكيان الفلسطيني وتكوين « منظمة التحرير الفلسطينية » . وأشار البيان الى أن أبناء فلسطين ، في دعوتهم الى إبراز الكيان الفلسطيني ، « إنما يصدرون عن إيمان عميق بحقهم الطبيعي في القيام بدورهم الطليعي في معركة تحرير وطنهم السليب ، ذلك الدور الذي حرمتهم الحكومات العربية الرجعية والعميلة ، عام ١٩٤٨ ، من القيام به ، فكان من العوامل التي مهدت للنكبة سبيل الوقوع »(٦) .

وما لبثت القيادة نفسها أن أصدرت ، في ٢٠ أيار (مايو) من السنة ذاتها ، مشروعا للكيان الفلسطيني(٧) . وإن ظلت هذه القيادة متمسكة بقومية القضية الفلسطينية . ففي بيانها ، الذي أصدرته في ٢٧/ ٤/ ١٩٦٥ ، حول موقف الرئيس التونسي ، الحبيب بورقيبة ، المساوم ، جاء « وسيبقى النضال من أجل فلسطين الواجب القومي لشعبنا كله ولمنظماته التحررية »(٨) .

والى المؤتمر القومي الثامن للحزب ايار (مايو) ١٩٦٥ تقدمت شعبة فلسطين في لبنان بتقرير «حول فلسطين»، جرى فيه تقدير الموقف الفلسطيني ، من خلال عملية تقييم لمعظم القوى السياسية الفلسطينية «بما فيها الهيئة العربية العليا»، و«فتح»، و «منظمة التحرير الفلسطينية »(٩) . واقترح تقرير شعبه فلسطين على المؤتمر القومي الثامن « ان يدرس ، بمشاركة الخبراء العسكريين ، إمكانية قيام حرب تحريرية ، أي حرب العصابات في المناطق الوعرة والجبليـة من فلسطـين .. ودراسـة امكانيـات التدريـب الفدائـي ومشاركة الحزبين الفلسطينيين في ذلك ، وتهيئة الرأي العام الفلسطيني والعربي للمشاركة المعنوية والمادية في ذلك العمل » . وينتهي التقرير نفسه الى التأكيد على « أن طبيعة هذا الموقف تعتمد على تقرير الأمكانية الحربية العصابية أو عدمها »(١٠) .

وفي ما يخص فلسطين فان المؤتمر القومي الثامن تمخض عن ست توصيات الى القيادة القومية الجديدة ، لعل أهمها (١١)

١ ــ « اعتبار القضية الفلسطينية قضية العرب الأولى ، وبالتالي قضية الحزب الرئيسية؛ ٢ ــ ....؛٣ ــ يرى الحزب أن من واجبه دعم كل عمل كفاحي مسلح تقوم به فئات فلسطينية ، لا تقوم حولها الشبهات ، وأن يتحلى هذا الدعم بالانسجام مع خطة الحزب عند وضعها ، ومقتضيات السلامة القومية ؛ ٤ ــ...؛ ٥ ــ ... ٦ ــ العمل على تسليح شعب فلسطين ، وتدريبه تدريبا ملائما لظروف المعركة ، وتهيئته من اجل معركة التحرير » . واشار المؤتمر في بيانه ، الى ان لجنة فلسطين المنبثقة عن المؤتمر، استعرضت اوضاع الهيئات والمنظمات الفلسطينية التي تصدر العمل السياسي والتنظيمي لابناء فلسطين وقررت التوصيات التالية .(١٢) .

أ ــ « مطالبة المؤتمر باتخاذ قرارات لأزالة التناقض بين موقف الحزب وموقف الحكم ، بصدد إدانة الهيئة العربية العليا : ب ــ مطالبة المؤتمر بتشكيل لجنة سرية ، تبحث حركة تحرير فلسطين (فتح) ، وموقف الحزب منها » . ولاحظت لجنة فلسطين ، المشار اليها ،

« إهمال القيادة القومية المريع بحق فلسطين ، وغيابها عن العمل الفلسطيني » . وسجلت اللجنة على القيادة القومية « التقصير في وضع دراسة عميقة وشاملة امام اللجان الأخرى ، وعدم مشاركة أي منهم (أي أعضاء القيادة القومية) في لجنة فلسطين ، مما جعل تحقيق الغاية التي شكلت من اجلها اللجنة في غاية الصعوبة »(١٣) .

وفي الرابع عشر من حزيران (يونيو) ١٩٦٥ ، أصدرت القيادة القومية بيانا « حول القضية الفلسطينية » ، دعت فيه الى التخطيط المركز الموحد لتحرير فلسطين ، ورأت « أن تحقيق الوحدة العربية أسلم طريق للوصول الى هذا ... ولكن إذا لم تتحقق آنيا فان هذا يجب أن لا يؤخر ، بالضرورة ، هذا التخطيط . ومن أجل ذلك يجب أن تعقد مؤتمرات القمة ، ومن أجل ذلك يجب أن تدعم القيادة العربية الموحدة ، ومن أجل ذلك يجب أن تعدل معاهدة الدفاع المشترك ، لتلتزم بقرارات القيادة الاقطار المشتركة فيها ولكي لا تكون الحدود المصطنعة بين الاقطار العربية حواجز تحول دون قيام القيادة بواجباتها حق القيام ، ولكي لا تتحول وتصبح كالقيادة المشتركة ، التي قامت عام ١٩٤٨ .

« والى أن يتحقق بناء هذه القوة العربية الذاتية القادرة على إزالة اسرائيل ، فان من الواجب العمل على بناء قوة رادعة عربية ، مستعدة ، دوما ، للرد على أي عدوان اسرائيلي ، بمثله أو بأكثر منه ...»(١٤) .

وانتهى البيان الى التأكيد بأن حزب البعث « يؤمن بأن تحرير فلسطين هو الطريق العربي الثوري . ويؤمن بأن التنظيم الفلسطيني يجب أن يكون رأس الحربة في أي تنظيم عربي ، وأن منظمة التحرير يجب دعمها وتقويتها وتوجيهها وجهة ثورية تحررية »(١٥) .

وبذا أعطى البعث ، لأول مرة ، الأولوية لتحرير فلسطين ، بعد أن ظل يعطي هذه الأولوية للوحدة العربية ، ويعتبرها الحلقة الرئيسية ، منذ نكبة فلسطين ١٩٤٨ . مما جعله يقدم مهمة بناء التنظيم الفلسطيني على ما عداها من المهام التنظيمية على المستوى القومي ، بعد ان ظل البعثيون الفلسطينيون يعملون ضمن فروع حزب البعث في الأقطار العربية المضيفة لنحو عشرين عاما متواصلة .

ويعود التفكير في إقامة تنظيم فلسطيني مستقل في إطار حزب البعث الى مؤتمر بيروت الذي عقده البعثيون الفلسطينيون ، أوائل العام ١٩٦٢ . أما من الناحية العملية فقد جرى تشكيل فرقة خاصة بالطلبة الفلسطينيين ضمن شعبة الطلبة العرب في دمشق ، أواخر العام ١٩٦٢ . وتطورت الفرقة الى شعبة ، بعد وصول البعث الى الحكم في سورية ، حيث ضمت هذه الشعبة فرقا حزبية من المخيمات الفلسطينية المختلفة في سورية . ومنذ أواخر العام ١٩٦٦ تحولت الفرقة الفلسطينية الى فرع ، ضم البعثيين الفلسطينيين في سورية ، وشكل هؤلاء مع منظمة حزب البعث في الأردن « التنظيم الفلسطيني الموحد » ، بمستوى قيادة قطرية ، في أعقاب المؤتمر القومي التاسع لحزب البعث (ايلول ١٩٦٦) .

وبذا أصبح الطريق ممهدا أمام قيام منظمة عسكرية لحزب البعث ، تجعل من فلسطين ميدانا لنشاطها . وفعلا جرى تأسيس « طلائع حرب التحرير الشعبية » ، عشية حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ من أعضاء التنظيم الفلسطيني في سورية ، وخرج اسم هذا التنظيم

البعثي المسلح الى العلن في اعقاب هزيمة حزيران . واحتلت الطلائع ، منذئذ ، موقعها في الساحة الفلسطينية ، ولاتزال .

على أن الطلائع ليست التنظيم البعثي الوحيد في الساحة الفلسطينية ، إذ أن الانقسام في حزب البعث ، منذ أواسط الستينات ، سرعان ما امتد الى الساحة الفلسطينية . فبعد وصول حزب البعث الى الحكم في العراق ، بدأ التفكير في إفراز تنظيم قومي لممارسة الكفاح المسلح في الساحة الفلسطينية ، خاصة وأن وصول الحزب الى الحكم في العراق جاء مع وصول العمل الفدائي الفلسطيني قمة نهوضه (صيف ١٩٦٨) . فقرر المؤتمر القومي التاسع للحزب ، والمنعقد في بغداد في أواخر ١٩٦٨ ، انشاء منظمة فدائية ، ذات طابع جبهوي ، وتركيب قومي(١٦) . فكانت « جبهة التحرير العربية » .

حركة القوميين العرب(١٧)

شكل الفلسطينيون الكتلة الأكبر والأكثر ديناميكية فيها ، منذ تشكلت سلفها « كتائب الفداء العربي » ، غداة نكبة ١٩٤٨ الفلسطينية ، والتي جعلت هدفها اغتيال كل من خان فلسطين من الزعماء العرب . وسرعان ما اقتنع مؤسسو هذه الكتائب بعقم أسلوب الأرهاب الفردي ، فتحولوا الى « هيئة مقاومة الصلح مع اسرائيل » ، منذ العام ١٩٥٢ ، وقبل أن ينقضي عام كانت الهيئة قد تخلصت من اسمها ، وتحولت الى تنظيم عربي ، حمل اسم « حركة القوميين العرب » . وانتشرت فروع الحركة في اكثر من قطر عربي ، وجعلت من « وحدة تحرر ثأر » شعارا رئيسيا لها . وغني عن القول أن « الثأر » قصدت به القضية الفلسطينية ، دون سواها . لكن اكتساب الحركة الطابع التقدمي ، منذ اوائل الستينات ، جعلها تسقط الثأر ، العشائري الطابع ، لتحل محله « استرداد فلسطين » .

واعتبرت حركة القوميين العرب الوحدة العربية سبيلا الى القوة . على أن الحركة افرغت الوحدة العربية من مضمونها الطبقي ، فكانت نظرياً على الاقل مع أي وحدة ، بغض النظر عن أطرافها أو القائمين عليها ، واستمرت الحركة في مفهومها المتخلف للوحدة العربية ، حتى جاءتها صدمة انفصال سورية عن مصر ، مما اضطرها إلى إيلاء المضمون الطبقي اهتمامها ، فضلا عن أن العلاقات الحميمة للحركة بعبد الناصر ــ منذ أواخر الخمسينات وحتى أواسط الستينات ــ جعلتها تتأثر ، إيجابيا ، بما جرى من تطورات تقدمية في مصر عموماً ، وفي الفكر الناصري بوجه خاص .

وبسبب ارتباطها الحميم بمصر الناصرية ، فان حركة القوميين العرب لم ترحب بالعمل الفدائي عند البدء به ، مطلع العام ١٩٦٥ . واعتبرته **توريطاً** للدول العربية التي لم تستكمل استعداداتها لمجابهة اسرائيل ، بعد . ونادت الحركة بضرورة **التوقيت** للعمل الفدائي بما يتلاءم وقدرات الدول العربية المواجهة لاسرائيل ، مما يتطلب **التنسيق** مع هذه الدول ، وبالأخص مع مصر .

على أن الحركة ما لبثت أن أفسحت صفحات « فلسطين » ، الصحيفة التي كانت تهيمن عليها ، لقصائد تمتدح « العاصفة » ، الجناح العسكري لفتح .

وفي اوائل نيسان (ابريل) ١٩٦٥ خففت الحركة من غلوائها ، فاعتبرت العمل الفدائي مجرد نزاع يساعد « الجيوش النظامية بمهمة تدمير القوات الاسرائيلية »(٨١) .

وفي صيف العام ١٩٦٦ زار وديع حداد ، أحد أبرز رموز القوميين العرب ، قطاع غزة حيث أفهم كوادر الحركة هناك أن ثمة ضرورة لمساهمة الحركة في العمل الفدائي «حتى لا يفوتنا القطار » ، مع المحافظة على وتيرة العمل « **فوق الصفر ودون التوريط** » .

ومنذ أواخر العام ١٩٦٦ ، تبنت الحركة منظمة فدائية ، هي « أبطال العودة » والتي رأى فيها أحمد الشقيري ــ رئيس منظمة التحرير آنذاك ــ منقذته من تحدي العمل الفدائي الذي طرحته « فتح » بألحاح ، فأخذ يمدها بالمال كما تبنى مواقفها وأعمالها .

وتقدمت حركة القوميين العرب خطوة أخرى في تحبيذها للعمل الفدائي ، إذ رأت فيه أسلوبا فاعلا في إحياء القضية(١٩) ، فضلا عن كونه عاملا مساعدا للجيوش النظامية .

ومنذ خريف العام ١٩٦٦ اعترى علاقة الحركة بعبد الناصر توتر ملحوظ ، خاصة بعد أن شنت أجهزة الأمن المصرية حملة اعتقالات واسعة ، شملت كافة أفراد فرع الحركة المصريين ، وبعد أن حجب عبد الناصر تأييده عن « الجبهة القومية » في عدن (فرع الحركة في عدن) . وربما كان لهذا التوتر بعض الأثر الأيجابي ، إذ حرر حركة القوميين العرب من قيد الارتباط الثقيل . وسرعان ما كونت الحركة تنظيمها الفدائي ، الذي أطلقت عليه اسم « شباب الثأر » ، وذلك في اواخر أيار (مايو) ١٩٦٧ . ويمكن اعتبار شباب الثأر الاسم الأول المرادف للفرع الفلسطيني في الحركة .

وبعد نكسة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، جرت لقاءات عديدة وواسعة بين المنظمات الفدائية الفلسطينية المختلفة ، تمخضت عن توحيد ثلاث منظمات منها في منظمة واحدة هي « الجبهة الشعبية لتحرير فسطين » (التي تحمل الآن اسم الجبهة الشعبية القيادة العامة) ، وذلك في خريف عام النكسة نفسه (١٩٦٧/١٢/١١) .

وأشاد البيان الأول للجبهة الشعبية باستمرار كفاح الشعب الفلسطيني ، الذي عبر عن نفسه « بثورات وانتفاضات عديدة ، بلورت نفسها ، في الفترة الأخيرة بالعمل الفدائى ، الذي مارسته طلائع هذا الشعب على الأرض المغتصبة ، والذي مثل رفض شعبنا للرضوخ والاستسلام والتسويات والأشكال غير المجدية من أساليب العمل السياسي ، كما مثل ، في الوقت نفسه ، تصميم جماهير الشعب الفلسطيني على أخذ زمام المبادرة لشق طريق التحرير الكامل ، والتي هي ، في الوقت نفسه ، طريق مسؤولية الجماهير العربية كلها » .

وبذا ، تكون حركة القوميين العرب تخلت عن تحفظاتها السابقة على العمل الفدائى ، وغدا تقديرها له مطابقا لتقدير الذين بدأوه ، وأعني بهم أعضاء فتح الأوائل .

---

(١) نضال حزب البعث العربي الاشتراكي عبر مؤتمراته القومية (١٩٤٧ ــ ١٩٦٤) بيروت ، دار الطليعة ، حزيران (يونيو) ١٩٧١ ، ص ١٠٠ ــ ١٠١ .

(٢) حزب البعث العربي الاشتراكي ، القيادة القطرية للتنظيم الفلسطيني الموحد ، مكتب الثقافة والدراسات والاعداد الحزبي ، **البعث والكيان الفلسطيني** ، سلسلة الوثائق (٥) ،دمشق، نيسان ١٩٧٨ ، ص ٣٧ ــ ٤٤ .

(٣) المصدر نفسه ، ص ٤٩ ــ ٥١ .

(٤) المصدر نفسه ، ص ٥١ ــ ٥٦ .

(٥) نضال حزب البعث ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٦٧ .

(٦) **البعث والقضية الفلسطينية ــ بيانات ومواقف (١٩٤٥ ــ ١٩٦٥)** بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٥ ، ص ١٨٠ .

(٧) المصدر نفسه ، ص ١٨٥ ــ ١٩٥ .

(٨) المصدر نفسه ، ص ٢٠٢ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٠٦ ــ ٢١٧ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢١٦ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢١٨ ــ ٢١٩ .

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢١٩ ــ ٢٢٠ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٢٠ .

(١٤) المصدر نفسه ، ص ٢٢٤ ــ ٢٣٥ .

(١٥) المصدر نفسه ، ص ٢٢٩ .

(١٦) جبهة التحرير العربية **جبهة التحرير العربية لماذا .. وما هي ؟** منشورات « الثائر العربي » ، الطبعة الثانية ، ايلول ١٩٧٦ ، ص ١ .

(١٧) لمزيد من التفاصيل حول حركة القوميين العرب ، يمكن الرجوع الى .

أ ــ باسل الكبيسي ، **حركة القوميين العرب** ، بيروت ، دار الطليعة والاتحاد العام للكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، ١٩٧٤ .

ب ــ غازي الخليلي ، حركة القوميين العرب وموقفها من القضية الفلسطينية ، **دراسات عربية** (بيروت ، كانون الثاني ، شباط ، اذار ، نيسان ، أيار ١٩٧٧) .

(١٨) **فلسطين** (ملحق المحرر) [بيروت] ، العدد ٨،٣٨/ ٤/ ١٩٦٦ .

(١٩) المصدر نفسه ، العدد ٥٣، ٤/ ١١/ ١٩٦٦ .

صابر موسى

انجازات سياسية في مسيرة م.ت.ف.

الانجازات السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية

لا شك في ان منظمة التحرير الفلسطينية الان اقوى مما كانت عليه في اية فترة سابقة منذ انشائها . وليس هذا الا نتيجة كفاحها المسلح في الدرجة الاولى ، وقدرتها على الثبات عسكريا في اكثر من مواجهة مسلحة (الكرامة ، الجنوب) هذا الكفاح الذي فتح امامها الابواب لانتصارات سياسية من اجل القضية الفلسطينية في كافة المجالات : الفلسطينية والعربية والدولية .

لقد تعرضت مسيرة النضال الوطني الفلسطيني الى كثير من الازمات والمحن القاسية ، والمواقف الصعبة ، ولا تزال تتعرض لها حتى الان . لكن ، بالرغم من كل ذلك ، واجهت الثورة الفلسطينية بقيادة م.ت.ف. تلك التحديات والمصاعب ، واستطاعت التغلب عليها ، والحفاظ على حماية حقوق ومصالح الشعب الفلسطيني ، وتطوير قدراتها في تعبئة طاقاتها ، بشكل متجدد ، من اجل المعركة المصيرية ، معركة فلسطين . لقد حكم نشاط منظمة التحرير الفلسطينية وتحركها في الفترة السابقة ، وخلال مسيرتها النضالية ، مبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني ، واحكام البيانات السياسية والبرامج المرحلية للمنظمة ، تلك المبادىء المقررة في المجالس الوطنية في دوراتها المتلاحقة . وبناء على ذلك ، رسمت منظمة التحرير الفلسطينية خطوط تحركها السياسي على جميع المستويات (سواء على مستوى العلاقات الثنائية او على مستوى المؤتمرات الاقليمية والدولية) آخذة في الاعتبار طبيعة المرحلة التي تمر بها وفي ظل الظروف المتوافرة . ومن الممكن ايجاز تلك الخطوط بالتالي :

١ ــ تعزيز مكانة م.ت.ف. على المستويين العربي والدولي ، باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

٢ ــ استعادة المسؤولية الكاملة لــ م.ت.ف. فيما يتعلق بمصير الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية .

٣ ـ التأكيد على التمييز بين قضية فلسطين وازمة الشرق الاوسط .

٤ ـ تعزيز القناعة الدولية بأن قضية فلسطين هي جوهر مشكلة الشرق الاوسط .

٥ ـ مواصلة عزل العدو الصهيوني في كافة المجالات .

٦ ـ افشال المحاولات الهادفة الى ربط قضية فلسطين بقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، كوسيلة لحل المشكلة الاساسية ـ قضية فلسطين ، وحده لانه يتجاهل هذه القضية ويقتصر على الدعوة لمعالجة مشكلة اللاجئين .

٧ ـ التصدي لمشاريع التسويات الاستسلامية وابطالها ، بايجاد البدائل الصحيحة وتجسيدها على المستويات الدولية بما يخدم الثورة الفلسطينية بالحفاظ على سلامة مصير القضية الفلسطينية(١).وعليه،فان هذا التقريريتضمن مجمل النشاطات السياسية التي قامت بها منظمة التحرير الفلسطينية ، او ساهمت بانجازها على المستويات العربية والدولية المختلفة في الفترة السابقة منذ تأسيسها بعـامة ، وفي العام المنصرم بخاصة . كما يتضمن عرضا للمواقف العامة في المحافل والمجموعات الدولية ، وخلاصة الاتصالات والنشاطات ، واهمها الانجازات التي حققتها المنظمة في تلك المجالات للشعب الفلسطيني وثورته المسلحة .

عربيا : اتسمت العلاقات الفلسطينية ـ العربية عند انشاء منظمة التحرير الفلسطينية ، بعدم الندية حيث اعتبرت منظمة التحرير اداة او ما يشبه الاداة في ايدي الدول العربية التي ساعدت على خلقها . ولكن بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، وبروز عامل الثورة الفلسطينية المسلحة وتسلمها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية ، جرى العمل على احداث تغييرات كثيرة في المنظمة ، وكذلك نسف ما كان قائما ، حيث تم وضع ميثاق جديد لها يتناسب وطريق الكفاح المسلح وحرب الشعب الطويلة الأمد كاستراتيجية بديلة . وقد بدأت العلاقات الفلسطينية ـ العربية تنطلق من الايمان بمبادىء الميثاق الوطني الفلسطيني ، الذي اكد ان الوحدة العربية وتحرير فلسطين هدفان متكاملان يهيىء الواحد منهما للاخر ، كمايشدد على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، وفي مقابل ذلك على عدم تدخل الدول العربية في الشؤون الداخلية الفلسطينية . الا ان ذلك لم يمنع الكثير من الدول العربية حينا بعد آخر ، من محاولات فرض الوصاية ، او محاولة تمثيلها للشعب الفلسطيني . ولجأت بعض الدول العربية حتى الى ضرب الثورة الفلسطينية عسكريا من اجل فرض ذلك على منظمة التحرير الفلسطينية ، في اكثر من مناسبة. وما جابهته المنظمة في ايلول ١٩٧٠ في الاردن وما بعدها ، كان من اشد تلك المواجهات . لكن كان لاستمرارية الكفاح الفلسطيني وتصعيده الدور البارز ، خصوصا خلال حرب تشرين التي شاركت فيها منظمة التحرير الفلسطينية مشاركة فعالة ، في زيادة وزن المنظمة وتعزيز مقدرتها على اتخاذ القرارات المستقلة .

لقد كان للانتصارات العسكرية التي حققتهاالثورة الفلسطينية بمشاركتها في العمليات اثر كبير في تبديل النظر الى دورها عربيا ودوليا ، وفي ابرازها كطرف ند مع الاطراف الاخرى . وقد استفادت م.ت.ف. من المعطيات الجديدة بعد حرب تشرين ، لتخوض نضالا سياسيا مكثفا ، ولتحقق عددا من الانجازات والمكتسبات السياسية والدبلوماسية ، كان ابرزها ما تحقق في

مؤتمر القمة العربي السادس ، الذي عقد في الجزائر ، ما بين ٢٦ و٣٠/١١/١٩٧٣ ، حيث اعترفت الدول العربية ، لأول مرة ، بمنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ،حاسمة،بذلك ، الخلاف الذي كان يثار بين حين وآخر حول تلك المسألة ، ومكرسة حقيقة المكتسبات التى حققها وناضل من اجلها الشعب الفلسطيني وثورته . كما شاركت المنظمة بفعالية في مؤتمرات وزراء الخارجية والدفاع العرب ما بعد ١٩٧٣ ، وفي تأكيد حق العمل الفدائي في التواجد على الارض العربية المحاذية لفلسطين ، والعمل فيها بحرية ، رغم الاعتراضات التي اثيرت في تلك المؤتمرات . ومن بين اهم نتائج المشاركة الايجابية في كافة النشاطات العربية كان الابقاء على القضية الفلسطينية العنصر الاهم في جوهر الصراع ، والتصدي للمخططات الرامية الى جعلها على هامش هذا الصراع . ثم جاء مؤتمر القمة في الرباط (٢٦ — ٢٩ تشرين اول ١٩٧٤) ليؤكد حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه وتقرير مصيره ، وتأكيد حقه في اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية بقيادة م.ت.ف. بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، على اية ارض يتم تحريرها ، والالتزام بدعم م.ت.ف. في ممارسة مسؤولياتها على الصعيدين القومي والدولي ، وذلك بالحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية وعدم التدخل في شؤونها الداخلية.الا ان الرئيس المصري انور السادات خرج على الاجماع الذي تحقق في قمة الرباط بالرغم من موافقته على القرارات ، وبدأ يكشف عن وجهه الحقيقي المتنكر للقضية الفلسطينية ، مبتدئا باتفاقيات سيناء الثنائية ومنتهيا ، بمبادرته السلمية التي فتحت الطريق لخروج نظامه من معسكر الحلفاء الفاعلين الى معسكر الاعداء المتآمرين على قضية فلسطين وشعبها . وقد وضع هذا منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني، في المواجهة المباشرة للعمل من اجل اسقاط المؤامرة الجديدة ، حيث حددت موقفها الحاسم ، واعلنت رفضها الكلي لاتفاقيات سيناء وما تلاها من خطوات استسلامية ، وبدأت اتصالاتها بالدول العربية التي أيد بعضها مبادرة السادات والبعض الاخر وقف مع الشعب الفلسطيني وحقوقه وممثله . ومع بذل الجهود الكبيرة والسريعة من اجل خلق القاعدة الصلبة لمواجهة هذه المبادرة المؤامرة ، تم عقد مؤتمر لجبهة الصمود والتصدي ، شارك فيه الى جانب المنظمة ، كل من سوريا والجزائر وليبيا واليمن الديمقراطية . وتوالت الجهود لعقد مؤتمر القمة العربي التاسع في بغداد في تشرين الثاني ١٩٧٨ ، فجاءت قراراته تؤكد الالتزام بالقضية الفلسطينية وبمقررات مؤتمرات القمة العربية ، لا سيما السادس والسابع المعقودين في الجزائر والرباط . اما بشأن اتفاقات كامب ديفيد التي ابرمها السادات مع رئيس الحكومة الاسرائيلية ، فان المؤتمر (بعد عمليات المماطلة والتردد والمراوغة من بعض الاطراف) اعلن رفضه اياها ، وعدم التعامل معها او مع ما يترتب عليها من نتائج سياسية واقتصادية وقانونية وغير ذلك من نتائج وآثار . كما جدد التاكيد على المقاطعة العربية لاسرائيل وانظمتها ، والتشديد على احكام بنود هذه المقاطعة واحباط اية محاولة للالتفاف عليها ، وضرورة معالجة الخلل الاستراتيجي الذي نتج عن خروج مصر من المعركة . بعد ذلك جاء مؤتمر القمة الاخير الذي انعقد في تونس في الشهر الماضي ، ليؤكد تلك الالتزامات والقرارات .

في هذين المؤتمرين ، اللذين صاغا الاساس المشترك للعمل العربي الموحد ضد اتفاقات كامب ديفيد وما تلاها ، لعبت م.ت.ف. دورا كبيرا في بلورة الموقف العربي ، و في حمل الاطراف

المترددة او المتهيبة من المواجهة التي يفرضها هذا الموقف مع السياسة الاميركية ، على اعلان موافقتها على رفض نتائج كمب ديفيد ، ومقاطعتها النظام المصري . ويعد نجاح المنظمة في لعب هذا الدور تتويجاً وتعبيراً عن الوزن المتحقق لها نتيجة نضالها الطويل .

دول العالم الثالث : ان معظم هذه الدول ، وهي مجموع دول آسيا وافريقيا واميركا اللاتينية ، التي تنظم نفسها في مجموعات سياسية ذات اهداف ومصالح مشتركة تربط بينها ، تشترك على الاقل في مجموعتين او اكثر من هذه المجموعات ، حيث تلتقي اهدافها ومصالحها . ولسهولة البحث سنختار كبريات المجموعات ، ونرى مواقفها من القضية الفلسطينية بالرجوع الى مؤتمراتها ، باعتبار أنها تمثل رأي الاغلبية القصوى لهذه الدول المشتركة فيها . وهذه المجموعات هي : منظمة الوحدة الافريقية ، ومنظمة الشعوب الافرو ـ اسيوية، ودول عدم الانحياز ، ومنظمة المؤتمر الاسلامي . وسنتحدث عن كل منها مستقلة عن الاخرى :

منظمة الوحدة الافريقية : تأسست منظمة الوحدة الافريقية في ٢٥ أيار ١٩٦٣ ، وفي حينه تم اختيار اديس ابابا ، مقرا دائما لها .

هدف هذه المنظمة بحث امور دول القارة الافريقية وشعوبها لمصلحة القارة المشتركة . وقد قررت ان يترأسها بصورة دورية وبشكل سنوي ، أحد رؤساء الدول الافريقية ، على ان يعقد اجتماع قمة سنوي ، واجتماعان آخران على مستوى وزراء الخارجية . ونظرا لمكانة افريقيا ، عملت اسرائيل واستطاعت حتى العام ١٩٦٧ بالدخول اليها وبناء علاقات جيدة مع معظم الدول فيها ، والحصول على تأييدها في دعم وجودها ، وتدعيم نفوذها السياسي ، وذلك بفضل سياستها الخارجية النشيطة ، وتأييد حلفائها في المعسكر الامبريالي الفاعلين في المجال الافريقي .

ولكن ، وبعد نشوب حرب ١٩٦٧ ، وما اسفرت عنه من نتائج بالنسبة للوضع العربي ، بدأت الدول العربية بالتوجه افريقيا ، وذلك بزيادة الفاعلية العربية السياسية . ومع زيادة الوعي العربي وكذلك الافريقي ، ورفض اسرائيل الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة ، او تنفيذ قرارات الامم المتحدة وكذلك قرارات منظمة الوحدة الافريقية ، كل ذلك ساعد في تحسين العلاقات العربية الافريقية بينما بادر عدد من هذه الدول لقطع علاقاته باسرائيل . ومع نشوب حرب تشرين ١٩٧٣ ووضوح صورة اسرائيل امام الرأي العام الافريقي وزعمائه قطعت معظم هذه الدول علاقاتها باسرائيل ، ونشط العمل لنصرة القضية الفلسطينية .

ولقد كان لمنظمة التحرير الفلسطينية دور بارز في النشاط السياسي الافريقي ، تمثلت نتائجه في القرارات التي اتخذتها المنظمة الافريقية في مؤتمراتها السنوية ، والتي كان آخرها مؤتمر القمة المعقود في منروفيا (ليبيريا) في تموز ١٩٧٩ . هذه القرارات اكدت وقوف الدول الافريقية الى جانب القضية الفلسطينية ، ومساندتها الكاملة والفاعلة للشعب الفلسطيني ، بقيادة ممثله الشرعي الوحيد م.ت.ف. في نضالها ، وبجميع الوسائل بما فيها الكفاح المسلح ، لاسترداد حقوقه المشروعة المغتصبة ، واهمها حقه في العودة الى وطنه وحقه في السيادة وفي تقرير المصير ، واقامة دولته المستقلة على ارض فلسطين . كما ادانت المخططات والاطماع العدوانية الاسرائيلية وسياسة التوسع والاستيطان والارهاب العنصري الذي تمارسه اسرائيل

ضد ابناء الشعب العربي الفلسطيني . وكذلك طالبت مجلس الامن باتخاذ الاجراءات الفعالة لضمان ممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه الوطنية الثابتة التي اقرتها الجمعية العامة للامم المتحدة ، وناشدت المجتمع الدولي الضغط على اسرائيل في كافة المجالات لارغامها على الاذعان لميثاق الامم المتحدة وتنفيذ قراراتها ، بالاضافة الى ادانة الاتفاقيات والمعاهدات ، بما فيها اتفاقات كامب ديفيد ، لانها تشكل اعتداء سافرا على حقوق شعب فلسطين ، وادانة تهويد القدس(٢) .

بهذا ، تكون م.ت.ف. بالتعاون مع الدول العربية المعنية ، قد نجحت في عزل اسرائيل في معظم الدول الافريقية ، بالرغم من سياسة النظام المصري ، وحجمت دورها على مستوى الساحات الدولية ، بنشاطها الفاعل وتعاونها الكامل مع الدول المعادية للاستعمار في القارة وحركات التحرر الوطني فيها .

منظمة المؤتمر الاسلامي : لقد شاركت منظمة التحرير في مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية منذ البداية ، واستطاعت ان تحقق النجاحات فيها ، لعدالة قضيتها التي تدافع عنها ، ولأن هذه القضية ذات اهمية لدى هذه الدول . ولقد استطاع وفد منظمة التحرير ان يحقق النجاح عندما اسفرت جهوده في تبني المؤتمر الخامس المنعقد في (جدة ــ يونيو ١٩٧٥) مشروع القرار الذي قدمته المنظمة ، ويقضي بالتزام الدول الاعضاء بالعمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة ، وكذلك بتشكيل لجنة دائمة من ممثلي ثلاث عشرة دولة مشاركة الى جانب الامين العام ، لمتابعة تنفيذ القرارات التي اتخذها اوسيتخذهاالمؤتمر في المستقبل . كما استطاعت م.ت.ف. ان تعزز نجاحاتها على مستوى مؤتمرات وزراء خارجية الدول الاسلامية في طرابلس (ليبيا) وكذلك في اسطنبول في العام ١٩٧٦ (السابع والثامن) وكذلك في العاشر المعقود ايضا في طرابلس (ايار ١٩٧٧) وهذا المؤتمر هو الذي شدد على العمل ، بمختلف الاتصالات الثنائية والدولية ، من اجل توفير جميع الامكانات الضرورية لتمكين الشعب الفلسطيني من تحرير وطنه ، وطالب جميع دول العالم بمساندة الشعب الفلسطيني بكافة الوسائل في نضاله المشروع ضد الاستعمار الصهيوني العنصري ، لاستعادة حقوقه الوطنية الثابتة ، معتبرا انها تشكل شرطا اساسيا لا غنى عنه لاقامة السلام العادل الدائم في منطقة الشرق الاوسط . وهو ايضا الذي أكد تمسك المسلمين بمدينة القدس في وجه الضم الاسرائيلي ، وعزم الدول الاعضاء الاكيد على العمل من اجل تحريرها ، واعادة السيادة العربية عليها ، واصرار هذه الدول على الا تكون القدس موضع مساومة او تنازل . كما قرر الدعم المالي اللازم لتدعيم الوجود العربي الاسلامي في المدينة المقدسة ، بالاضافة الى انه جدد ادانة انتهاكات اسرائيل المتكررة لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة منذ عام ١٩٤٨ ، وكذلك ادانة الدول التي تقدم الدعم العسكري والمادي والبشري لاسرائيل ، واعاد المطالبة بطردها من الامم المتحدة(٣) اما في المؤتمرات اللاحقة فقد استمر تأكيد القرارات المذكورة ، وامكن في آخرها ، المعقود في فاس (المغرب) في ايار ١٩٧٩ ، الحصول على نجاح جديد ، وذلك بتسمية هذه الدورة باسم دورة فلسطين والقدس الشريف ، وبتكريس العام ١٤٠٠هـ : بوصفه عام القدس الشريف في العالم الاسلامي ، وعن طريق حث حكومات وشعوب الدول الاعضاء للعمل خلال العام المذكور من اجل القدس وفلسطين ، كل من موقعه ، سواء أكان ذلك بشكل فردي ام بشكل جماعي ، من اجل ان

تتضافر كل الجهود في انحاء العالم الاسلامي ، وبدعوة الشعوب المسلمة في كل مكان الى الجهاد من اجل تحرير القدس باعتباره فريضة واجبة على كل مسلم . كما طالب المؤتمر بالعمل على جمع التبرعات الشعبية في كل دولة وتحويلها الى صندوق القدس المنشأ بهدف دعم الجهود لتحريرها ، ليكون رافدا للتبرعات الحكومية . كذلك الزم الامانة العامّة بأن تقدم كل الوثائق والمعطيات الى لجنة القدس ، من اجل الاعداد اللازم لعام القدس ، لتوعية الرأي العام غير المسلم بالاخطار المتزايدة والمحدقة بها .

منظمة تضامن الشعوب الافرو ـ اسيوية : تتمتع م.ت.ف. بالعضوية الكاملة لهذه المنظمة . واذا ما نظرنا الى مقرراتها بشأن قضية فلسطين فسندرك مدى الوزن السياسي المتحقق لمنظمة التحرير الفلسطينية . ففي الاجتماع الاخير (السابع) للهيئة الرئاسية لمنظمة تضامن الشعوب الافرو ـ آسيوية ، المعقود في كانون الثاني ١٩٧٩ في هانوي (فيتنام) ، اثبتت م.ت.ف. من جديد وفي ساحة اخرى انها الممثل الشرعي للشعب الفلسطيني ، سواء داخل الاراضي المحتلة او خارجها . وان لها وحدها الحق بالتحدث باسمه والاشتراك في كل مؤتمر او اجتماع يتناول القضية الفلسطينية كطرف مستقل وعلى قدم المساواة مع الاطراف الاخرى ، ورفض اية وصاية او تدخل في شؤونها الداخلية . كما ظهر مدى الادانة للسياسة الامبريالية الاميركية والصهيونية في الشرق الاوسط ، خصوصا لاتفاقات كامب ديفيد . فهذا الاجتماع السابع اعلن ان الحل المقبول يتمثل بالحل العادل للقضية الفلسطينية جوهر واساس الصراع ، وقوام هذا الحل ضمان حقوق الشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه كاملة غير منقوصة . ودعا الى تعزيز وحدة العمل بين القوى التقدمية في العالم ، في مواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية الرامية الى زيادة المستوطنات وفرض الامر الواقع على الشعب الفلسطيني وطرده من ارضه ووطنه ، مجددا المطالبة بضرورة انسحاب القوات الاسرائيلية من كافة مناطق الاراضي العربية المحتلة ، واولها القدس ، دون قيد او شرط . وبشأن فلسطين ، اصدر قرارا خاصا يتضمن تأكيد حق الثورة الفلسطينية بالتواجد على جميع الاراضي العربية المحيطة باسرائيل وضرورة توفير حريتها في العمل ، وعدم التدخل في شؤونها الداخلية ، او فرض الوصاية عليها ، بالاضافة الى التأكيد على جميع القرارات السابقة لمنظمة تضامن الشعوب الافرو ـ آسيوية ، الخاصة بالقضية الفلسطينية(٤) .

الامم المتحدة : منذ الدورة الثالثة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحدة (١٩٦٨) رأت م.ت.ف. ان الوقت قد حان لترجمة المكاسب والانتصارات العسكرية التي احرزها الشعب الفلسطيني الى انتصارات سياسية على مستوى الساحة الدولية ، وفي هيئة الامم المتحدة ، وذلك باتخاذ الخطوة الاولى لادراج قضية فلسطين كبند مستقل على جدول اعمال الجمعية العامة ، بدل بند تقرير المفوض العام لوكالة الغوث الذي يناقش كل سنة في اللجنة السياسية الخاصة ، لكن عدم حماس بعض الدول العربية (مصر والاردن ولبنان) مع حرص المنظمة على وحدة الصف العربي حول هذه المسألة ، حال دون تحقيق هذه الخطوة في حينه(٥) . ومع استمرار تردد بعض الدول العربية وتخوفها من الفشل في تحقيق هذا الطلب ، ارجئت المسألة حتى سنة ١٩٧٤ ، حين امكن الحصول على قرار بهذا الصدد من الجمعية العامة بأغلبية كبيرة . وفي السنة نفسها تحقق نجاح آخر مهم ، تمثل في موافقة الجميعة العامة على قبول م.ت.ف. عضوا

مراقبا دائما فيها ، وكذلك حقها في حضور اجتماعات كافة مؤسسات الامم المتحدة الاخرى ، والاعتراف بها ، بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني .

لقد كان الذهاب الى الامم المتحدة حصيلة الموقف الفلسطيني القوى ، وما ذلك الا نتاج ثورته المسلحة المقاتلة ، التي تصدت للصعوبات واجتازت المحن . وقد سبق اعتراف المنظمة الدولية بـ م.ت.ف. اعترافات حصلت عليها في اربعة مؤتمرات دولية سابقة ، هي مؤتمر القمة العربي السادس ، ومؤتمر دول عدم الانحياز ، ومؤتمر القمة الافريقي ، وكذلك مؤتمر القمة الاسلامي . وعندما ذهبت المنظمة الى الامم المتحدة ، كان ذهابها من اجل احداث قفزة كبيرة في نوعية القرارات الايجابية المهمة التي تعترف للشعب الفلسطيني بحقه في تقرير مصيره وحقه في العودة . وتتالت المكاسب ،.حيث اقرت الجمعية العامة القرار رقم ٣٢٣٦ ، ثم القرار رقم ٣٢٣٧ ، الذي تؤكد فيه حقوق الشعب الفلسطيني، غير القابلة للتصرف ، واهمها حقه في تقرير مصيره بدون تدخل خارجي ، والحق في الاستقلال والسيادة . كما تؤكد حقهفي العودة الى دياره وممتلكاته التي شرد منها ، وكذلك الاعتراف بأن الشعب الفلسطيني طرف رئيسي في اقامة سلم عادل ودائم في المنطقة ، وحقه كذلك باستعادة حقوقه بكل الوسائل وفقاً لميثاق الامم المتحدة ، ومناشدة جميع الدول والمنظمات بدعم كفاحه لاسترداد حقوقه .

بهذا اصبحت م.ت.ف. ممثلة الشعب الفلسطيني ، تمارس نشاطها في الامم المتحدة وكافة لجانها وكافة المؤتمرات المنبثقة عنها والمنعقدة تحت اشرافها ، بناء على الصفة التي اكتسبتها كعضو مراقب دائم ، تعطيها الحق بالمشاركة في كل النشاطات التي يتمتع بها الاعضاء الدائمون عدا حقي التصويت وحق تقديم مشاريع قرارات(٦) . لقد بدأت منظمة التحرير بالمشاركة بنشاطات الامم المتحدة ، اذن ، منذ الدورة التاسعة والعشرين ، والتي توجت بدعوة الاخ ياسر عرفات لالقاء كلمة فلسطين التاريخية امامها . واستمرت المشاركة في الدورات اللاحقة ، لتصبح قضية فلسطين البند الاول على جدول الاعمال في الدورة التالية ، التي افتتحها الاخ فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية ، ورئيس وفد م.ت.ف. وهذا يعطي الدلالات السياسية والدبلوماسية ، ويعني ان الشعب الفلسطيني قد خرج على الوصاية المفروضة عليه ، ليبدي رأيه من فوق أعلى المنابر الدولية .

وتتابع نشاط المنظمة من اجل كسب المزيد من الانتصارات وعزل اسرائيل ، حيث تم دخولها لليونسكو في تشرين الثاني ١٩٧٤ ، واستصدار قرار يدين اسرائيل باصرارها على تغيير الطابع التاريخي لمدينة القدس ، ومن ثم قطع المساعدات التى تقدمها لها اليونيسكو في المجالات التربوية والثقافية والعلمية ، الى ان تحترم قرارات المنظمة الدولية . وفي الدورة الثلاثين للجمعية العامة المنعقدة سنة ١٩٧٥ استطاعت م.ت.ف الحصول على قرار يعتبر ان الصهيونية شكل من اشكال العنصرية والتمييز العنصري(٧) . ولم يتوقف نشاط المنظمة عند هذا الحد. فبناء على خطتها الداعية الى عزل اسرائيل في كل مكان ، جهدت من اجل طردها من عضوية الامم المتحدة وذلك في الدورة الثلاثين للامم المتحدة سنة ١٩٧٥ ، حيث سبق لها ان طرحت الفكرة كمشروع قرار في مؤتمرات مثل مؤتمر عدم الانحياز المنعقد في هافانا (كوبا) في نيسان ١٩٧٥ ، وكذلك مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد في جدة في تموز ١٩٧٥ ، ومؤتمر منظمة الوحدة الافريقية المنعقد في كمبالا في تموز ١٩٧٥ ، حيث تمت فيها الموافقة على

تعليق عضوية اسرائيل في الامم المتحدة . وقد ساعد على ذلك استمرار اسرائيل في السياسة العدوانية المتصلبة التي تتبعها ، وعضوية اسرائيل المشروطة بتعهدها للعمل على تنفيذ قرارات الامم المتحدة وتسهيل عودة اللاجئين ، وقبول تقسيم ١٩٤٧ ، وكذلك تدويل القدس ، ولكن ردود الفعل القوية التي صدرت عن الدول المؤيدة لاسرائيل ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وتهديدها المباشر لمجمل الدول الصغيرة التي تستفيد من المساعدات المقدمة لها من هذه الدول ، وكذلك مواقف بعض الدول العربية وعلى رأسها مصر التى وقفت ضد الطرد ، كل ذلك اثر على حجم التأييد المطلوب وادى لتأجيل طرح هذه المسألة بانتظار الظرف المناسب والحصول على التأييد اللازم . وفي العام نفسه ، استطاعت م.ت.ف. الحصول على قرار من الجمعية العامة ، حمل الرقم ٣٣٧٦ ، يدعو لتشكيل لجنة معنية بممارسة الشعب الفلسطيني حقوقه المشروعة وغير القابلة للتصرف ، وتتكون من ٢٣ دولة اعضاء في الجمعية العامة ، مهمتها اجراء الدراسات وتقديم التوصيات لبرنامج عمل من اجل تمكين الشعب الفلسطيني من ممارسة حقوقه المعترف بها . وقد قامت اللجنة المذكورة بذلك ، وقدمت توصياتها ومشروعها الى مجلس الامن الدولي الذي بدأ مناقشة الموضوع في حزيران ١٩٧٦ . وقد تضمنت هذه التوصيات تأكيدا على ان مشكلة فلسطين هي جوهر الصراع في الشرق الاوسط ، واحتوت على جدول زمني من أجل انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي المحتلة في فترة أقصاها اول حزيران ١٩٧٧ . وعلى الرغم من موافقة العديد من الاعضاء في مجلس الأمن عليها ، فان التهديد الاميركي بالفيتو منع المجلس من المصادقة عليها ، فأحيلت الى الجمعية العامة التي ايدتها بعد الاقتراع عليها بالقرار (٢٠/٣١) بتاريخ ٢٤ تشرين الاول ١٩٧٦ . واستمر تأكيد هذه التوصيات في الدورات اللاحقة . وتتالى تأييد المنظمة ، سواء في لجنة التحقيق في ممارسات اسرائيل في المناطق المحتلة ، او في لجنة حقوق الانسان ، او اللجان والهيئات المختصة الأخرى المتفرعة عن الامم المتحدة ، بعد ان كانت ، بأجهزتها ولجانها الرئيسية ، احدى الساحات الكبرى التي استغلتها اسرائيل من اجل اعلان الحرب على الثورة الفلسطينية ، معتمدة على االاعلام الواسع والسياسة المدروسة ، وتكتيل القوى داخل المنظمة الدولية من اجل ضرب القضية الفلسطينية وشعبها .

لقد خطت م.ت.ف. في قضية فلسطين خطوات واسعة ، واصبحت عاملا فاعلا في القرارات التي تتخذ . ولا ريب في ان القضية الفلسطينية ، كما تتجسم في حقوق الشعب الفلسطيني ، قد دخلت مرحلة جديدة ، واصبحت ترتكز الى الشرعية الدولية الراسخة . لكن طريقها ما زالت صعبة وشاقة وطويلة ، لان الحقوق التاريخية لا تؤخذ بالقرارات والنصوص فحسب ، وليس من السهل لمحتل غاصب التنازل عن احتلاله طواعية دون اكراه واجبار .

دول اوروبا الغربية : هناك ، كما هو معروف ، مجموعات متعددة في اوروبا الغربية ، كمجموعة السوق الاوروبية المشتركة ، ومجموعة الدول الاسكندينافية ، والمجموعة التي تضم اليونان واسبانيا والبرتغال . وقد تكون دولة اواكثر عضواً في مجموعتين من هذه المجموعات فضلا من تلك التي تتكون من احزاب وهيئات متماثلة مثل احزاب الاممية الاشتراكية . وبالنسبة لهذه المجموعات الاروبية ، فأن مجموعة الدول المنفردة وهي اليونان واسبانيا والبرتغال ، تتميز بموقف داعم لمنظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة ، كما انها لم تكن

تقيم اية علاقات مع اسرائيل في السابق، ولكن دورها الان يكبر من جهة الدعم والتأييد . وان زيارة ياسر عرفات الى اسبانيا في شهر ايلول الماضي ، وكذلك زيارته البرتغال ، واجتماعه برؤساء كل من البلدين ، ومحادثاته الايجابية ، دليل على تطور الموقف الفلسطيني، رغم المعارضة المكثفة من قبل اسرائيل ومؤيديها في تلك البلدان .

اما مجموعة الدول الاسكندنافية ، وعلى رأسها السويد، فكانت من الدول السباقة الى الاعتراف بالمنظمة ، وبحقوق الشعب الفلسطيني. وتقف فنلندا من المنظمة والشعب الفلسطيني الموقف نفسه الذي تتخذه السويد ، وان لم يفتتح مكتب لـ م.ت.ف. فيها ، كما هو الحال في الاولى . اما مجموعة الامية الاشتراكية التي تضم احزابها في النمسا والسويد وفنلندا والمانيا الغربية وايطاليا وفرنسا والنرويج والسنغال واسبانيا والبرتغال ، واكثرها احزاب حاكمة ، فقد تم اتصال المنظمة الاول بها بواسطة وفودها ، بالحزب الاشتراكي السويدي الحاكم حينذاك ، الذي وافق على فتح مكتب لـ م.ت.ف. في بلاده ، ومن ثم ايطاليا. ومنذ سنوات ، بدأت العلاقات مع الحزب النمساوي ، الذي يتزعمه المستشار كرايسكي الذي هو في الوقت نفسه نائب رئيس منظمة الاحزاب الاممية الاشتراكية ، والذي قام بزيارة للمنطقة ضمن لجنة لتقصي الحقائق عن الوضع في الشرق الاوسط التي كانت قد اوصت بها الاممية الاشتراكية في احد مؤتمراتها بعد العام ١٩٧٣ ، حيث استقبله عرفات في القاهرة سنة ١٩٧٤ . ومن ثم تطورت الاتصالات مع النمسا التي تطور موقفها ايجابيا بشكل منفرد ، ومن خلال مجموعة الاممية الاشتراكية .ثم توجت هذه الاتصالات بدعوة رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، لزيارة النمسا والاجتماع برئيس المجموعة فيلي برانت ، رئيس الحزب الاشتراكي الالماني الحاكم ، وبكرايسكي . وقد تمت الزيارة في حزيران الماضي ، فكانت حدثا مهما أثار ردود فعل قوية وواسعة ومتعارضة في مختلف الاوساط ، حيث كانت اول زيارة لرئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية لدولة من دول اوروبا الغربية .

اما بالنسبة للمجموعة الاخيرة ، وهي مجموعة دول السوق الاوروبية المشتركة ، فقد بقيت معظم دولها اما في موقف متحيز لاسرائيل ، او على الحياد حتى ما بعد حرب تشرين ١٩٧٣ ، حيث اصدرت بيانا في ٦ تشرين الثاني من تلك السنة ، اوضح موقفها من الصراع العربي — الاسرائيلي،واتسم بطابع الايجابية بصورة عامة،مما حمل المنظمة على اغتنام الفرصة والعمل مع دول عربية اخرى وبواسطة الجامعة العربية من اجل الاتصال وبدء الحوار مع هذه المجموعة ،بهدف كسب تأييدها للموقف العربي والفلسطيني، وبعد المشاورات ، تم تشكيل لجنة للحوار العربي — الاوروبي ، وتقرر عقد اجتماعها الاول في كانون الاول ١٩٧٤ . ولكن الخلاف على مسألة التمثيل الفلسطيني في اللجنة بين دول المجموعة ، حال دون انعقاده في حينه ، فتأجل حتى ايار ١٩٧٦ . حيث استطاعت م.ت.ف. بجهودها وبالتعاون مع الاقطار العربية المشتركة في لجنة الحوار ، تحقيق هدفين مهمين ، اولهما : مباشرة الجانب السياسي من الحوار ، وطرح قضية فلسطين كبند رئيسي اول في هذا الجانب ، الثاني ابراز م.ت.ف. كناطق باسم الدول العربية ، والغاية من ذلك ان يقف الاوروبيون أمامها وجها لوجه ، توطئة لاعترافهم بها(٨) . بعد ذلك ، استمر الحوار ، وتزايد نشاط م.ت.ف. في تلك الدول ، حيث حقق في بعض النتائج المحدودة . ومع ان دول السوق لم تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية

خلال جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة ، فان بعضها سمح للمنظمة بافتتاح مكاتب اعلامية باشراف مكاتب الجامعة العربية . وهكذا اصبح للمنظمة وجود اعلامي في كل من فرنسا وايطاليا وبلجيكا والمانيا الغربية وبريطانيا ، حيث قامت م.ت.ف. من خلال هذه المكاتب ، بابراز وجهة النظر الفلسطينية ، واقامت علاقات مع بعض الاحزاب والشخصيات السياسية وكسبت تأييدها للقضية الفلسطينية. لكن وعلى اية حال ، لم تكن معاملة السلطات المحلية في هذه الدول في مستوى واحد في كل هذه البلدان ، فقد لقيت معاملة متميزة في كل من فرنسا وايطاليا ، وبقيت بشكل اكثر جموداً في المانيا الغربية ، عدا عن انه لم يكن للمنظمة اي وجود في كل من هولندا والدانمارك واللوكسومبورغ ، مع ان ذلك بدأ يختلف نوعاً ما في هولندا ، نظراً لوجود قوات لها ضمن قوات للطوارىء الدولية في جنوب لبنان ، واحتكاكهم بالمنظمة هنا ، ونقل الصورة الى هناك ، خصوصا ان موقف هولندا كان الاكثر تشددا بالنسبة لتواجد م.ت.ف. فيها .

ان الموقف الاجمالي الرسمي والشعبي في اوروبا الغربية بدأ يأخذ بالتحسن نوعا ما ، وهذا ما يظهر من ردات الفعل الصهيونية الاميركية على ذلك ، خصوصا بعد الزيارات التي قام بها رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير لكل من النمسا واسبانيا والبرتغال ، وكذلك زيارة فاروق القدومي عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ومسؤول الدائرة السياسية فيها ، لكل من بلجيكا وايطاليا وفرنسا وبريطانيا وغيرها ، حيث حققت هذه الزيارات بعض الاهداف المرجوة ، واعتبرت خرقا لاحدى اهم الساحات المؤيدة لاسرائيل وكانت الى فترة قريبة من المحرمات على الثورة الفلسطينية .

دول عدم الانحياز : تأسست حركة عدم الانحياز بعد سلسلة من المؤتمرات التحضيرية ، في العام ١٩٦١ ، في فترة من فترات الصعود الايجابي لحركات التحرر الوطني في دول العالم ، والمواجهة الشرسة ضد المعسكر الامبريالي . وكانت حركة عدم الانحياز ، منذ البداية ، ذات خط عام يهدف الى تكتيل قوى العالم الثالث ، لتقف قوة موحدة في وجه الاحلاف الاستعمارية التي تصاعد دورها في تلك الفترة . وقد حملت هذه المؤتمرات بشأن قضية فلسطين في حينه ، النظرة العربية التي كانت سائدة ، وتعاملت مع القضية الفلسطينية على هذا الاساس . لكن التفجير المسلح الذي قامت به الثورة الفلسطينية ، واتخاذها حرب التحرير والكفاح المسلح طريقا للنصر ، والمكاسب التى حققتها في فترة قصيرة ، كان لها الدور الاكبر في زيادة اهتمام دول عدم الانحياز تطوير نظرتها لكفاح الشعب الفلسطيني وحقوقه . وقد تجلى هذا في مؤتمر دول عدم الانحياز الرابع المعقود في الجزائر (٢ ـ ١٩٧٣/٩/٩). حيث استطاعت فيه م.ت.ف. تحقيق بعض المكاسب والحصول على عدد من القرارات والبيانات والوثائق التي شكلت في حينه دفعة سياسية للنضال الفلسطيني . فقد شدد المؤتمر ، في قراراته ولاول مرة ، على شرعية الكفاح الفلسطيني المسلح ضد الاستعمار والصهيونية والعنصرية ، من اجل استعادة كامل الحقوق الفلسطينية الوطنية، واعتبار كفاح الشعب الفلسطيني جزءا لا يتجزأ من كفاح الحركة التحررية العالمية . كما اعتبر ان استعادة هذه الحقوق هي الشرط الاساسي للسلام العادل والدائم في المنطقة لذلك طالب الدول الاعضاء بالالتزام بمساندة الشعب الفلسطيني في كفاحه لاستعادة حقوقه كما كرس مؤتمر الجزائر لاول مرة ، شرعية م.ت.ف. ، فاعتبرها الممثل الشرعي الوحيد لشعبها .

بعد مؤتمر الجزائر المذكور ، واصلت م.ت.ف. ، جهدها ، في اطار دول عدم الانحياز ، من اجل الحصول على التأييد الاكثر فاعلية.وقد استطاعت في مؤتمر وزراء الخارجية المعقود في ليما (البيرو) في آب ١٩٧٥ ، الحصول على العضوية الكاملة في المؤتمر ، بعد ان كانت الى ذلك الحين عضوا مراقبا . وقد أقر المؤتمر مشروع القرار الذي تقدمت به من اجل طرد اسرائيل من الامم المتحدة(٩) .

وفي مؤتمر القمة المنعقد في كولومبو (سريلانكا) آب ١٩٧٦ ، حصلت منظمة التحرير من المؤتمر على تأييده ودعمه الشعب الفلسطيني ، وتشديده على القرارات الصادرة عن الامم المتحدة ، خصوصا في الدورتين ٢٩ و٣٠ ، وتأكيد القرار ٣٢٣٦ ، وانتخبت المنظمة لاول مرة ، عضوا في لجنة السكرتاريا الدائمة لحركة عدم الانحياز. اما في المؤتمر الاخير لدول عدم الانحياز ، الذي انعقد على مستوى القمة في هافانا (كوبا) في ايلول ١٩٧٩ ، فقد كان امام م.ت.ف. ان تتجاوز الصعوبات التي وضعها السادات في طريقها ، عندما وقع اتفاقات كامب ديفيد ، والعمل على تأكيد وتبني مشروع قرارها بشأن القضية الفلسطينية . وبالكثير من الجهد والاتصالات المكثفة ، استطاعت المنظمة الحصول على تبني المؤتمر المشروع وحمله على ادانة الاتفاقات وشجب سياسة النظام المصري ، فضلا عن شجبه لاسرائيل والولايات المتحدة واعتبر المؤتمر أن هذه الاتفاقيات تشجع اسرائيل على مواصلة سياستها العدوانية والتوسعية العنصرية ، وتزيد من حدة التوتر في المنطقة . كما اكد ان لا سلام في المنطقة بدون انسحاب اسرائيل الشامل من الاراضي العربية ، وحصول الشعب الفلسطيني على كامل حقوقه الوطنية الثابتة . واكد ايضا حق م.ت.ف. في مواصلة الكفاح الوطني ورفض كل السياسات والمعاهدات التي تتجاهل حقوق الشعب الفلسطيني ، وأية تسوية ترمي الى تصفية القضية الفلسطينية . وعدا الادانة التي وجهها المؤتمر لكل من اسرائيل والولايات المتحدة الاميركية بسبب تجاهلهما للحقوق الفلسطينية ، اقر تكثيف المساندة السياسية والدبلوماسية والمادية للشعب الفلسطيني حتى استعادته كامل حقوقه الوطنية(١٠) .

دول المعسكر الاشتراكي : تطورت العلاقات الفلسطينية مع دول المعسكر الاشتراكي تطوراً حثيثا . والمعروف ان الاتحاد السوفياتي ، الذي كان بين الدول المعترفة باسرائيل ، قد قطع هو والدول الاشتراكية الاخرى علاقاته معها على اثر عدوانها على الدول العربية في حزيران ١٩٦٧ . وقد بدأت الاتصالات الفلسطينية مع الدول الاشتراكية في وقت مبكر باعتراف هذه الدول بالمنظمة ، وبتزايد مساندتها للكفاح الوطني الفلسطيني . وقد تدرج هذا الاعتراف الى ان وصل مرحلة تبني الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني . وازدادت قوة العلاقات مع هذه الدول بعد ان تبنت القرارين ٣٢٣٦ و٣٢٣٧ ، الصادرين عن الامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين .

ان دول المعسكر الاشتراكي ترى ان حل القضية الفلسطينية كان دائما عبر تنفيذ قرارات الامم المتحدة الصادرة عن الجمعية العامة ، وان هذه القرارات هي التي يجب ان يعول عليها . وقد كان بناء العلاقات معها وتطويرها أمراً لا غنى عنه . وقد تبلور موقفها، بشكل واضح ، على اساس السعي لحل ازمة الشرق الاوسط بالانسحاب الكامل من كل الاراضي العربية التي تحتلها اسرائيل وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير مصيره ، بما في

ذلك اقامة دولته المستقلة ، وكذلك ضمان أمن وحدود كل دول المنطقة[١١]. وبالاجمال ، تطورت العلاقات الفلسطينية ـ الاشتراكية ، خلال السنوات الماضية ، باتجاه الافضل ، وفي حالات كثيرة الى درجة التنسيق الكامل فيما يتعلق بالاحداث الجارية في المنطقة ، وتم ذلك في ضوء المواقف الايجابية التي اتخذتها دول المعسكر الاشتراكي ، التي يتعزز الامل بتطورها باستمرار وتعميق الروابط لتأخذ طابعها الايجابي .

خاتمة : استطاعت م.ت.ف. خلال سنواتها الخمس عشرة الماضية ، تجسيد نضالاتها على جميع المستويات ، سواء العسكرية منها والسياسية ، كما استطاعت ابراز دورها كقائدة للنضال الفلسطيني قولا وفعلا ، برغم كل الصعوبات والعثرات التي مرت بها ، ورغم كل المؤامرات من اجل انهائها وانهاء دورها كطليعة للنضال ، لا على المستوى الفلسطيني فحسب ، بل كطليعة عربية وعالمية . وكان فشل هذه المؤامرات ، مقرونا بالنجاحات التي تحققها المنظمة ، دليلا على عدالة قضية الشعب الفلسطيني وتزايد القناعة العلنية ، بهذه العدالة ، كما انه دليل على مصداقية تمثيل م.ت.ف. لقضيتها ولشعبها

---

(١) **م.ت.ف، المجلس الوطني الفلسطيني ، الدورة الثالثة عشرة ، ١٢ ـ ٢٢ اذار ١٩٧٧ ،** ص ٧٧ ـ ٧٨ .

(٢) **مؤتمر منظمة الوحدة الافريقية ـ منروفيا (ليبيريا) ، ٦ ـ ١٩٧٩/٧/٢١** ،محفوظات الدائرة السياسية ، م.ت.ف.

(٣) **المؤتمر العاشر لوزراء الخارجية للدول الاسلامية** ، محفوظات الدائرة السياسية ، م.ت.ف.

(٤) **الاجتماع السابع للهيئة الرئاسية لمنظمة تضامن الشعوب الافريقية ـ الاسيوية ، فيتنام الاشتراكية ، هانوي ، ٣ ـ ١٥ يناير ١٩٧٩ ،** محفوظات الدائرة السياسية ، م.ت.ف.

(٥) سعادات حسن ، **شؤون فلسطينية** ، العدد ٥٣/ ٥٤، كانون الثاني وشباط ، ص ٦

(٦) المصدر نفسه ، ص ١٥

(٧) جورج طعمة ، **قرارات الامم المتحدة بشأن قضية فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤،** مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ص ٨ .

(٨) احمد صدقي الدجاني . **م.ت.ف. والحوار العربي الاوروبي** ، مركز الابحاث ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص . ٣٠ .

(٩) **قرارات مؤتمر دول عدم الانحياز ، ليما (البيرو) ، ١٩٧٥** ، محفوظات الدائرة السياسية ، م . ت . ف .

(١٠) **المؤتمر السادس لرؤساء دول وحكومات البلدان غير المنحازة ، هافانا (كوبا) ، ٣ ـ ٧ ايلول ١٩٧٩** ، محفوظات الدائرة السياسية ، م . ت . ف .

(١١) **م . ت . ف ، المجلس الوطني الفلسطيني ، الدورة الرابعة عشرة . ١٥ ـ ٢٢ كانون ثاني ١٩٧٩** ، دمشق ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

سمير كرم

التحالفات والمجابهات
الثورة الفلسطينية وادارة الصراع الدولي

البحث في تطور المحالفات والمجابهات لأي من حركات التحرر الوطني في العالم هو بالضرورة ـ في محصلته النهائية ـ بحث في استراتيجية وتكتيكات هذه الحركة ، وفي الخيارات المتاحة امامها للوصول الى اهدافها الاستراتيجية .

وفي الوقت نفسه ، فان الخبرات المتراكمة نتيجة عمليات (سيرورات) التحالف والمجابهة التي تخوضها حركة تحرر وطني او حركة ثورية هي محصلة لمقدرتها على ادارة الصراع ، وسط تناقض وتفاعل عوامل التأييد الدولي (التحالفات) ، وعوامل الصدام (المجابهات) ومدى نجاح ادارة الصراع وسط هذه العوامل في الحفاظ على قوة الدفع التحررية والثورية ، والحفاظ في الوقت نفسه على حرية القرار (او استقلاليته) . وان كان حتى القرار تعبيرا اعم ، لأن القرار يمكن ان يكون حرا وان لم يكن مستقلا عن تأثيرات موضوعية خارجية (« مع » أو « ضد ») .

ومن ثم فان اي بحث في تطور التحالفات والمجابهات لحركة تحررية ثورية ـ مثل الثورة الفلسطينية ـ يصبح مجرد سرد تأريخي (كرونولوجي) للأحداث المتعاقبة عليها ، ان لم يضع في حسابه من البداية قضية معينة يحاول اثبات صحتها او عدم صحتهابطريقة التحقق العلمي . ويصبح هذا التتبع السردي نفسه خاويا من اية دلالة نظرية ، او نضالية ، اذا لم يوضع في سياق اوسع ، بحيث نراه ـ ونفهمه ـ على خلفية من التطورات العالمية . ويصدق ذلك بشكل خاص حين تكون المحاولة القائمة هي رصد التطورات على مساحة زمنية عريضة ، هي خمس عشرة سنة من بداية انطلاق الحركة التنظيمية للثورة الفلسطينية ، الى وقتنا الحاضر .

اما الفرضية التي نحاول اثباتها ، من وراء تتبع تطور التحالفات والمجابهات مع الثورة الفلسطينية ، فهي ان هذه الثورة استطاعت ان تنمي ـ لا أن تحافظ فقط على ـ حجم حريتها خلال التعامل مع عناصر التأييد وعناصر الصدام على السواء .. اي خلال التحالفات والمجابهات ، وفي ظل ظروف بالغة التعقيد والصعوبة ، لا نبالغ اذا قلنا انها لم تواجه حركة

ثورية من قبل ، او على اقل تقدير لم تواجه حركة ثورية معاصرة ومتزامنة مع حركة الثورة الفلسطينية(*) . ولا نعني بهذه الفرضية مجرد تعاظم التأييد الدولي الذي تحظى به الثورة الفلسطينية ونقطة الصفر — او فوقها قليلا — التي بدأت منها الى الوضع الحالي الذي يفوق فيه عدد الدول التي تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية عدد الدول التي تعترف بعدوها اسرائيل . انما نعني احتفاظ الثورة الفلسطينية — في الوقت نفسه — باهدافها الاستراتيجية الثابتة . الامر الذي يدل بذاته على اجادتها ادارة صراعها على الساحة الدولية ونجاحها في تغليب التأييد غير المشروط على التأييد الذي يسحب من حساب حريتها وشروطها ، وتغليب عناصر التأييد عموما على عناصر الصدام .

وكما ذكرنا فان هذه الفرضية لا يمكن عزلها عن السياق العالمي الذي تمت او تتم فيه . فقد تحقق للثورة الفلسطينية هذا القدر من النجاح في التفاعل ايجابيا، ولمصلحة اهدافها التحررية والثورية، مع قوى التحالف وقوى المجابهة في وسط عالمي مؤلف — بلا استثناء تقريبا — من دول قومية، وله نمط دقيق ومعقد من التحالفات ، وله نظام اشد تعقيدا من القيم (الفكرية — الاخلاقية .. ذات الانعكاسات السياسية الأكيدة) المبنية على مزيج من المصالح الذاتية (لكل دولة قومية على حدة ، ولكل مجموعة تحالفات) والانتهازية السياسية. وهو مزيج يصعب من خلاله فرز مبادىء ثابتة في العلاقات الدولية ومواقف الأطراف المختلفة فيها .

وبداية فان تجربة الثورة الفلسطينية — شأنها في هذا الشأن تجارب حركات التحرر والحركات الثورية الاخرى في العالم — تؤكد مدى صعوبة الحصول على الحد الضروري من « الاعتراف » بشرعية حركة او كيان لم يتحول بعد الى دولة — قومية ، وسط عالم مؤلف كله من دول — قومية واصطلح على بناء علاقاته وانماط تعاونه وتنافسه على اساس ان تكون كل الأطراف من الدول — القومية .

ففي هذا الاطار للعلاقات الدولية يتعين على حركة التحرر الوطني في سعيها نحو اهدافها ان تراعي عددا كبيرا من الاعتبارات الخاصة بمصالح وقيم المجتمع الدولي ، لأنها لا تستطيع الحصول على مركز لها ، بل تصبح مهددة بعزلة ساحقة اذا تصرفت على اساس ان قيمة العدل او الحق المجردة مقياس اوحد وكاف وواضح . ويصح هذا حتى في الحالات والاوقات التي تصل فيها حركة التحرر المعنية الى مستوى من القوة (القدرة العسكرية) يفوق بدرجة كبيرة مستوى قوة خصمها .

لكن — في الوقت نفسه — فان حركة التحرر الوطني تكون معرضة لفقد التأييد الدولي — بكافة درجاته من التحالف الى التشجيع الى الدعم المعنوي — اذا مالت في سلوكها السياسي الدولي الى البحث عن هذا التأييد بأي ثمن .. لأنها عندئذ تكشف عن ضعف ذاتي يتمثل في فقد حرية القرار .

(*) تعين علينا ان نوضح من البداية أننا لا نعتبر العلاقات الفلسطينية — العربية في أي من حالاتها او أوضاعها المتبانية عن قطر لقطر ومن حقبة لحقبة — من قبيل التحالفات ولا من قبيل المجابهات . وبهذا فان بحثها يدخل في غير هذا الاطار . ويقتصر هذا البحث على البعد الدولي لتحالفات ومجابهات الثورة الفلسطينية .

وهكذا فان التخطيط الامثل لخلق التوازن بين التأييد الدولي وحرية القرار يتطلب استخدام هذين الطرفين الى حدهما الأقصى الممكن معا في اطار الصراع الثوري او التحرري .
وتذهب فرضيتنا الاساسية في هذه الدراسة الى ان الثورة الفلسطينية استطاعت ان تخلق هذا التوازن الى حد يمكن مقارنته بالتوازن الذي خلقته الثورة الفيتنامية بين الحد الاقصى من التأييد الدولي الذي حصلت عليه والحد الاقصى من حرية القرار الذي احتفظت به ... ورغم اختلاف كبير في الظروف والملابسات .

في الوقت نفسه يطفو على السطح التصور المنطقي بأن الخطوط الرئيسية للتحالفات والمجابهات للثورة الفلسطينية هي بالضرورة الخطوط المعاكسة للخطوط الرئيسية للتحالفات والمجابهات الاسرائيلية خلال الفترة موضوع الدراسة . وهو تصور قابل للمناقشة ، ولكنه ليس صحيحا على اطلاقه .. انما يصح في بعض جوانبه فحسب .. وهي بشكل خاص الجوانب التي يتوفر فيها الوضوح القاطع من الاستقطاب في المواقف الخارجية للثورة الفلسطينية ... والمواقف الخارجية ازاء الثورة الفلسطينية . ويصح ـ بالتحديد ـ في الجانب من الصراع الذي تقف فيه الثورة الفلسطينية من جانب و « دولة اسرائيل » من جانب آخر ، في حين لا تبقى الصيغة بهذه البساطة بالنسبة للمجابهة ـ مثلا ـ بين الثورة الفلسطينية من ناحية والولايات المتحدة (بكل ما تحويه من فوارق وظلال وتباين بين القوى) من ناحية اخرى . كما لا تبقى الصيغة بهذه البساطة بالنسبة للتحالف بين الثورة الفلسطينية و ـ مثلا ـ الصين الشعبية (بكل ما طرأ خلال السنوات الماضية من تغيرات على التحالفات الدولية للصين الشعبية ومواقفها من الأحداث السياسية) .

هذا فيما يتعلق بالفرضية الاساسية المحددة من وراء تتبع الخطوط الرئيسية لتحالفات ومجابهات الثورة الفلسطينية .. اما السياق الاوسع الذي جرت فيه ، اي السياق العالمي الذي اثر في تلك التحالفات والمجابهات فيمكن رؤيته من اكثر من زاوية .

☐ زاوية صعود الثورة العالمية ، وازمة الرأسمالية العالمية وتأثيرات هذين التيارين على سلوك المعسكر الاشتراكي من ناحية ، وسلوك المعسكر الامبريالي من ناحية اخرى .

☐ زاوية التحول ـ بين عقدي الستينات والسبعينات ـ من عصر الحرب الباردة في العلاقات الدولية الى عصر الانفراج او الوفاق الدولي ، خاصة بين الدولتين الاكبر . الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة .

☐ زاوية التحول ـ بين بداية السبعينات ونهايتها ـ من نمط الثنائية القطبية الى التعددية القطبية .. من سيطرة العلاقات الثنائية بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة على المسرح الدولي ، الى اتساع التأثير ليشمل ـ الى جانب الدولتين الأكبر ـ كلا من اوروبا الغربية والصين واليابان ، والكتلة النفطية العربية .

والحقيقة ان الفترة منذ انبثاق الثورة الفلسطينية الى الآن ـ الخمسة عشر عاما التي تغطيها هذه الدراسة ـ قد شهدت كل هذه التحولات من جميع هذه الزوايا .. بل انها بدأت في العامين الاخيرين او الأعوام الثلاثة الأخيرة تشهد عودة « القطبية الثنائية » كنمط لتأثيرات

العلاقات الدولية ، مع انحسار موجة الانفراج الدولي نسبيا وفقدانها الزخم الذي تميزت به في النصف الاول من السبعينات . ويعني هذا ان الثورة الفلسطينية خلال هذه الحقبة قد عاصرت ، وبالاحرى عايشت وتفاعلت مع احداث وتطورات ذات اهمية قصوى ، اي أن لها صفة التحولات الدولية المهمة . وأبرز هذه الأحداث :

□ بداية اتساع نطاق الحرب الاميركية ضد فيتنام في منتصف الستينات وتصاعدها الرهيب في اواخر الستينات ، ومقدرة الثورة الفيتنامية على الصمود لهذا التصعيد ، ومقابلته بتصعيد العمل العسكري الثوري وتصعيد العمل السياسي الثوري سواء في مواجهة الدبلوماسية الاميركية او في مواجهة الرأي العام الاميركي نفسه وكسبه . ثم نهاية الدور العسكري الاميركي بتوقيع اتفاق السلام في فيتنام (باريس ، كانون الثاني ــ يناير ١٩٧٣) وانتحار النظام العميل في سايغون نهائيا وفتح الطريق امام تحقيق الهدف النهائي للثورة الفيتنامية ، وهو وحدة فيتنام (نيسان ــ ابريل ١٩٧٥) . وفتح الطريق في الوقت نفسه امام مرحلة جديدة في السياسة الخارجية الاميركية تحكمها « عقدة فيتنام » وتفرض عليها عدم التورط المباشر .

□ تصاعد خطورة النزاع السوفياتي ــ الصيني وانعكاسات ذلك على العملية الثورية العالمية، بما فيها حركات التحرر الوطني . ووصول النزاع الى حدود الصدام المسلح (اذار ــ مارس ١٩٦٩) ، ثم الى حدود ذهبت بعلاقات الاتحاد السوفياتي مع الغرب الى آفاق « الانفراج » وذهبت بعلاقات الصين مع الغرب الى حدود اعتبار الاتحاد السوفياتي « العدو الأول » .

□ أزمة النظام الاقتصادي العالمي (الغربي) التي دخلت مرحلة من الحدة، خاصة مع تدهور قيمة الدولار ، واشتداد حدة التنافس على الاسواق بين الدول الرأسمالية (الولايات المتحدة ــ اوروبا الغربية ــ اليابان) . ثم دخلت هذه الازمة مرحلة اعلى من الحدة خاصة مع بروز ازمة الطاقة ابتداء من آخر العام ١٩٧٣ .

□ تبلور نمط « الانفراج » (الوفاق) الدولي في صورة معاهدات واتفاقات محددة بين الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة (مثل معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية والتعاون في مجال الفضاء والطب والتجارة .. الخ) مع استمرار حدة الصراع الايديولوجي بين النظامين والكتلتين ، الامر الذي بقيت له انعكاسات اكيدة على الساحات السياسية الدولية ، وخاصة نتيجة استمرار انتهاج الاتحاد السوفياتي سياسة دعم حركات التحرر الوطني ، فيما اعتبرت الولايات المتحدة ان الكف عن تأييد هذه الحركات هو شرط اساسي من شروط « الوفاق » الدولي .

□ تحول ميزان القوة الاستراتيجية بين الدولتين الاكبر (والكتلتين الشرقية والغربية بالتالي) من حالة التفوق النووي ــ الاستراتيجي للولايات المتحدة الى حالة من الردع المتبادل أو « التكافؤ الامني »، وقد وجد هذا التحول تعبيره العملي في المعاهدة الاولى للحد من الاسلحة الاستراتيجية (١٩٧٢) ثم تأكد هذا التحول وتعمقت آثاره في المعاهدة الثانية (١٩٧٩) .

□ اصابة النظام الاميركي داخليا بهزة عنيفة لم يسبق لها مثيل في تاريخ الولايات المتحدة ، نتيجة لأحداث فضيحة « ووترغيت » ، التي جاءت مباشرة في اعقاب الخروج من

ورطة الحرب الاميركية في فيتنام ، وهي هزة أحدثت ازمة ثقة حادة في « الديمقراطية » الاميركية ،وزادت من وطأة عدم ثقة الرأي العام الاميركي بسياسات بلاده الداخلية والخارجية ، وهو ما يعرف حتى الآن باسم « أزمة الافتقار الى قيادة » . وهي بدورها احدى الأزمات التي أسهمت في تشكيل سياسة الولايات المتحدة ازاء قضايا العالم الخارجي .

فهل يمكن وضع حقبة كهـذه شهدت كل هذه الاحداث ــ التي لم نورد الا الرئيسي منها ودون الدخول في تفصيلات تاثيراتها على التطورات الدولية واتجاهاتها ــ في اطار محدد تحت وصف واحد ؟

الواقع ان الباحثين يتباينون كثيرا في وصف حقبة السنوات الخمس عشرة الماضية . بعضهم يعتبرها فترة اضطرابات وقلاقل،ويذهب بعضهم الى ان العالم تسوده الفوضى (كتعبير الزعيم الصيني الراحل ،ماوتسي تونغ في واحد من اواخر تصريحاته) . وبعضهم يعتبر ان هذه الحقبة ــ على العكس تماما من الرأي الاول ــ تتميز بتناقص عدد المشكلات السياسية الحادة ،وحتى تناقص حدتها واهميتها ، وتعاظم اهمية المشكلات الاقتصادية . وثمة رأي ثالث يرى في هذه الحقبة تميزها بأنها حقبة هيمنة الدولتين الكبريين على العلاقات الدولية ، وتضاؤل دور القوى الصغرى في العالم . وهذه الآراء كلها يجمع بينها قاسم مشترك هو تعميم صفة واحدة على حقبة تعددت اتجاهات الاحداث فيها وتباينت الى حد كبير . فهذه السنوات الخمس عشرة شهدت في بدايتها ، على سبيل المثال،تعاظم دور الولايات المتحدة بعد انحسار دور الامبراطوريات الاستعمارية القديمة (بريطانيا ، البرتغال ، فرنسا ، هولندا وبلجيكا)، وشهدت في ثلثها الاخير ــ عكس ذلك تماماً ــ بدايات انحسار الامبريالية الاميركية في مواقع عديدة من العالم . وهذه الحقبة نفسها شهدت في بدايتها نمو دور حركة عدم الانحياز وديناميكية هذه الحركة على المسرح العالمي ، وشهدت في اواخرها ضمور هذا الدور نسبيا نتيجة لاعتبارات كثيرة ، ربما كان على رأسها رحيل معظم القادة المؤسسين أو الرواد لفكرة عدم الانحياز وطموحاتها الأولية . وكمثال ثالث فان حقبة السنوات الخمس عشرة الماضية شهدت في بداياتها ذروة العداء الصيني ــ الاميركي وشهدت بعد ذلك عكس هذا النمط تماما في علاقات البلدين .

ولعل من الضروري ان نشير الى انه على الصعيد العربي ايضا شهدت هذه الحقبة ــ في منتصف الستينات ــ ذروة موقف الاستهانة بالعرب وكل ما هو عربي ، الامر الذي عكسه موقف « الرأي العام العالمي » من احداث الشرق الاوسط قبيل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ وازاء نتيجة هذه الحرب ، ثم شهدت ــ في منتصف السبعينات ــ ذروة الاهتمام بالعرب وكل ما هو عربي ، الامر الذي يعكسه في الوقت الحاضر موقف القطاعات المتباينة عن الرأي العام العالمي من قضية النفط والطاقة (مع تسليمنا بأن هذا الاهتمام نابع من المصالح الذاتية لتلك القطاعات وتصورها لكيفية الحفاظ على تلك المصالح باتخاذ موقف مع او ضد العرب) .

ولا شك ان اي حقبة من خمسة عشر عاما نقتطعها من نسيجها في التاريخ ــ خاصة اذا كانت في التاريخ المعاصر ــ يمكن ان تحتوي على مثل هذا القدر من اتساع رقعة التباين بين اتجاهات الاحداث . ومع ذلك فان حقبة السنوات الخمس عشرة الاخيرة تتميز ــ في تصورنا ــ

اكثر ما تتميز بالمواجهات العنيفة ، والتحالفات المتبدلة غير المستقرة . وهكذا فان تطور الخطوط الرئيسية للمجابهات والتحالفات التي خاضتها الثورة الفلسطينية خلال هذه الحقبة قد حكمته اساسا السمة التي ميزت الفترة . وبالتالي فان قياس مدى « ثبات » تحالفات الثورة الفلسطينية مع مدى « عنف » المجابهات التي خاضتها يكون هو المعيار الموضوعي للحكم على اقترابها من هدفها النهائي في الصراع على الساحة الدولية ، وهو هدف تحقيق الدولة ـ القومية المعترف بها دوليا كدولة فلسطين .

ومقياس مدى ثبات هذه التحالفات على الرغم من عنف المجابهات التي خاضتها الثورة الفلسطينية هو في الوقت ذاته مقياس نجاح الثورة الفلسطينية في تضييق « حدود القوة » التي تتمتع بها القوى الخارجية المعادية للثورة ، خاصة وقد اصبحت « حدود القوة » Limits to Power احد المقاييس الاساسية المستخدمة في النظريات السياسية الحديثة في تقييم قدرات القوى الدولية المختلفة على استخدام قوتها بمفهومها الخاص اي القوة العسكرية ،ومفهومها العام اي القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية ... الخ . وعلى سبيل المثال فان الثورة الفلسطينية كانت دائما في حالة مجابهة مع الامبريالية ، وصحيح ان الامبريالية الاميركية لم تستخدم قوتها العسكرية المباشرة ضد الثورة الفلسطينية من البداية ـ على نحو ما استخدمتها مثلا ضد الثورة الفيتنامية لسنوات طويلة ـ واستخدمتها بطريقة غير مباشرة ، عن طريق طرف ثالث غالبا ، الا ان حدود قوة الولايات المتحدة في المجابهة مع الثورة الفلسطينية تناقصت ـ أوضاقت ـ في العام ١٩٧٩ عما كانت عليه ـ مثلا ـ في العام ١٩٧٠ ، عندما وقعت صدامات الاردن العنيفة . وقتها وضعت الولايات المتحدة ثقلها الدولي وراء هدف تحطيم قوة الثورة الفلسطينية في القواعد الاساسية لوجودها . وتحركت لهذا الغرض عسكريا عن طريق اطراف تابعة ، وتحركت سياسيا حيث مارست الحد الاقصى من الضغط الدولي ضد الثورة الفلسطينية ، بل انها اعدت للتدخل العسكري المباشر قوة من ٢٠ الف اميركي وحركت قوة بحرية اضافية في البحر الابيض المتوسط لهذا الغرض[١] .

وهنا نلاحظ ان « حرية حركة » الامبريالية الاميركية ضد الثورة الفلسطينية لم تتناقص بسبب اعتبارات موضوعية عالمية او ذاتية اميركية فحسب ، انما ايضا لاعتبارات تتعلق بتجاوز الثورة الفلسطينية نفسها لتلك المحنة الخطيرة التي اصيبت فيها باضرار جسيمة مادية ومعنوية ، وخاصة فيما يتعلق بدروس العلاقات بين المنظمة والنظم العربية ، ودروس «حدود القوة »لدى القوى الدولية الاخرى في مواجهة الامبريالية الاميركية ، حيث تجمع المصادر المختلفة على ان الاتحاد السوفياتي لم يستطع ابان تلك الازمة ان يلعب دورا واضحا ومؤثرا للحد من حركة الولايات المتحدة ضد الثورة الفلسطينية (وضد سوريا) .

لا يعني هذا ان علاقة التحالف بين الولايات المتحدة واسرائيل قد ضاقت مع انحسار « حدود القوة » الاميركية في مواجهة الثورة الفلسطينية . بل الواقع ان الامبريالية الاميركية عوضت انحسار قدرتها على المواجهة المباشرة مع الثورة الفلسطينية بتوسيع نطاق قدرتها على التحالف المباشر مع اسرائيل . فنجد ان الوضع خلال سنة ١٩٧٣ـ ، التي شهد ربعها الاخير اندلاع الحرب العربية ـ الاسرائيلية الرابعة ، يشهد « احسن حالات العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل »[٢] . فقد « وصلت الولايات المتحدة واسرائيل الى المشاركة في الأهداف الاساسية لاتفاقية سلام والاستراتيجية الاساسية نفسها الخاصة بحرمان الدول العربية

المحاربة من استعادة اي من اراضيها المفقودة بأية وسيلة الا التحرك نحو السلام »[٣] . وذلك وفقا لتعبير استاذ علم سياسة اميركي ــ اسرائيلي .

ومع ذلك فانه بعد عام واحد (وبالتحديد في ٢٩ تشرين الاول ــ اكتوبر ١٩٧٤ ، اي في اليوم نفسه الذي اعلنت فيه قرارات مؤتمر القمة العربي في الرباط) وبصدد ما تضمنته هذه القرارات عن المكانة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية، اعلن الرئيس الاميركي (آنذاك) جيرالد فورد في مؤتمر صحفي رسمي . « ان قرار الدول العربية بمنح منظمة التحرير الفلسطينية الحق في التفاوض بشأن الضفة الغربية هو قرار لا نعرف بالتأكيد مدى تأثيره في الدور الذي نلعبه في الشرق الاوسط ... نحن نشعر ، طبعا ، انه لا بد من حدوث تحرك نحو تسوية المشكلات بين مصر واسرائيل من جهة ، وبين اسرائيل والاردن او منظمة التحرير الفلسطينية من جهة ثانية ، وبين اسرائيل وسوريا من جهة ثالثة »[٤] . وفي الشهر التالي مباشرة قال جوزيف سيسكو نائب وزير الخارجية الاميركي (١٨ تشرين الثاني ــ نوفمبر ١٩٧٤) « نحن نعتبر منظمة التحرير الفلسطينية هي بمثابة المنظمة ــ المظلة التي ينضوي الفلسطينيون تحت كنفها ، ونرى كذلك ان انجاز اي سلام دائم يتطلب اخذ مصالح الفلسطينيين المشروعة بعين الاعتبار » .[٥]

وعندما عقدت ندوة « معهد بروكنغز » حول السياسة الاميركية في الشرق الاوسط في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٥ (اي بعد عام آخر من الموقف السابق) ووضعت تقريرا شهيرا اعتبر منذ ذلك الوقت الوثيقة الرئيسية التي تستند اليها سياسة ادارة الرئيس كارتر ازاء الشرق الاوسط ، كان من الواضح ان مجموعة المشاركين في الندوة وواضعي التقرير بشكل خاص(*) يشعرون بحضور الثورة الفلسطينية على الساحة في المنطقة والعالم (خاصة بعد خطاب ياسر عرفات في الأمم المتحدة في ١٩٧٤) امر لا يمكن تجاهله ، وبالاحرى لا يمكن مجابهته بالتجاهل . وكان مما قاله التقرير .

« ان معظم الفلسطينيين يؤمنون بحقهم في تقرير المصير . ومن اجل ان تنفذ تسوية السلام ، بل ومن اجل التفاوض حولها والاتفاق عليها ، يتوجب الاعتراف بهذا الحق مبدئيا ثم ــ وكجزء من التسوية ان ينفذ عمليا .

« وكائنا من كان الذي يمثل الفلسطينيين يتوجب عليه ان يعترف بالحق نفسه في تقرير المصير لاسرائيل والاردن ..

« ان تسوية كذلك لا يمكن ان تتحقق الا اذا قبلت اسرائيل مبدأ حق تقرير المصير للفلسطينيين ، وكذلك الوسائل المتفق عليها عموما في التنفيذ العملي لهذا المبدأ .

« ... يمكن القول بوثوق بان ايجاد حل للثقل الفلسطيني في النزاع يتطلب مشاركة من جانب ممثلين فلسطينيين مقبولين ويكونون مستعدين للقبول بوجود اسرائيل . »

نقصد من ايراد هذه النماذج ان نبرهن على انه حتى في مرحلة تعد من اكثر مراحل العلاقات الاميركية ــ الاسرائيلية تحالفا ومشاركة، لم يكن ذلك بالضرورة وبطريقة تلقائية الغاء لحدود قدرة الولايات المتحدة في مواجهة الثورة الفلسطينية .ويكمن السبب الرئيسي في اضطرار

(*) شارك في الندوة عدد من الخبراء الاكاديميين والدبلوماسيين السابقين والمعنيين بالقضايا العامة ، وكان بينهم زبغنيو برجنسكي الذي اصبح بعد وقت قصير مستشارا للرئيس الاميركي كارتر لشؤون الامن القومي .

الولايات المتحدة لان « ترى » منظمة التحرير الفلسطينية ، وان تضعها في حساب علاقات القوى في الشرق الاوسط ، في حجم نشاط المنظمة الثوري والسياسي معا ، حتى وان كان بعض الدارسين الاميركيين يرون انه يكمن فقط في قدرتها على « الصمود » للمجابهات العديدة التي خاضتها ، وليس قدرتها على « النمو » . ومن خلال هذا اصبحت الولايات المتحدة ــ الطرف الرئيسي والأكبر في نظام تحالفات العدو (اسرائيل) ــ مدركة لحقيقة انها لا تستطيع ان تتعامل عربيا دون ان يكون العامل الفلسطيني اساسا في ذلك التعامل . ولعل الاقرب للمنطق ان يقال ان السنوات الاخيرة في تطور مجابهات وتحالفات الثورة الفلسطينية قد جعلت الولايات المتحدة تتحول من المعادلة القائلة بان ما يقبله العرب يقبله الفلسطينيون تلقائيا وبالضرورة الى المعادلة القائلة بأن ما يقبله الفلسطينيون يحصل بالتالي على قبول العرب . وهو انتقال من تجاهل الثورة الفلسطينية او الرغبة في ازالة دورها او اذابته في ادوار مجموعة من النظم العربية ، الى ادراك وجود ودور الثورة الفلسطينية وفعلها في النسق العربي الواسع . ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي جعل محاولة الولايات المتحدة لمجابهة الثورة الفلسطينية تهتم بتفكيك النسق العربي المتكامل نسبيا حول القضية الفلسطينية، بالتعامل الافرادي مع دوله وخلق عداوات عربية ــ فلسطينية ، او الاستفادة الى اقصى حد ممكن من توترات عربية ــ فلسطينية مؤقتة بهدف توسيعها وتعميقها .

والواقــــع ان المجابهة بين الثورة الفلسطينية والولايات المتحدة اجبرت الاخيرة في المرحلة الراهنة على ان تبحث فيما تعتبره « الخطر الاستراتيجي والامني في الشرق الاوسط الذي يمكن ان ينشأ عن قيام دولة فلسطينية حتى مع وجود اسرائيل قوية ومتفوقة عسكريا »(٦). ويعني مجرد طرح هذه المسألة للمناقشة والبحث ان الولايات المتحدة ترى في قدرة المواجهة لدى الثورة الفلسطينية خطرا على نمط التركيب الحالي للمنطقة ، ليس فقط من زاوية امن اسرائيل ، انما من زاوية الامن الاستراتيجي الاقليمي الاميركي نفسه ، اي قدرة الولايات المتحدة على مواصلة حماية « مصالحها » في الشرق الاوسط في حال وصول الثورة الفلسطينية الى تحقيق هدف اقامة دولة على جزء من التراب الفلسطيني . ومن هذا المنطلق نفسه اصبح يمكن ان نجد مثل الوضع الذي تصفه هذه الفقرة من محاضرة لاستاذ جامعي فلسطيني ــ اميركي .

« صحيح ــ فيما اعتقد ــ انه لأول مرة منذ الاستعمار الصهيوني بدأت فلسطين تجتذب الاهتمام الغربي ، فهناك احساس واسع الانتشار كثيرا داخل المجتمع الاميركي بان الفلسطينيين موجودون كشعب وكمشكلة . وللمرة الأولى ايضا أصبح للشعب الفلسطيني تنظيم سياسي ممثلا له تمثيلا اصيلا، هو منظمة التحرير الفلسطينية ، ولهذه المنظمة قاعدة جماهيرية ، في كل مكان من المجتمع الفلسطيني ، وقد فرضت هذه المنظمة الاعتراف بالمشكلة الفلسطينية على العالم. ولم يحدث ابدا من قبل ان تحدث رئيس اميركي عن الحاجة الى وطن فلسطيني . ولم يحدث ابدا من قبل ان تحدث بطريقة مؤيدة لتقرير المصير الفلسطيني رجال بارزون من المؤسسة الحاكمة الاميركية مثل جورج بول وستانلي هوفمان. ولم يحدث ابدا من قبل ان تحدث مسؤولون كبار في الحكومة دون خلاف عن المكانة البارزة لمنظمة التحرير الفلسطينية ورئيسها وأهدافها »(٧) .

ولا يهمنا من دلالات هذا التغيير سوى ما يدل عليه من ان الثورة الفلسطينية لم تعد تدخل المجابهة مع الامبريالية الاميركية والاخيرة في حالة تجانس وتماسك تامين ، كما كان الحال في

السنوات العشر الاولى من الحقبة موضوع هذه الـدراسة ، اي السنوات العشر التي انتهت بحلول العام ١٩٧٥ . وهذه الدلالة ذاتها تنعكس في تطورات محددة جديدة اضافتها احداث العام الاخير من السبعينات ، وهي تطورات ناشئة مباشرة عن وضع الثورة الفلسطينية نفسها في موقف الهجوم على كافة الاصعدة في المواجهة مع الامبريالية الاميركية .. حتى داخل الولايات المتحدة . الامر الذي انعكس في كسب تأييد اسود للثورة الفلسطينية ، وكذلك تأييد جماعات اقلية اخرى (غير الاقلية اليهودية طبعا) مثل البورتوريكيين ، وانفتاح الساحة الاميركية على مناقشة طبيعة وحجم التأييد الذي تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل ليس فقط على ضوء مصالح اسرائيل انما ايضا على ضوء مصالح الولايات المتحدة ، ثم على ضوء مصالح الفلسطينيين والعرب عامة .

واهم ما تنطوي عليه هذه التطورات الأخيرة في المجابهة بين الثورة الفلسطينية والولايات المتحدة هو ان اسرائيل ـ ومعها اللوبي الصهيوني في « المؤسسات » الاميركية والجالية اليهودية في معظم تنظيماتها ـ لم تعد قادرة على فرض قاعدة من ليس مع اسرائيل فهو ضد اميركا .. وهي القاعدة التي سادت علاقة الولايات المتحدة باسرائيل منذ نشأتها تقريبا . بل ان هذه القاعدة نفسها اصبحت مصدر استفزاز لقطاعات واسعة من الرأي العام الاميركي . وقد امتد هذا حتى الى المؤسسة العسكرية الاميركية(*) .

هكذا فان الثورة الفلسطينية دون ان تغير من طبيعة وحدة مجابهتها مع العدو المباشر ـ اسرائيل ـ مارست تأثيرا كبيرا على التحالف الاسرائيلي ـ الاميركي الذي وصفه ناداف صفران بانه « نادر في تاريخ العلاقات الدولية ان كانت دولة عظمى متورطة بمثل هذه الكثافة ولمثل هذا الوقت الطويل مع دول صغيرة الى هذا الحد »(٨) .

واذا كان مثال المجابهة بين الثورة الفلسطينية والولايات المتحدة يصور كيفية الدخول في هذه المجابهة بهدف تحقيق تأثيرات محددة ومحدودة على تحالفات العدو الاساسية التي تلعب دورا عميقا في استقرار اوضاعه الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية . فانه لا يمكن نزع نجاح الثورة الفلسطينية في ادارة صراعها مع الامبريالية الاميركية ـ عن طريق ضرب حلقات ارتباطها بالعدو الاسرائيلي ـ عن السياق العالمي العام في السنوات الخمس عشرة الماضية . ذلك ان يقظة الرأي العام الاميركي على القضية الفلسطينية وعلى وجود منظمة التحرير الفلسطينية ودورها كحركة تحرير وطني جاء في سياق عام من اليقظة على حركات التحرر الوطني في العالم ككل نتيجة التجربة الاميركية المباشرة في المواجهة مع فيتنام ، حيث تحولت تلك التجربة المباشرة القاسية والطويلة الى الم موجع ومعاناة مست صميم المجتمع الاميركي(٩) .

ومن هنا لا بد ان يكون واضحا ان المجابهة العنيفة بين الثورة الفلسطينية من ناحية واسرائيل والولايات المتحدة من ناحية اخرى، هي المصدر الرئيسي لاي تحول جرى في اتجاهات الرأي العام الاميركي ايجابيا تجاه منظمة التحرير الفلسطينية وسلبيا تجاه العلاقة مع اسرائيل .

(*) كانت بدايات تاثر المؤسسة العسكرية المغالاة في اخذ مصالح اسرائيل وامنها في الاعتبار داخل المؤسسة العسكرية قد بدت فيما يعرف بحادثة الجنرال جورج براون الذي قال اثناء محاضرة له في جامعة ديوك الاميركية (١٠/١٠/١٩٧٤) ان اسرائيل تملك نفوذا مفرطا في الكونغرس ، خصوصا بالنسبة الى امور مثل امدادات احدث الاسلحة العسكرية كما ونوعا الامر الذي جلب عليه استنكارات رسمية وغير رسمية جارفة ، ولكنه خلق ايضا تيارا مضادا لهذه الاستنكارات ويؤكد ان ما قاله الجنرال براون يعبر عن مشاعر عدد كبير من الشعب الاميركي .

ومن هنا ايضا نستطيع ان ندرك كيف ان الخطوط الرئيسية المتقاطعة لتحالفات العدو ضد الثورة الفلسطينية لم تعد في حالة «الانتصار» التام التي كانت فيها، خاصة قبل بروز دور وفاعلية الثورة الفلسطينية . وقد اخذنا الولايات المتحدة كمثل حيث لا تزال علاقة التحالف قائمة وقوية ، ولكن التأثيرات الفاعلة في هذه العلاقة لا تزال تؤدي فعلها، ومن المؤكد انها ستستغرق وقتا طويلا قبل ان تدخل تحولا نوعيا على طبيعة العلاقة الاسرائيلية ــ الاميركية.

وينقلنا هذا الى مثل آخر مختلف كلية لكيفية تأثير الثورة الفلسطينية من خلال تحالفاتها ومجابهاتها في نظام تحالفات العدو ومجابهاته . وهذا المثل هو ايران .

بالنسبة لعلاقة الثورة الفلسطينية بايران نجد انفسنا امام تحول جذري ونوعي ــ اسهمت فيه الثورة الفلسطينية بدور مؤثر ومباشر ــ من حالة المجابهة الى حالة التحالف . والواقع ان ذلك قد تم فعلا من خلال علاقة تحالف وعلاقة مجابهة في ايران: تحالف مع القوى الثورية ، ومجابهة مع القوى الحاكمة التي كانت بدورها قد وضعت نفسها في علاقة تحالف مع عدو الثورة الفلسطينية . هـذا التحول لخصه مراسل اميركي حين قال .

« في شباط (فبراير) ١٩٧٩ جرى الترحيب بياسر عرفات ــ العدو الرئيسي للحكام الاسرائيليين ــ في طهران من جانب الثوريين الايرانيين بوصفه اول (رئيس دولة) اجنبي يزورهم وقد كانت المفارقة التاريخية واضحة . لقد عومل عرفات كبطل في البلد نفسه الذي امد اسرائيل بأكثر ما امدت به من نفط : البلد الذي شارك الاسرائيليون فيه بشكل خاص في تدريب (السافاك) البوليس السري للشاه : وحيث كان الاسرائيليون والايرانيون على السواء يتدربون على القاذفات المقاتلة الاميركية الصنع طراز فانتوم ف ــ ٤ . وقد اعلن عرفات ان آية الله الخميني قد اكد له ان ثورة ايران ستبقى ناقصة الى ان تنتصر الثورة الفلسطينية ... وهكذا اصبح لمنظمة التحرير الآن موقع بالقرب من قلب المستودع الرئيسي للنفط اللازم للغرب الصناعي في السعودية ودول الخليج الاخرى »(١٠) .

والواقع ان حرية قرار الثورة الفلسطينية فيما يتعلق باختيارها التحالف مع الثوريين في ايران ضد الشاه تؤكد اكثر من مجرد وضوح الرؤية بالنسبة لقدرة القوى الثورية على تحقيق الانتصار ، على الرغم من عدم توفر العناصر اللازمة لرؤية واضحة . وهذا ما لم يستطع ان يحسبه الشاه وحلفاؤه في الداخل ولا الولايات المتحدة ولا اسرائيل ولا الغرب كله ، وحتى ولا المشرق الاشتراكي ايضا . انه يؤكد مبدأية الاختيار الفلسطيني سواء بالنسبة لتحالفه مع الثوريين او بالنسبة لمجابهته مع الشاه .

فالامر المؤكد ان الشاه حرص لسنوات عديدة قبل سقوطه على الا يطلق تصريحات تحرج النظم العربية التي كانت تلتقي معه بعلاقات صداقة ومصالح . كما انه حرص على ابقاء علاقاته الاستراتيجية والاقتصادية والاستخباراتية مع اسرائيل في طي الكتمان، لا بل انه حاول في بعض الاحيان ان يسترضي الثورة الفلسطينية بتصريحات تخالف سياسة حكومته الفعلية ، وان يجعل من تصويت ايران في بعض الاحيان الى جانب القضية الفلسطينية في الأمم المتحدة ذريعة للتظاهر بانه مع القضية وليس ضدها .

ولكن الثورة الفلسطينية صنفت الشاه بوضوح قاطع كحليف استراتيجي لاسرائيل ، فكان من الطبيعي الدخول في تحالف مع الحركة الثورية المعادية له ، ودعمها بكافة الوسائل بما في ذلك تدريبها عسكريا. وهذا امر لم يكن خافيا على الشاه بالتأكيد، خاصة في الوقت الذي كان

يتظاهر فيه بالوقوف مع النظم العربية في صف واحد ازاء القضية الفلسطينية. والواقع ان الشاه كان يتبنى فيما يتعلق بمنظمة التحرير الفلسطينية موقفا اسرائيليا صرفا . وفي هذا الصدد يذكر المراسل الاميركي جون كولي (كان مراسلا لصحيفة « كريستيان ساينس موفيتور » الاميركية في الشرق الاوسط خلال الفترة من ١٩٦٥ الى عام ١٩٧٨) ان الشاه استخدم في حديث اجراه معه منذمدة، العبارة نفسها التي عبر بها موشي دايان بعد ذلك (في ١٣ شباط ـ فبراير ١٩٧٩) وهو وزير لخارجية اسرائيل عن موقف حكومته من منظمة التحرير : حيث قال « ان منظمة التحرير الفلسطينية ليست دولة ولكننا لا نستطيع ان ننكر مركزها او قدرها في النزاع » . وكان من رأي الشاه انه ينبغي ان « يعمل حساب للمدنيين ، للاجئين وليس للارهابيين او المنظمة الارهابية » .

في الشهر نفسه (شباط ١٩٧٩) الذي سقط فيه الشاه نهائيا وانتصرت الثورة في ايران ، وهو الشهر الذي سبق مباشرة توقيع « معاهدة السلام » بين مصر واسرائيل ، صرح عيزار وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلي ، اثناء زيارة قام بها وزير الدفاع الاميركي هارولد براون لاسرائيل ، بأنه حتى في الوقت الذي يجري فيه اخراج مصر من صف اعداء اسرائيل فانه يجري اضافة ايران اليه(١١) . وصرح الجنرال آهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية الاسرائيلية السابق ـ والذي يشغل الآن منصب مدير « معهد الدراسات الاستراتيجية » في تل أبيب ـ بأن « ايران لن ترسل جيشها او طائراتها طراز ف ـ ١٤ ضدنا غدا ، ولكن علينا في المدى البعيد ان نحسب الايرانيين كعضو في التحالف العربي الاسلامي المعادي لنا »(١٢) .

ولم يكن القادة العسكريون الايرانيون في ظل النظام الثوري الجديد ليخفوا ذلك . فقد اعلنوا صراحة انهم يعتبرون « ان ايران الآن هي في حالة مجابهة مع اسرائيل » .

نحن اذن بازاء موقع له اهميته ـ الاستراتيجية والاقتصادية خاصة ـ تحول من موقف مجابهة مع الثورة الفلسطينية الى موقع تحالف معها . وفي هذه الحالة فان تأثيرات هذا التحول الكامل ابعد اثرا بكثير من تأثيرات التحولات الجزئية والبطيئة والمعنوية التي تطرأ على بعض المواقف داخل الولايات المتحدة بازاء الثورة الفلسطينية. واهم اختلاف هنا هو انتقال رصيد اهمية ايران الاستراتيجية في المنطقة بالكامل من موقع التحالف مع اسرائيل الى موقع التحالف مع الثورة الفلسطينية ، دون المرور بمرحلة وسط ـ حيادية مثلا ـ الأمر الذي وجدت الامبريالية فيه انه يهدد بمجابهات عنيفة في منطقة الشرق الاوسط حول اسرائيل والنفط . وازاء هذا الوضع اصبحت المسألة الاساسية التي تواجه السياسة الامبريالية في المنطقة هي مسألة كيفية مواجهة التحالف الايراني ـ الفلسطيني والأوضاع الجديدة تماما التي خلقها ويخلقها هذا التحالف في الشرق الاوسط بوصفه « التيار الراديكالي الجديد » . وتجد الامبريالية الاميركية نفسها بازاء هذه الاوضاع الجديدة امام اختيار صعب بين الاصطدام بالتحالف الايراني ـ الفلسطيني بالقوة وبين العمل من أجل اضفاء طابع الاعتدال عليه عن طريق حلفاء لأميركا في المنطقة(١٣) .

الواقع انه بين مثال مجابهة الثورة الفلسطينية للولايات المتحدة والنتائج التي امكن للثورة تحقيقها خلال السنوات الخمس عشرة الماضية، ومثال مجابهة الثورة الفلسطينية للنظام الايراني السابق والتحول الكلي الذي خلق تحالفا بين الثورة والنظام الايراني الثوري توجد امثلة عديدة « وسط » ، خاصة بالنسبة للتحالفات . ذلك ان مجابهات الثورة الفلسطينية ولفترة

طويلة ستحتفظ بصفتها هذه كمجابهات نظرا لحدة التناقضات بينها وبين الأطراف المعادية لها . اما على صعيد التحالفات فقد اظهرت السنوات الخمس عشرة الماضية وجود امكانيات كبيرة لتعميق تحالفات قائمة ، ولتحويل علاقات صداقة عادية الى تحالفات استراتيجية .

ولعل المثل الاكثر بروزا على مثل هذا التحول هو العلاقات بين الثورة الفلسطينية والاتحاد السوفياتي . فقد بدأت هذه العلاقات — في بداية سنوات الثورة الفلسطينية — محاطة بقدر من الحذر الواضح من الجانب السوفياتي خشية « التطرف » و « روح المغامرة » ، ولكن تطورات السنوات الاخيرة جعلت هذه العلاقات تتحول الى تحالف استراتيجي يحتل مكانا بارزا في سياسة طرفيه . الفلسطيني والسوفياتي ، ويمارس تأثيرا عميقا على تطورات الاحداث في الشرق الاوسط والعالم . . وحتى فيما يتصل بأوضاع « الانفراج » الدولي وحركة الصراع بين الكتلة الامبريالية وجبهة الثورة العالمية التي يقف في صفها الاتحاد السوفياتي .

وقد كان لهذا التحول فعله ايضا بالنسبة لعلاقات الاتحاد السوفياتي مع اسرائيل . فقد كانت هذه العلاقات « طبيعية » بمقاييس عديدة وقت بزوغ الثورة الفلسطينية على الساحة . . . واليوم فان هذه « العلاقات » قد تحولت الى حالة مجابهة مباشرة .

لقد نجحت الثورة الفلسطينية في تطوير مجابهتها مع الامبريالية الاميركية بصورة تحدث تأثيراتها على التحالف الاميركي — الاسرائيلي ، وعلى وحدة الموقف الاميركي نفسه من الثورة الفلسطينية من ناحية ، ومن اسرائيل من ناحية اخرى .

وفي الوقت نفسه نجحت الثورة الفلسطينية في تطوير تحالفها مع الاتحاد السوفياتي (والكتلة الاشتراكية) بصورة حرمت اسرائيل تماما من اية علاقة معه ، وجعلت للثورة الفلسطينية سندا بمستوى احدى الدولتين الأكبر .

وباضافة هذين الشقين معا نرى محصلة تعكس تصاعد مركز الثورة الفلسطينية على الساحة الدولية ، وتصاعد قدراتها على استخدام تحالفاتها على افضل وجه ممكن في المجابهات الحتمية والاساسية مع اعدائها اسرائيل والصهيونية والامبريالية .

---

(١) انظر في هذا الصدد
Richard Nixon, *The Memoirs of Richard Nixon*. New York, 1978 Marvin and Bernard Kalb, *Kissinger*, New York, 1974; Henry Kissinger, *White House Years*, New York, 1979.

(٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية ١٩٧٢ ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٧٦ ، ص ٤٣٩ .

(3) Nadav Safran, *Isreal: The Enbuttled Ally*. Cambridge, 1978, p. 583.

(4) *International Herald Tribune*, Oct. 30, 1974.

(5) *Ibid.*, Nov. 19, 1974.

(6) Walid Khalidi, «A sovereign Palestinian State», *Foreign Affairs*, July 1978.

(7) Edward Said, *The Palestine Question and the American Context* Beirut I. P. S. Papers, 1979, pp 16-17.

(8) Safran, *op. cit.*, VII.

(9) Said; *op. cit.* p. 17,

(10) John Kooley «Iran the Palestinians, and The Gulf», *Foreign affairs* Summer 1979, p. 1017.

(11) *International Herald Tribune*, Feb. 21, 1979.

(12) *Christian Science Monitor*, Feb. 28, 1979.

(13) Kooley *op. cit.*, pp. 1032-33.

حنه شاهين

الموقف الاسرائيلي الرسمي من القضية الفلسطينية :

لا اعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني

انتهجت الصهيونية ، منذ نشأتها ، موقفا معاديا للشعب الفلسطيني ، تمثل ، عموما ، بتجاهل وجوده ، ومن ثم التنكر لحقوقه الوطنية . ولم يكن هذا الموقف الا الوجه الآخر لسعي الصهيونيين الى السيطرة على أرض فلسطين ، وهي ، في مفهومهم ، ليست الا جزءاً مما يسمى «أرض_ اسرائيل» . وانطلاقاً من هذا الموقف انحصر الهدف الصهيوني الرئيسي في العمل على اخلاء فلسطين من سكانها ، والسيطرة على اراضيهم وممتلكاتهم ، بهدف استغلالها في انشاء المستوطنات ، واستيعاب المهاجرين الجدد من الصهيونيين . فتهويد فلسطين ، وخلق الكيان الصهيوني فيها ، كانا من الأهداف الموجهة للنشاط الصهيوني منذ بدايته .

ومع قيامها ، استطاعت اسرائيل تحقيق بعض هذه الأهداف ، اذ تمكنت خلال حرب ١٩٤٨ من السيطرة على نحو ثلثي مساحة فلسطين ، وطرد معظم سكانها منها ، وتحويل من تبقى منهم إلى أقلية مضطهدة داخل وطنهم ، يعيشون في ظل نظام عسكري متشدد ، يقيد حريتهم في التنقل والتنظيم والتعبير ، ولم تكتف اسرائيل بالسيطرة على اراضي وممتلكات اللاجئين الفلسطينيين الذين نزحوا الى البلدان العربية المجاورة ، ومن ثم منح نفسها حق التصرف الكامل بها ، وانما نفذت أيضا عمليات مصادرات واسعة لأراضي السكان العرب في الداخل ، خصوصا في الجليل والنقب . وكان الهدف الاسرائيلي من ذلك تنفيذ الخطط الاستيطانية الواسعة ، ومن ثم تقويض أهم الاسس الاقتصادية التي يعتمد عليها هؤلاء السكان في معيشتهم ، وتحويلهم من مزارعين وملاكين الى طبقة من العمال المأجورين ، تسهيلا لاقتلاعهم من وطنهم .

ارتكزت السياسة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني ، بعد حرب ١٩٤٨ ، على مبدأين اساسيين ، استطاعت اسرائيل تبنيهما بحكم الواقع السياسي في ذلك الوقت . أولهما ، التنصل من مسؤوليتها تجاه ايجاد حل ملائم لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين ، زاعمة أنها غير مسؤولة عن قضية طردهم من البلد ، وانهم تركوه بمحض ارادتهم ، رغم ثبوت عدم صحة هذا الادعاء فيما بعد . ولذلك تمثل الموقف الاسرائيلي من قضية اللاجئين ، بوجوب استيعابهم داخل الدول

العربية التي لجأوا اليها ، « خصوصا وانها تملك الأراضي الشاسعة والموارد » ، وبالتالي فان قضيتهم هي محض انسانية ، وينبغي تسويتها في هذا النطاق .

أما الأساس الثاني الذي ارتكزت عليه السياسة الاسرائيلية تجاه الشعب الفلسطيني فهو التنكر لحقوقهم السياسية والقومية في أرض فلسطين . ويلاحظ أن هذا هو أحد المواقف الاستراتيجية الهامة في السياسة الاسرائيلية تجاه الفلسطينيين حتى الآن ، والذي يحظى بموافقة مختلف الكتل السياسة الكبيرة في اسرائيل . فالتنكر للحقوق قائم بفعل التناقض بين الاطماع الصهيونية في فلسطين ، وبين الأهداف القومية الطبيعية لحركة التحرر الفلسطينية .

لقد حاولت اسرائيل فرض سياستها هذه على الفلسطينيين على صعيدين رئيسيين : أولهما الصعيد العربي ، وذلك بواسطة تحييد الدول العربية ، وحملها على توقيع اتفاقات سلام معها . فبعد اقامتها بفترة قصيرة ، في سنة ١٩٤٩ ، تمكنت اسرائيل من حمل الدول العربية على توقيع اتفاقات الهدنة معها ، أملا في أن تكون هذه الاتفاقات مقدمة لمعاهدات سلام شاملة في المستقبل . أما الثاني فهو الصعيد الدولي ، وقد عملت اسرائيل داخل الأمم المتحدة ، وفي علاقاتها الدولية ، على طمس القضية الفلسطينية ، بتحويلها الى قضية لاجئين ينبغي توطينهم في الدول العربية كما ذكرنا . وقد ساعدها المناخ الدولي ، والتفكك العربي ، وغياب كيان فلسطيني وزعامة فلسطينية في ذلك الوقت ، أي خلال السنوات الأولى بعد قيامها ، على تحقيق هذا الهدف جزئيا . ومع أن اسرائيل استطاعت في تلك الفترة دفع القضية الفلسطينية عن المسرح الدولي وتحويلها إلى قضية لاجئين ، فانها لم تتمكن ، بالمقابل ، من تطوير اتفاقات الهدنة ، والالتفاف حول الفلسطينيين عن طريق تجاهلهم وحل مشاكلها مع العالم العربي بواسطة « المفاوضات المباشرة » . وقد بقي هذا الوضع قائماً حتى بداية تجدد انبعاث الكيان الفلسطيني ، مع قيام منظمة التحرير الفلسطينية في أواسط سنة ١٩٦٤ ، ثم انطلاقة الكفاح المسلح لحركة فتح بعد اشهر من ذلك ، في مطلع سنة ١٩٦٥ . ومع هذين الحدثين ، تبدأ مرحلة جديدة في السياسة الاسرائيلية تجاه فلسطين أرضا وشعبا .

الثورة المسلحة تجاوزت نظرية الامن الاسرائيلية

كان انشاء منظمة التحرير الفلسطينية في أواخر شهر أيار (مايو) ١٩٦٤ ، وليد تفاعلات عربية وفلسطينية بدأت منذ النكبة سنة ١٩٤٨ . فالفلسطينيون الذين فقدوا في الشتات مؤسساتهم السياسية ، ولم يحملوا الى المهاجر أحزابهم ومنظماتهم التي كانت قائمة في عهد الانتداب ــ رغم استمرار الهيئة العربية العليا لفلسطين التي كانت تطرح نفسها ممثلة شرعية للشعب الفلسطيني ، وحكومة عموم فلسطين التي انشأتها الهيئة ، والتي كانت تمثل فلسطين تمثيلا رمزيا في جامعة الدول العربية ــ تأثروا ، في البداية ، بتصاعد تيار القومية العربية ، مشاركين في نشاط الأحزاب والحركات القومية التي استقطبت اهتمامهم ، ووجدوا فيها الادوات الصالحة للعمل نحو تحقيق هدف تحرير فلسطين . فقد اندمجوا ، مثلا ، في الناصرية ، مبتعدين عن الانتظام في تيارات فلسطينية خاصة يمكن أن تبرز ويكون لها دور في الحياة السياسية العربية في ذلك الحين . فمسألة الكيان الفلسطيني كانت تتفاعل على الصعيد الشعبي ، متأثرة بهيمنة الافكار القومية ، خاصة في عهد الوحدة . وقد شهدت السنين التي اعقبت انفصال الوحدة ، ردة فعل معاكسة على الصعيد الفلسطيني ، تميزت بالانكفاء وبدء ظهور عدد كبير من المنظمات الفلسطينية . ولقد تمخضت هذه التفاعلات أخيراً على الساحة

العربية والفلسطينية ، كما ذكرنا ، عن ظهور م . ت .ف.وانطلاق الثورة المسلحة في منتصف الستينات ، أي أن المبادرة لهذه المرحلة الجديدة ، كانت فلسطينية في الأساس .

اعتبرت اسرائيل قيام م . ت . ف.جزءاً من التطورات التي ميزت العالم العربي في ذلك الوقت ، ابتداء من تشكيل القيادة العربية المشتركة وتسليح الجيوش العربية ، خصوصا في مصر،باسلحة سوفياتية، وحتى انشاء جيش التحرير الفلسطيني وبروز حركة فتح.الا أن قيام المنظمة لم « يزعج » اسرائيل كثيراً في البداية ، اذ اعتبرتها اداة في ايدي الدول العربية ، لا تستطيع أن تتحرك الا بموافقتها . وما دامت الدول العربية منقسمة على نفسها ، فان المنظمة لا تستطيع القيام بأي نشاط من شأنه المس بالمصالح الاسرائيلية . الا أن هذه النظرة بدأت تتغير مع تصاعد النشاط الفدائي ، لحركة فتح ، الأمر الذي استأثر باهتمام بالغ لدى المسؤولين في اسرائيل . فخلال السنة الأولى من الثورة المسلحة ، نفذ الفدائيون ، حسب اعتراف رئيس الوزراء الاسرائيلي آنذاك ، ليفي اشكول ، في الكنسيت في كانون الثاني (يناير) ١٩٦٧ ، نحو ٦٠ عملية فدائية داخل اسرائيل ، وهو ما اعتبرته السلطات الاسرائيلية بمثابة تصعيد خطير بعد سنوات من الهدوء سادت حدود اسرائيل مع الدول العربية ، منذ حرب السويس سنة ١٩٥٦ . وحذرت أوساط اسرائيلية من الاستخفاف بالنشاط الفدائي الذي تنفذه حركة فتح ، معلنة أن هذه الحركة أقيمت بموجب قرار سياسي وعسكري مركزي ، وفرض عليها ادارة حرب عصابات ضد اسرائيل ، كما حدث في الأيام الماضية التي سبقت حرب سيناء . لذا ، فقد تركز النقاش في اسرائيل ، في تلك الفترة ، خصوصا بين الكتل السياسية داخل الكنيست ، وفي وسائل الاعلام المختلفة ، على ضرورة اتباع سياسة حازمة تقضي على النشاط الفدائي في المهد ، قبل أن تتمكن حركة فتح من اقامة قواعد هجومية سهلة ، وتستوعب متطوعين في صفوفها . ولعل التخوف من تعاظم الثورة ، هو الذي أملى الطريقة العصبية التي تصرفت بها اسرائيل مع أول أسير من حركة فتح يقع في قبضتها ، واصدار حكم بالاعدام عليه من قبل محكمة عسكرية في اسرائيل . ورغم أن حكم الاعدام لم ينفذ ، الا أن النقاش خلال تلك الفترة داخل اسرائيل حول ضرورة حسم قضية النشاط الفدائي ، انما كان يعكس ، كما ذكرنا ، التخوف من اتساع الثورة المسلحة .

وانطلاقا من هذا التقدير ، كان رد الفعل الاسرائيلي عنيفا ، وتميز بالعمليات الانتقامية ضد تجمعات الفلسطينيين ، خصوصا في الأردن وسوريا . وأبرز تلك العمليات العدوان على قرية السموع في تشرين الثاني ١٩٦٦ ، الذي هدف ، حسب قول المسؤولين الاسرائيليين ، الى اطلاع السكان والجهات المسؤولة في الأردن ، على خطورة الموقف ، وان المقصود منها لم يكن تحذير الأردن ، الذي لم يكن قادراً في ذلك الوقت على منع النشاط الفدائي من أرضه ، وانما تحذير السكان الفلسطينيين في تلك المنطقة من الاستمرار في المشاركة في هذا النشاط ضد اسرائيل .

لقد نفذت عملية السموع في الوقت الذي كانت اسرائيل تصب فيه جام غضبها على سوريا ، محملة اياها مسؤولية تبني نشاط الفدائيين وتدريبهم ومدهم بالسلاح . فسوريا هي المسؤولة عن « المدرسة الثورية » ، وما تريده ــ حسب قول السلطات الاسرائيلية في ذلك الوقت ــ هو حرب عصابات ممتازة . لذلك كان خط التصعيد العسكري الاسرائيلي ضد سوريا

في ارتفاع مستمر في تلك الفترة ، حيث وصل الى ذروته في العدوان الشامل في حزيران ١٩٦٧

لم تؤد التغييرات التي طرأت على الصعيدين الفلسطيني والعربي ، خلال هذه الفترة ، التي بدأت مع قيام المنظمة سنة ١٩٦٤ ، واستمرت حتى عدوان ١٩٦٧ ، الى أي تغيير أساسي في الموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين ، الذي ازداد تصلبا مع تصاعد العمل الفدائي . فالفلسطينيون الذين كانوا ، وفق المفهوم الاسرائيلي ، مجموعات من اللاجئين ينبغي ايجاد حل « انساني » لهم في الدول العربية المجاورة ، تحولوا في هذه الفترة الى مصدر «للتخـريب» ، « الارهاب » ، وما شابه ذلك من أوصاف لا زالت تتردد حتى الآن داخل اسرائيل على الصعيدين الرسمي والشعبي . والحل الجديد الذي تبنته اسرائيل ، خلال هذه الفترة ، هو عمليات عسكرية انتقامية ضد تجمعاتهم ، بهدف تصفية جزء منهم واسكات الجزء الآخر .

إلا أنه رغم هذه السياسة الانتقامية التي كانت تنفذها اسرائيل ضد الفلسطينيين ، يبدو أنها كانت تعيش نوعاً من الارتباك ازاء ما يحدث في العالم العربي . فمع انعقاد مؤتمر القمة العربي الأول سنة ١٩٦٤ ، أيقنت اسرائيل أنها على عتبة صراع جديد مع الدول العربية ، تمثل في القرارات الصادرة عن ذلك المؤتمر ، وأهمها انشاء قيادة عربية مشتركة ، وتبلور مسألة الكيان الفلسطيني الذي لم يكن قائماً من قبل .

والمسألة الأخرى التي كانت تربك اسرائيل ، على ما يبدو ، هي عدم فعالية قوتها العسكرية في ردع العمليات الفدائية ، أو حتى ردع الدول العربية المساندة لهذه العمليات . فاسرائيل كانت تعزو الهدوء النسبي على حدودها ، منذ حرب سيناء وحتى سنة ١٩٦٤ ، الى التوازن بين قوتها العسكرية وبين القوات العربية ، وقد اعتبرت أن ما حدث منذ سنة ١٩٦٤ من تصعيد للنشاط الفدائي ضدها ، ليس سوى « تجاوز للتوازن الأمني والغاء نتائجـه الرادعة » . فأسلوب العمليات الانتقامية قد فشل أمام تصاعد نشاط الفدائيين الذين نفذوا منذ سنة ١٩٦٥ وحتى سنة ١٩٦٧ ، ١١٣ عملية في الأراضي الاسرائيلية ، اضافة الى عشرات من حوادث اطلاق النار على المزارعين الاسرائيليين . وليس عدوان حزيران ١٩٦٧ الا تحصيل حاصل لازدياد تصلب الموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين ، وفشل السياسة العسكرية الانتقامية في ردع الثورة المسلحة .

مخططات اسرائيلية جديدة ضد الفلسطينيين بعد عدوان ١٩٦٧

كان القضاء على النشاط الفدائي ، و« ابعاد الخطر عن المستعمرات الاسرائيلية » ، أحد العناوين الاساسية للعدوان الاسرائيلي في حرب حزيران ١٩٦٧ . وبالرغم من المعطيات الجديدة التي توفرت لاسرائيل بعد الحرب ، والتي تمثلت أساسا في السيطرة على كل الاراضي الفلسطينية وفق حدود الانتداب ، وعلى حوالى ١,٥ مليون فلسطيني ، أي نصف أبناء الشعب الفلسطيني تقريباً ، فقد انفجر العمل الفدائي في المناطق المحتلة ، وعلى حدود وقف اطلاق النار ، وداخل اسرائيل ، بعد مرور نحو شهرين على الاحتلال فقط ، وبشكل لم يعهده الاسرائيليون من قبل . وشهدت الفترة ١٩٦٧ ــ ١٩٧٠ عمليات فدائية يومية ، ومتواصلة ، ضد المستوطنات الاسرائيلية في غور الاردن ، التي كانت تعيش حرب استنزاف حقيقية ، وداخل المناطق المحتلة ، ثم في المدن الكبرى ، خصوصا في القدس وتل أبيب وحيفا ، مخلفة

الكثير من الاصابات بين صفوف الاسرائيليين .

إلا أن تصاعد النشاط الفدائي بعد الحرب ، وهو الأمر الذي لم تكن تتوقعه اسرائيل أبدا ، لم يؤد الى التأثير بأي شكل من الأشكال على سياستها ومخططاتها في تلك الفترة ، والمتمثلة في السعي نحو عقد صلح مع العرب ، معتبرة أن النشاط الفدائي ليس سوى عائق يجب القضاء عليه ، وظاهرة عابرة ناتجة عن انهزام الجيوش العربية ، ستزول بعد تحقيق السلام . لذلك عادت إلى اتباع سياسة العمليات الانتقامية بأسلوب جديد يتلاءم ومعطياتها الجديدة ، خصوصا العسكرية منها . وبموجب أسلوبها هذا ، نفذت عملياتها على صعيدين : الأول ، ضد التجمعات الفلسطينية خارج حدودها ، خصوصا في الأردن ، والثاني ، ضد السكان المتعاونين مع الفدائيين في المناطق المحتلة .

على الصعيد الاول، كانت العمليات الانتقامية التي نفذتها اسرائيل في الأردن من أبشع ما عرفه السكان الفلسطينيون في تاريخ هذه العمليات ، حيث قامت في أغلب الأحيان باستخدام سلاحها الجوي ، الذي لعب دورا هاما في حرب حزيران ١٩٦٧ ، لقصف القرى والمواقع التي كان الفدائيون يتمركزون فيها . وقد وصلت هذه العمليات الانتقامية الى ذروتها في معركة الكرامة ، في آذار ١٩٦٨ ، حيث استخدمت اسرائيل لأول مرة ، بعد الحرب ، قوات من المشاة والمدرعات والطيران ، وواجهت مقاومة كبيرة وفعالة كبدتها الكثير من الخسائر في الأرواح والمعدات . إن حقيقة انهزام اسرائيل في الكرامة ، رغم قوة النيران التي استخدمت ، قد جعلها تعيد حساباتها ازاء خطورة الوضع الناجم عن الحرب الفدائية ضدها . فللمرة الأولى بعد انتهاء الحرب بتسعة شهور ، أدرك الاسرائيليون حقيقة استمرار الحرب بينهم وبين العرب ، وانه ليس من حل قريب ، كما كانوا يتوقعون . وأمام الحملة التعبوية الواسعة ، والتأييد الكبير الذي حظيت به المقاومة في الأردن ، خصوصا بعد معركة الكرامة ، لم يجد وزير الدفاع الاسرائيلي في ذلك الوقت موشي دايان ، مبررا لسياسته الانتقامية ، سوى الاعلان عن أن العمليات الفدائية هي حرب تكلف اسرائيل الدماء ، وان معركة الكرامة كانت ضرورية ، لأنه ليس من سبيل سوى الرد، إذا كانت اسرائيل تريد الحفاظ على المواقع السياسية والعسكرية التي حققتها في حرب حزيران ، على حد قوله .

لجأت اسرائيل بعد معركة الكرامة الى اتباع المزيد من الاجراءات العسكرية ، اضافة الى العمليات الانتقامية التقليدية التي كانت تتمثل في غالبيتها في الغارات الجوية . فقد أقامت جدارا الكترونيا على حدود وقف اطلاق النار بينها وبين الاردن ، لمنع تسلل الفدائيين واكتشافهم قبل عبورهم الى المنطقة المحتلة ، كذلك بدأت تستخدم الطائرات المروحية في ملاحقة الفدائيين ، خصوصا في المناطق الجبلية ، وطورت جهاز مخابراتها العسكرية بما يتلاءم والوضع الجديد . وبالرغم من هذه الاجراءات ، فقد استمر تصاعد العمل الفدائي في جميع الأراضي الفلسطينية المحتلة ، كما ذكرنا ، الى درجة أدركت معها السلطات الاسرائيلية أن النشاط العسكري الاسرائيلي ضد الفدائيين في الأردن ، مهما كان كثيفا ، لا يمكنه ان يحقق هدفه الكامل في القضاء عليهم ، وان المطلوب هو تحرك الجيش الأردني ضدهم . لكن ، يبدو أن هذا المخطط قد تأجل تنفيذه حتى سنة ١٩٧٠ ، نظرا لاستمرار الملك حسين في ذلك الوقت ، في تمسكه بقرارات قمة الخرطوم حول عدم التفاوض وعقد الصلح مع اسرائيل . ونتيجة لذلك ، فان التهديد والعمليات الانتقامية الاسرائيلية لم تكن كافية لدفعه نحو تنفيذ مخطط التصفية ضد المقاومة .

على أية حال ، لقد كان وقوع الصدام داخل الأردن ، بين المقاومة والجيش الأردني سنة ١٩٧٠ ، مرتبطاً الى حد بعيد بالنشاط السياسي الدولي ، بصدد ايجاد حل لمشكلة الشرق الأوسط ، وهو ما حدث فعلا مع ظهور مشروع روجرز في صيف تلك السنة ، وقبوله من جانب كل من اسرائيل ومصر والأردن .

المصالح الاسرائيلية في المناطق المحتلة

لم يكن الموقف الاسرائيلي الرافض كليا لحركة المقاومة ، والداعي الى تصفيتها ، بمعزل عن سياسة اسرائيل داخل المناطق المحتلة ، وموقفها من الفلسطينيين بشكل عام ، وانما كان جزءاً منها . فسياسة الاحتلال « الليبرالية » التي تباهت السلطات الاسرائيلية باتباعها في المناطق المحتلة ، منذ سنة ١٩٦٧ والى اليوم ، تهدف في الأساس الى تأمين مصالح اسرائيل السياسية والأمنية والاقتصادية وفق مشاريعها ومخططاتها في تلك المناطق . وقبل التطرق الى ماهية هذه المصالح ، نذكر أولا أن سياسة الحكم العسكري التي فرضت على سكان المناطق المحتلة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، لم تكن تختلف في جوهرها عن تلك السياسة التي اتبعت تجاه العرب داخل اسرائيل منذ سنة ١٩٤٨ ، وانما كانت طبعة جديدة عنها ، جرى تنقيحها في ضوء التجربة التي اكتسبتها اسرائيل في معاملتها للسكان العرب ، خصوصا في منتصف الستينات . فتأمين المصالح السياسية والأمنية الاسرائيلية في المناطق المحتلة كان يقتضي ، أولا ، دفع السكان نحو المحافظة على الهدوء ، وعدم تأييد العمل الفدائي أو المشاركة فيه ، ثم منعهم من ممارسة اي نشاط سياسي . كانت كذلك تقتضي مصالح اسرائيل الاقتصادية استغلال المناطق كسوق لبضائعها ، والاستفادة من القوة العاملة في المناطق لدعم الاقتصاد الاسرائيلي ، الامر الذي تمثل بتدفق الاف العمال العرب من المناطق للعمل في اسرائيل .

لقد نفذت اسرائيل سياستها في المناطق المحتلة ، وفق ما يقتضيه الأمر الواقع ، وهي السياسة التي أملاها وزير الدفاع دايان في ذلك الحين ، وفحواها أنه ليست هنالك ضرورة ملحة لايجاد حل نهائي للمناطق ، خصوصا الضفة الغربية ، التي ينبغي الاحتفاظ بها وعدم تمكين الجيش الاردني من عبور نهر الاردن ، مع اقامة سلسلة من المواقع على امتداد القمم الوسطى في الجبال داخل المنطقة ، لتمكين الجيش الاسرائيلي من احكام سيطرته عليها . وانطلاقاً من مفهوم دايان هذا ، فان نهر الاردن هو « الحدود الآمنة » التي يجب أن يتمركز فيها جيش اسرائيل . وبالنسبة للسكان ـ وفق خط دايان ـ عليهم الاكتفاء بمؤسساتهم البلدية كاطار أعلى لنشاطهم العام ، كذلك عليهم ادارة شؤونهم المعيشية بأنفسهم من دون تدخل من جانب اسرائيل . اضافة الى ذلك ، يجب عدم عزلهم عن الضفة الشرقية وباقي البلدان العربية ، بل تشجيع اتصالهم معها بواسطة فتح الجسور على الاردن ، خصوصاً وأن هذه الجسور يمكن أن تكون منفذاً لاسرائيل نحو الاسواق العربية . وبالنسبة للجيش الاسرائيلي ، يجب أن يكون تواجده في المدن العربية قليلا قدر الامكان ، وعلى مكاتب الحكومة الاسرائيلية الاكتفاء بتقديم المساعدات المالية والتقنية والارشاد والتوجيه مع أدنى درجة من التدخل المباشر ، أي حكم المنطقة بصورة غير مباشرة .

اضافة الى ذلك ، فقد اتبعت اسرائيل اجراءات متشددة جداً ضد الفدائيين داخل المناطق المحتلة ، وضد السكان المتعاونين معهم ، تقوم على الاعتقالات ، وفرض العقوبات الجماعية ، ونسف البيوت ، وفرض حظر التجول على المدن والقرى الفلسطينية في الداخل ، أملا في أن تؤدي

هذه الاجراءات نحو دفع السكان الى عدم التعامل مع الفدائيين ، والتسليم بالوضع القائم . الا أن اسرائيل لم تنجح في ذلك ، إذ شهدت المناطق المحتلة موجات متصاعدة من العمل الفدائي ، خصوصاً في الضفة الغربية ، في الفترة ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ ، وبعد أحداث أيلول سنة ١٩٧٠ في الأردن ، انتقل النشاط الفدائي إلى قطاع غزة ، حيث واجهت اسرائيل حرب عصابات حقيقية ، دفعتها نحو استخدام أقصى اجراءات القمع والتصفية ضد الفدائيين والسكان المتعاونين معهم ، حتى استطاعت ، أخيراً ، السيطرة على الوضع في سنة ١٩٧٢ ، بعد مواجهات حامية تكبدت خلالها خسائر كبيرة . على أي حال ، يثبت استمرار النشاط الفدائي في المناطق المحتلة حتى الآن ، وما رافقه من قمع واعتقالات ومحاكمات أدت الى امتلاء السجون الاسرائيلية بآلاف من الفدائيين من بين السكان الفلسطينيين في الداخل ، فشل اسرائيل في فرض سياستها الأمنية في المناطق التي تهدف الى تسليم السكان بالأمر الواقع ، ثم القبول بالمشاريع والمخططات التي تقتضيها المصلحة الاسرائيلية .

كانت سياسة الأمر الواقع التي انتهجتها اسرائيل في الضفة الغربية تعبيراً عن الموقف الاسرائيلي المائع في تلك الفترة ، أي في عهد حكومة التكتل الوطني التي تم تشكيلها قبيل حرب ١٩٦٧ ، برئاسة ليفي اشكول، ومشاركة اليمين الاسرائيلي بزعامة مناحيم بيغن . وقد تمثل الخط السياسي الرسمي في تلك الفترة ، كما يتبين ، من تصريحات المسؤولين الاسرائيليين وقرارات الحكومة بعد الحرب ، في السعي نحو عقد صلح مع الدول العربية ، كما ذكرنا ، عن طريق « المفاوضات المباشرة » ، ومن خلال تجاهل كلي لحقوق الشعب الفلسطيني ، واعتبار قضيته قضية لاجئين يمكن أن تلقى حلا لها بعد تحقيق السلام ، من خلال التعاون بين دول المنطقة ، وبمساهمة دولية . كانت هذه هي الخطوط العريضة للسياسة الرسمية في اسرائيل في ذلك الوقت ، إلا أن الحكومة الاسرائيلية لم تستطع بلورتها الى خطة سياسية محددة ، نظراً للخلاف الذي كان قائما في وجهات النظر بين أعضائها الذين يمثلون تيارات مختلفة ، حول مصير المناطق المحتلة . ويبدو أن ادراك الزعماء الاسرائيليين ، آنذاك ، لعدم امكانية قبول العرب لطلباتهم ، قد جعلهم يتجنبون البحث في بلورة خطة سياسية محددة ، من شأنها ان تؤدي الى انقسام داخل الحكومة ، في الوقت الذي كانوا فيه بأمس الحاجة الى شبه وفاق داخلي بينهم ، في ظل النشاط الدولي الكثيف في مجلس الامن وخارجه ، للخروج بحل ما لمشكلة الشرق الاوسط .

ولعل موقفهم من مشروع القرار البريطاني ٢٤٢ ، لدى قبوله في مجلس الامن في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧ ، يعكس ارتباكهم السياسي في تلك الفترة ، على اعتبار أن هذا القرار لا يدعو الى الانسحاب من جميع المناطق المحتلة على حد زعمهم ، ولا يدين اسرائيل ، بل يتحدث عن اللاجئين فقط، وقد يعني ذلك اللاجئين الفلسطينيين و« اللاجئين » اليهود من الدول العربية ، في الوقت الذي يدعو فيه الى السلام بين اسرائيل والدول العربية ، وبالتالي فانه يتلاءم والمطالب الاسرائيلية غير المحددة في تلك الفترة . ومن هنا جاء اعلان اسرائيل في تلك الفترة ، على لسان وزير خارجيتها أبا ايبن ، من أن مهمة المندوب يارينغ ، لا تتعدى جمع الاطراف المتنازعة حول مائدة المفاوضات ، وان اسرائيل لا يمكنها أن تكشف أمام المندوب موقفها من الحدود ، لأن هذه المسألة يجب توضيحها خلال المفاوضات . على أي حال ، فان الموقف الوحيد المحدد الذي أعلنته اسرائيل في ذلك الوقت ، سواء أثناء المفاوضات مع يارينغ أو قبلها ، كان

قرارها بشأن ضم مدينة القدس نهائياً ، وجعل هذا القرار غير قابل للتعديل أو النقض حتى خلال المفاوضات المباشرة مع العرب .

وبالطبع ، انعكس موقف اسرائيل هذا على مخططاتها في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ارضا وسكانا . ففي الفترة ١٩٦٧ حتى ١٩٧٠ امتنعت الحكومة الاسرائيلية عن اتخاذ اي قرار محدد حول مصير المنطقتين ، رغم المشاريع ووجهات النظر المختلفة التي طرحت في ذلك الحين ، من جانب تيارات حزبية وسياسية مختلفة . ويمكننا ، من خلال قراءة مختلف الاراء والافكار المطروحة آنذاك ، ان نتبين الخطوط الرئيسية فيها . فالرأي الاول دعا الى اعادة معظم اجزاء الضفة الغربية الى الاردن ، مع احداث تعديلات في الحدود ، وقد تطور هذا الرأي ، فيما بعد ، الى مشروع كامل حول الضفة الغربية والمناطق المحتلة الاخرى ، طرحه وزير العمل في حكومة التكتل الوطني ، يغئال آلون ، وفحواه الابقاء على السيطرة العسكرية الاسرائيلية على الضفة الغربية (خصوصا على امتداد نهر الاردن) وقطاع غزة ، وابقاء تلك الاماكن مفتوحة امام الاستيطان اليهودي من ناحية ، مع تحويل صلاحيات ادارية للاردن بشأن الاماكن المأهولة في تلك المناطق من ناحية ثانية . وبذلك تحتفظ اسرائيل لنفسها بالمنافع التي يجرها الاحتلال لتلك المناطق ، بينما تعمل على تصدير المشكلات الناجمة عنه الى الاردن .

وتمثل الرأي الثاني في ضم الضفة الغربية وانشاء « دولة » محمية للفلسطينيين تابعة لاسرائيل ، تستطيع بواسطتها حل المشكلة الفلسطينية بواسطة اعادة توطين آلاف اللاجئين من سنة ١٩٤٨ ، خصوصا اولئك الذين يقطنون في قطاع غزة، مع تأمين فرض سيطرتها العسكرية والسياسية على المنطقة . ويلاحظ ان هذا الرأي الذي طرحه في البداية النائب موشي سنيه ، زعيم حزب « ماكي » ، قد حظي بتأييد واسع داخلّ اسرائيل في تلك الفترة ، خصوصا على الصعيد الشعبي .

اما دعاة الرأي الثالث ، المحسوبون على اليمين الاسرائيلي ، المشارك في الحكومة في ذلك الوقت ، فقد دعوا الى الاعلان عن ضم الضفة الغربية الى اسرائيل ، وفرض القانون الاسرائيلي عليها ، بهدف تجسيد « الحقوق التاريخية للشعب اليهودي » . ورغم عدم قبول رأيهم هذا داخل الحكومة ، فقد نجحوا في منعها من اقرار خط آخر مخالف ، سواء ذلك الذي تمثل في الحل الاردني ، اوفي قيام دولة تابعة . ومن هنا جاءت سياسة الامر الواقع التي فرضها دايان ، بمثابة حل وسط بين هذه الطروحات . على اية حال ، لم تكن سياسة دايان هذه التي طبقت في المناطق المحتلة ، بمثابة مشروع مبلور كمشروع الون مثلا ، او مشروع الحكم الذاتي حاليا ، وانما جاء تبنيها وتنفيذها وفق الظروف المناسبة لاسرائيل في ذلك الوقت ، سواء على الصعيد الداخلي او في المناطق المحتلة .

كذلك دفع الوضع السياسي الخارجي الذي كانت تعيشه اسرائيل في تلك الفترة ، نحو عدم اتخاذ الحكومة الاسرائيلية لأي قرار نهائي بشأن مستقبل المناطق المحتلة ، رغم ضغط الجناح اليميني داخل الحكومة ، وبالتالي ساهم هذا الامر في تنفيذ سياسة الامر الواقع ، خصوصا وان المستقبل النهائي للمناطق بموجبها بقي معلقا بانتظار تطبيق القرار ٢٤٢ ، الذي وافقت عليه اسرائيل وفق تفسيرها له .

في هذه الاثناء ، وعلى اثر فشل مفاوضات يارينغ ، وتصاعد حرب الاستنزاف على جبهة

قناة السويس بين اسرائيل ومصر ، تكاثفت الاتصالات الدولية داخل الامم المتحدة وخارجها ، وادت الى تقديم الادارة الاميركية في صيف ١٩٧٠ مشروعا خاصا بها ، هو مشروع روجرز ، الذي يشبه الى حد بعيد مشروع القرار ٢٤٢ ، خصوصا فيما يتعلق بالفلسطينيين ، واعتبار مشكلتهم مشكلة لاجئين ينبغي حلها في اطار السلام بين اسرائيل والدول العربية . على اية حال ، لقد كان القبول بمشروع روجرز احد الاحداث المهمة التي اثرت في اسرائيل وفي المنطقة ، لغير صالح القضية الفلسطينية .

فعلى الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، ادى القبول بالمشروع الى حل حكومة التكتل الوطني ، وخروج اليمين الممثل بحركة حيروت من ألحكومة . ويبدو ان حزب العمل الحاكم ، استفاد من هذه المسألة ، اذ توفرت له اخيرا فرصة إلتحرك نحو بلورة وبدء تنفيذ آرائه ومشاريعه ، خصوصا تلك المتعلقة بالاستيطان في المناطق المحتلة ، والموقف من الفلسطينيين . كذلك ساهم القبول الاسرائيلي بمشروع روجرز ، رغم التحفظ الذي ابداه البعض حتى داخل حزب العمل ، في تعميق التحالف والوفاق بين اسرائيل والولايات المتحدة ، الى درجة نجد معها رئيسة وزراء اسرائيل في ذلك الوقت ، غولده مئير ، تعلن من على منصة الكنيست في اواخر السبعين ، ان الحكومة الاميركية لا تعتقد ان على اسرائيل الدخول في المفاوضات مع العرب من موقف الضعف ، وانها تصر على حق اسرائيل في الحدود الآمنة ، ولا تقبل بالمطالب العربية حول الانسحاب الى حدود حزيران ١٩٦٧ ، كذلك فانها غير موافقة على المشروع العربي الخاص بحل مشكلة اللاجئيـن . لقد حقق هذا التماثل في المواقف بين اسرائيل والولايات المتحدة ، اضافة الى المكاسب السياسية ، الكثير من المكاسب على الصعيدين العسكري والاقتصادي ، مما تمثل في تزويد الجيش الاسرائيلي بأحدث انواع الاسلحة الاميركية ، وتدفق المساعدات الاقتصادية على اسرائيل . وفي ظل هذا الجو السياسي المريح لاسرائيل ، في تلك الفترة ، ازداد تصلبها ازاء الفلسطينيين ، خصوصا وان مخططاتها بشأن تصفية المقاومة في الاردن بدأت تأخذ طريقها نحو التنفيذ ، مع بدء الصدام الاردني ــ الفلسطيني في صيف ١٩٧٠ . وقد جاء تهديد اسرائيل بالتدخل ، بالتنسيق مع الولايات المتحدة ، في حال تعرض النظام الاردني الى خطر الانهيار ، دليلا قاطعا على تصميم اسرائيل والولايات المتحدة على الاستمرار في تنفيذ المؤامرة التصفوية ضد المقاومة ، على امل حل « مشكلة » النشاط الفدائي نهائيا ، والبدء في المفاوضات مع الدول العربية ، على اساس مشروع روجرز في ذلك الوقت . وقد تحقق فعلا ما كانت تصبو اليه اسرائيل ، اذ ان خروج المقاومة من الاردن قد اثلج صدرها ، وزاد من امعانها في تجاهل الفلسطينيين . الا ان النشاط الفدائي لم يضعف ، وسرعان ما راحت اسرائيل تضع الخطط الجديدة من اجل التعامل مع هذا النشاط على جبهة اخرى .

انتقال النشاط الفدائي الى الحدود اللبنانية ــ الفلسطينية

مع انتقال المقاومة الى لبنان ، انتقل النشاط الفدائي من الغور الى الحدود الشمالية لفلسطين ، حيث بدأت العمليات الفدائية المتواصلة ضد المستعمرات الاسرائيلية في المنطقة ، اضافة الى العمليات الخارجية التي كانت تنفذ ضد المصالح الاسرائيلية في الخارج . كذلك لم يؤد خروج المقاومة من الاردن الى تقليص النشاط الفدائي في المناطق المحتلة ، كما كانت تأمل اسرائيل ، وانما انتقلت بؤرة النشاط الى قطاع غزة ، كما ذكرنا ، حيث بدأت اسرائيل تواجه حرب استنزاف حقيقية ، اضطرتها اخيرا لاستخدام قوات عسكرية خاصة ، بقيادة اريئيل

شارون للتغلب عليها . ومع تصاعد النشاط الفدائي في المناطق المحتلة وعلى الحدود ، اخذ شعور التماثل مع منظمة التحرير يزداد قوة بين السكان في الارض المحتلة ، خصوصا وان اسرائيل بدأت تنفذ مخططاتها الاستيطانية والعسكرية على نطاق واسع .

خلاصة القول ان تصفية العمل الفدائي في الاردن لم توفر الراحة لاسرائيل ، كما كانت تأمل وتخطط ، وانما خلقت وضعا جديدا تمثل في انطلاقة قوية للنشاط الفدائي ، الى درجة اصبحت معها قضية محاربة الفدائيين الشغل الشاغل لاسرائيل على المستويين السياسي والعسكري . فالمهمة الاساسية لدى حكومة اسرائيل ، وجيشها ، ومخابراتها ، في تلك الفترة ، كانت تتمثل في وضع الخطط ، وجمع المعلومات حول الفدائيين ، واختراع الاساليب الجديدة للقضاء عليهم . وقد تمثلت تلك الخطط على الصعيد الداخلي ، اي في المناطق المحتلة ، في المواجهة والتصفية والاعتقالات والعقوبات الجماعية ، كما ذكرنا سابقا . اما على الصعيد الخارجي ، فقد عادت اسرائيل الى اسلوب تنفيذ العمليات الانتقامية الواسعة ضد المقاومة في جنوب لبنان ، على غرار ما كان يحدث في الاردن . اضافة الى ذلك بدأت تنفيذ مخطط تصفية زعماء المقاومة وممثليها في الخارج ، ذلك المخطط الذي وصل الى قمته مع اغتيال ثلاثة من ابرز قادة المقاومة في لبنان ، هـم الشهداء محمد يوسف النجار ، وكمال عدوان ، وكمال ناصر ، في نيسان ١٩٧٣ .

واستمر ، في هذه المرحلة ايضا، الموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين على ما كان عليه سابقا ، اي رفض الاعتراف بحقوقهم الوطنية وبحق منظمة التحرير الفلسطينية في تمثيلهم ، مع الاصرار على اعتبار مشكلتهم مشكلة لاجئين يمكن ايجاد حل لها بعد تحقيق السلام . اما التغيير الوحيد الذي حدث خلال هذه الفترة ، فيما يتعلق بالموقف الاسرائيلي الرسمي من الفلسطينيين ، ومن مستقبل الاراضي المحتلة ، فقد أتجه نحو الاسوأ ، وتمثل في ظهور نقاش قوي داخل كتلة المعراخ الحاكمة انذاك ، حول مخططات اسرائيل في المناطق المحتلة في المستقبل ، حيث تمخض اخيرا عن وثيقة مثلت القاسم المشترك لمواقف الكتل المختلفة في الحزب الحاكم ، قبيل الانتخابات في سنة ١٩٧٣ ، دعيت باسم « وثيقة غليلي » . ويلاحظ ان خط الثلاثي المتصلب والمسيطر داخل الحزب في تلك الفترة ، اي مئير ــ دايان ــ غليلي ، كان المميز لهذه الوثيقة ، التي تضمنت مبادىء اساسية بشأن السياسة الاسرائيلية في المناطق المحتلة . واستنادا الى ما ورد في هذه الوثيقة يمكن القول انها تعتبر بمثابة اعلان صريح عن نية حزب العمل في ضم المناطق المحتلة الى اسرائيل بصورة تدريجية ، بواسطة عدة طرق اهمها مشاريع اسكان اللاجئين في قطاع غزة ، و « تطوير » الضفة الغربية ، وتقوية روابطها بالاقتصاد الاسرائيلي ، ومنح تسهيلات للاستثمارات الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، وتنظيم عمل سكانها في اسرائيل ، مع الابقاء على جسور الاردن مفتوحة . كذلك دعت الوثيقة الى تسهيل عمليات شراء الاراضي في المناطق المحتلة من قبل الاسرائيليين ، ثم تجميع تلك المساحات لاقامة مستوطنات عليها . وفي نطاق تقوية الاستيطان اليهودي ، طالبت الوثيقة باقامة مركز استيطاني اقليمي في مشارف رفح ، جنوبي قطاع غزة ، واستمرار عمليات الاسكان اليهودية في مدينة القدس وضواحيها ، واقامة ميناء جنوبي غزة (يميت) ، ومركز صناعي في منطقتي طولكرم وقلقيلية في الضفة الغربية .

اما الحقوق الوحيدة ، التي تعترف بها هذه الوثيقة للسكان العرب ، فهي « مساعدتهم » في تنمية نشاطهم الذاتي في مجالات التعليم والديانة والخدمات ، وفي مجال تنمية « انماط ديمقراطية » في الحياة الاجتماعية والبلدية ، ثم العمل على تعيين اشخاص محليين في مناصب مدنية عالية .

لقد كانت النتيجة التي حققتها هذه الوثيقة على الصعيد الفلسطيني ، رغم اعادة النظر فيها بعد الحرب ، وتعديلها في برنامج خاص قبل الانتخابات ، هو زيادة توضيح موقف اسرائيل المتنكر لحقوق الفلسطينيين في المناطق المحتلة وخارجها ، وبالتالي تعاظم شعورهم المؤيد لحركة المقاومة بقيادة م . ت . ف. ورفضهم للمخططات الاسرائيلية والاردنية على السواء ، خصوصا وان مشروع المملكة المتحدة قد صادف طرحه من قبل الملك حسين ، في ذلك الوقت ، اي في ربيع ١٩٧٣ ، ذلك المشروع الذي علق عليه يغئال الون بقوله ، انه يعتبر نموذجا لحل عادل للمشكلة الفلسطينية ، وان تحفظ اسرائيل الوحيد عليه يدور حول المطالب الاقليمية الواردة فيه .

الموقف الاسرائيلي في ظل المكاسب الفلسطينية بعد حرب تشرين

كان لحرب تشرين ١٩٧٣ انعكاساتها على سياسات اسرائيل ومواقفها واوضاعها الداخلية والخارجية . فقد ادت نتائج الحرب على جميع المستويات ، من سياسية وعسكرية واقتصادية واجتماعية ، الى دفع اسرائيل نحو مرحلة من اعادة التقييم في سياستها ، بما يتلاءم والوضع الجديد . وما يهمنا هنا هو موقفها من الفلسطينيين بعد الحرب ، خصوصا وان مرحلة جديدة من الاتصالات الدولية والمفاوضات والتسويات الجزئية قد بدأت مع توقف القتال . وقد تمخض مجرى اعادة التقييم في السياسة الاسرائيلية عن شبه « شق » في الفكر الصهيوني تجاه الفلسطينيين ، تمثل في قيام حزب العمل الحاكم ، بعد مرور نحو شهرين فقط على نشوب الحرب ، باقرار برنامج انتخابي جديد ، اطلق عليه اسم « المبادىء الاربعة عشر » ، اعتبر بمثابة بديل لوثيقة غليلي ، او على الاقل تعديلا لها . والجديد في هذا البرنامج هو ذلك البند الذي يتحدث عن « الهوية الذاتية للعرب الفلسطينيين » ، التي يجب ان تجد تعبيرا عنها في دولة اردنية ـ فلسطينية مجاورة ، تعيش بعلاقات حسن جوار مع اسرائيل . هذا هو التغيير الطفيف الوحيد الذي برز في الموقف الاسرائيلي الرسمي بعد الحرب ، اي الاعتراف بوجود « هوية فلسطينية » ، مع اشراط ذلك بايجاد حل لها مع جهة غير فلسطينية . وبالطبع فان هذا الامر لم يعد بأية فائدة على الفلسطينيين ، خصوصا وانه جاء مقرونا بمطالب اقليمية وامنية تسمح باعادة سلطة الاردن الى المناطق المأهولة فقط في الضفة الغربية ، مع الاحتفاظ بالسيطرة الاسرائيلية العسكرية الكاملة على المنطقة ، واستمرار اقامة المستوطنات في الاماكن الاستراتيجية ، اية ما معناه تنفيذ مشروع الون بصيغة مطورة ومعدلة ، وفق الظروف السائدة . على اي حال ، فانه حتى مجرد الحديث في هذا البرنامج حول الحل الاقليمي الوسط ، ومؤتمرات سلام ،واقامة دولة اردنية ـ فلسطينية الى الشرق من اسرائيل تضم الاردن واجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، كان بمثابة « اعتدال » ، ولو مؤقت ، في الموقف الاسرائيلي ، فرضته نتائج الحرب ، وسقوط العديد من المقولات التي كانت تعتبر من المسلمات في الماضي . الا ان اسرائيل سرعان ما تجاوزت هذا « الاعتدال » البسيط ، لتعود الى موقفها

وسياستها السابقين ، خصوصا وان الاردن لم يقبل بمقترحاتها بشأن التسوية الاقليمية خلال الاتصالات السرية التي كانت قائمة بينه وبين اسرائيل ، منذ احتلال الضفة الغربية تقريبا ، في العام ١٩٦٧ ، وان طلباته تمثلت ، وفق تصريحات المسؤولين الاسرائيليين السابقين ، في استعادة الضفة بكاملها ، بما في ذلك القدس الشرقية .

ومع هذا الرفض الاردني ، وبعد عودة الهدوء تدريجيا الى المنطقة اثر توقف القتال ، وبدء المفاوضات الطويلة حول التسويات الجزئية على الجبهات المختلفة ، بدأ الموقف الاسرائيلي الجديد ، بعد الحرب ، يتضح اكثر فاكثر ، حيث تمثل في السعي نحو تحقيق اتفاق جزئي ، أو شبه شامل ، مع مصر ، قبل اية دولة عربية ، وذلك بهدف تحييدها ، ليتسنى لاسرائيل الانفراد بالجبهة الشرقية ، اي سوريا والاردن ولبنان ، والتصدي سياسيا وعسكريا لحركة المقاومة ، وهو ما تحقق فعلا في عهد ليكود .

كانت م . ت . ف. في هذه الاثناء تقود النضال الفلسطيني نحو مرحلة جديدة ، بواسطة مكاسب هامة حققتها على الصعيدين العربي والدولي . فعربيا ، تعتبر القرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي اتخذها مؤتمر القمة العربي السابع المنعقد في الرباط في اواخر تشرين الاول ١٩٧٤ ، من ابرز الانتصارات التي حققتها م . ت .ف. على الساحة العربية ، وتتويجا للجهود الطويلة والمضنية التي بذلها الشعب الفلسطيني ، منذ النكبة في العام ١٩٤٨ ، في سبيل تولي قضيته من اجل استعادة حقوقه . لقد اتخذ مؤتمر القمة في الرباط قرارين مهمين ، اولهما يدعو الى « تأكيد حق الشعب الفلسطيني في العودة الى وطنه وتقرير مصيره ، وتأكيد حق الشعب الفلسطيني في اقامة السلطة الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، على اية ارض فلسطينية يتم تحريرها ، وتقوم الدول العربية بمساعدة هذه السلطة عند قيامها في جميع المجالات ، وعلى جميع المستويات » . والقرار الثاني يعلن « التزام الدول العربية كلها بتحرير جميع الاراضي العربية المحتلة واستعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني ، وعدم قبول اية محاولة لتحقيق اي تسويات جزئية انطلاقا من القضية القومية ووحدتها » .

لقد جاءت قرارات الرباط في الوقت الذي حصلت فيه م . ت . ف. ايضا على اعتراف العديد من الدول الاسلامية والافريقية والاشتراكية بحقوق الشعب الفلسطيني ، والذي وصلت الى قمتها مع تصويت ١٠٥ دول من بين ال ١٣٨ دولة الاعضاء في الامم المتحدة ، في منتصف تشرين الاول ١٩٧٤ ، مؤيدة دعوة م . ت .ف. بصفتها ممثلة الشعب الفلسطيني ، للمشاركة في مناقشات الامم المتحدة حول القضية الفلسطينية . وبعد مرور شهر ونصف الشهر على هذا التاريخ ، صوتت الجمعية العمومية للامم المتحدة على قرارين تاريخيين ، الاول يتعلق بحقوق شعب فلسطين الثابتة التي لا يمكن التنازل عنها ، ويحددها على انها حق تقرير المصير وحق الاستقلال والسيادة وحق عودة الفلسطينيين الى ممتلكاتهم ومنازلهم التي شردوا منها ، وان احترام هذه الحقوق شرط اساسي لتسوية قضية فلسطين واقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط ، وان الشعب الفلسطيني طرف رئيسي لتحقيق مثل هذا السلام . ويطلب القرار ايضا من الامين العام للامم المتحدة الاتصال ب م . ت . ف . في جميع القضايا المتعلقة بفلسطين . اما القرار الثاني فيعطي منظمة التحرير الحق في ان تتمثل بمراقب دائم لدى الامم المتحدة .

وبذلك تكون القضية الفلسطينية قد عادت تطرح نفسها كبند مستقل على جدول اعمال الجمعية العمومية ، بعد ان طويت في الدورة السابعة المعقودة في سنة ١٩٥٢ ، حيث كانت تناقش منذ ذلك الوقت ، في اطار « الوضع في الشرق الاوسط » ، و « التقرير السنوي لمدير وكالة الاونروا » .

اثارت مكاسب م . ت .ف. في الامم المتحدة ، وفي مؤتمر القمة في الرباط ، موجة استياء عارمة في اسرائيل ، ودعوة نحو الالتفاف عليها ، والسعي نحو ابقائها حبرا على ورق . وكما لخص رئيس الوزراء الاسرائيلي آنذاك ، اسحاق رابين ، موقف حكومته من هذه القرارات ، فان اسرائيل لن تقبل ابدا ان تكون م . ت .ف. شريكة في المفاوضات معها ، وان ما يهمه شخصيا من هذه القرارات امران . اولا ، هل ان مصر مستعدة لمتابعة المفاوضات من اجل التقدم نحو التسوية ، اي هل تخطو مصر نحو تسوية منفردة ؛ وثانيا ، هل لدى الاردن توكيل لاجراء مفاوضات مع اسرائيل بشأن الضفة الغربية ، لان « من دون الاردن لا يوجد من تتفاوض اسرائيل معه بهذا الشأن في الشرق الاوسط » . ويبدو ان اسرائيل كانت تعلق في تلك الفترة امالا كبيرة على تسويات جزئية مع مصر والاردن ، وهذا يظهر من اعلان رابين واصراره بأن قرارات الرباط لا تلزم اسرائيل بتغيير سياستها ، وانها لا تشكل الكلمة الاخيرة بالنسبة لها ، ولا بالنسبة الى الاردن .

باختصار ، كانت النتيجة الرئيسية التي حققتها قرارات الامم المتحدة والرباط بشأن القضية الفلسطينية ، المزيد من التصلب في الموقف الرسمي الاسرائيلي ازاء الفلسطينيين بشكل عام ، وم . ت .ف. بشكل خاص ، وقد رفضت هذه القرارات بصورة قاطعة في بيانين صادرين عن الحكومة والكنيست . الا ان اسرائيل لم تكتف بالرفض ولم تبق مكتوفة اليدين ، بل حاولت الرد بما يتلاءم و« خطورة » هذه القرارات بالنسبة لها ، وذلك على الصعيدين السياسي والعسكري ، بالتخطيط والتنسيق مع الولايات المتحدة .

سياسيا ، بدأت اسرائيل تخطط وتعمل على خلق قيادة بديلة ل م . ت . ف . في المناطق المحتلة ، بهدف عرقلة تنفيذ مقررات الرباط ، اذ اعلن وزير خارجية اسرائيل حينذاك ، يغئال الون ، وجوب وضع خطة اسرائيلية لخلق ادارة ذاتية في الضفة الغربية ، وذلك « بعد ان تهدأ العاصفة التي اثارتها مقررات الرباط والامم المتحدة » . وكما هو معروف ، فقد قمعت السلطات الاسرائيلية خلال سنوات الاحتلال ، كل محاولة للتنظيم السياسي في المناطق المحتلة ، لذا فان الدور الذي رسمته اسرائيل « للادارة الذاتية » لا يتعدى الاهتمام بأدارة شؤون السكان « بهدف ان يعيشوا حياة افضل » ، والموافقة على الخطط السياسية والعسكرية الاسرائيلية في المناطق المحتلة ، وتبني موقف اسرائيل من الفلسطينيين بشكل عام ، خصوصا مبدأ حل قضيتهم مع الاردن . وبالفعل فقد تولت وزارة الدفاع الاسرائيلية مسألة الاتصالات مع زعماء الضفة الغربية بشأن تشكيل هذه القيادة ، الا ان هذه الاتصالات لم تسفر عن اية نتيجة ترضي اسرائيل ، اذ لقي مخطط القيادة البديلة رفضا تاما من قبل هؤلاء الزعماء . وقد تمثل مخطط وزارة الدفاع في تعيين موظفين عرب في مناصب ادارية في جهاز الحكم العسكري ، ثم اقامة هيئة مركزية تكون صلاحياتها اعلى من صلاحيات البلديات . لقد اعتقدت السلطات الاسرائيلية آنذاك انه بالامكان تحويل انظار سكان المناطق المحتلة عن

القضايا السياسية ، بواسطة التركيز على قضاياهم الاقتصادية والاجتماعية . الا ان هذا المخطط لم ينجح ابدا ، بالرغم من الجهود التي بذلتها الاوساط الاسرائيلية ، ولم يسفر الا عن موافقة السكان على اجراء انتخابات بلدية في المناطق المحتلة في ربيع ١٩٧٦ ، تلك الانتخابات التي اسفرت اخيرا عن فوز اكثرية من مؤيدي م . ت . ف.، الامر الذي اعتبرته اسرائيل فشلا لمخططها ، ولسياستها في المناطق المحتلة ، وهو ما بدأت تأسف عليه فيما بعد . على اية حال كانت النتيجة الاساسية لفوز مؤيدي م . ت . ف. في المناطق المحتلة في الانتخابات البلدية ، هو توقف اسرائيل عن التفكير في امكانية جذب سكانها وابعادهم عن طريق النضال الفلسطيني بقيادة منظمة التحرير ، وهو ما بدأ يتأكد لاسرائيل اكثر فأكثر من خلال الانتفاضات الجماهيرية والعمليات الفدائية التي تتكرر في المناطق المحتلة ومنها ، تأييدا ومشاركة في النضال الفلسطيني ، حتى باتت اسرائيل تعترف ان الوعي السياسي في المناطق المحتلة ، حتى بين طلبة المدارس ، قد وصل الى درجة لا مثيل لها .

واذا كانت اسرائيل قد خسرت معركتها ضد م . ت . ف. ومقررات الرباط والامم المتحدة ، في المناطق المحتلة ، فان مخططها حول اختراق هذه القرارات عربيا ، عن طريق الوصول الى تسويات جزئية مع بعض الدول العربية ، الامر الذي تحذره مقررات قمة الرباط ، قد لقي نجاحا كبيرا . وقد استطاعت اسرائيل بواسطة توقيع اتفاقية سيناء عام ١٩٧٥ مع مصر ، بجهود اميركية ، خرق مقررات الرباط على الجبهة الجنوبية وتحييد مصر، واحداث انشقاق كامل في العالم العربي . كذلك استطاعت بواسطة هذه الاتفاقية تحقيق مكسب مهم آخر في سياستها تجاه الفلسطينيين ، بواسطة التعهد الاميركي الذي قدمه كيسنجر لاسرائيل « لاقناعها » بالتوقيع على تلك الاتفاقية ، وهو التزام الولايات المتحدة بعدم الاعتراف او التفاوض مع م . ت . ف. ما لم تقبل بقرار مجلس الامن ٢٤٢ ، وبذلك تم تحييد المنظمة على الصعيد الاميركي الرسمي بصورة شبه كاملة . والى جانب ذلك حققت اسرائيل مكاسب اخرى كثيرة في اتفاقية سيناء ، نتيجة للتنازلات المصرية في الاساس ، كونت فيما بعد ارضية صالحة لتنازلات اخرى تفوقها حجما وخطورة ، سواء في اتفاقيات كامب ديفيد ، او في معاهدة السلام المنفردة بين مصر واسرائيل .

الدور الاسرائيلي ــ الاميركي في الحرب اللبنانية

كانت الحرب اللبنانية هي المحور الثاني الذي عملت عليه اسرائيل بهدف التصدي ل م.ت.ف. وتصفيتها بشريا ، وبالتالي الغاء اي دور لها على الصعيد السياسي في المنطقة في المستقبل . وقد جرى التخطيط لهذه المؤامرة بين اسرائيل والحكومة الاميركية في عهد الرئيس فورد ووزير خارجيته كسينجر ، وهي الحكومة التي كانت مهتمة جدا بتحقيق المزيد من التسويات الجزئية في المنطقة ، في نطاق سياسة الخطوة ــ خطوة ، التي تستبعد كل دور للفلسطينيين كشعب له حقوق وطنية . فوجود م . ت . ف. بالمكاسب السياسية التي حققتها على الصعيدين العربي والدولي ، ثم التهديد الامني الذي تمثله بالنسبة لاسرائيل ، لم يكن في نظر اسرائيل والولايات المتحدة وعملائها في المنطقة ، سوى حجر عثرة امام تحقيق مثل هذه التسويات . والقضاء على م . ت . ف. او حتى مجرد اضعافها في لبنان ، ربما سيفتح الخيارات امام الدول العربية ، خصوصا مصر والاردن ، لتحقيق المزيد من التسويات الجزئية ، وحتى

الوصول الى اتفاقات بشأن انهاء حالة الحرب مع اسرائيل ، الامر الذي كانت تطالب به الحكومة الاسرائيلية كحد ادنى للاتفاق مع العرب .

ولم تكن القوات الانعزالية في لبنان ، المؤيدة لهذا المخطط بطبيعة الحال ، سوى اداة للتنفيذ ، اي اداة محلية لضرب المقاومة تماما كما حدث في الاردن ، مع اختلاف المكان والظروف . الا ان هذا الامر لم يتحقق لاسرائيل والولايات المتحدة في بداية الحرب اللبنانية ، وحتى دخول القوات السورية ، حيث مال الوضع لغير صالح الانعزاليين رغم الامدادات الكثيرة من الاسلحة والمساعدات المختلفة التي كانت تصلهم من اسرائيل مباشرة . وقد شعرت اسرائيل بخطورة هذا الوضع في البداية ، فبدأت تهدد بالتدخل المباشر في لبنان ، وتنشر التوقعات المختلفة على لسان وزرائها ، حول ضراوة المراحل المقبلة في الحرب اللبنانية ، مما يشهد على استمرارها في الدفع نحو تنفيذ مخططها بصورة كاملة ، في الوقت الذي كانت فيه تستصرخ « ضمير العالم المسيحي » وسكوته على ذبح « اقلية مسيحية » في لبنان .

الا ان التهديدات الاسرائيلية بالتدخل في المرحلة الاولى من الحرب اللبنانية لم تكن سوى نوع من التضليل والتهويل ، فالحقيقة هي ان اسرائيل تركت تطورات الوضع في لبنان تأخذ مجراها ، دون تدخل من جانبها ، « طالما ان المعارك قائمة بين فريقين ، دون مساندة قوات اجنبية من الخارج » . ولكن اللهجة الاسرائيلية راحت تتغير مع بداية دخول الجيش السوري الى لبنان ، الذي اعتبرته اسرائيل خرقا للتوازن الامني القائم بينها وبين سوريا . وبدأ الغموض يكتنف الموقف الاسرائيلي ، وتكثفت الاتصالات بين الحكومتين الاسرائيلية والاميركية . ويبدو ان هذه الاتصالات اسفرت عن الزام اسرائيل بالسكوت ، طالما ان تطورات الامور في تلك الفترة على الساحة اللبنانية ، لم تكن في صالح الفريقين ، سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية . كما ان دور اسرائيل في الازمة اللبنانية يختلف من وجهة النظر الاميركية ، عن الدور الذي قامت به خلال احداث ايلول سنة ١٩٧٠ في الاردن ، فيما يتعلق بتدخل القوات السورية في كلتا الحالتين . وامام الضغط الاميركي على اسرائيل بعدم التدخل ، تراجع الموقف الاسرائيلي فيما يتعلق باحتمالات التدخل في لبنان في حدود « الخط الاحمر » ، الذي بدأت تروج له في تلك الفترة ، على انه لا يعني بالضرورة حدود نهر الليطاني في الجنوب ، وانما هو – حسب ادعاء وزير خارجيتها الون – مزيج من عدة عوامل كحجم التدخل السوري ، وحجم القوة العربية المرسلة الى لبنان ، ومدة بقائها ، وصورة التشكيل الجديد لمنظمة التحرير الفلسطينية بعد التوصل الى وقف اطلاق النار في لبنان .

كان الموقف الاسرائيلي – الاميركي يراهن كثيرا على المواجهة بين الجيش السوري والمقاومة الفلسطينية في لبنان ، سواء لجهة اضعاف الدور السياسي والعسكري لمنظمة التحرير ، أو لجهة استنزاف القوات السورية ، وتحويلها عن دورها الاساسي في التصدي لاسرائيل ، وتحرير الاراضي المحتلة ، اي تحقيق هدفين رئيسيين في السياسة الاسرائيلية والاميركية في آن واحد . وكما وصف رئيس الحكومة الاسرائيلية انذاك اسحاق رابين ، الوضع على الساحة اللبنانية في تلك الفترة واهداف اسرائيل من ورائها ، فان التوتر بين الجيش السوري والمقاومة الفلسطينية لن يؤدي في نظره سوى الى تعزيز قوة « العامل المسيحي » ، اي حليف اسرائيل على الساحة اللبنانية ، وتدفق المزيد من القوات السورية الى لبنان في الوقت الذي

كان فيه التوتر بين العراق وسوريا يصل الى ذروته . وكم كان رابين صريحا بقوله انه يفضل استمرار هذا الوضع ، اي ان يكون هنالك انقسام وتوتر في العالم العربي بدلا من تمركز « القوى الراديكالية » في مواجهة اسرائيل .

الا ان احلام رابين هذه سرعان ما بدأت تتلاشى مع انعقاد مؤتمر القمة السداسي في الرياض ، في منتصف تشرين الاول ١٩٧٦ ، والذي تلاه ايضا ، بعد مرور عشرة ايام تقريبا ، انعقاد مؤتمر القمة العربي الثامن في القاهرة ، وذلك للبحث عن تسوية للمشاكل الناجمة عن الحرب اللبنانية . وبالفعل ، فقد تم في المؤتمرين بحث الوضع في لبنان وضرورة الحفاظ على سيادته واستقلاله ، وتدعيم تضامن الشعبين اللبناني والفلسطيني . كذلك درس المجتمعون الوضع في الجنوب اللبناني ، والاعتداءات الاسرائيلية المتصاعدة هنالك ، واصرار اسرائيل على ممارسة سياستها العدوانية التوسعية في الاراضي العربية . وقرر المجتمعون التزامهم بالعمل على توفير الضمانات اللازمة لتثبيت وقف اطلاق النار في لبنان وانهاء الاقتتال بجميع صوره ، وعودة الحياة الطبيعية اليه ، وتعزيز قوات الردع العربية ودعمها ، كما اكدوا على ضرورة تنفيذ اتفاق القاهرة .

الا ان القرار الاهم الصادر عن مؤتمر القاهرة ، تمثل في اعادة تأكيد كون م . ت .ف. الممثل الشرعي الوحيد للفلسطينيين ، وان على جميع الدول العربية الاعضاء في جامعة الدول العربية دعم المنظمة وعدم التدخل في شؤونها . ومع صدور هذا القرار العربي الاجماعي ، الذي يعتبر بمثابة اعادة تأكيد لمقررات الرباط ، انهار المخطط الاسرائيلي ــ الاميركي في لبنان ، فتحولت انظار اسرائيل نحو جنوبه ، وما يمكنها ان تفعله في هذه المنطقة لمنع عودة القوات الفلسطينية اليها لمزاولة نشاطها ضد اسرائيل ، خصوصا وان هذه القوات اكتسبت خلال الحرب اللبنانية خبرة عسكرية جيدة . وعادت اسرائيل تلوح باحتمال تدخلها عسكريا في الجنوب لمنع عودة المقاومة ، الا ان تهديدها هذا لم يمنع تنفيذ مقررات مؤتمري الرياض والقاهرة ، والتزام المنظمة بها ، رغم ضغوطها العسكرية المباشرة، وغير المباشرة بواسطة الميليشيات المؤيدة في الجنوب ، والتي تتلقى منها كل دعم عسكري ومادي .

صعود اليمين الى الحكم

تزامنت هذه التطورات مع انتخاب كارتر رئيسا للولايات المتحدة ، وبدء مرحلة جديدة في السياسة الاميركية ، تتميز بالسعي نحو تسوية شاملة في منطقة الشرق الاوسط ، من خلال عقد مؤتمر جنيف . وعلى هذا الاساس تكثفت الاتصالات السياسية بين الاطراف المعنية ، حيث ظهر موضوع تمثيل الفلسطينيين في المؤتمر وكأنه العقبة الرئيسية امام عقده . ففي هذه الفترة بدا وكأن هناك تغييرا في السياسة الاميركية تجاه الفلسطينيين ، مع اعلان الرئيس كارتر في اذار ١٩٧٧ ، بأن اية تسوية للشرق الاوسط يجب ان تشتمل على وطن للفلسطينيين . وقد كرر كارتر خلال مناسبات مختلفة ، اعتراف ادارته « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » ، وبالحاجة الى « وطن » فلسطيني . وبأنه يجب ان يتمثل الفلسطينيون في جنيف . وبالطبع فقد اثارت هذه التصريحات غضب الاوساط الاسرائيلية الرسمية ، التي اعتبرتها بمثابة « انزلاق » خطير في السياسة الاميركية ، وان وراءها خطة اميركية لفرض تسوية في المنطقة ، الامر الذي دفع المسؤولين الاسرائيليين الى شن حملة عنيفة ضد سياسة كارتر ، والمطالبة بتعبئة الرأي

العام الاميركي والصهيوني في الولايات المتحدة للتصدي لها . لقد كانت ردة الفعل هذه على التصريحات الاميركية عنيفة جدا ، خصوصا وانها جاءت قبيل الانتخابات الاسرائيلية ، وفي الوقت الذي كان حزب العمل الحاكم يتعرض فيه للنقد الشديد بسبب فشل سياسته على الصعيدين الداخلي والخارجي .

على اية حال ، فقد استمرت التصريحات الاميركية بشأن الفلسطينيين ، وردود الفعل الاسرائيلية العنيفة عليها ، بين اخذ ورد حتى الانتخابات الاسرائيلية في ايار ١٩٧٧ ، التي اسفرت عن فوز كتلة ليكود اليمينية بزعامة مناحيم بيغن . ومع مجيء بيغن الى الحكم ، ازدادت حدة التصلب في الموقف الاسرائيلي من الفلسطينيين ، واتسعت الخلافات بين الحكومة الاسرائيلية الجديدة وبين الادارة الاميركية ، خصوصا حول موضوع التمثيل الفلسطيني في مؤتمر جنيف ، الامر الذي اعتبرته الولايات المتحدة ليس اكثر من مشكلة اجرائية تستوجب الحل ، اذ ان الاساس هو اشتراك فلسطينيين في المؤتمر ، لانهم « العنصر الاساسي » لاي حل في الشرق الاوسط . لذا فقد اقترحت الحكومة الاميركية عدة صيغ حلول لهذه المشكلة ، ابتداء من تشكيل وفد عربي موحد ، وانتهاء بتمثيل الفلسطينيين في الوفد الاردني ، اي دون تمثيل مستقل ، الا ان هذه الصيغ لم ترض اسرائيل ، نظرا لاعتبارها مسألة التمثيل الفلسطيني مسألة اساسية في موقفها من القضية الفلسطينية . واقصى ما وافقت عليه هو تمثيل الفلسطينيين بشرط الا يتم ذلك بوفد منفصل ، ولا بوصفهم ممثلي دولة تقام في المستقبل ، والا تمثل منظمة التحرير في المؤتمر بصفة مستقلة . وانطلاقا من ذلك اعلنت اسرائيل انها تفضل اشتراك وفود عربية منفصلة ، بينها وفد اردني يضم فلسطينيين بشرط الا يكونوا في اي حال من الاحوال اعضاء في م . ت . ف .

ولم تكتف اسرائيل بالطبع باعلان موقفها الرافض من المواقف الاميركية المتعلقة بالفلسطينيين وبمسألة تمثيلهم ، بل وجهت اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة الذي مارس اشد الضغوط على الادارة الاميركية ، كي تتراجع عن مواقفها ، خصوصا بعد صدور البيان الاميركي – السوفييتي المشترك في مطلع تشرين الاول سنة ١٩٧٧ ، والذي يعتبر موقفا اميركيا متطورا ، بالمقارنة مع المواقف السابقة ، اذ يؤكد ضرورة عقد مؤتمر جنيف على اسس جديدة ، ويشير الى ضرورة تمثيل الفلسطينيين فيه ، وضرورة البحث في حقوقهم المشروعة . الا انه بعد مرور ٦ ايام فقط على صدور هذا البيان ، تراجعت عنه واشنطن ، عبر ورقة عمل اميركية – اسرائيلية جديدة دعت الى عقد مؤتمر جنيف على اساس القرار ٢٤٢ ، موضحة ان البيان الاميركي – السوفييتي ليس شرطا مسبقا لاستئناف واستمرار اعمال هذا المؤتمر . وتضمنت ورقة العمل هذه ايضا انعقاد مؤتمر جنيف بجلسة افتتاحية يحضرها وفد عربي موحد ووفد اسرائيلي ، بعد ذلك ينقسم المؤتمر الى لجان جغرافية واخرى وظيفية . وضمن هذه اللجان ستكون هنالك لجنة جغرافية للضفة الغربية وقطاع غزة تضم مصر والاردن واسرائيل وفلسطينيين (دون سوريا) ، واخرى وظيفية للبحث في شؤون اللاجئين الفلسطينيين واليهود . واتفق الجانبان الاسرائيلي والاميركي في ورقة العمل هذه ايضا ، على ان يكون التمثيل الفلسطيني من قيادات في درجة ثانية او ثالثة من منظمة التحرير الفلسطينية ومعهم مندوبون من الضفة الغربية وقطاع غزة والاردن .

ومع صدور ورقة العمل هذه ، تراجع الموقف الاميركي الى ما كان عليه سابقا ، بينما ازداد الموقف الاسرائيلي تصلبا ، خصوصا فيما يتعلق بمستقبل المناطق المحتلة ، وحقوق الفلسطينيين ، واحتمالات التفاوض مع العرب . وفي ظل هذا التصلب ، وقبل ان تتضح ابعاد الموقف الاميركي بعد التراجعات التي سجلها لصالح اسرائيل ، وفي غضون اقل من اسبوعين على صدور ورقة العمل الاسرائيلية ــ الاميركية ، جاءت زيارة السادات الى القدس في اواسط تشرين الاول ١٩٧٧ ، تحمل تنازلات اكبر لصالح اسرائيل ، فاتحة بذلك مرحلة جديدة في الصراع العربي ــ الاسرائيلي .

« الحكم الذاتي » للفلسطينيين

ترتبت على زيارة السادات الى القدس نتائج هامة وخطيرة على صعيد مستقبل الصراع بين اسرائيل والعرب ، واهم هذه النتائج هو ان الزيارة بحد ذاتها كانت تعزيزا لمواقف اسرائيل الاستراتيجية الثابتة في هذا الصراع . فأحداث الانقسام في العالم العربي ، وتحقيق تسويات مع كل دولة عربية على حدة ، خصوصا مع مصر ، وما يترتب على ذلك من شل احدى الجبهات العربية الرئيسية ، اي الجبهة الجنوبية ، ليتسنى لاسرائيل الانفراد بالجبهة الشرقية سياسيا وعسكريا ، ثم عدم الاعتراف باية حقوق قومية للفلسطينيين انطلاقا من مبدأ التناقض القائم بين اعتراف كهذا وبين الاهداف الصهيونية في فلسطين .. جميع هذه الامور كانت ولا زالت من المواقف الاستراتيجية الثابتة في الموقف الاسرائيلي . واذا كان العالم العربي قد امتنع حتى الآن عن منح اسرائيل فرصة ملائمة لتجسيد هذه المواقف على ارض الواقع ، رغم الخلافات التي كانت تنتابه بين فترة واخرى ، فان السادات بزيارته للقدس ، قد وفر لاسرائيل افضل الفرص للبدء بتنفيذ سياستها هذه . وبعد مرور اقل من سنتين ونصف السنة على تلك الزيارة ، نستطيع القول الآن ان اسرائيل قد حققت معظم الاهداف التي كانت تتوخاها منها ، ابتداء من عزل مصر عن المشرق العربي وتحقيق صلح منفرد معها ، وحتى دفعها نحو الاعتراف باسرائيل صهيونية ، مع الابقاء على القضية الفلسطينية معلقة ، بانتظار استكمال المفاوضات حول مشروع اسرائيلي في اساسه ومنطلقاته .

فمشروع الحكم الذاتي ، الذي عرضه رئيس الحكومة بيغن لاول مرة على الرئيس السادات اثناء زيارته الى الاسكندرية ، ومن ثم طرحه على الكنيست في اواخر سنة ١٩٧٧ ، يرتكز في الاساس على اسس مبدئية لدى التوسعيين الاسرائيليين لا يمكن زحزحتهم عنها ، اهمها الاساس العقائدي الذي يقول ان الضفة الغربية هي جزء من « ارض ــ اسرائيل » ، لا يجوز التنازل عنها ، والحكم الذاتي في نظر بيغن وحكومته ، هو افضل السبل لضمان السيطرة الاسرائيلية الكاملة على المنطقة مستقبلا . وهناك ايضا الاساس الامني ، وبموجبه يعتبر بيغن ان السيطرة عسكريا واستيطانيا على الضفة الغربية وقطاع غزة ستوفر الامن لاسرائيل ، وتساعدها على الصمود في وجه جبهة عسكرية شرقية . اضافة الى هذين الاساسين ، هنالك ايضا الاساس العنصري ، الذي يعتبر اساسا مشتركا بين معظم المؤسسات الحزبية والسياسية في اسرائيل سواء كانت من المعارضة او الائتلاف الحكومي ، ويتمثل في رفض الحقوق القومية للفلسطينيين على اساس ان هذه الحقوق تتعارض ومبدأ وجود اسرائيل صهيونية . لذلك فان مشروع الحكم الذاتي لا يختلف عن المشاريع الاسرائيلية السابقة فيما

يتعلق بمسألة الاعتراف بالحقوق القومية للشعب الفلسطيني، فلا سيادة ولا قرارات مستقلة تتعلق بالامن والسياسات الخارجية ، وكل ما هو معروض في اطار الحكم الذاتي ليس سوى « اعطاء الفلسطينيين فرصة لادارة شؤونهم الخاصة بأنفسهم » ، مع بقاء السيطرة السياسية والعسكرية الاسرائيلية ، اي بانتوستان فلسطيني في المناطق المحتلة . هذه هي المنطلقات والاسس التي يقوم عليها مشروع الحكم الذاتي ، وهي نفسها التي توجه موقف الوفد الاسرائيلي في محادثات الحكم الذاتي الدائرة حاليا .

صحيح ان هذا المشروع مر في تعديلات اساسية في مؤتمر كامب ديفيد ، اهمها ما يتعلق « بالحكم الذاتي الكامل » الذي يجب ان يسري حسب التفسير الاميركي — المصري على السكان والمناطق التي يعيشون عليها ، وذلك خلافا لموقف اسرائيل التي لا زالت تتمسك به حتى الان ، من ان الحكم الذاتي يسري على السكان فقط. كذلك هناك تعديل اخر في اتفاقات كامب ديفيد يتحدث حول وجوب انتقال صلاحيات الحكم ، التي يحتفظ بها الحكم العسكري الاسرائيلي، الى سلطة الحكم الذاتي ، وهو البند الذي تدور حوله معظم الخلافات الاساسية في المفاوضات الحالية ، اي من سيكون مصدر الصلاحيات للمجلس الاداري . والتعديل الثالث في اتفاقات كامب ديفيد ، يتعلق بترتيبات الامن ، وضرورة تمركز القوات العسكرية الاسرائيلية في معسكرات ثابتة في الضفة الغربية وغزة . اما التعديل الرابع فيتعلق بمستقبل المناطق ، اي البدء بالبحث في وضعها النهائي ، بعد مضي ثلاث سنوات من بدء الحكم الذاتي . وبالطبع ، فان اسرائيل تصر على المطالبة بالسيادة على هذه المناطق ، وهو الهدف الاساسي من وراء مشروعها ، وليست مخططاتها الاستيطانية الواسعة ، وسياستها في جلب المزيد من الاسرائيليين للسكن في هذه المناطق ، سوى تعبير عن هدفها النهائي في فرض سيادتها عليها .

في ظل هذه المواقف الاسرائيلية المتصلبة ، فان الاعتراف الاسرائيلي « بالحقوق المشروعة » للشعب الفلسطيني ، كما ورد في اتفاقات كامب ديفيد ، لم يعد له معنى يذكر ، وليس من المعقول تعليق اية اهمية عليه حاضرا او مستقبلا ، وقبوله في كامب ديفيد انما يذكرنا بمسألة القبول « بالهوية القومية للفلسطينيين » في عهد غولده مئير ، بعد حرب تشرين ، فكلاهما ليس بينه وبين الموقف الاسرائيلي الرسمي من القضية الفلسطينية اية علاقة ، وانما فرضته عوامل خارجية ، سرعان ما يتلاشى تأثيرها مع زوالها . فمواقف الحكومة الاسرائيلية من مشروع الحكم الذاتي واضحة تماما دون اي غموض رغم تعديلات كامب ديفيد ، ويبدو ان بيغن غير مهتم ابدا بتعديلها ، لذلك فقد اختار احد زعماء الحزب الديني القومي ، المعروف بتعصبه الشديد ازاء مستقبل المناطق المحتلة ، لادارة مفاوضات الحكم الذاتي .

خاتمة

حقق النضال الفلسطيني ، خلال ١٥ عاما ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية مكاسب هامة على جميع الاصعدة ، رغم المؤامرات التي كانت تحاك وتنفذ لايقاف هذا النضال ، لكنه ما يزال في اول الطريق ليستكمل شروطه ، لأن اسس الموقف الاسرائيلي والصهيوني من الشعب الفلسطيني وقضيته لا زالت تقوم على رفض مبدأ منح هذا الشعب حقوقه القومية خصوصا حقه في تقرير مصيره . اما التغيرات التي طرأت حتى الآن على صعيد الموقف الاسرائيلي الرسمي فلا تعدو كونها عمليات تجميل او تلاعب بالالفاظ ، اضطرت اسرائيل اليها بفعل ضغوط واوضاع

دولية متغيرة . فتجاهل الفلسطينيين وحقوقهم هو سيد الموقف الرسمي في اسرائيل ، وليس تعامل اسرائيل مع سكان الارض المحتلة سوى نوع من التعامل الذي فرضه عليها الواقع ، في الوقت الذي تتجاهل فيه تماما الفلسطينيين في الخارج ، وتتجاهل ايضا اي تمثيل سياسي لهم ، وخصوصا م . ت . ف آملة في استمرار السيطرة على الارض الفلسطينية بكاملها .

يوسف اليوسف

تطور الشعر الفلسطيني المقاوم

اولا ـ مدخل

مما قد لا يكون بغير دلالة فصيحة ان تبزغ حركة شعر مباركة وغزيرة النتاج بين صفوف الفلسطينيين مع بزوغ الثورة الفلسطينية في اواسط العقد السابع من قرننا هذا . ولعل من شأن هذه الظاهرة ، هذا التآخذ بين نهوض المقاومة الوطنية المسلحة وبين نهوض الحركة الشعرية ، لعل من شأنه ان يدلل حقا على اصالة الثورة الفلسطينية وانبثاقها من ارواح الناس ، من صميم ارواحهم لا من سطحها . ففي الممكن القول بأن انعكاس ثورة ما في ادب أصيل وغني لهو أسطع برهان وأدل شاهد على صدق تلك الثورة في التعبير عن الضرورة التاريخية . فاذا ما تذكرنا أن حركة الشعر الفلسطيني كانت تتلكأ وراء حركة الشعر العربي مأخوذا كمجمل ، وذلك منذ مطلع القرن العشرين وحتى اواسط العقد السابع ، عرفنا مدى التبدل العميق الذي أحدثته الثورة الفلسطينية في البنية الثقافية للشعب الفلسطيني خلال فترة قصيرة من الزمن .

فمن الصادق تماما ان فلسطين لم تسهم اسهاما كبيرا في تقديم مثقفين كبار يرفدون حركة الثقافة العربية ، لا قبل النكبة ولا في السنوات العشرين التي تلتها . فلعلنا جميعا نعلم أن ذلك القطر الزراعي الصغير والقليل السكان لم ينتج أسماء على مستوى أحمد شوقي والأخطل الصغير وبدوي الجبل والعقاد والرافعي وطه حسين . ولكن الأمر ما لبث أن تبدل تبدلا عميقا منذ أواخر العقد السابع ، اذ أخذت أسماء بعض الفلسطينيين تتصدر قائمة المثقفين العرب ، أو هي تبرز بروزا ناصعا يلفت انتباه المراقب المحايد ، حتى لكأن روحا جديدة قد أخذت تدب في هذا الشعب وتدفعه الى الأمام بسرعة وتسارع لم يكن يتمتع بهما من قبل .

بيد أن من اللافت للنظر ، بل مما قد يثير مسألة اشكالية ، تأويلها ليس من اليسر في منتهاه ، ان جيل النكبة من الشعراء الفلسطينيين لم يملكوا مواكبة الحركة الشعرية العربية قط . فكلنا يعلم أن التحول الذي طرأ على الشعر العربي في أواخر العقد الخامس من هذا القرن ، والذي جاء نتيجة لأسباب متنوعة لعل الكارثة الفلسطينية ان تكون في نواتها ، هذا التحول الكيفي ، أو هذه القفزة النوعية قد تمت في العراق في مطلع أمرها . ولم يكتف شعراء النكبة

بالوقوف على مبعدة من هذه الحركة في ابان برهة الانعطاف نفسها ، بل هم ظلوا خارجها حتى بعدما احرز النصر المؤزر على القصيدة العمودية في غضون العقد السادس . وهكذا ظل أبو سلمى والبحيري وهارون هاشم رشيد ويوسف الخطيب يكتبون القصيدة الخليلية حتى يوم الناس هذا . ففي اواسط العقد السابع ، او عشية اعلان الثورة الفلسطينية ، يوم كان السياب ـ مفجر الشعر المعاصر ـ قد وافته المنية ، ويوم كان خليل حاوي ، أحد قادة المعاصرة ، قد صمت ، ويوم كان أدونيس ، استاذ الحداثة ، قد انتقل الى طوره الشعري المكتهل ، كان يوسف الخطيب ، ولعله شاعر النكبة الأبرز ، ما يني يكتب القصيدة الخطابية النازعة الى الايقاع المجلجل والصورة الحانقة الساخطة .

ناصع ، اذن ، أن شعراء النكبة ـ على خلاف شعراء المقاومة ـ قد تلكأوا وراء الحركة الشعرية العربية ، مع أن المراقب المحايد قد يتوقع أن يسهم الفلسطينيون بغزارة في تلك الانعطافة منذ برهة انبثاقها ، هذا اذا لم يتوقع ان تتم عى أيدي شعرائهم ، وذلك بحكم حدة الجرح والبعد المأسوي للنكبة . ولا يمكن القول بأن جبرا ابراهيم جبرا وتوفيق صايغ كانا من جيل السياب الريادي ، لانهما كليهما كانا يكتبان ما يسمى « قصيدة النثر » ، التي هي بكل توكيد شيء يختلف كثيرا أو قليلا عن الانجاز الشعري الذي بدأه شعراء العراق ، اذ قصيدة النثر ليست قصيدة التفعيلة ، بكل توكيد . وهذا فضلا عن ان هذين الشاعرين لم يكونا غير اسمين ثانويين في العقد السادس ، وربما في وائل العقد السابع .

فما سر هذا التلكؤ ؟ ما سر هذه الظاهرة ؟

ان علينا أن نلاحظ جملة من العوالم التاريخية لعلها ذات صلة بالمسألة . فأولا ، لم تكن المدن الفلسطينية قد نمت نموا كافيا قبل النكبة ، أقله اذا ما قورنت بمدن مصر والعراق وسوريا . وهذا يعني ، فيما يعني ، أن رؤوس الأموال الفلسطينية لم تكن قد تضخمت بعد . وأذا ما أضفنا الى ذلك غياب الاقطاع الكبير الذي ينمي طبقة ارستقراطية من شأنها ان تنضج الثقافة عبر تفرغ بعض ابنائها لها ، عرفنا أن حركة المعرفة ، وحركة التأليف والترجمة ، كان لا بد لهما من التلكؤ وراء حركة الثقافة في البلدان العربية الاخرى . وثانيا ، لم تكن ثمة جامعة فلسطينية قبل النكبة لتخرج الفئات العليا من المثقفين ، وهم الذين من بين صفوفهم يأتي المفكرون وكبار الكتاب في الغالب الأعم . أما ضآلة عدد السكان فلا يمكن أن تكون عاملا من العوامل التي اعاقت اسهام الفلسطينيين في قيادة الحركة الثقافية العربية قبل العقد السابع ، اذ لو كانت عاملا حقا لأعاقت اللبنانيين قبل سواهم ، فهم أقل عددا من أبناء فلسطين .

ومهما يكن الامر في صميم واقعه ، فقد شكلت حركة الشعر المقاوم برهة عارمة في حركة الشعر العربي المعاصر ، والاهم من ذلك أنها قد أتت اثر نكسة حزيران المشهورة ، لا لتعبر عن الظرف العربي الجديد برمته وكفى ، بل ـ وهذا هو الاهم ـ لتسد فراغا في حركة التعبير العربية قبل كل شيء ، أي لكيما تتدارك التراجع الذي بدا واضحا على الشعر العربي المعاصر ، تماما مثلما جاءت الثورة الفلسطينية المسلحة لتسد فراغا عربيا عاما في ارادة الاستجابة للتحديات التي ولدتها النكسة نفسها . فاثر هزيمة الجيوش نهضت المقاومة لتحتل آنة الصدام الدموي ضد الغزو العنجهي المتعجرف نتيجة للنصر السهل الذي جناه في حزيران . لكننا اذا

ما دققنا البصر فلسوف نجد أن حركة الشعر العربي نفسها كانت تتراجع هي الأخرى ، وذلك منذ ما قبل نكسة حزيران بقليل . السياب وافته المنية ، وأدونيس اكتهل بعد « كتاب التحولات » (١٩٦٢) ، وصمت الحاوي ، وانتقل يوسف الخال الى قصيدة النثر ، بل كاد يصمت ، ولم تملك حركة الشعر المنثور أن تقفز الى الطليعة ، وكثير من شعراء المعاصرة لم يملكوا ان يرسخوا اقدامهم في الحلبة ، فقد ظلوا شعراء ثانويين حتى اليوم . وبذلك أصبح الطريق ممهدا لظهور أي صوت أصيل التعبير . ولقد صاقب ان ظهر شعراء المقاومة بصوتهم المتفرد حقا ، بل والأبرز من ذلك أنهم ظهروا حاملين لنغمة حزن شفافة توائم جو النكسة المكلوم ، فكان من المحتم ان يتصدروا الموقف الشعري وان يملأوا ما فيه من فراغ .

ثانيا ـ الشعر المقاوم في طوره الجنيني

معلوم ان تيارا غنيا قد نشأ في الأدب العربي برمته اثر عام الكارثة سمي أدب النكبة ومعلوم كذلك أن شعراء النكبة من الفلسطينيين قد نشطوا النشاط الغزير لكيما يعبروا عن القضية الأولى للأمة العربية ، وأصدروا في العقد السادس مجموعات شعرية متمايزة القسمات وراسخة الهوية . وقد استطاع بعض هؤلاء الشعراء ، ولا سيما البحيري وابو سلمى ويوسف الخطيب وسلمى الخضرا الجيوسي ، أن يوصلوا صوتهم لا الى ابناء جلدتهم من اللاجئين وحسب ، بل الى قطاعات واسعة من المثقفين العرب في كل مكان تقريبا . ولم يتوقف الأمر عند الشعر بل تعداه الى الرواية والقصة القصيرة ، فظهرت اسماء هامة كغسان كنفاني وجبرا ابراهيم جبرا وسميرة عزام ، الشيء الذي مهد السبيل أمام الشعر المقاوم ، وذلك بتقديم انموذج يحتذى ويطمح الى تجاوزه في الوقت نفسه .

ولعل من الممكن القول ، لدى التدقيق المتأني والمحايد تماما ، بأن الشعر المقاوم كان يتدرب قبل نشوء الثورة ، بل والأكثر من ذلك انه كان يقلد التجربة الشعرية التي راحت تدفق بغزارة في العراق ومصر ولبنان . واذا ما آمنا بهذا المذهب وجب علينا ان نتساءل عن سر تخلف الشعر المقاوم نفسه وتلكوئه وراء حركة الشعر العربي المعاصر .

وأيا ما كان الشأن في جوهره فان شعراء المقاومة كانوا يقلدون كبار الشعراء العرب في مطلع أمرهم . ولقد استمر هذا التقليد واضحا في نتاجهم حتى نشر محمود درويش مجموعة « آخر الليل » في أعقاب نكسة حزيران التي تركت أعمق الأثر على الشاعر المقاوم . ومنذ ذلك الحين يمكن القول بأن الشاعر المقاوم قد أخذ يمتلك صوته الخاص وسمته الفريدة بكل ثقل . ولكن الشعر المقاوم كان قد أنجز ارهاصات جلي بالفرادة منذ أواسط العقد السابع ، وذلك على يد توفيق زياد، الذي أراه الأب الفعلي للشعر المقاوم . ففي ميسورنا الذهاب الى أن ظهور بعض القصائد النبيلة لهذا الشاعر ، وذلك في عام ١٩٦٥ ، وكذلك في العام الذي يليه، هو ما دشن بالفعل ولادة الشعر المقاوم ناضجا ومتمتعا بصوته الخاص . أما قبل أن ينتصف العقد السابع ، فلم يكن الشعر في الأرض المحتلة الا محاولات لاحظ لها من العظمة أو التميز ، بل هي لا تتمتع بأية خصوصية أو بأي لون تنفرد به فيكسبها هويتها الخاصة .

وليس من العسر في أي مكان أن نلمح تأثر حركة الشعر المقاوم في النصف الاول من الستينات بعدد من الشعراء ولا سيما بالسياب وأدونيس وصلاح عبد الصبور ، وحتى بنزار قباني . ففي شعر محمود درويش المبكر تكثر الفاظ هي بلا ريب من معجم نزار . اما الركام

الكثير من القصائد التي كتبها توفيق زياد طوال الخمسينات والنصف الأول من الستينات فلا يعني كثيرا ، لا سيما من الجهة الفنية ، بحيث لا يمكن القول بأن هذا الشاعر قد لعب أي دور ريادي في المرحلة السابقة على انتصاف العقد السابع (١٩٦٥) ، يوم نشر قصيدة « هنا

باقون » لكيما يستهل المرحلة الغنائية من مراحل الشعر المقاوم . وفي تلك السنة نفسها ظهرت قصيدته الرائعة « رجوعيات » ، لتتلوها « نار المجوس » و « على جذع زيتونة » وفي تصوري ان تأثره الواضح بالجانب المسطح من التيار الواقعي هو سبب تلؤكه حتى ذلك الحين .

وفي العام نفسه ــ ويبدو أنه عام حاسم في تاريخ الشعر المقاوم ، بل وربما في تاريخ الفلسطينيين ككل ــ نشر سميح القاسم ملحمة « ارم » ، التي يمكن أن تعد بحق واحدة من الانجازات الهامة التي اسهمت في تدشين الشعر المقاوم . وفي تلك الاثناء كان محمود درويش يعد للنشر مجموعته الثالثة التي لا تخلو من نضج ، « عاشق من فلسطين » ، اذ في هذه المجموعة يتبدى بوضوح ان ذلك الشاعر كان يتدرج نحو التخلص من آثار الشعراء الرواد على انتاجه الشعري ، ويحاول ان يمتلك لونه الخاص الذي سوف يميزه حتى عن الوان شعراء المقاومة الاخرين .

وبذلك يتجلى بوضوح ان انتصاف العقد السابع كان آنة ماجدة في تاريخ الشعب الفلسطيني ،اذ هو لم يكن العام الذي ولدت فيه الثورة الفلسطينية وحسب ، بل انه كذلك السنة التي ولد فيها الشعر المقاوم نفسه . ففي اليوم الأول من ذلك العام انطلقت الرصاصة الأولى في وجه العدو لتنهي مرحلة اللجوء ولتبدأ مرحلة المقاومة ولكي تتلوها انطلاقة الكلمة حاملة الصوت الفلسطيني الى أرجاء العالم كافة . وهذا يعني أن يخضورا يانعا جديدا قد أخذ يسري في انسان النكبة ، يخضورا عاما يشمل مظاهر الحياة برمتها . فعبثا يحاول شاعر كتوفيق زياد أن يكتب شعرا لافتا للانتباه قبل انطلاقة الرصاصة الاولى ، رصاصة التمرد على ضياع الهوية ، وعبثا تحاول شاعرة كفدوى طوقان ان تكتب طوال السنوات العشرين السابقة على بدء الثورة ــ شعرا رومانسيا ذاتيا لا يعكس الا أزمتها الخاصة ، أزمة تواجد الفرد مع وجوده الخاص ، أو مع الوجود كمطلق .

ثالثا ــ الفترة الغنائية الفجائعية

لئن كان من السهولة واليسر ، ولو نسبيا ، أن يكتب البشر شعرا يناط بالمقولات الكونية ومفاهيم العقل الكبرى ، وكذلك بداخل النفس المكتظ بأكوان هي بطبيعتها شعرية ، بل ومسرحية كذلك ، فان من العسر والمشقة في منتهاهما ان يكتب البشر شعرا عظيما مداره تجربة تاريخية عيانية تعاش مياومة وتمارس على ارض الواقع الصاخب . وحين اثبت الشاعر المقاوم استطاعته الفذة ومقدرته الاستثنائية على تطويع لغة الشعر وترويضها بحيث تخدم اغراض التاريخ والصراع التاريخي ، فقد برهن بما لا يترك مجالا للريب على أن الواقع المباشر يمكن رفعه الى آفاق شاعرية دونما أي سقوط في الابتذال النثري .

مع قصائد توفيق زياد الغنائية المتفجعة برزانة وهدوء تبدأ فترة عظيمة في تاريخ الشعر المقاوم ، فترة اجتذبت الناس بمنتجاتها التي تعكس روح النهوض بكامل زخمه . ولعل البؤرة الأساسية التي تلم هذه الانة الفاتنة ان تكون لتغني بالنكبة بطريقة لم تألفها لغة الشعر العربي

المعاصر من قبل ، اذ هي بعيدة كل البعد عن روح الندب وروح الخطابة في آن معا . ان خصوصية تاريخية محددة قد املت خصوصية في التعبير لها صباغها الخاص الفريد ، ولها قبل كل شيء درجة حرارتها التي تميزها عن كل ما عداها . لقد احيلت الفجيعة الى اغنية راعشة دافئة يسكنها شيء من الانتشاء بالألم ويحركها وجدان المصير الخالص ، ولكنها على الرغم من أساها وحزنها الطريين ، تختزن من التفاؤل والاشراق وحب الحياة أكثر مما تحمل مفرداتها من التفجع ، والأبرز من ذلك انها تحمل اصرارا عنيدا على التصميم والاستمرارية في الحياة . ففي الشعر المقاوم ، وبكل وضوح ، ينفجر الأسى عصافير وقبرات ، ينفجر اهلة وزنابق، ينفجر فرحا ونبيذا و أقواس قزح . ومن هنا فقد جاء الشعور صلبا ورقيقا في آن معا ، والاهم من ذلك امتلاؤه بالقدرة على المباغتة والاخذ ، هذه القدرة التي جاءته من صدقه وتلقائيته الطوعية . وبهذا دلل على أنه متفائل ، جد متفائل ، يقول محمود درويش .

عندما قاومني السلطان
أمسكت بمفتاح الصباح
وتلمست طريقي بقناديل الجراح
آه كم كنت مصيبا
عندما كرست قلبي
لنداء العاصفة

ولا يساورني أدنى ريب في أن روح المقاومة ، روح النهوض التي انبثت في الفلسطينيين يومذاك ، بين منتصف العقد السابع ومطالع العقد الثامن ، هي المحرض الاكبر ، ان لم يكن الوحيد ، في استنباع الطاقة الحيوية المتفائلة ونشرها في نفوس الناس طرا ، وفي الشعراء على وجه الخصوص ، ان الشعراء هم اكثر البشر استجابة لروح أي عصر . وفضلا عن ذلك ، فان نبضة الشعر المقاوم في تلك الآونة هي جزء من الطفرة العامة التي عبرت عن نفسها في المقاومة المسلحة خير تعبير .

لقد بدأت هذه الفترة من تاريخ الشعر المقاوم ، فترة الغنائية الفجائعية ، كما يمكن ان تسمى مع بداية الثورة ، وحملت تفاؤل الثورة ونهوضها الصارخ والقوة الروحية العامة التي دبت في التاريخ الفلسطيني ، ولكنها انتهت عند أول مجزرة تعرضت لها الثورة في مطلع العقد الثامن ، ولئن كان توفيق زياد فاتحها الأول فان محمود درويش قد ختمها حينما اصدر قصيدة « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » اذ مع هذه القصيدة ، هذا النمط الجديد من التعبير ، يدخل الشعر المقاوم فترة العمل الشعري المركب ، فترة الصورة الغائصة في الاعماق ، واللغة التي يمكن ان توصف بأنها درامية ، أو بأنها مزيج من الذهني والغنائي .

اما الموضوعات المحورية للفترة الأولى ، فترة الغناء والأسى والأمل ، فيمكن حصرها في سبع بؤرات تقريبا .

كان المدار الأساسي للصراع في الوطن المحتل يدور — منذ صدور وعد بلفور وحتى الان — حول موضوعة مركزية لم تحسم بعد ، كان يدور حول هذا السؤال . الارض لمن ؟ هذي هي العقدة الكبرى التي لا بد للضرورة التاريخية من أن تحلها على وجه ما . ولهذا لم يكن غريبا ان

بلتف العرب في الوطن المحتل حول منظمة سياسية سموها « منظمة الأرض » وهي التي راحت تصدر صحيفة لها تحت عناوين متعددة كلها تضم لفظة « الأرض » المقدسة . فالأرض في وعي الانسان ، وفي لا شعوره كذلك ، ام والهة مقدسة ، وهذا عنصر بنيوي في تركيبة النفس ، على ما يبدو .

ومن المؤكد ان الشعر المقاوم لم يكن الأسبق في التعامل مع الأرض من مواقع التبجيل الالوهي ، اذ كان جيل الرواد من الشعراء العرب المعاصرين قد سبقه الى ذلك ، ولا سيما السياب وأدونيس والحاوي . ولكن هؤلاء قد غلب عليهم التعامل مع الأرض في المطلق والأبدي ، أما شعراء المقاومة فقد زحزحوا الصورة عن موضعها ونقلوا الارض ، أو مفهومها وصورتها ، من مملكة الكلي الى قطاع التاريخ المعاش ، الى التجربة الثورية التي عاشتها جماهير مسلحة في الوطن المحتل وخارج الوطن المحتل . وهذا فرق جوهري لم يمكن اغفاله ، حتى وان قيل بأن الأرض التي بدت كلية او اسطورية في انتاج الرواد ، تقبل التجيير الى المحلية والترجمة الى الواقع التجريبي المحدد بحدود ازمة وطنية تعيشها الامة العربية برمتها .

وكائنا ما كان الشأن في صميم جوهره ، فان الشعر العربي المعاصر كله قد نهض على ركيزتين اساسيتين يمكن ان نرى فيهما العنصرين البنيويين الاكثر تأسيسا لقاع هذا الشعر في أنته الريادية المنعطفة ، وهما أساطير الخصب وجدال الأضداد المفضي الى التحول والناقل للصيرورة او الولادة الثانية الأبدية التواتر . وعلى الحقيقة انهما في جوهرهما عنصر واحد لأن اسطورة الخصب لا تنطوي في ماهيتها الأعمق الا على جدل ضدين متغايرين ومندمجين معا في تركيبة واحدة ، الموت والحياة ، او اليبوسة والتجدد عبر الحب ، فالساميون القدماء لم يملكوا استيعاء الكينونة وجدلها ، حتى ببعدها الالهي المطلق ، الا من خلال استيعاء جدل الخصوبة والقحط ، المطر والجفاف ، عطاء التربة وشحها . ومن الواضح أن الشعر الفلسطيني المقاوم لم يخرج – في بعده اللاشعوري حصرا – عن هذا التوجه ، فقد استوعب عنصري الشعر العربي المعاصر وضمهما في نسيجه ضما تحتانيا مستترا ، بيد ان ما هو أهم من ذلك انه قد اعطاهما بعدا تجريبيا او تاريخيا ، وبذلك أغناهما ، من جهة ، ووضحهما للذهن ، من جهة اخرى . وبهذا البعد الضيق المضفى على مبادىء الشعر المعاصر ، مبادئه النفسية التي هي عين مضمونه ، مثل الشعر المقاوم نوعا من الوثبة داخل الوثبة السيابية ، وثبة المعاصرة في الشعر العربي .

ولعله من البديهي ان صورة الارض أو الطبيعة ، بمعناها المثالي المجرد ، لا تعدو كونها بعدا رومانسيا خالصا ، ولكنها تستأرخ (تتحول الى نسيج تاريخي) حين تربط بمشروع الواقع العامل على تجاوز ذاته باستمرار ، وعلى تخطي تخومه دوما . فالارض بوصفها برهة كبرى في الشعر المقاوم برمته (وقد بلغت ذروتها في قصيدة « الارض » ، لمحمود درويش) ، او من حيث هي المقولة النواة في المعجم الشعري المكرس للموضوعة الفلسطينية ، وكذلك بوصفها الموضوع المحوري لقصيدة المقاومة ، الارض من هذا الموقع تبرأ من رومانسيتها وتغدو تاريخا خالصا ، وربما لأول مرة في تاريخنا العربي المعاصر . اذ انه لمن المتعذر ان ننظر الى « عصافير الجليل » و« وزيتونة لم تعتصر » الا كصلات بالتاريخ ، او كنماذج تضم التاريخي الى

الجغرافي ، بمعنى ان التاريخ يصبح جغرافيا والجغرافيا تصبح تاريخا ، او كما يقول الدرويش . « رائحة البن جغرافيا » ان الزيتونة او شجرة البرتقال تنض عنها المظهر الطبيعي المجرد او الخالص ، لأنها لا تشير الى أشجار الزيتون أو أشجار البرتقال في ذاتها ولأجل ذاتها ، اذ هي احالة الى جذرية التاريخ في « ارض كنعان » ، ارض فلسطين العربية ، وذلك بوصف هذه الأرض مقابلا موضوعيا وذاتيا معـا لما يسمى زورا « أرض اسرائيل » . وحين يقول محمود درويش .

نحن في حل من التذكار فالكرمل فينا
وعلى اهدابنا عشب الجليل .

فأنه لا يتغنى بالجبل والعشب قط من حيث هما طبيعة ، بل من حيث هما تاريخ بكل وضوح .

مقولة الأرض ، اذن ، مأخوذة بهذا المعنى المقاوم ، هي التركيبة الكبرى للتركيبات كافة ، والضم المحوري لجزئيات المجال قاطبة . ولعل هذا من شأنه ان يعني ما فحواه ان كل شيء في الواقع الموضوعي والذاتي ، بما في ذلك الأم والحبيبة ، تتحدد قيمته وفقا لبعده أو قربه من صورة الأرض بوصفها صورة الوطن بحصر المعنى . ففي القصيدة المقاومة نرى الاشياء تتحرك على محور صاعد نحو مجمل يزداد اغتناء وثراء ، وما هذا المجمل الا صورة الأرض من حيث هي مفهوم الكرامة وصورة الحياة الأمنة . ولكننا في الوقت عينه نرى صورة ذلك المجمل ، ذلك الرمز الأبدي الكبير (الأرض) ، وهي تحل ذاتها الى عناصر تعبيرية تتناثر بتناسق وانتظام فوق صفحة القصيدة . وهذا يعني ان الأرض تتفتح لتأخذ هيئات جزئية هي بمثابة مفاهيم وطنية ، أعني أن القمح والزيتون والبرتقال والعشب والزهور والقبرات والعصافير ، وغير ذلك مما يشبهه ، تظهر كعناصر تمثل الأرض وتنوب عنها ، بحيث تندرج فيها اندراج المخبر في المظهر . وبما أن هذه الأشياء هي الوساطة الفنية الرامزة للحياة ، وبما انها المكافىء التجسيدي لمقولة الأرض ، فان الأم الكبرى (الأرض) كموضوع تضعه الذات أمامها بوصفه مشروعا تاريخيا ، تغدو حياة الذات وجوهرها . ولهذا السبب وحد شعراء المقاومة بين الأرض والمرأة ، بين الأرض بوصفها أما ابتدائية وبين الأرض بوصفها أما وزوجة .

وهنا نبلغ القيمة المعيارية لهذا الشكل الفني . ان صورة الأرض ، حتى وان تحولت في الشعر الى تاريخ لا لبس في أمره ، تتوجه الى نفوس تؤلف صورة الخصوبة والامومة بعضا من جذرها الأولي ، أو أنماطها الابتدائية . وهذا يعني ان الشاعر المقاوم يعبر عن المحلية والانية بما هو كوني وعام . فلئن كان الشاعر المقاوم لا يبتغي الا التعبير عن أزمة تاريخية محددة ومحصورة في زمان معين ومكان محدد ، فأنه يحايث هذه الازمة في صورة لها ماهية الابدي والابتدائي معا ، صورة لها روح الطقس والأسرار الوثنية ، ولها روح القربان وجوهر الفداء والخلاص . ولما كانت هذه الروح تستسر دوما في النفس البشرية بعامة ، فان الشاعر المقاوم قد عرف كيف يجيد التعبير ويضفي المزية اضفاء تلقائيا على انتاجه . ولعل هذا الامر ان يكون العامل الأساسي في اكتساب الشعر المقاوم لشعبيته وسعة انتشاره او هو واحد من عوامل ذلك الانتشار على الأقل .

ولما كانت الارض (من حيث هي معطى ، ومن حيث هي مشروع الذات في آن معا) ،

هي العلاقة المؤلفة لواقع التاريخ العربي المعاصر ، والامتلاء الذي يغتني به الروح القومي ، ويندفع حاملا اياه ابتغاء تجاوز ذاته ، اوقصوره ، فان اللاشعور الفني قد تبنى أهم مقولة من مقولات التجاوز انطلاقا من فهمه التاريخي للأرض ، اعني مقولة التجدد أو الولادة الثانية .

فالارتباط بالأرض يقود الى الارتباط بالطبيعة (مبتورة عن صلاتها الرومانسية) ، والارتباط بالطبيعة يقود الى الارتباط بالتموزية ، الى التجدد الابدي . ولكن من اللافت للانتباه هنا ان الولادة الثانية في الشعر المقاوم تأخذ بعدا تاريخيا او سياسيا . فالنكبة الفلسطينية موت في لا شعور الشعراء ، والولادة الثانية (الثورة) هي ما يجدد الحياة .وهكذا كانت الثورة التي اندلعت في اواسط العقد السابع بمثابة قيامة المسيح او انبعاث تموز في الربيع . وربما رأينا نوعا من صلة القربى بين هذا الانبعاث الربيعي وبين لجوء المعجم الشعري المقاوم ، في فترة الغنائية الفجائعية الى العبارة الطرية ، عبارة الربيع المخضلة .

صادق ، اذن ، ان سعي الروح باتجاه اعادة توليد ذاتها وخلق تلك الذات من جديد قد عبر عن نفسه تعبيرا لا شعوريا في تبنى مقولة « الولادة الثانية » أو مقولة « الانبعاث » ، الموضوعةالثانية في الشعر المقاوم ابان طوره الغنائي ، الموضوعة التي انبثقت عن الارتباط بالأرض انبثاقا ضروريا ، حتى لتحسب ان الموضوعتين موضوعة واحدة في صميم جوهرهما . وهي لا شعورية لانها قلما تتبدى على المستوى الظاهري للقصيدة ، اعنى مستوى الوعي الصريح . فلقد جاء هذا النزوع نحو الولادة الثانية ، نحو تجدد الحياة والنبت ، اقله في معظم الاحيان ، محايثاللصور الفنية ومخبوءا بعمق داخل اليافها . وكان من البديهي ان تنصب هذه الصبوة الانفعالية على الأرض ، محور الصراع التاريخي ، او على جزئياتها التي تغدو الأرض موسطة من خلالها . وبما ان الارض ليست معطى مباشرا فقط ، بل اغتناء بالذاتي ومكافىء خارجي للروح القومي ، فان انبعاث الارض ، او ولادتها الثانية ، هي بديل فني لا شعوري عن انبعاث الشعب نفسه . ان شعبنا نكب نكبة بشعة لا بد له من أن يصبو نحو التشكل من جديد لكي يكسب النصر ويعيد بناء كيانه . ومثل هذة الصبوة العارمة اخذت تتمظهر في الشعر المقاوم بصورة لا شعورية على هيئة بعث الحياة في التربة ، في النبت وفي الانسان .

وقد عبر سميح القاسم عن عملية السقوط ، او التحطم ، والعودة الى الحياة من جديدة ، ببيت واحد من الشعر يحمل من الصراحة اكثر مما يحمل من الرمزية

ان كان جذعي للفؤوس ضحية   جذري اله في الثرى يتأهب

واذا ما رحنا نمحص معجم الشعر المقاوم في الفترة الغنائية فاننا سنجد المفردات الدالة على الدفق الحيوي للتربة هي المفردات الأطغى على لغة الشعر . وأهم هذه المفردات هي الأرض ، الزيتون ، البرتقال ، النخلة ، الشجرة ، الغابة ، الحقل ، المنجل ، المحراث ، المعول ، الحليب ، اللبن ، العسل ، النهر ، البحر ، الغيم ، المطر ، الخبز ، العشب ، الزيت ، العصافير ... الخ . وبديهي ان هيمنة مثل هذه الألفاظ لا يمكن ان تكون صدفة ، بل هي في الحقيقة دلالة فصيحة على الدفق الحيوي ، والماع غير مباشر الى الولادة الثانية التي تشكل الصبوة الأعمق في الضمير العربي ، ولا سيما في ضمير الفلسطينيين . وأما الصور الدالة على الرغبة في التجدد فليس اكثر منها شيء في الطور الغنائي للشعر المقاوم ، فهي صريحة في بعض

الاحيان ، كقول محمود درويش . « ولتكن أرضي قيامة » ، او كقوله . « الموت والميلاد في وطني المؤله توأمان » ، وهي مضمرة في كثرة من الأحيان الأخرى ، وذلك من مثل هذه الصورة .

وأنا أوصيت أن يزرع قلبي شجرة
وجبيني منزلا للقبرة .

ولقد ارتبطت عبادة الشاعر المقاوم للأرض بنزعة البقاء في الوطن والصمود في وجه الغزاة ، وهذا نوع من ديمومة الانبعاث او التشبث بالحياة . فما من شاعر مقاوم في الأرض المحتلة الا وعرض لفكرة الصمود ، الموضوعة الثالثة لشعر المقاومة ، على هذا النحو او ذاك ، مما جعل شعراء الوطن المحتل سدنة العروبة هناك وحراس الأرض. يقول توفيق زياد .

هنا على صدوركم باقون كالجدار
وفي حلوقكم
كقطعة الزجاج ، كالصبار
وفي عيونكم ،
زوبعة من نار
ونأكل التراب ان جعنا ولانرحل .

وفي « الرجوعيات » نراه يصون العشب النابت على قبور اسلافه ، مثلما يحرس ظل التين والزيتون في قصيدته الجميلة « هنا باقون » وهي التي اخذت منها المقبوس الاخير .

ويقول سالم جبران .

كالسنديان هنا سنبقى ، كالصخور ،
كعرائس الزيتون ،
كالخروب في أعلى الجبال ، وكالنهور .

ولعل من الواضح في هذه الأبيات الأخيرة ان وجدان الصمود يرتبط ارتباطا تحتانيا بالاشجار ، بالسنديان والزيتون والخروب ، والشيء الذي يوحي بالولادة الثانية او الدفق الحيوي ، وكذلك بالأرض ، بالأم الكبرى .

اما محمود درويش فقد كانت موضوعة الصمود محور شعره ، وربما هي لم تزل كذلك حتى اليوم . ولا تكاد مجموعة واحدة من مجموعاته الاربع التي أصدرها في الارض المحتلة ان تخلو من هذا التشبث بالوطن وبالارض . والحقيقة أن هذا النزوع الدائم والجامح نحو التجذر في الأرض هو النتيجة المنطقية للضغوط التي وجهها العدو الى عرب الوطن المحتل مبتغيا من ورائها رحيلهم فالتخلص من تهديدهم لكيانه المفتعل .

وكان من شأن هذا التشبث بالارض والوطن أن خلق للشعر المقاوم في مرحلته الاولى موضوعة رابعة هي انتظار عودة اللاجئين . وقد مثل هذه البرهة شاعران ، اولهما سميح القاسم، في الكثير من انتاجه ، وثانيهما توفيق زياد في « رجوعيات » . يقول الاول في قصيدة عنوانها « اوزيريس الجديد » (ولعل هذه ان تكون القصيدة الوحيدة في تلك الفترة التي تشير الى التموزية بصراحة) .

انا والسيول المستميتة
في سفرة لا تنتهي حتى نعيد الى الحدائق
حسونها المنفى والجذر الترمد في الحرائق !
ويقول كذلك .
فالحمام الزاجل المنفي لا ينسى بلاده !

اما توفيق زياد ، وان يكن لم يكثر من تناول هذه الموضوعة ، فيقدم في رجوعياته اجمل اغنية فجائعية مدارها عودة اللاجئين .

أحبائي ، برمش العين أفرش درب عودتكم ، برمش العين
واحضن جرحكم ، والم شوك الدرب بالكفين
ومن لحمي سأبني جسر عودتكم على الشطين .
ففي هذا القول بتمرأى الروح بكامل طرائه ورخامته .

وجاءت مجزرة كفر قاسم علامة تدمغ مجتمع الجريمة وتؤكد الحقد الاسود الذي يكنه الغزاة للمغزوين . فكانت واحدا من المحاور التي ظل الشعر المقاوم يدور حولها طوال عشر سنوات على الأقل . ولقد أجاد محموددرويش حقا في التعبير عن هذه الموضوعة الخامسة للشعر المقاوم ولاسيما في مجموعته الرابعة«آخر الليل»(لاحظ التفاؤل الذي يحمله العنوان).فكانت قصيدته«ازهار الدم»المؤلفةمن ستة مقاطع،اغنية تتفجع برزانةلم يسبق الى مثلها في تاريخ النكبة ، وكانت المقطوعة الرابعة في هذه القصيدة ، وعنوانها « القتيل رقم ١٨ » شعرا يستوطن الحس المأسوي بكل عمق ، وهذا الحس هو العامل الاول في تأسيس عظمة الشعر المقاوم ، والصانع الأول لثرائه الفني ، وذلك نظرا لما ينبت فيه من رعشة الانفعال العميقة والصادقة . ولعل ابرز ما نلاحظه في هذه القصيدة مأخوذ كمجمل هو التواشج الأصيل بين اللحن والمعنى . فالايقاع الداخلي ، بمداته المشبعة وأبعاده الصوتية الهادئة والمتجاوبة ، ينقل زخم الاحساس بالشجن وعمق الفجيعة ، تماما كما اراد الشاعر للأمر ان يكون . وللتدليل على ذلك يكفي ان نقرأ هذا المطلع .

لمغنيك على الزيتون خمسون وتر
ومغنيك اسيرا كان للريح وعبدا للمطر
ومغنيك الذي تاب عن النوم تسلى بالسهر
الذي مات هو القاتل يا قيثارتي ، ومغنيك انتصر .

ولقد اقتضى التشبث بالوطن وبالأرض ، وهو الوجدان الذي افرز كلا من الثورة والشعر المقاوم نفسه ، ان يلجأ الشاعر الى التراث الشعبي ، موضوعته السادسة ، لكيما يؤكد احقية الشعب الفلسطيني بأرضه ، ولكيما يدحض الغربة الزاعمة بأن فلسطين هي « ارض اسرائيل » . فالحقيقة ان الشاعر المقاوم ، ابتغاء مناهضة حديث الافك الصهيوني هذا ، راح يتخذ من التراث الشعبي وثيقة وجود او حضور تارريخي ، وذلك حين لا يتخذه تنويعا فنيا على صورة شعرية معينة . وربما كان سميح القاسم خير من برعوا في هذا المحور، خير منأجادوا استخدام موروثات الشعب لتشهد على الحضور القومي الراسخ والقديم ، حضور الفلسطينيين في وطنهم منذ فجر التاريخ .وبذلك اصبح التراث الشعبي في القصيدة المقاومة ذا دلالة وظيفية ، اذ هو يخدم غرضين واضحين . اولهما التشبث بالجذور، فهو بذلك تنويعة الى التشبث

بالأرض ، وثانيهما تقديم افادة أو شهادة تصلح آنة من آنات الادانة . يقول سميح القاسم .

في الكتب اشياء عجيبة
وربابة الأعمى تكذبها ،
وآثار المضافة والزريبة .

في اسفاركم القديمة ثمة ادعاءات ومزاعم كثيرة وغريبة ، افتراءات مفادها ان الارض الفلسطينية موطنكم الذي منحكم اياه الرب ، ولكن هي ذي المستمسكات المادية الملموسة والمنطوية على تفنيد هذا الافك الأبلق . ربابة الأعمى ، ومضافة القرية ، وزريبة المواشي . انها الأدلة القاطعة على أن الأرض قد ورثناها عن أجداد تركوا لنا هذا الموروث الشعبي البسيط منذ القدم . هذي بعض من اسانيدنا ومقوماتنا الواقعية التي لا تملكون لها دحضا مهما تعنتون .

اما الموضوعة السابعة للشعر المقاوم في ابان فترته الاولى ، فترة الغنائية الفجائعية الحارة والممتلئة بالروح ، فهي النزعة القومية العربية . فالفلسطيني يغدو لاجئا وبغير جذور حين لا يمتلىء ببعده العربي ، والقضية الفلسطينية هي قضية العرب اولا وأخيرا . وفي تقديري ، وتقدير الشاعر المقاوم كذلك ، ان تجريد المسألة الفلسطينية من عمقها القومي امر لا يخدم الا العدو الصهيوني وحده .

يمكن ان يعد سميح القاسم أبرز الذين تعاملوا مع هذه الموضوعة في نتاجهم الشعري . فقصيدته الصغيرة « هكذا » يمكن ان تؤخذ انموذجا لهذا التيار السائد في الشعر المقاوم ، مثلما يمكن لقصيدة محمود درويش « سجل انا عربي » ، ان تؤخذ انموذجا آخر . والحقيقة ان الكثير من قصائد سميح القاسم يستمد انسجته من البعد القومي للتاريخ العربي ، واخص بالذكر قصيدة « ليلى العدنية » التي تولف لحمتها من الابعاد القومية ، وسداها من النضال الفلسطيني المحلي . ولا يخلو نتاج الشعراء الاخرين من الموضوعة القومية ، بل هي ترى منثورة هنا وهناك في قصائدهم ، اذ من المعروف ان القصيدة المعاصرة تتولف توليفا من عناصر كثيرة ، واحيانا متباينة . يقول توفيق زياد في « رجوعيات » .

وان كسر الردى ظهري ، وضعت مكانه صوانة من صخر حطين .

تلكم هي ، اذن الموضوعات السبع الرئيسية التي ينطوي عليها الشعر المقاوم في ابان فترته الغنائية الفجائعية ، فترة الفورة اليانعة . والحقيقة انها كلها موضوعة واحدة في صميم قوامها ، او وجوه متباينة لموضوعة بعينها ، هي موضوعة البقاء ، او صيانة الهوية التي استدعت المقاومة ، والتي حرضت سميح على ان يصرخ في احدى قصائده الرائعة «خطاب من سوق البطالة » .

يا عدو الشمس ، لكن لن أساوم
والى آخر نبض في عروقي سأقاوم .

وبذلك اثبت الشعر المقاوم انه التصاق بالتاريخ ، واحتواء للواقع في الوجدان ، وصوت للروح في استنكافها عن الرضوخ للهزيمة او انصياعها امام التحديات العاتية . واثبت كذلك انه ليس تابعا للثورة وحسب ، بل هو بالدرجة الاولى خالق لها في النفوس ، ومعبر عن نهوضها وقدرتها على الاستمرار . وهو لا يحاكي الثورة بقدر ما هو نفسه ثورة ، ثورة في الروح واللغة

والواقع . فالحقيقة ان شعراء الأرض المحتلة كلهم مناضلون « نحن لا نكتب اشعارا ولكنا نقاوم » فلقد نهض هؤلاء الشعراء بوظيفة القادة السياسيين لعرب الأرض المحتلة حين حرمهم العدو من امكانية بناء طليعة سياسية تقود النضال في الوطن المغتصب .

رابعا ـ فترة القصيدة المركبة

استهلت المرحلة الجديدة بقصيدة مزيتها الاساسية انها وحدة تركيبية ، وحدة منسجمة التكوين ومتراصة البناء ، لغتها تنزع باتجاه الكثافة ومقوماتها باتجاه الاحتشاد . وما هذه القصيدة الا « سرحان يشرب القهوة في الكافتيريا » لمحمود درويش ، الذي اخذ ابتداء من الان يقود حركة الشعر المقاوم ويمثله خير تمثيل . فلقد جاءت هذه القصيدة نهاية للفترة الغنائية واستهلالا لفترة جديدة تجعل المادة الادبية مملوءة بما توحي به اكثر مما تمتلىء بما تقوله . وبذلك انتقلت القصيدة من آنة الغنائية الخالصة المترعة بالروح الغضير الى آنة مختلفة تتمازج فيها العناصر الغنائية والذهنية . واخذت الازمنة في القصيدة الجديدة بعد هذا النزوح باتجاه الشكل تتخالط وتندمج بعضها ببعض ، والصور تتكثف ، والاصوات ، او الابعاد الشعرية والمستويات المضمونية تتكاثر وتتعدد . ولهذا كله راحت القصيدة المقاومة ابتداء من مطالع العقد الثامن تسعى نحو الاستدارة على نفسها ، مثلما تحاول ان توثق تفاصيلها في اطار بنيوي يلتمس في قاع النسيج اللغوي للقصيدة . وفي مثل هذا المناخ المكثف والمستدير كادت تنطمس الفروق بين لغة الشعر ولغة الحلم ، او هي تقلصت الى حد ملموس . وفي مثل هذه اللغة تمتزج الصور ، تتواتر ، تعمل وفقا لمبدأ الاكتظاظ شبه الخفي ، وتتيح لنا بالتالي الايمان بأن النص الأدبي نص مفتوح ، لا بمعنى انه قابل لعدة قراءات وحسب ، بل بمعنى انه متواشج مع ما سبقه وما سوف يتلوه ، حتى لكأنما الشاعر المقاوم يريد ان يوحي لنا عبر الشكل نفسه بأننا في زمن الاختلاط ، زمن الهيولى الاولى ، اصل الكينونة ، زمن اندغام النقائض والاضداد . والجدير بالملاحظة ان غسان كنفاني قد انهى رواية « ما تبقى لكم » بمثل هذه الصورة المتوترة التي يلتحم فيها الشيء ونقيضه .

اذن ، لم تعد القصيدة المقاومة ، في آنتها الاعقد ، تنحد بحدود التفجع الغنائي الرزين ، بل قل المهيب ، كما كان الشأن في البرهة السالفة ، بل هي اتخذت لنفسها محورا جديدا هو محور التوتر القائم على الدرامية واللغة الحركية والصور النزاعة نحو الهجنة ، اعني الصور الخلاسية التي تولف بنيتها من عناصر متنافرة ، عناصر بلا زمن ولا مكان ، حتى لكأنها ترغب في معانقة الابعاد كافة ، وفي قول كل شيء دفعة واحدة كذلك . فبينما كانت الصورة لدى الشاعر المقاوم حالة وجدانية فقد اصبحت الان موقفا ذهنيا من الواقع ، اذ هي اخذت تنتقل من حالة الامتلاء بالعناصر الانفعالية الى الازدحام بالعناصر الخيالية ذات الصباغ الفكري .

غير ان هذه النقلة قد بدأت تنجز ذاتها بعمق مع قصيدة نشرها محمود درويش في اواسط العقد الثامن ، وهي « تلك صورتها وهذا انتحار العاشق » ، اذ على الرغم من ان هذه القصيدة تبدو امتدادا للمنحى الاساسي السائد في معظم قصائد « محاولة رقم ٧ » ، عنيت الاعتماد على منحى التناقض والتضاد العاكس لتناقض الاشياء في الواقع الموضوعي ، فانها تحاول ان تقيم نوعا من القطيعة مع مجمل اعمال محمود درويش السابقة ، لانها طبعت نفسها بطبيعة جديدة فحواها افراغ الصورة من المحتوى العاطفي الذي ظل سائدا في الشعر المقاوم حتى اواسط

السبعينات ، ثم احلال الخيال الذهني المعقد مكان كل غنائية او نبرة هادئة . ولهذا جاءت تلك القصيدة شكلا هلاميا رجراجا لا يستمتع بالترابط الداخلي المتين ، بل هي اوحت للمراقب المحايد ان الشعر المقاوم في بداية انحداره يومذاك . فبينما كان الشاعر المقاوم قبل تلك القصيدة ببضع سنوات يعبر بأبسط الصور التلقائية والأشكال الفنية الطوعية عن أعمق الانفعالات وأغنى الدلالات ، فقد اخذ ابتداء من الان ينزع نحو التعقيد ونحو شيء من الاصطناع . وربما جاء التعقيد نتيجة طبيعية للتخالط الراسخ في المعاش التاريخي الذي يعسر على الغناء ان يفككه وان يلم ابعاده المتراصة الغزيرة .

ولكن هذا النوع من التعبير كان جاهزا الى حد بعيد في لغة الشعر العربي المعاصر بوجه عام ، وفي لغة بعض تياراته الاكثر انتشارا بوجه خاص . فمن ذا الذي يملك ان يعرف ما اذا كانت عبارة « قشور الضوء » او عبارة « امعدن الاشياء » لشاعر مقاوم ؟ ومن ذا الذي يملك ان يؤكد على ان هذه الصورة ليست لادونيس .

ان تكون بداية الاشياء دائمة البداية ــ هذه لغتي .

لقد اتسق الشعر المقاوم الان مع مجمل حركة الشعر العربي المعاصر ، واخذ يفقد التميز والخصوصية التي كانت له في مطلع امره . غير أن الحادث التاريخي يأتي بمثابة لكمة تعيد الشاعر المقاوم الى لونه الخاص . بالحادث التاريخي وحده صار الشعر المقاوم نتاجا ادبيا ، وبالحادث التاريخي وحده اكتسب هذا الشعر زرقة صوره ويخضور الفاظه . وبايجاز ، ان خصوصية تاريخية معينة قد افرزت خصوصية شعرية معينة ، واكسبت الشاعر المقاوم شخصيته التي تميزه بكل جلاء عمن سواه من الشعراء . وهذا مما يبيح لنا حق الذهاب الى ان مصير الشعر المقاوم مرهون بمصير المقاومة نفسها ، على اغلب الظن .

لقد جاءت مجزرة تل الزعتر لتؤثر تأثيرا حاسما على الشعر المقاوم ، بحيث يمكن القول بأن هذا الشعر قد أخذ يدخل في فترة جديدة من فترات تطوره . فبينما اوشك الشاعر المقاوم ان يأخذ بالتحرك في اقاليم منفلته ، ان يتجول في مطلقات متعالية ، ولكنها هلامية ، ان يتجه نحو آفاق بلا تخوم ، فقد اعيد الان ليسكن في التاريخ ، ولكن بقدرات تعبيرية لم تكن له من قبل . وقد جاءت قصيدة « احمد الزعتر » ، وكذلك قصيدة « الارض » ، كأفضل نماذج الفترة الجديدة . وبذلك عاد الشاعر المقاوم هذه المرة ليمتلك صوته الناصع الخالص ، صوته التلقائي المؤسس على جلال البساطة العميقة ، البساطة التي تقول كل شيء دون ان تسقط في التسطح ، ودون ان تمتزج بالتعقيد المفرغ من المحتوى ، اذ ثمة فرق بين تعقيد مترع بالمضمون ، وبين تعقيد لا يدري ما يقول .

ففيما يخص التقنية يمكن القول بأن « احمد الزعتر » انموذج القصيدة التي تقوم بسبيكة من الشذرات الوقائعية المتمحورة حول انفعال واحد وحول صورة خيالية يمكن تسميتها الصورة الاسس . اما الانفعال الذي يخدمه الخيال التصويري واللغة الغنائية المركبة ، او المكثفة ، فهو الفجيعة ،كأنما الشعر المقاوم لا يملك ان يتنفس بغير الفجيعة ، اذ الفجيعة هنا تؤسس وتمتد . واما الصورة التي يخدمها الخيال التصويري ويعززها بكامل ثقله فهي صورة الصمود ا و الرسوخ على الموقف المجابه، وهي بكل توكيد رد ثوري على الفجيعة نفسها . وهنا

تكمن ثنائية الأساس ، فلئن كانت الفجيعة تستوطن جذر الأشياء فان الصمود يؤسس قاع النفس او جذر الارادة .

فمنذ السطر الاول نجد ان هذا النشيد مكرس « ليدين من حجر وزعتر » . فقد كنى عن الصمود ، وربما دون وعي منه ، بلفظة « حجر » ، وهي التي تنطوي على اشارة الى القدرة على الرسوخ ومقاومة الزمن ، وكذلك الصدمات ، واحتمال التصدي لكل ضربة قاصمة . ثم ما لبث ان قدم الجبال ــ وهي خير هيئة للرسوخ والصمود ، اذ هي الاطواد الثابتة ــ بوصفها الشيء الوحيد القادر على التعاطف مع احمد . ومثل هذه الصورة اضفاء لا شعوري حتما . ولئن كانت الغيوم تمضي لتأتي الجبال فتدثر احمد بالرسوخ ، بمعاطفها التي تقيد البرودة والفتور ، والبرودة شكل اخر للانحلال ، نقيض الصمود ، فان القطارات تمضي هي الأخرى ولكن ذاكرة معينة تنبثق منها ومن مرورها الاني السريع . والذاكرة ديمومة ، رسوخ ، تشبث بشيء ما ، وبالتالي مؤشر الى الصمود . وحتى « العلاقات السريعة » صالحة لاكتشاف الذات ، او لتعلم الصمود والتعرف على الراسخ القار في الداخل . ثمة ، اذن ، استقطابية واضحة تخفيها الصور في اعماقها وتخبئها في نسيجها التحتاني . انها ثنائية الثبات والانية ، الصمود وسرعة الزوال . فالجبال والذاكرة تبقى ، تصمد ، تثبت امام الزعازع ، اما الغيوم والقطارات فآنية وسريعة المرور اللاشعور ، اذن ، يؤسس الخيال التصويري .

وتتوالى الشذرات التصويرية الخازنة لصورة الرسوخ كيما تحرض ازدلاف الدوال في بؤرة واحدة ، هي رقعة الرد على الفجيعة . فأحمد الرصاص (وهذه اللفظة فيها من الثقل ما يسترجع مكنون لفظة « الحجر » في البيت الاستهلالي) ، وهو البرتقال ، او الثبات على الالتزام بيافا ، وهو الذكريات ، او الرسوخ على مجمل الماضي المفجوع ، وهو « سلم الكرمل » ، او الطريق الى الوطن . والبلاد تتقمص احمد ، وهذا نوع من الرسوخ كذلك ، لان التقمص تواتر البقاء ، استمرار الشيء نفسه ، ولكن بصورة جديدة . وتذكرنا هذه الصورة بمطلع قصيدة سابقة هي « تلك صورتها وهذا انتحار العاشق » ، حيث يقول الدرويش . « واريد ان اتقمص الأشجار » وهذا التقمص هو ديمومة الحياة ، صمودها في وجه الموت ، في وجه الانطفاء ، او امام الفاجعة .

وأحمد يجد نفسه ممتلئا بنفسه ، مثلما يجد نفسه قرب نفسه ، راسخا صامدا باقيا ومستمرا . والامتلاء كثافة وثقل يذكر ان بكثافة الحجر والرصاص في الابيات السابقة ، وبالتالي يؤكدان الرسوخ والقدرة على الامتداد والاستمرار . والامتلاء كصورة وكواقعة ، يتداخل مع الذاكرة في علاقة بنيوية ، اذ الذاكرة امتلاء بالماضي هي الأخرى .

ثم تأتي برهة الحصار بوصفها رسوخا عنيدا على موقف عنيد ، فنشعر ان الآنات السابقة كلها لم تكن سوى تمهيد لهذه الانة حصرا ، وبذلك تتلاحم واياها في ارتباط بنيوي متين . وتأتي مع برهة الحصار لفظة « الاسوار » بما تحمله معه من ايحاء بالصمود والمنعة ، فترفد الحجر والجبال والرصاص والذاكرة في محاولتها ان تكون المكافئات الخارجية لوجدان الرسوخ والبقاء ورفض التلاشي ، وفي سعيها نحو رفع شعور الرسوخ الى مستوى صورة اس تفرش تحت قاع القصيدة برمتها . وهذا يعني ان قصيدة « احمد الزعتر » تؤثر بالتراكم

التصويري واللغوي معا ، وتنبثق من اللاشعور المسكون بمقولة واحدة ، برغبة واحدة ، بوجدان واحد ، وجدان يحاول ان يتقمص اشكالا تتباين مظهرا وتتوافق جوهرا ، حتى لكأنها تجليات متنوعة لجوهر واحد .

واحمد وحده الذي يشخص صورة الصمود في الواقع التاريخي . فبينما نراه مكافئا « لحدود النار » فان ما سواه ، ما يناقضه ، ليس الا « زبدا » وبينما يكون الزبد آنيا سريع الزوال ، نقيض الصمود ، تماما كالغيوم والقطارات السريعة فان أحمد المسفوع باللون الأزرق ، لون الاندياح والوجود ، والذي هو وحده الأزرق او البحر ، بينما الاخرون رمال متشابهة ، احمد هذا هو الكوني ، على حد وصف القصيدة له ، والكوني هو الراسخ الثابت الصامد ، منذ الأزل والى الأبد . انه الباقي سرمدا ، انه ، اذن قوة التحول والخلق ، وليس مجرد حادثة تاريخية بعينها . وهنا يتماهى الفداء مع آفاق كونية عالية ، مع المطلق في شموليته وكليته . ولهذا ما تلبث « الصخور » وهي اشارة اخرى للرسوخ تعيد صورة الحجر الى ذاكرة القارىء من جديد ، ما تلبث ان تكون رسائله في الأرض ، وما يلبث ان يؤكد على ثباته المبدئي ، فهو ينتمي الى السماء الأولى ، التي تصلح الماعا الى الطبقة الدنيا من طبقات المجتمع ، وهي أرسخ طبقاته ، لانها تحمل المجتمع كله على صفحتها الراسخة . وحتى لو لم يكن هذا المذهب صحيحا ، فان كون تلك السماء تحتل المرتبة الأولى امر يوحي بالرسوخ ، وذلك لان العدد الاول يحمل الأعداد كلها ، وبانهياره تنهار برمتها . واثر ذلك مباشرة وهذا ليس مجرد صدفة ، نسمع الفقراء ينشدون . صامدون صامدون . وهنا ، عند هذه البرهة ، لا يملك وجدان الصمود ان

يظل لا شعوريا مستسرا في مكافئاته المادية ، او الموضوعية ، بل هو يندفع الى السطح ليتجلى امام البصر ، بعدما كان يتخذ له منحى اخر هو التجلي امام البصيرة وحدها . ولهذا رأينا صراحة ذلك الفلاح القادم بعباءته من « حقول التبغ كي يلغي العواصم » . وهذا يعني ان نقيض احمد هو ما يمر مرور القطارات السريعة،وانا الالغاء،الانطفاء، سرعة الزوال والانية هي قدر هذا النقيض . وبذلك يتبدى بوضوح انشاء القصيدة على التقاطب او الثنائية ، على التقابل بين الديمومي والعابر ، بين الصلادة والهشاشة ، بين الرسوخ وسرعة الامحاء ، واخيرا بين الكوني والاني .

وبسبب من ان الصلادة والديمومة والثبات ، او الصمود ، لا يمكن ان يعكسها بتراص ونصوع الا معجم تجسيدي ، فقد استطاعت قصيدة « احمد الزعتر » على عكس«تلك صورتها وهذا انتحار العاشق » ان تتخلص الى حد بعيد من نزوح الشاعر المعاصر في العقد الثامن نحو التجريد الضبابي او الهلامي والمفرغ من احشائه الحية ، وهو ما كاد ان يطوح بالشاعر المقاوم الى خارج التاريخ .

وحتى أحمد نفسه مصنوع من تناهض نقيضين . فهو حجر (صمود) وزعتر (براءة) ، وهو « تحيات الزهور وقنبلة » وهو يتزوج الامواج فوق المقصلة ، وهو الرصاص البرتقالي وكذلك البنفسجة الرصاصية ، والبنفسج في قذيفة . وبايجاز ، انه الحرب من أجل السلم السعيد . ولهذا كان أحمد يلتقي بنقيضه في كل شيء . ولعل قيام الشعر على التقابل ، او التناقض ان يكون أحد العوامل المؤسسة للمزية فيه .

ولكي توحي القصيدة بوجدان الأسى ، وبذلك تصون وحدة الغنائي والذهني ، فقد وظفت حشدا كبيرا من الألفاظ القادرة على الايحاء بحزن هادىء ومتزن ، حزن يشبه حالة أسى رقيق يخلفها فينا حلم يتألف من حزن لا صراخ فيه . ومن شأن هذه الشذرات التصويرية التي تعكس وجدان القهر والحزن الهادىء المتزن ان ترفع المستوى التأثيري للقصيدة وان تجعل منها فنا عظيما . ففي شذرات الوجدان الصافي تتولف مجموعة من العناصر الراعشة والموحية بالفاجعة الماعا وتلويحا .

ولعل الايقاع الموسيقي للقصيدة ان يكون خير داعم للجو الانفعالي الذي يرغب الشاعر في بثه واستثارته فهو يتصاعد بعنف منضبط ورصين في اللحظات التي تبتغي تشخيص وجدان الصمود والرسوخ على الحق المنتهك! غير انه يرق بحنان لطيف عندما تنتقل القصيدة الى تشخيص الاحساس بالفجيعة وتصوير الشعور المأسوي . وبذلك يتكيف الايقاع مع تحول أنات القصيدة ، الامر الذي يعني ان صلة الايقاع بالصور ومناخاتها الانفعالية هي صلة عضوية حية ، وذلك بسبب من تنوعها بتنوع المواقف وبفعل هذه المرونة القائمة داخل الالفاظ والحروف يمكن القول بأنه ايقاع وظيفي يؤدي عملا ويسهم في تعزيز المضمون .

ففي البيت الاستهلالي ، مثلا ، « ليدين من حجز وزعتر » مثلا ، حيث يحاول الشاعر ان يعزز انفعال الصمود وصورة الرسوخ ، نلاحظ كيف تتحرك الموسيقى عنيفة ورشيقة في آن معا . فالأحرف الثلاثة الاولى في لفظة « ليدين » الابتدائية تنطلق برشاقة ، ولكن السكون الثقيل المقيم في حرف الياء الثانية يكسب الايقاع الداخلي ثقلا يعززه السكون الرابض في حرف النون في الكلمة اللاحقة ، وهي كلمة « من » وكلا السكونين يعضد احدهما الاخر في نقل حس الرسوخ ، الشيء الذي من شأنه ان يؤكد الترابط المتين القائم بين الخيال التصويري والايقاع . ثم تأتي لفظة « حجر » بأحرفها الثقيلة الوقع ، وبما تثيره مجتمعة من احساس بالتثبت ، وحرف الجيم فيها ناتىء ومولد لايقاع صلب . وفي كلمة « زعتر » نسمع حركة فسكونا ، ثم حركة فسكونا اخرين ، مما يوحي بأن الترسخ الذي يمثله السكونان هو الحالة المطلوبة ، اذ يقوم كل سكون بنفي الحركة السابقة له مباشرة ، وذلك لكيما يصر على الوقوف عند برهة معينة تخدم صورة الصمود او الرسوخ . ونتحسس مع تلك اللفظة اهمية الايقاع التصويري الذي يبثه حرف العين الساكن والقائم بين صوتين متحركين ، اذ هو بهذا الموقع يوحي بتثبيت شديد الثقل وبترسخ تتعذر زعزعته .

غير أن الايقاع في لحظات الوجد الانفعالي الرزين يلطف الى حد يغاير ما كان عليه في المواقف التي تستهدف تصوير الصمود . ولنأخذ هذين البيتين مثلا .

لا تسرقوه من السنونو !
لا تأخذوه من الندى !

وهنا نلاحظ ان السكون المقيم في الف « لا » الناهية لين الى حد بعيد . كما ان تواتر حرف السين مرتين ، وهو صوت همسي رقيق ، من شأنه ان يرخم الايقاع كثيرا . ويصدق الرأي عينه على تواتر النون ثلاث مرات دون ان يكون ساكنا . وكذلك تواتر الواو اللينة

الرشيقة ، وفي البيت الثاني تأتي السكونات خفيفة ، في الف « لا » وكذلك في همزة « تأخذوه » الواقعة بين حرفين لينين هماالتاء والخاء الطرية . وتأتي النون في كلمة « من » متحركة هذه المرة ، وكذلك هي في كلمة « الندى » المؤلفة من حروف سهلة الانزلاق في الحنجرة وهذا كله يعني ان الأحرف قد لانت لكيما تسهم في الايحاء بحالة أسى ، ولكنها رزينة .

فوظيفة الايقاع في هذه القصيدة ، اذن هي تصوير المضمون واشباع المعنى بالبعد الصوتي للغة او الحروف . الحقيقة ان تحليلا كاملا ومتأنيا للحركة الموسيقية في ميسوره ان يكشف عن مدى فضل الايقاع الناجح على تعظيمها وجودتها . ومن الضروري ان يكون لهذا النجاح الذي ينجزه البعد الصوتي اصلا نفسانيا ، اذ الموسيقى المعبرة لا يمكن ان تنبثق الا من شعور مؤصل في قاع الوجدان . فالجرس الضارب بعنف منضبط وغضب متأن ، وكذلك المتفاوت الوقع بين فقرة واخرى ، هو واحد من أهم معايير الخصوبة الانفعالية والذائقة الشعرية .

واضح ، اذن ، ان القصيدة الجديدة ، قصيدة الفترة المركبة المعقدة والنازعة نحو ابعاد رمزية مكثفة قد نضجت الان في النصف الثاني من العقد الثامن ، وذلك بعد ما مرت بتجارب عديدة ، تجارب كان الشعر العربي المعاصر قد استهلك معظمها . وسر نجاحها كامن في حالة اساسية فحواها انها اضافت بعد الكثافة الى البعد الغنائي الذي كان لها في ابان النصف الثاني من الستينات . وباجتماع هذين العنصرين في تركيبة تعلو فوق اي منهما منفردا استطاعت القصيدة المقاومة ان تشرح انعكاس الواقع الكثيف في النفس الشاعرة ، وان تلم حركة الحياة بكامل غناها وعظيم نبضها .

بيد ان الفترة الجديدة ، فترة السبعينات ، قد عرفت تراجع حركة الشعر المقاوم في الأرض المحتلة ، وذلك بعد هجرة محمود درويش الى البلدان العربية . فقد صمت توفيق زياد الا قليلا ، وهاجر راشد حسين ومات بعيدا عن الوطن ، ولم نعد نسمع الكثير عن سالم جبران وحنا ابو حنا ، مثلما لم نعد نسمع شيئا عن بعض الأسماء الأخرى التي رافقت نهوض الشعر المقاوم في الستينات ، من امثال عصام العباسي ونايف صالح سليم وحبيب زيدان شويري وسواهم . ولم تستطع الأسماء الجديدة التي ظهرت في العقد الثامن داخل الأرض المحتلة ، امثال عبد اللطيف عقل وسميرة الخطيب وليلى علوش وليلى كرنيك (لاحظ اسهام المرأة في هذه الفترة) ، لم تستطع ان تثبت اقدامها بشكل راسخ وثقيل الحضور في حركةالشعر المقاوم . ويبدو ان ليلى علّوش بمجموعاتها الثلاث الصادرة في النصف الأول من السبعينات ، ولا سيما « اول الموال ، آه » ، الصادر في القدس (١٩٧٥) يبدو انها الشيء الوحيد الجديد الذي يستحق بعض الاهتمام .

بيد ان شاعرا واحدا من رعيل المقاومة الأول ، رعيل الستينات ، قد صمد في حلبة الشعر حتى اواسط السبعينات تقريبا ، اذ هو قد اتجه في السنوات الأخيرة نحو الرواية والمسرح ، وما هذا الشاعر سوى سميح القاسم ، الذي اعتاد في مطلع امره ان ينم عن نفس قومي ووطني اصيل ، والذي مـــارس فـــي العقد الثامن شيئا من التحرك والانتقال من الفترة الغنائية الى

الفترة المركبة . ففي قصيدته الناضجة ، مراثي سميح القاسم » وهي قصيدة مطولة نشرها عام ١٩٧٣ ، يهجر نزعته السردية التي سادت بعض شعره في ابان العقد السابع ، ويتجه نحو طريقة في التعبير تعتمد على اسلوب التوراة . فهو يفتتح هذه القصيدة تماما كما يفتتح احد الاسفار التوراتية المتأخرة :

من قمة جبل الجرمق أعلى جبل في وطن الأسماء
صار كلام الرب الي انا المنبوذ سميح القاسم
قال الرب الهي . استجمع احزانك والمطر القادم
واستجمع موتى قومك والمرضى والاحياء .

ولعله من الواضح ان هذه اللغة الشعرية تشبه لغة ارميا ، او لغة واحد من انبياء التوراة في مرحلة السبي مثل حزقيال او دانيال او ميخيا ، بل لعل العنوان نفسه ان يشبه عنوان « مراثي ارميا » .

والأوضح من ذلك ان احساسا حادا بالهزيمة يهيمن على هذه القصيدة المطولة ، وكذلك بعض روح الاسى المرير ، مثلما تنتشر فيها نزعة نقد الحركة التاريخية ، او نقد الواقع ، وتصوير ما آلت اليه الأمور في هذا العقد الثامن المكتئب ، اذ ثمة احساس بفداحة الوضع الراهن وثقل وطأته . ان شعورا بالخيبة يتوطد ثقيلا في هذه اللغة الرثائية .

وايا ما كان الشأن في جوهره ، فان « مراثي سميح القاسم » من نتاج البراعة والثقافة اكثر مما هي نتاج اصيل لما هو صميمي في الفؤاد البشري . فهي محاولة لتوظيف التراث الديني ابتغاء التعبير عن حالة قد لا تقبل هذا التوظيف كثيرا . والاكثر من ذلك انك تشعر بشيء من الافتعال في بعض مقاطعها . فلنلاحظ ، على سبيل المثال ، كيف تحاول القصيدة ان تقلد اسلوب القرآن في غيرطائل .

لام نون . وضراعة روحي وعمادي في الحمأ المسنون .
والكفن الطالع من جلدي . والتابوت الطالع من جسد الزيتون .

ولكن ، مع ذلك كله ، تبقى هذه القصيدة واحدة من المنجزات المحترمة في حركة الشعر المقاوم في ابان العقدالثامن .

بيد أن سؤالا جديرا بان يطرح الان يلح باصرار على ان يتلقى اجابة مقنعة . لماذا صمت (او كاد يصمت) الشعر المقاوم في الأرض المحتلة ؟ او لماذا لم يحافظ على تلك الثورة التي انجزها في اواخر العقد السابع ؟

خامسا ــ تطور الشعر المقاوم في المنفى

ليس جديدا ان يقال بأن الشعراء الفلسطينيين يختلفون من حيث طرق التعبير في مرحلة المقاومة عنهم في مرحلةالنكبة . ولعل معين بسيسو ، وهو ينتمي الى جيل النكبة وجيل المقاومة معا ، ان يكون من بين اسبق الشعراء الفلسطينيين الى كتابة قصيدة التفعيلة . ويتلوه في

الزمان شاعر اخر هو محمود صبح ، ثم فواز عيد الذي اصدر في اواسط العقد السابع مجموعة عنوانها « في شمسي دوار » لتكون من بين الأعمال المبكرة النازعة نحو الحداثة . ويمكن لمؤرخ الشعر المقاوم ان يهتم بشاعرين اخرين ظهرا في العقد نفسه ، وهما صالح هواري وخالد ابو خالد.بيدان يوسف الخطيب ، وهو من جيل النكبة ، قد ظل أبرز شاعر فلسطيني في المنفى طوال الستينات ومطالع السبعينات .

وعلى اية حال ، فان مجموعة كبيرة من الشعراء قد افرزتهم حركة المقاومة في المنفى ، بل لست اظن ان مؤرخا ادبيا يملك ان يحصي اسماء شعراء المقاومة في العقد الثامن ، وكيف يسعه ذلك ، وهم المنتشرون في اصقاع كثيرة من الوطن العربي والأوطان الاجنبية بل ان بعضهم ، كمحمود صبح ، مثلا ، اخذوا يكتبون بلغات اجنبية .

بيد ان العقد الثامن قد ابرز حفنة معينة من الشعراء في المنفى ، لعل اهمهم احمد دحبور، وليد سيف ، عز الدين المناصرة ، محمد القيسي ، مريد البرغوثي ، مي صايغ . فهؤلاء هم اشهر الذين ادلوا بشهادتهم على هذا العقد في المنفى ، وهم اول الذين عاشوا تضعضع حركة الواقع التاريخي وشهدوا عليه .

يتحرك شعر احمد دحبور في اجواء الفقر ونقد الحركة التاريخية ، وينزع نزوعا ملموسا باتجاه شكل له شيء من الرصانة ، وباتجاه صورة تحاول معانقة الغرابة بحيث يمكن لمن يقرأ مجموعته الاخيرة ، « اختلاط الليل والنهار » (١٩٧٩) ، ان يتوقع لهذا الشاعر تطورا ينحو نحو الحداثة بمعناها المغرب ، على الرغم من انه لم يزل يستعمل لغة بعيدة من السوريالية التي يبدو انه يطمح اليها ــ وهو في اعتماده على التراث الشعبي ، وكذلك على الكثير من عناصر التراث العربي ، يبدو انه يثير ازمة الهوية الفلسطينية ويبحث عن الشخصية العربية في التعبير . وفضلا عن ذلك فان حسا طبقيا ذاكيا ينتشر في قصائده جملة تقريبا . وهو لا يتبدى الا متفائلا مملوءا بالأمل ، امل النصر للفقراء وللبشر طرا .

وفي مجموعته السابقة ، « طائر الوحدات » (١٩٧٣) نلمس رعشة المأساة تتماوج بين السطور وفي الألفاظ ، ولكنها تأتي مدعومة بأمل لا يفتر قط ، على الرغم من هذا التردي التاريخي كله ، وعلى الرغم من ان موضوعة الاجهاض الثوري والتراجع التاريخي تتواتر في المجموعة برمتها . ومن الملحوظ ان المجموعة تحاول أن تتكىء على الاكثار من الاشارة الى عناصر تراثية ، ولا سيما عناصر قرآنية وانجيلية، ولكن هذه العناصر تبقى مستترة ومضمرة في السياق .

وثمة صوت آخر بين هذه المجموعة من شعراء المنفى الشباب يتميز بخصوصية متفردة وخصيبة هو وليد سيف ، الذي تبدو مجموعته الثانية ، « وشم على نراع خضرا » أسلوبا خاصا في التعبير عن المأساة الفلسطينية . ومن يقرأ مجموعته الاولى ، « قصائد في زمن الفتح » (١٩٦٩) يدرك أن الفرق بين المجموعتين شاسع البون ، ويتساءل عن سبب هذا التطور السريع والعميق ، لا سيما وأن المدة الزمنية الفاصلة بين المجموعة الأولى والمجموعة الثانية لا تزيد عن سنتين . ولدى التدقيق نكتشف ان هذا الشاعر قد اخذ يدور في فلك الشاعر

الاسباني لوركا ، حتي لتبدو آثار هذا الأخير واضحة عليه بكل جلاء .

بيد انه مع ذلك ، قد ابتكر شخصيتين بارزتين استقاهما من التراث الشعبي والتراث الاسطوري القديم ، وهما شخصية خضرا وشخصية زيد الياسين . فهنا تتحرك رموز الخصب والارض والنماء لكيما تتوالف في تركيبة طرية الملامح ، في شكل تعبيري متماسك وخلاب ، شكل يرسم أو يحدد الهوية الجديدة يومذاك ، هوية البطل ، او المسيح المخلص ، أو الفارس الذي ينقذ الأرض اليباب من لعنتها المزمنة . انه ، اذن ، يحاورنا بطريقة لا شعورية عبر الأنماط العليا أو الصور البدئية التي تؤلف قاع النفس الثابت على الدوام ، حتى لتحسب أن خضرا هي الاسم الاخر لربة الخصب ، أكانت ايزيس أم عشتار ، وحتى لتظنها لا رمزا للأرض الفلسطينية وكفى ، بل انك لترى فيها رمزا لا شعوريا لانتصار الخصوبة والخير على القحط والشر :

ركضت خضرا
لسعت قدماها ضرع الأرض العطشانة ،
نما النعناع البري على كل الجدران
وفار العرق الدافىء فوق الخدين .

اية حيوية ، وأية شمائل لطيفة ، تسكن هذه اللغة المخضوضرة الشبيهة بلغة الصوفيين ! أية أبعاد كونية تتفور فيها !

ويتقدم المخلص ، لكيما يعبر عن المرحلة في فورانها ، في مخاضها الخصيب ، وذلك من خلال وصفه لذاته من حيث هو جيل لا فرد ، وهو وصف ينبت في لغة ارجوانية طافحة بالحيوية ، نابضة بالحدوس الصوفية ، قلما يمتلكها شاعر مقاوم من هذا الجيل . ولقد اتخذ الشاعر من تواتر بضع كلمات لازمة لشعرة . الكون ، العرق الدافىء ، اسرار الطمي ، العشب وبهذه الكلمات لا ينبش حس الخصوبية وحسب ، بل هو يرفع ذلك الحس الى أفق كوني . ولهذا جاء المخلص يحمل بعدا كونيا ، اذ هو ينبثق من الأساس الكوني للنفس .

مفتونا بالموت
استسلم للمطر اللاذع والأعشاب
من يحمل عني هذا الفرح الوحشي
هذا العشب الطافح من جرحي البري فالكون يشتعل ، ولكن بماذا ؟
برائحة البحر وصرخات البحارة
ورذاذ العرق الدافىء
في جسد امرأة ريفية
توقد اسرار الطمي وتاريخ الموال .

وكذلك فان زيد الياسين ، رمز الفداء والخلاص ، ورمز الالهة التموزي الهازم للقحط ، مسكون هو الاخر « برموز الطمي » ، مثلما هو مسكون بالزعتر وعصافير الدم ووجوه الموتى ، وكذلك بالمأساة . وهذا يعني ان فريد الياسين هو الاسم الاخر لخضرا ، وهما معا تسمية

جديدة لالهة الخصب ، ولبعض ابطال السير الشعبية ، او ابطال التراث العبي .

ومع ان هذا الشاعر ـ كمعظم شعراء المقاومة في العقد الثامن ـ تهيمن على شعره نزعة الموت بكل وضوح ، أو صورته على الاقل ، فان عالمه مشرق فرح وفوار بالحيوية ، بل ان ثمة نوعا من الدهشة الصوفية تسكن لغته وصوره المتألقة الوضاءة . وفضلا عن ذلك فانه يدرك الموت بوصفه آن السلب المفضي الى الايجاب ، أعني أنه البرهة الضرورية من أجل الولادة الثانية ، تماما كصورته أو مفهومه في الاسطورة التموزية . فالشاعر ، او زيد الياسين ، أو البطل المخلص، يريد أن يجوز المدن باتجاه الموت ، ولكن كيما يظل حاضرا في الكون .

مدائن الميلاد لو أظل عندها أموت
لكنني أريد ان اكون

ان ثمة صورا من العهود الوثنية تسكن هذه اللغة البعيدة كل البعد عن الخطابية والمباشرة . فهي لغة تخصب فيها التجربة الداخلية التي هي المعيار الأول لنقد كل شعر عظيم ، وهي لغة تجنح بكل وضوح نحو تجسيم الانفعالات ذات التفاصيل النفسية العميقة ، وذات الأصباغ المتباينة . وبهذا المعجم البهي الذي أحسنت ادارته يكتسب شعر وليد سيف وهجا ويخضورا وقوة تمغنطه وتضفي على نسيجه اللغوي شيئا من السحر الخلاب . فالاشياء في هذا الشعر تبدو نوعا من الانتشاء باكتشاف اسرار مجهولة ، أسرار أشبه بالأسرار الصوفية السرية التي تباغت وتطوق . ولعل مزية هذا كله ان تكون ذلك التعبير بالمسجدات والمعادلات الحسية عن الصور البدئية الراسخة في قاع النفس والمتخارجة عبر لغة غنائية بعيدة عن الذهنية والتفلسف .

بقي شاعران اخران في جيل السبعينات لهما أهمية ملموسة بعض الشيء ، بل هما لا يقلان أهمية عن الشاعرين السابقين . ولعل من يعرف شعر الرجلين ان ينتبه للتشابه بينهما ، هذا التشابه القائم على نغمه من الأسى تنبت في شعرهما الذي لا يخلو من نزعة الغنائية الفجائعية .

أما أول هذين الرجلين فهو محمد القيسي الذي أصدر حتى اواسط السبعينات أربع مجموعات شعرية هي . « راية في الريح » (١٩٦٩) و« خماسية الموت والحياة » (١٩٧٥) و« رياح عز الدين القسام » (١٩٧٤) ، و« الحداد يليق بحيفا » (١٩٧٥) . وفي هذه المجموعة الأخيرة يغرق الشاعر في نوع من الحزن ظل مهوما لانه لم يجد عبارته الموائمة وصوره الحية وشكله القادر على حمله . ولعل مجموعته الثانية ، « خماسية الموت والحياة » ، ان تكون خير مجموعاته الشعرية ، بل هي في الحقيقة محاولة ناجحة للتعبير عن نمط خاص من الأسى يمكن ادراجه في خط الغنائية الفجائعية الذي ساد الشعر المقاوم في الوطن المحتل عبر النصف الثاني من الستينات . ففي هذه المجموعة تنبت انواع من الاخيلة والوان من العواطف الصادقة، وتنبت كذلك صور تتلون حقا بلونه الداخلي .

ان شعر القيسي بوجه عام لا ينجح الا حين يشحنه بدفقة كثيفة من الحزن والشجن .

وخير مثال على ذلك تصويره لشخصية حمدان الناطور في مجموعة « رياح عز الدين القسام » . اما حين تصاب هذه الدفقة بالنقص فان القصيدة تخسر الكثير من قيمتها . أما شخصية القسام كما صورها القيسي فلا ترقى الى مستوى شخصية زيد الياسين ، كما رسمها وليد سيف . فالقسام ، على الرغم من انه تجسيد واضح لقوة الخلق والتواصل في الكائنات ، على الرغم من كونيته هذه ، يظل مفتقرا الى تلك الخصوصية في البناء الروحي التي يستمتع بها زيد الياسين ، مع ان كليهما محاولة لتقديم صورة أبدية للبطل المنقذ ، وذلك بسبب من تلك الحضرة الصوفية او البدائية التي تمتزج امتزاجا حميما بلغة وليد سيف .

اما الشاعر الاخر فهو عز الدين المناصرة الذي أصدر مجموعة عنوانها « لن يفهمني احد غير الزيتون » عام ١٩٧٦ . وكغيرها من مجموعات الشعر المقاوم ، تحاول قصائدها ان تستضيف رموز الخصب استضافة لا شعورية ، ولا سيما شجرة الزيتون واللون الاخضر والمطر والغابات . وفي قصيدة عنوانها « جفرا ارسلت لي دالية وحجارة كريمة » يستل من التراث الشعبي اسم الجفرا التي ترمز ــ حتى في اللاشعور الشعبي نفسه ــ الى الدفق الحيوي والجمال الانوثي معا، أعني خصوبة التربة وخصوبة النسل . وهو يرتفع بهذا الرمز الى المستوى الوطني ، بل والى المستوى الكوني حتى لتصير جفرا اسما اخر للوطن والثورة ، وكذلك لعشتار الهة الخصوبة :

جفرا امي ــ ان غابت امي ــ جفرا الوطن المسبي ،
الزهرة ، والطلقة والعاصفة الحمراء .
جفرا ــ ان لم يعرف من لم يعرف ــ غابة زيتون ،
ورفيف حمائم وقصائد للفقراء .

وبهذا نلاحظ تشابها بين جفرا ، كما صاغها عز الدين المناصرة ، وبين خضرا كما صاغها وليد سيف ، اذ كلتا الشخصيتين منسوجة من الصورة البدئية للخصب والاخضرار ، وكلتاهما تحاول ان تكون رمزا وطنيا وكونيا ، محليا وعالميا . ولكن خضرا اكثر عفوية او تلقائية من جفرا ، اذ هي تستمتع ببعد روحي وبنشوة بدائية ، والأهم من ذلك انها اكثر اضمارا واستتارا من صورة الجفرا الواضحة المقصد ، والتي يصل الفهم الى استيعائها مباشرة تقريبا ، حتى لتكاد تفقد بذلك مستواها الرمزي واللاشعوري .

قبل هذه المجموعة الأخيرة أصدر عز الدين المناصرة أربع مجموعات شعرية هي . « يا عنب الخليل » (١٩٦٨) ، « الخروج من البحر الميت » (١٩٧٠) ، « قمر جرش كان حزينا » (١٩٧٤) ، « با جس ابو عطوان يزرع أشجار العنب » (١٩٧٤) . ولكن هذه المجموعات لا تمتاز بالقدرة التعبيرية والزخم الحيوي اللذين تتميز بهما مجموعته الآخيرة ، اذ تفتقر تلك المجموعات الى رعشة الانفعال وثراء المعاناة ، وغنى التجربة الداخلية .

وبوجه الأجمال يفتقر جيل السبعينات من شعراء المقاومة الى عمق المكابدة ، ويجنحون الى الشكلانية والبراعة الفنية والاتكاء على ثقافتهم اكثر مما يميلون الى الصدور عن افئدة

مترعة بالشفافية والارتعاش الوجداني . ويشعر قارىء انتاجهم بأن رموزهم قد غدت مستهلكة ، وان لم تكن كذلك فهي رموز واعية تمام الوعي في معظم الأحيان . وفضلا عن ذلك فان لغة هذا الجيل شديدة التشابه ، اذا استثنينا اسما او اسمين ، وذلك يعني انهم قد أركسوا في النمطية ، ووحدة الانموذج ، حتى لقد ندر بينهم من كان يتفرد بصوته الخاص .

ولعل أبرز ما يخص الشعر المقاوم في العقد الثامن أن مجموعة محددة من المشاعر أو القسمات الداخلية قد راحت تسود انتاجه جملة . وجدان الموت ، حس القهر والهزيمة والحزن ، الشعور بمرارة التردي التاريخي ، عقدة الذنب او الدونية ، عقدة العجز والعنانة ، انكفاء الوجدان على الذات بالتقريع والتجريح ، الرؤية القاتمة للواقع ، وهو الذي اخذ يتلون باللون الرمادي في نظر الشاعر المقاوم . اذ « الرمادي من البحر الى البحر » . لقد انتقل الشعر من تفاؤله في أواخر العقد السابع ، الى نوع من السوداوية في العقد الثامن ، وذلك بالطبع تحت الحاف واقع تاريخي لم يعد فوارا كما كان من قبل .

ولعل أهم مسألة تخص الشعر المقاوم اليوم هي ما يمكن ان تصاغ في هذا السؤال ما مصير هذا الشعر ؟ ومع ان الاجابة عن هذا السؤال ليست من اليسر في أي مكان ، فان في وسعنا التكهن بأن مصير الشعر المقاوم مرهون بمصير المقاومة نفسها . وربما كان الامر غير ذلك ، فمن يدري ؟

محمد الشاعر

دور العقول الالكترونية والسبرنتيك في اتخاذ القرار العسكري

(١) ما هو القرار من وجهة النظر العسكرية ؟

باعتبار ان بحثنا يهتم في الدرجة الاولى بكيفية اتخاذ القرار العسكري مستخدمين العقول الالكترونية ، لهذا يجب التركيز على معرفة القرار ، ودراسة جميع العناصر المتعلقة باتخاذه .

ــ يعرف القرار بانه « فن عقلي وخلقي بواسطته يتم حل مسألة او قضية من بين حلول عديدة بعد اجراء عملية فحص دقيق لتلك الحلول ، ثم يوضع هذا الحل في الطريق الذي يقدم اكبر فرصة للنجاح » ، اذن هو عملية وصل بين الذكاء الذي يختار والارادة التي تفرض ، وهو ايضا الذي يجعل النظرية عملا في الواقع .

ان اتخاذ القرار يتضمن ثلاثة افكار ، او عوامل ، رئيسية وهي :

١ ــ يفترض القرار وجود عدة حلول ، واذا كان الحل واحدا فلن يكون هنالك قرار .

٢ ــ يتطلب القرار عملية عقلية على مستوى الادراك ، كما وان المنطق ضروري عند اتخاذه ، لكن لا يمكن اخفاء تأثير العوامل العاطفية واللاعقلانية على العملية العقلية .

٣ ــ للقرار غاية عند اتخاذه وهو تحقيق هدف ما[١] .

للقرار نظريات عديدة يصعب حصرها وتحديدها ، غير انه بالامكان تعليل هذه النظريات باشكال مختلفة :

أ ــ بالمراحل الثلاث للعمل : التوجيه ــ التنظيم ــ القيادة .

ب ــ بالمراحل التسلسلية لاتخاذ القرار : تحديد المسألة ــ تحديد معايير اختيار الحل ــ تجميع المعطيات ــ تحليل المعطيات ــ تركيب المعطيات ــ واخيرا اختيار الحل .

ان ما يهمنا بالنسبة للقرار العسكري ، او السياسي ، هو دراسة المراحل المختلفة لاتخاذ القرار بدءا من : تحديد المسألة ـ تحديد معايير الحل ـ تجميع المعطيات ثم تحليلها ـ تركيب المعطيات ـ اختيار الحل الملائم ـ واخيرا تنفيذ القرار الذي يعتبر عملية تجسيد واحياء للقرار ، ونقله من الاطار النظري الى الحقل العملي .

وقبل ان ندرس المراحل المختلفة لاتخاذ القرار يتوجب علينا دراسة المخطط ١ ، لاتخاذ القرار العسكري (او السياسي) عند توفر الوقت .

ان العناصر الرئيسية لاتخاذ القرار عند عدم توفر الوقت (عند توفر الوقت نعود للمخطط ٢) هي :

ـ فهم المهمة العسكرية (او السياسية) وفكرة القائد وتوجيهاته .

ـ تقدير الموقف على اساس : من اين نتحرك ؟ مع من نتحرك ؟ كيف ومتى نتحرك ؟ لماذا نتحرك ؟ هدف التحرك واتجاهه الرئيسي ؟ الى اين نتحرك ؟ .

(في القرار العسكري تدخل هنا الاسلحة المساندة والقوى المختلفة والوسائط والامكانيات) .

ـ الوقت المتوفر : تقسيم الوقت قبل التحرك، تقدير الوقت اثناء التحرك .

ـ توزيع الاوامر والمهمات الاولية ، الاستمرار في جمع المعلومات .

اتخاذ القرار : ـ توزيع الاوامر والمهمات النهائية(٢) . تامين الوسائط المادية والمعنوية . تأمين اعطاء المعلومات والاستمرار في جمع المعلومات الجديدة . تنسيق وتنظيم التعاون .

وكما هومعلوم ، يمكن ان يشمل القرار ، بصيغته النهائية في العمليات العسكرية ، سبعة نقاط اساسية انبثقت من التقدير الصحيح للموقف :

١ ـ أين توجه الضربة الرئيسية .
٢ ـ العدو وتسلسل تدميره .
٣ ـ تنظيم وترتيب القوى والوسائط .
٤ ـ المناورة وتجنب الضربات غير المنتظرة من العدو .
٥ ـ تنظيم التعاون بين مختلف المستويات وبين مختلف الاسلحة .
٦ ـ تنظيم القيادة ، مكانها وطرق الاتصال بها .
٧ ـ التأمين المادي والمعنوي الذي يكفل استمرار المعركة لتحقيق الهدف .

مراحل اتخاذ القرار : ان دراسة نظريات القرار على ضوء مراحله ما زالت قيد البحث

لانها تخضع لعدة عوامل ، منها الوقت والوسائل المتوفرة واسلوب التفكير وفقا للعقائد العسكرية والسياسية وظروف هذا البلد وذاك ، ومع ذلك يمكن ان نتبنى التسلسل التالي عند اتخاذ القرار .

١ ـ تحديد المسألة : عند تحديد المسألة يجب التمييز بين الاهداف والوسائل حيث ان الهدف في مرحلة ما يكون وسيلة ، والوسيلة يمكن ان تكون هي الهدف، من هنا يجب ان نحدد محيط المسألة المطلوب حلها بشكل دقيق .

٢ ـ تحديد معايير الحل : حيث يساعدنا على التحضير المطلوب والواقعي للحل ، ويجنبنا الوقوع في الاعمال الاضافية .

٣ ـ تجميع المعطيات : لدراستها وتصنيفها بالصورة الملائمة للقرار ، وهنا يجب تجنب الدخول في التفاصيل الثانوية ، وتعتبر عملية تجميع المعطيات وتصنيفها وتحليلها طريقة حديثة تسمى معالجة المعلومات (انفورمتيك) .

٤ ـ تحليل المعطيات : وتشمل البحث عن العلاقات بين المعلومات والمعطيات المتعددة ، وتأثيرها على موضوع القرار ، وتعرف عسكريا بـ « عناصر القرار » .

٥ ـ تركيب المعطيات : بعد التحليل والتصنيف تظهر مرحلة البناء والتركيب ، حيث تنفتح الطريق للوصول الى حل او عدة حلول ممكنة .

٦ ـ اختيار القرار : يقوم به القائد مع اركانه (ان امكن جمعهم) ، وهنا يمكن استخدام وسائل آلية لكسب الوقت ، واختصاره ما امكن . وتلعب شخصية القائد وسعة اطلاعه واستيعابه للعلوم العسكرية ، نظريا وعمليا ، دورا فعالا ، على اعتبار ان القرارات الجماعية لا تصلح الا في المحاكم وبعض انظمة الحكم (قد لا يكون ذلك مقبولا في القضايا السياسية) اما في الوحدات والقطاعات والتشكيلات المقاتلة ، فان طبيعة العمل تقتضي وجود قائد واحد ، يتخذ على مسؤوليته القرار النهائي . ولا شك ان مثل هذا القرار لا يعتبر فرديا ، على اعتبار انه محصلة للعمل الجماعي ، ونتيجة للتنسيق مع القيادة العليا ، او تنفيذا لاوامرها بصورة مباشرة عند الاقتضاء .

ان ضمان اتخاذ القرارات العسكرية او السياسية لا يمكن تحقيقها الا بعد اجراء بحوث حول العمليات ، والتي يمكن تعريفها بانها : « بحوث رياضية ومنهج لعملية من العمليات ايا كان نوعها ، وتعتبر بحوث العمليات كعلم للعمليات ، وتطبق الوسائل العلمية عند اجراء اي بحث ، بمعنى انها : التحضير المنطقي والموضوعي للقرارات » .

للبحوث العلمية عدة فوائد اهمها :

ـ تسهيل وتنظيم عدة اراء مختلفة لمجموعات ذات اختصاصات مختلفة ، تسهل عند تضافرها حل اي مشكلة او معضلة .

ـ فائدة دراسة كل موضوع حسب علاقته بعملية محدودة ككل .

ـ فائدة واسعة لاختبار المواضيع المدروسة وامكانات طرح استقصاءات احصائية .

ـ اهمية قدرة التبادل الحر للمعلومات بين الاشخاص العلميين والعسكريين على مختلف المستويات .

على هذا الاساس اقتضت الضرورة توكيل مجموعات واسعة من العلماء والعسكريين ، في

مختلف الاختصاصات ، وفي كافة الدول الشرقية والغربية ، حيث يوجد الان في كل جيش عصري مكتب خاص لبحوث العمليات ، لان الاسلحة الحديثة ، واسلحة التدمير الشامل ، وضعت القائد ــ من مستوى قائد لواء في الدفاع الجوي ، ومستوى فرقة في القوات البرية حتى مستوى الجيش او الجيوش(٣) ــ امام تغييرات ومواقف متعددة تحتاج الى قرار سريع لا يمكن لشخص واحد ، مهما بلغت قوة ذكائه ، ان يتخذه بالسرعة المطلوبة ، ولا يجوز مطلقا التفكير ان مجموعة بحث العمليات التي تتألف من عسكريين واختصاصيين علميين هي التي تقوم وحدها باعداد الحلول لهذه المتغيرات والمواقف المختلفة المتعددة عند حدوثها . ان بحث العمليات يدرس مسبقا هذه المتغيرات والمواقف المختلفة ، ويضع برنامج العمل اللازم للالة (او العقل الالكتروني) التي تعد الحلول ، وتعرضها على القائد ، لاتخاذ القرار المناسب .

(٢) السبرنتيك وعلاقته بالتنبؤ واتخاذ القرار

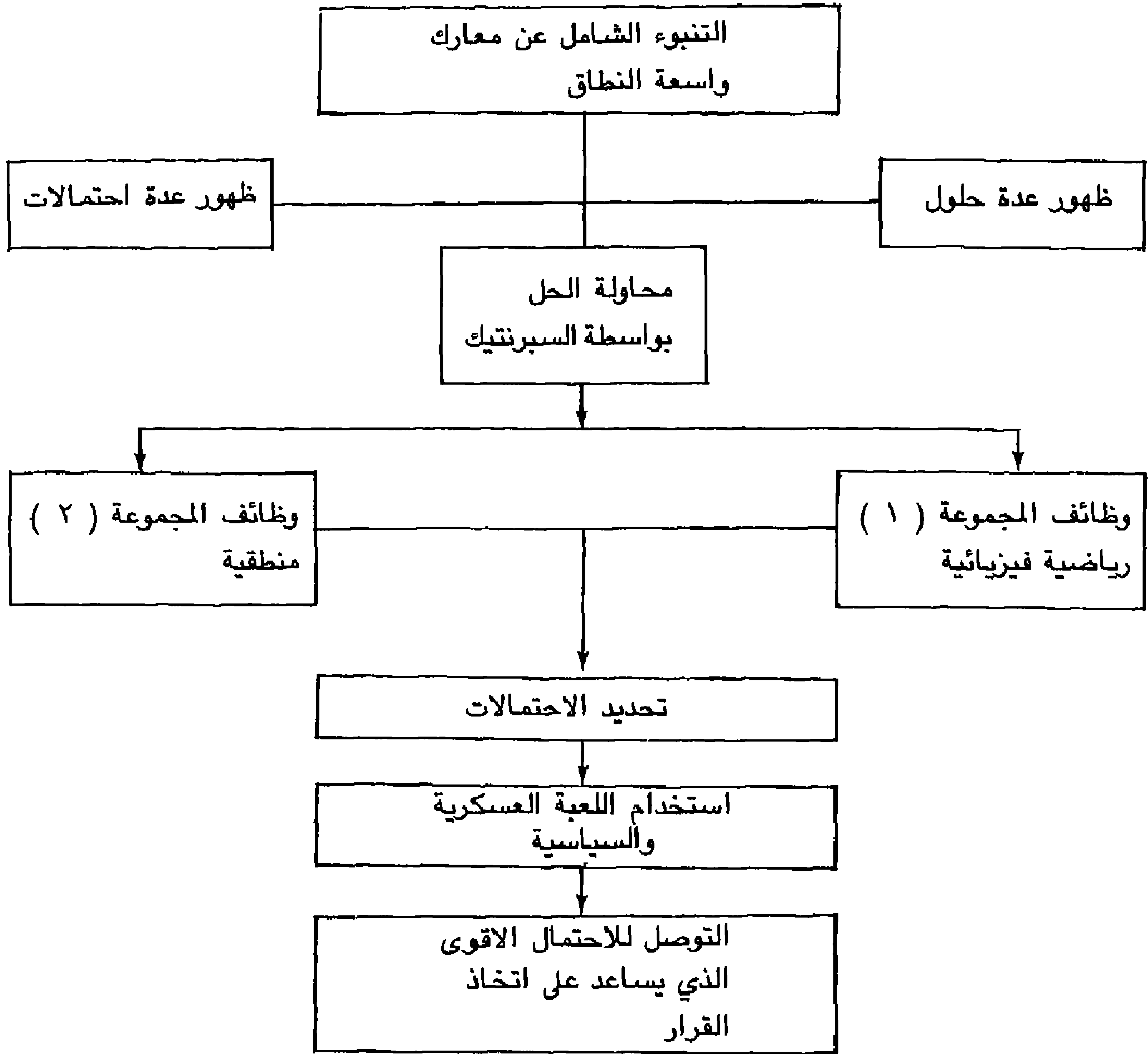
قبل البحث في هذا القسم من دراستنا لا بد لنا من تعريف السبرنتيك ، الذي اطلق عليه البعض علم العلوم وفي رأيي ان في ذلك مبالغة ، حيث اننا لو قبلنا ، جدلا ، بأنه علم العلوم ، فمعنى ذلك وضعه في مكانة الفلسفة بالنسبة للعلوم الاجتماعية والانسانية .

ان التعريف التالي للسبرنتيك هو الملائم : « فهو النظرية العاملة للعمليات المترابطة ببعضها ، سواء كانت هذه العمليات علمية او تقنية او نفسية اجتماعية ، او سياسية عسكرية » .

ان ما يهمنا هو معرفة امكانية استخدام السبرنتيك في حل بعض القضايا العسكرية ، وخاصة ما يتعلق باتخاذ القرار . لقد دلت التجارب انه بالامكان الاستفادة من السبرنتيك ، سيما وانه قادر على تأمين العلاقة الوثيقة بين الرياضيات والمنطق ، وبين جمع المعلومات ، وتحليلها ، ثم تركيبها ، والخروج بالقرارات الصائبة ضمن حدودها الكمية بشكل خاص .

ان سير المعركة الحديثة ، بعد التطورات الحديثة في استخدام اسلحة التدمير الشامل ، وانزال القوات المحمولة اليا ، واستخدام المدرعات التي تمتاز بقدرتها الفائقة على المناورة وسرعة الحركة ، ثم قوة سلاح الصواريخ واستخدامه في السرعة والزمان والمكان المناسب ، كل ذلك أوصل الى قياس كافة المعطيات الضرورية بدقة وبتقييم رياضي لقسم كبير من سير المعركة المتوقع ، الا ان سير المعارك الكبيرة ، التي تنفذ على جبهات واسعة ، وتخوضها جيوش كبيرة ، تبقى صعبة بالنسبة للتنبؤ والتطبيق الرياضي ، ومع ذلك فقد قطع علم السبرنتيك ــ وخاصة بعد اختراع عقول الكترونية متطورة ــ مجالا واسعا لحل مشاكل الجبهات الواسعة من خلال تقسيم العمل الى مجموعتين : الاولى ذات وظائف رياضية فيزيائية ، والثانية ذات وظائف منطقية يمكن تحديدها كما يلي :

المجموعة الأولى : (ذات الوظائف الرياضية الفيزيائية) : تعالج الاحداث الخاضعة للقوانين الفيزيائية ذات الصيغ الرياضية ، وحلولها تكون دائما دقيقة ، لانها تعتمد على الآلات الحاسبة الالكترونية كميا وكيفيا . ويعتبر الدفاع الجوي احسن مثال تطبيقي على ذلك ، وكذلك تحديد حالات الاشعاع النووي وتطوراته في المنطقة (ب) عندما تتعرض المنطقة (ج) لاصابة مباشرة موجهة من سلاح نووي .



اما المجموعة الثانية : فهي تهمنا اكثر من المجموعة الاولى من الناحية العسكرية ، لان وظائفها المنطقية تعالج الاجتماعات المؤدية لاتخاذ القرار ، ولو ان وظائفها تكون في معظم الاحيان غير دقيقة الا انها تكون قريبة من الواقع . والقائد قادر على ايجاد الحل المناسب اذا ما تمكن من وضع تصور وتخطيط مسبق للمعركة ، من كافة وجوه النشاطات والفاعليات المتعلقة بالمشتركين في العمليات العسكرية ، مع الاخذ بالاعتبار ردود الفعل الذاتية التي تختلف بين فئة واخرى ، سواء في ظروف واحدة او مختلفة .

من هنا تظهر شخصية القائد وقدرته على التصور والتخطيط الواقعي المستند على التنبؤ ووضع الاحتمالات التي ستواجهه اذا ما قرر اتخاذ القرار النهائي ، في الدفاع او الهجوم ، وغير ذلك من الاعمال القتالية . وحتى مطلع القرن العشرين كان القادة العسكريون يعتمدون على المقدرة الشخصية ، بالتعاون مع مساعديهم اذا اقتضى الامر ، دون استخدام الوسائل المتطورة ، وخاصة العقول الالكترونية . ويمكننا ان نتساءل الان ، بعد ظهور واستخدام هذه الآلات الالكترونية في العديد من مرافق الحياة ، وخاصة في الاقتصاد والمختبرات العلمية وغيرها ، للتوصل الى حساب ادق النتائج واكثرها تعقيدا ، نقول هل يمكن استخدام العقول

الالكترونية في اتخاذ القرار العسكري ؟ ، وجوابنا على ذلك : ان العقل الالكتروني يساعد على تجميع العناصر الاساسية والاضافية للمعركة ، كما يساعد القائد على اختبار الحل الملائم من بين عدة حلول من الصعب معرفة درجة صحتها او خطأها ، ومع ذلك تبقى كل هذه العناصر هي مساعدة للقائد عند اتخاذ القرار ، لانه يحتاج الى توفر الجهد الانساني الكبير الذي يبذله القائد عندما يقبل بالحل الملائم الذي تضعه الالة ، وكل ذلك لا يعفيه من وضع قراراته الثانوية ــ التي هي جزء من القرار العام ــ ونعني ، في حالة الهجوم مثلاً :

١ ــ اختيار طرق التقدم والانتشار الملائمة ثم اختيار الاهداف التكتيكية .

٢ ــ حساب نتائج الرمي والخسائر التي تنجم عند عبور الموانع المائية وحقول الالغام ، ثم حساب الخسائر المحتملة ليتمكن من تعويضها في الزمان والمكان المناسبين من القوات الاحتياطية او المعاونة ، ان كانت تخضع مباشرة لقيادته .

٣ ــ حساب اجراءات تصعيد القوة القتالية ثم التمثيل المنظم لخطط العمليات ، والشروط التي تحيط بكل عملية على حدة .

٤ ــ حساب امكانية وسائط الاتصال ، وتوزيع الترددات لمختلف اجهزة الوسائط اللاسلكية وغيرها .

لقد درست امكانية تحقيق حسابات مثل هذه العمليات آليا ، وامكن لبعض الدول الاستفادة القصوى منها لحل اهم المشاكل العسكرية ، سواء في حالة الدفاع او الهجوم ففي سويسرا ، مثلا ، درست هذه القضية عام ١٩٦٧ ، وكذلك في فرنسا والمانيا ، وكانت اهداف الدراسات نظريا وتطبيقيا ، التوصل لتحريك القوات ، واختيار الطرق الممكنة ، والحل الافضل ، لترتيب القوى وكيفية تشكيلها اثناء التحرك . وقد اعطى العقل الالكتروني عدة حلول في بضع دقائق ، وبعده اعطى الحل المفضل من بين عدة حلول لتحرك القطعات او التشكيلات . غير انه ثبت بالتجربة العملية ان مثل هذه الالات تسبب المشاكل التالية(٤)

١ ــ ظهور نزعة الى تجميد التنظيم وقبوله بدون مناقشة او تحليل .

٢ ــ المخاطرة بايجاد تناقض تقني بين النظم عندما لا تصدر النتائج عن نفس الدراسة التي يجريها مستوى عال .

٣ ــ المخاطرة في اشباع النظام الذي يغذى بشكل مفرط بمعلومات تتجاوز امكانيات الانسان في استغلالها .

٤ ــ صعوبة تقدير تكيف الانسان مع الشروط الجديدة للعمل التي تفرضها الالة ، وتطور مهارته الفنية .

٥ ــ صعوبة العودة الى النظام المألوف العقلي والرياضي في حال عطل الالة وعجزها عن العمل .

(٣) انتشار العقول الالكترونية واستخدامها على نطاق واسع

منذ خمسة عشر عاما اخذت معظم الدول الاوروبية وامريكا والاتحاد السوفياتي تتسابق في صنع وتطوير واستخدام الالات الحاسبة والعقول الالكترونية ، كما دخلت اسرائيل في هذا

المجال ، وقد اظهرت الاستطلاعات الاولية بأن اسرائيل تملك الان اربعة مراكز رئيسية للعقول الالكترونية في كل من القدس وتل ابيب وحيفا وديمونة (حيث توجد مفاعلاتها الذرية) ، عدا عن عدة مراكز ثانوية توضع فيها مجموعة من الالات الحاسبة ، والعقول الالكترونية الفرعية ، التي ترتبط بالمراكز الرئيسية المذكورة ، او تعمل بصورة مستقلة لا ستخدامها في مجالات عسكرية واقتصادية وعلمية . ويملك الجيش الاسرائيلي جهازا رئيسيا على مستوى العقل لالكتروني (EBM) ، ترتبط به عدة مراكز ثانوية ، الهدف منها تأمين حسابات المستودعات (اسلحة ، ذخائر ، معدات حربية) والشؤون الادارية ، والبطاقات الشخصية ، والاحصائية ، لكافة العسكريين او المدنيين الذين يعملون في وزارة الدفاع ومؤسساتها .

لا يسعنا المجال لذكر كل البلدان التي تملك مثل هذه الالات ، ونختار كلا من الاتحاد السوفياتي وفرنسا لاعطاء صورة موجزة عن مدى التقدم والاستخدام الواسع للعقول الالكترونية ، وخاصة في مجال الخدمات العسكرية :

أ ــ في الاتحاد السوفياتي

يقول البروفسور الجنرال تونكيخ ، الدكتور في العلوم العسكرية ، في مقال له نشر في مجلة الفكر العسكري السوفياتية :

« في اكاديمية دزيرجنسكي العسكرية بدىء العمل باقامة نظام انفورماتيكي مؤقت في العام ١٩٧٠ . في البدء نفذ بحث علمي خاص وضع على اساس المخطط العام لـ (A N C) على أساس متطلبات العقل الالكتروني (OBM) ، ونظام تشكيل كتل انفورماتيكية ونماذج رياضية . لقد فضلنا اقامة نظام (AIIO) على أساس العقل الالكتروني طراز (M-20) ، الا ان هذا العقل ، من حيث حجم الذاكرة ومجموعة البارومترات ، لم يكن كما كنا نريد ، وهكذا تركزت أعمالنا حول العقل الالكتروني (M-220) ، ونحن نعمل حاليا على العقل الالكتروني طراز (EC-1020) . وهكذا ، فقد كانت خبرات الاعوام الاولى قد اثبتت امكانية اقامة (AIIC) . من وجهة نظرنا نعني بجملة النظام الانفورماتيكي المؤقت « مجموعة الكتل الانفورماتيكية اللوغاريتمية والوسائط الفنية المخصصة لحل المسائل والمهام المتعلقة بجمع وحفظ ومعالجة وتوفيق المعلومات » ، ويدخل ضمن قوام النظام الانفورماتيكي المؤقت (A NC) مجموعات الاختصاصيين في الوحدات التعليمية والفروع والمصالح ...[٥] .

ويتابع الجنرال المذكور شرح تفاصيل استخدام العقل الالكتروني في مختلف كليات واجنحة الاكاديمية العسكرية ، ثم يعطي لوحة (الشكل المرفق) تبين مدى استثمار هذا الجهاز في مجال التعليم في الاكاديمية المذكورة .

ب ــ في فرنسا

استخدم في وزارة الدفاع الفرنسية في مجال الادارة والحسابات ــ دون حساب الموجود من الالات الحاسبة لمجموعات الاسلحة ووسائط الاتصال ــ حوالي ١٧٠ عقلا الكترونيا ، وهذا ما تقدر قيمته عام ١٩٧٤ بأكثر من ٥٠٠ مليون فرنك[٦] ، وكان من المقدر لهذه الاجهزة ان يصبح عددها ٢٥٠ عام ١٩٧٧ بقيمة ١,٢ مليار فرنك ، وتوضع الجيوش ، في هذا المجال ، على رأس

الادارات جميعها . ومن وجهة نظر أخرى ، اصبح حساب الجيوش يشكل ركنا اساسيا في الخطة الحسابية على مستوى الوطن الفرنسي ككل ... لقد ادى اختراع وتعميم الاجهزة المذكورة الى تسهيل دخول المعلومات ، واتاح الفرصة للمستويات الصغيرة في كافة اقسام وزارة الدفاع ، بما فيها وحداتها وقطاعاتها وتشكيلاتها المسلحة ، بالاتصال مع المركز الرئيسي للاحصاء ، وجمع المعلومات . الا ان هذا الوضع ادى الى تبديل الكثير من المفاهيم ، واعطى الانفورماتيك تبريره الحقيقي . ولقد شملت هذه الاتجاهات المختلفة والتساؤلات كافة فروع الوزارة .

١ ــ **القوات البرية** : التي اعادت النظر في بنية مجموعة نظامها ، وادخلت العقول الالكترونية الصغيرة في خدمة التجنيد بجعلها مراكز الانتقاء أوتوماتيكية للمجندين .

٢ ــ **هيئة اركان القوات البحرية** : التي اقامت اول شبكة حقيقية مخصصة لنقل المعلومات بين باريس وبريست وطولون .

٣ ــ **هيئة اركان السلاح الجوي** : التي عممت هذه السنة اجهزة الاستقصاء في مكتب الاركان العامة .

٤ ــ **وحدات الشؤون الادارية** : التابعة لسلاح البحرية التي دشنت للاتصالات الخاصة بالمعطيات الادارية .

٥ ــ **ادارة الشرطة العسكرية** : التي تابعت تنفيذ برنامج جرى لربط ٩٠ مركزا صغيرا للشرطة بعقل الكتروني مركزي واحد .

٦ ــ **الخدمات الطبية** : التي وضعت شيئا فشيئا اول نظام متكامل لادارة المراكز الصحية .

ان التجارب التي قطعتها فرنسا في مجال استخدام العقول الالكترونية تستحق الدراسة والتقدير ، سيما وانها تعتبر بين طليعة الدول الاوروبية المتقدمة في هذا المجال ، ومع ذلك تبقى مثل هذه العقول شيئا عاديا اذا ما قورنت بالاجهزة الحاسبة والعقول الالكترونية التي يستخدمها الاتحاد السوفياتي في اجراء عمليات بحوث الفضاء ، وتسيير المراكب الفضائية ، وغيرها من العمليات التي ما زالت ضمن الدراسات والبحوث السرية . ومن المفيد ان نعود لاراء المختصين حول استخدام العقول الالكترونية ، بعد ان ثبت تقدمها في مجال محدد ، وتصورها ، او بكلمة اخرى عدم الاستفادة منها للحدود القصوى ، في مجال آخر .

يقول المختصون الفرنسيون في هذا المجال : « اذا كان انفورماتيك **الادارة او الحسابات او التسليح** قد تجاوز مرحلة التجربة فان الامر يختلف بالنسبة لما نسميه انفورماتيك القيادة . لانه يقع في خط الوسط بين الانفورماتيك الخاص وانفورماتيك الادارة ، ويبدو انه صادف صعوبات كثيرة قبل ان يعثر على طريقه التي ما تزال محدودة حتى الان » .

يمكن ان نتساءل : كيف نستطيع تعريف انفورماتيك القيادة ؟ وكيف يمكن استخدامه (وهذا يهم القادة العسكريين قبل غيرهم) اثناء الحرب ؟

والجواب على ذلك : ان القائد يواجه ايام المعارك (على المستوى العملياتي والاستراتيجي) كمية ضخمة من المعلومات تثقل كاهله وكاهل ضباط اركانه ، وتفرض عليه ، من جهة ، وضع اساليب استقبال اختيارية للمعلومات لانتقاء الجزء الضروري منها فقط . ومن جهة اخرى تكون المهمة الزمنية لاتخاذ القرار محدودة جدا . من هنا اتت الضرورة للرجوع الى الانفورماتيك ، وللاحاطة بشكل جيد بمجال تطبيقات انفورماتيك القيادة ، ويحاول البعض الاخر اللجوء الى تصنيفات معينة في المجالين التاليين :

أ ـ حسب الاستخدام : ١ ـ استثمار انظمة الايصال والاستقبال للمعلومات . ٢ ـ استثمار انظمة تحليل المعلومات . ٣ ـ استخدام الاجهزة الالكترونية وغيرها التي تساعد القائد على اتخاذ القرارات .

ب ـ حسب المجالات الوظيفية : ١ ـ المساعدة في اعمال السكرتارية . ٢ ـ المساعدة في اعمال الامكانات . ٣ ـ المساعدة في اتخاذ القرارات .

وقبل ان ننهي هذا القسم من البحث علينا ان ندرك بأن العديد من المسائل المتعلقة بالانفورماتيك ، والاستخدام الاقصى للعقول الالكترونية ، لم يصل بعد الى درجة الكمال ففي الولايات المتحدة الامريكية ، التي تعتبر في حالة السباق المستمر مع الاتحاد السوفياتي في هذا المجال ، تم حتى الان اعداد انظمة مخصصة لكل جيش على حدة ، وظهرت ، بوضوح ، مدى الصعوبات التي تفرضها مشاكل المحاسبة بين الانظمة المختلفة .

ملحق (١)

تطبيق (استخدام) العقل الالكتروني في اتخاذ القرار
(الدبابات والاسلحة المضادة م/د)

تطبيق نظرية الالعاب (السياسية ـ العسكرية) على بعض المعضلات او المسائل العسكرية الواقعية : ان هذه النظرية تلعب دوما الدور الكبير في القيادة والاركان ، وتشغل القسم الاكبر من تفكير الضباط المسؤولين عند اتخاذهم القرارات الضرورية . وتخضع هذه النظرية للقوانين المحددة لاصول اللعب ، وليست هذه الاصول في مجال العمليات العسكرية سوى المعطيات العددية الفنية لكل سلاح ، ولكل نظام تسليح ، اضف الى ذلك اصول استخدام القطعات والتشكيلات او الالوية والفرق بكامل وحداتها واسلحتها ، بشكل رموز او نماذج يمكن تحريكها اليا ، او باليد .

ان اية عملية لتوزيع القوات المسلحة ، وتقدير الموقف العام الناجم عن ذلك التوزيع ، هو بحد ذاته ممارسة لاحد اجزاء نظرية الالعاب الثنائية (المزدوجة) ، حيث تمكننا هذه العملية من تحديد التطورات تحت مختلف الظروف والاحتمالات التي يمكن ان تحدث خلال تصرفات طرفي اللعبة معا .

لقد ابتكرت بعض الجيوش الات الكترونية تمثل ساحة عمليات على مستوى لواء ـ فرقة ـ جيش ، وتوزيع الوحدات والقطاعات والتشكيلات بكامل اسلحتها واعتدتها العسكرية ، وحتى الاسلحة المساندة والداعمة مدفعية ، طيران ، على هذه الساحة المصممة وفقا لمقاييس رسم تتطابق مع التحركات العسكرية التي يجري نقلها وتوزيعها بصورة اوتوماتيكية . عند عدم توفر مثل هذه الالات ، يمكن استخدام طاولة الرمل ، وتحريك الرموز والنماذج الخشبية والمعدنية التي تمثل الصديق والعدو باليد .

سنطبق هذه النظرية على سلاح الدبابات ، معتبرين ان منطقة الجولان (الجبهة السورية ــ الاسرائيلية) هي الارض التي تجري عليها المعركة ، وليكن الزمن هو ٦ تشرين الاول ١٩٧٣ .

ان الفرضية وضعت على اساس دراسة مدى تأثير الاسلحة المضادة للدبابات (م/د) التي سنعتبرها للصديق ضد دبابات العدو ، معنى ذلك عدم التزامنا بتمثيل المعركة من كافة وجوهها ، اي اشتراك تشكيلات متكاملة ، من حيث تواجد مختلف الصنوف واسلحة الدعم والمساندة :

١ ــ القوات الزرقاء : دبابات العدو ، تتألف من نوعين :
سنتوريون ، تمثل الطراز الاول .
تشيرمان ، تمثل الطراز الثاني .

٢ ــ القوات الحمراء (الصديق) : المدفعية المضادة للدبابات (م/د) وتتألف من نوعين
مالوتكا ، تمثل الطراز الاول .
ار . ب . ج ، تمثل الطراز الثاني .

تبلغ درجة تأثير اسلحة م/د النوع الاول (مالوتكا) ضد دبابات الطراز الاول للعدو (سنتوريون) نسبة قدرها (٢٠٪) ، وضد الطراز الثاني (تشيرمان) ١٠٪ .

وتبلغ درجة تأثير اسلحة م/د النوع الثاني (ار . ب . ج) ضد دبابات الطراز الاول للعدو (سونتوريون) ٠٥ر٠٪ ، وضد دبابات الطراز الثاني (تشيرمان) ٢٥٪ .

لتسهيل المسألة نستخدم الرموز التالية :

ما (١)	ضد◇ (١)	ــــــــــ	٢٠٪
ما (١)	ضد◇ (٢)	ــــــــــ	١٠٪
ج (٢)	ضد◇ (١)	ــــــــــ	٠٥ر٠٪
ج (٢)	ضد◇ (٢)	ــــــــــ	٢٥٪

ملاحظة

لا يمكن اعتبار ذلك حالة ثابتة ، او قانونا ، يمكن اعتماده في كل معركة مماثلة ان ذلك ليس اكثر من مرضية يلعب فيها عدة عوامل منها .

قدرة وكفاءة جنود الدبابات وجنود الاسلحة المضادة للدبابات ، والاستخدام الجيد لكل سلاح .

الرموز :ما = مالوتكا ، ج = ار . ب . ج ، (١) = دبابة طراز اول للعدو (٢) = دبابة طراز ثاني للعدو .

ويعني هذا بأنه في حال استخدام المالوتكا م/د يتم تدمير (٢٠) دبابة طراز اول ــ أي سنتوريون ــ وسطيا ، مقابل ١٠٠ قذيفة ، وتدمير ١٠ دبابات طراز ثاني ــ أي تشيرمان ــ باطلاق ١٠٠ قذيفة اخرى

لندرس مدى التدمير اثناء مراحل سير المعركة

(حالة ١) ــ اذا عرف قائد وحدة م/د السوري (القوات الحمراء) بأنه معرض للهجوم من القوات الزرقاء (الاسرائيلية) بدبابات سنتوريون ، فسوف يأمر باستخدام المالوتكا نظرا لان درجة تأثيرها اعلى بكثير من اسلحة م/د (ار . ب .ج) عند استخدامها ضد دبابات سنتوريون .

اما اذا هاجم العدو الاسرائيلي مستخدما دبابات الطراز الثاني (تشيرمان) فسيرى القائد السوري عندئذ افضلية استخدام (ار . ب . ج) ، لان درجة تأثيرها عالية وفعالة ضد دبابات تشيرمان .

(حالة ٢) ـ اذا عرف القائد الاسرائيلي درجات تأثير وفعالية نيران اسلحة م/د المتوفرة لدى القائد السوري ، فمن البديهي ان يحاول انزال دبابات سنتوريون في المكان المتوقع فيه استخدام (ار . ب . ج) أي م/د الطراز الثاني ، وان ينزل للمعركة دبابات تشيرمان في المواقع المعرضة لنيران المالوتكا . اذا نجح العدو في تنفيذ خطته هذه فسوف يخسر في اسوأ الاحتمالات (٥٪) من دبابات سونتوريون ، و١٠٪ من دبابات تشيرمان .

(حالة ٣) : اما في حالة ادراك القائد السوري لنوايا القائد الاسرائيلي في الوقت المناسب ، فمن البديهي ان يسارع لاحباط المخطط الاخير ، وذلك بتوزيع اسلحته م/د بشكل توضع فيه (المالوتكا) مواجهة لدبابات السنتوريون واسلحة م/د (ار . ب . ج) مواجهة لدبابات تشيرمان ، وفي حالة نجاح القائد السوري في خطته الاخيرة ، فان مقدار الخسائر التي سيتكبدها العدو هي : تدمير ٢٠ دبابة سنتوريون و٢٥ دبابة تشيرمان .

استخدام نظرية الاحتمالات بهدف التوصل للحل الامثل

في الغالب يعجز استطلاع كل من العدو والصديق عن معرفة نوايا الآخر ، وتوزيع الدبابات والاسلحة المضادة لها ، للطرفين ، في المكان والزمان الملائمين معنى ذلك تعذر معرفة اي من الجانبين نوايا الاخر ، سواء في توزيع الدبابات ام المدافع المضادة للدبابات (م/د) ، عندئذ يحاول كل منهما حساب الاحتمالات بهدف التوصل ـ بقدر الامكان ـ لاحسن الحلول للقيام بتنفيذ المهمة القتالية .

(١) ـ الفرضية : كل من العدو والصديق اختار وسيلة مناسبة له لتحقيق الحل الافضل ، اي تدمير الآخر باقل الخسائر ، ولنرمز لتلك الوسيلة بالقيمة المتغيرة (ك) وعند حساب (ك) نحدد عدد قذائف م/د مالوتكا ، ونرمز لهذا التحديد بـ (س ١) ، معتبرين ان هذه القذائف موجهة ضد دبابات العدو سنتوريون وتشيرمان في آن واحد ، ونحدد (س ٢) لقذائف (ار . ب . ج) الموجهة ايضا ضد النوعين من الدبابات المذكورة ، ويمكننا الحصول على المعادلة التالية :

٠,٢٠ س ١ + ٠,٠٥ س ٢ = ك

٠,١٠ س ١ + ٠,٢٥ س ٢ = ك

يمكن اعتبار ١٠٠٪ = ١ ، ثم حساب س ١ ، س ٢ بالنسبة المئوية للقذائف والطلقات النارية الصادرة عن اسلحة م/د ، وعليه ، بعد تعويض القيم ، وحل المعادلات نحصل على ·

س ١ = ٢/٣ ، س ٢ = ١/٣

تفيد الحسابات آنفة الذكر ، بان ٢/٣ هي نسبة الطلقات الصادرة بوجه عام عن المالوتكا وان ١/٣ هي نسبة الطلقات الصادرة عن ار . ب . ج ، كما ان ١٥٪ من الطلقات المقذوفة تدمر الدبابات بشكل اكيد ، وبذلك يمكن الحصول على قيمة ك المذكورة بعد تعويض المعادلات الاساسية بالقيم التي تم التوصل اليها ، ونتيجة لذلك ، ففي وسع الضابط السوري تدمير جميع دبابات العدو المهاجمة ، اذا توفر له الوقت الكافي ، وفي هذه الحالة يتوجب عليه اطلاق ٦ ـ ٧ امثال نسبة الطلقات المقذوفة المشار اليها ، ولن يكون في وسع الضابط الاسرائيلي التقليل من خسائره ، حيث ان متوسط قوة تأثير (ك) قد اكدت نشاط وفعاليـة الاسلحة م/د للمالوتكا و٣/١ للـ ار . ب . ج ، وفي هذه الحالة يتوجب على الجانب الاسرائيلي العمل على الوقوف عند هذا الحد من الخسائر ، وعلى منع تزايدها ، وينبغي عندئذ ايجاد الوسيلة المناسبة ، اي قيمة (ك) المناسبة للجانب الاسرائيلي .

وهذا يعني بالتالي توزيع دبابات العدو المهاجمة بشكل يناسب النوعين (سنتوريون وتشيرمان) وملاءمتهما ، وعليه : اذا اشرنا لعدد دبابات سنتوريون بـ (ع ١) ، ولعدد دبابات تشيرمان بـ (ع ٢) ، فسوف نحصل على المعادلة التالية ، آخذين بعين الاعتبار الحالة المثالية للجانب المهاجم ، اي العدو ·

٠,٢٠ ع ١ + ٠,١٠ ع ٢ = ك

٠,٠٥ ع ١ + ٠,٢٥ ع ٢ = ك

ومنه ع ١ + ع ٢ = ١ ، حيث تمثل قيمة (١) النسبة المئوية ١٠٠٪ ، وبعد تعويض القيم وحل المعادلات نحصل على :

ع ١ = ١/٢ ، ع ٢ = ١/٢

يستفاد من تلك النتائج بان عدد الدبابات المهاجمة يجب ان يتألف من عددين متساويين (اي عدد سنتوريون = عدد تشيرمان) وذلك كيلا تكون درجة تأثير اسلحة م/د الصديقة اكبر من ١٥٪ . ومما تجدر هنا ملاحظته . هو ان أي تغيير في عدد الدبابات ، بدون مراعاة النسبة من قبل العدو ، ويزيد من احتمالات نجاح القوات السورية طالما بقيت محافظة على النسبة المئوية لاسلحة (م/د)حيث ان درجة نجاح تلك الاسلحة مضمونة بنسبة ١٥٪ ، اما اذا اقدم قائد القوات الصديقة على تغيير النسبة المذكورة فانما يقلل بتلك فرص نجاحه ، وبالتالي يقلل من خسائر عدوه ، طالما بقي قائد القوات المعادية محافظا على القيمة المناسبة له .

(**حالة ٤**) : نظم المصفوفات في اللعبة العسكرية للمدرعات .

قد يدفع العدو الى المعركة دبابات من نوع ثالث لتعزيز موقفه ، ومثل ذلك قد يضطر الصديق لانزال اسلحة (م/د) جديدة للمعركة .

نفرض ان الدبابات الجديدة (طراز ثالث) من نوع باتون والاسلحة (م/د) الصديقة (طراز ثالث) من نوع (١٠ س س) الفرنسية ، فان صورة جديدة ستظهر الى حيز الوجود ، ويعالج كل جانب الموقف بأسلوب رياضي جديد ، وذلك بواسطة نظام « المصفوفات » .

رمز دبابات الطراز الثالث = ٣

رمز أسلحة (م/د) الثالثة = ف ٣

حسابات الجانب المدافع : وتتلخص في تحديد درجات تأثير اسلحة م/د في كتابة طراز الدبابات في سطور المصفوفة الافقية ، وفي كتابة انواع اسلحة (م/د) في اعمدة المصفوفة الشاقولية ، وتصبح المصفوفة ، بعد اخذ المعطيات العددية حول درجات تأثير اسلحة (م/د) في المثال السابق ، على النحو التالي :

بدلالة س	ما ١	ج ٢	ف ٣
◇ ١	٢٠٪	٠,٠٥	٠,١٠
◇ ٢	١٠٪	٠,٢٥	٠,٠٧
◇ ٣	١٠٪	٠,٠٨	٠,١٥

تحدد المصفوفة المبينة اعلاه المهمة الاولى للقائد السوري ، وهي تحديد نسبة فعالية نيران اسلحة (م/د) عند حدوث الاشتباك المتوقع ، ويتم حل هذه المصفوفة بنفس المعالجة الرياضية التي اجريت على المثال السابق ، مع اخذ اسلحة م/د النوع الثالث (١٠ س س) الذي رمزنا اليه ب (ف ٣) بعين الاعتبار ، والرمز لعدد الطلقات الصادرة عن ذلك النوع بـ (س ٣) .

ويحصل القائد بعد حل المصفوفة على قيمة (ك) وتساوي ١٢٪ تقريبا ، وهي تعني الدرجة القصوى للنجاح الممكن التوصل اليه من استخدام اسلحة (م/د) المذكورة في المعركة ، كما يحدد القائد توزيع الذخيرة على نظم اسلحة (م/د) لضمان النتيجة المشار اليها على النحو التالي :

يجب اطلاق ٣١ قذيفة من اسلحة (م/د) ما ١ ، اي النوع الاول واطلاق ، ٢٢ قذيفة من اسلحة (م/د) النوع الثاني ج ٢ ، و ٤٧ قذيفة من اسلحة (م/د) ف ٣ النوع الثالث ، وبذلك يبلغ عدد مجموع القذائف الواجب اطلاقها ١٠٠ قذيفة حيث تعتبر النسبة المئوية مقياسا اساسيا في الرياضيات . هذا وان اي تغيير في توزيع الذخيرة لا يعني إلا تضاؤلا في فرص نجاح « الصديق » ومع ذلك توجد هنالك بعض الاحتمالات القائمة التي تزيد من نجاح

« الصديق » ، مثل عدم استخدام « العدو » الوسيلة المناسبة ، او عند تمكن « الصديق » من رفع درجة تأثير اسلحة م/د كل على حدة ، وتتم هذه عند توفر مستوى عال في التدريب والكفاءة القتالية .

(حالة ٥) : تقييم وحساب الجانب المهاجم (العدو)

يمكن الحصول على النتيجة من المصفوفة السابقة في الحالة (٤) بعد قلبها ـ اي جعلها معكوسة ـ وذلك بكتابة انواع الاسلحة (م/د) في سطور المصفوفة الافقية ، وفي كتابة انواع الدبابات في اعمدة المصفوفة الشاقولية ، على النحو التالي ·

بدلالة ع	◇ ١	◇ ٢	◇ ٣
ما ١	٠,٢٠	٠,١٠	٠,١٠
ج ٢	٠,٠٥	٠,٢٥	٠,٠٨
ف ٣	٠,١٠	٠,٠٧	٠,١٥

ويتم حل المصفوفة المبينة اعلاه بنفس الطريقة ، مع الاشارة الى عدد الدبابات المتوفرة من النوع الثالث (باتون) بـ (ع ٣) ، ومن نتائج حلول هذه المصفوفة يتخذ قائد الدبابات المعادية قرارا بانزال ١٠٠ دبابة ، مثلا ، الى ساحة المعركة موزعة على الشكل التالي : ٢٠ دبابة سنتوريون ، ٢٦ دبابة تشيرمان ، ٥٤ دبابة باتون .

معتبرا بذلك افضل احتمالات الجانب المعادي له ، أي « القوات السورية » لاسلحة (م/د) حيث ان قيمة (ك) تساوي ١٢٪ تقريبا .

لا تتضمن حلول المسائل الانفة الذكر اتخاذ قرارات فقط تتعلق بتوزيع مهام اطلاق النار من اسلحة (م/د) المتوفرة لدى القوات الصديقة من جهة ، او من حيث توزيع الدبابات للعدو من جهة اخرى ، بل تتعدى ذلك لاستخلاص نتائج اضافية ، مثل تمكن القوات الصديقة (م/د) من حساب عدد الطلقات والقذائف الضرورية على ضوء درجات تأثير اسلحة (م/د) ، بغية تحديد غزارة النيران الكافية لتدمير دبابة واحدة فقط ، وهذه هي الطريقة الوحيدة التي تسمح بمعرفة الاحتياطات الكاملة من الذخيرة لتدمير كافة الدبابات المهاجمة . وبما ان عدد الطلقات الواجب اطلاقها ، خلال فترة زمنية محددة ، اصبح معروفا فقد اضحى بالامكان حساب الوقت اللازم للقوات الصديقة (م/د) المدافعة ، لكي تقوم بتنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها .

وبالمقابل ، تظهر الضرورة الملحة للعدو للقيام بهجوم خاطف وسريع كي لا يتاح وقت للقوات الصديقة (م/د) للقيام بتدمير عدد معين من الدبابات بالقذائف المحسوبة ، كما يمكن لقائد القوات الصديقة حساب خسائره المتوقعة في نفس الاسلوب ، وذلك بعد معرفة درجة تأثير الدبابة ضد سلاح م/د .

وعند القيام الان بربط المرحلتين ، وهما حساب درجة نجاح اسلحة (م/د) ضد الدبابات ، ودرجة نجاح الدبابة المهاجمة ضد سلاح (م/د) ، فان مسألة حسابية معقدة نسبيا يمكن ان تنجم عن ذلك ، الا انه بالامكان ارجاع تلك المسألة الى المثال الذي بحث انفا ، مع اجراء بعض التعديلات الرياضية اللازمة .

دور العقول الالكترونية ـ الالات الالكترونية الحاسبة ـ في حل المسائل المعقدة

ان المثل المذكور اعلاه ، والذي يعطي صورة مبسطة عن مدى تأثير اسلحة م/د على الدبابات ، ان هو الا جزء مبسط من عدة اجزاء تمثل مجموعة الاسلحة المتنوعة والمختلفة التأثير في المعركة المشتركة ، ولا شك اننا عندما نريد اجراء حسابات مماثلة لمختلف الاسلحة (صديق ضد عدو) كتأثير الالغام ضد الدبابات ، وتأثير صواريخ ارض جو ضد الطائرات ، وتأثير الاسلحة الكلاسيكية (م/ط) على الطائرات ـ في حدود السقف الاول والثاني

للدفاع الجوي ـ وتأثير المدفعية المتوسطة والثقيلة في مختلف مراحل الرمي التمهيدي والدعم وغيره ... وكل ذلك يضعنا امام مسائل رياضية ليس بمقدور اي عقل بشري حلها بساعات محدودة ، بل في ايام .

من هنا تظهر اهمية العقول الالكترونية التي تعطينا النتائج في فترات زمنية لا تتجاوز الدقائق او الثواني ، مما يساعدنا على اتخاذ القرار الملائم في المكان والزمان المناسبين ، وايجاد الظروف التي تلعب دورا حاسما في المناورة بالسلاح والعتاد والافراد ، وبالتالي تحقيق التفوق على العدو ، واتخاذ القرارات بالهجوم او الدفاع ، على اسس مدروسة وقاعدة مادية ملموسة .

الخلاصة

(١) ـ بعد هذا العرض السريع لدراسة الاحتمالات ، وتطبيق مثال على مستوى تكتيكي ، يتضح لنا بان تطبيق نظرية الاحتمالات واستخدام العقول الالكترونية ـ او الآلات الحاسبة الالكترونية الاقل تعقيدا ـ في القضايا العسكرية ، ليس سوى وسيلة للتوصل الى رؤية ابعاد المعركة وآفاقها اثناء القتال (ويمكن حساب وتصور المعركة قبل حدوثها في حالات الدفاع او الهجوم) ، وبالتالي فان استخدام هذه الآلات يتحدد على عاتق القائد وضباط اركانه . ان مستوى الاستخدام يمكن ان يبدأ من الفرقة والفيلق ، الى الجيش ومجموعة الجيوش في جبهة محددة .

(٢) ـ نظرا لتعدد اسلحة اللواء في تشكيله الحديث ، وخاصة عند تزويده باسلحة التدمير الشامل التكتيكية ، ووسائط تجنبها ، يمكن والحالة هذه استخدام العقل الالكتروني في حل المسائل العسكرية التي يواجهها اللواء في حالتي الدفاع والهجوم ، الا ان مستوى تزويد اللواء بالعقل الالكتروني لم يتحقق حتى في جيوش الدول المتقدمة ، حيث اقتصر تزويد اللواء بآلات حاسبة الكترونية تساعد على اختصار الزمن في اتخاذ القرار ، وخاصة عند حساب رمايات المدفعية ، وحل القضايا التموينية والشؤون الادارية بشكل خاص .

(٣) ـ لم يكتشف حتى الان حل او حساب القضايا النفسية والاجتماعية التي تلعب دورا هاما في الوضع المعنوي للمقاتلين ، وان ادعت بعض الدول الاوروبية وامريكا انها تمكنت من تسخير واستخدام العقول الالكترونية في هذا المجال ان المعارك تجري دوما بين مجموعات بشرية ، وتبدو هنا مسألة الصياغة الرياضية على قدر من الصعوبة ، بل وتكون غير ممكنة أحيانا ، الا انه من المتوقع مستقبلا التوصل لصياغة الوظائف والنشاطات العقلية الصورية بصيغ رياضية ، بعد مرحلة معينة ، سيما وان بعض الاعمال عرضة للتكرار في غالب الاحيان .

(٤) ـ اننا نواجه عدوا متقدما في مختلف المجالات الاقتصادية والسياسية والعسكرية والعلمية وغيرها ، ونحن مرغمين للدخول معه في سباق ، وخاصة في انشاء قوات مسلحة حديثة تتمتع جميع قياداتها وكوادرها بسعة الاطلاع والعلم والمعرفة . من هنا ، كان لزاما على كل قائد سياسي او عسكري ، ان ينمي ثقافته باستمرار ، وهو بحاجة قصوى للتزود بالعلوم الحديثة ، وبصورة خاصة استخدام الآلات الالكترونية في حساباته ، اذا اراد ان يوصله قراره الى الهدف المحدد ، في المكان والزمان المناسبين ، وخاصة بعد ان ثبت بان الفشل او النجاح يتوقف على قراراته اثناء تنفيذ العمل ، أي نجاحه في القيادة ، في الظروف المتغيرة للعمل

---

(١) **نظرية القرارات** ، القائد والقرار في ظل التكنولوجيا الحديثة ، ترجمة المهندس العميد سهيل الصوفي .

(٢) **نظرية الاحتمالات في السياسة والحرب** .

(٣) افتتح اول مركز للبحث العسكري في الجيش السوري سنة ١٩٧٢ ، وهو الان لا يزال في طور التأسيس

(٤) مجلة **الدفاع الوطني** الفرنسية ، كانون اول ١٩٧٤ ، مقال للجنرال الان ليونيه

(٥) مجلة **الفكر العسكري** السوفياتية ، العدد ٨ ، سنة ١٩٧٤ .

(٦) مجلة **الدفاع الوطني** الفرنسية ، كانون اول ١٩٧٤ .

تقارير

النشاط الفني الفلسطيني

إذا ما عدنا للوراء قليلا لنلقي نظرة سريعة على النشاط الثقافي الفني الفلسطيني ، فاننا نلحظ أنه اقتصر حتى أواسط الستينات على نشاطات فردية ، منها ما كان بموازرة مؤسسات عربية ، وعلى اجنحة فلسطين في معارض دولية عربية ، في كل من دمشق وبغداد والقاهرة وطرابلس والجزائر .

وقبل أن نفصل في هذا المجال ، أرى ان أوضح ما أعنيه بالنشاط الثقافي الفني ، أنه .

١ ـ النشاط الذي يدرج تحت اسم الفنون التشكيلية ، كالمعارض التشكيلية والتراثية ورسوم الأطفال .
٢ ـ المعارض الاعلامية التي حفظت لنفسها حدا أدنى من المستوى الفني الذي قدمت من خلاله المعلومة المراد ايصالها الى الجمهور . ٣ ـ الموسيقى والرقص الشعبي . ٤ ـ السينما . ٥ ـ المطبوعات الفنية . ٦ ـ الملصق . ٧ ـ الصور الفوتوغرافية .

لقد شهدت الستينات عددا كبيرا من المعارض لفنانين فلسطينيين في البلاد العربية وفي اوروبا وأمريكا ، عندما كانت منظمة الطلبة العرب أو اتحاد الطلبة العرب يتمتع بامكانات ساعدت على رعاية وتبني مثل هذه النشاطات .

وعند قيام منظمة التحرير الفلسطينية،وتحديدا أول العام ١٩٦٥ حيث تأسس قسم الثقافة الفنية،بدأ هذا القسم بامكانياته المتواضعة يعطي أجنحة فلسطين في المعارض الدولية العربية شكلا ومضمونا جديدين مغايرين لما كانا عليه سابقا . فقد كانت اجنحة فلسطين في هذه المعارض تقام من قبل قيام المنظمة ، برعاية جامعة الدول العربية/ادارة الاعلام ـ المعارض/أو الدولة المعنية ، التي تتولى المشاركة عن الفلسطينيين في بعض العواصم العربية .

وشهد العام ١٩٦٥ و١٩٦٦ انتاج أول افلام وثائقية فلسطينية من خلال منظمة التحرير الفلسطينية ، عكست واقع المنظمة في تلك الحين . غير أن نوعية جديدة بدأ انتاجها من خلال حركة فتح ، بعد العام ١٩٦٨ ، بالرغم من امكاناتها ومستواها المتواضع وما زالت حركة الانتاج السينمائي والتلفزيوني تتسع وتسهم فيها جهات متعددة ، وابرز ما تم هو انتاج المسلسل التلفزيوني (١٤ حلقة) بعنوان « بام عيني » الذي انتجته دار الاعلام والثقافة في م.ت.ف .

أما في مجال الرقص والموسيقى الشعبية ، فقد تكونت فرقة في العام ١٩٦٩ من مجموعة هواة ، رعتهم حركة فتح أيضا ، وتعرضت لتغييرات وتطورات فيما بعد .

وفي مجال المطبوعات الفنية ، صدرت أول مجموعة بطاقات ومستنسخات للوحات فنية فلسطينية عام ١٩٦٤

لاسماعيل شموط ، ثم تلتها المجموعة التي أصدرتها جمعية الخامس من حزيران عام ١٩٦٨ حوت على عدد من اللوحات الفنية لفنانين فلسطينيين وعرب .

وأول الملصقات الفلسطينية التي حملت اسم منظمة التحرير الفلسطينية صدر عام ١٩٦٥ ، وهي أربع ملصقات عن قسم الثقافة الفنية ، لكن عددا كبيرا وبمضمون أكثر ثورية اضافة الى شكل جديد للملصق بدأ بالصدور بعد حرب ١٩٦٧ ، حتى بلغ العدد المئات .

ويعتبر أرشيف الصور الفوتوغرافية لدى قسم الثقافة الفنية بدائرة الاعلام والثقافة ، أقدم وأنظم واشمل أرشيف موجود عن القضية الفلسطينية . فقد بدأ تنظيمه منذ العام ١٩٦٥ ، وبالرغم من فقدان كمية هائلة وهامة للغاية من مواده ، في مقر المنظمة الرئيسي في القدس بسبب اغلاق المقر اواخر العام ١٩٦٦ ، بعد الخلاف الذي نشب بين المنظمة والنظام الأردني ، فقد تمكن القسم من التعويض عنها من مصادر متنوعة .

وقد شهدت الاعوام من ١٩٦٩ الى ١٩٧٥ نشاطا منفلشا في المجال الثقافي الفني ، غير أن معظمه ، باستثناء القليل ، كان يفتقر الى المستوى الفني اللائق والمركز ، الا انه لم يخل من اعمال تثير الاهتمام ومن الانجازات في هذا المجال والتي لا يمكن اغفالها كتاب « شهادة الاطفال في زمن الحرب » الذي اعدته الفنانة منى السعودي من رسومات الاطفال الفلسطينيين ، و « موجز تاريخ فلسطين المصور » لكاتب هذه السطور ومنشورات دار الفتى العربي ، الذي لفت الانظار بتميزه من حيث المضمون والمستوى الفني .

وفي العامين ١٩٧٦ و١٩٧٧ جرت عملية تقييم لهذه النشاطات ، فبعد هذه الفورة من الانتاج الكمي ، كان لا بد من وقفة ، لاعادة النظر ورفع مستوى الانتاج والفصل بين العمل الاعلامي الاستهلاكي اليومي والعمل الفني الثقافي والتراثي . وقد أدى هذا التقييم الى رفع سوية الانشطة الثقافية ، ونذكر في هذا المجال مجلد « فلسطين تاريخ وحضارة » ، و« معرض الفن الشعبي الفلسطيني » ، و« معرض الفن التشكيلي العالمي من أجل فلسطين » ، وفيلما « المفتاح » و« يوم الارض » للمخرج غالب شعث ، اللذين حظيا بالتقدير .

وفي اذار ١٩٧٨ افتتح معرض الفن التشكيلي العالمي من أجل فلسطين في بيروت ، الذي اعده قسم الفنون التشكيلية في الاعلام الفلسطيني الموحد ، والذي احتوى على كمية جيدة من الاعمال ، بعضها لفنانين عالميين كما افتتح في حزيران ١٩٧٨ « معرض الفن الشعبي الفلسطيني » في برلين عاصمة جمهورية المانيا الديمقراطية ، الذي اعده قسم الثقافة الفنية ، والذي يعتبر الاول من نوعه من حيث كمية محتوياته ، فقد ضم أكثر من خمسمائة قطعة أصلية من الازياء الشعبية والمطرزات والاشغال اليدوية من الصدف والخزف والزجاج والقش والفخار والبسط والنحاسيات وخشب الزيتون والحلى النسائية والآلات الموسيقية الشعبية ، ومن حيث المعلومات التي جمعت لكل قطعة من المعروضات بشكل دقيق . وكان النجاح الذي حققه سببا بين جملة اسباب أدت لزيادة الاهتمام بهذا اللون من الانشطة ذات التأثير . هذا المعرض احتضنه متحف بيرغامون ، احد أهم متاحف العالم ، واعتبر ذلك شهادة تقدير لفن الشعب الفلسطيني ، وللطريقة التي نظم بها المعرض . وطبع المتحف المذكور دليلا أنيقا ملونا للمعرض ، اضافة الى ملصق علق في شوارع عاصمة ومدن جمهورية المانيا الديمقراطية . وقد استمر ذلك المعرض ثلاثة أشهر ، وبلغ عدد زواره حوالي مائة الف حسب احصائيات المتحف من رعايا المانيا الديمقراطية وبرلين الغربية وزوار برلين . ويعتبر هذا المعرض معرضا جوالا ، فقد انتقل بعد برلين ، وحسب خطة مسبقة ومتفق عليها ، الى بودابست ثم لايبزغ فوارسو وبراغ حيث استضافته في كل هذه العواصم متاحفها المعروفة .

وفي نيسان ١٩٧٩ شهدت بيروت معرضا شارك فيه كافة أعضاء اتحاد التشكيليين الفلسطينيين من فرع لبنان (٢٢ فنانا) ، وبلغ عدد الأعمال فيه مائة وأربعين عملا . كما طبع بمناسبته دليل للفنانين المشاركين ، واعتبر المعرض العام الثاني لفرع الاتحاد في لبنان . وقد حقق نجاحا ملحوظا .

وكانت قد قامت أكثر من فرقة للموسيقى والرقص الشعبي ، وقدمت هذه الفرق منذ أوائل السبعينات عددا من الحفلات في كثير من الدول العربية وبعض البلدان الاجنبية وفي أوائل عام ١٩٧٨ اتخذ قرار بتوحيد الجهود في هذا المجال ، فتأسست مؤسسة الفنون الشعبية التي قدمت عددا من الحفلات في البلاد العربية ، وفي الخارج

غير أنه لا يمكن انكار تدني المستوى الفني في هذا المجال وحتى الآن ، والحاجة الى مزيد من الجهد لرفعه .

والحقيقة أن العام ١٩٧٩ شهد ، بشكل ملحوظ ، نشاطا متزايداً في هذا المجال ، فاق احيانا قدرة تلبية الطلبات .

في السابق كان يخطر على بال أحد مدراء مكاتبنا في الخارج أن يقيم معرضا مثلا ، فيرسل أحدا من طرفه ، او يأتي هو شخصيا ، ويلملم من هنا وهناك بعض الصور والملصقات والمنتجات اليدوية ، وينظم بها معرضا على طريقة « البازار » .

واعتقد شخصيا أن بعض المعارض المعدة جيداً هي التي لفتت الانظار ، وحازت على سمعة ممتازة محليا وعربيا وعالميا ، نخص بالذكر منها معرض الفن الشعبي الفلسطيني المذكور سابقا ، اضافة الى كون تلك المعارض العشوائية السطحية التي لم تعد تلبي الطلب ، ولا تشفي الغليل ، قد استهلكت امكانياتها أمام هذا التوق المتزايد لدى شعوب الدنيا للتعرف على الوجه الآخر للشعب الفلسطيني ، وهي التي كانت السبب في التوجه نحو الأعمال الفنية ذات المستوى اللائق الذي يشتمل على قدر كبير من الاحترام لفن شعبنا وفنانينا ، واحترام جماهير المتلقين من زوار معارضنا ، ومشاهدي فنوننا ، واثار حضارة شعبنا .

وبدلا من أن يأتي شخص ما ، مدير مكتب ، أو مسؤول في اتحاد ما ليقول أود الحصول على صور وملصقات لأننا ننوي اقامة معرض بعد أسبوع ، وفي بعض الأحيان كان يقول بعد يومين ، بدأت المكاتبات بهذا الخصوص أو الاتصال الشخصي بطلب معرض أو اقامة تظاهرة فنية ثقافية قبل شهور من موعد اقامة ذلك النشاط . وعلى سبيل المثال فان « معرض الفن الشعبي الفلسطيني » المذكور سابقا ، اتفق عليه مع المسؤولين في برلين اواسط العام ١٩٧٦ ، وشحنت المعروضات قبل ثمانية أشهر من تاريخ افتتاحه وافتتح اواسط عام ١٩٧٨ .

وقد جرت اتصالات حتى الآن مع عدد من الدول والجهات حول مشاريع فنية ثقافية لتقام في العام ١٩٨٠ والعام ١٩٨١ .

على صعيد آخر ، عقد في شهر تموز ١٩٧٩ المؤتمر العام للاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين ، والذي رعاه وحضره الأخ القائد العام أبو عمار ، وعدد من اعضاء اللجنة التنفيذية ، وبلغ عدد اعضائه حوالي ستين عضوا اضافة الى عدد من ممثلي الاتحادات الفنية العربية والدولية . وقد صاحب المؤتمر معرض مصغر لعدد من الفنانين الذين تمكنوا من احضار اعمالهم معهم . وكان ذلك أمرا ضروريا لوضع الأمور في نصابها ، وتنظيم المشاركة الفعالة للفنانين التشكيليين في النشاط الثقافي الفلسطيني بشكل عام . الأمر الذي يجعلنا نقول أن عمل وتطوير عمل الاتحاد يشكل حجر الاساس لترسيخ الحركة الفنية التشكيلية الفلسطينية .

وفي اواخر تموز ١٩٧٩ ، اوفد الاتحاد العام الفنانة جمانة الحسيني الى اليابان تلبية لدعوة من مكتب المنظمة هناك ، لاقامة معرض لرسوم الاطفال الفلسطينيين . وقد التقت موفدة الاتحاد بالزميل الفلسطيني فلاديمير تماري الذي يقيم في اليابان ، وبعدد من الفنانين اليابانيين ، حيث اطلعتهم على نتائج المؤتمر العام للاتحاد العام .

وفي تلك الفترة كان يزور اماكن التجمع الفلسطيني في لبنان ، بدعوة من الاتحاد العام ، خمسة فنانين تشكيليين من المانيا الديمقراطية ، مثلوا اتحاد الفنانين الالمان في مؤتمر الاتحاد العام وقاموا بجولات ميدانية لمدة ثلاثة اسابيع رسموا بها مئات السكتشات من اجل تنظيم عدة معارض عن فلسطين برسوم ولوحات المانية وهذا مشروع ينوي الاتحاد تكراره .

كذلك زار لبنان وسوريا وفد من الفنانين اليابانيين ، والتقى به الاتحاد العام ، واجرى مباحثات تتعلق بالعلاقات الثنائية بين الطرفين .

وشهد شهر تشرين أول وتشرين ثاني ١٩٧٩ عددا من النشاطات لم يسبق لها مثيل . وهي :

١ ـ معرض ضخم ضم ستة أجنحة ، تشكيلي ، شعبي ، سياسي ، ملصقات ، رسوم وصور أطفال ،

كتب ، افتتح في ٢٤/١٠/٧٩ واستمر حتى ٦/١١ /٧٩ في قاعة الجمعية الوطنية للفنون الجميلة في لشبونة ، بمناسبة المؤتمر الدولي للتضامن مع الشعب العربي وقضيته المركزية فلسطين .

وفي الجناح التشكيلي عرضت ثلاثون لوحة لأربعة عشر فنانا من أعضاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين ، اما جناح الفن الشعبي الفلسطيني فقد كان صورة مصغرة من المعرض الكبير الجوال المذكور سابقا ، وركز على جناح الأطفال ، حيث عرضت فيه رسومهم وصور لهم في حياتهم العامة في المدرسة ، في الملعب ، في مواجهة الاحتلال الصهيوني ، الى جانب مجموعة كتب الأطفال وملصقاتهم التي صدرت عن دار الفتى العربي . واشتمل الجناح السياسي على عرض لتاريخ فلسطين المصور مزودابالوثائق الفوتوغرافية والرسوم . وقد كلفت ادارة الفنون والتراث بدائرة الاعلام والثقافة للاشراف على هذا المعرض ثلاثة من الفنانين هم . توفيق عبد العال وناصر السومي وميشيل نجار .

كذلك شهدت لشبونة في هذه المناسبة عرضا للموسيقى والرقص الشعبي الفلسطيني احيته فرقة الفنون الشعبية .

وكانت هذه الفرقة في هذا العام قد احيت عددا من الحفلات في ليبيا وعدن والجزائر وبرلين والدول الاسكندنافية .

وقد نقل المعرض الكبير الذي اقيم في لشبونة الى مدريد ، ليقام هناك وفي برشلونة أوائل العام ١٩٨٠ .

معرض آخر عن فلسطين من خلال الطفل الفلسطيني أقيم في مبنى الأمم المتحدة بنيويورك ، يوم ١١/٢٦ بمناسبة يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني (٢٩/١١/٧٩) . وفي العام الماضي أقيم معرض فلسطيني بهذه المناسبة وفي الامم المتحدة اشتمل على عرض لتاريخ فلسطين حضاريا وسياسيا . ومعرض ثالث مماثل وفي نفس المناسبة أقيم في احدى قاعات مبنى الأونسكو بباريس ، ورابع تشكيلي في احدى قاعات مبنى الامم المتحدة في جنيف وبنفس المناسبة يضم حوالي خمسة وثلاثين لوحة لعشرين فنانا من أعضاء الاتحاد العام ، افتتح في ٢٦/١١/٧٩ ويستمر لمدة اسبوعين .

وفي موسكو أقيم عدد من المعارض الكبيرة ، حيث افتتح في ٢٩/١١/٧٩ ،يوم التضامن العالمي مع الشعب العربي الفلسطيني ، وفي مهرجان وتظاهرة فنية ثقافية كبرى تقام في الاتحاد السوفييتي تحت عنوان « ايام الصداقة والتضامن مع الشعب العربي الفلسطيني في الاتحاد السوفييتي ، (راجع التقرير الخاص عنه في هذا العدد) .

الثورة الفلسطينية هي من الثورات التي كرست الثقافة والفن سلاحا في النضال ، وهي التي أفسحت المجال ، ووضعت الامكانيات أمام المثقفين والفنانين للمشاركة في النضال بوسائلهم ، ومكنتهم من التعبير عن مشاعرهم وأفكارهم . فلو نظرنا بشكل عام الى المنتجات الثقافية والفنية ، من كتب وملصقات ومعارض وافلام لاكتشفنا كمية لم تنتجها من قبل ثورة من الثورات نسبيا .

ان عدد الفنانين والكتاب والأدباء والفنيين المتفرغين والعامليين في الثورة الفلسطينية عدد ملفت للنظر نسبيا والحقيقة هو أن ذلك كله لم يأت عفويا ، بل نتيجة النضال الطويل للفنان والاديب الفلسطيني والمثقف بشكل عام ، والذي ابتدأ من أوائل الخمسينات ، فهو الذي ساعد على أن يفرض الفن والأدب نفسه على ساحة الثورة كأداة نضالية فعالية تكمل دور البندقية وليس من شك في ان قيادة الثورة الفلسطينية بوعي منها على أهمية هذا الدور ساعدت أيضا على تحقيق جزء كبير من الطموحات لدى الفنان والاديب .

ولكن ماذا عن القيمة الفنية للانتاج الثقافي الفلسطيني ؟ وهل اشتمل النشاط الثقافي الفني الفلسطيني على كافة اشكال الثقافة ؟

بداية نقول ان الحركة الثقافية الفنية الفلسطينية في السنين العشر الاولى من الثورة الفلسطينية سادها نوع من التداخل فيما بين العمل الاعلامي والعمل الثقافي ، وفي ظني أن ثمة فرقا بين الاثنين . لذلك نحن نشهد اليوم في

شتى بلدان العالم وزارة خاصة للاعلام واخرى للثقافة . ولقد بدأ نوع من النضوج في هذا المجال عندنا في السنين القليلة الأخيرة ، وتحسس للفرق بين الاعلام والثقافة . فاذا كان الاعلام عملا استهلاكيا يوميا يعتمد على خط سياسي يتحرك وفق التكتيك السياسي ، فان الثقافة عمل لا يهتم بالخبر اليومي ، او المعلومة السياسية التكتيكية بشكل مباشر ، بل يسير في خط مستقيم باتجاه واضح هو التعبير عن الوجدان أو الاحاسيس الانسانية ، وهو يرسم صورة حقيقية للجوهر الانساني للشعب .

اننا بحاجة الى نهوض في هذا المجال ، مجال العمل الفني الجماعي (السينما والموسيقى والرقص والمسرح) . وذلك أمر ليس سهلا ، فالفنون الفردية ، التشكيلية والأدبية ، لا تحتاج الى امكانيات كبيرة نسبيا اذا ما قيست بالفنون الجماعية . ان الفنان التشكيلي أو الشاعر أو الأديب سواء ، مكنته الثورة أو لم تمكنه ، لا يستطيع الا أن يستمر في الرسم وفي كتابة الشعر والادب . بينما العمل السينمائي أو الموسيقى أو الرقص الشعبي أو المسرح ، لا يمكن أن يتحقق الا اذا تضافرت جهود كثيرة معا ، وخصص لها المال اللازم .

لذلك ، نقول هنا أن على الثورة الفلسطينية ، ان تعي هذه الحقيقة ، وان تعرف ان الاستمرار في بعثرة الجهود في هذا المجال ، وتعدد الجهات العاملة في الاختصاص نفسه هو عقبة في طريق تطوير هذه الفنون ، لأن معظمها غير موجود بالرغم من وجود اللافتات والعناوين لها ، ولعله مما يبعث الأمل ان النية تتجه الآن لتشكيل اتحاد للفنانين الفلسطينيين العاملين في مجالات المسرح والسينما والتلفزيون ، حيث تشكلت لجنة تحضيرية لهذه الغاية ، الأمر الذي سيصبح خطوة على طريق التطوير المنشود لهذه الفنون .

اسماعيل شموط

اسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني في الاتحاد السوفياتي

هذا العام ، تميزت احتفالات التضامن مع الشعب الفلسطيني في الاتحاد السوفييتي بكونها المناسبة الاولى التي تنظم فيها فعاليات ونشاطات على هذا المستوى من التنوع والاتساع . فقد أقيمت نشاطات الاسبوع الرئيسية في كل من موسكو ، والماتا ، عاصمة كازاخستان . وشملت هذه النشاطات إقامة المهرجانات الاحتفالية بالمناسبة ، ولقاءات وفد منظمة التحرير الفلسطينية مع الهيئات الاجتماعية والثقافية المشاركة في اسبوع التضامن ، بالاضافة الى المعارض التالية التي أقيمت في موسكو . معرض التراث الشعبي ، معرض الفن التشكيلي ، معرض الكتب والملصقات ، معرض رسوم الأطفال ومعرض الصور والملصقات الذي أقيم في الماتا . وقد أشرفت على إقامة وترتيب هذه النشاطات لجنة الصداقة السوفيتية ــ الفلسطينية التي أقيمت منذ عام ، والمنبثقة عن اتحاد الجمعيات السوفيتية للصداقة والتضامن مع الشعوب الأجنبية .

جرى الاحتفال الرسمي ببداية أسبوع التضامن مع الشعب الفلسطيني في ٢٨ تشرين الثاني في المقر المركزي للادباء السوفييت في موسكو . وقد شارك في الحفل المثقفون والأدباء ومندوبو الهيئات النقابية والحزبية في الاتحاد السوفييتي، حيث ألقى ميرزا ابراهيموف رئيس اللجنة السوفييتية للتضامن مع بلدان اسيا وافريقيا كلمة حيا فيها النضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني في سبيل حقوقه المشروعة ، كما تحدث في الاحتفال يوري باراباش النائب الأول لوزير الثقافة ورئيس جمعية الصداقة السوفييتية ـ الفلسطينية كلمة قال فيها « ان ثبات المناضلين الفلسطينيين في كفاحهم يجذب الى هذا الشعب البطولي أعدادا متزايدة من الشعوب والهيئات التي تتعاطف مع هذا النضال ، وتسعى الى دعمه . نحن نعتبر ان السنوات الاخيرة بحق هي سنوات الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني ومنظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا وحيدا فقد تم الاعتراف بها من اكثر من مئة بلد من بلدان الأمم المتحدة ، كما تم افتتاح أكثر من سبعين مقرا للمنظمة في دول العالم . ويزداد عدد الحكومات الغربية التي تدرك ان عدم الاعتراف بالحقوق المشروعة الفلسطينية يجلب الخطر لهذه البلدان الاوروبية نفسها . وان مقررات مؤتمر لشبونة وبرنامج العمل المشترك تجند الأوساط العالمية من أجل زيادة التأييد للشعب الفلسطيني . كما تشير هذه الوثائق الى زيادة التنسيق وتعريف شعوب العالم بالحضارة والثقافة الفلسطينية وفي هذه الظروف نرى بكل وضوح فشل السياسة الانفصالية التي تقوم عليها صفقة كامب ديفيد . ان مقررات كامب ديفيد والمعاهدة التي انبثقت عنها بين اسرائيل ومصر ، لم تقربنا من ايجاد حل للوضع في الشرق الاوسط ، بل زادت في خطورة الوضع وتدهوره » . وتحدث باراباش عن سياسة اسرائيل العسكرية العدوانية في جنوب لبنان ، وعن ازدياد القمع والاضطهاد المترافقين بالاستيطان الصهيوني في الاراضي المحتلة كما تحدث عن خطة الحكم الذاتي التي تحاول أن تسحب حق تقرير المصير من السكان الفلسطينيين . وأشار الى موقف الدعم المبدئي والثابت في سياسة الاتحاد السوفييتي تجاه القضية الفلسطينية وتجاه منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها

الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني . واختتم باراباش خطابه قائلا « نحتفل اليوم بعيد التضامن مع الشعب الفلسطيني ، وتحتفل منظماتنا النقابية والشبيبية والنسائية وسائر المنظمات المختصة بالتعاون والابداع ، والتي يجمعها بهذه القضية أساس ثابت للسعي نحو الحرية والتقدم ومشاركة بلادنا مع منظمة التحرير الفلسطينية . ونحن نحتفل سنويا باليوم الوطني للشعب الفلسطيني بمناسبة انطلاق ثورته في أول كانون الثاني ، وفي ٢٩ تشرين الثاني يوم التضامن العالمي مع الشعب الفلسطيني . اننا لا نشك أبدا في انتصار الشعب الفلسطيني وقدرته على إقامة سلام متين وعادل في الشرق الأوسط » .

وقد ألقى رئيس وفد منظمة التحرير الفلسطينية عضو اللجنة التنفيذية ياسر عبد ربه كلمة في الاحتفال جاء فيها « ان العالم اليوم بكل قواه الديموقراطية والتقدمية المحبة للسلام يقول بصوت واحد ، انه لا حل في الشرق الأوسط دون حل القضية الجوهرية في المنطقة ، قضية فلسطين . وهذا التضامن العالمي الواسع الذي يزداد يوما بعد يوم ، هذا التضامن الذي يتجلى في الاحتفالات التي تتم في مختلف البلدان ، يثبت ويؤكد أن صفقة كامب ديفيد التي عقدت بين دولة الاحتلال الاسرائيلي وبين نظام السادات الذي ارتد عن القضايا العربية وبين الامبريالية الامريكية ؛ يثبت أن هذه الاتفاقية لا تتعارض مع نضال شعبنا الوطني فلسطينيا وعربيا ، وانما تتعارض مع السلام الدولي في العالم » . وأكد ان اتفاقية كامب ديفيد التي أدينت من قبل شعبنا ، قد أدينت كذلك من غالبية دول العالم، كما تجلى في مقررات الامم المتحدة التي اتخذت حديثا ، بالاضافة الى الادانة الحازمة لدول المنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي » .

وفي يوم ٢٩ نوفمبر يوم التضامن العالمي مع فلسطين، عقد رئيس دائرة الاعلام والثقافة في منظمة التحرير الفلسطينية مؤتمرا صحفيا في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في موسكو بحضور وكالات الانباء والصحافة السوفييتية والعالمية . كما أقيم احتفال جماهيري واسع في مصنع « كومونة باريس » للجلود، تحدث فيه عبد الله حوراني المدير العام للدائرة .

وفي ألماتا عاصمة كازاخستان أقيم احتفال جماهيري حاشد بمناسبة أيام التضامن مع الشعب الفلسطيني ، ألقى فيه رئيس جمعية الصداقة في جمهورية كازاخستان كلمة أشاد فيها بالعلاقات التضامنية مع الشعب الفلسطيني ، كما تحدث فيه الشاعر الكازاخي المعروف سليمانوف . وألقى ياسر عبد ربه كلمة تعرض فيها للنضال الوطني الفلسطيني ، ولأوضاع الشعب الفلسطيني في الأراضي المحتلة ، وللسياسة الفاشية العدوانية التي يتبعها العدوان الصهيوني ، وأشاد فيها بالتضامن الفلسطيني مع الشعب اللبناني وحركته الوطنية . وفي نطاق الاحتفالات التي جرت في ألماتا أقيم حفل تضامني آخر وجرى فيه افتتاح معرض الصور والملصقات في مقر دار الصداقة ، كما تمت لقاءات الوفد الفلسطيني مع المثقفين والفنانين ، بالاضافة الى زيارته لجامعة ألماتا التي تعتبر عضوا مشتركا في جمعية الصداقة . وفي جميع الاحتفالات الجماهيرية شاركت الفرقة الفنية التابعة لمدرسة اسعاد الطفولة بتقديم اغان ورقصات شعبية فلسطينية .

وعلى صعيد الفعاليات الفلسطينية المقدمة خلال اسبوع التضامن فقد مثل معرض التراث الشعبي والفن التشكيلي أبرز الوجوه الحضارية والفنية للشعب الفلسطيني . افتتح المعرض في ٣ تشرين الثاني في متحف الفنون الشرقية في موسكو ، وشهدت قاعات العرض اقبالا واسعا من الجماهير السوفييتية . ومن الفنانين المشاركين في معرض الفن التشكيلي . « اسماعيل شموط ، سليمان منصور ، ابراهيم هزيمة ، كامل المغني ، برهان كركوتلي ، سمير سلامة ، توفيق عبد العال ، ناصر السومي ، كمال بلاطة ، حلمي التوني ، منى السعودي ، نبيل عناني ، ابراهيم غنام ، تمام الاكحل ، عبد الرحمن المزين ، مصطفى الحلاج ، ليلى الشوا ، فلاديمير تماري ، الهجرس ، جميل شموط ، كميل حوا ، عبد الحي ، محمود طه ، عصام بدر ، ميشيل نجار ، شفيق رضوان ، محمد الشاعر ، جمانة الحسيني ، ج . آرمن ، ع . أبو زيد ، سامية الحلبي ، عدنان الشريف ، بشير سنوار ، حسين صالح » كما جرى ملاحظة الاقبال الملحوظ من الزوار السوفييت على معرض الكتب والملصقات ، وعلى اسبوع السينما الفلسطينية . وفي قصر الرواد التابع لمقاطعة « برووماسكي » في موسكو افتتح معرض رسوم الأطفال ، ووزع ملصق « البيت » الصادر عن دار الفتى العربي واللجنة الوطنية الفلسطينية للاحتفال بعام الطفل العالمي باللغة الروسية على الأطفال الرواد .

ومن الجدير بالذكر أن هذه التظاهرة التضامنية قد تميزت بلقاءات وفد منظمة التحرير الفلسطينية مع رؤساء وممثلي الهيئات الثقافية والاجتماعية المشاركة في اسبوع التضامن . فقد التقى الوفد مع يوري باراباش رئيس جمعية الصداقة والتضامن مع الشعب الفلسطيني ، كما التقى مع ايفانوف النائب الاول لاتحاد الجمعيات السوفييتية للصداقة والعلاقات الثقافية مع الشعوب الأجنبية ، بالاضافة الى اللقاء مع بروكلوفا عضوة اللجنة المركزية ورئيسة اتحاد الجمعيات السوفياتية للصداقة والتضامن مع الشعوب الأجنبية . وقد تم لقاء الوفد أيضا مع البروفسور بريماكوف مدير معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم في الاتحاد السوفييتي.وفي الـمـآتاقام الوفد بزيارة لمقر جمعية التضامن مع الشعوب الأجنبية حيث التقى برئيس جمعية الصداقة زيكين كالييف ، ود . محمد جان كاراتيف عضو الجمعية ورئيس دائرة المعارف السوفييتية في كازاخستان . وقام الوفد أيضا بزيارة لمجلس السوفيات الاعلى في الماتا حيث أعرب الجانبان عن مشاعر التضامن والتعاون القائمة بين الشعب الفلسطيني وشعوب الاتحاد السوفييتي .

وفي جامعة الصداقة (باتريس لومومبا) في موسكو التقى الوفد رئيس الجامعة والهيئة التدريسية ، حيث تلا اللقاء احتفال خطابي شاركت فيه الهيئة الجامعية مؤكدة على نهجها الثابت في التضامن مع فلسطين ضد الامبريالية والصهيونية ، وفي اعداد وتدريب الكوادر من آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية . كما تحدث في الاحتفال البروفسور بيلاييف ، وممثلو اتحاد طلبة جنوب شرقي آسيا ، واتحاد طلبة أمريكا اللاتينية ، ومندوبو منظمة طلبة البلدان العربية في الاتحاد السوفييتي ، التي تضم ست عشرة دولة . وألقى ياسر عبد ربه كلمة خلال الاحتفال قال فيها « ان يوم التضامن هو اليوم الذي يجمع فيه كل الاحرار وكل القوى الخيرة في العالم على صوت واحد في ادانة صفقة كامب ديفيد ، وفي التأييد كل التأييد لكفاح ثوارنا ، لحملة البنادق ، ولكفاح شعبنا في الأرض المحتلة . للذين يحملون الحجارة في وجه الدبابات ، للذين ينتفضون من اجل الحرية والاستقلال ، ولآلاف السجناء الذين يناضلون داخل سجونهم ويتابعون التحدي » . وقال أيضا . « ان السادات بالتواطؤ مع اسرائيل ومع الامبريالية الامريكية يعتقدون بأن نشر الدمار في جنوب لبنان عبر الطائرات الامريكية ـ الاسرائيلية ، ومن خلال القصف والابادة يظنون انه من الممكن انهاء الحركة الوطنية اللبنانية والمقاومة الفلسطينية ، واخماد الاصوات التى وقفت ضد كامب ديفيد ، لقد مضى اكثر من عام على اتفاقية كامب ديفيد ونضال الشعبين الفلسطيني واللبناني يؤكدان المزيد من الصمود امام هده المؤامرات ، كما تشهد انتفاضة شعبنا وثورته في الارض المحتلة مزيدا من احباط الخطط الصهيونية الرامية الى توسيع المستعمرات وفرض الحكم الذاتي » .

وبالاضافة الى النشاطات السابقة والمعارض واللقاءات،فقد تسنى للوفد الفلسطيني المشارك في احتفالات اسبوع التضامن الاطلاع على وجوه الحياة الثقافية والاجتماعية والفنية في الاتحاد السوفييتى، عبر جولاته المنوعة التي شملت المصانع والجامعات والمتاحف وقصور الرواد والمعالم التاريخية . وقد توجه فريق الفنانين المشاركين بعد انتهاء نشاطات الاسبوع الى مدينة لينينغراد للاطلاع على التراث الفنى العريق للمدينة ومتحفها العالمي الشهير « الارميتاج »

وفي النهاية فان الهدف الأهم الذي حققه النشاط المكثف لاسبوع التضامن مع الشعب الفلسطينى في الاتحاد السوفييتي ، هو زيادة اطلاع ومشاركة الفئات والقطاعات الاوسع من الشعب السوفييتى على القضية الفلسطينية وعلى التراث الفني والثقافي الحضاري للشعب الفلسطينى . لقد كانت تلك المناسبة هى المرة الاولى التي يتم تنظيم النشاطات والفعاليات فيها على هذا المستوى من الشمول والاتساع . وبين احتفال ولقاء ، وبين كتاب أو لوحة كانت فلسطين تنتشر حارة وقوية في قلب العالم الصديق الذي يبادلنا الدعم والمشاركة .

ليانة بدر

تقييم جديد لعلاقات السود واليهود في الولايات المتحدة في اطار المسألة الفلسطينية

استمر التطابق بين السود في الولايات المتحدة والجالية اليهودية وكذلك عهدهم على انهم « الاطفال العبرانيون في العهد القديم » لعشرات عدة من السنين . لقد كانت المجموعتان ضحية التعصب والعنف والافتراء .ولقد قدر السود الدعم المالي والفعال الذي كانت تقدمه المجموعات والافراد اليهود في حركة الحقوق المدنية في الخمسينات والستينات ، فلقد ساروا معا في المظاهرات والاضرابات كما تعرضوا للسجون معا .

غير ان زعماء حركة الحقوق المدنية انفسهم يدعون الآن من اجل اعادة تقييم لتلك العلاقات الرفاقية والمشتركة . والسؤال . لماذا ، هكذا وبشكل مفاجىء ، انطلقت الدعوات من اجل اعادة التقييم بعد ابعاد اندرو يونغ ؟ لا شك في ان اندرويونغ هو واحد من عمالقة حركة السود وان ابعاده كان تنازلا لاسرائيل ولمؤيديها في الجالية الاميركية اليهودية . لكن القول ان الشرخ بين الجاليتين الصديقتين تاريخيا كان بين ليلة وضحاها بسبب ابعاد اندرو يونغ من ادارة كارتر لهو قول خاطىء وتبسيطي .

فالخلاف حول اندرو يونغ لم يولد عداوة جديدة بين السود واليهود بقدر ما صعد الخلافات الجدية والموجودة اساسا بين الحلفاء التقليديين . تلك كانت الشرارة التي سببت الانفجار ، كانت المناسبة لدفع الخلافات حول المسائل الاساسية في امور السياسة الداخلية الى السطح بعد ان كانت مغمورة . وتتعلق هذه المسائل بقضايا العمل وحصصه . كما ان اساس هذه الخلافات هو العمل على المستوى الايجابي . فقادة الزعماء السود يؤيدون وهم محقون بذلك ، سياسة المحاصصة:والا كيف يمكنهم من غيرذلك انجاح حملتهم ضد التمييز؟وكيف يمكن للسود ، ضحايا قرون من التمييز والعنصرية ، بغير ذلك تأمين مكان لهم في المؤسسات الاميركية ؟ ان ردة فعل المنظمات اليهودية بخصوص العمل الايجابي معروفة جيدا . لقد دعم اليهود كل التحديات التي وجه بها العمل الايجابي مستخدمين منطق ان المحاصصة تمثل السقف الاعلى للمشاركة اليهودية في المؤسسات الاميركية . فالنزاع اذن ليس سطحيا بحيث يتحتم له ان يتلاشى مع تلاشي آثار ابعاد اندرو يونغ على الجالية السوداء . انه نزاع يتمحور على مبدأ السلطة وتوزيع او اعادة توزيع السلطة .

لقد مرت حركة الحقوق المدنية في الستينات بعدة تحولات جذرية . لكن رأي اميركا الحرة ، بما فيه اولئك الذين ينتمون للجالية اليهودية ، كان انها لم تقصر فقط في مجاراة التحولات ، بل

انها اصبحت متخلفة كثيرا الى الوراء . وبينما رست زعامة السود على الموجة الثانية لحركة الحقوق المدنية حصر الحلفاء القدامى اهتمامهم بجوانبَ المرحلة القديمة ـ مرحلة الدمج،مع التأكيد على دمج الثقافة العامة ووسائل الحياة العامة .

اما المرحلة الثانية، مرحلة سنة ١٩٧٠ ، فهي التي تنادي باعادة توزيع السلطة . فالجالية السوداء تسعى جاهدة لنيل نصيبها من الفطيرة ، وعلى هذا الاساس كانت المجابهة بين حليفها وحاميها السابق . ولقد وصف جسي جاكسون هذا التطور ببلاغة عندما قال ، « وقت لم يكن هناك مستوى لائق من الحياة في المجتمع،كان اليهود يرغبون المشاركة في الحياة اللائقة هذه . لقد بدأ النزاع عندما بدأنا البحث من اجل السلطة ... » .

لم يعد السود يعانون مشاعر البؤس والضعف بل انهم نادمون على نلك النمط الذي ابداه حلفاؤهم القدامى الذين كانوا يضعون الاطر والاستراتيجية ، ويتخذون كل القرارات . ولقد قال اندرو يونغ في مقابلة في نيويورك ، « كان اليهود يتخذون كل القرارات بشكل اساسي في الائتلاف . وعندما بدأ السود يفكرون لانفسهم ويواجهون الاراء المتحررة والقيادات تغير كل شيء » ، ان اجتماع اندرو يونغ مع الاخ زهدي الطرزي هو بالنسبة لكثير من الاخوة والاخوات السود تأكيد لحق الشعب بالتحدث مع اي كان من الذين يرغبون التحدث معه . ولقد صاغ الامر احد زملائي من المعلقين السود كما يلي . « تماما كما ان اليهود قد قرروا ان يكون يهوديا الذي يقرر من يمكن التحدث اليه بقضايا تتعلق باسرائيل فان السود قد ضاقوا من التعليمات التي تعطى لهم من غير السود عما يحق للاسود ان يفعل او لا يفعل » ، ان الجدل حول يونغ تحول الى رمز لنوع من التقرير الذاتي في قضايا الحرية السياسية . ولن يمضي وقت طويل حتى يصبح السود غير مهيئين لاعطاء احكام سياسية في امور خارجية ، ولن يمضي وقت طويل حتى يدعوهم الصهيونيون الاميركيُون لعزل انفسهم في غيتو سياسي وترك السياسة الدولية في المناطق المعقدة للجهابذة من رجال الدولة والمعرفة . كما انهم لن يقبلوا بالحظر الذي يفرضه الصهيونيون على مناقشة المسألة الفلسطينية .

ان خطورة التحديات هذه ناجمة في الاساس من خوف المجموعات الصهيونية من انه سيكون لمسألة يونغ نتائج من نوع سياسة الدومينو . (ويمكن التذكر في هذا المجال سياسة الدومينو التي على اساسها دمر ليندون جونسون ورتيشارد نيكسون امة كاملة في الهند الصينية) . ان الكابوس الصهيوني يكمن في ان الجالية السوداء ليست الا الفئة المنظمة الاولى من المجتمع الاميركي التي تطرح اسئلة حول حقيقة السياسة الاميركية الخارجية في الشرق الاوسط .

١) ان لاسرائيل مكانة خاصة لدى الولايات المتحدة وهي جديرة بدعم لا حدود له ولا يصح مناقشته .

٢) ان لاسرائيل الحق في تحديد اسس وطبيعة المحادثات الدولية للولايات المتحدة .

٣) انه من المنطقي ان تتوقع المنظمات الصهيونية الاميركية دعم السود من اجل تزويد اسرائيل بطائرات حربية مقاتلة من غير ان يكون لهم الحق في مكان بارز في المؤسسات الاميركية .

ان احتمال سريان هذه العدوى المنتشرة بين الجالية السوداء ، اي مجرد التساؤل عن الدعم غير المشروط لاسرائيل هي التي فجرت هذه الموجة الهستيرية من الخوف بين الصهيونيين الاميركيين . ومن هنا تأتي الاهمية التاريخية للقاء يونغ ـ الطرزي في مدينة نيويورك والجدل الذي سببه هذا اللقاء . فالكفاح الفلسطيني وعدالة القضية بدأت بالنفاذ الى ضمير اميركا السوداء . ومن المؤكد ان اخوتنا واخواتنا السود سيكتشفون الشخصية العنصرية « للامة الموعودة » . غير اننا على ثقة من ان الحقائق لا بد ان تتكشف ، وانه لا يمكن ان تبقى

التشويهات من غير مجابهة والى الابد . لقد تكشفت الكذبة وبدأت مرحلة تاريخية فاصلة .

صحيح اننا نعرف مدى دعم اندرو يونغ لاسرائيل . ولقد كرر هذا الدعم حتى عندما اعلن قراره بالاستقالة تحت ضغط اسرائيل ومؤيديها الصهيونيين قائلا وقتها « كنت من المؤيدين للامة الاسرائيلية بنسبة مائة بالمائة خلال فترة وجودي في الكونغرس ، ولا زلت الآن من مؤيدي هذه الامة » . كما قال ما يلي « ان المؤتمرات الحزبية التي كانت ترشح السود للكونغرس كانت تدعم اسرائيل ومساعدتها بنسبة مائة بالمئة تقريبا » . كما ان القس جسي جاكسون ، وهو شخصية سوداء بارزة ، ردد كلاما شبيها في قوله منذ فترة قصيرة في برنامج « لقاء مع الصحافة » . « ان ارض اليهود الموعودة هي حقيقة تاريخية لا يمكن نفيها » . لقد حطم اندرو يونغ السلاسل والغى الحظر وحطم الاسطورة التي تدعي ان المسألة الفلسطينية غير مهيأة للبحث الجدي في الوسط الاميركي ، وان منابر الفئات المنظمة الاميركية مغلقة والى الابد امام القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني .

اننا نحيي شجاعته ونقر بالنتائج السياسية بعيدة الاثر لخطوته. فالجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة هي جالية حديثة وطرية العود ، ولم تشارك بحركة الحقوق المدنية في الخمسينات والستينات لانها كانت منهمكة آنئذ بمسألة البناء ووجودها في المستقبل ، لكن موقفها من طغيان الاقلية كان جليا ضمنا ، وكان يبرز عبر تاريخها . كما انها شاركت في السنوات الاخيرة في اعباء الاقليات الاخرى في هذا البلد . فهي لم تتوان ولم تراوغ في المشاركة في العمل الايجابي او في دعم القوة السوداء .ولم يكن تأييدها ناتجا عن فهم ضيق للمصلحة الذاتية او لاعتبارات برغماتية ، لقد كان ناتجا عن ايمان ثابت واعتقاد في ضرورة الكفاح ضد الطغيان من اجل القضاء على التمييز وكل اشكال الانظمة الكولونيالية ، سواء أكانت هذه الانظمة في ديترويت ، زيمبابوي ، ازانيا ، جنوبي كلفورنيا ام في فلسطين المحتلة . ذلك انه لم يجل في خاطرها ولو لحظة ان لانظمة الاستيطان الابيض في جنوبي افريقيا الحق في الاستمرار كأنظمة عنصرية تعمل على حماية امتيازات الاقلية . كما انه لم يحدث ان سلمت بالمساومات التي دعمت اشخاصا مثل ميزاريوا وغيره من المرتدين والبدائل في الانظمة الكولونيالية في القارة الافريقية .

ان تضامن الفلسطينيين مع المضطهدين هو تضامن طبيعي ، لان الطغاة ايا كانت هويتهم الوطنية او ثقافتهم ، هم واحد في كل الاحوال . ان نضال السنديين البطولي كان موجها ضد سوموزا الكريه بقدر ما كان موجها ضد اسياده الذين يسلحون ويدربون جيشه . كما ان نضال الاخوة الايرانيين الشجاع كان ضد عرش الطاووس بقدر ما كان ضد السافاك القتلة وكذلك ضد القوى التي دعمت السافاك ونصبت من الشاه شرطيا اقليميا لمنطقة الخليج . فالاهتمام والقلق الذي ابدته اسرائيل بسبب انهيار هذه الانظمة بين وقت وآخر كان عن طريق الدعم الذي قدمته لهذه الانظمة الفاسدة . وبقدر ما تعكس علاقات اسرائيل الخاصة بالنظام العنصري في جنوب افريقيا ، حيث التعاون الوثيق على المستوى الاقتصادي والتكنولوجي ، التطابق الايديولوجي ، فهي تعكس ايضا احساسا بالمصير المشترك ، ذلك ان كلا النظامين يقوم على مبدأ سيطرة الاقلية البيضاء . كما ان كليهما يمثلان عنصري تدخل في المناطق الخطرة في العالم الثالث كما يشكلان عائقين ضد التخلص من الاستعمار .

ونحن لا نؤيد السود الافريقيين في زيمبابوي وازانيا في سعيهم للمساومة على حقوقهم الاساسية وهم يبحثون عن تسوية مع الطغاة . ان دعمنا لقضيتهم العادلة لهو دعم غير مشروط ومطلق ، لانه لا يعقل تحقيق نصف انتصار على الانظمة العنصرية،فليس هناك مكان للانظمة العنصرية في عصرنا . وكما اننا ندعم الكفاح ضد العنصرية في جنوبي افريقيا ، فنحن نسعى من اجل كسب دعم ثابت من الاخوة والاخوات السود في هذا البلد في كفاحنا ضد العنصرية

وانتهاك حقوق الانسان في فلسطين المحتلة . انه الكفاح نفسه والقضية نفسها .

وما يصح قوله للاخوة السود الذين هم في موقع القيادة في الولايات المتحدة هو ان دور « الوسيط الشريف » ودور « صانع السلام » ، الذي يقوم به جيمي كارتر والاخرون في هذا البلد قد ادى الى مزيد من التصلب الاسرائيلي ، واستطرادا الى تطويل امد الاحتلال وتدمير فرص السلام الحقيقي . ويمكن ان نعرض سجل « صانع السلام » هذا . أليس هو ، بعد كل شيء ، الرئيس الاميركي الاول الذي نادى من اجل اقامة « وطن » للاجئين الفلسطينيين » والذي نادى في سبيل الاعتراف بان المسألة الفلسطينية هي « جوهر » مسألة الشرق الاوسط ؟ والذي دعا اسرائيل بلغة واضحة وصريحة للانسحاب من المناطق العربية على الجبهات الثلاث ؟ والم يكن هو اول رئيس يستخدم المقطع المحرم « الحقوق المشروعة » للفلسطينيين ؟ كما انه كان اول رئيس منذ عهد دوايت ايزنهاور ، الذي تحدى على المستوى الشعبي الزعامة الاسرائيلية . الم يوجه تهديدا الى مناحيم بيغن عبر المقابلة التي نشرتها مجلة تايم في آب (اغسطس) ١٩٧٧ يحذره من مغبة التخريب على المبادرة الاميركية التي تعتمد مؤتمر جنيف اساسا لها ؟ ثم الم يكن هو اول رئيس يربط الموقف الاميركي بالموقف السوفياتي بواسطة البيان المشترك الذي صدر يوم الاول من تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٧٧ ، من اجل تسوية دولية تقوم على اساس الاقرار بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ؟ .

لكننا تأكدنا جميعا من ان تأثير مناحيم بيغن في الحياة السياسية الاميركية بخصوص الشرق الاوسط اكثر قوة من تأثير جيمي كارتر ، وهو الشيء الذي اكدته الورقة التي صاغها كارتر ودايان بعد موجة احتجاج هستيرية في الدوائر الصهيونية .

كانت ورقة العمل التي صاغها كارتر ودايان المؤشر الاول على تراجع موقف كارتر ، والذي كان يهدف بالاساس لحماية المصالح الاميركية الاقتصادية والاستراتيجية . وفي تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٧٧ انهار التحدي الذي اظهره كارتر في مواجهة بيغن ، كما ان انور السادات اسهم ماديا في تبديل الاتجاه لمصلحة بيغن . ولقد تطور موقف بيغن بما يتعلق بالسيادة اليهودية على الضفة الغربية من موقف نظري للمعارضة اليمينية الى بند للتفاوض بالنسبة لكارتر والسادات . وعبر ثلاثين سنة لم يتبن برنامج ليكود التوسعي ، والذي يقوم على وجهة نظر دينية وتاريخية ، الا اقلية صغيرة عاشت على الجنون والاوهام .

وبفضل كارتر والسادات ، فان نص اتفاقية كامب ديفيد ، يجعل قضية السيادة الشرعية في الضفة الغربية قضية مطروحة الآن . لقد اعيدت الشرعية للنفوذ الديني المستمد من القرون الوسطى . كما ان خطة بيغن المعروفة بالادارة الذاتية تشغل الآن حيزا رئيسيا في دبلوماسية الشرق الاوسط التي تقوم على اساس كامب ديفيد ، والتي تحولت الى اطار للتسوية يعمل عليه كارتر في الوقت الحاضر . وبموجب اطار التسوية هذا :

١ ـ يمكن للقوات الاسرائيلية الاستمرار في التواجد في الضفة الغربية وقطاع غزة الى فترة غير محددة خمس سنوات ، عشر سنوات وربما الى الابد . (مقابلة مع محطة أن . بي . سي . في برنامج ١٩ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩) .

٢ ـ تستمر اقامة المستعمرات بعد فترة المفاوضات وانه لا شيء يمنع توسيع المستعمرات المقامة حاليا . وهو امر لا يتعارض فقط مع ميثاق جنيف لسنة ١٩٤٩ ، بل يتعارض ايضا مع موقف الولايات المتحدة الرسمي والذي اكده كارتر اكثر من مرة .

٣ ـ تبقى مدينة القدس في ايدي الاسرائيليين ، وهو امر يتنافى مع قرارات الامم المتحدة والموقف الرسمي للولايات المتحدة .

٤ ـ ان وثائق كامب ديفيد تؤكد بشكل واضح على انه من المستبعد تماما منع فلسطيني الضفة الغربية الاستقلال الكامل . وتتمتع اسرائيل بحق النقض بخصوص تقرير الوضع النهائي للضفة الغربية ، ومن المؤكد انها ستستخدم هذا الحق اذا استخدم الفلسطينيون قرارا باقامة دولة مستقلة .

٥ ـ تعين كل من مصر والاردن الممثلين الفلسطينيين في محادثات اجراء الانتخابات في الضفة الغربية ، بينما تحتفظ اسرائيل بحق النقض بخصوص تعيينهم .

٦ ـ تمارس اسرائيل حق النقض بما يتعلق بعودة لاجئي سنة ١٩٦٧ الى الضفة الغربية ، بينما لم يؤت على ذكر لاجئي سنة ٤٨ اطلاقا .

هذا هو ما توصل اليه انور السادات في كامب ديفيد ، والذي وصفه جيمي كارتر بالخطوة التاريخية نحو سلام عربي اسرائيلي. ان المعاهدة التي تم التوصل اليها والتي حكمت على الضفة الغربية بالتبعية الدائمة ، بما هو أسوأ من البانتوستان ، والتي حكمت على الفلسطينيين في الخارج بالعيش في منفى دائم ، لهو الثمن الذي طلبته اسرائيل مقابل اعادة سيناء الى السيادة المصرية . والشواهد المتوفرة تشير الى اكثر من محاولة لتقديم تنازلات . انها تشير الى ان اسرائيل حققت التنازلات التي سعت اليها . وكما اشرت سابقا فلقد كانت بداية المحادثات الاسرائيلية في كامب ديفيد ما هو دون الصلح المتطابق مع المصالح العربية ، ودون الموقف الاميركي المعلن ودون الموقف الاسرائيلي المتخذ قبل ما يعرف بمبادرة السادات وكارتر باسم الصلح .

ومن المؤكد ان السلام لن يتحقق في الشرق الاوسط كما لن يتحقق في اي مكان آخر ، عن طريق التشديد السطحي على العناصر الملموسة للعلاقات السلمية مثل تبادل السفراء والعلاقات التجارية والثقافية وتسيير رحلات جوية ، بينما يتم تجنب الاسس السياسية والمعنوية للعلاقات السلمية . ان الاتفاقات المصرية الاسرائيلية التي تم التوصل اليها في كامب ديفيد وتم التوقيع عليها في واشنطن ، عاجزة عن تلبية المتطلبات السياسية والمعنوية لسلام دائم . كما ان هذه الاتفاقات بالاضافة الى تجاهلها للحقوق الفلسطينية في تقرير المصير التي اقرتها ١٣٨ دولة في المجموعة الدولية ، تغفل اوضاع المناطق السورية واللبنانية المحتلة من قبل اسرائيل ، كما انها تعترف ضمنا بضم مدينة القدس وتخرج مصر من الاسرة العربية . وعندما انتخب جيمي كارتر للرئاسة كان العالم قد عرف وقتها عناصر للسلام الدائم في الشرق الاوسط نوع من الاجماع العالمي بخصوص فلسطين يرتكز على اربعة اقتراحات .

١ ـ ان القضية الفلسطينية هي جوهر النزاع في الشرق الاوسط وانه ليس من الممكن تحقيق حل من غير اقرار بجوهر القضية .

٢ ـ ان للشعب الفلسطيني حق تقرير المصير كما ان له حقوقا ثابتة .

٣ ـ انه لا بد من مشاركة الفلسطينيين على قدم المساواة في كل المحافل التي تبحث عن سلام . (بلفور ، انتداب عصبة الامم ، فيصل وايزمان والآن السادات وبيغن) .

٤ ـ ان ممثلي الشعب الفلسطيني هم الذين يختارهم الشعب الفلسطيني بنفسه لانه ليس من المنطق الاقرار بحق تقرير المصير ومنع حق اختيار المثلين .

وربما كان كارتر يهدف بواسطة رعايته هذه الاتفاقات التي تتعارض مع الاجماع العربي والدولي الى تركيز مساعيه من اجل تطويل امد النزاع . ذلك ان هذه الاتفاقات والتي تحوي على عوامل الدمار ، ليست الا بمثابة دعوة لادامة النزاع مع ما تحمله من دلالات خطيرة لشعوب

المنطقة ، وكذلك للذين يضعون انفسهم في موضع الرعاية والشهادة . ذلك ان رجال السياسة الاميركيين وهم يسعون لمعالجة القضية الفلسطينية ، يستخدمون الحقوق والمصالح الفلسطينية كأداة دبلوماسية ملائمة يمكن الاخذ بها او رفضها حسب ما يتناسب مع السياسات الاميركية على طاولة الشطرنج في الاستراتيجية العالمية . انها سياسة الامال الخادعة والوعود الكاذبة وهي سياسة متناقضة ومتقلبة . ولقد اتضح ان بعض تصريحات كارتر ومعاونيه التي كانت على قدر من الشجاعة والامانة لم تكن الا من النوع المخادع .

هذا هو ما يمكن قوله للاخوة والاخوات السود من الذين يعتقدون ان مناحيم بيغن ومؤيديه الصهيونيين في هذا البلد هم من النوع الذي يتقبل المساومات العادلة والشريفة . اما للاخوة في الجالية الفلسطينية فيمكن ان يقال . عليكم ان لا تنخدعوا بالانحيازات الموسمية التي تظهر على سطح السياسة الاميركية التقليدية . صحيح ان السيد كارتر يعترف بالمسألة الفلسطينية ، لكنه يعترف بها كعنصر ازعاج وارباك لا بد من التخلص منه ، من غير ان يكون عن طريق تسوية عادلة حسب ما يكرره بخصوص مبادىء حقوق الانسان . وهو يعترف ويقر بالوجود المادي للفلسطينيين ، واظن انه علينا الاعتراف بهذا التحول وتقديره ، لكنه حتى الآن لا يعترف بفلسطين ، وعلى هذا المستوى ان موقفه وموقف مناحيم بيغن محكومان للمنطق نفسه ــ **حكم اداري ذاتي وليس للارض .**

وعليكم ان لا تسيئوا التقدير ! فليس في برنامج كارتر دولة فلسطينية كما انه ليس من المحتمل ان تضاف الى برنامجه . والوسيلة الوحيدة للعمل من اجل استعادة حقوق الفلسطينيين هو الاستمرار في الكفاح بكل الوسائل المتوفرة .

ولنكن صريحين ، بعضنا اعتاد على المبالغة بقوة اعدائنا ، صحيح ان اسرائيل هي دولة عسكرية تسيطر على الشرق الاوسط لكن امبراطوريات استعمارية اخرى فشلت في مواجهة صمود الشعوب المضطهدة وتصميمها على العيش بكرامة ؛ ومن المؤكد ان المبالغة بقوة اسرائيل سيكون عاملا في سقوطها . ان لجوء اسرائيل الى وسائل عسكرية وقمعية وكذلك نزعتها لاقامة امبراطورية في المنطقة ، سيكون له نتائج مدمرة على المستويات الاخلاقية والمؤسسية . ان اعظم تهديد يواجه اليهود في فلسطين هو خطر نابع من الداخل نتيجة الاعتماد المتزايد على الوسائل العسكرية والقمعية . واضافة الى ان اسرائيل هي الاولى بين الدول في مصاريفها العسكرية بالنسبة الى الانتاج القومي العام (بزيادة ٣٠ بالمئة عن سنة ١٩٧٨) ، فهي الدولة الوحيدة التي تفوق ديونها الخارجية ميزانيتها القومية (وهو رقم زاد من ٩ مليار دولار سنة ١٩٧٠ الى ٣٠ مليار دولار حاليا) . او لنلاحظ الزيادة في التضخم التي ارتفعت الى مئة بالمئة .

ان العسكرة كسياسة تهيمن على القطاعات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع الاسرائيلي ، اصبحت محور الحياة العامة . وهو امر ترفضه غالبية المثقفين والمواطنين العاديين الذين يحرصون على الحياة العادية وسعادة الاجيال اليهودية القادمة . ومن المتعين على بيغن ورجاله العسكريين مواجهة هذه الابعاد الخطيرة للوضع الامني ؛ وهو امر لا تكون معالجته عن طريق البحث عن حدود لاسرائيل مستمدة مما جاء في التوراة او عن طريق الاضطهاد الدائم للشعب الفلسطيني .

لقد حزم بيغن وشركاؤه امرهم لجهة العلاقة بين اسرائيل والضفة الغربية ، والتي ستكون في احسن الاحوال مثل العلاقة القائمة بين النظام العنصري في جنوب افريقيا وترانسكاي .

لكن هذا لن يتحقق ما دام الشعب الفلسطيني صامدا في مقاومته ، وما دامت الجالية

الفلسطينية في الولايات المتحدة الاميركية ماضية في نضالها ، كل على طريقته وحسب امكانياته .

وستنهزم الصهيونية ان عاجلا او آجلا ، تماما كما حل بالانظمة العنصرية التي انهارت والتي لا زالت تنهار حتى يومنا هذا . وليس هناك من بديل الا بموجب شرعة حقوق الانسان . وكما كنا ولا زلنا نؤيد حلا من هذا النوع في جنوب افريقيا فنحن ندعو من اجل تطبيقه في فلسطين . فهو الحل الحقيقي الوحيد لمنع نزاع وتقاتل دائمين ، ولن تمنع آلة الموت التي تزود الولايات المتحدة بها اسرائيل ولا أقبية التعذيب في الصرفند وامكنة اخرى كثيرة ، لن تمنع الشعب الفلسطيني من المضي في تصميمه من اجل انتزاع حل يقوم على اساس حقوق الانسان . وليست مناورات نظام السادات ولا علاقاته الخاصة مع الولايات المتحدة قادرة ان تكون البديل عن حل يقوم على اساس حقوق الانسان .

نصير عروري

ميزان القوى العسكري
بين الدول العربية واسرائيل
للعام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩

في ايلول (سبتمبر) من كل عام يصدر المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية تقريره السنوي ، « الميزان العسكري » ، حول موازين القوى والتسلح في العالم . وتعمل مراكز الدراسات الاستراتيجية في لندن ، واشنطن وبون وباريس وستكهولم على مراجعة وتدقيق وتجديد ما تضمنته التقارير الخاصة بالتسلح ، والدخول في منافسة « رياضية » لمنح تقديراتها بتفوق هذا الطرف او ذاك مع ابراز نقاط الضعف والتفوق . لكن ما تتجاهله تلك التقارير هو المعطيات السياسية والاستراتيجية التي تتحكم في موازين القوى مما قد يبدل قيم هذه الموازين تبدلا جذريا في كثير من الاحيان. وعلاوة على ذلك ، فان هذه التقارير تتجاهل تماما ارتباط موازين التسلح بمصادر التسلح التي تمارس ـ « في اطار الحروب المحدودة » ـ دورا حاسما في تغيير هذه الموازين سواء عن طريق تقديم الوسائط التقنية التي تضمن التفوق « النوعي » او عن طريق الدعم المباشر بوسائط تضمن التفوق « الكمي او العددي » ومن هنا يصبح كل تقدير لموازين القوى مجردا من كل مضامينه ان لم يعالج من خلال المعطيات المختلفة للصراع المسلح . وفيما يلي سنعرض تقديرات المعهد للميزان العسكري للعام ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩

جداول التسلح بالارقام

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية والشعبية

عدد السكان ١٩,٠٧,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية ستة اشهر
مجموع القوات المسلحة ٨٨,٨٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي ١٥,٩ بليون دولار
نفقات الدفاع لعام ١٩٧٩ ٢,٣٢ بليون دينار جزائري (٦٠٥ ملايين دولار)
عدد افراد الجيش ٧٨,٠٠٠ رجل
الاحتياطي ١٠٠,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية ٣,٨٠٠ رجل
سلاح الجو ٧,٠٠٠ رجل
الطائرات المقاتلة ٢٦٠ طائرة

دولة البحرين

عدد السكان ٣٥٥,٠٠٠ نسمة

تقديرات الانتاج القومي الاجمالي لعام ١٩٧٧ ١,٧ بليون دولار
مجموع القوات المسلحة ٢,٣٠٠ رجل
نفقات الدفاع لعام ١٩٧٩ . ٣٧,٥ مليون دينار (٩٨ مليون دولار)
عدد افراد الجيش . ٢,٣٠٠ رجل .
حرس الشواطىء . ٢٠٠ رجل
قوات الشرطة ٢٥٠٠ رجل

جمهورية مصر العربية

عدد السكان . ٤٠,٤٦٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية . ثلاث سنوات
مجموع القوات المسلحة العاملة . ٢٩٥,٠٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي لعام ١٩٧٧ . ١٨,١ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩ ــ ١٩٨٠) . ١,٥ بليون جنيه مصري (٢,١٧ بليون دولار)
القوات المسلحة (بما فيها الدفاع الجوي) . ٣٥٠,٠٠٠ رجل
عدد الصواريخ . ٣٦٠ SAM-2 ٢٠٠ SAM-3
الاحتياطي . ٥٠٠,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية ٢٠,٠٠٠ رجل ، ١٢ غواصة سوفييتية الصنع ، ٥ مدمرات ، ٣ فراقيط وقطع بحرية اخرى سوفييتية الصنع
سلاح الجو . ٢٥,٠٠٠ رجل
عدد الطائرات المقاتلة . ٥٦٣
عدد افراد الحرس الوطني ٦٠٠٠ رجل
عدد افراد حرس الحدود ٦٠٠٠ رجل
قوات الشرطة والامن . ٢٠,٠٠٠ رجل
حرس السواحل . ٧٠٠ رجل

الجمهورية العراقية

عدد السكان ١٢,٧٣٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية . سنتان
مجموع القوات المسلحة العاملة ٢٢٢,٠٠٠ رجل
الانتاج القومي الاجمالي ١٥,٥ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٨) ٥٨٦,٥ مليون دينار عراقي
القوات المسلحة (المشاة والمدرعات) ١٩٠,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية . ٤,٠٠٠ رجل
سلاح الجو . ٢٨,٠٠٠ رجل
عدد الطائرات المقاتلة ٣٣٩
قوات الشرطة ٤,٨٠٠ رجل
الجيش الشعبي ٧٥,٠٠٠ رجل

المملكة الاردنية الهاشمية

عدد السكان . ٣,٠٥٠,٠٠٠ نسمة
مجموع القوات المسلحة ٦٧,٠٠٠ رجل
الانتاح القومي الاجمالي (١٩٧٧) ١,٨٥ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩) . ١١٤ مليون دينار اردني (٢٨١ مليون دولار)

عدد افراد الجيش . ٦٠,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية . ٢٠٠ رجل ، و٩ زوارق حراسة
سلاح الجو . ٧,٠٠٠ رجل
عدد الطائرات المقاتلة . ٧٣
الاحتياطي . ٣٠,٠٠٠ رجل
قوات الشرطة . ٣,٠٠٠ رجل
الحرس المدني ٧,٠٠٠ رجل

دولة الكويـــت

عدد السكان . ١,٢٠٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية سنة ونصف السنة
مجموع القوات المسلحة . ١١,١٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي . ١١,٩ بليون دولار
تفقات الدفاع (١٩٧٧ ــ ٧٨) ٩٣ مليون دينار كويتى (٣٣٦ مليون دولار)
عدد افراد الجيش ٩,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية . ٢٠٠ رجل و ٢٨ سفينة حراسة
سلاح الجو . ١,٩٠٠ رجل
عدد الطائرات المقاتلة . ٥٠ طائرة
قوات الشرطة ١٥,٠٠٠ رجل

الجمهورية اللبنانية

عدد السكان ٢,٩٨٠,٠٠٠ نسمة
مجموع القوات المسلحة ٨٧٥٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٨) . ٣,٤ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩) ٧٣٨ مليون ليرة لبنانية (٢٣٥ مليون دولار)
عدد افراد الجيش ٨٠٠٠ رجل
سلاح البحرية ٢٥٠ رجل وثلاث سفن لحراسة الشواطىء
سلاح الجو ٥٠٠ رجل و١٦ طائرة مقاتلة
قوات الامن الداخلي ٥٠٠٠ رجل

الجماهيرية الليبية الاشتراكية الشعبية

عدد السكان ٢,٨٧٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية التجنيد اجباري للجميع
مجموع القوات المسلحة ٤٢,٠٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٨) ١٩ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٨) ١٢٠ مليون دينار ليبي (٤٤٨ مليون دولار)
عدد افراد الجيش ٣٥,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية ٣,٠٠٠ رجل
سلاح الجو ٤,٠٠٠ رجل و٢٠١ طائرة مقاتلة

المملكة المغربية

عدد السكان ١٩,٢٤٠,٠٠٠ نسمة

فترة الخدمة العسكرية   سنة ونصف السنة
مجموع القوات المسلحة . ٩٨,٠٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٧) . ٩,٥ بليون درهم مغربي (٩١٦ مليون دولار)
عدد افراد الجيش . ٩٠,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية   ٢٠,٠٠٠ رجل
سلاح الجو . ٦,٠٠٠ رجل و٧٢ طائرة مقاتلة
قوات الامن القومي (الشرطة)   ٣٠,٠٠٠ رجل

سلطنة عمان

عدد السكان . ٨٧٠,٠٠٠ نسمة
الخدمة العسكرية   غير الزامية
مجموع القوات المسلحة   ١٩,٢٠٠ رجل
تقديرات الانتاح القومي الاجمالي (١٩٧٨) ٢٢,٥٥ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩)   ٢٣٨ مليون ريال عماني (٦٨٨ مليون دولار)
عدد افراد الجيش . ١٦,٢٠٠ رجل
سلاح البحرية . ٩٠٠ رجل
سلاح الجو . ٢,١٠٠ رجل و٣٥ طائرة مقاتلة
فرق القبائل   ٣,٣٠٠ رجل

دولة قطر

عدد السكان . ٢١٠,٠٠٠ نسمة
مجموع القوات المسلحة   ٤,٧,٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي . بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٨) . ٢٣٨ مليون ريال قطري (٦١ مليون دولار) .
عدد افراد الجيش   ٤,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية   ٤٠٠ رجل (بما في ذلك حرس السواحل)
سلاح الجو . ٣٠٠ رجل و٤ طائرات مقاتلة

المملكة العربية السعودية

عدد السكان . ٧,٩٨٤,٠٠٠ نسمة
الخدمة العسكرية   غير الزامية
مجموع القوات المسلحة . ٤٤,٥٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٨) ٦٤,٢ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩ ــ ١٩٨٠)   ٤٧,٨ بليون ريال سعودي (١٤,١٨ بليون دولار)
عدد افراد الجيش   ٣٥,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية   ١,٥٠٠ رجل
سلاح الجــو   ٨,٠٠٠ رجل و١٧٨ طائرة مقاتلة
الحرس الوطني . ٢٠,٠٠٠ رجل
حرس الحدود . ٦,٥٠٠ رجل و١٢٠ سفينة لحراسة الشواطيء

جمهورية السودان الديمقراطية

عدد السكان .٢٠,٩٠٠,٠٠٠ نسمة
الخدمة العسكرية   الزامية

مجموع القوات المسلحة ٦٢,٩٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٧) ٦,١٥ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٨) . ٨٤,٩ مليون جنيه سوداني (٢٤٤ مليون دولار)
سلاح البحرية . ١,٤٠٠ رجل
سلاح الجو ١,٥٠٠ رجل و٣٦ طائرة مقاتلة
حرس وطني . ٥٠٠ رجل
حرس جمهوري ٥٠٠ رجل
حرس الحدود . ٢,٥٠٠ رجل

الجمهورية العربية السورية

عدد السكان ٨,٣٧٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية ٢٠ شهرا
مجموع القوات المسلحة . ٢٢٧,٥٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٧) ٧,١ بليون دولار
نفقات الدفاع (١٩٧٩) ٨ بلايين ليرة سورية (٢,٠٤ بليون دولار)
عدد افراد الجيش ٢٠٠,٠٠٠ رجل
الاحتياطي ١٠٠,٠٠٠ رجل
سلاح الجو . ٢٥,٠٠٠ رجل و٣٨٩ طائرة مقاتلة
وسائل الدفاع الجوي . اجهزة رادار ، وصواريخ SAM
سلاح البحرية . ٢,٥٠٠ رجل
قوات الشرطة ١١,٠٠٠ رجل (بما في ذلك ١,٥٠٠ حرس الصحراء)

الجمهورية التونسية

عدد السكان . ٦,٢٩٠,٠٠٠ نسمة
فترة الخدمة العسكرية . سنة واحدة
مجموع القوات المسلحة . ٢٢,٢٠٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٩) ٥٩ بليون دينار تونسي (١٤٥ مليون دولار)
عدد افراد الجيش . ١٨,٠٠٠ رجل
سلاح البحرية . ٢,٦٠٠ رجل
سلاح الجو . ١,٧٠٠ رجل و١٤ طائرة مقاتلة
قوات الشرطة . ٢,٥٠٠ رجل
الحرس الوطني . ١,٠٠٠ رجل

دولة الامارات العربية المتحدة

عدد السكان . ٩٠٥,٠٠٠ نسمة
مجموع القوات المسلحة . ٢٥,١٥٠ رجل
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٨) . ١٢ بليون دولار
عدد افراد الجيش . ٢٣,٥٠٠ رجل
سلاح البحرية ٩٠٠ رجل
سلاح الجو ٧٥٠ رجل و ٥٢ طائرة مقاتلة

اسرائيل

عدد السكان . ٣,٨٢٠,٠٠٠ نسمة

فترة الخدمة العسكرية . ثلاث سنوات للرجال
مجموع القوات المسلحة . ١٦٥,٠٠٠ رجل (٤٠٠ الف رجل في حالة الاستنفار خلال ٢٤ ساعة)
تقديرات الانتاج القومي الاجمالي (١٩٧٨) . ١٠,٥ بليون دولار
نفقات « الدفاع » (١٩٧٩ ــ ١٩٨٠) . ٣٤,٥ بليون ليرة اسرائيلية (١,٦٢ بليون دولار)
عدد افراد الجيش . ١٣٨,٠٠٠ رجل (٣٧٥ الف رجل في حالة الاستنفار)
سلاح البحرية . ٦,٦٠٠ رجل (١٠ الاف رجل في حالة الاستنفار) ٣ غواصات ١٩ زورق (٧ منها مزودة بصواريخ سطح ــ سطح من طراز « رشيف » و١٢ مزودة بصواريخ « جبرئيل ») ، ٣٥ زورق دورية من طراز Dabur ، ٣ سفن انزال ، ٣ سفن استكشاف من طراز Westwind ، وقوة مغاوير « كوماندوز » قوامها ٦٠٠ رجل
سلاح الجو . ٢١,٠٠٠ رجل (٢٧ الف رجل في حالة الاستنفار) و٥٧٦ طائرة مقاتلة
الاحتياطي . ٤٦٠ رجل
حرس الحدود . ٤,٥٠٠ رجل
ميليشيا « الناحال » ٥٠٠٠ رجل
وقد اوصت اسرائيل على .
١ ــ ٢٢٥ دبابة متوسطة من طراز M- 60
٢ ــ ٨٠٠ ناقلة جنود مصفحة من طراز M- 113
٣ ــ مدافع وصواريخ من طراز « لانس » ، « تاو » ، مضادة للدبابات
٤ ــ زوارق سريعة الحركة مزودة بصواريخ
٥ ــ سفينتين مزودتين بصواريخ « هاربون »
٦ ــ سفينتي استكشاف من طراز Westwind
٧ ــ ٧٥ طائرة من طراز F- 16 و٣٠ طائرة حوامة من طراز Haghes

ويشير التقرير السنوي الى ان العدو الصهيوني يمتلك حاليا (١٩٧٩) جيشا نظاميا يضم ١٦٥ الف مقاتل (وباستطاعته تعبئة وحشد ٤٠٠ الف مقاتل خلال ٢٤ ساعة) وان هذا الجيش يمتلك ٣,٠٥٠ دبابة و٤٠٠٠ عربة مصفحة و٣١٠٠ مدفع بالاضافة الى المدفعية الصاروخية ومدافع الهاون ، (انظر الجدول)

وقد تشكل الارقام السابقة صورة قاتمة في انظار القارىء العربي لكن هذه الصورة لن تلبث حتى تفقد قوتها عند مقارنتها بصورة التسلح العربي. وعلى سبيل المثال فان قوة الجيوش النظامية لجيشي سوريا والاردن هي في حدود ٢٦٠ الف رجل اما في مجال الطيران والدبابات فان باستطاعة جيشي الاردن وسوريا تحقيق التوازن بالقوى مع جيش العدو وكذلك الامر بالنسبة لبقية القوى والوسائط . فاذا ما اضيف الى ذلك دعم الدول العربية الاخرى فان ميزان التسلح لن يكون ابدا في صالح العدو .

وبعد ،

لقد برهن تاريخ الحرب قديمة وحديثة ، على ان الحسم في الصراع المسلح لم يكن ابدا في صالح التفوق بالقوى والوسائط وحدها بقدر ما كان في صالح الادارة الذكية التي تحسن استخدام ما هو متوفر منها . ولقد اخذ العالم في الوقوع العربي تحت تأثير الانتصارات السياسية على المستوى الدولي ،متناسيا ان هذه الانتصارات السياسية ليست ــ ولن تكون ــ بديلا للحل العسكري ، وانما مكملة له ، ومتناسيا ايضا ان هذه الانتصارات لم تكن لتحدث لولا استخدام القوة العسكرية .

ان الامر اولا ، وقبل كل شيء ــ مرتبط بالتصميم العربي وبالارادة العربية الموحدة اكثر من ارتباطه بارقام موازين التسلح ومعطياتها ومضامينها . و« على قدر اهل العزم تأتي العزائم » .

اعداد الدكتور عبد القادر ياسين

مـراجعات

صلاح خلف « ابو إياد »
فلسطيني بلا هوية
الكويت ، دار كاظمة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ .

حينما نقلت وكالة الصحافة الفرنسية ، قبل نحو عامين ، خبرا مفاده ان دار « فايول » في باريس قد اتفقت مع صلاح خلف « ابو اياد » على حق نشر مذكراته ، لم اعتقد بصحة الخبر وظننت به . وكان ظني بصحة ذلك الخبر مشروعا ومنطقيا في أن معا . ذلك انه لم يسبق لاحد القادة او المسؤولين ان أقدم على نشر مذكراته وهو لا يزال في موقع القيادة أو المسؤولية . وفي ظل الظروف البالغة التعقيد ، التي تمر بها الثورة الفلسطينية ، فان يوميات أي من قادتها الرئيسيين لا يمكن ان تكون الا جزءا من أسرارها المكتومة ، وبالتالي فان نشر مثل تلك اليوميات المكتومة سوف يضر بتكتيكات ان لم نقل باستراتيجية الثورة المحاصرة . ثم ما الذي يمكن ان يقوله احد أبرز قادة الشعب الفلسطيني وهو لا يزال يشارك ، على نحو خاص ، بقيادة السفينة ؟ وما الذي يمكن ان يفرج عنه من يوميات أحد اكثر القادة الفلسطينيين انخراطا في صنع الاحداث والقرارات الفلسطينية ؟

بهذه الروحية الانتقادية تلقيت خبر الوكالة الفرنسية ، ورحت انتظر صدور مذكرات القائد الفلسطيني لاقرأها . ولم يتسن لي ذلك الا بعد ان صدرت الترجمة العربية حديثا .

وعندما قررت القيام بمراجعة للكتاب فقد تورعتني ، مرة اخرى ، مواقف مختلفة . ذلك انني قلما اقوم بمثل هذا العمل . وفي المرات القليلة التي قمت فيها بعمليات مراجعة مكتوبة ، كنت مدفوعا خلالها بتأثيرات الاهمية النسبية لمثل تلك الكتب .

وفي هذا المجال فان « فلسطيني بلا هوية » هو من أكثر الكتب الفلسطينية الحديثة أهمية ، ليس بسبب مكانة صاحبه فحسب ، بل لما فيه من وقائع تاريخية ومعالجات راهنة أيضا . اذن فان عملية المراجعة لها ما يبررها من هذه الناحية ، أما من الناحية المقابلة ، بل والموازية ، فان تناول كتاب لقائد فلسطيني بارز وذي نفوذ واسع ، يضع صاحب المراجعة امام قضايا شائكة . فمن ناحية اولى ، سوف تبدو اية تقييمات ايجابية للكتاب بمثابة ضرب من ضروب التقرب والممالاة لصاحب الكتاب ، ومن ناحية ثانية ، فان اية ملاحظات نقدية سوف تتطلب من المراجع مهارة في الصياغة والتعبير ، هو في غنى عنها في الحالات النقدية الاخرى .

وهكذا ، فقد قررت بعد تردد ان اقوم بعملية المراجعة متوخيا التنويه بأهمية ما جاء في الكتاب دون غض النظر عما يكتنفه من ثغرات بالمقاييس الموضوعية . فرجل في منزلة ابو اياد ، له من الاحترام العميق في صفوف المناضلين والاعجاب الشديد لدى الشعب ، لن تنال من معالجاته ملاحظات نقدية ، ولن تضيف الى رصيده تقييمات ايجابية .

على هدي المعادلة الذهنية السابقة ، فان مراجعة « فلسطيني بلا هويـة » تقتضي ، باديء ذي بدء ، تصويب بعض الافكار المسبقة . فتسميتـه بـ « كتاب » على ما في التسمية من حيادية ، تبدو اكثر انطباقا على ما جاء في هذا العمل ، الذي يجمع بين

المذكرات ، والمعالجات السياسية ، والتصريحات المباشرة . وعليه فالكتاب ليس بدفتر يوميات أو مذكرات شخصية ، الامر الذي يحمل على تبديد كل الافكار المسبقة والتخمينات المتسرعة ، التي تتكون لدى القارىء في الوهلة الاولى . اضافة الى ذلك ، فان الكتاب ، كما اوضحت مقدمته ، هو حصيلة احاديث منهجية مسجلة ، ادلى بها ابو اياد ، في فترات زمنية متقاربة ، وفي ظروف امنية معقدة ، للكاتب الصحافي الفرنسي الشهير « أريك رولو » بهدف اصدارها في كتاب موجه ، اساسا، لمخاطبة الرأي العام الغربي الذي يقرن بين اسم ابو اياد ومعظم عمليات العنف المثيرة . ومما لا شك فيه ان ابو اياد ، سجل معظم احاديثه تحت وطأة هذا الانطباع الغربي عنه ، وبالتالي فقد كانت تغلب عليه التبريرية حينا وعمليات الدفاع عن النفس في بعض الاحيان . و فيما عدا ذلك ، عالج ابو اياد مختلف الوقائع والحوادث الاخرى ، التي مر بها النضال الوطني الفلسطيني ، معالجة شديدة الموضوعية ، واستطاع في اغلب الاحيان ان يتخذ موقفا مستقلا عن الحدث ، برغم مشاركته في صنعه ، وان يسجل موقفه النقدي بجراة منقطعة ، وعلى قاعدة ممارسة النقد والنقد الذاتي ، مضى ابو اياد يفحص وقائع الاحداث المتتالية بلغة فريدة لم يجر تداولها من قبل . والى ان انتهيت من قراءة هذا الكتاب ، فقد كنت اعتقد ان كثيرا من وقائع التاريخ الفلسطيني الحديث لا يمكن مسها ، الى ان تقدم ابو اياد فاتحا حولها حوارا سوف يتتالى فيما بعد . أي ان ابو اياد لم يدافع عن الماضي ، وتحديدا لم يدافع عن اخطاء الماضي القريب .

اضافة الى ذلك ، فان ابو اياد هو القائد الفلسطيني الوحيد الذي دون في كتاب يحمل اسمه ، جزءا كبيرا من تاريخ الثورة الفلسطينية الحديثة واماط اللثام عن بعض من مكنوناتها المهمة . وعلى سبيل المثال ، فانها تكاد تكون المرة الاولى التي يدون فيها أحد قادة حركة فتح تاريخ نشأة ومراحل تطور النويات الأولى لهذه الحركة . وبذلك ، فقد امتلك الكتاب والمؤرخون والباحثون ، منذ صدور الكتاب ، الوثيقة الاهم حول والباحثون ، منذ صدور الكتاب ، الوثيقة الاهم حول نشأة حركة فتح وظروف ولادتها العسيرة . وفي المحصلة ، فان « فلسطيني بلا هوية » سوف يكون من الان فصاعدا احد المراجع الرئيسية لكل الكتاب والباحثين ـ عربا واجانب ـ الذين سوف يتناولون كتابة جزء من التاريخ الفلسطيني المعاصر . كما ستحرض لغة ابو اياد الخاصة الكتاب الفلسطينيين ، على وجه التحديد ، في التعاطي بجرأة اكبر مع مختلف وقائع الحياة السياسية الفلسطينية ، وتحررهم من حس القطيع ومن الصنمية الفكرية .

وكتاب « فلسطيني بلا هوية » الذي يقع في ٣٢٣ صفحة يضم ، الى المقدمة والخاتمة ، عشرة فصول تغطي فترة الثلاثين سنة الماضية ، بدءا من عام النكبة ١٩٤٨ .

ففي الفصل الاول « بذور الحقد » يعود ابو اياد بذكرياته الى يوم غادر مع افراد اسرته مدينة يافا ، على ظهر مركب شراعي ، باتجاه مدينة غزة ، واصفا رحلة العذاب التي مر بها كل من كانوا على ظهر المركب ، عندما اكتشفت امرأة ان احد اطفالها الاربعة لم يكن على ظهر المركب ، فراحت تطلب العودة الى الميناء ، فلما لم يستجب لها ، نظرا للنيران الغزيرة التي كان يتعرض لها الركاب ، القت بنفسها في البحر ، وعندما حاول زوجها انقاذها من الغرق غرق بدوره وابتلعتهما الامواج .

بهذه الحادثة المروعة يفتتح ابو اياد ذكرياته القديمة ، مشيرا الى مبعث الالام الكبيرة التي عمرت قلب ذلك الفتى اليافع وحملته على الانتقام لعجزه ، فيما اصطلح الرأي العام الغربي على تسميته بالعنف حينا وبالارهاب في اغلب الأحيان . واذا كانت هذه الحادثة ظلت مصدرا لاتقاد الارادة الذاتية عند صلاح خلف قبل ان ينظمها في الاطار العام ، فاننا بالتأكيد نستطيع العثور على احداث مشابهة لدى غيره من القادة الفلسطينيين . وعلى سبيل المثال ، فان الدكتور جورج حبش ، الذي يعرفه الراي العام الغربي ذاته بصفات مشابهة لصفات ابو اياد ، ذكر في احدى مقابلاته مع صحيفة غربية عام ١٩٧٠ ، ان منظر الالاف من بني بلدته وهم يغادرون اللد ، تحت نيران الرشاشات الاسرائيلية ، ما يزال يراوده ويملاه بمشاعر الالم العميق .

ويتذكر ابو اياد حادثة اخرى ذات دلالة ، جرت له في اواخر عام ١٩٤٥ ، حين تعرض للضرب من قبل بعض الفتية اليهود دون مبرر ، وكيف جرى اقتياده

فيما بعد الى السجن والمحاكمة دون ذنب اقترفه . اي ان ابو اياد كان يشير بذلك الى تصميم اليهود على تعميق مشاعر الفرقة وبالتالي الانفصال ، بتشجيع من سلطات الانتداب التي نصرت الظالم بدل ان تأخذ بيد المظلوم . ولم يتوقف لوم أبو اياد عند حد تحميل اليهود والانتداب مسؤولية كل ما حدث ، بل يتعدى ذلك الى لوم الانظمة العربية عموما ، ويني شعبه على وجه التحديد . اذ يختتم الفصل الاول (ص ٣٢ ـ ٣٣) قائلا . « وحين أسترجع ذلك ، فاني اعتقد ان مواطني قد اخطأوا حين وثقوا بالانظمة العربية ، كما اخطأوا على اي حال ، حين تركوا الميدان خاليا للمستوطنين اليهود. كان عليهم الصمود مهما كلف الامر . فما كان في مستطاع الصهاينة ان يبيدوهم حتى آخر رجل . وعلى اية حال ، فقد كان المنفى بالنسبة للكثيرين بيننا [الفسلطينيين] ، اسوأ من الموت » .

وفي الفصل الثاني « سنوات الحمل » يزاوج ابو اياد حديثه عن مسألتين منفصلتين ومتحدتين معا . الاولى وضعه كفتى لاجىء في قطاع غزة يعمل ليساعد اسرته ويواصل تعليمه المدرسي ، والثانية كشاب صغير انتقل للدراسة في القاهرة ، حيث التقى الطالب ياسر عرفات ، وبدأ يتكون كمناضل سياسي منذ ذلك الوقت .

ويقدر ما يفيض أبو اياد في ذكرياته حول وضعه كفتى لاجىء فانه بذلك كان يشخص وضع جيل بكامله ، عانى من ضنك الحياة وتعقد ظروف المعيشة . اي ان ابو اياد كان نموذجا للولد الفلسطيني مع بعض الاستثناءات القليلة ، ابان تلك المرحلة .

الا ان هذا الفتى ما ان يصل القاهرة ، وينجح بعد لاي في الحصول على منحة دراسية حتى بدأ يتميز عن العديد من اقرانه في ذلك الجيل . ويحدد ابو اياد عام ١٩٥١ على وجه الدقة كنقطة انعطاف في حياته كلها . اذ يقول: « وعام ١٩٥١ ليس عام الانفصال عن العائلة وبدايات حياة الطالب وحسب بل كان الى ذلك نقطة المنطلق في عملي النضالي الذي لم ين عن التطور والنمو منذ ربع قرن ... وفي هذه الحقبة التقيت للمرة الاولى بطالب يدرس في كلية الهندسة عمره ٢٢ سنة ،ويكبرني باربع سنوات ويتمتع بطاقة ونشاط وحماس وروحية مغامرة ، اسرتني وجذبتني اليه. انه ياسر عرفات.» (ص ٤٥ ـ ٤٦) .

واكتسب صلاح خلف خبراته السياسية الاولى عبر رابطة الطلاب الفلسطينيين في القاهرة ، التي كانت بمثابة مدرسة ، تربت في معتركاتها الصغيرة قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية الراهنة . ويخبرنا ابو اياد ان تلك الرابطة التي كان يرئسها ياسر عرفات ضمت العديدين من أبرز القيادات الرئيسية في حركة فتح ، الذين وزعوا انفسهم بين عدة اقطار عربية تحدوهم افكار غائمة بانشاء « حركة شعبية واسعة وجيش تحرير وطني حقيقي » (ص ٥٣) . ويكاد يكون ابو اياد هو الوحيد ، من بين اقرانه اولئك ، الذي عاد الى قطاع غزة مدرسا في مدرسة ثانوية للبنات اولا ، تحاشيا من قبل السلطة ، لمخاطر اتصاله بالشباب،ومدرسا فيما بعد في مدرسة لابناء اللاجئين حيث واتته الفرصة السانحة للاتصال والتحريض والتنظيم . الا ان المقام لم يطل به كثيرا ، حين طلب منه عرفات مغادرة غزة للبحث عن وظيفة مجزية ، نظرا لحاجة الحركة الناشئة للمال ، ولان « في وسعنا ان نناضل بحرية اعظم في دول الخليج حيث مصالح الامن اقل تطورا ، وحيث قادة هذه البلاد اكثر تهيؤا ازاءنا مما هو الحال في البلدان المحاذية لاسرائيل» (ص ٥٨).وهكذا انتهى المطاف بصلاح خلف ، المتزوج حديثا بابنة عمه ، في الكويت ، ليشارك مع بعض من رفاقه القدامى في ايقاف منظمة فتح على قدميها في شهر تشرين الاول عام ١٩٥٩ .

اما في الفصل الثالث « انفجار التيار » ، فان ابو اياد يبسط بكثير من التفصيل لاحكامه وتقييماته حول مسار الحركة الوطنية الفلسطينية في العقود السابقة ، وذلك من خلال حديثه عن المؤتمر التأسيسي لحركة فتح وعرضه لبعض المبادىء التى قامت الحركة وفقها .

وبالرغم من التقييمات المتسامحة مع بعض رموز واخطاء الحركة الفلسطينية في عقودها السابقة ، فان ابو اياد يقرر بكثير من الوضوح ان الحركة التي كان يشارك في انهاضها حاولت ان تدرس اخطاء الماضي وتستخلص دروسها المفيدة

وفي مرحلة الاعداد الممتدة ما بين عام ١٩٥٩ وحتى عام ١٩٦٤ . يكشف ابو اياد عن واقعتين ترويان للمرة الاولى في الكتب والابحاث التى عالجت قيام حركة فتح ونشوء الثورة الفلسطينية . ففي

عــام ١٩٦١ ، نجحــت فتــح في توحيــد معظم الخمس وثلاثين او اربعين منظمة فلسطينية من تلك التي نشأت في الكويت ، وكان بعضهــا عديــم الاهمية . وفي العام ذاتــه تفاوضــت فتــح على الاندماج ، مع منظمة فلسطينية كان يذكيها في قطر والسعودية محمود عباس « ابو مازن » ومحمــد يوسف النجار « ابو يوسف » وكمال عدوان . وبالنظر لتقارب الافــكار فقــد تم الدمــج دون صعوبات .

وبعد تفاصيل كثيرة يعود ابو اياد ليحدد مفصلا اخر في تاريخ حركة فتح ، حين عقدت هذه في خريف عام ١٩٦٤ ، في الكويت ، اجتماعا مهما لتقرير بداية الكفاح المسلح ضد اسرائيل بعد ان طالت فترة التهيؤ والاعداد الصارم . ويشير ابو اياد الى ان الاجتماع ذلك قد ساده اتجاهان ، الاول عرف باسم اتجاه « المتعقلين » الذين اعتبروا الكفاح المسلح محاولة سابقة لاوانها سوف تثير العالم العربي ضد اصحابها ، والثاني عرف باسم اتجاه « المغامرين » وضم عرفات وخلف وخليل الوزير « ابو جهاد » والنجار وعباس وفاروق القدومــي وخالد الحسن وسليم الزعنــون ومحمــد غنيــم واخرين . وكانت وجهة نظر هؤلاء تتلخص في ان فتح سوف تنمو وتتطور الى حركة جماهيرية ، بممارسة الكفاح المسلح وليس في السياق المعاكس . ولما لم يصل المجتمعون الى حل للمأزق الخلافي بينهم ، عقدوا اجتماعا آخر في دمشق في شهر تشرين الاول ١٩٦٤ ، حضرته الكوادر القيادية في البلدان المحاذية لاسرائيل ، فانقسم المجتمعون مرة اخرى الى ذات الاتجاهين ، الا ان « المغامرين » كانت لهم الغلبة فجرى توقيت اول عملية في مطلع العام ١٩٦٥ . ويتطرق ابو اياد مستعرضا ، بمرارة ، الصعوبات التى اكتنفت مسيرة اولئك المناضلين فوق الارض العربية . وهنا يكشف لنا ان ياسر عرفات دخل السجن في سوريا عام ١٩٦٥ للاشتباه بقيامــه بتخريب خط لانابيب التابلاين ، ثم سجن مرة اخرى في المزة ، عام ١٩٦٦ وخرج منها متوجها على رأس مجموعة للقيام بعملية عبر الاراضي اللبنانية ليكتشف امره ويدخل سجن الرمل في بيروت .

وخلال تلك المرحلة الطويلة ، كان صلاح خلف ما زال مدرسا في الكويت وان انيطت به مهام تنظيمية عديدة في الاقطار الاخرى . الا انه منذ حرب عام ١٩٦٧ ، غادر خلف الكويت متوجها الى دمشق ، منهيا بذلك مرحلة من حياته النضالية ، ليلج مرحلة اكثر غنى وتنوعا حين اصبح يعرف باسم ابو اياد ، وكما يدعو نفسه « الثوري المتفرغ » .

وفي الفصل الرابع « المد » يؤرخ ابو اياد بايجاز يكتنفه الحذر للمرحلة الاهم من تاريخ المقاومــة الفلسطينية ، مرحلة ما بعد ٥ حزيران ١٩٦٧ . ويقرر أن مؤتمرا عقد في ٢٠ آب ١٩٦٧ انتهى الى تجديد الانطلاقة بتاريخ ٣ آب من العام ذاته . وفي هذا السياق يسرد ابو اياد بعض تفاصيل معركة الكرامة وزياراته الى العديد من الدول العربيــة والاجنبية والاتصال بشعوبها وحكوماتها . الا ان الحادثة ذات الدلالة هي التي وقعت بعد مرور ثلاثة اسابيع اثر معركة الكرامة ، حين وجد ابو اياد نفسه وحيدا في دمشق ولديه تقرير يفيد بان احد اعضاء فتح يستعد لاعلان نفسه قائدا لقوات العاصفة ، الامر الذي دفعه في ١٥ نيسان ١٩٦٨ الى توزيع بيان يعلن فيه ان ياسر عرفات هو الناطق الرسمي باســم العاصفة ، ثم توزيع بيان آخر باسم ياسر عرفات ، يعلن فيه الاخير عن قبوله لمسؤولياته الجديدة ، وذلك دون ان يكون عرفات نفسه على علم بهذا أو ذاك .

وينهي ابو اياد حديثه عن مرحلة المد ، ليبدأ الفصل الخامس « الجزر » منذ العــام ١٩٧٠ ، مستعرضا فيه الكثير من الوقائع والاحداث الكبيرة والخطيرة معا ، والتي يماط اللثام عن اكثرها لاول مرة . وفي هذا الفصل يــعــرض ابو اياد تفصيل لحادثة اعتقاله ابان احداث ايلول الدامية من ذلك العام ، ويروي قصة البيان الذي اذيع باسمه من اذاعة عمان حول اقتراح لوقف اطلاق النار بين الجيش والفدائيين . ثم يتحدث بعد ذلك عن مؤتمر القمة العربي الاستثنائي الذي شهدت نهايته نهاية حياة جمال عبد الناصر ، وما تلا ذلك من وقائع انتهت بتدمير الوجود العلني للمقاومة في الاردن في خريف عام ١٩٧١

وفي الفصل السادس « حرب الاشباح » ، يعرض ابو اياد لبعض اهم العمليات التي قامت بها منظمة « ايلول الاسود » التي يصفها بانها « لم تكن منظمة ارهابية مطلقا بل تصرفت دائما كرديف ملحــق بالمقاومة ... وقد اكد اعضاؤها دائما وابدا انه ليست لهم اية صلة عضوية بفتح او بمنظمة التحرير الفلسطينيــة »(ص١٦٠) ، وبالرغم من ان ابو اياد

يوضح بانه لم يكن على صلة تنظيمية بهذه المنظمة ، الا انه يدافع عن نشاطاتها بحرارة وينتقد اولئك الذين يخلطون بين الارهاب وبين العنف الثوري الذي كانت تجسده هذه المنظمة. ولذلك فانه يقف بحزم ضد عمليات اختطاف الطائرات التي توقع الخسائر والضرر بالابرياء ، وبسمعة المناضلين الفلسطينيين في آن معا .

على ان ابو اياد لم تغب عنه الرؤية السديدة وهو يشخص لعمليات حزب الاشباح المتبادلة بين الثورة الفلسطينية ومختلف اعدائها . ذلك ان عمليات العنف الفلسطينية تلك ، جاءت على ارضية من الشعور بالقهر والنكسات المتتالية ، الامر الذي افسح المجال لظهور مثل تلك الاتجاهات اليائسة . وعليه فان الارضية التي تكلفت حرب تشرين الاول ١٩٧٣ بتحقيقها ، وضعت حدا لمثل تلك العمليات ، حين اخذت الثورة بانجاز بعض المكتسبات السياسية وتحقيق اول انتصاراتها الدبلوماسية الباهرة ، سواء في قمة الرباط او في اروقة الامم المتحدة خريف العام ١٩٧٤ .

وفي الفصل السابع « شرارة اكتوبر » يكشف ابو اياد بعضا من اسرار وقضايا تلك الحرب ، سواء في مرحلة الاعداد الوشيكة او ابان سير المعارك حيث كان في القاهرة ، أو في الفترة الصعبة التي تلتها . ويتابع القائد الفلسطيني حديثه عن تبعات تلك الحرب في الفصل الثامن « تحدي السلام » حيث يبسط من جهة اولى للحوارات الفلسطينية التي انتهت الى الاقرار باول برنامج ثوري واقعي ينادي باقامة سلطة وطنية فلسطينية ، ومن جهة ثانية لقرارات قمة الرباط والطريقة التي انتزع بها الفلسطينيون لاول مرة اعترافا عربيا جماعيا بما في ذلك اعتراف الاردن ، بحق منظمتهم الفلسطينية الجامعة بتمثيل الشعب الفلسطيني بدون منازع .

وفي غمرة الانتصارات التي كانت منظمة التحرير الفلسطينية تحققها على كافة الاصعدة كان هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركية السابق ، يعمل بدأب وتكتم بالغ ليعطل النجاحات الفلسطينية تلك ، وهو بصدد تنفيذ سياسة الخطوة ـ خطوة الشهيرة . وهكذا يؤكد ابو اياد أن احداث الحرب اللبنانية التي انفجرت في اوائل العام ١٩٧٥ ، قد جاءت في سياق المؤامرة على الثورة الفلسطيبية وانها كانت من تدبير كيسنجر ذاته .

وهكذا ينتقل ابو اياد في الفصل التاسع ليتحدث عن هذه الفترة التي اسماها بحق « الشرك اللبناني » . وفي هذا الصدد يكشف القائد الفلسطيني الواسع الاطلاع عن بعض الفصول المهمة من تاريخ هذه الحرب . فمثلا يؤكد ابو اياد ان منفذي عملية عين الرمانة ، وهي التي كانت بمثابة الشرارة لتلك الحرب ،كانوا اعضاء في حزب الاحرار الذي يتزعمه الرئيس اللبناني السابق كميل شمعون ، بالرغم من عضويتهم الظاهرية في حزب الكتائب . ويكشف ابو اياد كذلك عن اعتقاد قديم لديه بتعاون بعض زعماء الانعزالية اللبنانية ، وضباط من المكتب الثاني اللبناني ، مع اسرائيل . فلقد لاحظت القيادة الفلسطينية في وقت مبكر ان التحصينات التي اقيمت حول بعض معسكرات الكتائب تشبه الى حد بعيد النظام الدفاعي الذي يحيط بالمستوطنات الاسرائيلية . الا ان المقلب الاخير في الازمة اللبنانية ونعني به الصدام مع الجيش السوري ، هو الذي يستولي على الجزء الاهم من هذا الفصل . وفي هذا السياق يروي ابو اياد مقابلة تمت بينه وبين الرئيس السوري حافظ الاسد في نيسان ١٩٧٧ ، استغرقت خمس ساعات من المآخذ والملامات والمواجهات العنيفة .

وينتهي ابو اياد في الفصل العاشر والاخير الى الحديث عن مبادرة السادات « من الوهم الى الخيانة » مسترجعا تلك الصدمة والمرارة التي عقدت لسانه ، وهو يشاهد الرئيس المصري من على شاشة التلفزيون يهبط سلم الطائرة في مطار اللد مصافحا جلادي الشعب الفلسطيني والامة العربية .

ويبقى من « فلسطيني بلا هوية » خاتمة الكتاب التي يسجل فيها ابو اياد جملة من مواقف وآراء سياسية تستحق التوقف طويلا . فهذا القائد الفلسطيني الذي عرفه الكثيرون على المنابر السياسية خطيبا ومحرضا من طراز لامع ، يكشف عبر معالجاته لقضايا الساعة الفلسطينية عن رجل دولة عجمت عوده الاحداث الكبيرة . وهكذا فان النبرة الخطابية الحاسمة التي يطبع بها ابو اياد احاديثه وتصريحاته المختلفة ، والتحديات العصبية التي روض ذاته على ارتيادها ، والسطوة الشخصية التي يخلفها في اذهان محدثيه ، جعلت من ابو اياد لدى الصحافة ، والراي العام الغربي على وجه التحديد ، رجلا شديدا ومتصلبا وعنيفا وما الى ذلك .

الا انه في كتابه هذا ، يهدم دفعة واحدة كل الحواجز التى انتصبت بين شخصيته وبين المتصلين بها من صفوف القاعدة ومن بين ابناء الشعب . وها هو في كتابه : فلسطيني بائس يحزن ويحاول الفرح ، يركب المركب الصعب ويرنو الى شاطيء الامان ، يقاتل العنف بالعنف ولا يقر بذلك ، ويحلم كأي لاجيء « بملاذ امين بالغا ما بلغ صغره ، بقنصلية يستطيع اللجوء اليها اذا ما أوذي او هدد » (ص ٢٣) . واذا كان لنا ان نفاجأ حقا ، فان ذالك لن يتحقق الا عندما نكاد ننهي قراءة هذا الكتاب ، وذلك عندما يتحدث ابو اياد عن دولة فلسطينية على جزء من ارض الوطن مجاورة للدولة العبرية تحتفظ معها بعلاقات حسن الجوار . ولا يتوقف ابو اياد عند حدود ذلك التصور بين الكيانين المتجاورين ، بل انه يتصور اقامة حدود مفتوحة في كلا الاتجاهين : « ومن الطبيعي والمنطقي ان يبدأ تيار مبادلات . ثم ينمّى ، بين كيانين يكمل بعضهما بعضا في أكثر من جانب » (ص ٢٣٢). وفي حدود معرفتي ، فان هذه الدعوة هي الاولى التي يجاهر بها قائد فلسطيني يعي مسؤولياته بدقة وعمق كبيرين .

ان اللغة الفريدة التى استخدمها ابو اياد في هذا السياق ، لن يقلل من قيمتها انها خطاب موجه الى الرأي العام الغربي على وجه التحديد . اذ ان زمن اللغتين قد ولى الى غير رجعة ، وان التهرب من الاجابة على الاسئلة التي تطرحها المرحلة قد انتهى ، وان معرفة ما نرفض دون تحديد ما نريد بدقة لم تعد سياسة مقبولة من الجميع . وها هو ابو اياد يتقدم باجوبته ، طارحا في وجه العالم المطلب الفلسطينى العادل بوطن مستقر ومسالم يأوي اليه الفلسطينيون بأمان ، لا يتهددهم احد فيه بالويل والثبور وعظائم الامور .

عيسى الشعيبى

شهريات

المقاومة الفلسطينية

القمة العاشرة واحياء لجنة المتابعة

انعقد مؤتمر القمة العربية العاشر في الموعد المتفق عليه ، اي في العشرين من تشرين الثاني ١٩٧٩ ، وكان هذا ايذانا بأن الخلافات التي برزت خلال الاتصالات التحضيرية لم تعد من الحجم الذي يعطل ، أو يؤجل ، التقاء الملوك والرؤساء ، بالرغم من أنها لم تسو بكاملها . واذا كان الجانب الذي كثر الحديث عنه من الخلافات قد تركز بين وجهتي النظر الفلسطينية واللبنانية بشأن معالجة الوضع في الجنوب اللبناني ، فقد كان هناك جانب آخر ايضا لم يكثر الحديث العلني عنه ، تركز ، من جهته ، حول استخدام سلاح النفط العربي في الضغط على الولايات المتحدة . وعلى هذا الجانب كانت منظمة التحرير الفلسطينية في مقدمة المطالبين باستخدام هذا السلاح (راجع . المقاومة الفلسطينية ــ ١ ، **شؤون فلسطينية** ، كانون الاول ١٩٧٩ ، ص ١٦١) ، بينما تحبذ معظم الدول العربية المنتجة للنفط تجنب الخوض في هذا الموضوع ، خاصة في القمة . ويبدو ان اتفاقا ما سبق المؤتمر خلاصته عدم اثارة الموضوع وتركة للدول المعنية حتى يمكن ان تنعقد القمة وتتخذ مواقف موحدة حول ما عدا ذلك .

ومهما يكن من أمر فان الخلافات التي دارت الحوارات بشأنها على مدى شهرين انتقلت الى مؤتمر وزراء الخارجية حين انعقد في تونس في ١٩٧٩/١١/١٥ ليبت بجدول اعمال القمة ويضع مشاريع قراراتها . وتلقى اجتماع الوزراء عدة اوراق عمل ، اكثرها تباينا في وجهات النظر الورقتان المقدمتان من كل من م . ت . ف . والحكومة اللبنانية . فهاتان الورقتان تظهران اساس الخلاف في النظر الى مسألة الجنوب اللبناني واسلوب معالجتها ، اما الاوراق الأخرى فمن بينها الورقة العراقية التي تدعو لتأكيد المبادىء الاساسية التي سبق ان تضمنتها قرارات القمة التاسعة في بغداد (تشرين الثاني ١٩٧٨) وللالتزام بها وبغيرها من قرارات القمم الأخرى ، وتحدد الهدف المرحلي للنضال العربي المشترك بالتحرير الكامل للاراضي العربية المحتلة نتيجة عدوان حزيران ١٩٦٧ وباستعادة الحقوق الوطنية للشعب العربي الفلسطيني بما فيها حقوق العودة وتقرير المصير واقامة الدولة الفلسطينية المستقلة بقيادة م . ت . ف ، كما انها تدعو لتجديد ادانة اتفاقات كامب ديفيد ونتائجها (**الجمهورية** (بغداد) ، ١٩٧٩/١١/١١) . ومن هذه الاوراق ايضا الورقة الاردنية ، وهي تحث القمة على وضع سياسة نفطية مشتركة من غير ان تنص على ان تكون هذه السياسة موجهة للضغط على الولايات المتحدة ، وتكتفي بالدعوة الى التمييز في التعامل بين الدول الفقيرة ودول الغرب الغنية ، ثم تطلب ان تتوجه الدول العربية الى الامم المتحدة لاستصدار قرار من مجلس أمنها او من جمعيتها العامة يأخذ في الاعتبار الحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني (**النهار** (بيروت) ، ١٩٧٩/١١/١٥) .

ورقة العمل الفلسطينية تؤكد احترام م . ت . ف

« لوحدة لبنان واستقلاله وسيادته على كل اراضيه ، واستعدادها الكامل والدائم للتعاون والتنسيق مع السلطة الشرعية في المجالات التي تطلب منها » . ثم تدعو ، فيما يتصل بتنظيم العلاقات الفلسطينية اللبنانية ، « لتنفيذ مقررات القمة العربية في القاهرة ومؤتمر بيت الدين واتخاذ الاجـراءات السريعـة لذلك » . وهي تظهر اهمية التعاون والتنسيق بين الجانبين « بما يتفق مع مصلحة لبنان وعدم المساس بوجود المقاومة الفلسطينية في الجنوب » ،وتحـث الدول العربية على تعزيز « صمود الشعبين اللبناني والفلسطينـي في الجنـوب وتقديـم المساعـدات الاقتصادية والمالية في أسرع وقت ممكن » . ومع دعوتها لتشكيل لجنة تنسيق بين الجيش اللبناني والمقاومة الفلسطينية تطالب بـ « محاكمة جميع الأطراف المتعاونة مع العدو الاسرائيلي في جنوب لبنان وادانة الاعمال التي تقوم بها لاعاقة الجيش اللبناني وتعطيل مهمة قوة الطوارىء الدولية » (راجع نصها في **وفا** ، ١٩٧٩/١١/١٧)

اما ورقة العمل اللبنانية فتنطلق من تجاهل كل ما يتصل بدور اسرائيل والمتعاونين معهـا ، وتدعـو صراحة « لفصل مأساة جنوب لبنان عن أية قضية اخرى » . وهي مع مطالبتها ببسط سيادة الدولة على الجنوب تشدد على « ضرورة ازالة كل وجود مسلح لغير قوات الدولة اللبنانية في المناطق الداخلة في نطاق عمل القوات الدولية » ، مما يعني المطالبة بالغاء وجود المقاومة الفلسطينية فيها . ولان هذا يتعارض مع مقررات قمة القاهرة ومؤتمر بيت الدين فهي تنص على ان « للمقررات الدولية اولوية التنفيذ على ما سبقها من قرارات ونصوص » ، الأمر الذي يعني نسفها بالكلية في واقع الأمر لان مقررات القاهرة وبيت الدين هي المقصودة هنا وهي التي سبقت صدور قرار مجلس الامن الذي ينظم مهمة قوة الطوارىء الدولية في الجنوب . والورقة اللبنانية ، زيادة على هذا ، تدعو لتحديد أي وجود مسلـح للمقاومة الفلسطينية في الاماكن الاخرى وقصره « على المناطق المسموح بها » (راجع نصها في **النهار** ١٩٧٩/١١/١٧) .

وأمام اوراق العمل المتعددة هذه شكل مؤتمر وزراء الخارجية لجنة لتدارسها والخروج بمشروع منسق وقد ضمت اللجنة بالاضافة لرئيس الدائرة السياسية في م . ت . ف كلا من وزراء خارجية سوريا والعراق وليبيا والملكة العربية السعودية والكويت وتونس كما ضمت ممثلا عن جامعة الدول العربية ، وامكن لها بعد سلسلة من المناقشات والمشادات ان تضـع مشروع القـرارات التـي ستناقشها القمة (**وفا** ١٩٧٩/١١/١٧) . غير ان الوفد اللبناني اعترض على المشروع ، مما جعل مؤتمر وزراء الخارجية يرجيء البت بشأن مسألة الجنوب بالذات لاجتماع الملوك والرؤساء (**السفير** (بيروت) ، ١٩٧٩/١١/١٧)

في غضون ذلك قام الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية في م . ت . ف ، مستكملا الاتصالات التي شرع فيهـا من قبـل ، بزيـارة لبغـداد في ١٩٧٩/١١/١٨ حيث التقى مع رئيس الجمهورية العراقية صدام حسين للتباحث بشأن القمة ، كما قام بزيارة مماثلة لدمشق . وانتقل بعدها الى تونس لبرأس الوفد الفلسطيني ، الذي ضم اعضاء اللجنة التنفيذية الاخوة . فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية وعبد المحسن ابو ميزر المتحدث الرسمي باسم اللجنة التنفيذية ، وحامد ابو ستة رئيس دائرة الوطن المحتل وياسر عبد ربه رئيس دائرة الاعلام وطلال ناجي رئيس دائرة التربية والتعليم ، كما ضم ايضا عصام القاضي الامين العام لمنظمة الصاعقة وخالد الحسن ونمر صالح «ابوصالح»، عضوي اللجنة المركزية لحركة فتح .

وبينما كانت اعمال القمة مستمرة انعقدت على هامشها قمة مصغرة ، التقى فيها عرفات وكل من رؤساء سوريا ولبنان والعراق والملك حسين ملك الاردن والاميران : فهد ولي العهد السعودي وجابر الصباح امير دولة الكويت والوزير التونسي الاول الهادي نويرة ; وقمة اصغر ضمت مع عرفـات الرئيس السوري حافظ الاسد واللبناني اليـاس سركيس . ويبدو ان هاتين القمتين هما اللتـان اوصلتا الى صياغة مشتركة لقرارات القمة العاشرة بشأن المسألة اللبنانية

و في نهاية المطاف صار امام القمة بندان رئيسيان على جدول الاعمال الصراع العربي ـ الاسرائيلي والجنوب اللبناني ، وقد تناولتهما بهذا الترتيـب مظهرة اسبقية البند الاول واهميته بالرغم من اصرار الوفد اللبناني على ان تكون مسألة الجنوب هي الاولى .

ثم في ختام المداولات ، التي شهدتها جلسات

المؤتمر واللقاءات التي جرت اثناء انعقاده ، صدرت قرارات مؤتمر القمة العاشر (راجع نصها الكامل في وفا ١٩٧٩/١١/٢٣) .

وفيما يتصل بالبند الاول اظهرت القرارات « ان الملوك والرؤساء والأمراء العرب يجددون ادانتهم لاتفاقية كامب ديفيد ومعاهدة الصلح المصرية — الاسرائيلية ورفضهم القاطع لكل ما يترتب عليهما من آثار . ويؤكدون ان الحل لا يكون الا شاملا وعلى قاعدة تحرير جميع الاراضي الفلسطينية والعربية المحتلة واسترداد حقوق الشعب الفلسطيني كاملة ، لا سيما حقه في العودة الى وطنه وتقرير مصيره وانشاء دولته المستقلة فوق ترابه » .

اما حول البند الثاني فان القرارات تنطلق من الحرص على امرين معا « سلامة لبنان وسيادته ووحدة اراضيه واستمرار الصمود اللبناني الفلسطيني لمواجهة العدو الصهيوني » مستجيبة بهذا لوجهة النظر الفلسطينية التي ما فتئت تؤكد عليهما . وفيها يرد التأكيد على « ضرورة بسط السيادة اللبنانية على كل الجنوب اللبناني » مقرونا بالنص على ان المؤتمر يرفض « كل المحاولات ، بأي صورة وبأي شكل ، الرامية الى بسط الهيمنة الصهيونية [عليه] ويحمل العدو الصهيوني مسؤولية ما يعانيه سكان الجنوب » . وهذا يعني ان المؤتمر يرفض وجهة النظر التي تنسب مأساة الجنوب الى الوجود الفلسطيني فيه .

وبين القرارات واحد ينص على « دعم الحكومة اللبنانية في جميع المجالات الدولية وذلك لممارسة الضغوط على العدو الاسرائيلي من اجل وقف عدوانه ومن اجل تحقيق الانسحاب الاسرائيلي » من الجنوب ، وقرار ثان يؤكد مشروعية التواجد الفلسطيني المسلح فيه ،ويضمنه مناطق عمل القوة الدولية، ويدعو الى تنظيمه « بموجب الاتفاق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية » . وقد تحفظ الوفد اللبناني على هذا القرار بالذات . اما الوفد الفلسطيني فقد تحفظ من جانبه على قرار ينص على ان المؤتمر « اخذ علما بما اعلنته م . ت . ف من امتناعها عن القيام بعمليات عسكرية عبر الحدود اللبنانية » لان مضمونه يتعارض مع نص صريح في قرار اخر يؤكد « على حق المقاومة الفلسطينية في ممارسة نضالها من سائر الجبهات العربية » .

وعلى صعيد الدعم المالي تعهدت القمة العاشرة بتقديم معونة مالية لمنظمة التحرير وللبنان . وفي حين ترك حجم المعونة التي ستقدم للمنظمة من غير تحديد ، على ان تقرر على ضوء الاتصالات الثنائية معها فيما بعد ، فان لبنان سيتلقى مبلغ ملياري دولار على مدى السنوات الخمس القادمة بواقع ٤٠٠ مليون كل سنة على ان يخصص نصفها للجنوب .

اما النقطة ذات الحساسية الخاصة المتصلة بانتشار الجيش اللبناني في الجنوب فقد نص قرار المؤتمر بشأنها على انه يؤيد « جهود الحكومة اللبنانية لنشر الجيش اللبناني ، ويدعو جميع الاطراف لتسهيل مهمة دخول الجيش للقيام بمسؤولياته الوطنية » من غير ان يربط ذلك بمنطقة بعينها .

ومن اجل تنفيذ هذه القرارات ارتأت القمة ان تحيي لجنة المتابعة التي انبثقت عن مؤتمر بيت الدين ، فدعتها لاستئناف عملها بعد ان اضافت الى اعضائها ممثلا عن جامعة الدول العربية .

وعلى هذا انتهت اعمال القمة ، وقد ورد اول تقييم فلسطيني لنتائجها في الكلمة التي القاها عرفات في جلستها الختامية حين ركز على اهمية ومدلول انعقادها ونجاحها في الوصول الى قرارات موحدة « لان رهان القوى المعادية لامتنا العربية كان كبيرا على ان هذا المؤتمر لن يحقق ما تريده » ، اما النتائج الايجابية لعملها فهي ، كما وصفها ، «كانت في مستوى التحدي امام المخططات الاميركية الصهيونية » التي استهدفت تمزيق وحدة الموقف العربي المناهض لاتفاقات كامب ديفيد (راجع النص الكامل للكلمة في وفا ١٩٧٩/١١/٢٣)

وقيمت هذه النتائج تقييما تفصيليا في اجتماعين فلسطينيين عقدا لهذه الغاية اولهما اجتماع اللجنة المركزية لحركة فتح في ١٩٧٩/١١/٢٤ وثانيهما اجتماع اللجنة التنفيذية في ١٩٧٩/١١/٢٦ . وكان تقييم هذه النتائج بين الموضوعات التي انجزها اجتماع القيادة الفلسطينية اللبنانية المشتركة في ١٩٧٩/١٢/٣ . وفي معرض تقييمها ايضا تحدث نايف حواتمه الامين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين ، فوصف قرارات القمة بأنها جاءت « نتيجة ومحصلة للصراع بين نهجين ، نهج الثورة والصمود ونهج عرب اميركا ، وبالضرورة جاءت هذه القرارات حلا وسطا بين هذين النهجين » (الشرق (بيروت) ، ١٩٧٩/١١/٢٥)

لجنة المتابعة العربية ، التي تضم ممثلين عن سوريا والكويت والسعودية وعن الجامعة العربية ابتدات عملها فور انتهاء القمة ، وشرعت تجري اتصالات مع الاطراف المعنية ، ما تزال مستمرة. في غضون ذلك اشاعت تصريحات اطلقها بعض المسؤولين اللبنانيين جوا يظهر التحفظ اللبناني على القرار الذي اشرنا اليه انفا باكبر مما هو . وكان من بين هذه التصريحات بيان صدر عن رئاسة مجلس الوزراء . هذه التصريحات انتقدها مصدر اعلامي مسؤول في م . ت . ف . واصفا اياها بأنها « تجاوزت الحدود الحقيقية للتحفظات اللبنانية وتخطت في الوقت نفسه المضمون الذي ذهبت اليه المقررات العربية الصادرة عن قمة تونس » ، وربطها « بالضغوط الضخمة التي تمارسها الادارة الاميركية على لبنان » معتبرا ان الاستجابة لها « تشكل منحى جديدا وخطيرا من جانب السلطات اللبنانية يعقد الامور ولا يسهلها ويدفع الى ارباكها وعدم تهدئتها » (نصه الكامل في وفا ١٩٧٩/١٢/١) .

ومهما يكن من امر فان امام لجنة المتابعة العربية مهمة لا يبدو انها سهلة ، واذا كانت قرارات القمة العاشرة قد وفرت الاساس لتنظيم العلاقات الفلسطينية مع الدولة اللبنانية وحظيت بالموافقة الفلسطينية عليه ، فان ركام المشاكل التي ينبغي حلها ليس مرهونا بالموقف الفلسطيني وحده .

الحملة الليبية على الثورة الفلسطينية

في التاسع من كانون الاول ١٩٧٩ اعلن فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ان السلطات الليبية ابعدت سليمان الشرفا (ابو طارق) مدير مكتب المنظمة في طرابلس ، واتضح انها حظرت على الفلسطينيين الموجودين فيها التوجه الى المطار لتوديعه . وكان هذا الاعلان اشارة تظهر المدى الذي وصلت اليه الازمة بين سلطات الجماهيرية العربية الليبية وم . ت . ف والتي كانت عواملها تتفاعل قبل ذلك بوقت طويل بينما يحرص الجانب الفلسطيني على تكتمها بأمل ان تتم تسويتها او ان تظل في الحدود التي لا تؤدي الى تفجير العلاقات مع ليبيا الشقيقة .

وقبل هذا الاعلان بيوم واحد اذاعت اللجنة التنفيذية اثر اجتماعها في بيروت ، بيانا مفصلا يتجلى فيه بوضوح تقديرها لأهمية العلاقات الفلسطينية ـ الليبية ، ويدعو الجانب الليبي الى وقف حملاته الاعلامية الموجهة ضد الثورة الفلسطينية « تجنبا لأية مضاعفات سلبية ينتج عنها تبديد القوة العربية » (راجع نصه الكامل في وفا ١٩٧٩/١٢/٩) . هذا البيان يكشف النقاب عن اجراءات ليبية اتخذت « تجاه مكاتب منظمة التحرير ومكاتب التنظيمات الشعبية الفلسطينية في القطر الليبي الشقيق » وتجسدت « بتحريك بعض العناصر للقيام بما يسمى بالزحف الشعبي لتشكيل لجان ثورية لتحتل هذه المكاتب » . وهو يشير الى « الحملة الاعلامية التي تقوم بها الاجهزة الاعلامية هناك منذ فترة وتصاعد هذه الحملة بعد مؤتمر القمة العربي العاشر الذي عقد في تونس » ، مما يوضح ابعاد الازمة التي فجرتها الاجراءات المشار اليها والحملات الاعلامية التي سبقتها او تبعتها .

من ناحية اخرى يظهر بيان اللجنة رغبة المنظمة في معالجة هذه الازمة ، وذلك « من موقع ادراكها لمسؤوليتها الوطنية والقومية ومن خلال تحملها لواجبها القيادي ووعيها للمخططات المعادية التي تدبر ضد منظمة التحرير ، وخصوصا الحكم الذاتي وفهمها لطبيعة المرحلة التي تمر بها القضية العربية عموما » . ثم يحدد الاسس التي تنطلق منها هذه المعالجة ، مسجلا بالتقدير والاعتزاز « الموقف الواعي الذي وقفته جماهير شعبنا في القطر الليبي الشقيق والذي تمثل في تمسكها بمنظمة التحرير ومؤسساتها واطرها التمثيلية ورفضها لاية محاولة تستهدف فرض صيغ او تجارب على الثورة الفلسطينية غير تلك التي ارتضاها شعبنا الفلسطيني » وهو يؤكد في الوقت نفسه ، على « اهمية العلاقة التي تقوم بينها وبين القطر الليبي الشقيق ، والتي عبرت عنها القيادة الفلسطينية عمليا في سلسلة المواقف الايجابية على مدى السنوات الماضية » . ولا يغفل البيان ان يسجل تقدير المنظمة لـ « العطاء الذي قدمه الشعب العربي الليبي وثورته وترابطها مع الثورة الفلسطينية ونضالها » . واذا كان صدور هذا البيان تعبيرا عن وحدة الموقف الفلسطيني ازاء هذه الازمة فانه هو ذاته يسجل بالتقدير هذه الوحدة ، حيث اعلنت جميع التنظيمات الفلسطينية تمسكها بـ م . ت . ف وبوحدة التمثيل الفلسطيني ، متنبهة الى الاخطار التي تنجم عن المواقف والاجراءات الليبية الموجهة ضدها .

ومن الواضح ان بيان اللجنة التنفيذية المنطلق من الحرص على تجاوز هذه الازمة قد تجنب الخوض في المزيد من التفاصيل حول الوقائع التي فجرتها ، وانه اكتفى فيما يتصل بها بالتذكير بما هو جوهري ومبدئي ، وهو حرص المنظمة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية لأية دولة عربية ليعلن في مقابل ذلك رفضها « الحازم لاي تدخل في الشؤون الداخلية لها ، مهما كان مصدر هذا التدخل » .

اما المصادر الصحفية فقد القت مزيدا من الاضواء على هذه التفاصيل ، فاتضح ان السلطات الليبية ترعى عددا قليلا من المنشقين الفلسطينيين المرتبطين باجهزتها وباجهزة دول عربية اخرى ، وانها مع تصاعد حملتها الاعلامية ضد الثورة الفلسطينية استخدمت هؤلاء لتنظيم ما وصف باللجان الثورية التي « زحفت » على المكاتب الفلسطينية بقصد احتلالها . وهي تستخدم هؤلاء وتتخذهم ستارة للتصعيد المتكرر الذي تجاوز كل مألوف .

وبالرغم من حرارة الدعوة التي وجهها بيان اللجنة التنفيذية الى ليبيا كي توقف حملتها فانها عمدت الى تصعيدها من جديد الى حد ان العقيد معمر القذافي استدعى مراسلين غربيين وادلى امامهم بتصريحات نشرتها الصحف الاميركية والبريطانية والفرنسية وغيرها ، اوصل فيها الحملة ضد الثورة الفلسطينية الى الذروة . وهو لم يكتف في هذه التصريحات بمهاجمة السياسة الراهنة لـ م . ت . ف . بل انبرى ايضا لتبرير هجمات اعداء الثورة الفلسطينية عليها عبر تاريخها كله بما فيها هجمات المتعاونين منهم مع اسرائيل ، واذا كانت مثل هذه التصريحات ليست من النوع الذي يستطيع التأثير على سمعة الثورة الفلسطينية ، على الاقل لتناقضها مع غيرها من اقوال ومواقف العقيد القذافي نفسه في اوقات سابقة ، فان اهميتها انها اشارت صراحة الى الجهة التي ترعى هجمات الاعلام الليبي على الثورة . ومهاجمة العقيد القذافي للثورة الفلسطينية بنفسه على النحو الذي تضمنته تصريحاته (راجع نصها في النهار ، ١٩٧٩/١٢/١٢) تعطي التأكيد على ان الحملة التي تشن من قبل ما يسمى باللجان الثورية انما تدار من اعلى السلطات في ليبيا .

في غضون ذلك قام وفد ضم اربعة من القادة الفلسطينيين بزيارة عاجلة لطرابلس والتقى برئيس الوزراء الليبي الرائد عبد السلام جلود واتفق معه على مشروع تسوية نشرت الصحف بنودها (راجع ، مثلا ، السفير ١٩٧٩/١٢/١٠) ، وفي مقدمتها وقف الحملات الاعلامية تمهيدا لبحث هادىء ، وبينما كان الوفد يستعد لعرض هذا المشروع على القيادة الفلسطينية جاءت تصريحات العقيد القذافي فحالت دون استكمال البحث .

وفي ظل هذا التصعيد الليبي عقدت اللجنة المركزية لحركة فتح اجتماعا صدر عنه هو الآخر بيان يحدد موقفها من الازمة ، وينحو منحى بيان اللجنة التنفيذية في استنكار الاجراءات الليبية وفي التشبث « بالوفاء لمبادئنا الثابتة برفض الوصاية والاحتواء والتبعية » وفي الاستعداد للدفاع عن « استقلالية القرار الفلسطيني » . اما الجديد فيه فهو الدعوة لعقد اي اجتماع عربي عام او لدول الصمود والتصدي « لبحث محاولات النظام الليبي تفكيك وحدة الموقف العربي بما فيها جبهة الصمود والتصدي والاساءة الى شرعية تمثيل م . ت . ف » (نصه الكامل في فلسطين الثورة ١٩٧٩/١٢/١٢) .

ثم عقد المجلس المركزي الفلسطيني اجتماعا في ١٩٧٩/١٢/١٣ استغرقت اعماله يومين فجاءت قراراته التي اتخذت بالاجماع مؤيدة لبيان اللجنة التنفيذية الذي اشرنا اليه انفا ومستنكرة لتصريحات العقيد القذافي الجديدة ومجددة الدعوة لوقف الحملات الليبية على المنظمة . وفيها يعلن المجلس حرصه « على بذل الجهد من أجل اقامة علاقات اخوية صحيحة بين م . ت . ف والقطر الليبي الشقيق ومباركته لكل المساعي الخيرة التي تستهدف ذلك على اي صعيد ومستوى » ، الامر الذي يشتمل ضمنا على تبني دعوة اللجنة المركزية لفتح لعقد اي اجتماع عربي لمعالجة الازمة .

على صعيد آخر نشطت وساطات عربية ، وخاصة من بعض اطراف جبهة الصمود والتصدي كالجزائر واليمن (السفير ، ١٩٧٩/١٢/١٥) اللتين بادرتا من قبلهما للتوسط ، بينما توالت بيانات التنظيمات الشعبية الفلسطينية في التعبير عن تمسك جماهير الشعب الفلسطيني بمنظمة التحرير وبحقها في ان تظل الممثلة الشرعية الوحيدة له وعن رفض اي تدخل في شؤونها الداخلية او فرض صيغ لتمثيل الفلسطينيين تخرج عن اطارها

الأمم المتحدة :
تأييد المطالب الفلسطينية
وإدانة اتفاقات كامب ديفيد

قضية فلسطين ادرجت هذا العام ايضا على جدول اعمال الدورة الرابعة والثلاثين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، كما ظل شأنها منذ الدورة التاسعة والعشرين في العام ١٩٧٤ . وقد جرت مناقشتها على مدى اربعة ايام ، حيث ابتدأت في السادسة والعشرين وانتهت في التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٧٩ .

في بداية المناقشة قدم السفير ميدون فال رئيس « اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف» وهو من السنغال ، تقرير اللجنة ، عارضا مراحل عملها والخطوات التي اتخذتها الجمعية العامة منذ شرعت تناقش قضية فلسطين كبند مستقل على جدول اعمالها ، ومشيراً الى العقبات التي اعترضتها .

وهو يستهل تقريره باظهار اسفه لأن شيئا ما لم يحدث بعد في مجال تطبيق القرار ٣٢٣٦ ، منذ اتخذته الجمعية العامة في الدورة ٢٩ « الذي يحدد بوضوح الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني » بينما كان الاعتقاد السائد ان هذه القضية « قد وجدت اخيراً الحل الذي يضع حداً للمصاعب التي تميز قضية فلسطين » . ويتبع ذلك بقوله « اننا لا نستطيع ان نقول ان منظمتنا قد كرست لهذه القضية كل الاهتمام المطلوب ، ولم تبذل كل مرة الجهود الضرورية لكي تجد لها حلا عادلا ودائما». وبالرغم من هذا فهو لايبدو متشائما، بل انه يلاحظ انه « خلال السنوات الماضية كانت هناك اتجاهات بناءة هدفها الاول تعزيز حل نهائي لهذه المسألة » ويعدد من مؤشرات ذلك صدور القرار ٣٢٣٦ واعتراف الجمعية العامة بمنظمة التحرير الفلسطينية وبحقها « في ان تسهم على قدم المساواة في جميع الجهود و في جميع المداولات والمؤتمرات التي تعقد تحت رعاية الامم المتحدة من اجل ايجاد حل لشكلة الشرق الاوسط ، التي تعتبر المسألة الفلسطينية جوهرها » (الدورة ٣٤ ، محضر حرفي مؤقت للجلسة السابعة والسبعين A/34/PV.77 الجمعية العامة ، الأمم المتحدة ، ص ٢ و٣)

ثم يذكر بعد ذلك بأن توصيات لجنته ، التي صادقت عليها الجمعية العامة في العام ١٩٧٦ ، لقيت تأييد حركة البلدان غير المنحازة ومنظمة الوحدة الافريقية والمؤتمر الاسلامي ، بالاضافة الى « ان المجلس الوطني الفلسطيني ، الهيئة الوحيدة الممثلة لجموع الشعب الفلسطيني قد قدمت تدعيمها لتوصيات اللجنة » . وهو اذ يستعيد هذه الحقائق فلأن « هؤلاء الذين عارضوا دائما حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني يودون ان يغضوا الطرف عن وجود هذا الاتفاق العالمي في الاراء ، ويتجاهلوا توصيات الجمعية العامة حول حل مشكلة فلسطين ،[في حين] ان هذه التوصيات لها اهميتها وقيمتها ، ولا سيما اذا ما نظرنا الى الوضع الدولي الراهن » . اما العقبة الكؤود ، كما يسميها ، والتي « تمنع استمرار تطبيق هذه التوصيات فهي السياسة التعويقية التي يتبعها عضو دائم في مجلس الأمن » ، ويقصد بهذا الولايات المتحدة الاميركية ، لانه « يعارض المصادقة على هذه التوصيات من قبل مجلس الأمن (المصدر نفسه ، ص ٣).

يلي هذا في التقرير استعراض واف للدور الذي مارسته الولايات المتحدة خلال السنوات التالية ، وهي تستخدم نفوذها وحقها في النقض لتحول بين مجلس الأمن وبين اتخاذه قراراً ينسجم مع موقف الجمعية العامة ومع توصيات اللجنة .

وبعد هذا الاستعراض يكرر السفير فال التعبير عن الاسف « لأن عضوا دائما من مجلس الأمن وجد من الضروري ، عن طريق بعض الاعلانات العامة ، ان يحاول تخويف المجلس وان يمنعه من الاضطلاع بولايته ، التي اولته اياها الجمعية العامة ، حتى نهايتها » . ثم يحث الجمعية العامة على التحرك لتنفيذ قراراتها مذكراً اياها بأن لديها الصلاحيات التي تخولها « استخدام قوات ، في النزاعات المسلحة ، تعمل تحت علم الأمم المتحدة » وانها بهذا « تستطيع ان تعوض نواحي القصور في مجلس الأمن باتخاذ قرار في الوقت الحالي يفرض تسوية سلمية وعادلة في نزاع اسهمت في ايجاده الى حد كبير » (المصدر نفسه ص ٦ و ٧) .

جانب اخر من عمل اللجنة يعرضه التقرير ، وهو الجانب الذي يتصل بمتابعتها لسياسة اسرائيل في المناطق المحتلة ولاعتداءاتها المتلاحقة على الجنوب اللبناني ، وفيه يتحدث رئيس اللجنة الدولية عن التحقيقات التي قامت بها لجنته ، وفي بعض الحالات بمشاركته شخصياً قبل ان تصوغ قناعتها

بادانة هذه السياسة .

ثم يعرض الوجه الآخر للمسألة حيث يتضح انه « اذا كانت احتمالات سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط لا تبدو لنا في المستقبل القريب فان الحقوق غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني قد احرزت تقدما ايجابيا » ، اذ انه بالاضافة الى الجهات التي عددها آنفا والتي تؤيد هذه الحقوق « فان قضية فلسطين تجد تفهما متزايداً باستمرار » ، مشيراً بهذا الى مواقف الرأي العام في اوروبا واميركا الشمالية « بينما في الماضي القريب كان سكان هذه المناطق ، الذين يتأثرون بالدعايات المدبرة ، يعادون تلك القضية » (المصدر نفسه، ص ١١) . ويبدي بعد هذا ثقته « بأن الزيارات التي قام بها السيد ياسر عرفات ، رئيس م . ت . ف . لفيينا ومدريد ولشبونة قد ساعدت على تفهم شعوب اوروبا» لها . وهو يعد من بين « العناصر الايجابية ايضا موقف الشعب الاسرائيلي نفسه » حيث يظهر استفتاء الرأي العام الذي اجراه معهد بوري « ان ٦٣ بالمائة من الاسرائيليين الذين تم سؤالهم قد اجابوا بأن اي سلام شامل ليس ممكنا مع العرب دون حل للمشكلة الفلسطينية [في حين] ان ٥,١ بالمائة فقط » يرون عكس ذلك (المصدر نفسه ، ص ١١ و ١٢)

واخيراً ، يستنتج التقرير من هذا كله « ان شرعية الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني تحظى باتفاق عام للآراء بين المجتمع الدولي » ملاحظا بأسف ان « مع ذلك فان بعض الدول ، مع اعترافها بهذه الحقوق ، تتمسك باحاطتها بشروط مسبقة غير مقبولة » ويشيد التقرير وهو يصوغ هذا الاستنتاج بالشعب الفلسطيني الذي هو « رغم المحن والتشتت ... شعب ناضج ... [و] ليس من حق احد ولا من حق اسرائيل نفسها ان تفرض عليه شروطا بعينها »(المصدر نفسه ، ص ١٢) .

هذا التقرير الذي استقبل بحرارة من رئيس الجمعية العامة وغالبية اعضائها ، تلاه تقرير آخر من اللجنة قدمه مقررها فيكتور غوس (من مالطة)، فقدم فيه مزيداً من التفاصيل عن عمل اللجنة وانشطتها المتعددة وعن مراحل تطور القضية الفلسطينية ، وهي كلها تنطلق من الاسس ذاتها التي استند اليها تقرير رئيس اللجنة .

اما المتحدثون من الاعضاء فقد كان اولهم الأخ فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في م . ت . ف . الذي يرئس الوفد الفلسطيني المكون من الاخوة د . احمد صدقي الدجاني عضو اللجنة التنفيذية وشفيق الحوت وباسل عقل بالاضافة لرئيس وعضوي البعثة الفلسطينية الدائمة . زهدي الطرزي وحسن عبد الرحمن وشوقي أرملي . وقد القى القدومي كلمة م . ت . ف . في المناقشة ، مضمنا اياها شرحا وافيا لآخر تطورات الوضع بالنسبة للقضية الفلسطينية ولسياسة المنظمة ازاءها، وهي تلفت النظر بصفة خاصة الى التصعيد الذي حدث منذ جرى ابرام اتفاقات كامب ديفيد ، وتحذر من نتائجه ، وتدين موقف الولايات المتحدة الاميركية التي رعت هذه الاتفاقات وكان لها « حصة الاسد في مسؤولية ابرامها » .كما انها تظهر بالتفصيل اخطار هذه الاتفاقات سواء فيما يتصل بزيادة التوتر في الشرق الاوسط برمته او بما تنطوي عليه من اضرار بحقوق الشعب الفلسطيني ، ذلك انها « فرضت ... وصاية على شعبنا الفلسطيني حين قررت صيغة الادارة الذاتية التي تتنكر للحقوق الوطنية والمدنية لشعبنا وتتنكر لـ م. ت. ف. ممثل هذا الشعب وقيادته ، وعمدت ... الى تجاهل قضية القدس ... وبلغ الأمر في هذه الاتفاقيات درجة تقطيع اوصال شعبنا بتقسيمه الى ثلاثة اقسام ومحاولة التعامل مع قسم واحد منه »...وشجعت ... الحكومة الأسرائيلية على طرح تفسير جديد لقرار مجلس الأمن لنسف المبادىء التي تقوم عليها هذه المؤسسة الدولية ، ومكنت الحركة الصهيونية من الاندفاع في اقامة المستوطنات على ارضنا المحتلة رغما عن كل المعارضة الدولية ... » (المصدر نفسه ، ص ، ٢٧ ، ٢٨) .

ويمكن القول بايجاز ان كلمة م. ت. ف. في سياق هذه المناقشة قد عرضت بتفصيل واف المضار كافة التي نجمت عن سياسة التحالف الثلاثي الذي يضم اسرائيل والنظام المصري مع الولايات المتحدة ، لتظهر بعد ذلك اهمية الكفاح التحرري الذي تخوضه المنظمة لان « التحرير هو روح العصر ، وان السلام العادل هو هدفه ، ونحن في م . ت . ف . نفخر بتمثلنا روح العصر وبتعبير ثورتنا عنها » . وفيها يرد التأكيد على « أن كفاحنا المسلح ضد الاحتلال سيستمر ، ما دام الاحتلال يجثم على ارض وطننا ويتسلط على شعبنا » (المصدر نفسه ص ٣٢ ــ ٣٥) .

وبعد كلمة القدومي توالى على مدى عدة جلسات

المتحدثون الذين اظهرت غالبيتهم الكاسحة تعاطفها مع كافح الشعب الفلسطيني وتأييدها لممارسة حقوقه العظيمة . اما مندوب اسرائيل فقد القى كلمة في المناقشة لم تأت بجديد زيادة عما هو معروف من مواقفها ، وقد تولى عدد من المندوبين الرد عليه ، كما ان باسل عقل عضو الوفد الفلسطيني فند اقواله وكان لرده صدى طيب لدى الغالبية من الاعضاء

هذه المناقشة تمخضت عن قرارين، تؤكد الجمعية العامة في اولهما قرارات دوراتها السابقة في الاعوام ١٩٧٤ و ١٩٧٥ و ١٩٧٦ و ١٩٧٧ و١٩٧٨ بشأن قضية فلسطين ، وتشير لتقرير اللجنة المعنية بممارسة الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف ، المقدم اليها هذا العام ، وتؤيد توصياته ، ولبيان م . ت . ف . ممثلة الشعب الفلسطيني ، ثم «تعرب عن قلقها البالغ لعدم تحقيق حل عادل لمشكلة فلسطين ، ولكون هذه المشكلة مازالت بالتالي تؤدي الى تفاقم نزاع الشرق الأوسط ، الذي تمثل لبه ، والى تعريض السلم والأمن الدوليين للخطر » كما ورد في الفقرة الاولى من القرار . و « تؤكد من جديد انه لا يمكن اقامة سلم عادل ودائم في الشرق الاوسط دون ان يتحقق ، في جملة امور ، حل عادل لمشكلة فلسطين على اساس نيل الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف ، بما فيها الحق في العودة والحق في الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية في فلسطين وفقا لميثاق الأمم المتحدة » كما نصت الفقرة الثانية من القرار ذاته، ثم تدين الاتفاقات الجزئية والمعاهدات المنفصلة التي تنتهك حقوق الشعب الفلسطيني لتعلن « ان اتفاقات كامب ديفيد وغيرها من الاتفاقات باطلة من حيث ادعاؤها البت في مستقبل الشعب الفلسطيني والاراضي الفلسطينية التي تحتلها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ » . (نصه في محفوظات الدائرة السياسية لـ م . ت ف .) . وقد حظي هذا القرار بموافقة ١٠٢ من الاعضاء ،

اما القرار الثاني الذي استغرقت مناقشته وقتا اطول، وكانت وجهات النظر بشأنه اشد تباينا بالاضافة لما اتسم به الحوار حوله من صدق ، فانه يظهر في فقرته الاولى قلق الجمعية العامة، اذ تلاحظ « ان اتفاقات كامب ديفيد قد عقدت خارج اطار الأمم المتحدة وبدون اشتراك م . ت ف . ممثلة الشعب الفلسطيني » . كما يعلن في فقرته الثانية انها « ترفض هذه الاتفاقات ، التي تتجاهل او تخالف او تنتهك او تنكر حقوق الشعب الفلسطيني غير القابلة للتصرف ، بما في ذلك حق العودة وحق تقرير المصير والحق في الاستقلال الوطني والسيادة الوطنية في فلسطين وفقا لميثاق الأمم المتحدة ، والتي تتوخى استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي الفلسطينية التي لا تزال اسرائيل تحتلها منذ العام ١٩٦٧ ، وتتغاضى عنه » (نصه في المصدر نفسه) وقد نال هذا القرار موافقة ٧٥ دولة من الدول الاعضاء بينما امتنعت عن التصويت ٣٧ من بينها فرنسا ، في مقابل معارضة ٣٣ دولة بينها الدول الاوربية الغربية الاخرى ، والولايات المتحدة بطبيعة الحال .

وبالرغم من ان عدد مؤيدي القرار الثاني اقل من عدد مؤيدي القرار الاول فانه يكتسب اهميته الخاصة من كونه أول قرار من نوعه يصدر عن الأمم المتحدة التي تدين جمعيتها العامة به اتفاقات ابرمها فرقاؤها فيما بينهم معلنين انهم يتوخون بها احلال السلام في منطقة من اشد مناطق العالم توترا ، وهذا ما لخصته كلمة م . ت . ف . حين قال القدومي : « ربما مازال البعض .. يستغرب كيف يمكن لاتفاقات سماها اطرافها اتفاقات سلام ان تؤدي الى تصعيد التوتر وتعصي كل هذه الشرور » .. ثم ان عدد الموافقين على القرار الذين يدينون صراحة هذه الاتفاقات اذا أضيف اليه عدد الممتنعين عن التصويت ، بما يعنيه امتناعهم من انهم لايثقون بأنها تقود الى السلام ، يشكل الاغلبية الكاسحة بين دول العالم . ويكفي هذا ، وحده ، ليدلل امام اوسع اوساط الرأي العام الدولي والعالمي على مدى سداد السياسة التي تنتهجها م . ت . ف. والدول العربية الاخرى وكذلك بقية الدول المناصرة لمطالب الشعب الفلسطيني ، التي تتمسك جميعها بالمطالبة بتمكينه من ممارسة حقوقه الوطنية الثابتة .

والاهم من ذلك ان القرار الذي يستنكر اتفاقات كامب ديفيد على هذا النحو هو خطوة متقدمة بالقياس للقرار الذي صدر عن الجمعية العامة في كانون الاول من العام الماضي اي بعد التوقيع عليها ، لان الجهود التي بذلت وقتها لم تفلح في حمل الجمعية العامة على ادانتها بالاسم ، وكل ما امكن الحصول عليه في ذلك العام كان نصا يثبت قاعدة عامة ، فلا يدين اية اتفاقات بعينها وانما يذكر « بأن صحة اية اتفاقات ترمي الى حل مشكلة فلسطين تستدعي ان تتم الاتفاقات داخل اطار الأمم المتحدة وميثاقها وقراراتها على اساس نيل شعب فلسطين ، وممارسته على وجه تام ، لحقوقه غير القابلة

للتصرف . وباشتراك م .ت .ف « فيها . وهذه الخطوة المتقدمة كما ذكرنا ، تعني توفر قناعة ارسخ لدى عدد اكبر من الدول بأن سياسة كامب ديفيد لا تلقى النجاح ، ولا تصنع السلام المنشود . وفي هذا تأكيد آخر ، مستقرأ هذه المرة من التجربة العملية كما هي في التطبيق ، على صواب السياسة التي انتجتها الاطراف التي عارضت اتفاقات كامب ديفيد منذ البداية ، واولها منظمة التحرير الفلسطينية ، وتصدت بحزم للمزاعم التي بنت امال السلام على اوهام مؤيدي الاتفاقات .

يوم التضامن مع الشعب الفلسطيني .

مظهر آخر من مظاهر التأييد للشعب الفلسطيني تجلى في احتفال الأمم المتحدة بيوم التضامن معه . وقد سبقه في ٢٦/ ١١/ ١٩٧٩ ، في مبنى المنظمة الدولية افتتاح معرض فني عن اطفال فلسطين حيث تحدث في حفل الافتتاح كل من السفير فال وممثل المجموعة العربية ، كما تحدث رئيس الدائرة السياسية فاروق القدومي . ثم خصص يوم التاسع والعشرين من تشرين الثاني للتعبير عن التضامن الدولي مع مطالب الشعب الفلسطيني في الجمعية العامة . وفيه تحدث د.كورت فالدهايم الامين العام للأمم المتحدة ، كما تحدث عشرون مندوبا يمثلون مجموعات دولية وخمسة وثلاثون آخرون يمثلون دولهم .

وفي الاجتماع المكرس لهذه الغاية قرأ عضو اللجنة التنفيذية د الدجاني رسالة من ياسر عرفات ، يقول فيها « ان كفاحنا العادل هو كفاح من اجل السلام القائم على العدل في الشرق الأوسط » . وفي الرسالة يحذر القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية من « ان ما يحدث في الشرق الاوسط لن يصيب منطقتنا هذه بمفردها وانما سيصيب العالم اجمع » ويؤكد « ان نظرية اسرائيل والولايات المتحدة القائمة على تأمين السلام والاستقرار في الشرق الاوسط عن طريق ابادة الشعب الفلسطيني نظرية لا انسانية فاشلة . وقد استمع مندوبو دول العالم لكلمات عرفات عن كفاح الشعب الفلسطيني « الذي يخوض مقاومة وطنية شاملة منذ ١٥ عاما ، ينطلق فيها من الاعتماد على سلاحه وعدم التسليم بالأمر الواقع العدواني مهما بلغت قوة هذا العدوان على البطش والابادة » . كما استمعوا ايضا لادانته للولايات المتحدة التي « تتحمل وحدها مسؤولية الانفجار الهائل الذي تطل نذره في الشرق الاوسط » ، والى تحديه لها لانها « رغم احلامها القديمة والحديثة ورغم اساطيلها الضخمة ، وخاصة تلك التي تستعرضها الان حول منطقتنا ، ورغم تسليحها لاسرائيل باحدث انواع الاسلحة . لن تستطيع فرض قدرتها وسيطرتها وهيمنتها » (نص الرسالة في محفوظات مركز الابحاث ، بيروت) . وفي اليوم ذاته وصلت الى مبنى الأمم المتحدة مظاهرة تأييد تضم عدداً من ابناء الجالية العربية ومؤيديهم استقبلها عدد من اعضاء الوفد الفلسطيني وخطب فيها رئيس مكتب المنظمة في بيروت عضو الوفد شفيق الحوت .

وقد واجهت هذه الدورة الرابعة والثلاثون مسألة قرار الحكومة الاسرائيلية ابعاد رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة ، فكانت مناسبة لاظهار مزيد من التأييد الدولي للكفاح الوطني للشعب الفلسطيني والشجب لسياسة اسرائيل التوسعية واجراءاتها في المناطق المحتلة . وهذا ما عبر عنه تصويت ١٣٢ دولة الى جانب القرار الذي يشجب ابعاد الشكعة بينما لم تصوت ضده سوى اسرائيل ودولة صغيرة .

فيصل حوراني

المناطق المحتلة

تصد دائم لسلطات الاحتلال ، تعززه وحدة وطنية راسخة

بعد مرور شهر كامل على اثارة قضية تصريحات بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ، المؤيدة لاعمال المقاومة ضد الاحتلال ، تراجعت السلطات الاسرائيلية عن قرارها طرد الشكعة ، واعترفت بهزيمتها أمام صمود الشعب الفلسطيني ، وقياداته الوطنية داخل الاراضي المحتلة .

وقد شهدت المناطق المحتلة ، خلال الفترة التي استمرت فيها أزمة طرد الشكعة ، نضالا يوميا مستمرا ، تمثل في الاضرابات الدائمة ، والاعتصام ، وتنظيم حملات التضامن والتأييد ، بالاضافة الى أعمال المقاومة المسلحة ضد المستوطنين الصهاينة ، وجنود الاحتلال

وكشفت قضية الشكعة مدى فشل سلطات الاحتلال في محاولة شق الوحدة الوطنية داخل الاراضي المحتلة ، وظهرت بوضوح قوة الموقف الفلسطيني المؤيد لمنظمة التحرير كممثل وحيد للشعب الفلسطيني . كما انعكست القضية ، أيضا ، بشكل سلبي على المؤسسة الاسرائيلية الحاكمة ، وعلى أجهزة الامن في المناطق المحتلة .

وواصلت السلطات الاسرائيلية ، محاكمة رئيسي بلديتي رام الله ، والبيرة ، السيدين كريم خلف وابراهيم الطويل ، بحجة التظاهر ضد مصادرة الأراضي العربية لاقامة مستوطنة بيت ـ ايل عليها ، وذلك تمهيداً لاقصائهم عن مناصبهم .

وعلى أرضية تهيئة الاجواء للحكم الاداري الذاتي ، طرحت الأوساط الاسرائيلية مسألة شرعية المستوطنات في الاراضي العربية ، بينما تواصل في الوقت نفسه وضع الخطط والبرامج المختلفة لتوسيع المستوطنات القائمة ، وبناء أخرى جديدة في الضفة الغربية ، والجولان ، وغور الأردن ، وغزة .

الورطة ... والتراجع : بدا واضحا ، بعد فترة من اتخاذ قرار طرد الشكعة ، ومن ثم اعتقاله ، ان السلطات الاسرائيلية وجدت نفسها في ورطة لا تحسد عليها . فهي من جهة لم تتمكن من تنفيذ قرارها بطرد الشكعة ، وبالتالي توجيه ضربة الى العمل الوطني في الأرض المحتلة . ومن جهة أخرى ، لم تتمكن من الحصول على أي مكسب ، من خلال المناورات التي حاولت القيام بها أثناء فترة تراجعها عن القرار ، وقبل الاعلان عنه رسميا .

فمنذ اليوم الاول لقرار اعتقال الشكعة ، تمهيداً لطرده ، لم تتوفر لدى سلطات الحكم العسكري المبررات والقرائن الكافية قانونيا ، لاقناع محكمة العدل العليا بالمصادقة على قرار الطرد . فواقعة الحديث الذي جرى مع اللواء مات منسق الأعمال في المناطق المحتلة لا تكفي وحدها للادانة « فخلال سنوات الحكم العسكري في المناطق ، منع ضباط الجيش الاسرائيلي بصورة واضحة من اجراء أي حديث ذي طابع سياسي ... وعندما كان العرب يحاولون دائما الاعراب عن احتجاجهم السياسي ، واسماع تصريحاتهم ، كان ضباط الحكم العسكري يكتفون بالقول ، ان هذه المواضيع ذات طابع

سياسي . وفي أحاديث اللواء مات مع الشكعة ، سارت الأمور بصورة معكوسة ، وكان اللواء مات يطرح الاسئلة على الشكعة بشأن مواقفه » (داني روبنشتاين ، دافار ، ١٩٧٩/١١/١٣) .

وقد جرت العادة أن تعقد لقاءات بين رؤساء البلديات ، والحكام العسكريين في المناطق ، حيث يعرض رئيس البلدية مطالب السكان الحياتية اليومية » ويقوم الحاكم العسكري بهز رأسه واعداً بدرس الأمر . وبشكل عام فان هذه اللعبة مستمرة منذ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ » (يهودا ليطاني ، هآرتس ، ١٩٧٩/١١/١١) .

وتضيف الأوساط الاسرائيلية ، ان رؤساء بلديات ، أقل تطرفا من بسام الشكعة ، كانوا يعربون عن تأييدهم لأعمال المقاومة ضد الاحتلال . ولكن ما هو الأمر الجديد الذي طرأ وغير قواعد هذه اللعبة ؟

لقد سربت أخبار اللقاء ، وماذا جرى فيه من حديث » وانساق عيزر وايزمن وزير الدفاع في اتخاذ خطوات قاسية ضد الشكعة ... ويحتمل أن تكون ورطة وايزمن في الموضوع من خلال نوايا أخرى ، اذا لم يكن الامر مخططا مسبقا كمؤامرة ضد وزير الدفاع » (داني روبنشتاين ، دافار ، ١٩٧٩/١١/١٣) .

وبالفعل ، فقد وضع قرار طرد بسام الشكعة وايزمن وجها لوجه ، أمام الانتقادات الموجهة لهذا القرار . واعترف وزير الدفاع » أن القرار الذي اتخذ كان زلة منه ، ولكنه رغم ذلك مقتنع بوجوب تحديد موقف من الموضوع » (ر أ أ ، العدد ١٩٢٣ ، ٢٢,٢٤/١١/١٩٧٩ ، ص ٩) . واستطرد وزير الدفاع قائلا ، أمام بعض المقربين ، » لقد بقيت وحيداً في المعركة من اجل اقامة علاقات مع مصر ، وكوزير للدفاع علي تأمين الهدوء في المناطق المحتلة . وقد دخل بسام الشكعة الى الملعب الذي العب فيه دون ارادتي ... وعندما خرج الذئب من قفصه ، لم يكن هناك مناص من القبض عليه ، وهذا ما فعلته .. وان الحوار مع عرب المناطق المحتلة سيستمر ، وليس أمام الطرفين أي خيار آخر » (المصدر نفسه)

وعندما أدركت أوساط جهاز الأمن الاسرائيلي مدى الورطة التي انساقت اليها ، بدأت تبحث عن مخرج بأقل ما يمكن من خسارة . فمؤيدو الشكعة يطالبون بالغاء كل خطوات الطرد ، واعادته الى منصبه ، واعتبر هذا الأمر بالنسبة لحكومة اسرائيل » طلبا لاخضاعها بدون شروط ، وهي تبحث عن مخرج يحفظ لها كرامتها في القضية ، اذا بقي مجال للحديث عن الكرامة » (داني روبنشتاين ، دافار ١٩٧٩/١١/٣٠) . وقد سببت المشكلة اضراراً كبيرة لاسرائيل ، » ولذلك فان أوساط الحكومة ، تريد وضع حد للقضية التعيسة هذه ، بالسرعة الممكنة » (عل همشمار ١٩٧٩/١١/٢٨) .

المناورات التي لم تنجح : أمام الطريق المسدود التي وصلت إليه قضية الشكعة ، وبداية مسيرة تراجع الحكم العسكري ، حاولت السلطات الاسرائيلية تحقيق بعض المكاسب ، تحفظ لها قليلا من ماء الوجه؛ فعرضت بعض المساومات ، للتوصل الى حل وسط للموضوع ، كاستقالة الشكعة من رئاسة البلدية ، والالتزام بوقف نشاطاته السياسية لفترة سنتين ، والادانة العلنية لعملية الطريق الساحلي . وعرض اقتراح آخر يدعو جميع رؤساء البلديات للاستقالة لفترة محددة ، ثم عودة الجميع بمن فيهم الشكعة نفسه .

وكان الاقتراح اللااخلاقي ــ حسب وصف الشكعة له ــ هو الداعي الى مقايضة الأراضي العربية التي أقيمت عليها مستوطنة الون موريه ، مقابل الافراج عن الشكعة ، وتبنى هذا الاقتراح المحامي الياس خوري ، حيث عرضه أمام رؤساء البلديات في اجتماعهم الذي عقد في بيت حانينا يوم ١٩٧٩/١١/٢٥ . وقال خوري انه مستعد » لعدم تقديم الاستئناف بشأن الـ ٣٠٠ دونم التي اقيمت عليها مستوطنة الون موريه،حتى نهاية فترة الاسابيع الستة التي طلبتها الحكومة » (عل همشمار ، ١٩٧٩/١١/٢٦) . وقد رفض رؤساء البلديات هذا الاقتراح بشدة

ومن جهته ، فقد اتصل بسام الشكعة بمحاميته فيليتسيا لانغر ، وابلغها رفض الشروط المقترحة ، موضحا ان كل ما يستطيع أن يقوم به هو » توضيح ارائه ، عن طريق وسائل الاعلام ، بشأن المواضيع الوطنية ، وخاصة معارضته لاعمال الارهاب ، والدعوة لحل سياسي في المنطقة » (يوسف تسورئيل ، معاريف ، ١٩٧٩/١١/٢٧) وفي الوقت نفسه أصدر رؤساء البلديات المستقيلين

بيانا ، يوم ١٩٧٩/١١/٢٧ ، أكدوا فيه التزامهم بقرارات مؤتمري نابلس ، ورام الله ، حتى عودة بسام الشكعة الى رئاسة المجلس البلدي . ورفض رؤساء البلديات بشكل قاطع كل ما أشيع حول المساومة التي تربط قضية الشكعة بأراضي قرية روجيب ، التي اقيمت عليها مستوطنة ألون موريه ، وأكد البيان ، ان محاولات التشكيك والايقاع والدس بين رؤساء البلديات المستقيلين لن تزيدهم الا اصرارا والتزاما بوحدتهم الوطنية ، بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية (وفا ، ١٩٧٩/١١/٢٨ ، ص ١٥) .

عند هذا الحد ، أيقنت السلطات الاسرائيلية ، ان القضية خاسرة تماما بالنسبة لها ، ولا مجال للمساومة ، « لأن الشكعة عنيد جداً ، ولا يمكن أن يقبل بأي شرط يفرض عليه . واذا كان هذا موقفه ، فانه يفضل الطرد على التنازل عن رئاسة بلدية نابلس » (يوسف تسورئيل ، معاريف ١٩٧٩/١١/٢٨) . واعترفت أجهزة الأمن الاسرائيلية أنها بذلت كل ما يمكن لحل قضية الشكعة ، لكنها فشلت في كل محاولاتها لتقليل الاضرار التي نتجت في المناطق « واتضح ان رؤساء البلديات ، كانوا ولا يزالون متضامنين في مواقفهم ، مغلبين ذلك على الاعتبارات الخاصة ، متحولين نحو منظمة التحرير الفلسطينية » (المصدر نفسه) .

قضية الشكعة ... والبحث عن البديل الفلسطيني : بينما كانت قضية الشكعة بين أخذ ورد ، سواء أمام محكمة العدل العليا ، أو اللجنة الوزارية لشؤون الامن ، أو اللجنة الاستئنائية العسكرية ، تكشفت شيئا فشيئا الدلائل الحقيقية ، التي تقف وراء محاولات سلطات الاحتلال طرد الشكعة . فسلطات الحكم العسكري لها اسبقيات مماثلة في مثل الظروف السائدة الآن في المناطق المحتلة وقبل ثلاث سنوات ونصف وأثناء الاعداد للانتخابات البلدية ، نفذت السلطات عملية طرد الدكتور أحمد النتشه ، الذي كان مرشحا لرئاسة بلدية الخليل.فقد خشي الحكم العسكري في اثنائها ان يترشح « أحد أعضاء الحزب الشيوعي الذي يؤيد بوضوح منظمة التحرير الفلسطينية . واتهم النتشه في ذلك الوقت بنشاطات الجبهة الوطنية الفلسطينية ، وبنشاطات سرية أخرى وبعد سنتين من طرده ، أعيد الى الخليل بتعليمات من وزير الدفاع ، أثر استجابته لطلب فهد القواسمة رئيس البلدية ... » (يهودا ليطاني ، هآرتس ١٩٧٩/١١/١١) . وفي هذا الاطار ، اعترفت الاوساط الاسرائيلية بحقيقة تصرفات وزير الدفاع ضد الشكعة ، وبأنها تهدف الى ايجاد طرف فلسطيني مفاوض « الذي بحث عنه موشي دايان في لقاءات عديدة ، وحاول شمعون بيرس خلقه (حغاي أشد ، دافار ، ١٩٧٩/١١/١٥) .

وجذور هذه المشكلة تعود ، عمليا ، الى انتخابات المجالس البلدية التي جرت عام ١٩٧٦ ، حيث أملت السلطات الاسرائيلية بنجاح طرف فلسطيني يفاوضها ، أو على الاقل « يشكل حلقة وصل تربط بين اسرائيل وبين الدول العربية ، وتشكل عقبة أمام منظمة التحرير الفلسطينية . » (المصدر نفسه) ، ولكن الاسرائيليين اقتنعوا أخيرا بأنه لا أمل في ايجاد مثل هذا الطرف الفلسطيني ، وانه لا مفر من « العودة الى زعماء الدول العربية المعتدلين مثل الرئيس السادات ، والملك حسين ، والى قيادات معتدلة أخرى ، لاجراء مفاوضات معهم لحل المشكلة الفلسطينية ... والفلسطينيون بحاجة لايجاد زعامة تستطيع أن تلعب دورا في اجراء مباحثات مع اسرائيل بشأن مستقبلهم القومي ، والمستقل على هذه الارض وحتى يأتي مثل هذا البطل ليملأ هذا الدور ، سوف تستمر هذه اللعبة بين الطرفين [الفلسطينيين ووايزمن] » (المصدر نفسه) .

قرار التراجع ... وردود فعله داخل الأوساط الاسرائيلية : تناولت مختلف الأوساط الاسرائيلية قرار التراجع عن طرد الشكعة ، كل حسب اغراضه ، وأهوائه ، فقد وصفه رئيس الحكومة السابق اسحاق رابين بأنه « قرار حكيم ولكنه جاء متأخرا » ، وأضاف أن القرار « لم يكن يستند الى أسس موضوعية ، ولو كان كذلك لما تم التراجع عنه ، لذا لم يكن هناك اي داع لاتخاذه كما لم تكن التعليلات التي أعطيت مقنعة لاحد » (ر . أ . أ ، العدد ١٩٣١ ، ٤ و ١٩٧٩/١٢/٥ ، ص ٥) وطالب رابين رؤساء البلديات الامتناع عن العمل السياسي ، والاهتمام بشؤون السكان المعيشية فقط

وانتقدت كتلة المعراخ اسلوب معالجة القضية برمتها ، وقال عضو الكنيست يوسي ساريد « ان اللجنة العسكرية [بتوصيتها الغاء قرار الطرد] قدمت سلما للحكومة ، لكي تنزل عن الجدار العالي الذي

تسلقته » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٢ ، ٥ و ١٩٧٩/١٢/٦ ، ص ٤) .

أما المواقف داخل الليكود فقد كانت متناقضة . فبينما أعلن عضو الكنيست يوسف روم ، أن الامر خطير ، وطالب لجنة الخارجية والأمن اجراء نقاش عاجل حول الموضوع ، عارض أمنون لين عضو الكنيست ، هذا الرأي وقال « يجب علينا الاعتراف بالخطأ الذي ارتكبناه » . وأشار لين الى ثلاثة أخطاء في قضية الشكعة ، هي عدم تنفيذ أمر الطرد في اليوم الأول الذي صدر فيه ، والعجز عن اعتبار أقوال الشكعة تحريضا ، لأنها قيلت داخل غرفة مغلقة أمام ضباط في الجيش ، والامر الثالث هو « أننا اذا كنا نريد الحكم الذاتي جديا ، فكيف سيرد الجيش عندما لا يكون موجودا في مدن المناطق ، اذا صرح رؤساء بلديات متطرفون بمثل الأقوال التي ذكرت » (المصدر نفسه) .

واعتبرت غيئولا كوهين الغاء القرار«نجاحا لجميع عملاء منظمة التحرير الفلسطينية في الأراضي المحتلة » (المصدر نفسه) .

أما البروفسور أمنون كوهين ، المحاضر في تاريخ الشرق الأوسط في الجامعة العبرية بالقدس (الذي عمل سابقا مستشارا لدى قيادة الحكم العسكري في الضفة الغربية) ، فقد اعترف في معرض تحليله لمستقبل الوضع في المناطق المحتلة ، بالشرخ الموجود بين الاسرائيليين والزعامة السياسية لسكان المناطق المحتلة ، وهي حقيقة « لا يمكن اخفاؤها » . وأضاف كوهين ، أن الشكعة خرج قويا بعد القضية ، وهو قبل ذلك كان أيضا قويا ، لأنه اعتبر « الشخصية البارزة بين زعماء الضفة الغربية ، وقد كسب من هذه القضية المزيد من الثقة بالنفس . وتنبع هذه الثقة من حقيقة ان الكثيرين هبوا لمساعدته ، ليس انصاره فحسب ، بل من كانوا يتحفظون على تحركاته أيضا . ومن هذه الناحية ، فقد خرج الشكعة بطلا منتصرا » (المصدر نفسه)

الوحدة الوطنية تجسد الانتصار : كان أهم الانجازات التي برزت ، عمليا ، في قضية الشكعة هو تجسيد الوحدة الوطنية في داخل الأرض المحتلة . وكان لهذه الوحدة أكبر الاثر في استمرار الصمود ، وسد الطريق على مناورات الاسرائيليين وعدم تمكينهم من اللعب على أي تناقض ثانوي موجود ، حتى ان أحدهم توصل الى نتيجة مفادها ان حكومة اسرائيل « نجحت فقط في بلورة جسم معاد موحد ، في الضفة الغربية وقطاع غزة » (داني تسدقوني ، دافار ، ١٩٧٩/١١/٢٢) .

فالاجتماعات التضامنية ، التي عقدت في نابلس ورام الله ، وبقية مدن الضفة الغربية وقطاع غزة « لم تشهد المنطقة مثيلا لها منذ عام ١٩٦٧ » . ووصف أمنون كوهين تلك الحالة بأنها « ظاهرة جديدة لم تعرف مثيلا لها ، منذ عام ١٩٦٧ ، وهي اتخاذ موقف موحد ومبلور ، يعارض موقف دولة اسرائيل ، من قبل ٢٤ شخصية . وهنا يكمن الجديد في هذا التطور . كما يشكل وقوف الشعب خلف هذه القيادة عاملا جديدا أيضا لم نوله الاهتمام الكافي سابقا ، ومن الضروري الانتباه له » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩١٩ ، ١٦ و ١٩٧٩/١١/١٧ ، ص ٦) .

وكرس رشاد الشوا رئيس بلدية غزة هذا الموقف الموحد ، عندما التقى البريغادير جنرال اسحاق سيغف حاكم قطاع غزة ، الذي طلب منه التراجع عن الاستقالة . وقد أبدى الشوا « اصراره على الاستقالة ، وأكد انه سيمتنع عن ممارسة مسؤولياته حاليا » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٢٠ ، ١٨ و ١٩٧٩/١١/١٩ ، ص ٥) . وفي تصريح له ، اعتبر الشوا أن أهم مكسب تحقق من قضية الشكعة هو « ربط الضفة بالقطاع ، اضافة الى خروج الشكعة وعودته للعمل » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٤ ، ٧ و ١٩٧٩/١٢/٨ ، ص ٣) . وقيم فهد القواسمه ، رئيس بلدية الخليل ، النتائج التي توصل إليها رؤساء البلديات ، بأنها تمثلت « بالوحدة الوطنية في الضفة والقطاع ، وبذلك التلاحم بين الشعب والبلديات . كما خلقت القضية نوعا من الثقة العملية والحقيقية ، وشعورا حادا بأن الحق أمر ضروري للوصول إلى سلام عادل في هذه المنطقة » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٢ ، ٥ و ١٩٧٩/١٢/٦ ، ص ٨) .

ومن جهة أخرى ، شارك للمرة الأولى عرب المناطق المحتلة منذ ١٩٤٨ في حملات التضامن مع قضية بسام الشكعة ، وتأييدا لرؤساء البلديات. وأشارت مصادر أمنية اسرائيلية « انه خلال السنتين الماضيتين بدأت ظواهر تضامن عرب اسرائيل ، مع كل ما يحدث في الضفة الغربية ، وقطاع غزة » (يوسف تسورثييل ، معاريف ،

١٩٧٩/١١/١٤) . وأوضحت تلك المصادر أن جميع المحاولات التي بذلتها ، لوقف هذه التصرفات قد باءت بالفشل . وفي هذا السياق ، أرسل ٢٠ من رؤساء المجالس المحلية العربية من قرى المثلث والجليل برقية استنكار الى وزير الدفاع ، ادانوا فيها قرار السلطات طرد الشكعة من بيته وشعبه والاجحاف بحقه . وأضافت البرقية « أن الحكومة معنية باضطهاد أصوات الشخصيات المعارضة للحكم الذاتي في الضفة الغربية » (معاريف ، ١٩٧٩/١١/١٩) .

الحكم العسكري يكشف نواياه المستقبلية :

ادعى الحاكم العسكري للضفة الغربية بن ـ اليعيزر بأن دراسة انعكاسات قضية الشكعة على الوضع العام في المناطق ، وعلى « الأهداف الصهيونية فيها ، يستلزم بضعة أشهر من الانتظار » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٤ ، ٧ و ١٩٧٩/١٢/٨ ، ص ٤) .الا أنه سرعان ما كشف بوضوح ، عن عزم سلطات الاحتلال منع النشاط السياسي في الضفة الغربية ، وحصر اعمال البلديات في الأمور الحياتية اليومية . ولكن اذا كان « الاجتماع السياسي أو النشاط السياسي الذي يرغب السكان به متوافقاً مع الاجراءات السياسية لمسيرة السلام ، ويندرج في اطار الحكم الذاتي ، فاننا سندرسه بروح ايجابية » (المصدر نفسه)

وفعلا ، فقد ذكرت أوساط أجهزة الأمن الاسرائيلية ، أن الاجتماعات السياسية في المستقبل ، ستحتاج إلى ترخيص مسبق . وسيكون رد السلطات ايجابيا أو سلبيا « تبعا لنوعية المواضيع التي ستبحث في الاجتماعات » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٥ ، ٩ و ١٩٧٩/١٢/١٠ ، ص ١٥) . وحدد بن ـ اليعيزر سلفا نوع هذه المواضيع ، وهي تلك التي تتمشى مع « روح اتفاقيات كامب ديفيد ، أو تؤيد الانضمام الى المفاوضات السياسية وتشجيع الحكم الذاتي » (المصدر نفسه ، ص ٥) . ويعترف بن ـ اليعيزر بعدم استجابة أي من السكان العرب للتعاون مع سلطات الحكم العسكري ، فهذا الحكم يبحث منذ سنتين قضية « تسليم صلاحيات الشؤون المدنية الى السكان المحليين ... الا أنهم للاسف ظلوا لليوم يربطون مصلحة السكان بالسياسة . لذا استطيع القول ، أن الاستعداد لتحمل أعباء مثل هذه المهام لم تلمس لدى أي شخص منهم . في حين اننا ابدينا استعدادنا لذلك » (المصدر نفسه ، ص ٥) .

ورداً على هذا الموقف ، أكد رؤساء البلديات مجدداً على حقهم في التعبير السياسي عن آرائهم ، وعلى طموحات الشعب الفلسطيني في كيانه المستقل . وأصدروا بياناً بعد اجتماعهم في القدس يوم ١٩٧٩/١٢/٧ ، اعربوا فيه عن موقفهم بضرورة انهاء الاحتلال عن الارض الفلسطينية ، والقدس في مقدمتها ، وطالبوا بحق الشعب الفلسطيني في انشاء دولته الفلسطينية بقيادة م . ت . ف . وجدد المجتمعون رفضهم القاطع لاتفاقات كامب ديفيد ، ومشروع الادارة الذاتية ، وشجبهم للمفاوضات الجارية من اجل تطبيقها . وطالبوا السلطات الاسرائيلية وقف عمليات الاستيطان الصهيوني على الاراضي العربية كما اكدوا على وحدة الشعب الفلسطيني في المناطق المحتلة وخارجها (وفا . ١٩٧٩/١٢/٧ ، ص ١٠) .

استئناف محاكمة رئيسي بلديتي رام الله والبيرة :

استكمالا لمخطط سلطات الاحتلال اياه في التضييق على رؤساء البلديات الوطنية في الضفة الغربية ، تمهيداً لاقصائهم عن مناصبهم ، استأنفت محكمة الصلح في القدس يوم ١٩٧٩/١٢/١١ محاكمة كريم خلف رئيس بلدية رام الله ، وابراهيم الطويل رئيس بلدية البيرة بتهمة الاخلال بالنظام العام ، والاعتداء بالضرب على أحد الحراس الصهاينة ، أثناء طرح قضية أصحاب الأراضي العرب على محكمة العدل العليا ، حيث اقيمت على اراضيهم مستوطنة بيت ـ ايل . وقد حددت المحكمة يومي ٢٠ من الشهر الماضي ، و ٢٨ من الشهر الحالي موعداً لاستئناف المحاكمة .

وحضر الى قاعة المحكمة جميع رؤساء البلديات في الضفة الغربية ، اضافة الى عدد كبير من المواطنين الفلسطينيين كما حضرها بسام الشكعة رئيس بلدية نابلس .

وفي هذا السياق ، كشف المحامي الياس خوري ، أن لديه ادلة « تثبت أن ما جرى كان يهدف الى ايقاع المتهمين بالشرك » (ر . أ . أ . ، العدد ١٩٣٧ ، ١١و ١٩٧٩/١٢/١٢ ، ص ١٠) وهذا

يعني ان سلطات الحكم العسكري ، تريد تجربة حظها مرة أخرى ، بعد فشلها في قضية بسام الشكعة . ويذكر أن السلطات الاسرائيلية أجرت محاكمات صورية مماثلة لعدد من رؤساء البلديات وأعضاء المجالس البلدية ، منهم بشارة داود رئيس بلدية بيت جالا ، ويوسف مراد عضو مجلس بلدية أريحا ، وخالد العوض رئيس بلدية قباطية . وقد تم اثر ذلك اقصاؤهم عن مناصبهم ، استناداً الى القانون الأردني المعمول به في مثل هذه الحالات .

التخطيط لنشاط استيطاني واسع في الاراضي المحتلة

في اطار الضجة التي تثيرها جماعة غوش أيمونيم ، بشأن نقل مستوطنة الون موريه الى موقع آخر ، وممارستها الضغط على الحكومة بمشاركة الأطراف المتشددة الأخرى أمثال وزير الزراعة شارون ، سارعت أطراف عديدة رسمية ، وغير رسمية لطرح خطط وبرامج استيطانية يجري تنفيذها خلال العام الحالي والأعوام القادمة ، استرضاء لغوش ايمونيم ، وتنفيذاً للسياسات الاسرائيلية في هذا المجال .

وفي هذا السياق ، قدم وايزمن وزير الدفاع مشروعاً استيطانياً ، يتضمن اقامة ستة مراكز استيطانية تشمل ست مدن . ويعني هذا تكثيف المستوطنات القائمة ، وتحويلها الى مراكز استيطانية ، وهي . كرني شومرون ، معاليه ادوميم غوش عتسيون ، أريئيل ، كريات أربع . ووعد وايزمن ، في اطار مشروعه ، بأن يقوم « الجيش الاسرائيلي بتقديم المساعدة في تحقيق المشروع ، كما سيقوم سلاح الهندسة بأعمال تسوية الأرض » (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٩/١١/١٢) .

وفي الوقت نفسه ، تقدم شارون بخطة لبناء ١٦ مستوطنة جديدة ، بميزانية تصل الى ٢ ½ مليار ليرة . ويتركز الفارق الاساسي بين الخطتين في أن وايزمن لا يدعو لمصادرة اراض خاصة ، بينما تعتمد خطة شارون على « مصادرة الأراضي الخاصة ، وغير الحكومية . وطالب شارون باصدار قانون خاص يمنع في المستقبل الاعتراض ، من النوع الذي أدى الى قرار اخلاء الون موريه » (المصدر نفسه) .

وقد صادقت لجنة وزارية خاصة ، على اقامة خمسة مراكز من أصل الستة التي اقترحها وايزمن . وتقع جميعها في أماكن توجد فيها مستوطنات يهودية ، وبعيدة عن السكان العرب . واستبعدت مستوطنة أريئيل من المشروع ، لان المنطقة خالية من المستوطنات اليهودية . وهذا « يتطابق مع سياسة وايزمن الاخيرة ، الهادفة الى التقرب من احزاب الوسط ، وحزب العمل ، في اطار استعداده ليكون رئيساً للحكومة على رأس ائتلاف من الوسط واليسار والمفدال » (يسرائيل هرئيل، يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٩/١١/٢١) .

أما عن مشاريع العام القادم ، فقد ناقشت اللجنة المشتركة للاستيطان برئاسة شارون ، يوم ١٩٧٩/١١/٢٠ ، مشاريع توسيع الاستيطان خلال السنة الحالية القادمة . وتقرر اقامة ٦٠٠٠ وحدة سكنية جديدة وراء الخط الاخضر ، منها ٣٥٠٠ في مستوطنات مدينية ، و ٢٥٠٠ في مستوطنات قروية ، بمبلغ اجمالي يصل الى ١٨ مليار ليرة . وأعتبر هذا القرار تنفيذاً لقرار الحكومة في الاسبوع الماضي بشأن « توسيع المستوطنات القائمة ، واقامة مستوطنات جديدة في خمسه تجمعات استيطانية في الضفة الغربية » (هآرتس ، ١٩٧٩/١١/٢١) .

الاستيطان في وادي الاردن : بالنسبة لوادي الأردن ، قدم البروفسور رعنان فايتس رئيس دائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية (ممثل حزب العمل)، مشروعاً الى لجنة الاستيطان المشتركة للحكومة والمنظمة الصهيونية ، لاقامة ١٠ مستوطنات جديدة في تلك المنطقة . وأشار فايتس الى أن المستوطنات الـ ٢٣ القائمة الآن في وادي الاردن ، بالاضافة الى المستوطنات الجديدة ، تستطيع تقديم « منتوجات زراعية للتصدير » وستقام ثلاثة من هذه المستوطنات في منطقة حمرا ، وثلاثة أخرى في وسط الوادي ، واثنتين في شماله ، واثنتين شمال البحر الميت . وتبلغ الاموال المطلوبة « لاقامة المستوطنات العشر ، بالاضافة الى مد خط مياه جديد ، ٧١٠ ملايين ليرة وستضاف لكل مستوطنة عشر عائلات جديدة ، على الاقل ، لزيادة حجم القوى العاملة فيها » (يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٩/١١/٢٨) .

خطط طويلة الاجل : وقدم متتياهو دروبلس ، الرئيس الثاني لدائرة الاستيطان في الوكالة اليهودية (ممثلا لليكود) مشروعاً استيطانياً لمدة خمس

سنوات ، يهدف الى بناء ١٥٠ ــ ٢٠٠ ألف وحدة سكنية في الضفة الغربية . وحسب تقدير درويلس ، ستقيم في الضفة الغربية خلال السنوات الخمس القادمة ٣٠ ــ ٤٠ ألف عائلة يهودية . واقترح درويلس بيع غالبية المنازل التي ستبنى بشروط مقبولة . وستكون المنازل في الضفة الغربية رخيصة » بالمقارنة مع ريشون لتسيون أو الخضيرة . وستباع قطعة الارض بـ ٣٠ ــ ٤٠ / من [ثمنها الحقيقي] » (مردخاي بسوك ، عل همشمار ، ٣٠/١١/١٩٧٩) وستقام حسب المشروع ، خمس مستوطنات في مرتفعات الجولان ، و ٥ ــ ٧ مستوطنات في قطاع غزة ، غالبيتها في منطقة كطيف . كما يخطط لدننة المستوطنة العسكرية مورغ . وطالب درويلس أيضا بنقل بعض المصانع الكثيرة الموجودة في وسط اسرائيل الى الضفة الغربية والجليل .

اراضي قرية دير الحطب ، ضحية لنزوات غوش ايمونيم الاستيطانية وفي تطور آخر لقضية مستوطنة الون موريه التي تقرر نقلها الى موقع آخر هو جبل الكبير ، ارسلت الجرافات الى قرية دير الحطب بشق طريق داخل القرية يصلها بموقع مستوطنة الون موريه ــ ب . وتصدى المواطنون الفلسطينيون لهذه المحاولة » وسدوا الطريق على اربعةمقاطع بواسطة الحجارة والدواليب المشتعلة » (ر . أ . أ ، العدد ١٩٣٥ ، ٩ و ١٠/١٢/١٩٧٩ ، ص ، ١٣) واصدر مواطنو دير الحطب بيانا ناشدوا فيه الرأي العام العالمي مساندتهم في تصديهم للهجمة الهستيرية الصهيونية لضم الاراضي ، المناقضة لابسط الحقوق والمواثيق الدولية التي تنص على عدم استعمال او مصادرة حق الغير . واكد البيان على نية السكان في التصدي بحزم لسياسة الاحتلال في ضم وتهويد الاراضي الفلسطينية المحتلة بكافة السبل المتاحة (وفا ، ١٠/١٢/١٩٧٩ ، ص ١٧)

وتوجه رؤساء بلديات الضفة الغربية الى قرية دير الحطب للتضامن مع سكانها ، ولعقد اجتماع لهم هناك ، احتجاجا على اقامة المستوطنة الجديدة وتنفيذا لسياسة الحكم العسكري الجديدة القاضية بمنع الاجتماعات السياسية لرؤساء البلديات (كما اشرنا اعلاه) ، منع الحاكم العسكري للضفة عقد هذا الاجتماع » واقيمت الحواجز بجانب القرية ، في محاولة لمنع رؤساء البلديات من الوصول اليها » (ر أ . أ ، العدد ١٩٣٧ ، ١١ و ١٢/ ١٢/ ١٩٧٩ ، ص ١٠)

مشروع جديد لألون ، للحكم الذاتي في المناطق المحتلة

في نطاق الندوة السنوية التي ينظمها معهد شيلواح بجامعة تل ــ ابيب طرح الون مشروعا جديدا لحل مشكلة الاراضي المحتلة يقوم على مبدأ الحل الجزئي المؤقت مع الاردن ، نظرا لعدم وجود حل ظاهر في الافق . وهذه التسوية المؤقتة أفضل من الجمود » فالجمود يقودنا الى أزمة ، والازمة قد تعطل مسيرة تطبيق بنود معاهدة السلام وتطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، وبدون حل المشكلة الفلسطينية ، من الناحيتين السياسية والانسانية ، لن يتحقق السلام الشامل في المنطقة » (ر أ . أ . ، العدد ١٩١٨ ، ١٥ و١٦/١١/١٩٧٩ ، ص ٧) .

ويعترف الون بقوة منظمة التحرير الفلسطينية ، ومدى فاعلية انجازاتها على الصعيد العربي والدولي ، ففى صيف عام ١٩٧٤ كاد كيسنجر أن يتوصل لاتفاق جزئي مع الاردن ، الا أن قرارات الامم المتحدة التي » منحت منظمة التحرير الفلسطينية صفة مراقب ، وكذلك قرارات القمة العربية في الرباط ، حالت دون تطبيق هذه المبادرة ، التي كان من شانها أن تكون خطوة ذات أهمية أولى لحل المشكلة الفلسطينية ، وللتقدم نحو السلام مع الاردن » (المصدر نفسه)

اما المبادىء الاساسية لمشروع الون الجديد ، فتتلخص في (أ) إن الحكم الذاتي لا ينطبق على السكان فقط ، وانما على الارض أيضا ، اي أن يطبق على المناطق المكتظة بالسكان العرب ، بحيث تتمركز قوات الامن الاسرائيلية ، في المناطق التى ستبقى تحت سلطة الحكم العسكري . (ب) لن تضم القدس الى منطقة الحكم الذاتي ويجب على مصر أن توقف مطالبها بالسماح للسكان العرب في القدس الشرقية بالمشاركة في انتخابات الحكم الذاتي (ج) تجري الانتخابات للحكم الذاتي بصورة سرية ، (د) ينبغي تجميد مسالة السيطرة على المياه الجوفية في مناطق الحكم الذاتي ، الى حين التفاوض حول الحل الدائم (هـ) تنطبق القاعدة نفسها على اراضي الدولة والاراضي المتنازع عليها ، الواقعة ضمن نطاق الحكم الذاتى ، أي تجميد وضع الاراضي ، على أن يتقرر مصيرها عند التفاوض على الوضع الدائم للمناطق (و) على الحكومة الاسرائيلية أن تقرر من جانبها ، تعليق اقامة المستوطنات الجديدة في المناطق المكتظة بالسكان

العرب ، والتي سيطبق عليها الحكم الذاتي . (ز) يجب الغاء التعبير الفلسفي ــ القضائي ، بما يتعلق بمصدر صلاحيات الحكم الذاتي ، لانه لا يوجد مجال الآن للتوصل لحل مثل هذه المشكلة (ر . أ . أ . ، العدد ١٩١٩ ، ١٦ و ١٧/١١/١٩٧٩ ، ص ١٠ و ١١) .

ونفى الون أن يكون قد تراجع عن مشروعه القديم الداعي لحل شامل مع الاردن ، ما دامت التسوية « الجزئية لا تلغي خيار أو امكانية التسوية الدائمة . إن التسوية الجزئية تنطوي على تطبيق دقيق للمفهوم ، تلبية لحاجات أمن اسرائيل ، بدون الحاجة الى ضم مناطق مكتظة بالسكان العرب » (المصدر نفسه) .

والجدير بالذكر أن الون كان قد طرح بعد حرب الايام الستة في تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، مشروعا لتسوية سياسية شاملة مع الدول العربية ، يستند على مبدأ التسوية الاقليمية ، ويعتمد على فرضيتين اساسيتين . (١) حدود توفر الحد الأقصى من الأمن الاسرائيلي . (٢) حد أدنى من السكان غير اليهود داخل تلك الحدود . وبذلك تتمتع اسرائيل بشبكة دفاعية صلبة ، تقوم على اعادة تمركز الجيش الاسرائيلي في المناطق التي تعتبرها الاوساط الاسرائيلية أهمية قصوى لأمن اسرائيل .

محمد عبد الرحمن

اسرائيليات

حكومة اسرائيل تتخبط في أزماتها

تمر الحكومة الاسرائيلية ، في هذه الفترة ، في اعنف الازمات السياسية والاقتصادية التي واجهتها منذ ان تولى ليكود الحكم ، في اعقاب ما وصف بالانقلاب السياسي في اسرائيل .

فالوضع الاقتصادي الحرج والفوضى في علاقات العمل ، وموجة الاضرابات ، بالاضافة الى التضخم المالي ، اصبحت مشكلات وازمات مزمنة . كما ان القرارات التي اتخذتها الحكومة ، والهادفة الى ترقيع ، او اصلاح ، ما افسده الائتلاف ، وبصورة خاصة في القضايا السياسية ، والاستيطانية على غرار الون موريه ، وتعديل قانون الاجهاض ، ومحادثات الحكم الذاتي ، احدثت خلافات شديدة في الحكومة ، بدلا من المساهمة في اصلاح الاوضاع . والى جانب هذا ، هناك الخلافات بين الوزراء انفسهم ، وبداية ظهور احزاب جديدة ، آخذة بالتبلور على حساب احزاب الائتلاف الحاكم. ويدفع هذا الوضع رئيس الحكومة الحالي بالا يطمح الى اكثر من ان تنهي الحكومة الحالية فترتها القانونية ، حتى موعد الانتخابات العامة (بعد حوالي سنة ونصف السنة) .

الون موريه ووضع الاستيطان

نشأت قضية الون موريه ، وطرحت نفسها بحدة ، في اعقاب قرار محكمة العدل العليا ، القاضي باخلاء المستوطنة خلال شهر من صدور الحكم ، الذي كان قد صدر اثر شكوى تقدم بها المحامي الياس خوري نيابة عن اصحاب الاراضي . وكانت المحكمة ، خلال نظرها في القضية ، قد استدعت عددا من الشخصيات العسكرية ، للاطلاع على وجهة نظرهم ، فيما اذا كانت هذه المستوطنة ذات قيمة امنية وعسكرية ام لا . وفي اعقاب شهادات العسكريين،مثل الجنرال حاييم بار ــ ليف،ووزير الدفاع ، ورئيس الاركان ، رجحت المحكمة بان هذه المستوطنة لم تنشأ لاعتبارات امنيةاواستراتيجية، وعليه صدر القرار باخلائها . الا ان هذا القرار اثار ، في اعقاب صدوره ، العديد من التناقضات داخل الحكومة وخارجها ، الامر الذي استدعى بحثه

في لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، ثم في جلسة الحكومة في ١٨/١١/١٩٧٩ « حيث قررت اخلاء مستوطنة الون موريه على مرحلتين ، الاولى في الموعد الذي اقرته المحكمة والخاص باخلاء ١٢٥ دونما التي قدمت بصددها الشكوى ، اما المرحلة الثانية ، فتتعلق بباقي اراضي المستوطنة ، وتتم خلال ٤ ــ ٦ اسابيع من المرحلة الاولى » (هآرتس ١٩/١١/١٩٧٩) .

لكن قرار الحكومة هذا لم يلق اي تجاوب من قبل جماعة غوش ايمونيم ، او المؤيدين لها داخل الحكومة ، وخارجها . وبايعاز من وزير الزراعة اريئيل شارون ، غوش ايمونيم الاعلان عن قبولها للقرار ، على الرغم من ان رئيس الحكومة مناحيم بيغن ، ووزير التربية والتعليم زفولون هامر ، قد ابديا ثقتهما بان غوش ايمونيم ستوافق على قرار الحكومة .

وهكذا بدأت معارضة القرار تتبلور تدريجيا ، طارحة ظاهرة فريدة ، وهي ان المعارضة البرلمانية تؤيد القرار ، في حين ان الشركاء في الائتلاف ، وبعض الوزراء في الحكومة يعارضونه .

ففي جلسة الحكومة ، على سبيل المثال ، حذر بعض الوزراء من ردة فعل جماعة غوش ايمونيم فقد علق رئيس لجنة الخارجية والامن موشي ارنس على الوضع بقوله « ان قرار محكمة العدل العليا لا يشمل جميع اراضي الون موريه ، وامل ان نتمكن من ايجاد حل لهذه المشكلة ، ولهذا فان قرار الحكومة يناقض قرار المحكمة (ر.إ.إ ، العدد ١٩٢١ ، ١٨ و١٩/١١/١٩٧٩ ، ص ١٢ ــ ١٣) . اما وزير الزراعة أريئيل شارون ، فقد غلف معارضته لقرار الحكومة ، بعرضه رسالة تسلمها من زعماء غوش ايمونيم نصها « اذا اتخذت الحكومة قرارا بالتأجيل فلن نعلن عن موقفنا مع القرار او ضده » (دافار ، ١٩/١١/١٩٧٩) . وعلى هذه الملاحظة التي ابداها شارون ، علق نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري بقوله: « اذا كان الامر كذلك ، فمن الواضح انهم لن يخلوا الون موريه » (المصدر نفسه) .

وسبق هذا الموقف المعارض لاخلاء المستوطنة تحرك سكانها انفسهم ، فقد قال بني كتسوفر ، رئيس سكرتارية الون موريه: « لا استطيع الجزم ، بعد ، بما اذا كانت تلك هي الدلالات الفعلية لقرار الحكومة ، الذي ينص على الاخلاء ... وقد سبق ان اوضحنا ان قضية الون موريه ليست قضية خاصة ، بالمستوطنة نفسها ، بل انها ترمز الى مكانتنا في [الضفة الغربية] . ونرى ان الحل الاساسي للقضية ــ واعتقد ان رئيس الحكومة يشاركنا الرأي ــ يكمن في احداث تغيير جذري في وضعنا في [الضفة الغربية] (ر.ا.ا ، العدد ١٩٢٠ ، ١٨/١١/١٩٧٩ ، ص ٩) .

ردود الفعل على قرار الحكومة

اثار موقف الحكومة من ألون موريه ردود فعل مختلفة من قبل معظم الاوساط السياسية الاسرائيلية ، فقد جاء ، مثلا ، في بيان طاقم ردود الفعل في حزب العمل : « ان كل فلسفة من شأنها التهرب من التنفيذ الكامل لقرار محكمة العدل العليا بشأن الون موريه هو مساس خطير بالقانون ، وتقليص لصلاحيات هذه المحكمة ، وتجاوز لقوانين وانظمة النظام ، وخضوع لاعمال الشغب والعنف من قبل المارقين على القانون » (دافار ، ١٩/١١/١٩٧٩) .

اما حزب مبام ، فقد علق على قرار الحكومة بشأن الون موريه ، في بيان صدر عن سكرتاريته ، جاء فيه: « ان عدم تنفيذ قرار المحكمة في موعده المحدد يشكل مساسا بقدسية القضاء ، وتجاوزا للقوانين والنظم وهذا قرار تهرب جاء نتيجة خضوع الحكومة امام المارقين على القانون والنظام ، على غرار اعضاء غوش ايمونيم الذين يحملون اسم الاستيطان عبثا . وقد شهد الوزير زفولون هامر على هذا الخضوع بنفسه » (المصدر نفسه)

كذلك علقت النائبة مايكه غروسمان ، من حزب مبام على القرار بقولها « انه لمن المؤسف والمثير حقا ان يشهد الوزير زفولون هامر على رضوخ الحكومة ، بقوله انها سارت على طول الطريق نحو غوش ايمونيم . واضافت غروسمان ان الحكومة تنازلت عن تطبيق القانون بهدف تهدئة الخواطر المقدسة والزائفة لدى جماعة غوش ايمونيم . كما » وان احدا لا يعلم ما اذا كانت هذه هي آخر عملية خضوع من جانب الحكومة ، خصوصا ان غوش ايمونيم لم تقبل بعد قرار الحكومة .. وبين ضغط مجلس حكماء التوراة وضغط غوش ايمونيم [يضيع] القانون في اسرائيل » (المصدر نفسه) .

اما حركة « السلام الان » فقد علقت على قرار الحكومة القاضي باخلاء مستوطنة الون موريه على مرحلتين ، بقولها . « ان قرار الحكومة بتجزئة تنفيذ قرار محكمة العدل العليا ، مع الاعتراف بحقيقة ضرورة اخلاء المستوطنة ، معناه ان الحكومة اخذت صلاحية ليست لها لتأجيل تنفيذ قرار المحكمة؛ وبهذا تكون قد خرقت ،وبشكل وقاحة واصرار ، قرار المحكمة . ولقد خلق هذا القرار ، بالتالي ، وضعا ادى الى عدم احترام قوانين الدولة . كما ان قرار الحكومة اقامة مستوطنة بديلة هو خضوع لابتزاز لا مثيل له من قبل جماعة غوش ايمونيم [بتحريض من] اريئيل شارون وزفولون هامر » (المصدر نفسه) .

وصرح عضو الكنيست امنون روبنشتاين رئيس كتلة شاي في الكنيست ، معلقا على قرار الحكومة ، بقوله . « منذ فترة طويلة لم نشهد مسرحية مخزية الى هذا الحد . ففي هذه المسرحية ركعت حكومة اسرائيل ، واخذت تتوسل جماعة غوش أيمونيم بأن تقبل ركوعها . انه لمن المؤسف حقا ان نرى حكومة تضطر للرضوخ امام شروط مجموعة صغيرة ، خصوصا انها تهدد صراحة بعدم قبول قرار محكمة العدل العليا » (المصدر نفسه) .

من ناحية ثانية ، شنت عضو الكنيست غيئولا كوهين (حركة هتحياه) هجوما على سياسة الحكومةالاستيطانية ، قائلة . « ليست هناك حاجة لان نصل الى وضع قضائي لاخلاء مستوطنة الون موريه ؛ بل يجب الوصول الى وضع تصبح معه مستوطنات [الضفة الغربية] ذات صفة شرعية . انه لعمل لا اخلاقي ان يتم الاستيطان بالغش والخداع » (دافار ، ١٩٧٩/١١/١٩) .

اما ردود الفعل غير الرسمية ، والتي تغذيها احزاب المعارضة ، فقد كانت اكثر شدة . فقد جاء ، مثلا ، في مقال لعاموس ايلون (هآرتس ، ١٩٧٩/١١/٢١) قوله « لقد انجرت الحكومة الى مغامرة الون موريه ، رغم رأي وزراء الدفاع والخارجية والعدل ، بضغط من قوى غير برلمانية ، تتبع العنف وسيلة ، اضافة الى كونها مسلحة وتهدد بحرب اهلية وخلال هذه المغامرة تحولت الحكومة الى حكومة كفيفة ، ثم بدأت المساومة مع الشركاء في الائتلاف ، مراعاة لظروفهم وشروطهم السياسية والحزبية ، من اجل تنفيذ قرار محكمة العدل العليا ثم تأتي الحكومة لتزعم انها تريد الحؤول دون وقوع صدام ، وهذا هو الاسم الجديد الذي تسعى الحكومة بموجبه ، لتنفيذ قرار المحكمة . ومن اجل الحؤول دون وقوع هذا الصدام ، تدفع الحكومة خوفا ، لا بسبب سياسة مدروسة ومتزنة ، للمصادقة بصورة سريعة ومتهورة على مشروع استيطان كبير ، لا لان الوزراء يريدون ذلك ، بل ارضاء لغوش ايمونيم ، ومستوطني الون موريه . ليس لهذه الحكومة زعيم ، وليست لها سياسة . انها تجري وتسحب من جانب لاخر من قبل المؤمنين بالشياطين والارواح . ان اعضاء الحكومة عبارة عن مجموعة من الكفيفين مشدودة الى كراسي الحكم ، تقودهم بعض المجموعات الى الهاوية » .

قرارات استيطانية جديدة

ازاء هذه المعارضة والانتقادات الشديدة المتباينة من الاطراف المختلفة ، اتجهت الحكومة الاسرائيلية نحو اتخاذ اجراءات لتهدئة الفئات المتصلبة لذلك قام وزير الدفاع بالتنسيق مع الاطراف المختلفة ، بتقديم اقتراح الى الحكومة ينص على « تنفيذ القرارات [الاستيطانية] السابقة للحكومة ، باقامة ١٩ مستوطنة ، ومدننة ١٣ مستوطنة عسكرية تابعة للناحل ، وتركيز معظم الجهد في خمس مناطق ، هي الريحان وكرني شمرون ، ومعاليه ادوميم ، ومنطقة الخليل وغفعون . وعلى ان يتم بناء ١٠ ــ ١٥ الف وحدة سكنية كل سنة في هذه المناطق » (دافار ، ١٩٧٩/١١/١٦) . وفور تقديم هذا الاقتراح دعا وزير التربية والتعليم زفولون هامر ، اعضاء الحكومة ، للمصادقة عليه ، فاقروه باكثرية الاصوات ، وبمعارضة وزير العدل شموئيل تمير ونائب رئيس الحكومة سمحه ارليخ . وكان أرليخ قد اعلن ، اثناء مناقشة الاقتراح « ان غوش ايمونيم هي التي تقود الحكومة ، وان الوزير زفولون هامر يتحدث باسمها لا باسم الحكومة ، ونتيجة هذا فان هناك شعورا بأن الحكومة لا تحكم ، وهناك فوضى عامة في الدولة » (المصدر نفسه)

جاء مشروع الاستيطان هذا الذي اقرته الحكومة بمثابة محاولة لرشوة جماعة غوش ايمونيم قبيل اتخاذ قرار باخلاء المستوطنة ، وذلك في محاولة من رئيس الحكومة لتخفيف الضغط والمعارضة لحكومته ، والانصراف لمعالجة مواضيع اخرى تهدد الائتلاف ، وبالتالي تهدد الحكومة بالسقوط امام اي مشروع قرار لحجب الثقة عن الحكومة ، اذا ما استقال بعض الوزراء المؤيدين للاستيطان منها ،

وانسحبت احزابهم من الائتلاف .

الا ان هذه الرشوة لم تعد بالنفع على الحكومة فقد عقدت سكرتارية الون موريه اجتماعا مع الحاخام تسفي يهودا كوك الزعيم الروحي لغوش ايمونيم،اشترك فيه عضوالكنيست الحاخام حاييم دروكمان وحنان بورات،احد زعماء غوش ايمونيم لبحث قضية الون موريه،وفي هذا الاجتماع أعلن معارضو إخلاء المستوطنة « انهم لا يستطيعون السماح لمنظمة التحرير الفلسطينية برفع علم فلسطين على تلة الون موريه ، وان غوش ايمونيم هي الان الكابح والسد الوحيدين امام ضغوط العرب ومنظمة التحرير والضغوط الاميركية . واذا ما ظهر اي تصدع في هذا السد ، فان الحكومة قد ترضخ للضغوط . وقد يقدم العرب شكاوى اخرى ضد جميع المستوطنات ، بما في ذلك مستوطنة كريات اربع » (يديعوت احرونوت ، ٢٢/١١/٧٩) .

لكن الحاخام كوك اوضح انه « يجب اعادة النظر من جديد في قضية المستوطنة ، للحؤول دون سقوط الحكومة الحالية ، وقيام حكومة جديدة قد تتعامل ، بشكل اسوأ مع الاستيطان » أما الحاخام موشي ليفنغر من زعماء غوش أيمونيم ، فقد صرح ان « من غير المعقول ان يتم اخلاء مستوطنة يهودية عن ارضها بضغط من العرب . وخلال هذه الفترة المتبقية سنعمل من اجل اقناع الحكومة بالابقاء عليها » (المصدر نفسه) .

بعد كل هذا الجدل والنقاش والتصريحات المؤيدة للاستيطان أو المعارضة له ، بقي القرار بيد جماعة غوش أيمونيم ومستوطني الون موريه ، لا في يد الحكومة ، التي اعلنت مصادرها ان الخيار الوحيد امام مستوطني الون موريه هو الاخلاء عن طيب خاطر ، والا تم اخلاؤهم بالقوة . لكن حتى هذا الاعلان لم يجد نفعا ، اذ اعلن سكان المستوطنة وجماعة غوش أيمونيم ، رفضهم اخلاء المستوطنة ، قبل ان يتغير الوضع القانوني للاراضي [في المناطق المحتلة] » (ر.ا.ا ، العدد ١٩٣٦ ، ٩ و١٠/١٢/١٩٧٩ ص ١٤)

المشكلة تعود الى نقطة البداية

على اثر اعلان غوش ايمونيم رفضها اخلاء المستوطنة ، طالب زفولون هامر الحكومة باعداد وثيقة تفصيلية بشأن وضع الاراضي في المناطق ، واعلن هامر . « اعتقد ان على الحكومة الخلاص من وضع الاراضي في [الضفة الغربية] ، وتحديد ما هو تابع للدولة منها ، وما لم تسو ملكيته بعد » (ر.ا.ا ، العدد ١٩٣٥ ، ٨ و٩/١٢/١٩٧٩ ، ص ٧ ـ ٩) . وتدعيما لهذا الرأي،اعلن بني كتسوفرسكرتيرالون موريه « ان المستوطنة لن تخلي قبل تعديل الوضع القانوني للمستوطنات في [الضفة الغربية] وان الحديث مع رئيس الحكومة تركز على ان علاقة وطيدة تربط قرار الاخلاء بالوضع القانوني للمستوطنات في [الضفة الغربية] » (المصدر نفسه) .

وعمليا ، تهدف ضغوط غوش أيمونيم وسكان الون موريه ، اضافة الى ضغوط الوزيرين زفولون هامر ، وأريئيل شارون ، الى انتزاع قرار من الحكومة تعلن فيه ضمها للضفة الغربية ، وتطبيق القانون الاسرائيلي عليها ، ومعنى هذا ازالة صفة الاحتلال عن الضفة ، مما يسهل ـ وفقا للقانون الدولي كما فسرته المحكمة العليا الاسرائيلية ـ على المستوطنين والحكومة مصادرة الاراضي الخاصة دون اللجوء الى الحجج الامنية اي ازالة العراقيل التي تعوق عمليات الاستيطان .

وقد رد وزير العدل شموئيل تمير على هذه المحاولات بقوله « ان الحكومة على استعداد لدرس كل النواحي القانونية للاستيطان في [الضفة الغربية] وغزة ، ولكن بعد احترام حكم الاخلاء وتنفيذه . والحكومة هي التي تبحث وتقرر ، وليس مستوطنو الون موريه » (ر.ا.ا ، العدد ١٩٣٥ ، ٩ و١٠/١٢/١٩٧٩ ، ص ٧ ـ ٩) .

على كل حال ، ورغم بدء العمل في اقامة مستوطنة جديدة لمستوطني الون موريه على الجبل الكبير ، (الذي يلقى معارضة شديدة من سكان القرية العربية دير الحطب) ، فان هذه المشكلة لم تصل الى حلها النهائي ، ولا تزال تشكل خطرا على الحكومة وتهدد بانقسامها على نفسها وربما سقوطها .

تعديل قانون الاجهاض

على هذا الاساس ، اخذت احزاب المعارضة مستغلة عجز الحكومة في معالجة القضايا السياسية والاقتصادية والاستيطانية ، تشدد من حملاتها ضد الحكومة . وليست مشكلة الون موريه هي الوحيدة التي احدثت تصدعا في البنية الائتلافية للحكومة الحالية ، فأزمة تعديل قانون الاجهاض تهدد ايضا بشق الائتلاف ، وبالتالي سقوط الحكومة . وأساس

هذه الازمة هو ان حزب اغودات يسرائيل ، وله اربعة مقاعد في الكنيست ، يشترط ، لبقائه في الائتلاف ، تعديل البند الخامس من قانون الاجهاض ، والا فان انسحابه من الحكومة سيغدو امرا لا مفر منه .

وتزداد هذه الازمة تعقيدا ، لكون الذين افشلوا تعديل هذا البند اثناء التصويت عليه في الكنيست مؤخرا ، هم تسعة من اعضاء الائتلاف (معظمهم من حزب الاحرار ، الشريك الثاني في ليكود) . « والبند الخامس من قانون الاجهاض يبيح عمليات الاجهاض لاسباب تتعلق بحياة الام اولا ، ولاسباب اجتماعية ثانيا » (دافار ، ١٣/١١/١٩٧٩) .

ويسعى حزب اغودات يسرائيل الى تعديل هذا البند ومنع عمليات الاجهاض تماما ، لانه يرى فيها « قتلا للاطفال » . فعلى سبيل المثال ، اعلن الحاخام فعور عضو مجلس حكماء التوراة انه « اذا لم يعدل البند الخامس من قانون الاجهاض فان ذلك يعني ان حزب اغودات يسرائيل لا يستطيع ان يكون شريكا في قتل الاطفال والاجنة ، وان بقاء أغودات يسرائيل في الائتلاف معناه المشاركة في القتل » (هآرتس ، ١٥/١١/١٩٧٩) .

ولهذا يطلق حزب أغودات يسرائيل تهديدات مستمرة بالانسحاب من الائتلاف ،اذا لم يعدل هذا القانون في الكنيست على النحو الذي يريده . أما رئيس كتلة الحزب في الكنيست شلومو لورنس ، فقد أعلن أنه « اذا وعده رئيس الحكومة ، بأن هناك املاً في اعادة عدد من « المتمردين » من ليكود ، لكي يصوتوا وفقا لمصلحة الائتلاف على قانون الاجهاض ، فانه بدوره سيتوجه الى مجلس حكماء التوراة للسماح للحزب بالبقاء في الائتلاف، من اجل بذل محاولة اخرى لتمرير قانون الاجهاض » (دافار ، ١٣/١١/١٩٧٩) .

ولكن على الرغم من محاولات الاقناع التي اجراها رئيس الحكومة لتلافي تنفيذ هذه التهديدات التي قد تزج بالحكومة في مواقع الاقلية ثم السقوط ، فقد « فشلت ادارة الائتلاف في ايجاد اغلبية برلمانية لتأييد الغاء البند الخامس من قانون الاجهاض ، وبهذا لم يستطع رئيس الحكومة تغطية السند الذي وقعه لهذا الحزب في اثناء محاولاته تشكيل الحكومة » (المصدر نفسه) .

وهكذا ظلت المشكلة مراوحة مكانها لفترة طويلة من دون التوصل الى اتفاق لتعديل القانون ، يضمن بالتالي بقاء حزب أغودات يسرائيل في الحكومة . « وقد اجتمعت كتلة اغودات يسرائيل ، يوم ٢٧/١١/١٩٧٩ ، برئيس الحكومة ، واخبرته ان لا مفر من طرح قانون الاجهاض في الاسبوع المقبل لمصادقة الكنيست عليه ، والا فان الحزب سيضطر للانسحاب » (دافار ، ٢٨/١١/١٩٧٩) .

ولكن من الواضح ايضا ان هذا الحزب الذي يعتبر نفسه « بيضة القبان » في الائتلاف ، وبدونه يمكن ان تدفع الحكومة الى السقوط ، يسعى لتحقيق مكاسب اخرى من هذه الازمة ، دون ان يدفع الحكومة الى السقوط . والسبب هو انه اذا انسحب أغودات يسرائيل من الائتلاف واسقط الحكومة الحالية ، فأنه لا يضمن بهذا تعديل القانون في عهد حكومة جديدة ، قد يرئسها ، مثلا ، عيزر وايزمن من الليكود ، اوشمعون بيريس من المعراخ . وبناء عليه،فان الحزب يسعى عمليا الى بقاء الحكومة،التي حقق خلال عهدها مكاسب حزبية ودعم مؤسساته ماليا، ولكنه في الوقت ذاته ، يجد نفسه عاجزا عن التراجع عن مطلبه المتعلق بقانون الاجهاض . الا ان خوض تجربة جديدة في الكنيست للحصول على اغلبية لصلحة التعديل ، تعتبر مسألة صعبة ، ويمكن ان تضع الحزب في موقع عدم التراجع . ووفقا لرأي بعض اعضاء الحزب « هناك احتمال كبير بأن يغير عدد من اعضاء الائتلاف « الرافضين » موقفهم ، في اثناء التصويت على القانون ، بحيث يحصل على اغلبية . ولكن اذا اتضح للحزب عشية الاقتراع انه لم يحصل على تلك الاغلبية ، فانه لن يقدم المشروع للكنيست » (دافار ، ٢٧/١١/١٩٧٩) .

ومن ناحية اخرى ، هددت مجموعة « رافضي » مشروع تعديل قانون الاجهاض ، من حزب الاحرار ، بانه « اذا تسبب حزب أغودات يسرائيل في سقوط الحكومة ، فأنها ستعمل بالتعاون مع المعراخ على تغيير القوانين التي تم تعديلها بتأثير من المتدينين» وقال عضو الكنيست برمان ان هناك اتصالات ومشاورات تجري بهذا الصدد (هآرتس ، ٢١/١١/١٩٧٩) . وكان اعضاء هذه المجموعة قد رفضوا طلبا من أغودات يسرائيل يقضي بتغيير موقفهم ، او على الاقل الامتناع عن التصويت

وازاء هذه الصعوبات ، قرر مجلس حكماء التوراة ، يوم ٥/١٢/١٩٧٩ ، اعطاء مهلة

اسبوعين آخرين للحكومة ، للعمل على الغاء البند الخامس ، رغم كل ما يتوقع من ان المجلس سيطالب الحزب بالانسحاب الفوري من الائتلاف . لذلك اعادت الحكومة عرض القانون على الكنيست ، واعتبار التصويت عليه بمثابة تصويت على الثقة بالحكومة ، وذلك في محاولة لحمل « المتمردين » من الائتلاف على تأييد القانون ، والا سقطت الحكومة .

تقدم طفيف في محادثات الحكم الذاتي

بدأت ، يوم ١٣/١١/١٩٧٩ ، جولة جديدة من المحادثات بشأن الحكم الذاتي ، بين الوفود الثلاثة الاسرائيلية والمصرية والاميركية في تل ابيب . وكان رئيس الوفد المصري ، الذي يضم ١٤ عضوا ، وهو لطيف عبد اللطيف ، قد صرح لدى وصوله الى اسرائيل « ان احداث الاسبوع الماضي في الضفة الغربية [يقصد قضية الشكعة] وقضية الون موريه ، تستدعي الاسراع في مفاوضات الحكم الذاتي والتوصل الى اتفاق ، والغاء الحكم العسكري الاسرائيلي » (ر.ا.ا ، العدد ١٩١٦، ١٢ و١٣/١١/١٩٧٩ ، ص ٦ ــ ٧) .

في تلك الجولة من المحادثات ، التي استمرت مدة اسبوع في تل ابيب ، ترأس الوفد الاميركي جيمس ليونارد ، اما الوفد الاسرائيلي ، فكان برئاسة مدير وزارة الداخلية حاييم كوبرسكي . وقد عالجت الوفود الثلاثة خلال المباحثات موضوعين اساسيين ، الاول استكمال محادثات وترتيبات انتخاب لجنة الحكم الذاتي الادارية ، والثاني مسألة صلاحيات اللجنة ووظائفها . والجدير بالذكر ان الوفود المجتمعة « لم تبحث المبادىء العامة ، لاهداف الحكم الذاتي ، وصلاحية سن القوانين ، وغيرها من المشاكل التي لم يحصل بشأنها اي تقدم ، على ان تحال هذه الى لجان العمل الوزارية لبحثها ، لان الاخيرة تملك قدرا اكبر من الصلاحيات » (المصدر نفسه) . اما المجالات التي بحثتها الوفود فكانت التربية والتعليم والصحة وغيرها

وعلى هذه الجولة علق رئيس الوفد الاسرائيلي المفاوض ، الدكتور يوسف بورغ بقوله « لقد حدث تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي ، اما فيما يتعلق بموضوع الانتخابات للمجلس الاداري ، فاننا على وشك الانتهاء من الاطار العام ... وبعد اسبوعين سيقرر اعطاء توجيهات الى مجموعة العمل ، للدخول في التفاصيل العملية لاجراء الانتخابات » (معاريف ، ٢٩/١١/١٩٧٩)

وكانت مجموعتا العمل الفرعيتان قد صاغتا في اعقاب جلسة ٥/١٢/١٩٧٩ ، « تقريرين مشتركين متفقا عليهما من قبل الاطراف الثلاثة ، ويتعلق التقرير الاول بطريقة الانتخابات ، والثاني بالصلاحيات التي تمارسها الادارة العسكرية الاسرائيلية حاليا في [الضفة الغربية] وقطاع غزة ، لتقديمها الى اللجنة الوزارية » (ر ا ا ، العدد ١٩٣٢ ، ٤ و٥/١٢/١٩٧٩ ، ص ١٠) .

وعلى هذا التقرير ونتائج المباحثات في مجموعات العمل ، علق كوبرسكي قائلا « ان المواد التي انجزتها اللجنة ، كانت كثيرة ، وان المحادثات تميزت بالتفاهم المتبادل ، بحيث فاقت نقاط الاتفاق نقاط الخلاف ، كما تم الاتفاق على معظم البنود المتعلقة باجراء الانتخابات » (المصدر نفسه) .

وفي مطلع الاسبوع التالي ، وصل الى اسرائيل سول لينوفيتش ، الرئيس الجديد للوفد الاميركي في محادثات الحكم الذاتي ، لاجراء مفاوضات مع مناحيم بيغن ، قبل بدء جلسات اللجنة العامة لمحادثات الحكم الذاتي ، التي استمرت ثلاثة ايام

وكان مناحيم بيغن قد دعا اللجنة الوزارية لشؤون الحكم الذاتي الى بذل اقصى جهد ممكن من اجل اكمال المحادثات قبل حلول الموعد المحدد لها . « كذلك تبنت اللجنة الوزارية توصيات مجموعات العمل المشتركة ، المتعلقة باجراء انتخابات المجلس الاداري ، وبمسؤولياته وصلاحياته » (ر.ا ا ، العدد ١٩٣٥ ، ٨ و٩/١٢/١٩٧٩ ، ص ١٤) وبهدف اكمال المحادثات ، اجتمعت لجنة الحكم الذاتي ، يوم ٩/١٢/١٩٧٩ ، برئيس الحكومة لتدارس ما توصلت اليه اللجان الفرعية واللجنة الوزارية . وقد علق الوزير نسيم على نتائج الاجتماع بقوله « لم تتخذ قرارات جديدة او توصيات . وقد اقتصر الاجتماع على دراسة وضع المفاوضات اما بالنسبة لاجراءات انتخابات السلطة الادارية ، فقد تم احراز تقدم كبير ، واصبح الموضوع في مراحله النهائية ولكن المشكلة تكمن في موضوع الصلاحيات ، حيث يطالب المصريون بجعلها صلاحيات لاقامة دولة فلسطينية . وقد رفضنا ذلك منذ البداية ، ووافقنا على منح المجلس الاداري

صلاحيات تجعله فيما بعد سلطة ادارية » (المصدر نفسه)

الانسحابات الاسرائيلية

خلال هذه الفترة ، ووفقا لاتفاقيات السلام ، نفذت اسرائيل عدة انسحابات من بعض المواقع في سيناء ، وذلك ضمن المرحلة الاولى القاضية بانسحاب الجيش الاسرائيلي الى خط العريش — رأس محمد . « وقد فجرت القوات الاسرائيلية [قبيل الانسحاب] التجهيزات والمباني العسكرية في ام خشيبة ، وابقت في هذا الموقع وحدة عسكرية صغيرة ، الى ان يصار الى الانسحاب التام من المنطقة » (يديعوت احرونوت ، ١٤/١١/١٩٧٩) . وكان موقع ام خشيبة من اهم المواقع العسكرية في سيناء . « ففي حرب ١٩٧٣ ، كانت هناك غرفة العمليات الحربية لقيادة الجبهة الجنوبية ، في مبان تحت الارض . واضافة الى ذلك كان هناك موقع تجسس الكتروني » (المصدر نفسه) .

ويقع موقع ام خشيبة شمالي ممر الجدي ، وجنوبي قاعدة الطاسة ، على جبل يبلغ ارتفاعه عن سطح البحر ٧٢٣ مترا وكان بمثابة نقطة مراقبة،ورصد الكتروني موجه الى قناة السويس ، حيث تصل المراقبة الى ما بعد القناة ايضا . كذلك كان في الموقع « رادار لاستعمال سلاح الطيران الاسرائيلي وشبكة اتصالات الكترونية ، تابعة لقيادة الجبهة الجنوبية » (المصدر نفسه) .

منطقة سانت كاترين : بعد تواجد اسرائيلي استمر ١٢ عاما ، اعيدت يوم ١٥/١١/١٩٧٩ منطقة سانت كاترين الى السيادة المصرية . « فعي احتفال عسكري قصير على جبل موسى في سيناء ، جرت مراسم تسليم المنطقة . وخلال هذا الحفل ، قال رئيس اللجنة العسكرية المشتركة العميد دوف سيئون ان هذا الحفل هو اثبات لتنفيذ مرحلة اخرى في اتفاقات السلام . وقد اعيدت هذه المنطقة لا كثمرة حرب ، بل بفضل انجازات السلام » (دافار ، ١٦/١١/١٩٧٩)

حقول علما : وصل يوم ٢٤/١١/١٩٧٩ ، ١٥ مدنيا وعسكريا من مصر الى جبل الطور ، بهدف الاعداد لحفل تسلم المنطقة الرابعة من القوات الاسرائيلية . وقد تم فعلا تسليم هذه المنطقة ، التي تبلغ مساحتها نحو ٢٥٠٠ كيلو متر مربع ، الى مصر في حفل اقيم في ٢٦/١١/١٩٧٩ ، بحضور اللجان العسكرية المشتركة . «وتنازلت اسرائيل عن حقول علما النفطية ، وغادرت آخر ناقلة نفط اسرائيلية المنطقة حاملة ٥٠ الف طن من النفط » (معاريف ، ٢٥/١١/١٩٧٩) .

وباعادة حقول علما ، ينتهي فصل اسرائيلي يتعلق بانتاج النفط والتنقيب عنه في خليج السويس وكانت اسرائيل قد اعادت عام ١٩٧٥ ، وبموجب اتفاقية سيناء ، ابار النفط البرية والبحرية في ابو رديس . « ومنذ يوم احتلال سيناء عام ١٩٦٧ حتى يوم التسليم ، كانت اسرائيل قد ضخت حوالي ٣٢ مليون طن من النفط الخام » (دافار ، ٢٢/١١/١٩٧٩) . وتشمل حقول علما ، الواقعة في منطقة الانسحاب الرابعة ، ١٢ بئرا ، بدأ انتاج الاخيرة منها في اواخر آب ١٩٧٩ ،« وقد انتجت حتى الان قرابة ٤٠ الف برميل يوميا . وهذا يشكل ٢٢٪ من احتياج اسرائيل الذي يبلغ حوالي ١٦٥ الف برميل يوميا » (المصدر نفسه) . على هذا الانسحاب ، علق وزير الطاقة موداعي بقوله « ان اسرائيل ستخسر في السنة القادمة ٢٦٠ مليون دولار» (يديعوت احرونوت ، ٢٨/١١/١٩٧٩) .

الانسحاب من منطقة رفيديم : من المقرر ان تعيد اسرائيل الى مصر ، في الخامس والعشرين من الشهر الحالي ، منطقة رفيديم في سيناء ، وذلك في نطاق معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية « ويقوم الجيش الاسرائيلي حاليا ، باخلاء المنطقة ، والانسحاب الى مواقع جديدة على خط العريش — رأس محمد » (ر.ا.ا ، العدد ١٩٣٥ ، ٨ و٩/١٢/٧٩ ، ص ١٠) . لقد اصبحت منطقة رفيديم بعد حرب حزيران ١٩٦٧ ، مركزا رئيسيا لجنود الجيش الاسرائيلي ، « حيث اقيم فيها العديد من المنشات والمواقع ومخازن الاسلحة والوقود والذخيرة التي امدت وحدات الجيش المنتشرة في انحاء عديدة من سيناء بجميع الاحتياجات . وتبلغ تكاليف اخلاء هذه المنطقة حوالي ٢ مليار ليرة اسرائيلية » (المصدر نفسه) .

مكرم يونس

Palestine Affairs

No. 98, January 1980.

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

السعــر: ٥ ل.ل. في لبـنان
٦ ل.س. في سوريـا
٦٥٠ فلسـاً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولـة الامارات العربيـة
٦ ل.ل. في سـائر الاقطار العربيـة
٧٥٠ درهـماً في ج.ع.ل.
٧,٥٠ درهم في المغرب

شؤون فلسطينية

٩٩ شباط (فبراير) ١٩٨٠



شؤون فلسطينية

٩٩ شباط (فبراير) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

المحتويات

الصفحة

الصفحة

الغلاف للعالمي **ابروين**

المدير العام : صبري جريس ❋ رئيس التحرير : محمود درويش

سكرتير التحرير : فيصل حوراني

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ، (متفرع من السادات) ، راس بيروت ـ لبنان ، ص . ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير والتوزيع ٣٥١٢٦٠ ، برقيا . مرابحات ، بيروت .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل .ل . في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل ل في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل . ل . في اوروبا ، ١٢٥ ل . ل . في بقية بلدان العالم .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية

روز مصلح

الصناعة في الضفة الغربية ١٩٦٧ - ١٩٧٩
وضع المؤسسات والعمال والاجور

مقدمة

أدت نكبة سنة ١٩٤٨ الى تحول حوالي نصف سكان الضفة الغربية الى معدمين ، نتيجة فقدان مصدر عملهم . كما أدى لجوء نحو خمسي لاجئي فلسطين (٢٠٤ الاف نسمة) الى الضفة الغربية في ذلك العام ، الى تردي مستوى المعيشة وتدهوره ، ونجم عن ذلك بطالة شملت ما يزيد على ٩٠ الف شخص ، مما ولد هجرة لم تتوقف منذ ذلك الوقت حتى الآن .

وقد ساهم ضم الضفة الغربية سنة ١٩٥٠ ، الى شرقي الاردن ، في مزيد من تشويه أوضاعها ، فسياسة التمييز الاقليمي بين الضفتين ، التي انتهجها النظام الاردني ، وعدم تحقيق أي نوع من الترابط والتكامل بينهما ، برغم عملية الدمج هذه : أديا الى اضعاف البنية الاقتصادية للضفة الغربية ، لا سيما القطاعات المنتجة . ففي مجال الصناعة تم تشجيع انشاء المشاريع الصناعية في الضفة الشرقية ، وتدعيمها من قبل الحكومة الاردنية ، في مقابل وضع العراقيل أمام استثمار رؤوس الأموال الكبيرة في الضفة الغربية . وقد كان الاقتصاد الأردني ، في حد ذاته ، ضعيفا ومحدوداً ولا يملك امكانية تطوره بحكم لرتباطه بالامبريالية فلم يكن في شرق الاردن ، مثلا ، صناعات وطنية مهمة ، قبل ضم الضفة الغربية عام ١٩٥٠ ، سوى ٢٧ شركة صناعية ، بلغ مجموع رؤوس اموالها ١,٠١٩,٩٠٠ دينار اردني . وتضم ١٥٢ مصنعا ، يعمل فيها ١١٧١ عاملا[١] . وظل تطور الصناعة في الضفتين محكوما بهذا الضعف مع الحفاظ على التمايز بينهما .فقد ازداد مثلا عدد المؤسسات الصناعية، التي تضم ٤ عمال فاكثر في فترة تسع سنوات ، بمقدار ١١٢ مؤسسة في الضفة الشرقية ، في مقابل ٢٣ مؤسسة في الضفة الغربية . فبينما كان العدد سنة ١٩٥٤ يعادل ١٧١ مؤسسة فقط في الاولى . كانت هناك ٢٥٤ مؤسسة في الثانية . أمـا في سنة ١٩٦٣ . فقد اصبح عدد هذه المؤسسات في الضفة الشرقية يفوق مثيلاتها في الضفة الغربية ، حيث بلغت في الاولى ٢٨٤ مؤسسة ، في مقابل ٢٧٧ مؤسسة في الثانية[٢] . كما تضاعف تقريبا عدد العاملين في مؤسسات الضفة الشرقية في نهاية الفترة المذكورة ، في حين ظل على حاله في الضفة الغربية . فبعد آن كان العدد في الضفة

الشرقية ٤٥١٢ عاملا، في مقابل ٣٥٦٢ عاملا في الضفة الغربية ، في سنة ١٩٥٤ ، وصل في سنة ١٩٦٢ الى ٨٤٤٥ عاملا في الاولى و ٣٥٩٥ عاملا في الثانية(٣) .

وفي سنة ١٩٦٥ بلغ مجموع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية ٢٧١٦ مؤسسة ، في مقابل ٢١٢٢ مؤسسة في الضفة الشرقية . وبالرغم من زيادة عدد المؤسسات في الاولى عن الثانية ، فان متوسط العمالة في الضفة الشرقية ، ظل يزيد عنه في الضفة الغربية . فبينما بلغ مجموع العمال في الاولى ١٩,٩١٢ عاملا : أي ما متوسطه ٦,٤٪ ،كان في الضفة الغربية ١٧,١٠١ عاملا' اي ما متوسطه ٤,٦٪(٤) .

وتظهر السياسة الاقليمية، بوضوح في توجيه استثمار رؤوس الأموال في الضفة الشرقية . فعلى سبيل المثال ، كانت هناك ، من بين ١٤ شركة صناعية مساهمة دعمتها الحكومة ، شركة صناعية واحدة فقط في الضفة الغربية ، هي شركة مصانع الزيوت النباتية*

ولم ينشأ في الضفة الغربية حتى سنة ١٩٦٧ الا القليل من الصناعات الكبيرة المهمة، من حيث رأس المال وعدد العمال ، ويبين الجدول رقم ١ اهم المؤسسات التي تجاوز رأسمالها ١٠,٠٠ دينار وزاد عدد عمالها عن ١٥ عاملا .

الجدول رقم ١

اهم الشركات الصناعية في الضفة الغربية حتى سنة ١٩٦٧

الشركة	المنطقة	رأس المال دينار اردني	عدد العمال
شركة مصانع الزيوت النباتية	نابلس	٥٠٠,٠٠٠	٢٠٠(٦)
شركة معامل سلفانا	رام الله	١٠٠,٠٠٠	١٠٠(٧)
شركة مصانع الجبشة	بيت حنينا	١٠٠,٠٠٠	٣٥(٨)
شركة سجائر القدس	العيزرية	٢٠٠,٠٠٠(٩)	١٠٠(١٠)
شركة الصناعات الزراعية	الخليل	٨٠,٠٠٠(١١)	٢٠
شركة البلاستيك الاردنية	بيت ساحور	٨٠,٠٠٠	٢٠٠(١٢)
شركة بلاستيك الشرق	القدس	٤٥,٠٠٠	٦٢(١٣)
شركة معامل السراير الوطني	بيت لحم	٥٠,٠٠٠	١٠٠(١٤)
شركة التقدم لصناعة القبانات	الخليل	١٠,٠٠٠	١٥(١٥)
شركة رباح للموبيليا	رام الله	٨٠,٠٠٠	٨٠
شركة مصانع التنك	نابلس	—	٤٠

ويشير تدني مستوى الاجور والرواتب في الضفة الغربية مقارنة بتلك المعمول بها في الضفة الشرقية الى ضآلة حجم الاستثمارات في الاولى بالنسبة للثانية.فقد بلغت،مثلا رواتب المستخدمين

---

* تأسست هذه الشركة في نابلس برأسمال قدره ١٠٠,٠٠٠ دينار اردني ، ساهمت الحكومة بنسبة ٣٠٪ منه، ثم ارتفع راسمال الشركة الى ٥٠٠,٠٠٠ دينار ، فزادت نسبة مساهمة الحكومة الى ٤٠٪ .

واجورهم في الضفة الشرقية سنة ١٩٦٥ ، حوالى ٣ أضعاف تلك التي دفعت في الضفة الغربية ، حيث بلغت قيمتها ٢,٨٢٣,١٠٠ دينارا في الأولى مقابل ١,٤٤٢,١ دينارا في الثانية(١٦) . هذا بالرغم من زيادة عدد المؤسسات في الضفة الغربية عنها في الشرقية كما مر سابقا . كما يتضح تركيز الصناعات الكبيرة في الضفة الشرقية لدى مقارنة الموجودات الثابتة ، والانتاج القائم والقيمة المضافة للمؤسسات الصناعية في الضفتين ، اذ كانت في الضفة الشرقية تعادل نحو ثلاثة أضعاف ما هو قائم في الضفة الغربية في سنة ١٩٦٥ . ففي الضفة الشرقية بلغت قيمة الموجودات الثابتة ١٥,٣ مليون دينار اما الانتاج القائم فكان ٢٨,٩ مليون دينار ، في حين بلغت القيمة المضافة ١١,٩ مليون دينار بمقابل ٤,٥ ، ٩,٤ ، ٤,٢ مليون دينار للضفة الغربية على التوالي(١٧) .

وقد ظل العجز في الميزان التجاري للضفة الغربية يتجه دوما لصالح الضفة الشرقية ، خاصة من المنتوجات الصناعية التي كانت تشكل غالبية الواردات . حيث بلغت نسبتها في العام ١٩٦٦ ما يعادل ٩٠٪ من قيمة الواردات(١٨) . والجدير بالذكر أن نسبة التجارة بين الضفتين كانت متدنية وذلك لانعدام قيام وحدة حقيقية بينهما .

ولقد نتج عن ضعف اقتصاد الضفة الغربية ، وخاصة قطاع الصناعة ، هجرة مستمرة للطاقة البشرية ، مما ادى الى استنزاف كبير للقوى الشابة . فبدلا من تضاعف السكان في نهاية فترة الالحاق الهاشمي ، لم يزد العدد في أيار سنة ١٩٦٧ عن ٨٠٣,٦٠٠ نسمة مع العلم أنه بلغ ٧٤٢,٢٨٩ نسمة في سنة ١٩٥٢(١٩) .

العمالة والاستخدام في القطاع الصناعي في ظل الاحتلال الاسرائيلي

على هذه الارضية من التبعية والعجز في البنية الاقتصادية ، جاءت نتائج حرب العام ١٩٦٧ لتضاعف من وتيرة الهجرة التي بدأت منذ الالحاق الهاشمي للضفة الغربية . ويقدر عدد الذين نزحوا في الاشهر الاربعة الأولى من الاحتلال باكثر من ٢٠٠,٠٠٠ نسمة . اذ بلغ عدد السكان في أيلول سنة ١٩٦٧ ، ٥٩٥,٠٠٠ نسمة . وفي نهاية العام ١٩٦٨ انخفض الى ٥٨٤,١٠٠ نسمة(٢٠). ويشير الجدول رقم ٢ الى استمرارية النزوح من الضفة الغربية ، حيث لا تتناسب الزيادة السنوية للسكان مع الزيادة الطبيعية خاصة،في السنوات الاخيرة .

الجدول رقم ٢

التطور السكاني في الضفة الغربية للفترة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٨(٢١) (بالالف)

السنة	السكان في بداية العام	السكان في نهاية العام	الزيادة الطبيعية	الزيادة السنوية
١٩٦٧	٥٩٥,٩	٥٨٥,٧	٣,٠	١,٧
١٩٦٨	٥٨٥,٧	٥٨١,٧	١١,٧	٠,٧
١٩٦٩	٥٨١,٧	٥٩٥,٢	١٢,٣	٢,٣
١٩٧٠	٥٩٥,٢	٦٠٣,٩	١٣,٧	١,٥
١٩٧١	٦٠٣,٩	٦١٧,٣	١٥,٩	٢,٢
١٩٧٢	٦١٧,٣	٦٢٩,٠	١٦,٨	١,٩

١٩٧٣	٦٢٩,٠	٦٤٦,٢	١٦,٩	٢,٧
١٩٧٤	٦٤٦,٢	٦٦١,٦	١٨,١	٢,٤
١٩٧٥	٦٦١,٦	٦٦٥,١	١٨,٦	٠,٥
١٩٧٦	٦٦٥,١	٦٧٠,٩	٢٠,٣	٠,٩
١٩٧٧	٦٧٠,٩	٦٨١,٢	٢٠,٥	١,٥
١٩٧٨	٦٨١,٢	٦٨٤,٤	٢٠,٢	—

ويبين الجدول رقم ٣ أن الهجرة تشمل الذكور خاصة في سن العمل . حيث يزيد عدد الذكور على الاناث حتى سن ٢٤ . ولكن بعد ذلك ، يحصل انخفاض تدريجي في عدد الذكور يبلغ اقصاه في فئات العمر ٣٠ ــ ٥٤ سنة ، وهذه هي فترة العمل . ويقل بعد ذلك الفارق بين الجنسين ، حتى يتساوى عدد الذكور مع عدد الاناث في الفترة ما بعد ٦٥ سنة .

وقد ترك هذا الوضع أثراً واضحاً على القوة العاملة في الضفة الغربية . فبعد ان كانت نسبتها تعادل ٣٦,٧ من مجموع عدد السكان فوق سن ١٤ ، في سنة ١٩٧٠ ، اصبحت في سنة ١٩٧٨ تعادل ٣٤٪ . ويوضح الجدول رقم ٤ أن معظم النقص الذي حصل في عدد السكان منذ سنة ١٩٧٤ كان ممن هم في سن العمل ، مقابل زيادة في عدد السكان الذين هم فوق سن ١٤ .

الجدول رقم ٣

توزع السكان في الضفة الغربية حسب فئات العمر والجنس

للعام ١٩٧٧(٢٢)

فئة العمر	المجموع بالالف	٪	ذكور بالالف	٪	اناث بالالف	٪
١٥ ــ ١٩	٨٧,٥	١٠٠	٤٦,٣	٥٣	٤١,٢	٤٧
٢٠ ــ ٢٤	٦٠,٦	١٠٠	٣١,٧	٥٢	٢٠	٤٨
٢٥ ــ ٢٩	٣٥,٤	١٠٠	١٧,١	٤٨	١٨,٢	٥٢
٣٠ ــ ٣٤	٢٧,٥	١٠٠	١١,٨	٤٣	١٥,٧	٥٧
٣٥ ــ ٣٩	٢٥,٧	١٠٠	١٠,٦	٤١	١٥,١	٥٩
٤٠ ــ ٤٤	٢٤,٦	١٠٠	١٠,٣	٤٢	١٤,٣	٥٨
٤٥ ــ ٤٩	٢٤,٤	١٠٠	١٠,٣	٤٢	١٤,٢	٥٨
٥٠ ــ ٥٤	٢٠,٧	١٠٠	٩,٠	٤٣	١١,٧	٥٧
٥٥ ــ ٥٩	١٥,٤	١٠٠	٧,١	٤٥	٨,٣	٥٥
٦٠ ــ ٦٤	١١,٤	١٠٠	٥,٤	٤٧	٦,١	٥٣
٦٥ ــ ٦٩	٩,٥	١٠٠	٤,٨	٥٠	٤,٨	٥٠

الجدول رقم ٤
تطور القوة العاملة في الضفة الغربية
منذ العام ١٩٦٨ وحتى العام ١٩٧٨(٢٣)

السنة	مجموع السكان فوق سن ١٤ (بالألف)	مجموع القوة العاملة (بالألف)	النسبة المئوية للقوة العاملة من مجموع السكان فوق سن ١٤
١٩٦٨	٣٠٨,٦	٩٣,٠	٣٠,١٪
١٩٦٩	٣١٣,٧	١١٤,٦	٣٦,٥
١٩٧٠	٣٢٢,٩	١١٨,٤	٣٦,٧
١٩٧١	٣٣٠,٠	١١٩,٧	٣٦,٣
١٩٧٢	٣٣٦,٦	١٢٦,٦	٣٧,٦
١٩٧٣	٣٤١,٦	١٢٧,٧	٣٧,٤
١٩٧٤	٣٥٥,٢	١٣٩,٠	٣٩,١
١٩٧٥	٣٦٦,٩	١٣٣,٩	٣٦,٥
١٩٧٦	٣٧١,٠	١٣١,٣	٣٥,٤
١٩٧٧	٣٧٩,٤	١٢٨,٨	٣٣,٩
١٩٧٨	٣٨٩,٨	١٣٢,٩	٣٤,٠

وكان قطاع الصناعة قد تعرض ايضا الى نقص كبير في عدد العاملين بعد الاحتلال مباشرة ، فقد توقف الكثير من المصانع نتيجة للشلل العام الذي اصاب مرافق الحياةالاقتصادية ، بالاضافة الى عدم توفر المواد الخام الضرورية للصناعة ، بسبب تعثر امكانية الاستيراد من الخارج . ونتيجة لذلك ، عانى حوالى ثلث العاملين من بطالة كاملة . فحسب التقدير الأردني ، كان من المفروض ان يصل عدد العمال في هذا القطاع الى ١٧,٠٣٢ عاملا في العام ١٩٦٨(٢٤) . بينما يشير الاحصاء الاسرائيلي الى ان عدد العاملين في هذا القطاع لم يتجاوز في ذلك العام ١١,٢٠٠ عامل(٢٥) . أما العاملون بأجر فقد بلغ عددهم ٧٢٠٠ عامل(٢٦) . واذا ما اخذ بعين الاعتبار ان الارقام الاسرائيلية لا تتضمن مدينة القدس ، يكون هناك حوالى ٤٠٠٠ عاطل عن العمل في قطاع الصناعة ، كان اكثر من نصفهم عاملا بأجر . وقد ساعد هذا الوضع السلطات الاسرائيلية على محاولة تشكيل النشاط الصناعي في الضفة الغربية بما يتناسب واحتياجاتها ، فاقامت مراكز للتأهيل المهني في كافة انحاء مدن الضفة ، بهدف تدريب العمال العرب لاستثمارهم كطاقة بشرية رخيصة في مشاريعها .

وما أن مر عامان ، حتى بدأت مصانع الضفة الغربية تعود الى وضع شبيه بالذي كانت عليه قبل الاحتلال . حيث بلغ مجموع العاملين فيها في العام ١٩٦٩ ، بغير مدينة القدس ، ١٥,٢٠٠ عامل . اما المستخدمون فقد وصل عددهم الى ٨٨٠٠ عامل(٢٧) . ولذلك فان التقدير الأردني للعام ١٩٦٨ ، هو أقرب الى تقديرات عام ١٩٦٩ . وسوف نعتمد هذا التقدير كأساس لرصد تطور الصناعة في ظل الاحتلال ، باعتبار ان التغير الذي حصل ، بدأ بعد سنة

١٩٦٩ . وسوف نشير الى التقدير الأردني باعتباره الوضع القائم في بداية الاحتلال .

بقيت نسبة العاملين في قطاع الصناعة ، من اجمالي القوة العاملة ، منذ العام ١٩٧٠ وحتى العام ١٩٧٧ ، ثابتة تقريبا ، كما يبين الجدول رقم ٥ . ولذلك فان الزيادة في مجموع القوة العامله التي يظهرها الجدول ، هي مجموع العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل بالاضافة الى العاطلين عن العمل .

الجدول رقم ٥

توزع العاملين من الضفة الغربية

للسنوات ١٩٧٠ ـ ١٩٧٧ (بالألف)(٢٨)

السنة	مجموع القوة العاملة	في الضفة الغربية	نسبة العاملين في الصناعة من العاملين في الضفة	العاملون في اسرائيل
١٩٧٠	١١٨,٤	٩٩,٨	١٤,٦	١٤,٧
١٩٧١	١١٩,٧	٩١,٢	١٤,٧	٢٥,٦
١٩٧٢	١٢٦,٦	٩٠,٣	١٤,٦	٣٤,٩
١٩٧٣	١٢٧,٧	٨٧,٨	١٦,٤	٣٨,٦
١٩٧٤	١٣٩,٠	٩٥,٠	١٥,١	٤٢,٤
١٩٧٥	١٣٣,٩	٩١,٩	١٥,٨	٤٠,٤
١٩٧٦	١٣١,٣	٩٢,٦	١٤,٩	٣٧,١
١٩٧٧	١٢٨,٨	٩١,٩	١٥,١	٣٥,٥
١٩٧٨	١٣٢,٩	٩٨,٩	ـــ	٣٧,٠

ورغم ثبات هذه النسبة تقريباً ، فان النقص واضح في مجموع العاملين في الصناعة ، خاصة بعد ١٩٧٣ . وهذا لا يتناسب مع حجم الارتفاع الحاصل في عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل . ومنذ ١٩٧٦ ، انخفض عدد العاملين في الصناعة بشكل واضح ، من غير أن يرافق ذلك زيادة في عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل ، مما يشير الى وجود هجرة اضطرارية في تلك الفترة . ورغم تحفظنا على الأرقام الاسرائيلية ، من حيث أنها اقل مما هي في الواقع(٢٩) ، الا انها تعطي صورة عن استمرارية الهجرة التي بدأت منذ الحاق الضفة الغربية بالنظام الهاشمي. ويبين الجدول رقم ٥ ان عدد العاملين في الصناعة في الضفة الغربية ظل تقريبا دون تغيير حتى ١٩٧٣ ، ، حيث بلغ ١٤,٣٩٩ عاملا ، بعد ان كان ١٤,٦٢٩ عاملا في ١٩٧٠ . ورغم ان العدد ارتفع في العام ١٩٧٥ الى حوالى ١٦,٠٠٠ عامل ، فانه ما لبث ان انخفض في العام ١٩٧٧ ، الى ١٣,٨٧٧ عاملا . وهذا الرقم أقل مما هو حقيقة ، حيث حصل تطور بسيط في عدد الشركات ، وان لم تحصل زيادة مهمة في عدد العاملين داخل المصانع ، الا انه لم يحصل انخفاض ، كما يشير الرقم المذكور اعلاه . فقد كان عدد الشركات الصناعية المنشأة قبل الاحتلال ، ٥٦ شركة ، وأصبح عددها في العام ١٩٧٨ ، من غير مدينة القدس ، ٨٠ شركة"٣٠" . الا ان الطابع الحرفي ظل هو الغالب على قطاع الصناعة كما يتبين

من المقارنة بين الجدولين ٦ و ٧ . وقد كان عدد المؤسسات في الضفة الغربية في بداية الاحتلال ٢٩٩٩ مؤسسة تضم ١٧.٣٢ عاملا ، يعمل حوالي ٦٠٪ منهم باجر . ويبين الجدول رقم ٧ ، ان هذه النسبة لم تتغير تقريبا في العام ١٩٧٧ . كما يتضح من الجدول رقم ٨ ، ان ٩٢,٧٪ من المؤسسات في فرع الصناعة التحويلية يستخدم أقل من ١٠ عمال . وهذا يعني ان هناك ١٨٨ مؤسسة تضم ١٠ عمال فاكثر في هذا الفرع للعام ١٩٧٨ . وهذا يزيد بمقدار ٢٨ مؤسسة عما كان عليه الوضع في العام ١٩٦٩ ، حيث بلغ مجموع مثل هذه المؤسسات في الفرع المذكور ، كما يبين الجدول رقم ٩ ، ما يعادل ١٥٥ مؤسسة ، باعتبار ان فرع الكسارات يضم ٨٥ مؤسسة . ولا يزيد عدد المؤسسات التي تضم ١٠٠ عامل فاكثر عن ٧ ، مما يدل على الطابع الحرفي للصناعة . ويفضل اصحاب المصانع استخدام عدد قليل من العمال ، حتى لا يشملهم قانون العمل الاردني الذي لا يزال ساري المفعول في الضفة الغربية ، وينطبق فقط على المؤسسات التي تستخدم ٥ عمال فاكثر (٣١) .

الجدول رقم ٦

توزيع المؤسسات والعاملين في فروع الصناعة المختلفة في العام ١٩٦٩

نوع الصناعة	عدد المؤسسات (٣٢)	عدد العمال (٣٣)	عدد المستخدمين (٣٤)
الكسارات	١١٠	١٧٢٥	١٦٦٢
المواد الغذائية	١٠٥٠	٥٠١٣	٢٩٨٣
المشروبات	٥	١٢٦	١٠١
التبغ والسجائر	٢	٢٢٢	٢١٥
النسيج والتريكو	٥٣	٦٨٥	٤٨٢
الملابس والخياطة	٤٢١	١٤٦٥	٢٨٢
الاحذية	٤٦٣	٩٤٤	٩٦٤
الخشب والفلين	١٩	١٨٠	٨٢
الاثاث والمفروشات	٧٤٦	١٨٩٢	٧٠٨
الورق ومنتجاته	٧	١٠١	٨٧
الطباعة والنشر	٣٨	٤٧٢	٢٤٠
الجلود ومنتجاتها	٣٥	٧٣	٤١
منتجات المطاط	٢٤	٥٣	٣٥
المنتجات الكيماوية	٤٢	٨٥٢	٦٩٥
المنتجات غير المعدنية	٣٢	٥٢٣	٥١١
المنتجات المعدنية	٤٩٥	١٤٩٣	٧٢٤
آلات غير كهربائية	١	١٦	٩
آلات وأدوات كهربائية	٩٣	١٢٣	٩٥
معدات نقل	٢٠٢	٤٣٦	٢١٥
متنوعة	١٧١	٦١٨	٢٢٧
مجموع	٢٩٩٩	١٧٠٣٢	١٠٢٧٥

الجدول رقم ٧

توزع العاملين في فروع الصناعة التحويلية
للعام ١٩٧٧ "٣٥"

نوع الصناعة	عدد العمال	عدد المستخدمين
مواد غذائية ومشروبات ودخان	١٤٢٧	١٠٢٩
ملابس ونسيج وخياطة	٢٢٠٨	١٥٠٢
جلود ومنتجاتها	٦٩٦	٢٥٥
خشب ومنتجاته	١١٦٠	٤٢٧
مطاط وبلاستيك ومواد كيماوية	٦٨٨	٦١٦
منتجات غير معدنية	٦٦٣	٤٤٩
منتجات معدنية	١٣١٤	٦٠٢
منتجات صناعية اخرى	٨٩٨	٥٥٠
مجموع	٩٠٦٤	٥٤٥٠

ورغم ان الجدول رقم ٨ يشير الى أن مجموع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية يعادل ٢٥٨٧ مؤسسة ، أي بنقص يعادل ١٤١٢ مؤسسة عنه في بداية الاحتلال ، فان هذا النقص ناتج اساسا عن عدم تضمين منشآت فرع المقالع والكسارات بالاضافة الى تغييب مؤسسات مدينة القدس . فمن اصل ٢٥٨٧ منشأة صناعية في الضفة الغربية ، يوجد ٢٩,٨٪ كراجات ومحلات حدادة ، و١٦,٧٪ محلات نجارة ، و ١٢,٩٪ خياطة وتريكو ، و ١٤,٣٪ معامل بلاط ومناشر حجر ، و ١٢,٢٪ محلات لصناعة الاحذية والمنتجات الجلدية ، و ١٣,١ مؤسسات من أنواع أخرى(٣٦) .

الجدول رقم ٨

توزع المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية بحسب
حجم طاقتها العمالية للعام ١٩٧٨(٣٧)

عدد العمال في المؤسسة	عدد المؤسسات الصناعية	النسبة المئوية
١ ــ ٩	٢٢٩٩	٩٢,٧٪
١٠ ــ١٩	١١٤	٤,٤٪
٢٠ ــ٤٥	٦٠	٢,٣٪
٥٠ ــ٩٩	٧	٠,٣٪
١٠٠ ــ وما فوق	٧	٠,٣٪
المجموع	٢٥٨٧	١٠٠,٠٪

الكسارات والمقالع : استوعب هذا الفرع اكثر من ١٠٪ من مجموع العاملين قبل العام ١٩٦٧ ، لكنه تراجع الى النصف تقريبا بعد الاحتلال مباشرة(٣٨) . الا أنه ما لبث ان عاد الى ما كان عليه في فترة قصيرة . وقد حصل تطور واضح في عدد العاملين في هذا الفرع ، فبعد ان كان العدد في بداية الاحتلال يعادل ١٧٢٥ عاملا ، كما يبين الجدول رقم ٦ ، اصبح في العام ١٩٧٧ ، ٤٨١٢ عاملا(٣٩) . اي حوالى ٣٥٪ من مجموع العاملين في الصناعة . وترتفع نسبة العاملين بأجر ، كما يرتفع متوسط العمالة في هذا الفرع ، حيث يضم اكثر من ثلث المؤسسات التي تشغل ١٠ عمال فأكثر ، كما يبين الجدول رقم ٩ ، وتعتبر هذه الصناعة الاستخراجية من الصناعات المهمة في الضفة الغربية حيث تتوفر محاجر ضخمة ، خاصة في بيت لحم ، والخليل ، وبطا ،وبيت فجار ، ورام الله ، وقباطية ، وجماعين . ويعود السبب في ازدهارها ، الى نمو حركة البناء في الضفة الغربية وفي اسرائيل ، بالاضافة الى توفر امكانية تصدير حجر البناء للخارج .

ويمكن لهذا الفرع ان يتطور وان ينمو ، خاصة وأنه بالاضافة الى توفر المادة الخام في الضفة الغربية ، فان هذه الصناعة الاستخراجية في اسرائيل تعتبر من أقل الفروع استخداما للقوة العاملة ، حيث لا يتجاوز عدد العاملين فيه عن ٥٠٠٠ عامل يتوزعون على أقل من ٦٠ مؤسسة .

الجدول رقم ٩

توزع العاملين في المؤسسات التي تضم ١٠ عمال فأكثر
في بداية الاحتلال(٤٠) ١٩٦٩

	عدد المؤسسات	عدد العاملين
الكسارات	٨٥	١٥٦٢
المواد الغذائية	٣١	٧٦٣
المشروبات	٤	١٢٦
التبغ والسجائر	٣	٢٢٩
النسيج والتريكو	١٩	٥١١
الملابس والخياطة	٥	٦٢
الاحذية	٨	١٢٦
الاثاث والمفروشات	١٠	٢١٥
الورق ومنتجاته	٢	٦٨
الطباعة والنشر	١٨	٣٧٠
المنتجات الكيماوية	١٩	٧٤٨
المنتجات غير المعدنية	١٤	١٩٨
المنتجات المعدنية	١٣	٢٤٩
معدات نقل	٢	٩٨
متنوعة	٢	١٢٠
مجموع	٢٣٥	٥٤٤٥

المواد الغذائية والمشروبات والدخان : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان هناك نقصا في عدد العاملين في هذه الفروع . فبينما كانت صناعة المواد الغذائية تضم في بداية الاحتلال حوالى ٢٩٪ من عدد العاملين في الصناعة ، انخفضت هذه النسبة بشكل واضح في سنة ١٩٧٧. ويرجع احد اسباب هذا الانخفاض الى سوء موسم الزيتون في ذلك العام ، حيث يعمل في صناعة زيت الزيتون حوالى نصف العاملين في الصناعة الغذائية . ويبين الجدول رقم ١٠ ، التذبذب الحاصل في هذه الصناعة ، نتيجة لموسمية الانتاج . ويعود السبب الاساسي في الانخفاض الذي يظهره الجدول رقم ٧ ، الى عدم افصاح بعض اصحاب المصانع عن العدد الحقيقي للعمال ، او التهرب من تسجيل بعض المصانع رسميا ، خاصة الصغيرة منها ، كالمطاحن والمخابز ومعامل الحلويات التي تتميز بتدني متوسط العمالة فيها. ومن مقارنة عدد المستخدمين لمجموع العاملين في الجدولين ٦ و ٧ ، يتضح ارتفاع نسبتهم في سنة ١٩٧٧ ، حيث ارتفعت من حوالى ٥٠٪ في بداية الاحتلال الى ٧٢٪ في العام المذكور . وقد ضم هذا الفرع في بداية الاحتلال ، حوالى ٣٠٪ من مجموع العاملين في الصناعة يتوزعون على اكثر من الف مؤسسة . الا انه حصل انخفاض في عدد العاملين في العام ١٩٧٧ ، حيث بلغت نسبتهم من مجموع العاملين ١٥,٨٪ فقط . وقد ساهم صغر حجم هذه المؤسسات في عدم قدرتها على الصمود أمام المنافسة الاسرائيلية حيث لم، يتجاوز عدد المؤسسات التي تضم ١٠ عمال فأكثر ٣١ مؤسسة في العام ١٩٦٩ ، كما يبين الجدول رقم ٧ . كما ان هذا التدهور في هذا الفرع عائد الى اضعاف الزراعة من قبل السلطات الاسرائيلية ، والتي تعتمد عليها هذه الصناعة . فقد سعت هذه السلطات الى مصادرة وحجز الكثير من الاراضي الصالحة للزراعة بحجة استخدامها لاغراض عسكرية او استيطانية ، كما حرمت الكثير من هذه الاراضي من موارد المياه التي تستفيد منها . بالاضافة الى المنافسة غير المتكافئة للانتاج الزراعي في الضفة الغربية مع الشركات الاسرائيلية ، الأمر الذي دفع الكثير من العاملين في الزراعة للتوجه نحو العمل المأجور في اسرائيل . وليس غريبا ان ينخفض عدد العاملين في قطاع الزراعة الى النصف بعد عشر سنوات من الاحتلال .

الجدول رقم ١٠

تطور المعاصر وعدد العاملين فيها[٤١]

السنة	عدد المؤسسات	عدد العاملين
١٩٦٧ ـ ١٩٦٨	٢٥٧	٢٤٤٨
١٩٧٢ ـ ١٩٧٢	١٧٢	١٠٨٨
١٩٧٣ ـ ١٩٧٤	٢٩٤	٣٠٨٧
١٩٧٤ ـ ١٩٧٥	١٠٢	٦٢٣
١٩٧٥ ـ ١٩٧٦	٢٥٠	٢٣٣٥
١٩٧٦ ـ ١٩٧٧	١٧٥	٩٦٤

ورغم عدم قدرة المنشآت الصناعية في فرع المواد الغذائية على منافسة مؤسسة تنوفا

الاسرائيلية التي يملكها الهستدروت وتحتكر توزيع المنتجات الزراعية ، فقد استطاعت الصناعات التي يتم تسويق انتاجها الى شرقي الارن ، من الصمود والاستمرار . ومن أهم المؤسسات التي تضررت مصنع الجبشة للشوكولاته ، الذي توقف عن العمل منذ بداية الاحتلال ، ولم يفتح ثانية الا في اوائل تموز سنة ١٩٧٨ ، ويعمل فيه حاليا ١٥ عاملا ، بعد ان كان فيه قبل الاحتلال ٤٠ عاملا ، كما حصل تراجع في شركة الصناعات الزراعية ، وذلك بسبب عقبات التصدير للأردن ، فلم يبق في مصنعي البندورة والزيوت التابعين لهذه الشركة سوى خمسة عمال ، بعد ان كان قبل العام ١٩٦٧ يزيد عن ١٥ عاملا .

ويعود اضعاف صناعة المواد الغذائية الى فترة ما قبل الاحتلال، حيث قامت السلطات الاردنية بتشجيع انشاء صناعات مماثلة في الضفة الشرقية ، فمثلا ، تم تأسيس ، الشركة العربية المحدودة في ماركا لانتاج رب البندورة والمربيات والخضار المعلبة . كما تأسست شركتان في عمان لانتاج اصناف مماثلة لشركة سلفانا ، هما شركة مصنع فينوس ، ومصنع شوكولاته مترو[٤٢] . وقد ادى عدم تشجيع استثمار رؤوس الاموال في الضفة الغربية ، الى بقاء المنشآت في هذا الفرع صغيرة ومعرضة للتوقف ، رغم انها تشكل ثلث المؤسسات الصناعية عامة .

وقد انشئت مؤسسات غذائية قليلة بعد الاحتلال، الا أنها اعتمدت على المكننة ، تجنبا لاستخدام الايدي العاملة . فمثلا ، اقيم مصنع خليل الرحمن للمعكرونة في العام ١٩٧٥ ، ومصنع الاصدقاء للبسكوت ، ومصنع تشميع الحمضيات في العام ١٩٧٨ . كما بنيت ٤٠ معصرة تميزت عشرة منها بكونها اوتوماتيكية[٤٣] . ومن الجدير بالذكر ان المنشآت الجديدة التي تنتج اصنافا مماثلة لما تسوقه الشركات الاسرائيلية في الضفة الغربية ، لا يكتب لها النجاح والاستمرار ، كما هو الحال في مصنع انتاج الجبنة القشقوان في بيت ساحور . الذي لم يستمر اكثر من ستة اشهر . ويبين الجدول رقم ١١ اهم المؤسسات الغذائية من حيث عدد العمال ، ومن الواضح ان معظمها كان قائما قبل الاحتلال ، ويبلغ مجموع العاملين فيها حوالي ٦٠٠ مستخدم ، مما يشير الى عدم دقة الاحصاء الاسرائيلي لعدد العاملين في هذا الفرع . حيث يزيد عدد العاملين في المعاصر المبينة في الجدول رقم ١٠ ، وفي المنشآت المذكورة في الجدول رقم ١١ عن العدد المذكور لمجموع المنشآت في فرع المواد الغذائية والمشروبات والدخان معا في الجدول رقم ٧ .

ولم يجر تغير كبير على صناعة المشروبات في الضفة الغربية ، حيث استمرت المصانع التي قامت قبل الاحتلال ، واهمها . مصنع صابات للكحول ، وشركة ساحوري وحنظل في بيت لحم ، ومصنع كريمزان في بيت جالا ، ومصنع عرق رام الله .

الجدول رقم ١١
اهم المؤسسات الغذائية وتوزيعها في الضفة الغربية
للعام ١٩٧٩

اسم المؤسسة	المكان	عدد العمال
شركة الزيوت النباتية	نابلس	٢٨٠
شركة مصانع سلفانا للشوكولاته والحلويات	رام الله	١٢٠
شركة معكرونة الغزال	بيت لحم	٤٠
الشركة الوطنية للمواد الغذائية	بيت لحم	١٢
مؤسسة مخبز شحادة الحديث	بيت جالا	٣٢
مصنع الجبشة للشوكولاته	بيت حنينا	١٥
مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	الخليل	٤
شركة الصناعات الزراعية (زيوت ، بندورة)	الخليل	٥
مصنع الاصدقاء للبسكوت	البيره	٦٠
مصنع تشميع الحمضيات	قلقيلية	٢٠
المجموع		٥٨٨

اما صناعة التبغ والسجائر فتتميز باعتمادها على الطرق والوسائل التقنية الحديثة . وقد تطورت شركة القدس المساهمة المحدودة ،فبعدان كانت تضم قبل الاحتلال ٣٥ عاملا ، ارتفع عدد عمالها . في العام ١٩٧٩ الى ١٢٥ عاملا . كما انشئت شركة السجائر العالمية في بيت جالا في العام ١٩٧٤ وتضم حاليا ٢٤ عاملا .

ويعتبر انشاء اية مؤسسات في فرع الصناعة الغذائية والمشروبات والدخان مهدداً بالتوقف او التدهور ، وذلك بسبب تطور الصناعة الاسرائيلية في هذا المجال ، فهناك ١٠٥٢ مؤسسة صناعية في هذا الفرع فقط تضم ٤١ ألف عامل(٤٤) ، أي ما متوسطه ٣٩ عاملا . وهـذا يعادل ثمانية اضعاف المعدل في الضفة الغربية . مما يجعل استمرار اية مؤسسة جديدة محكوم بقدرتها على الوقوف امام المنافسة غير المتكافئة مع الصناعة الاسرائيلية

الملابس والنسيج والخياطة : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان هناك ارتفاعا بسيطا في عدد العاملين في هذه الفروع منذ بداية الاحتلال وحتى سنة ١٩٧٧ ، ولكن الزيادة الحقيقية اكثر من ذلك بكثير ، لان غالبية العاملين في هذه الصناعة هم من الاناث ، ويزاولن العمل عادة في المنازل . وتميز هذا الفرع بتدني متوسط العمالة فيه (٤,٥)،وبانخفاض نسبة العاملين بأجر في بداية الاحتلال ، خاصة في فرعي الملابس والخياطة . مما يشير الى ان الغالبية كانت ممن يعملون اما لانفسهم اوللأسرة . ولم يتجاوز عدد المؤسسات التي ضمت ١٠ عمال فاكثر ، ٢٥ مؤسسة في العام ١٩٦٩ ، كما يبين الجدول رقم ٩ .

وقد حدثت تغييرات هامة في هذا الفرع بشكل خاص نتيجة لحاجات الشركات الاسرائيلية للأيدي العاملة الرخيصة المتوفرة في الضفة الغربية ، حيث تحول كثير من المصانع للعمل

لصالح شركات آتا ، وركس وبربير وايلاستكس وغيرها ، والتي تتنافس فيما بينها على عرض شروط مالية مغرية للعاملين العرب . ونتيجة لذلك ، فقد توقفت معظم المصانع في هذا الفرع عن العمل بشكل مستقل باستثناء المنشآت الكبيرة . وتعمل مصانع هذا الفرع بكامل طاقتها الانتاجية ، وهذا عائد الى سد حاجة السوق الاسرائيلية من الثياب . وقد نمت هذه الصناعة بمعدلات مرتفعة جدا ، خاصة الأصناف التي تحتاج الى ايد عاملة كثيفة . ويبين الجدول رقم ١٢ أن هذه المصانع تتركز في منطقتي الخليل وبيت لحم . وهناك شبه تخصص لكل منطقة في انتاج صنف معين ، فمثلا ، تتميز بيت ساحور في صناعة التريكو ، والخليل في النسيج ، وبيت لحم في المناشف ، اما بيت جالا ففي انتاج الجوارب والألبسة .

والى جانب المصانع المذكورة في الجدول ، هناك الكثير من المشاغل الصغيرة والتي لا يتجاوز عدد عمالها خمسة في الغالب . ففي الخليل ، مثلا ، يوجد ١٦ مصنعا للنسيج يعمل اصحابها لصالح المصانع الأربع الوارد ذكرها في الجدول رقم ١٢ . ونظرا للطبيعة الحرفية لهذه الصناعة ، فان بعض العاملين بعد اتقان المهنة ، يعملون لحسابهم الخاص .

وتحتل صناعة النسيج والخياطة أهمية خاصة في الضفة الغربية ، اذ انها تشكل اكثر من نصف المنشآت المسجلة في المجالس البلدية . ويبين الجدول رقم ١٣ ، ان هناك ٢٠ مصنعا في هذا الفرع مسجلة في البلدية من مجموع ٣٥ مصنعا . وفي بيت جالا ، ١٠ من مجموع ١٧ ، وفي بيت لحم ٧ من مجموع ١٢ منشأة . ويفوق عدد العاملين خارج هذه المصانع ضعفي العاملين داخلها . وذلك لأن الأجور المدفوعة في الحالة الأولى ، أقل بكثير . كما يفضل ارباب العمل ، التعامل على اساس القطعة . وهذا الوضع يناسب وضع المرأة التي تفضل عدم التقيد بدوام يوا مي ثابت . وتقوم الشركات الاسرائيلية ، والمصانع العربية ، بالاضافة الى افراد محليين بتوزيع الخيوط والأقمشة على العاملين في المنازل . اذ يصبح استخدام الأيدي العاملة من النساء اكثر سهولة . ولذلك فان الزيادة الفعلية في هذا الفرع هي من الاناث ، رغم عدم ظهورها في الجدول رقم ٧ . وهذا النمو لا يعبر عن تطور حقيقي في بنية هذا الفرع بقدر ما يعبر عن مقدار ما تجنيه الشركات والمصانع الاسرائيلية من أرباح . فهي تؤمن يدا عاملة غير متوفرة لديها بأجر أقل . وفي نفس الوقت تستطيع التحايل على دفع المستحقات من الضرائب ، باخفاء موجوداتها ومبيعاتها الحقيقية ، بالاضافة الى التحرر من دفع تعويضات التأمين ونهاية الخدمة للعمال العرب . ويعتبر هذا الفرع من أهم فروع الصناعة في اسرائيل حيث ضم ٥١ الف عامل في العام ١٩٧٧ ؛ اي ما يعادل ٢٠٪ من مجموع العاملين في الصناعة يتوزعون على ٢١٢٣ مؤسسة[٤٥] ، يعمل ٤٣,٥ الف عامل منهم في ٥٨٪ من هذه المؤسسات[٤٦] . وهذا يشير الى ان متوسط العمالة في هذا الفرع في اسرائيل يزيد عن خمسة أضعاف المعدل في الضفة الغربية . اي ان هذه الصناعة في وضع افضل بكثير من حيث كثافة رأس المال وحجم الاستخدام . الا ان النقص في الايدي العاملة يكره هذه المؤسسات في اغلب الاحيان للتوجه للعمال العرب في المناطق المحتلة .

وقد تضررت بعض مصانع الضفة الغربية التي تنتج اصنافا مماثلة للمنتوجات الاسرائيلية ، لعدم قدرتها على المنافسة . مثل مصنع حزبون للنسيج وشركة جودة السوادي للتريكو في بيت لحم ، ومصنع نخلة القطان للكلسات في بيت جالا .

وقد حصل تراجع بسيط في صناعة النسيج والخياطة في السنتين الاخيرتين وخاصة في

الاعداد العاملة في المنازل ، حيث ازداد عدد النساء اللواتي يتوجهن للعمل في المصانع الاسرائيلية بسبب ارتفاع الأجور هناك مقارنة بما يدفع لهن في الضفة الغربية .

ومن الجدير بالذكر ان هناك صناعة مهمة تشتهر فيها القرى الفلسطينية وهي التطريز الشعبي الذي تتميز به منطقة رام الله ، وتطريز القصب السياحي والكروشيه الذي تتميز به قرى منطقة بيت لحم .

الجدول رقم ١٢

أهم المؤسسات في فرع الملابس والخياطة والنسيج وتوزيعها
من حيث عدد العمال حتى العام ١٩٧٩

المؤسســة	المكــان	عدد العمال	سنة التاسيس
شركة مصانع العشي للنسيج	الخليل	٨٠	١٩٧٢
مصنع الاقصى للنسيج (شاور)	الخليل	٤٠	١٩٤٤
مصنع المناشف	الخليل	١٦	١٩٧٨
شركة سنقرط للنسيج	الخليل	١٥	١٩٧٥
مصنع نسيج كمال بالي	الخليل	٢٠	١٩٧٥
مصنع الألبسة الداخلية	بيت جالا	١٢٠	١٩٧٥
شركة النسيج الوطنية	بيت جالا	٧٠	١٩٥٣
مصنع عودة صلاح	بيت جالا	٤٠	١٩٥٣
شركة اربي جي للسنيج	بيت جالا	٢٥	١٩٦٦
مصنع قمصيةللنسيج والخياطة	بيت ساحور	٣٥	١٩٦٨
مصنع نجيب ناصر للنسيج	بيت لحم	٥٠	١٩٣٧
مصنع اسكندر قمر للنسيج	بيت لحم	١٦	١٩٥٦
مصنع سليم ناصر للمناشف	بيت لحم	٤٠	١٩٦٥

الجدول رقم ١٣

مؤسسات النسيج والخياطة والتريكو حسب المناطق المهمة بالضفة الغربية للعام ١٩٧٩

بيت ساحور	الخليل	بيت لحم	بيت جالا
مصنع نسيج وخياطة سابا قمصية	مصنع نسيج كمال بالي	سركة نجيب سليم ناصر (مراويل ومناشف)	مصنع انطوان جر للجوارب
مصنع نسيج الراعي	مصنع نسيج فايز عتمان الناظر	مصنع تريكو اسحق عبد المجيد	مصنع توفيق صنصور للجوارب
مصنع عانم للخياطة	مصنع نسيج احمد العشي واولاده	شركة جودة السوادي للتريكو	مصنع جريس صنصور للجوارب
مصنع نسيج رشماوي	مصنع نسيج ابرهيم ابو ستيتية وشركاه	سركةتريكو سمور للنسيج	مصنع نخلة القطان للجوارب
مصنع نسيج الاتحاد النسائي	مصنع نسيج سنقرط دهمان واستاد	مصنع سليم ناصر للأقمشة والمناشف	مصنع شركة النسيج الوطنية للألبسة الداخلية
	مصنع نسيج مصباح ابو شرخ	مصنع نسيج اسكندر انطوان قمر	مصنع جريس العرجا للالبسة
	مصنع نسيج عتمان الناظر	مصنع حنا ناصر للمناشف	مصنع سابا الهودلي للالبسة
	مصنع نسيج صبحي احمد طباره		مصنع نصري موسى للألبسة
	مصنع نسيج عبد الجواد اسحق مسودة		مصنع روكي ابو سعدى للألبسة
	مصنع نسيج سعدي اسعد شاور		مصنع اندون ابو نهد للاصواف
	مصنع نسيج محمود شحدة الزين		
	مصنع نسيج عبد الغني مسودة		
	مصنع نسيج عدنان عزات ادعيبس		
	مصنع نسيج صالح الجعبري		
	مصنع نسيج ياسر محمد الحرباوي		
	مصنع نسيج فايز المحاريق		
	مصنع نسيج عبد الرؤوف شاور		
	مصنع نسيج حسين ابراهيم الترساتي		

الجلود ومنتجاتها : يتضح من الجدول رقم ٩ ، انه لم تكن هناك أية مؤسسة كبيرة في هذا الفرع . اما صناعة الاحذية فتشمل ٨ مؤسسات تضم ١٠ عمال فأكثر . ويبلغ مجموع مؤسسات فرع الجلود ، كما يبين الجدول رقم ٦ ، ٣٥ مؤسسة يعمل بها ٧٢ عاملا . اما صناعة الأحذية فتضم ٤٦٢ مؤسسة يعمل بها ٩٤٤ عاملا ، مما يشير الى مقدار تدني متوسط العمالة في هذا الفرع .

وفي العام ١٩٧٧ ، اصبح مجموع العاملين ، كما يبين الجدول رقم ٧ ، ٦٩٦ عاملا ، يعمل حوالى ٣٧٪ منهم بأجور ، مما يدل على استمرار الطابع الحرفي لهذه الصناعة ، ولا يبين الاحصاء الاسرائيلي عدد هذه المؤسسات ، ولكن مشاغل الاحذية القائمة في مدينة الخليل فقط تزيد على ٢٦٠ مشغلا ، ومثل هذا العدد تقريبا موجود في مدينة القدس . وعدا عن ذلك توجد بعض المشاغل الصغيرة التي لا يتجاوز عددها ٥٠ مشغلا تتوزع في مختلف انحاء الضفة الغربية .

ولم تتطور هذه الصناعة بسبب منافسة الجلود المستوردة عن طريق اسرائيل للجلود المحلية ، كما ان هذه المشاغل تضررت بشكل خاص نتيجة للضرائب التي فرضتها السلطات الاسرائيلية ، بسبب صغر حجمها مما دفعها الى الاضراب احتجاجا[٤٧] .

ويبلغ عدد مصانع الدباغة المهمة ست مصانع يوجد منها خمسة في مدينة الخليل فقط ، وواحد في رام الله ، وهذه الصناعة مقتصرة على عدد معين من العائلات ، وذات طابع حرفي متوارث ويعمل عادة في هذه المصانع افراد العائلة نفسها ، واذا لزم الامر ، فيستخدم الاطفال دون سن الخامسة عشرة؛ كما هو الحال في مصنعي خالد الزعتري واولاده ، وشمس الدين الزعتري وأولاده . وهناك ثلاثة مصانع للحقائب الجلدية ، في الخليل ، اهمها مصنع ابراهيم خالد النتشة . وعدا عن ذلك لم تنشأ في الضفة الغربية اية مصانع مهمة في هذا النوع .

الخشب ومنتجاته : تتميز هذه الصناعة ايضا بتدني عدد العاملين فيها ، حيث بلغ متوسط العمالة في صناعة الخشب والفلين ٤,٦ ، وفي الاثاث والمفروشات ٢,٥ مستخدما للمؤسسة . ولا توجد اية مؤسسات تضم ١٠ عمال فأكثر في الاولى ، كما لا يزيد عدد مثل هذه المؤسسات عن ١٠ مؤسسات في الثانية ، كما يبين الجدول رقم ٩ . وقد كان عدد العاملين في هذا الفرع ٢٠٧٢ عاملا في العام ١٩٦٩ ، كان ٣٨٪ منهم يعمل بأجر ، كما يظهر من الجدول رقم ٦ . ويبين الجدول رقم ٧ ، ان هذه النسبة بقيت ثابتة في العام ١٩٧٧ . وهذا صحيح فيما يتعلق بالمصانع نفسها ، اما خارج اطار هذه المصانع ، فقد استفادت صناعة الاثاث الاسرائيلية من الأجور المتخفضة في الضفة الغربية . مما ادى الى تحول معظم المشاغل الصغيرة والنجارين للعمل لصالح الشركات الاسرائيلية . وتحول بعض اصحاب المشاغل الى وكلاء لتوزيع الخشب . وهذا مشابه للظروف التي عانت منها صناعة النسيج في الضفة الغربية . فتراجع الكثير من المصانع نتيجة للمنافسة وضيق السوق ، بالاضافة الى النقص في عدد العمال الفنيين بمقابل ارتفاع عدد الحرفيين من النجارين ، وقد توقفت بعض المصانع عن انتاج الموبيليا وتحولت الى انتاج اكثر ربحا . فمثلا ، انخفض عدد عمال معامل السراير الوطني لصاحبه عيسى البندك في بيت لحم من ١٠٠ عامل الى النصف تقريبا ، وتحولت شركة

رباح للموبيليا في رام الله الى انتاج الاسفنج وفرشات الرفاص بعد ان كانت تضم ٨٠ عاملا قبل العام ١٩٦٧ ، ولم يزد عدد عمالها عن ١٥ عاملا في اوائل ١٩٧٩ . وانخفض عدد عمال شركة مصانع معايعة للموبيليا في رام الله من ١٢٠ عاملا قبل الاحتلال الى ١٦ عاملا في منتصف سنة ١٩٧٩ . وهناك توجه من قبل الشركة الى تحويل المصنع لانتاج صنف آخر بسبب تدني انتاجيته الحالية حيث لا تتجاوز ١٥٪ من قدراته . وهذه المصانع لا تعمل بكامل طاقتها الانتاجية ، حيث تقوم في الغالب بتلبية ما تتطلبه السوق المحلية .

وقد نشطت صناعة خشب الزيتون الزخرفية في الضفة الغربية ، بسبب توفر خشب الزيتون الضروري لهذه الصناعة . ومعظم هذه المصانع تضم ٢ ــ ٥ عمال في الغالب . ويتوزع العاملون على اكثر من ١٠٠ مشغل ، حوالى نصفها في مدينة بيت لحم ، و ٤٠ منها في بيت ساحور ، وما تبقى فهو في بيت جالا . ومن الجدير بالذكر ان هذه المشاغل لا تعاني من المنافسة بسبب توفر امكانية التسويق ، كما ان كل مدينة تتخصص في انتاج اصناف معينة . فمثلا تتميز بيت جالا بانتاج الحيوانات الخشبية ، وبيت ساحور بانتاج التماثيل الشخصية . اما بيت لحم فتنتج الادوات التي تعتمد على المخارط اكثر من المهارة اليدوية . ويقدر عدد العاملين في هذا النوع من الصناعة بحوالى ١١٦٠ عاملا . وهذا يزيد عن عدد العاملين في هذا الفرع كما يبين الجدول رقم ٧ .

المطاط والبلاستيك والمنتجات الكيماوية : يبين الجدول رقم ٦ ضعف هذه الصناعات في بداية الاحتلال . وهذا راجع اساسا الى محاولة النظام الهاشمي ، عرقلة انشاء مصانع في هذه الفروع ، في الضفة الغربية . فقد بلغ عدد العاملين في هذه الصناعة في بداية الاحتلال ٩٠٥ عمال . ولم يكن مسجلا في غرفة صناعة عمان حتى العام ١٩٦٧ سوى ثلاث شركات فقط للمنتجات البلاستيكية(٤٨) ، وهي شركة البلاستيك الاردنية في بيت ساحور ، وكانت تضم ٣٠٠ عامل ، وشركة البلاستيك الاهلية ، وشركة بلاستيك الشرق في القدس ، حيث ضمت الأخيرة ٦٢ عاملا ، كما يوضح الجدول رقم ١٠ . وفي فترة الاحتلال الاسرائيلي ، انخفضت انتاجية هذه المصانع الى النصف تقريبا ، مما اثر على عدد العمال . ففي شركة البلاستيك الأردنية انخفض العدد الى ١٥٠ عاملا . وقد اضطر اصحاب هذا المصنع الى انشاء آخر مماثل في الضفة الشرقية لتجنب ارتفاع التكلفة في الاستيراد والتصدير والتخلص من المنافسة الاسرائيلية .

وقد أنشأت شركة ملحيس للصناعة والتجارة مصنعا للأحذية البلاستيكية في نابلس سنة ١٩٧١ . واستطاع هذا المصنع الاستمرار بسبب انتاجه لهذا الصنف من البلاستيك الذي لا تنتجه المصانع الاخرى في هذا الفرع . ويضم حاليا ١٠٠ عامل . ومن الملاحظ ان معظم مصانع انتاج البلاستيك تتخصص في أنواع معينة من المنتوجات ، مما يقلل من امكانية المنافسة فيما بينها . ولا توجد مصانع هامة في هذا الفرع ، باستثناء مصنع عابدين في بيت لحم الذي يضم ٣٠ عاملا ، ولا يتجاوز العدد في مصنعي رام الله والقدس خمسة عمال

اما مصانع الاسفنج فهي قليلة ولا تتعرض لمنافسة قوية . لذلك تحول مصنع رباح لانتاج الموبيليا الى انتاج ليف وفرشات الاسفنج ويضم حاليا ١٥ عاملا وفي رام الله مصنع اخر

للاسفنج هو مصنع موسى جميل ، كما تضم شركة البلاستيك الاردنية مصنعا لانتاج فرشات وليف الاسفنج يعمل فيه حوالي ٢٥ عاملا .

ولم تتطور صناعة المطاط في الضفة الغربية ، حيث كان هناك مصنع واحد في مدينة القدس نقل الى مدينة الخليل تحت اسم مصنع المطاط والسليسيون الحديث . ولا يعمل فيه سوى عاملين .

وهناك بعض مصانع الورق والكرتون واهمها مصنع اوهانسيان في رام الله ويضم حوالي ١٢٠ عاملا ، ومصنع لانتاج ظروف الورق في جنين لصاحبه نجيب صادق نجيب ومعمل الكرتون في الخليل لصاحبه محمد الحرباوي . بالاضافة الى توفر بعض المطابع ثلاث منها في رام الله ، وهي الرفيدي واوهانسيان وحديد . وفي نابلس ١٢ مطبعة اهمها شركة عبد الرحمن الحجاوي .

وتميزت صناعة الصابون كاهم انتاج كيماوي للضفة الغربية قبل الاحتلال ، وقامت هذه الصناعة تاريخيا في مدينة نابلس نتيجة لوفرة اشجار الزيتون هناك . وكان في هذه المدينة قبل الاحتلال ، ٢٨ مصبنة(٤٩) وصلت في العام ١٩٧٩ الى ٢٠ ، ويبين الجدول رقم ١٤ اهم هذه المصابن .

وتنتشر في الضفة الغربية ، بعض المعامل المتفرقة لانتاج الصابون ولكنها صغيرة . ففي الخليل ، تنتج شركة الصناعات الزراعية ، بالاضافة الى انتاجها من الزيوت ، الصابون . وفي منطقة رام الله هناك شركة الصناعات المتحدة للزيوت ، ومعامل رنتسيسي وسليمان . ومعظم هذه المصابن كان قائما قبل سنة ١٩٦٧

وقد برزت ، بعد الاحتلال ، صناعة المنتوجات الكيماوية . حيث انشئت على الاقل ١٠ مصانع لانتاج الادوية ، وعدد مماثل لانتاج الاعلاف وثلاثة مصانع لانتاج الصابون السائل . ويبين الجدول رقم ١٥ اهم هذه المؤسسات . كما يتضح ان مجموع العاملين في المؤسسات المذكورة يقارب ٦٠٠ عامل مما يشير الى عدم دقة الرقم المعطى في الجدول رقم ٧ والبالغ ٦٨٨ مؤسسة . فمن المفروض ان يضم هذا الرقم بالاضافة الى العاملين في هذه المؤسسات ، بقية العاملين في صناعة المنتوجات الكيماوية ، وصناعة المطاط ، والبلاستيك .

وترتفع نسبة العاملات في هذا الفرع خاصة في مصانع الادوية . وتعتبر الاجور المدفوعة من أقل ما يدفع للمستخدمين في فروع الصناعة المختلفة ، باعتبار ان هذه الصناعة لا تحتاج الى اية مهارات وهي قائمة على اساس الخلط والتعبئة .

الجدول رقم ١٤

اهم المصابن في مدينة نابلس في العام ١٩٧٩

شركة احمد الشكعة واولاده	شركة حافظ وعبد الفتاح طوقان
شركة الحاج طاهر المصري واولاده	شركة ربحي سلهب واخوانه
شركة فطاير وقمحية	شركة رنتيسي اخوان
شركة حسني عبد الحق	مصبنة الحاج ماجد النابلسي واولاده
مصبنة عمر ورشدي العالول	مصبنة حمدي كنعان
مصبنة انور كنعان	مصبنة سعيد كنعان
شركة السختيان	مصبنة عزمي عبد المجيد
مصبنة محمد حسني رضوان	مصبنة عثمان اطبيلة
مصبنة شفيق ابو زهرة	مصبنة عباس النابلسي .

الجدول رقم ١٥

أهم المؤسسات الكيماوية المنشاة بعد الاحتلال وتوزيعها في العام ١٩٧٩

المؤسسه	المكان	سنة التاسيس	عدد العمال
شركة المنتوجات الكيماوية	بيت ساحور	١٩٦٧	٢٠
شركة المصنع الكيماوي الاردني	بيت جالا	١٩٦٨	٢٥
مصنع شركة فلسطين للادوية	البيرة	١٩٦٩	٢٤
شركة فلسطين للأعلاف	البيرة	١٩٧٠	١٠
مصنع بلسم لصناعة الادوية	رام الله	١٩٧١	٤٠
مصنع اوهانسيان للورق والطباعة	رام الله	١٩٧١	١٢٠
شركة ملحيس للصناعة والتجارة	نابلس	١٩٧١	١٠٠
شركة السختيان اخوان	نابلس	١٩٧٢	٢٧
شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	نابلس	١٩٧٢	٥
مصانع شركة الصناعة العربية(ستار)	رام الله	١٩٧٢	٥٠
شركة دهانات يونفرسال	بيت جالا	١٩٧٢	٤
الشركة الشرقية الكيماوية	البيرة	١٩٧٣	٦
شركة بيرزيت لصناعة الادوية	بيرزيت	١٩٧٤	٤٠
الشركة العربية للأعلاف	البيرة	١٩٧٧	١٨
الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف	نابلس	١٩٧٧	١٠
شركة رباح لصناعة الأسفنج	رام الله	١٩٧٧	١٥
شركة القدس للمستحضرات الطبية	البيرة	١٩٧٨	٢٥
شركة جاما الكيماوية	رام الله	١٩٧٩	٥
مصنع الطزيز للقطرة	القدس	١٩٧٩	١٠

المنتجات غير المعدنية : كان لنمو حركة البناء دور في تطور صناعة الطوب والرخام والبلاط ومناشر الحجر ، رغم ان الزيادة الحقيقية لا تظهر بوضوح من مقارنة الجدولين ٦ و٧. وتنتشر هذه المعامل بكثرة في الضفة الغربية حيث يصل عددها الى ٢٧٠ منشأة . فعلى الاقل يوجد في رام الله ٧ مصانع للطوب والبلاط ، وفي البيرة ٥ ، وفي بيت لحم ، ٢ ، وبيت جالا ١ ، وفي نابلس ٣٢ ، وفي الخليل ٢١ ، وفي جنين ٦ . ويعتبر مصنع البلاط للضفتين في الخليل ، الذي تأسس سنة ١٩٧٦ من أضخم المصانع لانتاج البلاط . رغم ان عدد عماله لا يتجاوز ٩ عمال . ويشرع الان في انشاء مصنع للأسمنت سوف يستوعب ٤٠٠ عامل(٥٠) .

وتنتشر ايضا صناعة مناشر الحجر في انحاء الضفة الغربية . ففي رام الله يوجد ٤ ، وفي البيرة ٣ ، وفي بيت لحم ٢ ، وفي بيت جالا ١٥ ، وفي الخليل ٨ ، وفي نابلس يوجد حوالى ٤٩ معمل ما بين مناشر حجر وباطون . وتعتبر مصانع خليل البندك للحجارة والرخام في بيت جالا وبيت لحم من أهم وأحدث المصانع في الضفة الغربية وتضم ٨٠ عاملا تقريبا . ومن الملاحظ ان الكثير من مصانع مناشر الحجر يملكها نفس الاشخاص الذين يملكون مصانع الطوب والبلاط او اقرباؤهم . فعلى سبيل المثال ، يملك كل من عمر ابو شرخ ، ومحمود الصاحب ، وابو حمدية ، مصنعين في مدينة الخليل ، احدهما لمناشر الحجر وآخر للبلاط .

وتتركز صناعة الخزف والزجاج في مدينة الخليل ولكن عدد العمال في هذه المصانع محدود ، وهي كمصانع الجلود والدباغة متوارثة ابا عن جد ومحصورة في نطاق العائلة . وما زالت تعتمد على الوسائل البدائية في طريقة صنعها . ولا يتجاوز عدد مصانع الخزف في الضفة الغربية عشر مصانع منها ، تسعة في مدينة الخليل ومصنع السراميك للفخار في مدينة رام الله . اما صناعة الزجاج ، فلا يتعدى عدد المصانع فيها الخمسة. كما يبين الجدول رقم ١٦ اقتصار صناعة الزجاج على عائلة النتشة . وفي الغالب يتجنب صاحب المعمل استخدام عمال بأجر، وان اضطر الى ذلك فيستخدم من هم دون الخامسة عشر .

جدول رقم ١٦

مصانع الخزف والزجاج في مدينة الخليل

في العام ١٩٧٩

الخزف	الزجاج
مصنع سامي عبد الرحيم جلال	مصنع توفيق النتشه
مصنع عبد المهدي الجعبري	مصنع حامد النتشه
مصنع عيسى الشريف	مصنع فايز النتشه
مصنع عوض الفاخوري	مصنع سعدى النتشه
مصنع شوكت الفاخوري	مصنع خليل عبد الرحمن النتشه
مصنع برهان الجعبري	
مصنع عيسى شبانه	
مصنع رسمي جابر	
مصنع رجب الفاخوري	

وتشتهر منطقة بيت لحم تاريخيا بصناعة الصدف الزخرفية ، بسبب موقعها السياحي . ولكن هذه الصناعة تعرضت الى تراجع نتيجة لعدم توفر المادة الخام الضرورية . ويقدر عدد المؤسسات بأكثر من ٦٠ مشغل ، ٢٧ منها في بيت ساحور ، و ١٧ في بيت لحم . ويقدر عدد العاملين في هذه الصناعة بحوالى ٥٠٠ عامل ، وحوالى نصف هذا العدد فقط هم عاملون بأجر .

وبصورة عامة يستطيع هذا الفرع ان يتطور وينمو بسبب توفر المواد الاولية الضرورية لهذه الصناعة ، كما انه يستطيع الصمود امام المنافسة الاسرائيلية في حال توفر رأس المال اللازم والمعدات الحديثة كما هو الحال في مصنع البنك الذي مر ذكره اعلاه .

المنتجات المعدنية : يتبين من مقارنة الجدولين ٦ و ٧ ان عدد العاملين في هذه الصناعة لم يتغير كثيراً ، اذا ما اخذنا عدد العاملين في مدينة القدس ، بعين الاعتبار . فبعد ان كان عدد العاملين في هذا الفرع في بداية الاحتلال ١٤٩٢ عاملا ، يعمل نصفهم بأجور ، بلغ هذا العدد في العام ١٩٧٧ ، حوالي ١٣١٤ يعمل حوالي ٤٥٪ منهم بأجور ، اي ان النقص الذي حصل فعليا كان في عدد المستخدمين . ويتضح من الجدول رقم ٩ ، ان عدد المؤسسات التي كانت تضم ١٠ عمال فأكثر ، لم يزد عن ١٣ مؤسسة ، وقد حصل نمو بسيط بعد العام ١٩٦٧ في هذه الصناعة ، حيث انشئت مصانع قليلة ولكنها هامة كما يبين الجدول رقم ٧ .

الجدول رقم ١٧

اهم المؤسسات المعدنية في الضفة الغربية للعام ١٩٧٩

	المكان	سنة التأسيس	عدد العمال
١ ـ مصنع الالكترود	الخليل	١٩٧٣	٢٧
٢ ـ مصنع التنك	نابلس	١٩٥٦	٤٠
٣ ـ شركة جنين الصناعية التجارية الزراعية (التنك)	جنين	١٩٧٠	٢٠
٤ ـ مصنع ياسين الزغل	الخليل	١٩٧١	١٠
٥ ـ مصنع سلك الجلي	الخليل	١٩٦٤	١٠
٦ ـ مصنع كوميت للبراغي	بيت ساحور	١٩٦٩	٧
٧ ـ مصنع شمسيات الفلورسنت	بيت ساحور	١٩٧٠	١٥
٨ ـ مصنع انتاج قطع معدنية	بيت ساحور	١٩٦٤	١٠
٩ ـ مصنع ثيروخ للموازين والقبانات	الخليل	١٩٥٣	٢٠
١٠ ـ مصنع سخانات الامل	بيت حنينا	١٩٧٤	٤
١١ ـ مصنع سخانات فيلبس	رام الله	١٩٧٩	٣
١٢ ـ مصنع سخانات شادي	رام الله	١٩٧٠	٣
١٣ ـ مصنع رويال للسخانات	بيت لحم	١٩٧٨	٥
مجموع			١٧٤

ومن الواضح ، أن معظم المؤسسات الواردة في الجدول حديثة التأسيس ولا تضم اعدادا كبيرة من العمال ، خاصة مشاغل السخانات الشمسية التي تنتشر بكثرة في الضفة الغربية وتعتمد اكثر على تجميع القطع وتركيبها . والجدير بالذكر ، أن أي مصنع في هذا الفرع ، لا يستطيع الاستمرار الا اذا كان قائما برأسمال ضخم ، يمكنه من الصمود امام المنافسة الاسرائيلية لهذا الفرع . حيث تتميز الصناعة المعدنية في اسرائيل ، بانها تضم ٤٥ الف عامل ، اي ما يعادل حوالى ١٧٪ من مجموع الصناعة الاستخراجية والتحويلية(٥١) .

نستنتج مما سبق ان هناك نموا بسيطا في عدد المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية خلال فترة الاحتلال الاسرائيلي ، حيث تم انشاء اكثر من ١٠٠ مؤسسة ما بين شركة ومصنع ، حسب المعلومات المبينة في هذه الدراسة، بينما لم تحصل زيادة هامة في عدد العاملين في هذه المصانع . وهذا يدل على مدى التدهور الذي ما زالت تعاني منه الصناعة في الضفة الغربية . فالعاملون في هذا القطاع لا يشكلون سوى نسبة بسيطة من القوة العاملة مقارنة بالقطاعات الاخرى . وقد ظلت السمات الاساسية التي رافقت قطاع الصناعة في فترة الحكم الهاشمي ، ملازمة له في فترة الاحتلال ، مع بعض الفروقات الناتجة عن الظروف الجديدة . فقد تكيفت صناعات الضفة الغربية لتلائم الوضع المستجد ، حيث توقفت بعض المصانع ، كما انشئت اخرى . ونمت بعض الفروع وتراجع البعض الآخر .

وقد ازداد عدد العاملين في الضفة الغربية خارج اطار هذه المصانع خاصة من الاناث ، بعد استنفاد الايدي العاملة من الذكور . ويعمل معظمهم لصالح الشركات الاسرائيلية ، علما بان مصانع الضفة في أمس الحاجة الى الأيدي العاملة . وهذه المنافسة على الأيدي العاملة تعتبر من اخطر ما تواجهه المصانع العربية في الضفة الغربية ، لأنها تحرمها من القوة العاملة ، وفي نفس الوقت تؤمن استمرارية المؤسسات الاسرائيلية في هذه الصناعة التي بات من المشكوك في امكانية تطورها بدون اليد العاملة العربية .

ونستطيع تقدير عدد العاملين في فروع ، الصناعة المختلفة في الضفة الغربية خارج اطار المصانع بحوالى ٥,٠٠٠ عامل . هذا عدا عن آلاف العمال الذين يتوجهون للعمل في المصانع والمنشآت الاسرائيلية حيث ترتفع الأجور عنها في الضفة الغربية .

واذا ما اخذت بعين الاعتبار الملاحظات السابقة حول العمالة والاستخدام في فروع الصناعة المختلفة في الضفة الغربية ، نستطيع تقدير مجموع العاملين بحوالى ٢٣,٠٠٠ عامل ، موزعين كما يبين الجدول رقم ١٨ .

الجدول رقم ١٨

توزع العاملين في فروع الصناعة في الضفة الغربية (مع القدس)

للعام ١٩٧٩

نوع الصناعة	عدد العاملين
الكسارات والمقالع	٤٨١٣
المواد الغذائية ، المشروبات الدخان	٥٠٠٠
ملابس ونسيج وخياطة	٥٠٠٠

جلود ومنتجاتها	١٠٠٠
خشب ومنتجاته	٢٥٠٠
مطاط وبلاستيك ومواد كيماوية	١٦٠٠
المنتجات غير المعدنية	١٢٠٠
المنتجات المعدنية	١٥٥٠
مجموع	٢٢,٧٦٢

الاجور : ادى الوضع الجديد للضفة الغربية في ظل الاحتلال الاسرائيلي، الى تغيرات عكست نفسها على اجور العمال والمستخدمين في الانشطة الاقتصادية المختلفة في الضفة الغربية ، بما فيها قطاع الصناعة . فقد ادت الهجرة المستمرة للقوة العاملة من الضفة الغربية الى نقص في الايدي العاملة التي تحتاجها المصانع العربية . كما نتج عن ارتفاع اجور العاملين العرب في اسرائيل مقارنة بالعاملين في الضفة الغربية ، توجه الكثير من العاملين في مصانع الضفة الغربية للعمل في اسرائيل . وقد اضطر اصحاب المصانع العربية ، ازاء ذلك ، الى زيادة نسبية في الأجور . فبعد أن بلغ معدل الأجر اليومي للعامل في المصانع العربية في بداية الاحتلال حوالى ٤٦ قرشا اردنيا ، اصبح في العام ١٩٦٩ يعادل ديناراً اردنيا . ولم ترتفع الاجور كثيرا بعد ذلك ، حيث وصلت في ايار ١٩٧٧ الى ٤٢,٦ ليرة اسرائيلية ، اي ما يعادل حوالى ١,٢٥ ديناراً في اليوم كما يبين الجدول رقم ٢٠ . وهذا يعادل ٦١٪ مما يدفع لعمال الضفة الغربية في اسرائيل والبالغ ٦٩,٧ ليرة اسرائيلية يوميا . ورغم ان هذه النسبة تشير الى استمرار الفارق في الاجور ، الا انها تدل على التقارب الذي حدث بالمقارنة مع ما كان عليه الوضع العام في ١٩٦٩ ، لان ما كان يتقاضاه في هذا كانت ٣,٧ اضعاف الأجر المدفوع في الضفة الغربية(٥٢) .

وتتفاوت الاجور المدفوعة في الضفة الغربية حسب الفروع المختلفة للصناعة . ويعتبر اعلى معدل للأجور ما يدفع في فرع الكسارات، يليه التبغ والسجائر كما يتبين من مقارنة الجدولين ١٩ و ٢٠ وتنخفض معدلات الاجور في صناعة الجلود ومنتجاتها بسبب اعتمادها على الطرق البدائية وعلى افراد العائلة ، بالاضافة الى استخدام الأطفال بكثرة . وقد تدنت الأجور بشكل ملفت للنظر في معامل الأدوية في الضفة الغربية ، وذلك لاعتمادها على الاناث اساسا ، عدا عن كونها لا تتطلب أية مهارات او كفاءات مهنية . وهذا الانخفاض لا يظهره الجدول رقم ٢٠ ، بسبب دمج اكثر من فرع معا . لكنه يظهر بوضوح في الجدول رقم ٢١ .

كما تنخفض الاجور في فرع الملابس والخياطة والنسيج ، وذلك بسبب وفرة الايدي العاملة في هذا الفرع خاصة من الاناث . عدا عن وجود الكثير ممن يعملن في المنازل بأجور متدنية .

الجدول رقم ١٩

الاجور وتوزيعها في فروع الصناعة في الضفة الغربية
في العام ١٩٦٩(٥٣)

نوع الصناعة	الرواتب والاجور (بالألف دينار)	متوسط اجر العامل سنويا (بالدينار)
الكسارات	٥٦٧	٢٤١
المواد الغذائية	٢٥٢	١١٨
المشروبات	١٨	١٧٨
التبغ والسجائر	٧٥	٢٢٨
النسيج والتريكو	٧٨	١٦٢
الملابس والخياطة	١٠٩	١١٣
الاحذية	٣٩	١٣٨
الخشب والفلين	١٩	٢٣٢
الاثاث والمفروشات	١٣٢	١٨٦
الورق ومنتجاته	١٥	١٧٢
الطباعة والنشر	٩١	٢٧٩
الجلود ومنتجاتها	١	٢٤
منتجات المطاط	٣	٥٧
المنتجات الكيماوية	٨٩	١٢٨
المنتجات غير المعدنية	٦٢	٢١
الات غير كهربائية	٢	٢٢٢
معدات نقل	٢٢	١٠٢
متنوعة	٦٧	٢٩٥
مجموع	١,٨٣٩	١٧٦

الجدول رقم ٢٠

الاجور وتوزيعها في فروع الصناعة في الضفة الغربية
للأشهر (نيسان ـ حزيران) ١٩٧٧(٥٤)

	الرواتب والاجور بالالف ليرة اسرائيلية	متوسط اجر العامل يوميا
مواد غذائية ومشروبات ودخان	١,٥٤٩,٨	٢٨,٢
ملابس ونسيج	١,٠٤١,٤	٢٨
جلود ومنتجاتها	١٢٨,٧	٢٧,٩

خشب ومنتجاته	٤٠٨,٣	٣٩,٦
منتجات كيماوية مطاط وبلاستيك	٧٨٠,٠	٤٨,٦
منتجات غير معدنية	٦١٥,٢	٥٦,٨
منتجات معدنية	٥٧٨,١	٣٨,١
صناعات اخرى	٦٠٢,١	٤٥
مجموع	٥,٧١٣,٦	٤٢,٦

ورغم ما تظهره المصادر الاحصائية الاسرائيلية من ارتفاع مستمر لأجور عمال الصناعة في الضفة الغربية ، الا ان حقيقة الزيادة ليست بهذا الحجم ، وذلك بسبب الانخفاض المستمر للقيمة الشرائية لليرة الاسرائيلية.فمثلا، كانت قيمتها في العام ١٩٦٧ تعادل ٣,٥ ليرة للدولار ، وفي ١٩٧١ ، ٤,٢(٥٥) ، وفي ١٩٧٥ ، ٦,٢٤(٥٦) ، وفي ١٩٧٦ ، ٨,٧٢(٥٧) وفي ايار ١٩٧٧ ، اصبحت ٩,٤٤(٥٨) ، وفي نهاية العام نفسه انخفضت الى ١٥,٢٢ ليرة(٥٩) . وفي ايلول ١٩٧٩ بلغت ٢٧,٢٦ ليرة اي اقل من ١/٩ من قيمتها في العام ١٩٦٧ ، هذا من غير ان نأخذ بعين الاعتبار الانخفاض المضطرد في قيمة الدولار ذاته ، مما يشير الى انخفاض اكثر من الـ ١/٩ في قيمة الليرة للدولار(٦٠) . وقد بلغ معدل الانخفاض السنوي في قيمة الليرة خلال السنوات ١٩٧١ وحتى ١٩٧٩ما يزيد على ٣٠٪ ولذلك فان ما يبدو في الظاهر ارتفاعا في الاجور لا يكون كذلك في الواقع . ولا يتجاوز مجموع الاجور المدفوعة في فرع الصناعة التحويلية في فترة ثلاثة اشهر ، ١٥٠ الف دينار ، كما هو مبين في الجدول رقم ٢٠ ، اي ما قيمته ٦٠٠ الف دينار سنويا . وهذا الرقم اقل من مجموع الاجور المدفوعة في هذا الفرع والبالغة ١,٢٧٢ مليون دينار في العام ١٩٦٩ ، باعتبار ان الاجور المستحقة في فرع الكسارات تعادل ٥٦٧ الف دينار سنويا كما يبين الجدول رقم ١٩ .

وتتباين اجور العمال في مؤسسات الفرع الواحد . ويعتمد ذلك في بعض الاحيان على حجم المصنع وحداثته ، وعلى موقعه في احيان اخرى . فمثلا ، تعتبر اجور عمال مصانع النسيج في مدينة الخليل ، اقل من مثيلاتها في بيت لحم . وتفضل المؤسسات خاصة الصغيرة منها ، العمل على اساس المياومة ، مما يحررها من التزاماتها المترتبة عن تثبيت العمال . ولذلك فان العمال من الذكور يبحثون باستمرار عن عمل آخر اكثر ثباتا .

ويوجد تمايز في اجور العمال لنفس المؤسسة ، فهناك فوارق بين ما يدفع للعامل العادي وما يتقاضاه الفني او الاداري . بالاضافة الى التمييز بين العاملين من الاناث والذكور . ويدفع للأطفال والطلاب العاملين في فترات الاجازات الصيفية حوالى نصف اجر العامل العادي .

ويبين الجدول رقم ٢١ نماذج للفوارق في الاجور . فمثلا يتراوح ما يدفع للاناث في مصانع الادوية ما بين ١٢ ــ ٢٤ دينارا شهريا،وللذكور ١٢ ــ ٢٦ دينارا . وفي صناعة النسيج تتقاضى العاملات ما بين ١٥ ــ ٢٩ دينارا . والجدير بالذكر ان معظم العاملات في مصانع الادوية يعملن

حسب القطعة ، كما تعامل النساء العاملات في المنازل لصالح مصانع النسيج بنفس الطريقة . اما العاملون داخلها فيكافأون ، كما مر سابقا ، على اساس المياومة . وتستخدم النساء عادة ، الا اذا استدعت الحاجة غير ذلك . ويصل ما يدفع للذكور في مثل هذه الحالة الى ٥٩ دينارا شهريا .

وتنخفض الأجور ايضا في صناعة المواد الغذائية . ويصل اعلى اجـر الى ٣٨,٥ دينارا[٦١] . وهو ما يدفع في مصنع الزيوت النباتية ، الذي يعتبر من اكبر المصانع الغذائية في الضفة الغربية . ولم تزد اجرة العامل الشهرية في هذه الشركة عن ١٧٢ قرشا في السنة حيث لم ترتفع اجرة العامل طوال فترة ١١ سنة سوى ١٩ دينارا[٦٢] . وهذا مؤشر الى مدى تدني الأجور في المؤسسات الغذائية الاخرى ، خاصة معامل الحلويات والمخابز ، والتي يتقاضى عمالها اجورهم على اساس يومي ولا يتجاوز ما يدفع لهم شهريا ٢٠ دينارا[٦٣] .

الجدول رقم ٢١

نماذج لأجور العاملين الشهرية في مصانع الضفة الغربية للعام ١٩٧٩[٦٤] (بالدنار الاردني)

النشاط الصناعي	المؤسسة	اناث	ذكور	اداري وفني
المواد الغذائية	شركة مصانع سلفانا	—	٣٣,٢	٦٦,٣
	مصنع الجبشة للشوكولاته	٢٦,٦	٣٣,٣	
	مصنع الاصدقاء للبسكوت	(٦٥)	٢٩,٤	٧٠
	شركة مصانع الزيوت المساهمة	—	٣٨,٥	٤٠
الدخان	شركة سجائر القدس المساهمة	—	٤٠	١١٦,٦
	شركة السجائر العالمية		٢٣,٣	٦٦,٦
النسيج والتريكو والملابس	شركة سنقرط للنسيج	١٥,٣	—	٥١,٣
	شركة او.بي.جي.للنسيج	١٩,٢	—	٥١,٢
	مصنع الاقصى للنسيج	٢٦,٦	٢٣,٣	—
	مصنع نجيب ناصر للنسيج	١٨,٥ـ٢٩	١٨,٥ـ ٣٨	
	مصنع سليم ناصر للاقمشةوالبشاكير	١٥ ـ ٢٨	٥٩	
	مصنع اسكندر قمر للنسيج	—	٣٦,٥ ـ٥٩	
	شركة مصانع ابناء العشي للنسيج والتطبيع	—	٤١,٦	
	مصنع نسيج وخياطة قمصية	١٥	ـ(٦٦)	٦٠ ـ ٧٥
اثاث ومفروشات	شركة مصانع معايعة	—	٣٨,٤	٦٥

المنتجات الكيماوية	مصنع شركة فلسطين للأدوية	١٩,٢	_	١٤١
	الشركة الشرقية الكيماوية	١٩,٢	_	_
	شركة بلسم لصناعة الأدوية	١٩,٢	_	_
	شركة المصنع الكيماوي الأردني	١٩,٢	٣٢	_
	شركة السختيان اخوان	١٢ _ ٢٤	١٨ _ ٣٦	٤٨ _
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	_	١٩٠	١٢
	شركة بيرزيت لصناعة الادوية	_	٢٥,٦	٨٩,٦
	شركة المنتوجات الكيماوية	_	٢٦	_
	مصنع دهان يونفرسال	_	٣٨,٤	_
	شركة البلاستيك الاردنية	_	٤٧	٩٤ _ ١٢٩
	شركة رباح لصناعة الاسفنج	_	٢١,٤_٣١,٢	_
	شركة فلسطين للاعلاف	_	٥١,٢	_
	الشركة العربية للاعلاف	_	٦٤,١	٧٦,٩
	الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف	_	٤١,٢	_
المنتجات غير المعدنية	مصنع البلاط للضفتين	_	٤٦,٦	٦٠
المنتجات المعدنية	مصنع الالكترود	_	٣٨,٤	١٠٢,٥
	مصنع ياسين الزغل	_	٣٦,٤_٤٢,٣	_
	مصنع ابو عيطة لشصيات الفلورسنت	_	٥٠	_
	شركة نيروخ لصناعة القبانات	_	٤٧,٢	٧٠,٨

وتعتبر صناعة الاعلاف والمنتجات المعدنية من الفروع القليلة التي ترتفع فيها الاجور ، حيث يصل معدل الاجر الشهري للعامل في الأولى ٦٤ دينارا وفي الثانية ٥٠ دينارا .

ويظهر مدى تدني أجور المستخدمين لدى مقارنتها مع ما يدفع للفنيين والاداريين ، حاصة في صناعات الادوية والبلاستيك والدخان . ويبين الجدول رقم ٢١ ، أن أجرة العامل الفني في شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية ، ترتفع الى ١٩٠ دينارا شهريا ، وفي مصنع شركة فلسطين للأدوية ، تصل الى ١٤١ دينارا ، وفي شركة البلاستيك الاردنية تقارب ١٣٠ دينارا ، وفي شركة سجائر القدس المساهمة ، ١١٦ دينارا ، وفي مصنع الالكترود ، ١٠٢ دينارا . وهناك فوارق بين ما يدفع للفنيين من مؤسسة الى أخرى ضمن نفس الفرع الصناعي . فمثلا ، تزيد أجور الفنيين والاداريين في شركة سجائر القدس عليها في شركة السجائر العالمية ، وذلك بسبب ضخامة الأولى مقارنة بالثانية ، بالاضافة الى ارتفاع أجور العمال عامة في مدينة القدس عنها في الضفة الغربية . وبالمثل ، يزيد ما يتقاضاه الفنيون في

مصنع الالكترود على ما يدفع لامثالهم في مصنع نيروخ للقبانات والموازين في مدينة الخليل ، وذلك بسبب حداثة الاول وزيادة عماله مقارنة بالثاني .

وترتفع أجرة العاملين في صناعة الصوف وخشب الزيتون، وذلك لما تحتاجه هذه الصناعة من مهارات فنية . ويبلغ متوسط أجر العامل في هذه الصناعة حوالى ٦٧ دينارا شهريا .

وفي بعض المصانع ، ما زالت تدفع أجور العمال بالدينار الاردني ، وعليه يعامل الانخفاض المستمر في قيمة الليرة الاسرائيلية نسبة للدينار الاردني وكانها زيادة مستمرة في الاجور ، مما نتج عنه وقف الزيادة الفعلية عن المستخدمين . فمثلا ، لم تتجاوز الزيادة في سعر الدينار الاردني ١٦٪ من نسبة الزيادة في الاسعار في الاشهر الاولى من العام ١٩٧٨(٦٧) . وفي الواقع فان معدل أجور العاملين في مصانع الضفة الغربية والبالغ ٣٣ دينارا اردنيا شهريا .(٦٨) ، يقل عن نصف المتوسط الذي تحتاجه اسرة مكونة من ستة أفراد(٦٩) . وهذا يضطر الكثيرين للتخلي عن العمل في قطاع الصناعة والتحول الى مجالات اخرى اكثر مردودا . وواضح أن الزراعة ليست هي الهدف حيث تعاني من هذه المشكلة كما تعاني الصناعة . ولذلك يتم التوجه للعمل اما لاسرائيل او لدول الخليج . وينتج عن هذا الوضع عدم ثبات العمال وتغيرهم المستمر ، مما يزيد من الاعتماد على الاطفال داخل المصانع وعلى النساء خارجها . ويضعف بالتالي امكانية تشكيل طبقة عاملة ثابتة. ومن المحتمل وجود بعض المصانع الصغيرة التي لا تتمكن من رفع أجور عمالها ، الا ان عددها محدود ، اما غالبية هذه المصانع فانها تجني ارباحا تمكنها من ذلك . وهي لو فعلت لاسهمت عمليا في حفظ جزء هام من القوة العاملة لتحول دون تهجيرها .

---

(١) جميل هلال ، **الضفة الغربية ، التركيب الاجتماعي والاقتصادي(١٩٤٨ـ١٩٧٤)**بيروت ، مركز الابحاث، منظمة التحرير الفلسطينية ،١٩٧٤ ، ص ١٣٤ .

(٢) **المصدر نفسه** ، ص ١٣٦ .

(٣) **المصدر نفسه** .

(٤) وديع شرايحة، **التنمية الاقتصادية في الاردن** ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ، ١٩٦٨ ، ص١٧٨

(٥) **تقرير الدراسة الصناعية ١٩٦٨** ، عمان دائرة الاحصاءات العامة ، ١٩٧٠ ، الجدول رقم (٦ـ٣) ، ص . ٥ . **والقطاع الصناعي** ،عمان ، دائرة المطبوعات والنشر ، ١٩٦٧ ، ص ٥٢

(٦) **المصدر نفسه** .

(٧) علي الدجاني ، **الكتاب السنوي** ١٩٦٧ ،عمان ، غرفة الصناعة ، ص٦٢ .

(٨) القطاع الصناعي ... **مصدر سبق ذكره** ،ص ٦٤ .

(٩) **المصدر نفسه** ، ص ٢٨

(١٠) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٣٨

(١١) القطاع الصناعي .. **مصدر سبق ذكره** . ص ٥٦

(١٢) **المصدر نفسه** ، ص ٦١

(١٣) **المصدر نفسه** .

(١٤) **المصدر نفسه** ، ص ٤٩ .

(١٥) **المصدر نفسه** ، ص ٥٢

(١٦) شرايحة ، **مصدر سبق ذكره** .

(١٧) **المصدر نفسه** .

(١٨ هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦١

(١٩) George Kossaifi, *Evolution De*

La Population D'origine Palestinienne Residant Sur Les Rives Est Et Auest d u Jordanit, 1948-1974 Paris University, Unpublished thesis presented for the Diploma of Demography, Table no. 9, p. 49, and Table no. 15, p. 64.

(٢٠) *Statistical Abstract of Israel 1979* *(SAI)*, (Jerusalem, Israel Central Bureau of Statistics, 1970) Table ١-1, p. 632.

(٢١) الأرقام حتى العـام ١٩٧٧ من *SAI 1978*, Table xxvII-1, p. 765. أما الارقام للعام ١٩٧٨ فهي حتى نهاية شهر حزيران ومأخوذة من *Administered Territories Statistics Quarterly*, (Jerusalem, 1978), no. 4, Table A-1, p. 1.

(٢٢) *SAI 1978*, Table 3, p. 766.

(٢٣) الأرقام للأعوام من ١٩٦٨ إلى ١٩٧٢ مستخرجة من *SAI 1473*, Table 19-1, p. 710.
أمـا الأرقـام للاعـوام من ١٩٧٣ الى ١٩٧٨ فمستخرجة من
Administered Territories, 1978, Vol 4, Table E-2, p. 35.

(٢٤) راجع الجدول رقم ٦ .

(٢٥) *SAI 1969*, Table ١-7, p. 637.

(٢٦) *Ibid.*, Table x-8, p. 638.

(٢٧) *SAI 1970*, Table ١-10, p. 633.

(٢٨) الارقام حتى العام ١٩٧٧ مأخوذة من *SAI 1978*,Table xxvII-22, p. 788.
وللعام ١٩٧٨ من *Administered Territories*..., 1978, no 2. Talbe E-2, p. 35.
اما ارقام القوة العاملة ، فراجع الجدول رقم ٤ .

(٢٩) لا تغطي الاحصاءات الاسرائيلية عدد العاملين من الضفة في اسرائيل بطرق غير رسمية كما لا تغطي العاملين في المنازل ، بالاضافة الى استثناء العاملين من مدينة القدس .

(٢٠) عادل سمـارة ، (الصناعـة في الضفـة الغربية) ، **الهدف** (بيروت) ١ اب ١٩٧٩ .

(٢١) **الطليعة** (القدس) ١ اذار ١٩٧٩ .

(٢٢) تقرير الدراسة .. **مصـدر سبـق ذكره** ، مستخرج من الجدولين رقم (١ ـ ١) ص ١٥ ورقم (٤ ـ ٤) ص ٢٤ .

(٢٣) **المصدر نفسه** مستخرج من الجدولين رقم (١ ـ ٢) ، ص ١٦ ، ورقم (٢ ـ ٥) ص ٢٧ .

(٢٤) **المصدر نفسه** ، جدول رقم (٣ ـ ١) ص ٢٣ ، **ودراسة القوى العاملة ١٩٦٦** ، عمان ، ١٩٧٠ ، جدول رقم (هـ ـ ٢)

(٢٥) *SAI 1978*, Table xxvii-30, p. 796.

(٢٦) هشام عورتاني ، **الدوافع الاقتصاديـة للهجرة من الضفة الغربية** ، نابلس ، جامعـة النجاح ، ١٩٧٩ ، ص ٤ .

(٢٧) **المصدر نفسه** ، ص ٤ .

(٢٨) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٩٢ .

(٢٩) مستخرج من الجدول رقم ٥ والجدول رقم ٧ أعلاه .

(٤٠) مستخرج من **حسابات الدخل القومي** ، عمان ، دائرة الاحصاءات العامة ١٩٦٩ ، جدول رقم ٢ ، ص ٨٣ . وتقرير الدراسة ... **مصدر سبق ذكره** ، الجدولان رقم ١٦ ورقم ١٧ .

(٤١) ارقام سنة ١٩٦٨ مستخرجة من تقرير الدراسة ... ، **مصدر سبق ذكره** ، أما الارقام للسنوات ٧٢ ـ ١٩٧٧ فمأخوذة من *SAI 1978*, Table 27-29, p. 795.

(٤٢) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٠

(٤٣) موشيه ليفي ، **تطور الزراعة في منطقة يهودا والسامرة ، من سنة ١٩٦٧ ـ ١٩٧٦** ، دراسة غير منشورة ، ص ١٦ .

(٤٤) *SAI 1978*, Table XIV-5, p 440.

(٤٥) *SAI 1978*, Table XIV-5, p. 440.

(٤٦) *Ibid.*, Table XIV-12, p. 455, 454.

(٤٧) **الطليعة** ، ٢٥ كانون الثاني ، ١٩٧٩ ،

(٤٨) غرفة صناعة .. ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٦

(٤٩) القطاع الصناعي .. **مصدر سبق ذكره** ، ص ٥٥ .

(٥٠) **الدستور** (عمان) . ٢٢ نيسان ١٩٧٨ .

(٥١) SA I 1978, Table XIV-5, p. 441.

(٥٢) *Vivian* A. Bull, *The West Bank - Is its Viable?*, Lexington, Massachusetts: D.C. Heath and Co., 1975, p.41.

(٥٣) مستخرج من تقرير الدراسة ... مصدر سبق ذكره ، جدول (٣ ـ ١) ص ٢٢ . وجدول رقم (٣ ـ ٥) ، ص ٢٧.

(٥٤) مجمـوع الاجـور مستخـرج من *Administered Territories*, .., no 2, Table G-1, p. 43.

ومتوسط اجر العامل يوميا ماخوذ من *SA I 1978*, Table XXV11-30, p. 796.

(٥٥) Sheila Ryan, «Israel Economic Policy in the Occupied Areas», *MERIP*, (Washington D.C.) 1974), no. 24, p. 10.

(٥٦) نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، (م د ف) بيروت ، ١٩٧٥ ، عدد ١٧ ، ص ٤٥١ .

(٥٧) المصدر نفسه ، ١٩٧٦ ، عدد ٢٤ ، ص ٨١٠

(٥٨) *SA I 1978*, Table IX -13, p. 249.

(٥٩) دافار ، ٧٧/١٢/٢٩

(٦٠) دافار ، ١٩٧٩/٩/١١

(٦١) الطليعة ، ١٢ آذار ١٩٧٨

(٦٢) المصدر نفسه .

(٦٣) بلغ متوسط اجور عمال المخابز ٩٠ ليرة اسرائيلية يوميا ، وكان الدينار الاردني في تلك الفترة يعادل ٧٨ ليرة اسرائيلية . المصدر نفسه ، ٢٩ آذار ١٩٧٩ .

(٦٤) يعمل المستخدمون في بعض هذه المصانع على اساس يومي ، وقد . سبنا ما يتقاضاه العامل شهريا على اساس ٢٦ يوم عمل .

(٦٥) تعمل العاملات في هذا المصنع على اساس القطعة بمقابل ٩,٥ قرشا للعلبة . وتنتج العاملة ما متوسطه ٨٠ علبة يوميا .

(٦٦) كافة العاملين في هذا المصنع من الاناث .

(٦٧) المصدر نفسه ، ١٢ ، آذار ١٩٧٨ .

(٦٨) المصدر نفسه ، ١ آذار ١٩٧٩ ، وجدول رقم ٢٠ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ١٢ آذار ١٩٧٩ .

فيصل حوراني

منظمة التحرير الفلسطينية والاتجاه نحو التسوية

نتائج حرب تشرين

بعد ستة أعوام من حرب حزيران وقعت الحرب العربية ــ الاسرائيلية الرابعة وذلك في تشرين الأول ١٩٧٣ . وبوقوعها انتهت حالة الجمود التي سادت جبهات القتال منذ العام ١٩٧٠ ، أي منذ قبل الرئيس جمال عبد الناصر أن يوقف حرب الاستنزاف لمدة ثلاثة أشهر ومددها خلفه الرئيس انور السادات لتصير ثلاث سنوات .

ولا شك في أن حرب تشرين الأول هذه (أو حرب رمضان ، أو اكتوبر أو يوم الغفران) كانت حدثاً هاماً ترك آثاره على مجالات الصراع العربي ــ الصهيوني كلها . وبين نتائجها المباشرة أنها فتحت الباب من جديد للمساعي الناشطة في اتجاه تحقيق تسوية للنزاع العربي ــ الاسرائيلي ، حتى أن مجلس الأمن الدولي الذي كان في حالة انعقاد شبه دائم في أيام القتال توصل إلى اصدار قرار صوت عليه اعضاؤه بالاجماع ، هو القرار ٣٣٨ يدعو فيه الى التعجيل في ابرام التسوية . وهو قرار يعيد تأكيد الاسس التي تضمنها قراره السابق رقم ٢٤٢ جميعها ويشدد على ضرورة تنفيذها ويحث على الشروع فوراً في « مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت الاشراف الملائم بهدف اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط »(١) . ثم تلت صدور القرار مشاورات واسعة اشتركت فيها الأطراف العربية والدولية المعنية أمكن في ختامها الاتفاق على عقد مؤتمر في جنيف ، تحضره الدول العربية المحاربة بالاضافة لاسرائيل تحت راية الأمم المتحدة ، ويرأسه كل من الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة ، وبهذا تحقق « الاشراف الملائم » الذي تحدث عنه القرار . هذا الاتفاق قبلته مصر وسوريا والأردن وكذلك اسرائيل ، وان احتفظ كل طرف منها بتفسيره الخاص للقرار ٢٤٢ .

الحوار على الساحة الفلسطينية

أما على الساحة الفلسطينية فقد نشطت الحرب ، وخاصة بتعزيزها لاتجاه التسوية ، المناقشات التي كانت دائرة عليها منذ ما بعد أيلول ١٩٧٠ ، وأسهمت في دفعها نحو التبلور في

اتجاهين رئيسيين ، يحبذ أولهما الاستفادة من الفرصة التي أتاحتها الحرب لتحقيق عدد من المطالب الوطنية الفلسطينية على أساس النضال بالتعاون مع الدول العربية والدول الأخرى الصديقة لأخذ الحقوق الوطنية الفلسطينية بعين الاعتبار أثناء مناقشة بنود التسوية ، ويعترض ثانيهما على مبدأ التسوية من أساسه معتبراً أن حرب تشرين ، بالرغم من نتائجها الايجابية الملحوظة لم توفر الأساس الكافي للأمل بتحقيق منجزات وطنية فلسطينية مما يرضى عنه دعاة هذا الاتجاه .

واذا صرفنا النظر عن التفاصيل التي تتصل بكل من الاتجاهين وعن الطرق المباشرة أو الملتوية التي يعبر بها دعاة كل منهما عن آرائهما وطروحاتهما ، وأثرنا الايجاز ، فانه يصح القول أن دعاة الاتجاه الأول كانوا قد انتهوا الى القناعة بضرورة مرحلة الاهداف الوطنية على أساس أن موازين القوى القائمة في تطوراتها المنظورة لا تفسح المجال للأمل بتحقيق الهدف الشامل دفعة واحدة . ولما جاءت حرب تشرين مشيعة أملا جديداً بامكانية تحقيق تسوية متوازنة ، أمل هؤلاء بدورهم بأنه من الممكن العمل لانجاز عدد من المطالب المرحلية . وكانوا قد تلقوا وعوداً قاطعة من القيادة المصرية بأنها ستدعم المطالبة بدولة فلسطينية مستقلة تقام على الأجزاء من الأرض الفلسطينية التي ستنسحب عنها قوات الاحتلال الاسرائيلي بموجب التسوية . بينما تمسك دعاة الاتجاه الثاني بمطلب تحرير فلسطين بكاملها ، أو بمطلب الدولة الفلسطينية الديموقراطية على كامل التراب الفلسطيني ، الذي حل في الادبيات الفلسطينية عملياً محل شعار تحرير فلسطين وأخذ مع فروق طفيفة معانيه كلها . وكان هؤلاء يرفضون الانجرار نحو قبول أي مطلب أقل من ذلك . ومن الواضح أن جوهر هذا الموقف هو رفض تجزئة المطلب الشامل في مجموعة من المطالب المرحلية تبتدئ بإقامة دولة للشعب الفلسطيني على جزء من أرضه ، وبالتالي ، وخصوصا ، رفض الاشتراك في مساعي التسوية .

وقد جرى الاصطلاح على تسمية هذا الاتجاه باسم تيار « الرفض » . وانتهى التعبير الى أن يصبح تسمية رسمية أطلقتها على نفسها « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » التي تشكلت في سياق الحوار والاحتكاك بين الاتجاهين . وأطلقت على الاتجاه الأول تسميات عدة . الاتجاه الوطني ، الثوري الواقعي ، أو كما سماه خصومه تيار « القبول » . ويجدر بنا أن نتذكر هنا أن تيار الرفض كان ، مع استثناءات قليلة ، يضم قبل حرب أيلول ١٩٧٠ ، المنظمات الفدائية كلها ، ثم أخذ يفرز بعد أيلول التيار الآخر من داخله ، وأخذت المواقف تتمايز ، داخل كل منظمة في بعض الحالات ، وفي ما بين المنظمات .

ويمكن أن نلاحظ أن للتيارين كليهما جذوراً سبقت أيلول ١٩٧٠ في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية ، مع اعادة التأكيد على أن تيار الرفض ظل حتى هذا التاريخ هو التيار الشامل ، وظل حتى حرب تشرين ١٩٧٣ تياراً واسعاً وقوي التأثير . كما يمكن أن نلاحظ أيضاً أن كلا من التيارين اشتمل على أقنية متعددة مختلفة الدوافع والاتجاهات . وأهم ما ينبغي ملاحظته بهذا الصدد أن تيار الرفض ، باعتبار الرفض نهجا في العمل وسم تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية لسنوات طويلة قبل العام ١٩٤٨ وبعده ، قد لقي التأييد من أوساط يمينية ويسارية ، وان عدداً من الأوساط كانت دوافعه ، في واقع الامر ، الحيلولة دون الشعب العربي الفلسطيني وبلوغ الأهداف والمطالب الوطنية التي تقتضيها مصالحه . وكذلك فان

التيار الثوري الواقعي لقي بدوره التأييد من أوساط يمينية ويسارية ، ومن بينها أوساط كانت تدير سياسات استسلامية تخاذلية تجاه العدو . وبالطبع فان هذه الملاحظة لا تنفي حقيقة أن التيارين ، كليهما ، انطلقا نتيجة عوامل وظروف موضوعية ، ووفق تصور لنهج ومستقبل العمل الوطني يخص كلا منهما ، ومثل ، في كل حالة من الحالتين ، مصالح هذه الفئات أو تلك من فئات الشعب العربي الفلسطيني العديدة .

والحوار الذي نشط بعد حرب تشرين على الساحة الفلسطينية عكسته مئات الوثائق التي وضعها الفرقاء الذين انخرطوا فيه ، فضلا عن المناقشات الشفهية التي شهدتها مؤتمرات واجتماعات الهيئات القيادية والكوادر في مؤسسات منظمة التحرير ، وفي المنظمات الفدائية والسياسية الفلسطينية كافة ، مما لا يمكن حصره أو حتى استقصاؤه بشيء من التفصيل . ولذا فاننا سنتمسك بالتقصي عن الخطوط الرئيسية للحوار ، كما عكستها بعض الوثائق الرئيسية ، مما يمكن اعتبارها نماذج كافية لعرض وجهات نظر الفرقاء المعنيين . وسيظل هدفنا هو رصد خطوط التطور في الفكر والممارسة كما تعكسهما الوثائق .

بينما كانت مساعي التسوية ناشطة على أشدها في أعقاب الحرب ، احتدم على الساحة الفلسطينية الحوار بين التيارين اللذين وصفناهما آنفا ، ليفرز في نهاية المطاف كتلتين تنظيميتين ، تضم أولاهما كلا من فتح والجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين والصاعقة ، في حين تضم الثانية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والجبهة الشعبية ــ القيادة العامة والجبهة العربية لتحرير فلسطين وجبهة النضال الشعبي . واستنفر كل تكتل لتعزيز وجهة نظره امكانياته كلها بما في ذلك تحالفاته وصلاته العربية والعالمية ، مما جعل الكتلتان تتوزعان قوى الساحة الفلسطينية بأسرها في الأراضي المحتلة وفي المهاجر . أما التدخلات العربية فقد صار لها هي الاخرى دورها في تأزيم الحوار وفي الدفع نحو تمايز الكتلتين وتوتير العلاقات بينهما . وعلى ضوء ذلك اتخذ الحوار في حالات عديدة أشكالا حادة بما في ذلك الاحتكاكات المسلحة التي وصلت في بعضها إلى حافة الانفجار(٢) .

بروز وزن المناطق المحتلة

كان المجلس الوطني قد قرر في دورته الحادية عشر (ك ١٩٧٣،٢) تشكيل « الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة »(٣) وجرى تشكيلها تحت هذا الاسم بمبادرة من الشيوعيين الفلسطينيين ، الذين يشكلون في الضفة الغربية المحتلة واحدة من منظمات « الحزب الشيوعي الاردني » بالاتفاق مع التنظيمات الفلسطينية ، الفدائية والسياسية كافة ، كما انضم اليها أيضا عدد من الشخصيات الوطنية ، السياسية والاجتماعية .

وتشكيل الجبهة على ذلك النحو اعتبر تتويجا لسلسلة سابقة من المحاولات الناجحة أو المخفقة ، من اجل تنظيم العمل المشترك للقوى التي تقاوم الاحتلال داخل الارض المحتلة . وهو الذي أظهر ، في الوقت نفسه ، التقارب المتحقق بين مواقف هذه القوى . وهو تقارب أملته ، من جهة ، ظروف المجابهة المباشرة واليومية للاحتلال ، كما أملاه بصورة خاصة ما قدمته تجربة هذه المجابهة من دروس فكرية وسياسية ، جعلت الاتجاه نحو الثورية الواقعية ، في مقابل الرفض ، هو الذي يتعزز ويسبق تعزز مثيله خارج الأرض المحتلة . وعلى سبيل المثال ، فان

فروع المنظمات الفدائية الرافضة،في الارض المحتلة، كانت لها مواقف متمايزة عن مواقف منظماتها ، تجعلها أقرب الى مواقف المنظمات الاخرى ، وتجعلها على الاقل لا ترفض التعاون معها . ثم أن تشكيل الجبهة بمبادرة شيوعية يؤكد ما نرمي إليه ، ذلك أن موقف الحزب الشيوعي الاردني منذ العام ١٩٦٧ مؤيد للمساعي التي تستهدف تحقيق تسوية سياسية على أساس انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي العربية التي استولت عليها في العام ١٩٦٧ وضمان الحقوق الوطنية المشروعة للشعب العربي الفلسطيني . وكان مفهوماً لدى الفرقاء الآخرين كافة أن الحزب يدعو للنضال من أجل هذه الحقوق على ضوء قرارات الأمم المتحدة . واذ قبل ممثلو المنظمات الاخرى الدخول في جبهة يشترك فيها الشيوعيون وهذا موقفهم ، وقبلوا أن يكون للجبهة برنامج سياسي تغطي بنوده الشؤون الوطنية كافة ، فان قبولهم هذا يعني سقوط الفيتو الفلسطيني التقليدي ضد حل من هذا النوع لقضية فلسطين ، أو يعني على الأقل عدم التشدد بشأنه كما كان يحدث سابقاً .

وهذا الأمر لا يؤكده الاستنتاج وحده ، بل أن المداولات التي تمت أثناء فترة التحضير لتشكيل الجبهة وصياغة برنامجها تطرقت لهذه النقطة وأوفتها بحثاً . وانتهت بوضع ميثاق الجبهة وبموافقة الأطراف غير الشيوعية عليه ، ومنهم ممثلون عن المنظمات الفدائية ذات الاتجاهات الرافضة(٤) .

وقد صاغ برنامج الجبهة(٥) مهمة « رفض جميع المشاريع التآمرية التي تستهدف تصفية قضية شعبنا العربي الفلسطيني والتفريط بحقوقه الوطنية ، سواء منها المشاريع الصهيونية مثل الكيان الفلسطيني والادارة المدنية والحكم الذاتي ومشروع آلون ، أو مشروع الملك حسين ، والحلول الاميركية وما شاكلها من التسويات التصفوية الاستسلامية » . أي رفض ذلك النوع من الحلول والتسويات ، وليس الحلول والتسويات باطلاقها .

ولما فتحت حرب تشرين موضوع التسوية الشاملة من جديد بما هي تسوية ستمس ، على نحو أو آخر، مستقبل الأراضي الفلسطينية المحتلة ومصير سكانها، نتج عن ذلك بطبيعة الحال ازدياد الوزن السياسي لموقف هؤلاء باعتباره عاملاً حاسماً في ترجيح أي من الاحتمالات المطروحة أو المتاحة . واذ اقترن ذلك بتصاعد نضال هذه المناطق ضد الاحتلال وبتبلور أطره السياسية التنظيمية على نحو متقدم عما سبقه ، فلم يعد من الممكن لأية جهة معنية أن تتجاهل موقف فلسطينيي الداخل أو أن تنتقص منه . وقد أدى هذا الى أن تتبارى هذه الجهات في اجراء الاتصالات ومحاولات التأثير على فلسطينيي الداخل وتنشد تقريبهم من وجهة نظرها وتأييدهم لسياساتها ، يستوي في ذلك فرقاء التكتلين الفلسطينيين المتحاورين بشأن الموقف من التسوية والدول العربية المعنية وفي مقدمتها الأردن ومصر وسوريا .

أما الجبهة الوطنية فانها خطت من ناحيتها خطوات أخرى لتوسيع نشاطها ولتعزيز تمثيلها لأوسع فئات السكان . وقد استفادت في تحقيق ذلك من عوامل عديدة أولها وأهمها نتائج حرب تشرين التي انعشت الآمال باقتراب وقت الخلاص من الاحتلال ، حيث بدا أن المصير الفلسطيني صار قيد بحث جدي على ضوء هــذه النتائج . وثانيها أن موقف الجبهة يلقى المساندة الكاملة من تكتل القوى الفلسطينية الداعي للاستفادة من نتائج الحرب ، ومن

الدول العربية التي خاضتها . وثالثها هو صدق سياستها في التعبير عن مطامح فلسطينيي الأرض المحتلة الذين تمرسوا في النضال طيلة سنوات الاحتلال وصار مطلب الاستقلال الفلسطيني ، عماد سياسة الجبهة ، في مقدمة مطالبهم ، وأخذوا بدورهم يسندون الدعوة الغالبة في منظمة التحرير لوضع هذا المطلب في صلب برنامجها وجعله مرجحا بين المطالب الأخرى . وقد أفصحت عن هذا كله الرسالة التي وجهتها الجبهة الوطنية الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في ١/١٢/١٩٧٣ أي بعد قرابة شهرين من الحرب ، مضمنة اياها حصيلة المناقشات بين فرقائها قبل الحرب وبعدها ، وخصوصا بعدها . فالرسالة تؤكد في مطلعها قناعة الجبهة بأن منظمة التحرير الفلسطينية هي الهيئة الوحيدة القادرة على تمثيل الشعب الفلسطيني . وهي تدعو صراحة الى أن تسعى المنظمة من أجل أن تشترك في الجهود القائمة آنذاك لتحقيق تسوية سياسية ، وتظهر أهمية مشاركة المنظمة باسم الشعب العربي الفلسطيني ، في اعمال مؤتمر جنيف الذي تقرر عقده تطبيقا لبند من بنود القرار ٣٣٨ الصادر عن مجلس الأمن .

ومما يميز رسالة الجبهة ، بين الوثائق الفلسطينية كافة ، أنها صاغت دعوتها تلك بوضوح لا لبس فيه ولا التواء ، الأمر الذي يجعلها وثيقة نموذجية لبيان وجهة نظر التيار الثوري الواقعي ، تفصح عن أقصى ما كان يفكر فيه فرقاء هذا التيار ، سواء اعلنوه أو لم يعلنوه ، في الوقت الذي تعرض فيه موقف فلسطينيي المناطق المحتلة . يضاف الى ذلك أن موقف الجبهة المعبر عنه في هذه الرسالة جرت صياغته بعد مشاورات تمت مع عدد كبير من قادة المنظمات والقوات الفلسطينية الأخرى ، وأخصها فتح والجبهة الديموقراطية ، مما يجعل موقف الجبهة المعبر عنه هنا مؤيداً منها ان لم نقل أنه متفق عليه معها ، ويعطي للرسالة بالتالي قيمة الوثيقة المجمع عليها من هذه المنظمات والقوى كافة .

ومهما يكن من أمر فان دعاة الاستفادة من نتائج حرب تشرين على الساحة الفلسطينية ، كما أفصحت هذه الرسالة عن اقصى وأدق ما في أفكارهم ، ينطلقون من تأكيد حق م . ت . ف في أن تكون الممثل الشرعي الوحيد للشعب العربي الفلسطيني بأسره ، واضعين هذا الحق في وجه الاحتلال الاسرائيلي لوطنه ، من جهة ، وفي وجه دعاوى النظام الأردني بأنه يمثل الفلسطينيين في الضفتين الشرقية والغربية من جهة أخرى . وهم إذ يدينون بطبيعة الحال اغتصاب اسرائيل للوطن الفلسطيني وللحقوق الفلسطينية ، يرفضون في الوقت نفسه أن يتصدى النظام الأردني لمعالجة قضية فلسطين على مسؤوليته أو أن يتخذ القرارات بشأن مستقبلها ، لأن هذا حق من حقوق م . ت . ف وحدها . وهم يستندون في تأكيد هذا الحق الى الشرعية الفلسطينية كما جرى التعبير عنها منذ تأسيس المنظمة في العام ١٩٦٤ وعبر تطورها في السنوات اللاحقة ، والى الشرعية العربية حيث أن الدول العربية اعترفت بالمنظمة في مؤتمر القمة الثاني ، وجددت هذا الاعتراف في قمة الجزائر في العام ١٩٧٣ مضيفة إليه اقرارها بأن المنظمة هي التي تمثل الشعب الفلسطيني وهي المسؤولة عن مستقبله . كما يستندون الى معطيات الواقع التي تظهر أن المنظمات والقوى الفلسطينية كلها تنضوي تحت لواء م . ت . ف ، وانه ما من طرف فلسطيني خارجها ينتحل صفة تمثيل هذا الشعب .

ينجم عن هذا أن المنظمة تملك الصلاحيات اللازمة لاتخاذ أي قرار يتصل بمستقبل

قضية فلسطين وفق الاعتبارات التي تقدرها بنفسها ، وليس من حق أي طرف آخر أن يملي عليها ما يتعارض مع تقديراتها .

أما بالنسبة للقضية المطروحة آنذاك وهي تحديد الموقف الفلسطيني من مجهودات التسوية كما ظهرت بعد الحرب ومن مسألة المشاركة في مؤتمر جنيف الدولي المنوي عقده ، اذا قدر له أن ينعقد ، فان هذا الموقف يحدده ، على ضوء ما تقدم ، اعتبار واحد وهو المصلحة الوطنية الفلسطينية وهل يخدمها الحضور أو الغياب الفلسطيني عنه . واما الاجابة على هذا السؤال الجوهري فانها تتحدد بدورها على ضوء التحليل الموضوعي للمعطيات القائمة والمرتقبة التي تحيط بالموقف الفلسطيني وتؤثر فيه أو تتأثر به .

في مقدمة هذه المعطيات يبرز ما يتصل منها بموازين القوى في الصراع العربي الصهيوني بمقاييسها الاستراتيجية . وأولها على الجانب الدولي ، حيث يتضح أن تحقيق مطلب تحرير فلسطين أو بديله الدولة الفلسطينية الديموقراطية لا يتفق مع معطيات الوضع العالمي الراهن ، وهو وضع قد يستمر لفترات طويلة بما له من تأثير مباشر وطاغ على هذا الصراع . فالغالبية الكبرى من الدول وبينها دول تؤيد الكفاح العربي للخلاص من الاستعمار والاحتلال ، تعترف باسرائيل ، وتقر ببقائها . اما لأنها تقبله كأمر واقع أو لأنها تتمسك به ، وليس من شأن هذا الوضع أن يتبدل ما لم يطرأ تعديل هائل على موازين القوى العالمية لصالح القوى المعادية للاستعمار والصهيونية الأمر الذي ليس في المتناول الآن . وهو ، مع ذلك ، وضع لا ينبغي أن يدفع الفلسطينيين إلى اليأس أو أن يفقدهم القدرة على التفكير المنطقي وانتهاج النهج العلمي في تصرفاتهم والاستسلام للعواطف أو الاندفاع في سياسات مغامرة لا ينتج عنها هدف ايجابي .

واذا كانت ظروف ما قبل ١٩٤٨ وما تلاها قد حالت بين الشعب الفلسطيني وبين حقه في تقرير مصيره على تراب وطنه ، حين كانت الغلبة في الساحة العالمية لصالح قوى الامبريالية المساندة للصهيونية ، فان هذا الوضع شهد بعض التبدل في ظل الانحسار المستمر لقواها . وهو أمر يبعث الأمل والثقة ويعززها مع تنامي القوى المناهضة للاستعمار والامبريالية وتنامي حركة التحرر العالمي والقوى الديموقراطية والتقدمية والاشتراكية ، وهذا التحول هو الذي أدى على الصعيد العالمي الى اتساع التأييد لما اصطلح على تسميته باسم الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، مفهومة على أنها الحقوق التي تحددها قرارات الامم المتحدة ، كما أدى الى عزلة اسرائيل والادانة الواسعة لسياستها العدوانية ، مما يعني أن م . ت . ف مدعوة لآن تحتفظ بهذا التأييد وتوسعه ، فعليها ، من أجل ذلك ، أن لا تجبه مؤيديها بسياسات ومواقف يصعب عليهم تبنيها أو الدفاع عنها ، ما داموا هم الذين وفروا لها بتأييدهم هذا الجو الذي يسمح بتحقيق عدد هام من المطالب الوطنية الفلسطينية وبضمنها اقامة دولة خاصة بالشعب الفلسطيني على جزء من أرض فلسطين . واذا كان من غير المسموح به استبعاد امكانية حلول الظروف المناسبة عالميا والتي تسمح بتحقيق حقوق أوسع فان الامر يقتضي الصبر ، والاهتمام بالصورة التي ترسخ في ذهن العالم عن مشروعية كفاح الشعب الفلسطيني وعن دوره المرتبط بنضال القوى العالمية المعادية للاستعمار والامبريالية وبجميع القوى التقدمية والاشتراكية .
وهنا أيضا ينبغي أن تجد م . ت . ف السياسة التي لا تضعها بتعارض مع امكانيات هذه القوى أو مع سياساتها ، لأنها بقبولها ما يمكن تحقيقه على ضوء ذلك تسهم في تعزيز امكانيات

ومواقع حلفائها هؤلاء وبالتالي تفسح الأمل في الحصول على المزيد .

أما على الصعيد العربي فان معطيات الصراع العربي ـ الصهيوني عبر سنوات احتدامه كلها تظهر أن حرب تشرين قدمت أقصى ما استطاعت الدول العربية أن تسهم به في الضغط على اسرائيل . وقد تحقق هذا بنتيجة جهود ست سنوات انصرفت فيها مصر وسوريا لاعادة بناء قواتها العسكرية التي دمرتها حرب حزيران ، وفي ظل تضامن عربي في مواجهة الخطر الصهيوني والامبريالي لم يسبق له مثيل ، وحتى في ظل الاستخدام الجزئي لسلاح النفط بالقدر الذي أمكن لكل الضغوط الوطنية أن تؤدي لحدوثه ، وفي ظل اشتداد عزلة اسرائيل بعد أن عملت الدول العربية المعنية سنوات في هذا الاتجاه واستطاعت أن تكشف سياستها العدوانية التوسعية . وقد أظهر هذا كله أن العرب بالرغم مما بذلوه من جهد ، لم يستطيعوا أن يحققوا نصراً عسكريا حاسما على اسرائيل فضلا عن أن يزيلوا الكيان الصهيوني من فلسطين ، الذي يدعو الميثاق الوطني الفلسطيني الى ازالته ، الأمر الذي يظهر عدم واقعية مطلب كهذا ، على الاقل في الظروف الراهنة أو المنظورة ، بينما يظهر في مقابل ذلك ، أن من الممكن الاستفادة من الظروف المتحققة للوصول الى أهداف مرحلية يخلق انجازها بدوره ، وضعاً أفضل لاستمرار الكفاح الوطني .

وأما على الصعيد الفلسطيني ، فان وضعه أيضا يدفع في هذا الاتجاه ، ذلك أن الكفاح الوطني للشعب الفلسطيني قد حقق له المقدار من الوزن والتأييد اللذين يسمحان بالاستجابة لعدد من مطالبه ، في حين أن رفضه العمل من أجل تحصيلها لن يكون مفهوماً ، وسيفوت عليه فرصة سانحة ، وسيضعه بتعارض مع سياسات وخطط أقرب الدول العربية والأجنبية اليه ، وسيعطي للأردن فرصة التصدي لابرام تسوية مع اسرائيل لن تكون لصالحه بالطبع ، واذا كانت الدول العربية المعنية جميعها تتجه لابرام تسوية كهذه وتعتبر مؤتمر جنيف مكاناً مناسباً للتفاوض بشأنها ، فان انفراد م . ت . ف بالرفض سيجعل الدول العربية أميل للقبول بالدور الاردني ، فضلا عن أن اسرائيل الطرف الآخر في التفاوض لا تقبل غيره ، ومن شأن هذا أن يؤدي مرة أخرى الى تغييب دور الحركة الوطنية الفلسطينية وتأليب عدد أكبر من الخصوم ضد المنظمة ، في حين أن الانخراط في النضال من أجل أن تحتفظ المنظمة بدورها كممثلة لشعب فلسطين ومسؤولة عن صياغة مستقبله فلا تتركه للاردن أو لأي طرف آخر ،سيعزز مكانتها. وأي انجاز يتحقق في سياق هذا النضال سيفعل الأمر ذاته وسيكون من شأنه أن يهيء الأرضية اللازمة لاستمراره في المستقبل أيضا .

يضاف لكل ما تقدم أن الدعوة لعقد مؤتمر السلام جاءت في ظروف غير مؤاتية لاسرائيل ، ومن غير المستبعد أن تضع العقبات في وجه انعقاده كأن تعلن رفضها المسبق لمبدأ الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، خلافاً لما ينص عليه القرار ٢٤٢ ، ولا شك في أنها ستستثمر أية خلافات تقوم على الجانب العربي بشأن المشاركة في مؤتمر السلام والتمثيل الفلسطيني فيه من أجل تبديل الظروف لمصلحتها*. وهكذا فان غياب المنظمة عن جهود السلام التي تشترك فيها الأطراف الأخرى المعنية كافة ، كل على طريقته بالطبع ، يفسح المجال لبديل واحد هو اشتراك الأردن

---

* برهن المجرى اللاحق للاحداث على صحة هذا التنبؤ .

باسم الفلسطينيين فيها . ومن المعروف أن النظام الأردني الذي ما فتىء ينازع م . ت . ف حق تمثيل الشعب الفلسطين ، قد أظهر في أكثر من مناسبة عداءه لهذا الشعب ووقوفه ضد تحقيق حقوقه المشروعة ، كما أظهر استعداده للتنسيق مع الولايات المتحدة واسرائيل من أجل استبعاد المنظمة ، ولو نجح في هذا فان نجاحه سيحرمها من حق الاستجابة للرغبة العالمية المؤيدة للحضور الفلسطيني في مساعي السلام ، ويضمنها حضور مؤتمر جنيف والدفاع عن الحقوق الفلسطينية في هذا المؤتمر .

واذا كانت هذه هي بعض مضار الغياب الفلسطيني عن مجهودات السلام ، مما يؤكد أهمية الحضور ، فان لهذا الحضور ، أيضا ، أهميته الايجابية التي تتجلى في المجالات التالية .

أ ـ انه يثبت بطلان الزعم الاسرائيلي بأن الضفة الغربية وقطاع غزة أراض متروكة يحق لاسرائيل أدارتها بنفس القدر الذي مارسته مصر والأردن بين العامين ١٩٤٨ و ١٩٦٧ . وهو الزعم الذي جعل اسرائيل تسميها المناطق المدارة لكي تصرف الأذهان عن كونها مناطق محتلة .

ب ـ إن مجهودات السلام حين تقود الى رسم حدود اسرائيل ستبرز ، في حالة الاعتراف بالوجود الفلسطيني كما تؤكده مشاركة م . ت . ف فيها ، الوجه الآخر للمسألة ، أي الدولة الفلسطينية وحدودها . وذلك في وقت تتجنب فيه اسرائيل عن قصد تحديد حدود لها لكي تطمس هذا الوجه الآخر وتعطي لنفسها حرية الاستيطان في الضفة والقطاع « حسب ما تمليه عليها مصالحها الاقتصادية والعسكرية والتوسعية وارتباطاتها مع الامبريالة العالمية بحجة أن ذلك يجري في مناطق متروكة » على حد تعبير رسالة الجبهة الوطنية .

ج ـ أن الزام اسرائيل بحدود واضحة سيفقدها واحدا من أهم الأسباب التي تتخذها ذريعة للتوسع لأن نظرية الأرض المتروكة ستصبح بغير معنى . والأهم من ذلك أن افشال سياسة اسرائيل التوسعية سيفسح المجال أمام تراكم مشاكلها الداخلية لأنها ستفقد هذه الوسيلة التي تستخدمها في اشغال سكانها بالحروب وصرف انتباههم عن هذه المشاكل .

د ـ إن قيام دولة فلسطينية ، ولو على جزء من أرض فلسطين ، يفسح المجال أمام تجمع الشعب الفلسطيني على أرضه والاعتراف بحقه في تقرير مصيره . وهذا سيضعه في موقع أرسخ للمطالبة بتنفيذ قررات الأمم المتحدة الصادرة منذ العام ١٩٤٧ ، التي تعيد للفلسطينيين من أرضهم وحقوقهم ما هو أوفرمما تيسره التسوية الراهنة . وذلك لن يتم ، كما تبين الرسالة « الا على حساب الاغتصاب الصهيوني للأرض العربية » . واذا كانت المطالبة بابعاد اسرائيل عن الأراضي التي تحتلها من بين أراضي الدول العربية هي من حق هذه الدول فان المطالبة بانسحابها من الأراضي الفلسطينية هي من حق شعب فلسطين ، ومن شأن تثبيت حق المنظمة في أن تكون ممثلة هذا الشعب أن يعطيها حقا آخر هو المطالبة باستعادة أرضه الأخرى المغتصبة وتطبيق قرارات الأمم المتحدة بهذا الشأن ، فضلا عن أن وجود دولة لهذا الشعب أيا كان حجمها سيسند هذا الحق بغير شك .

هـ ـ ثم إن بناء دولة فلسطينية بما يعنيه من استعادة الشعب الفلسطيني لحق من حقوقه المشروعة ومن استلامه لمقدراته ومسؤولياته ، سيعني أيضا أن تتفرغ الدول العربية

للبناء الداخلي وسيحول المجهودات الهائلة ، التي تصرف بسبب الصراع العربي ـ الصهيوني أو بحجته ، لخدمة هذا البناء ، وسيؤدي الى حل مشاكل التطور الاقتصادي والاجتماعي في وضع أفضل من الوضع القائم ، أي أنه سيفتح المجال أمام التطور الطبيعي بعيداً عن تهديدات العدوان وبعيداً عن الأساليب التي تمارس لعرقلته باسم حالات الحرب . وكل ذلك ، كما قالت الرسالة ، سيخدم « في محصلته قضية شعبنا والأمة العربية ونضال الشعوب المكافحة من أجل تحررها و [سيخلق] بالتالي مصاعب اضافية للامبريالية والصيونية » .

و ـ وأخيراً فان غياب الذريعة الأمنية التي تستخدمها اسرائيل للحصول على المساعدات من شتى الدول ومن الأوساط اليهودية في العالم ، فضلاً عن تحجيم اسرائيل ، سيقلص دوافع الهجرة اليها ، وسيكون من شأنه أن يفقدها أحد أهم مواردها التي تعزز قوتها وقدرتها على العدوان . كما سيفقدها القدرة على التأثير حتى داخل الأوساط التي تتعاطف معها في العادة .

ولعل هذه النقطة الأخيرة هي أهم النقاط التي يستند اليها التيار الداعي لمشاركة م . ت.ف. في مجهودات التسوية. ذلك أن مقدرة اسرائيل على العدوان والتوسع لا تنبع أساساً من امكانياتها الذاتية ولو كان الأمر كذلك لصار من السهل مجابهتها ، وانما تنبع من الدعم الخارجي متعدد الاشكال الذي تقدمه لها الأوساط الامبريالية والصهيونية بالذات . ومن المؤكد أن هذه الأوساط لا تفعل ذلك إلا لأن وجود اسرائيل وسياستها التوسعية تخدم أهدافها وتحقق لها القدرة على تعزيز وجودها ونفوذها هي في المنطقة . وعلى هذا فانه بمقدار ما تتقلص قدرة اسرائيل على لعب هذا الدور بمقدار ما تفقد المساعدات التي تتلقاها مبررات تقديمها ، وسيؤدي هذا في حسابات التأثيرات المتتابعة الى أن تفقد اسرائيل مقدرتها التوسعية بكاملها . واذا أضيف اليه حساب تنامي القدرة الوطنية الفلسطينية حين يجد الفلسطينيون أرضهم ودولتهم التي تجمع جهودهم ، فان التأثيرات ستصبح أعمق وأبعد مدى ، الأمر الذي يؤكد أن التطورات اللاحقة ستتجه نحو مزيد من احقاق الحقوق الوطنية الفلسطينية ، وليس نحو تقليصها .

ولعل في التجربة التاريخية للحركة الصهيونة ذاتها ما يظهر أهمية التدرج في انجاز الأهداف المتتابعة في ظل الظروف المؤاتية ، فهذه الحركة التي صاغت هدف اقامة الدول اليهودية في فلسطين في ظل صعود القوى الامبريالية ، خطت خطواتها نحو تحقيق هذا الهدف واحدة واحدة ، على مدى قرابة نصف قرن ، ثم أخذت تتوسع بعد ذلك وبالتدريج أيضا ، وقد بدا هدفها حين صاغته لأول مرة وكأنه ضرب من الأحلام ، حتى أن عدداً من القوى الامبريالية التي نشدت الصهيونية عونها في ذلك الوقت ترددت في تقديمه ، وظلت تتردد الى أن تبينت لها ، بالاضافة الى أهميته ، امكانية تحقيقه . والآن يبدو من الواضح أن تحقيق الهدف الصهيوني يشهد مرحلة توقف تشير الى بداية الارتداد ، وليس من الخطأ أن نرى أن تطوراً معاكساً سوف يحدث ، أي أن مسيرة الشعب الفلسطيني ، وحركته الوطنية م . ت . ف . تستطيع في ظل انحسار الامبريالية العالمية ، أن تتدرج في تحقيق أهدافها الوطنية ، مستفيدة من أي ظرف ملائم لتحقيق انجاز ملموس ، ومستخدمة هذا الانجاز ذاته نقطة انطلاق نحو الذي يليه .

ثم انه اذا كان التراجع العربي أمام الهجوم الصهيوني المتصاعد سبباً من بين أسباب تشجيعه ، فمما لا شك فيه أن التراجع الصهيوني عن المشروع التوسعي سيصبح سبباً لحفز

النضال العربي من أجل استرداد مزيد من الأرض ومزيد من الحقوق . ولا يملك أحد أن يجادل في أن ارغام اسرائيل على الاقرار بوجود دولة فلسطينية مستقلة الى جانبها سيعد من أكبر وأهم التراجعات المفروضة عليها في تاريخها ، وهو يفتح الطريق أمام اعادة صياغة وضع المنطقة بما يتلاءم مع مصالح شعوبها وتطورها في ظل الأمن والاستقرار اللذين لا تهددهما سياسات اسرائيل التوسعية واعتداءاتها . وفي المتناول هذا المثل الذي قدمته تجربة ١٩٥٦ ، فقد ارغمت اسرائيل على الانسحاب من سيناء وغزة ، ولكن انسحابها هذا لم يقترن بتلبية أي من الحقوق الفلسطينية ولذا فانه لم يمثل تراجعاً في المسألة الجوهرية التي هي اغتصاب هذه الحقوق ، ومع ذلك كانت له مردودات سلبية داخل اسرائيل تجلت في نقص الهجرة اليها في السنين التي أعقبت الانسحاب وفي البطالة والركود الاقتصادي ، بالرغم من أنها حصلت على حق الاستخدام الحر لخليج العقبة .

واذ فتح الباب في العام ١٩٧٤ أمام تسوية تستوعب جوهر الحقوق الفلسطينية الذي هو الاستقلال وتقرير المصير فان ولوجه يصبح واجباً لأنه سيؤدي الى بداية التراجع التاريخي المحتوم للصهيونية عن هدفها الشامل .

ورسالة الجبهة وهي توجز وجهة نظر التيار المؤيد لمجهودات التسوية تشير الى بعض النتائج المتوقعة بعد هذا التراجع ، وهي ترى أن حدثاً كهذا سيعزز على الصعيد اليهودي خارج اسرائيل « الشكوك التي طالما ساورت الكثيرين بسلامة الفكرة الصهيونية وامكان تحقيقها » مما سيعكس آثاره المباشرة على ميزان الهجرة من اسرائيل واليها « خصوصاً في هذه الظروف التي تضاءل أو انعدم فيها التمييز العنصري ضد اليهود في جميع أنحاء العالم ، كما سيتبع ذلك انكماش المساعدات المالية والحماس المعنوي اللذين الهبهما انتصار العام ١٩٦٧ » . أما فيما يتصل بمشاكل المجتمع الاسرائيلي المتراكمة ، الناجمة عن طبيعته المصطنعة وعن حاجته في المقام الأول ، الى الهجرة والى المساعدات الخارجية ، فمن اليسير أن يتصور المرء كيف ستبرز هذه المشاكل فيما لو انهارت الآمال التوسعية التي بنيت على عدوان حزيران ، وخاصة حين لا تعود الأمور الى ما كانت عليه قبل العدوان فحسب ، بل تقوم بالاضافة لذلك دولة الشعب الفلسطيني التي لم تقم في العام ١٩٤٨ .

هذا المنطق الداعي للمشاركة في مجهودات السلام ، الذي أوجزنا آنفا أهم مكوناته ، وجد ما يعززه أيضا في التحالف السوري ـ المصري ـ الفلسطيني الذي قوي قبل حرب تشرين وأثناءها واستمر بعدها وفي المساندة الدولية لأهداف هذا التحالف ، كما أظهرتها مواقف الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز ومنظمة الدول الاسلامية والعدد الكبير من المنظمات والهيئات والأحزاب والقوى ، العالمية أو الاقليمية ، في كل مكان في العالم . وبين هذا كله برزت الأهمية الخاصة لموقف الاتحاد السوفياتي بوصفه الدولة العظمى المؤيدة لهذا المنطق ، والتي توازن قوتها قوة الولايات المتحدة المؤيدة لاسرائيل .

الموقف الفلسطيني خارج الأرض المحتلة

إذا كانت الجبهة الوطنية الفلسطينية قد استطاعت أن تفصح في رسالتها عن أقصى ما يدور من آراء وطروحات في الأوساط الفلسطينية التي تؤيد المشاركة في مجهودات التسوية فلأنها لم

تكن تواجه معارضة واسعة هناك بسبب ضعف تيار الرفض في المناطق المحتلة . ولذا جاءت رسالتها تحمل هذا المقدار من الوضوح الذي لا يكتنفه أي غموض في الحث على المشاركة وعلى النضال من أجل تمثيل م . ت . ف في مؤتمر جنيف . ومع ذلك فموقفها هذا لم تتخذه بمعزل عن تأثيرات القوى التي تؤيد طروحاتها خارج هذه المناطق ، وبالذات عن مواقف التكتل الذي أفرزته حرب تشرين وأدى الى التقاء كل من فتح والجبهة الديمقراطية والصاعقة في مقابل جبهة الرفض . بل أن رسالة الجبهة ذاتها قد صيغت بعد مشاورات أجرتها مع قيادة فتح والديمقراطية وعدد آخر من القادة الفلسطينيين والعرب(٧) .

إلا أن القوى المؤيدة لطروحات الجبهة لم تكن تفصح عن كامل آرائها على هذا النحو لأسباب تتصل بحاجاتها الى تهيئة الرأي العام الفلسطيني لتقبل طروحات تغاير ما ألفه قبل ذلك . ولا شك في أن موقف فتح بالذات ، بوصفها الأكبر والأوسع نفوذاً بين المنظمات الفلسطينية كافة ، هو الذي كان من شأنه أن يحسم الأمر . ومن المؤكد أن فتح كانت بين القوى التي تؤيد طروحات الجبهة ، بل أنها حثتها على تقديم الرسالة لتعزيز وجهة نظرها في الحوار المحتدم خارج الأرض المحتلة بين التيارين(٨) ، أما لماذا لم تفصح فتح عن آرائها كلها ولماذا فعلت ذلك بالتدريج فلأسباب نوجز أهمها فيما يلي .

١ ـ استمرار نهج فتح المناور وعدم رغبتها في كشف أوراقها أمام الخصوم ، وهو نهج ، بصرف النظر عن سداده من عدمه في كل حالة من الحالات التي مورس فيها ، ميز سلوك فتح ازاء هذه المسألة .

٢ ـ رغبة فتح في تهيئة المناخ الفلسطيني ، خارج الأرض المحتلة ، لتقبل طرح جديد لم يألفه من قبل .

٣ ـ أخذها بعين الاعتبار حجم وتأثير القوى الرافضة ، والحاجة للمزيد من الوقت كي يصل حوارها معها الى نتائج محددة .

٤ ـ وجود خلافات داخل فتح ذاتها حول هذه المسألة بصرف النظر عن الحجوم والأوزان لكل من أصحاب الطروحات المختلفة .

٥ ـ حرص فتح ، المعبر عنه بكل أشكال التعبير والممارسة ، على أن يكون أي قرار فلسطيني جديد مقبولا من الأطراف الفلسطينية كافة ، وعلى توفر الاجماع الوطني في الموافقة على أي خطوة ذات طابع مصيري .

ولذا اتسم موقف فتح في تلك الفترة بالمثابرة في المجالات كافة على تهيئة المناخ من أجل تثبيت الطرح الجديد ، وبالتهرب ، في الوقت نفسه ، من الالتزام بأي شيء محدد في هذا الصدد ، التزاما معلنا .

أما الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين فقد لعبت ، على صعيد الفكر بصفة خاصة ، دوراً بالغ الأهمية في مجمل الحوارات التي دارت حول هذه المسألة كلها . ثم في الدعوة الى تبني الطروحات الجديدة . ذلك أن الجبهة كانت قد هاجمت الدعوة الى الدولة الفلسطينية عندما انطلقت خافتة بعد أيلول ١٩٧٠ ، وظلت أدبياتها طيلة السنوات الثلاث التالية تدحضها

بحماس شديد . ثم بدأ موقف الجبهة يتحول تدريجيا : ابتداء من أواسط العام ١٩٧٣ حين أخذت أدبياتها ، على غرار ما فعله برنامج الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة ، تهاجم التسويات الاستسلامية والحلول الاميركية والرجعية ، وليس التسويات باطلاقها(٩) .

ثم حدث تحول آخر في مواقف الجبهة بعد حرب تشرين ، أقره اجتماع موسع عقدته لجنتها المركزية ، وحضره ممثلون عن تنظيماتها في أوائل تشرين الثاني ١٩٧٣ وهو اجتماع طارىء كان هدفه « دراسة نتائج حرب تشرين وموقف المقاومة الفلسطينية من التطورات التي نشأت في أعقابها »(١٠) . وكانت له نتائج انعكست على مجمل الخط الفكري والسياسي للجبهة ، فنقته من بعض التأثيرات اليسارية المغامرة عليه . وكان له أيضا في هذا السياق تأثير على موقف الجبهة من المسألة التي نحن بصددها .

وفي هذا الاجتماع لاحظت اللجنة المركزية . « ان النتائج التي أدت اليها حرب تشرين الوطنية تطرح بحدة الآن مسألة ضمان **الحقوق الوطنية الملحة** والمصالح الحيوية للشعب الفلسطيني ، في وجه محاولات الامبرياليين والصهاينة والرجعيين الرامية الى تزييف هذه الحقوق واصطناع أطراف مشبوهة لادعاء تمثيل الشعب الفلسطيني ومصادرة حقه في تقرير المصير » . وفيه جرى التأكيد على « أن الامبريالية والصهيونية بتأييد شديد من الرجعية الأردنية ، تعمل بشكل محموم الآن من أجل تمرير تسوية تصفوية على حساب حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره على أرضه ، وتحاول عزل وضرب حركة المقاومة الفلسطينية ، بصفتها الممثل الشرعي الوحيد لشعب فلسطين والقيادة الوطنية لنضاله . ولهذا رأت اللجنة المركزية « أن القوى الوطنية والتقدمية الفلسطينية تدرك أن نجاح مثل هذه المحاولات التي يخطط لها الاعداء سيؤدي لسنوات طويلة قادمة الى تصفية الحركة الوطنية لشعبنا ونضاله من أجل حقوقه الوطنية الراهنة ، وطمس هويته الوطنية المستقلة وكذلك حقه في استرداد وطنه وبناء دولة ديمقراطية على كامل ترابه الوطني » .

وبهذا أدخلت الجبهة التمييز بين الحقوق الوطنية الملحة أو الراهنة ، للشعب الفلسطيني وبين حقه في استرداد وطنه وبناء دولة ديمقراطية على كامل ترابه الوطني . وهو التمييز الذي تجلت فيه الخطوة التي مهدت لانخراط الجبهة الديمقراطية بنشاط في تيار الدعوة الى صياغة مطالب مرحلية ، لتنتهي بالدعوة الى دولة فلسطينية على أي جزء من أرض فلسطين يمكن تحريره من الاحتلال .

ولم يقف تيار الرفض بطبيعة الحال مكتوف الايدي ازاء هذا الطرح الجديد الذي يناقض موقفه ، والذي يكتسب أنصارا يتزايدون كل يوم . بل انه استنفر كل قواه وامكانياته للدفاع عن وجهة نظره مستندا الى قوة الأفكار والقناعات السائدة التي طال عليها الزمن ، ومستفيدا من وجود مجموعات من مؤيديها داخل المنظمات التي تبنت الطرح الجديد نفسه. واذا كانت الجبهة الوطنية هي التي تصدت لعرض وجهة نظر التيار الأول بأقصى ما تحمله من طروحات جديدة ، فان قوى التيار الثاني ، وهي تتصور أنها تحمل أفكارا سائدة يسهل الدفاع عنها أمام الرأي العام ، اشتركت جميعها في التعبير عن طروحاته مما أفرز عشرات الوثائق الهامة ومئات الوثائق الأخرى التي يصعب استقصاؤها . وفي الأحوال كلها ظلت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي زعيمة هذا التيار وأكثر قواه تأثيرا . وقد عمدت هذه الجبهة ، على غرار ما

فعلته الجبهة الوطنية ، الى توجيه مذكرة من قبلها الى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير في ٨/١١/١٩٧٣ ،(١١) أي في وقت قريب من التاريخ الذي قدمت فيه الجبهة الوطنية رسالتها ، توجز فيها وجهة نظر الرفض في المسألة التي احتدم الحوار بشأنها .

هذه المذكرة ، مثلها مثل غيرها من وثائق الرفض العديدة ، تظهر رأيه في أن أهم ما نتج عن حرب تشرين « هو شعور الامبريالية الاميركية بخطورة بقاء هذا الوضع المتفجر في المنطقة وما يحمله من تهديدات لمصالحها النفطية بشكل خاص » ، وتستنتج على ضوء هذا أن الامبريالية الاميركية صارت مستعدة لوقفة جديدة لاعادة ترتيب الأوضاع في المنطقة ، أساسها قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ . وبهذه الاشارة للقرار الشهير ، التي ستتكرر في وثائق الرفض ، يريد هذا التيار التذكير بأن التسوية التي فتحت الحرب الآمال بتحقيقها تستند على ضرورة الاعتراف العربي باسرائيل وبحقها في الوجود الآمن كما ينص عليه القرار ، وبأنها لا تقدم جديداً بالنسبة لشعب فلسطين ما دام القرار يتجاوز وجوده وحقوقه ويتجاهلها .

ودعاة هذا التيار لا ينكرون « أن قوى عالمية وعربية جديدة عديدة ترى في هذا القرار أساساً صالحاً لنضال سياسي يجب أن يستهدف ازالة الاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية التي احتلت أثناءحرب ٥حزيران»، إلا أن هذا الامر لا يستهويهم على ما يبدو، وهو على كل حال لا يشكل شاغلهم الأول والأساسي ما داموا قد رفضوا القرار من قبل وظلوا يرفضونه ، مما لا يعد جديداً لا في الوضع الناجم عن الحرب ، ولا في مواقفهم منه . أما الشيء الجديد في هذه الفترة والذي هو « الشيء الخطير بالنسبة لنا كشعب فلسطيني ومنظمة تحرير فلسطينية فهو وجهة النظر التي طرحت نفسها مؤخراً والتي تنادي باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فيما يسمونه « مؤتمر السلام » الذي سيتعقد على أساس البحث الجاد في تطبيق القرار ٢٤٢ » . وبوضعهم اليد على بيت القصيد هذا، وفي مجال تشبثهم برفض التسوية يلجأون الى التذكير بأن « موقف منظمة التحرير بمختلف فصائلها من قرار ٢٤٢ موقف واضح وصريح ، عبرت عنه مختلف التنظيمات من خلال برامجها السياسية » التي ترفضه . أما وان الواقع المستجد بعد حرب تشرين، وخلافاًلرغبتهم، قد طرح مواقف جديدة « خلافاً للبرامج السياسية التي أقرتها المجالس الوطنية الفلسطينية في أكثر من مناسبة » فانهم يجدون أنفسهم مضطرين للتذكير بما يعدونه حقيقة واضحة ، وهي أن قرار مجلس الأمن « بقدر ما ينص على ضرورة انسحاب اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران ينص بنفس القوة على ضرورة بقاء اسرائيل وحقها في الحياة وتوفير حدود آمنة لها ، وتوفير سلام دائم في ظل وجود اسرائيل وبقائها وضمان سلامتها » . وعلى هذا بالذات ينصب رفضهم . وهم يقررون على ضوئه أن « أي اشتراك لـ م . ت . ف . في مؤتمر قائم على أساس القرار ٢٤٢ [كما هو حال مؤتمر جنيف] يعني بشكل واضح استعداد [ها] للمساهمة في مؤتمر أحد أهدافه ضمان بقاء اسرائيل ضمن حدود آمنة » .

ثم يفيضون في شرح مضار القرار ٢٤٢ باعتبار أنه يثبت شرعياً ودولياً عدوان ١٩٤٨ « بقدر ما يزيل عدوان ١٩٦٧ أو شيئاً منه » .

وفي معرض الرد على وجهة نظر التيار الأول التي ترى أن أهم ما في الامر هو تحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الأراضي التي احتلت في العام ١٩٦٧ . بالاستفادة من معطيات ميزان

القوى كما أظهرته حرب تشرين ولو أدى ذلك الى توقيع معاهدة سلام ، يمكن تعديل بنودها في المستقبل كلما تطور الميزان ،يؤكد الرفض وجهة نظره « ان اسرائيل والامبريالية لن تنسحب من الأراضي التي احتلتها في حرب ٥ حزيران مقابل وثيقة ورقية نستطيع أن نحرقها في أي وقت نريد » ، وهو يرى « أن كلاما كهذا يحمل الكثير من الاحلام والتمنيات » . وهنا يشدد في القول « أن الامبريالية لن تكتفي بوثائق ورقية ، بل أنها ، حسبما ينص القرار ٢٤٢ ستفرض مجموعة من الاجراءات المادية وغير المادية . ــ المناطق منزوعة السلاح ، الوجود الدولي ، الاعتراف ، التعامل الاقتصادي، الى آخر ما هنالك،إستنادا الى فقرة واضحة في القرار ٢٤٢ وهي شرعية الوجود الاسرائيلي وحقه في الحياة ، وضرورة العمل على سلام دائم ومضمون في المنطقة » ، الأمر الذي يعدونه ضارا بالحقوق الوطنية الفلسطينية .

وزيادة على ما تقدم يتطوع الرفض ، كما تفصح عن موقفه مذكرة الجبهة الشعبية ، بالتأكيد على « أن أي اشتراك من قبل م . ت . ف . في مؤتمر أساسه قرار ٢٤٢ لا يمكن أن يعتبر محاولة لاحراز انتصار تاكتيكي يساعدنا في الوصول الى الانتصار الاستراتيجي » . ولعل ما يتجلى في هذا التأكيد هو واحد من أهم أسس موقف الرفض ، اذ أن التركيز على ما يريده الطرف المعادي وحده ، وكأنه هو المرشح للتحقيق دون ما عداه ، سمة من سمات هذا الموقف المتميزة ، يضاف اليه عدم الاهتمام بحقيقة أن نضال حركة التحرر الوطني ، مدعوماً بمساندة حلفائها العديدين ، يمكن أن يؤدي لنتائج مغايرة ، ولذا نجد أن مذكرة الجبهة تعود للتأكيد في حالات معينة في تاريخ بعض القوى السياسية ، احراز انتصار جزئي مقابل« **التنازل الفعلي الكامل عن الهدف الاستراتيجي** . » (التشديد من عندنا) . ويعتقد الرفض على ضوء هذا « ان المطالبة بالواقعية والتكتيك والحكمة والتروي والتعقل ، وغيرها من التعابير ، تصبح بشكل واضح استسلاما متسترا بكل هذه التعابير » .

ومع التذكير بالمواقف السابقة من القرار ٢٤٢ ، أي المواقف من التسوية ، فان الرفض يأخذ على المنظمات الاخرى ما يبدو من استعدادها لتبديل هذه المواقف مذكراً اياها بأن « التنظيمات الثورية عندما تضع استراتيجيتها وبرامجها السياسية فانها تضعها لتشكل دليلا صادقاً لنضالها ونضال الجماهير ، وليس لتكون مجرد كلمات أو نصوص يمكن أن نلقي بها جانباً وقتما نريد » . وفي هذا التشبث بالمواقف السابقة محاولة واضحة للاستفادة من قوة السائد من الآراء للوقوف في وجه التطورات والطروحات الجديدة . ومع هذا التشبث يرد التأكيد على « أن استراتيجية حرب التحرير الشعبية الفلسطينية العربية الطويلة المدى ، هي وحدها القادرة على تحقيق الهدف الاستراتيجي ، أي تحرير كامل التراب الوطني واقامة المجتمع الديمقراطي على أرض فلسطينية » ثم يرد أيضاً التأكيد على « أن أية مواقف تكتيكية يجب أن تخدم هذه الاستراتيجية بشكل واضح وملموس » . وهذا التأكيد يسقط من الحسبان ما هو ملموس فعلا ،وهو أن الدول العربية لم تحارب مرة واحدة حربا اتصلت لأكثر من بضعة أيام أو بضعة أسابيع منذ خسارتها لحرب ١٩٤٨ التي استمرت بضعة أشهر . وأن الجماهير العربية لم تبدأ حربها الشعبية الطويلة الأمد بالرغم من أن الدعوةلهاما فتئت تتردد منذ عدة سنوات ، وهو لا يأخذ في الحسبان أن الدور الفلسطيني ، على أهمية تأثيراته السياسية والاعلامية ، لا يستطيع أن يخلق الظروف الموضوعية ، المادية والمعنوية ، التي تثير حربا كهذه ، ولا أن يكون بديلا لها ، مثلما لا يأخذ في الحسبان أيضا أن حروب الشعب طويلة الأمد أو قصيرته لا تأتي وفق الرغبات

مهما استندت هذه الرغبات الى النوايا الطيبة .

ولان هناك فكرة شاعت عن الرفض بأن مواقفه تقتصر على معارضته الخيارات المطروحة من غير أن يقدم بدائل عنها فان المذكرة تدحض هذه الفكرة . وهي لا تقبل الرأي الذي يقول بأن الشعب الفلسطيني يقف أمام خيارين ، فاما أن يشترك في تسوية هدفها اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة أو أن يسهم في تمرير مشروع المملكة العربية المتحدة حيث ستتقاسم الرجعية الأردنية مع اسرائيل الهيمنة على أرض الشعب الفلسطيني . وانما تؤكد أن هذين الخيارين ليسا وحدهما المطروحين ، وان القول بهذا « لا يضع بموضوعية كاملة كافة الخيارات المتوافرة علمياً أمام الثورة الفلسطينية . ثم تستنتج بعد ذلك أنه « في الوقت الذي نقول فيه لا للدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين ، نقول بنفس القوة . لا لمشروع المملكة العربية المتحدة . أما الخيار الثالث البديل للاثنين فهو الخيار الثوري ، وهو وجهة نظر الرفض « واضح جداً أمام جماهيرنا وهو . نعم لاستمرار الثورة ، نعم للبقاء في صف الجماهير المقهورة والمضطهدة . نعم لحرب التحرير الشعبية الفلسطينية العربية ، الطويلة الأمد ، التي ترفض الاستسلام والتنازل عن الهدف الاستراتيجي ، سواء كان هذا التنازل علنياً أو ضمنياً » . وبهذا تعود دورةعرض البدائل الى نقطة البداية ، أي الى التشبث بالهدف الشامل ، غير ممكن التحقيق في الظروف الملموسة ، والى وضعه في معارضة ما هو ملموس بل إلى إدانة أي إنجاز يتم على طريق هذا الهدف الشامل واعتبار النضال من أجله استسلاما وتنازلا ... الخ .

ولان طرحا كهذا سيبدو ضعيفا في ظل الظروف التي أفرزت الطرح المقابل ، لانه يتجاهل واقع الوضع العربي والوضع الدولي والعديد من العوامل الهامة الأخرى ، فان الرفض يوافق على « أن الثورة الفلسطينية تواجه اليوم أدق مراحلها »كما يوافق على « التحليل الذي يوضح حقيقة الصعوبات التي ستنشأ عن موقف الرفض » . بل يدعي بما هو أكثر من ذلك حيث تقول المذكرة . « إننا نرى كل هذه الصعوبات ونعرف بالضبط ما هي ومدى ثقلها . واننا نوافق كذلك على القول بأن كل ثورة يجب أن تجيد التكتيك بقدر ما تجيد الاستراتيجية . كل ذلك كلام سليم نتفق معه » . إلا أنه يوافق على هذه المقدمات الصحيحة ليستنتج استنتاجات مغايرة لمنطقها مصراً على رفض الاشتراك في مجهودات التسوية ، ومكررا اصراره على أن تؤخذ العوامل التي تعكسها هذه المقدمات بعين الاعتبار شريطة « أن يتم [ذلك] من خلال رفض واضح للقرار ٢٤٢ ورفض واضح لاشتراك منظمة التحرير في مؤتمر قائم على هذا الأساس » .

ثم يعلن عدم قبوله « الكلام الذي يحاول أن يصور موقف الرفض بأنه موقف انتحاري لن تكون نتيجته الا ذبح الثورة وتصفيتها بالوسائل العسكرية ، بالاضافة الى كافة الوسائل الأخرى » ، وكانت هذه تهمة رائجة ضده ، وذلك « لان الموقف الذي تفرضه على منظمة التحرير ليس موقفا انتحاريا . انه في نظرنا موقف ثوري يستند إلى كافة مقومات الانتصار » . أما كيف يفسر ذلك فبأن « مجرد وجود اسرائيل يشكل اضطهاداً واضحاً وتحدياً لجماهيرنا الفلسطينية والعربية ، وان موقفا يستند إلى هذه الحقيقة الموضوعية لا يمكن أن يكون موقفا انتحاريا خاطئاً » . وثمة ثقة مطلقة بأن « هذا الموقف سيلقى تأييد جماهيرنا الفلسطينية والعربية التي رفضت بشكل واضح وقف اطلاق النار ، والتي تطالب باستمرار بمعركة طويلة حاسمة هي وحدها التي يمكن أن توفر الحرية والامن لمستقبل هذه المنطقة » . وبعد الاطمئنان الى أن موقف الجماهير العربية والفلسطينية من طروحات الرفض هو على هذا النحو فان مواقف القوى الثورية

العالمية منها لن تكون على نحو مغاير ، ذلك أن « مثل هذا الموقف لا يمكن الا أن ينال ، بعد نضال وجهد ، احترام وتأييد كافة القوى الثورية العالمية » . وما دام الأمر كذلك بالنسبة للقناعات المتوقعة من الجماهير العربية والفلسطينية ومن القوى الثورية والعالمية « فاننا لا نطالب شعبنا بالانتحار ، وانما نطالبه بأن يدفع الثمن الذي لا بد منه لاي انتصار تاريخي وهو ملايين الشهداء ، والصمود في ميدان الصراع رغم كل الآلام والتضحيات » . وهذا هو « الطريق الذي يعرف كل شعب يريد الحرية بأنه الطريق الوحيد للانتصار الحقيقي » .

أما على أي أساس توقع الرفض أن تكون طروحاته مؤيدة من قبل الجماهير العربية والفلسطينية والقوى الثورية العالمية كافة فانه سؤال لا يجد اجابته الا في الرغبات التي يحملها فرقاء الرفض الفلسطيني . بينما واقع الحال يعطي اجابة مخالفة . ولو لاحظنا ميزان القوى على الجانب الفلسطيني بالذات ، حيث يسود الاعتقاد بأن نسبة مؤيدي الرفض هي أعلى منها في أي مكان آخر لرأينا أن هذه النسبة لا تشكل الاغلبية ولا ترقى إلى درجة الأقلية الكبيرة . واذا كان من الحق أنه ما من استفتاء قد أجري لمعرفة رأي الجماهير الفلسطينية في أي مكان فان مؤشرات اتجاه الرأي العام يمكن استقصاؤها عبر معرفة مواقف التنظيمات الجماهيرية الفدائية والسياسية التي تمثله . وقد رأينا كيف أن سكان الأرض المحتلة كانوا شبه مجمعين على تأييد طروحات الجبهة الوطنية المنسقة مع القيادات الوطنية في الخارج . ولم يكن لممثلي جبهة الرفض في أي وقت من الأوقات الأغلبية في أي من الاتحادات الجماهيرية المنظمة سواء كانت عمالية أو فلاحية أو طلابية أو مهنية من أي نوع . وقوة منظماتها كمنظمات فدائية لا تقارن بالقياس لقوة فتح وحلفائها من المنظمات الأخرى . وغني عن الايضاح أن قوتها العسكرية لم تكن أكبر من تأثيراتها السياسية .

وأما على الجانب العربي فالأمر أبعد من أن يسمح لجبهة الرفض بأن تتحدث باسم الجماهير فضلا عن الأنظمة الرسمية ، ذلك أننا إذا أخرجنا من الحسبان القوى الرجعية واليمينية ذات النفوذ في بعض القطاعات الجماهيرية، فان غالبية القوى الوطنية والتقدمية كانت تؤيد برنامج مؤتمري القمة في الجزائر ثم في الرباط القائمين على أساس العمل من أجل تسوية متوازنة تطالب بانسحاب قوات اسرائيل من الأراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، أي على أساس التفسير العربي للقرار ٢٤٢ ، فضلا عن أن الدول العربية أجمعت على البرنامجين .

ويبدو الأمر أشد وضوحا على الجانب الدولي ، فمن بين أعضاء الأسرة الدولية كلها لم يكن يقف مع وجهة نظر الرفض سوى دولة أو اثنتين، بينما توزعت بقية الدول بين مؤيدة للتسوية وفق التفسير العربي للقرار ومعارضة لها لأنها تناصر التفسير الاسرائيلي الأميركي له . واذا توجب أن نقدم بعض التفصيلات يمكن القول أن قائمة المؤيدين للتسوية المتوازنة ، التي لا يرون بين بنودها الغاء اسرائيل أو الغاء الاعتراف بها ، غالبية الدول العربية ، وغالبية أحزابها الوطنية والتقدمية ، والدول الاسلامية ودول عدم الانحياز والدول الاشتراكية والامم المتحدة والمؤسسات الدولية الأخرى ، والعدد الكبير من الهيئات والمنظمات العالمية التي تضم تنظيمات العمال والفلاحين والطلاب والمهنيين والمثقفين ، وكذلك الأحزاب الشيوعية كافة والأحزاب الاكثر ديمقراطية بين الأحزاب الاشتراكية ، أما الجهات التي كانت لا تساند تسوية كهذه فهي

التي تؤيد اسرائيل وتنحاز لها . بينما لم يكن يؤيد وجهة نظر الرفض الفلسطيني على الجانب العالمي سوى عدد من بين أحزاب اليسار المتطرف وليس حتى كلها ، والمعروف أن هذه من بين كافة الأحزاب هي أقلها نفوذاً وتأثيراً على جماهير بلدانها .

بالرغم من ذلك فان جبهة الرفض تدين موقف التيار الفلسطيني الآخر الذي يأخذ هذه الحقائق كلها في اعتباره بتأثيرها المزدوج ، أي بتأثيرها في بلورة الكفاح الفلسطيني الينحو منحى ايجابياً يضعه في انسجام معها ، وفي مساندة هذا الكفاح حتى يحقق أهدافه المرحلية التي تصب في سياق أهدافه الأخرى وتعبد الطريق نحوها . بل انه يمضي لما هو أبعد من ذلك فيدين حتى التروي في اتخاذ موقف بات حين ارتأت بعض الأطراف، ومنها فتح، أن هذا التروي مفيد . وهو يصفه بأنه موقف اللاموقف ويرى أن استمراره « لن تكون نتيجته الا زعزعة الثقة في صفوف الجماهير [التي] هي القوة الوحيدة القادرة على تحقيق التحرير [لان] الحرص على ثقة الجماهير بثورتها وقيادتها يجب أن يحتل في أذهاننا حجماً أكبر من أية اعتبارات تكتيكية أخرى » .

وتستبق المذكرة آراء معارضي الرفض فتقول . « نعرف تماماً أن البعض قد يفسر تقديم هذه المذكرة بأنه ضرب من المزايدة ، وقد يحملها شتى النوايا والمزايدات ، غير أننا ، في نظرتنا العلمية للأمور ، نؤمن أشد الايمان ، ومن حقنا أن نتصرف حسب قناعاتنا ، بأن هذا الموقف يخدم قضية الثورة وقضية الجماهير وقضية الوحدة الوطنية المستندة الى الموقف السياسي الثوري والموحد » . وهو ما يأمل مرسلو المذكرة في أن يتم تفسيرها على ضوئه .

الحوار الوطني ــ الاتفاق

احتدم الحوار اذن بين وجهتي نظر كان بينهما هذا المقدار الذي رأيناه من الاختلاف في زوايا النظر والتحليل والاستنتاج .وفي ظل حرب الاستنزاف التي واصلها الجيش السوري ضد مواقع القوات الاسرائيلية في الجولان ، وبانتظار ما ستسفر عنه ، وفي ظل استمرار العمليات الفدائية الفلسطينية ظل الحوار محتدماً وتزايدت حدته ، وبدا في وقت من الأوقات وكان الحركة الوطنية الفلسطينية على وشك أن تشهد انقساماً جديداً ، حاداً كل الحدة هذه المرة .

واذا شئنا أن نلخص مرة أخرى وبكلمات قليلة ، وجهتي نظر الطرفين المرشحين للانقسام أمكن أن نقول . ان الرفض تمسك بالقول أن حرب تشرين ، وسنغض الطرف عن الأوصاف التي رماها بها بعد توقفها ، لم تحدث تبدلات أساسية على ميزان القوى في الصراع العربي ــ الصهيوني ، ولذا فان الأسباب التي كانت تدفعه في السابق الى خوض حرب طويلة الأمد والى التمسك بالمطلب الشامل (تحرير فلسطين ثم الدولة أو المجتمع الديمقراطيان) والغاء الكيان الاسرائيلي ما تزال قائمة . بينما رأى دعاة الاتجاه الآخر ، دعاة الدولة الفلسطينية المستقلة ، ان بروز الثورة الفلسطينية وبروز الدور السياسي لمنظمة التحرير ، اللذين تحققا بنضال شعب فلسطين لسنوات عديدة ، كان حتى قبل حرب تشرين قد هيأ ما يلزم من أجل الانتقال الى تحقيق مطالب وطنية ملموسة على طريق المطلب الشامل ، وان حرب تشرين بما حققته من دفع باتجاه تسوية متوازنة ، ووقوف منظومة الدول الاشتراكية وكتل دولية أخرى الى جانب المطالبة بدولة فلسطينية في الأرض التي ستنسحب عنها قوات الاحتلال الاسرائيلي ،

إن ذلك كله عوامل تفرض تأكيد هذا الاتجاه . وان البديل في حالة استمرار الرفض الفلسطيني ، هو استمرار الاحتلال أو عودة الأرض المحتلة الى هيمنة الأردن وغيرها ، من غير أن يتوفر الأساس الذي يجعل من الممكن أن تكون سيادتهم عليها كاملة .

واذا كانت الأسباب التي تدفع نحو الانقسام بسبب الخلافات الحادة كثيرة ، فان الرغبة في تجنيب حركة المقاومة الفلسطينية مصيرا كهذا لم تكن ضئيلة . وكان أساس هذا هو الاعتقاد بأن الانقسام سيضعف الفرقاء جميعا ، وسيضعف بالتالي مجمل النضال من أجل تحقيق المطالب الفلسطينية الوطنية أيا كانت وأيا كانت درجتها . وقد انعكست هذه الرغبة في سلوك ناس ينتسبون إلى الفرقاء كافة ، وانعكست بصفة خاصة في سلوك أوساط الرأي العام الفلسطيني الذي حال ناس منه في حالات كثيرة ، حتى بأجسادهم بالذات ، دون وقوع احتكاكات ، معرضين أنفسهم لخطر الموت .

ويمكن هنا أن نسجل لفتح أنها ، بصرف النظر عن استثناءات ليست كثيرة ، لعبت دورا كبيرا في الحيلولة دون وقوع الانقسام الحاد . وفعلت فتح ذلك لأسباب عديدة نورد أهمها فيما يلي .

أولا ــ لأن فتح تعتبر نفسها حركة وطنية واسعة تستقطب الاتجاهات كافة . والحقيقة أن فتح ضمت في صفوفها ، على نحو ما ، ممثلين للاتجاهات كافة ، وكان لفتح رافضوها أيضا ، الأمر الذي جعلها تتأثر بهذا المقدار أو ذاك بالطروحات المتعددة ، وتمتص بالتالي الاشكال الحادة لردود الفعل فتخففها من خلال حرص فرقائها جميعا على استمرار وحدتها .

ثانيا ــ وهي بنهجها التجريبي ، القابل للاستجابة السريعة لما يستجد من تطورات ، لاحظت بعد قليل من توقف حرب تشرين ميولا عربية، وخاصة مصرية، لاسترضاء امريكا وتغليب وجهة نظرها في التسوية ، وأدركت على نحو ما ، ان التسوية من وجهة النظر الامريكية لن تستوعب مطالب الحد الأدنى الفلسطينية .. ولهذا صارت أكثر حذرا في اعلان موقفها المحدد من التسوية ، مما خفف ردود الفعل المقابلة على الساحة الفلسطينية ، وخاصة ردود فعل الرفض .

ثالثا ــ ولأسباب لا مجال لبحثها هنا ، تمسكت فتح بضرورة تحقيق الاجماع الفلسطيني على برنامج موحد يلتقي حوله الجميع ، مما أوجب عليها أن توسع صدرها ازاء ما يمكن أن يعتبر استفزازات موجهة ضدها .

رابعا ــ ثم إنها كانت مطمئنة الى رسوخ وضعها : حيث يحالفها على الساحة الفلسطينية الجبهة الديمقراطية (التي أخذت تتصدى من جانبها لطروحات الرفض) والصاعقة ، والاغلبية العظمى ممن يوصفون بالمستقلين ، ويؤيد الشيوعيون طروحاتها. ويحالفها على الساحة العربية دولتا المواجهة مصر وسوريا ، في وقت ظلت علاقاتها فيه وطيدة أو متوازنة مع معظم الدول العربية الاخرى ، بينما كان العراق وحده هو الذي يخص الرفض بدعمه . ووجدت طروحاتها باتجاه التسوية تنسجم انسجاما كبيرا مع موقف الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية ، ومع مواقف الكتل الدولية الاخرى المؤيدة للمطالب العربية وأبرزها كتلة دول عدم الانحياز وكتلة الدول الاسلامية .

خامسا ــ إن فتح ــ يؤيدها ويضغط عليها من أجل ذلك جل حلفائها الفلسطينيين وعدد من حلفائها العرب ومؤيديها الدوليين ، ويحفزها الحرص على الوجه الديمقراطي للحركة الوطنية الفلسطينية ــ تمسكت بضرورة استمرار الحوار بين المنظمات والقوى الفلسطينية من أجل صياغة برنامج مشترك لعملها المقبل .

يقابل ذلك على الصعيد الآخر أن منطق الرفض برمته ، الذي كان قد تعرض لاهتزاز كبير منذ أيلول ١٩٧٠ (أي في الوقت الذي كانت فيه المنظمات الفدائية كافة تقف في صف الرفض) تعرض لهزة أخرى كبيرة بسبب حرب تشرين ، وذلك أمام الرأي العام الفلسطيني والعربي ، مما أضعف العديد من مرتكزاته الأساسية . فقد دخلت جيوش مصر وسوريا حربا ابتدأتها هي ضد قوات العدوان الاسرائيلي ، جند لها البلدان كل ما أمكن أن يجمعاه من طاقاتهما طيلة السنوات الممتدة بين ١٩٦٧ و١٩٧٣ وحصيلة المعونات التي تلقياها ، وساهمت في اسنادهما فيها كل دولة عربية بما أتاحت لهاظروفهاوسياساتها . وبدا كأن الدول العربية تفعل في ذلك الوقت أقصى ما تستطيع فعله من أجل التحرير ، ثم جاءت المحصلة . نتائج متوازنةلم يمكن، برغم التضحيات الكبيرة ، الحصول على أفضل منها ، وأهم تلك النتائج انفتاح الباب أمام تسوية معقولة . ولم يعد بمقدور الرفض أن يقول بعد ذلك انتظروا الحرب الأخرى الطويلة الأمد ، وأن يجد انصارا عديدين . والأهم من هذا أنه لم يعد قادرا على اقناع العديد من أوساط الرأي العام برفض فرصة لاحت ممكنة ، في الحصول على مكاسب ملموسة ثمنا للجهود والتضحيات التي بذلت ، تحت دعوى الانتظار الطويل للفوز بالجائزة الكبرى وحدها .

وكذلك فان الدور الذي رآه الرأي العام المفتوح العيون أيام الحرب ، الدور الذي قامت به الجيوش النظامية ، والحجوم المذهلة لفعاليتها ، قد زعزع واحدة من مقولات الرفض الأساسية حول أدوار الجيوش النظامية ، وبين خطل أفكار كثيرة كان الرفض يبني عليها دعوته ، وأظهر للرأي العام أن اسرائيل ، إذا كانت قد صمدت ازاء هجمة جيوش نظامية لها ذلك الحجم ، الذي لا يمكن مضاهاته بحجم العمل الفدائي الفلسطيني ، من القدرات والتسليح من غير أن تنهار أو حتى من غير أن تتراجع لأكثر من بضع كيلو مترات في سيناء ، فأي عدد من السنين يقتضي الأمر مرورها حتى تتوفر ظروف أخرى مواتية لزحزحتها بضع كيلو مترات أخرى على أساس الدعوة لحرب الشعب طويلة الامد . ووفق أي منطق ينبغي تأجيل الحصول على ما هو ممكن الى أن تتوفر ظروف ، لا يبدو معظمها قائما ، من أجل حرب كهذه الحرب ؟

يضاف الى كل ما تقدم أن قوة الرفض العسكرية ، في حسابات القوى الفلسطينية ذاتها ، كانت متواضعة بالمقارنة مع قوة الآخرين ، مما أفقده ، وهو يدعو لحرب الشعب طويلة الأمد ، القدرة على أن يقدم النموذج المقنع .

ومهما يكن من أمر فان مؤسسات منظمة التحرير شهدت بدورها أصداء الحوار المحتدم على امتداد الساحة الفلسطينية كلها ، وانشغلت بها على نحو مستمر اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي للمنظمة . وتلقت اللجنة التنفيذية مذكرة قدمتها اليها كل من فتح والجبهة الديمقراطية والصاعقة لخصت موقفها من المسألة المثارة . وبدا في وقت من الأوقات كأن التكتل الذي تكون من المنظمات الثلاث حزم أمره ، وقرر أن يسير وحده ويتحمل مسؤولية

النهج الجديد المطلوب . ولم يكن الايحاء بوجود قرار كهذا سوى مناورة ، لأن تقديم المذكرة وما بدا من ورائه ، قصد منهما التعجيل في دفع الحوار الوطني الشامل الى نتيجة محددة ، أي بكلمات أخرى قصد منه الضغط على الرفض كي يحزم أمره ويقبل الالتقاء مع الطرف الآخر على برنامج مشترك . وهذه المناورة ، مقرونة بالتأثيرات الأخرى العديدة ، حققت غرضها . وفي نهاية المطاف أمكن أن تتشكل بقرار غير معلن أصدرته اللجنة التنفيذية ، لجنة للحوار الوطني ، ضمت الأمناء العامين للمنظمات الفدائية كافة ، كما ضمت ممثلا عن الجبهة الوطنية الفلسطينية في الأرض المحتلة وترأس ياسر عرفات عملها .

وقد أمكن للجنة ، التي اشتهرت باسم اللجنة السباعية ـ بعدد المنظمات الممثلة فيها ـ بعد سلسلة من الاجتماعات المضنية لم يجر الاعلان عنها هي الأخرى ، أن تتوصل الى صياغة البرنامج المشترك المنشود . وعلى ضوء ذلك وبعد توقيع اتفاق فصل القوات على الجبهة السورية كتتويج لحرب الاستنزاف ، دعى المجلس الوطني الى دورة جديدة كي يصادق عليه ، ويعطيه من وجهة نظر الشرعية الفلسطينية قيمة الوثيقة الوطنية .

البرنامج السياسي المرحلي أو برنامج النقاط العشر

وضعت اللجنة السباعية أول برنامج من نوعه في تاريخ العمل الفدائي ، وسمته « البرنامج السياسي المرحلي » مؤكدة بهذه التسيمة السمة الأساسية للبرنامج ، وهي أنه برنامج للعمل السياسي وانه برنامج اشتمل على مطلب وطني مرحلي .

وانعقدت دورة المجلس الوطني الفلسطيني الثانية عشرة (القاهرة ، ١/٦/ ١٩٧٤) من أجل مناقشته والمصادقة عليه . وخلال ثمانية أيام ، شهد المجلس أهم المناقشات التي شهدتها دوراته السابقة كلها على الاطلاق : فمما لا شك فيه أن المناقشة التي شهدتها تلك الدورة ، في الاجتماعات العامة وفي اجتماعات اللجان ، قد اتسمت بقدر كبير من العمق وبمستوى عال من الاحساس بالمسؤولية لم يسبق له مثيل . وان هذه السمة تنطبق على المداخلات التي تقدم بها المساهمون في النقاش كافة . والمستوى الذي وصلت إليه مناقشات تلك الدورة ترك آثاره على مستويات النقاش في الدورات اللاحقة كلها ، مما يجعل الدورة الثانية عشرة بحق نقطة انعطاف ، ليس في مجمل مسيرة منظمة التحرير فقط ، بل في نوع الدور الذي غدت تلعبه دورات المجلس في اغناء الفكر والممارسة في هذه المسيرة .

ويصف تقرير اللجنة التنفيذية المقدم الى المجلس المرحلة التي تمر بها المنطقة بأنها « تشكل نقطة إنعطاف تاريخي لصالح شعبنا العربي الفلسطيني ، وتشكل في الوقت نفسه مؤشراً واضحاً للمأزق الخطر الذي يعيشه عدونا »(١١) . وهو يحث قادة العمل الفلسطيني على أن يكونوا في « مستوى خطورتها من حيث علاقتها الدقيقة بمستقبل شعبنا العربي الفلسطيني وضرورة الأخذ بعين الاعتبار عدم اسقاط المكتسبات التي توصلت اليها ثورتنا نتيجة التضحيات التي قدمها شعبنا عبر مراحل نضاله الطويل » . أما عن هذه المكتسبات فان التقرير يرى أنها تشمل « جانبا هاما حققه نضالنا وعززته حرب رمضان أيضا ، وهو اتساع دائرة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد لشعبنا العربي الفلسطيني فلسطينيا وعربيا ودوليا » . وهو بهذا يشير الى قرار القمة العربية السادسة (الجزائر ، تشرين

الثاني ١٩٧٣) وقرار القمة الرابعة لدول عدم الانحياز (آب ١٩٧٣) وقرار القمة الاسلامية الثانية (شباط ١٩٧٤) المؤيدة للمنظمة ، التي تضمنت الاعتراف بالمنظمة كممثل شرعي وحيد لشعبها .

واما حرب تشرين فهي التي أحدثت « تغييراً ملموساً مجسماً بعوامل ومعطيات جديدة خرجت بالموقف العربي من دائرة الركود السياسي الذي كانت تعيشه المنطقة ، وخلصته من ضباب انعدام الرؤية للمستقبل » .

ويتوقف تقرير اللجنة التنفيذية عند المحاولات الاميركية التي كانت قد ابتدأت للالتفاف على نتائج حرب تشرين الايجابية ، ولجر الدول العربية الى حظيرة التسوية الاميركية ، ويدعو لأخذها بعين الاعتبار الشديد، ويحلل أهداف هذا التحرك الأميركي مؤكداً أنها تنصب في اتجاهين رئيسيين أولهما . « الابقاء على المصالح الاميركية ، وهي المصالح التي أصبحت مهددة تهديداً حقيقياً بعد حرب رمضان ، والحيلولة دون فتح المجال أمام ايجابيات هذه الحرب ومعطياتها وانعكاساتها فلسطينياً وعربياً ودولياً من أن تتصاعد وتنمو حاملة معها رياح الخطر على كل المصالح الامبريالية ، وقاطعة الطريق أمام أية امكانية لعودة وترسيخ النفوذ الامبريالي الاميركي وعملائه » . وثانيهما . « الحيلولة دون استمرار تصدع البنيان الاسرائيلي ، الذي اهتزت جدرانه الى درجة التفسخ نتيجة هذه الحرب ، وأصبح بالتالي مهدداً كرأس جسر للامبريالية الأميركية » .

ثم يستنتج من ذلك أنه « مع سرعة التطورات المتلاحقة فاننا ونحن نعي أخطار هذه المرحلة ، كان لتريثنا في اتخاذ القرار الفلسطيني وحرصنا على استمرار الحوار الديمقراطي الهادف والبناء أثره الفعال في الالتقاء على موقف وطني موحد ، يبلور خطة عملنا ونضالنا ، ويجعل مختلف الفصائل الفلسطينية المقاتلة والقوى الوطنية على الساحة الفلسطينية تلتقي حول برنامج عمل موحد من شأنه أن يردع كل محاولات تصفيتنا وطمس معالم قضية شعبنا » : وأنه « بمثل هذا التريث نكون قد احتفظنا بزمام المبادرة في أيدينا ولم نكشف أوراقنا الفاعلة لعدونا » .

والواضح أن هذه الفقرة من التقرير تتولى الرد على الانتقادات التي وجهت لمسلك القيادة الفلسطينية في تلك الفترة ، حين لم تعلن موقفاً صريحاً ازاء اقتراحات التسوية كما أفرزتها حرب تشرين بالرغم من ميلها الظاهر للمشاركة في مجهودات هذه التسوية اذا تمت الاستجابة لعدد من مطالبها بشأنها . وكان المنتقدون يصفون القيادة بأنها تتخذ « موقف اللاموقف » ويدينون ذلك ، على غرار ما فعلته مذكرة الجبهة الشعبية الى اللجنة التنفيذية كما مر معنا آنفاً . ولذا فان هذه الفقرة من التقرير وهي تتولى الرد على الانتقادات تكشف خبيئة تاكتيك القيادة ، الذي تبنته أساساً فتح ، وتقول صراحة أنها تعمدت الا تكشف أوراقها الفاعلة أمام العدو حتى تظل محتفظة بزمام المبادرة ويبقى لديها هامش واسع للمناورة ، بالاضافة الى أنها كانت بحاجة الى الوقت حتى يتسنى لها معالجة الخلافات القائمة بين فرقاء العمل الفلسطيني وتنتهي لصياغة موقف .

وبعد هذا الايضاح يعرض التقرير الأسس التي ينطلق منها الموقف الفلسطيني ازاء

التسوية . وذلك ابتداء من أنه « يجبَ الا نسقط من حسابنا أن ميزان القوى بمجمله ، فلسطينيا وعربيا ودوليا ، هو الذي سيحدد موقع التسوية والمخاطر المرافقة لها والمترتبة عليها » ، وانتهاءا بأنه اذا كان صحيحا « أن للمواقف التي تتخذها كل من الشقيقتين مصر وسوريا الأثر في مضمون التسوية فاننا يجب أن ندرك [أيضا] أن موقفنا لا يقل تأثيرا على مضمون التسوية من مواقف الشقيقتين » .

ومن المؤكد أن مصير الأراضي الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، الذي صار قيد التداول ، كان يشغل محلا أولا من اهتمام قيادة م . ت . ف . ولذا فان تقريرها للمجلس الوطني يركز الانتباه على هذا المصير ، ويحث على اتخاذ موقف فاعل ومؤثر يضمن عودتها للسيادة الفلسطينية ، لأن هذه الأراضي بغير ذلك ستظل « خاضعة لاحتمالات أخرى سلبية ، تدفع كلها باتجاه القضاء على شعبنا ووجوده وكيانه ، ولذلك فان استمرار النضال من أجل الاقتلاع المبكر للاحتلال وانهاء كل اشكال التسلط على أرضنا أمر تفرضه مصلحة شعبنا ومقتضيات استمرار نضاله الثوري المسلح » ..

وعلى هذا النحو وضع تقرير اللجنة التنفيذية المجلس الوطني في الجو الذي يجعل المصادقة على مشروع البرنامج السياسي المرحلي ، كما صاغته اللجنة السباعية ، أمرا لا بد منه . والحقيقة أن مناقشة البرنامج كانت النقطة الرئيسية على جدول أعمال المجلس .

صياغة الهدف الوطني المرحلي

ينطلق البرنامج في حيثياته ، التي صاغتها عبارات قليلة ، « من الميثاق الوطني » مسترضيا بهذا المنطلق الذين أبدوا تخوفهم من وجود اتجاه لتعديل الميثاق ، حتى يستوعب الموقف الجديد المعبر عنه في البرنامج ويخول قيادة المنظمة القبول بتسوية سياسية بعض شروطها يتعارض مع نصوص في الميثاق الوطني . وهو ينطلق أيضا من « البرنامج السياسي لمنظمة التحرير الفلسطينية » المقر في الدورة الحادية عشرة المنعقدة في القاهرة ما بين ٦ و١٢ كانون الثاني ١٩٧٣ ، وهذا منطلق يبعث وجوده في مقدمة البرنامج المرحلي الدهشة بغير شك ، اذ أن هذا البرنامج السياسي المشار اليه كان قد حث صراحة على « النضال ضد عقلية التسوية وما تفرزه من مشروعات تستهدف قضية شعبنا في تحرير وطنه أو مسخ هذه القضية بمشروعات الكيانات أو الدولة الفلسطينية على جزء من أرض فلسطين »[١٣] مما يتعارض تمام التعارض مع مضمون البرنامج الجديد ، كما سنرى . ثم أن هذا الأخير يؤكد في حيثياته على الايمان « باستحالة اقامة سلام دائم وعادل في المنطقة دون استعادة شعبنا الفلسطيني لكامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير مصيره على كامل ترابه الوطني » . وهو لا يقول هنا . على كامل تراب فلسطين . وكذلك فانه يؤكد ايضا على ضرورة دراسة الظروف السياسية التي استجدت في الفترة ما بين الدورة السابقة والحالية للمجلس ، مشيرا بذلك الى تطورين هامين كانا جديدين بالفعل ، هما حرب تشرين وقرارات القمة العربية السادسة في الجزائر . ذلك أن الحرب أفرزت احتمال التسوية ، وقمة الجزائر اعتبرت منظمة التحرير الممثلة الوحيدة لشعب فلسطين ، مسقطة الادعاءات الأردنية بهذا الصدد . ويبني البرنامج على ذلك قراره ذا النقاط العشر ، التي جعلت البرنامج كله يشتهر باسم برنامج النقاط العشر .

وسنعرض فيما يلي ونناقش النقاط العشر واحدة واحدة : على أن نشير في البداية الى أن معرفتنا بالوقت الطويل الذي استغرقته مناقشة نقاط هذا البرنامج وصياغتها في صيغتها النهائية ، والاهتمام الذي أولاه المتناقشون في اللجنة السباعية لكل عبارة وكلمة فيه ، تدفعنا لأن نولي من جانبنا عناية كبيرة للمعاني الواضحة أو الكامنة وراء أي صياغة .

النقطة الأولى : « تأكيد موقف منظمة التحرير السابق من قرار ٢٤٢ ، الذي يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين ، ولذا يرفض التعامل مع هذا القرار على هذا الأساس في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية ، بما في ذلك مؤتمر جنيف » .

وهنا ، في هذه النقطة ، ستستوقفنا في الصياغة ما تعكسه من جديد في الموقف ازاء القرار ٢٤٢ . ولا بأس من أن نتذكر أن المواقف الفلسطينية ، داخل منظمة التحرير وخارجها ظلت الى ما قبل ذلك التاريخ ، مع استثناءات قليلة ، ترفض القرار وتدينه جملة وتفصيلا ، وتؤكد أيضا أن الدول العربية التي وافقت عليه كانت مخطئة في موافقتها على اعتبار أن الاعتراف باسرائيل الذي يدعو اليه القرار لا يعد ثمنا مقبولا لانسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي تحتلها منذ ١٩٦٧(١٤) . واذا تذكرنا هذا فسنرى بوضوح كيف أدخلت النقطة الأولى من البرنامج تعديلا جوهريا على الموقف الفلسطيني من القرار ، هذا التعديل تعكسه الصياغة التي نراها ، ولا بأس من أن نتمعن فيها بشيء من التفصيل : فقد وصف القرار بأنه « يطمس الحقوق الوطنية والقومية لشعبنا ، ويتعامل مع قضية شعبنا كمشكلة لاجئين » ثم قيل « ولذا » أي لأن القرار تعامل مع قضية فلسطين على نحو قاصر وخاطىء فان الشعب الفلسطيني « يرفض التعامل » معه ، ثم تأكد المعنى ذاته باضافة عبارة . « على هذا الأساس » لكي يتحدد بوضوح أكثر سبب الرفض الفلسطيني للتعامل مع القرار « في أي مستوى من مستويات التعامل العربية والدولية بما في ذلك مؤتمر جنيف » .

فما الذي يعنيه هذا كله ؟

لا شك في أن الصياغة بما تشتمل عليه من التواء في قول ما تريد أن تقوله ، جاءت على هذا النحو لكي توفق بصيغ لفظية بين مواقف مختلفة ازاء القرار ، وازاء مسألة التسوية عموماً ، وهذا هو الأساس . وكذلك ازاء ما كان ملموساً آنذاك وهو احتمال عقد مؤتمر جنيف للسلام ، واحتمال « اضأل » بتوفر ظروف تسمح بمشاركة منظمة التحرير الفلسطينية فيه ، كما كان يأمل بعض الفرقاء العرب وكذلك الاتحاد السوفياتي .

وقد رأينا كيف أن كلا من رسالة الجبهة الوطنية الفلسطينية والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين تناولت ، من وجهة نظرها ، هذه المسألة ، وان الخلاف بين الموقفين المعبر عنهما في الرسالتين ، والمواقف الأخرى المتفاوتة على امتداد المساحة بينهما ، لم يحسم بصورة باتة . الأمر الذي جعل الاتفاق يصاغ على الشكل الذي عبرت عنه الجمل الملتوية في هذه النقطة الأولى .

ويظل صحيحا بعد هذا ، وكما كشفت مجريات الاحداث فيما بعد ، أن هذه النقطة من نقاط البرنامج قد فعلت شيئين . الأول . انهت المعارضة الفلسطينية لمساعي الدول العربية

المعنية المتجهة الى تحقيق تسوية تتعلق بانسحاب القوات الاسرائيلية من أراضيها ، على ضوء القرار ٢٤٢ ، بل جعلت م . ت . ف . أقرب لتأييد هذه المساعي ، على اعتبار أن تحقيق الانسحاب من الأراضي العربية خطوة هامة على طريق فتح ملف مستقبل الاراضي الفلسطينية المحتلة . والثاني أنها فتحت الطريق أمام المشاركة الفلسطينية في مجهودات التسوية اذا توفرت لتلك المشاركة أسس غير الأساس الناقص والغامض الذي صاغه القرار ٢٤٢ . أي اذا تم الاقرار بضرورة بحثها على أساس أنها قضية شعب يطالب بحقوقه الوطنية . وهو أساس وفره ، بعد اقرار البرنامج بقليل ، قرار أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة وحمل الرقم ٣٢٣٦ ، وقبلته منظمة التحرير الفلسطينية . وبكلمات أخرى ، صارت المعارضة الفلسطينية للقرار ٢٤٢ تتركز بصفة خاصة ، على تجاهل القرار لطبيعة قضية فلسطين وطمسه لحقوق شعبها الوطنية . ولم تعد تنصب عليه ككل كما كان شأنها قبل ذلك . وهذا الاستنتاج ليس ناجما عن استقرار النص وحده ، بل هو أيضا حصيلة معرفة المناقشات الطويلة التي دارت بشأنه مع القادة الذين أسهموا في صياغة البرنامج ، ومع غيرهم .

النقطة الثانية : « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل ، وعلى رأسها الكفاح المسلح ، لتحرير الأرض الفلسطينية واقامة سلطة الشعب الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها ، وهذا يستدعي احداث المزيد من التغيير في ميزان القوى لصالح شعبنا وقضيته » .

وسنجد أنفسنا في هذه النقطة ازاء نص آخر لم يمض في خط مستقيم نحو ما يريده : وذلك للاعتبارات ذاتها التي سبق أن أشرنا إليها . اذ أن القول « تناضل منظمة التحرير بكافة الوسائل » وايراده في مطلع النص ، يعنيان شموله للوسائل السياسية والدبلوماسية وايلاءها اهتماما خاصا ينسجم مع طبيعة المرحلة ، في حين أن العودة بعد ذلك للقول « وعلى رأسها الكفاح المسلح » انما تعكس قناعة الجميع ، ممن اشتركوا في وضع البرنامج وصادقوا عليه ، وأدركوا أن الكفاح المسلح الفلسطيني يظل ، حتى نهاية المطاف ، أداة فعالة يتوجب على الشعب العربي الفلسطيني أن يستخدمها لارغام خصومه على الاقرار بحقوقه . أما الجديد في هذه الصياغة فهو أن الهدف الذي صاغه الميثاق الوطني الفلسطيني ، وقبله الميثاق القومي ، بعبارة « تحرير فلسطين » قد صاغه البرنامج هنا بعبارة « تحرير الأرض الفلسطينية » . ولا شك في أن العبارتين قد تعنيان شيئا واحدا ، الا أنهما ، أيضا ، قد تعنيان شيئين مختلفين ، فالأرض الفلسطينية هي من وجهة النظر الفلسطينية الرسمية . فلسطين ، والأرض الفلسطينية من وجهة نظر الشرعية الدولية ليست فلسطين كلها ، انها في أكثر التفسيرات التصاقا بالتفسير الفلسطيني ، الأرض التي حددها قرار الجمعية العامة للامم المتحدة للعام ١٩٤٧ الذي عرف باسم قرار التقسيم .(١٦) .

فلماذا تم استبدال عبارة « تحرير فلسطين » بعبارة « تحرير الأرض الفلسطينية » في البرنامج ؟ وهل وقر في ذهن الذين سعوا للتبديل أن وضع العبارة الجديدة ، بما هي حمالة أوجه ، يعطي من الجانب الفلسطيني دفعة على حساب تسهيل الجهود التي كانت مبذولة لاشراك منظمة التحرير الفلسطينية كطرف متساو في الحقوق مع الأطراف الأخرى في مباحثات

التسوية ، بحيث يمكن القول للذين وضعوا شروطا من بينها تعديل الميثاق الوطني أن البرنامج قد جاء بما يختلف عن الميثاق ؟ لا شك في أنه يفعل ذلك .

وهل مر هذا التبديل أمام أعين ممثلي جبهة الرفض في اللجنة السباعية ، ثم في المجلس الوطني ، من غير أن ينتبهوا لمدلوله ؟ أم أنهم انتبهوا ولم يستطيعوا منعه ، أم أنهم انتبهوا ووافقوا ؟ أم أن الأمر كله قد حدث بمجرد الصدفة ؟

أسئلة لا نملك أن نقدم حولها اجابات باتة ، ما دام المعنيون بها يملكون ، من جانبهم ، أن يكذبوها ، وما دامت محاضر مناقشات اللجنة السباعية غير متوفرة ، في ظل عادة دارجة تظهر أن يقال في الاجتماعات المغلقة شيء لا تتوفر ، بالضرورة ، وثائق علنية تثبته . ومع ذلك فمن الممكن القول ، بصورة عامة ، أن ورود التعبير الجديد على النحو الذي ورد عليه ، وبصرف النظر عن المناقشات الداخلية ، ترك هامشا للمناورة أمام القيادة الفلسطينية على الساحة الدولية كي تجد مدخلا لا يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة لطروحاتها الجديدة بعد حرب تشرين . وهو الذي أعطى ، مع نقاط أخرى في البرنامج ، الانطباع الواسع لدى الأطراف المعنية عربيا ودوليا بأن منظمة التحرير قد انعطفت نحو الايجابية في مواقفها ، نابذة نهج الرفض الذي وسم وثائقها في السابق . نقول ذلك بصرف النظر عما اذا كان أسلوب التحايل في الصياغات هو الأسلوب الأفضل لدفع المسيرة الوطنية الى الأمام ، أو أنه أسلوب غير مأمون يولد البلبلة ويخلق الالتباس ويضع الرأي العام الفلسطيني أمام معان متعددة ومتعارضة لنص واحد ، ويشتته .

والشيء الجديد الآخر الذي أدخلته هذه النقطة ، وهو أهم ما في البرنامج على الاطلاق ، هو النص على أن تناضل المنظمة من أجل « اقامة السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها » .

ونستبق سياق المناقشة لنقول . أن صفة « المقاتلة » أضيفت بناء على الحاح ممثلي الرفض في اللجنة السباعية ومن أجل استرضائهم . وكان وضعها، في حينه ، مبعث العديد من التعليقات المتندرة : ذلك أنه لم تحدث في تاريخ أي شعب سابقة الاعلان عن أن سلطته المنشودة ستكون مقاتلة . أما بعيداً عن التندر فان اضافة هذه الصفة جاءت تعبيراً عن رغبة الذين شاءوا أن يستوثقوا من أن اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من فلسطين لن تكون نهاية المطاف في النضال من أجل استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية الأخرى .

إن صياغة هدف محدود ، أقل من هدف تحرير فلسطين بكاملها ، هو أهم ما وضعه البرنامج . وهو بهذه الصياغة قد كرس ، وبعبارة أدق قد توج ، في وثيقة فلسطينية من هذا المستوى ، القناعات التي أملتها دروس الممارسة العملية للثورة وللحركة الوطنية الفلسطينية منذ نشأتها . وهو أيضا الذي أكد نبذ النهج السابق نهج الاصرار على المطلب الشامل ورفض ما هو أقل منه حتى ولو كان خطوة نحوه . وهو نهج لخصته عبارة عامية متندرة . « كلها ، أو بلاها » . ووضع ، في مقابله ، نهجا ايجابيا يتجه بسداد نحو صياغة أهداف يمكن النضال من أجلها أي يمكن في آخر الأمر تحقيقها ، وحشد القوى لدعم هذا النضال .

النقطة الثالثة : « تناضل منظمة التحرير ضد أي مشروع كيان فلسطيني ثمنه لاعتراف والصلح والحدود الآمنة والتنازل عن الحق الوطني وحرمان شعبنا من حقوقه في العودة وحقه في تقرير مصيره فوق ترابه الوطني » .

وهكذا لم يعد النضال الفلسطيني موجها ضد أي مشروع باطلاقه ، بل ضد المشروعات التي لها مثل هذا الثمن الباهظ . وبذا حدد النص المحظورات أو القيود التي تضبط الموقف الفلسطيني المتجه نحو المشاركة في التسوية ، واضعا هذه المحظورات في مقابل التسهيلات التي يتضمنها نص النقطة الثانية السابقة . وأوجب على قيادة المنظمة ليس فقط أن ترفض التسوية التي يكون لها ثمن كهذا ، بل أن تناضل ضدها أيضا . أي أوجب عليها أن تعمل لاحباطها اذا توصل لمثلها الآخرون .

مرة أخرى تستوقفنا في هذا النص عبارة مداورة هي عبارة « الحق الوطني » الذي الزم البرنامج المنظمة بعدم التنازل عنه . فما هو المقصود بهذه العبارة ، ولماذا وردت غير محددة على هذا النحو ، ولماذا لم يتحدد الحق الوطني بتحرير فلسطين كلها ؟ ألا ينطبق على ايرادها هكذا ما انطبق على ايراد عبارة الأرض الفلسطينية بدل فلسطين ؟

وتستوقفنا مسألة أخرى أيضا في الصياغة لا ندري ما اذا كانت قد وقعت هي الأخرى نتيجة التحايل المقصود أو السهو ، وذلك حين نصت هذه النقطة كما نرى ، على مقاومة أي مشروع ثمنه « الاعتراف و الصلح و الحدود الآمنة و التنازل عن الحق الوطني و حرمان شعبنا من حقوقه في العودة وحقه في تقرير مصيره فوق ترابه الوطني » . فالنص هنا يربط المحظورات المرفوضة بحرف العطف « و » وبه يصير المدلول الحرفي للعبارة كلها أن المطلوب هو مقاومة المشروع الذي يكون ثمنه هذه المحظورات كلها دفعة واحدة . ولو صح أن هذا هو المعنى المقصود فعلا ، لأصبح من المسموح به ، طبقاً لنص هذه النقطة ، القبول بمشروع تسوية ثمنه واحدة من هذه المحظورات أو بعضها . ولو أريد تأكيد غير ذلك ، بصياغة لا تفتقر الى الدقة ، لتوجب أن يحل حرف العطف « أو » محل « و » وان يصبح النص . « ثمنه الاعتراف أو الصلح **أو** ... » الخ .

فهل نحن مره أخرى ازاء صياغة يستر وراءها كل فريق ما يريده ؟ وهل تجيز الصياغة ، بالنحو الذي وردت عليه كما أقرها المجلس الوطني ، لقيادة المنظمة أن توافق على سلطة وطنية ثمنها الاعتراف باسرائيل من غير اعلان التنازل عن الحق الوطني ومن غير ابرام صلح معها ومن غير حرمان الشعب الفلسطيني من حقه في العودة وحقه في تقرير المصير ؟ هذه أيضاً أسئلة من النوع الذي يصعب تقديم اجابات محددة عليها .

النقطة الرابعة : « إن أية خطوة تحريرية تتم هي لمتابعة تحقيق استراتيجية منظمة التحرير في اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية المنصوص عليها في قرارات المجالس الوطنية السابقة » .

وبهذا النص تكرس من جديد احلال شعار الدولة الفلسطينية الديمقراطية كواحد من شعارات منظمة التحرير ، بعد أن طال الخلاف بشأنه وامتد سنوات . وتكرس احلال هذا الشعار محل شعار « تحرير فلسطين » الذي نص عليه الميثاق الوطني ، والذي ، بالمناسبة ، لا

يرد ولو مرة واحدة في البرنامج كله . وتم من وجهة نظر الرفض التحوط ضد التخوف من امكانية أن تصبح اقامة السلطة الوطنية على جزء من أرض فلسطين نهاية المطاف . وصار مفهوماً بصورة أجلى لماذا وصفت النقطة الثانية من هذا البرنامج السلطة الوطنية المنشودة بأنها مقاتلة .

ويفسح نص هذه النقطة مجالا للاستنتاج بأن تغييب شعار تحرير فلسطين ووضع الدولة الفلسطينية الديمقراطية بدلا عنه يسهلان ما ملنـا الى استنتاجه من وراء صياغة النقطة السابقة ـ الثالثة . ذلك أن امكانية عقد تسوية في ظل بقاء شعار الدولة الديمقراطية أسهل في كل الأحوال من عقدها في ظل الشعار الآخر ، حيث يمكن في ظل تسوية كهذه أن يجري الاقرار بحق الشعب الفلسطيني في اقامة سلطته الوطنية على جزء من تراب وطنه الى جانب اسرائيل ، ما دام وجود الاثنين لا يتعارض مع مطلب الدولة الفلسطينية الديمقراطية بالقدر الذي يتعارض مع المطلب الآخر . والأمل بتحقيق الدولة الديمقراطية ، التي يعيش فيها العرب واليهود بحقوق متساوية يمكن أن يظل مفتوحاً ، حتى مع وجود دولتين احداهما عربية والأخرى يهودية ، ومهما يكن من أمر فان قولنا هذا ليس سوى استنتاج لا تؤكده ، بصورة باتة ، المواقف المعلنة ولا الوثائق المتاحة .

ويمكن أن نستبق سياق الوقائع لنشير الى حديث ياسر عرفات بعد أشهر من اقرار البرنامج ، أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، عن يهود اسرائيليين يناضلون من أجل دولة ديمقراطية واحدة . حيث يقول بعد ذلك مخاطباً رئيس الجمعية .

« فلماذا لا أحلم ، سيادة الرئيس ، وآمل ، والثورة هي صناعة تحقيق الاحلام والآمال ، فلنعمل معاً على تحقيق الحلم في أن أعود مع شعبي من منفاي لأعيش مع هذا المناضل اليهودي ورفاقه ، ومع هذا المناضل الراهب المسيحي واخوانه ، في ظل دولة واحدة ديمقراطية يعيش فيها المسيحي واليهودي والمسلم في كنف المساواة والعدل والأخاء »(١٧) . ثم حين يقول أيضا ، متجاوزاً كل التعريفات التي وضعها الميثاق القومي والميثاق الوطني بعده ، لليهود الفلسطينيين . « إنني أعلن أمامكم هنا كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وقائد للثورة الفلسطينية اننا عندما نتحدث عن آمالنا المشتركة من اجل فلسطين الغد فنحن نشمل في تطلعاتنا كل اليهود الذين يعيشون الآن في فلسطين ويقبلون العيش معنا في سلام ودون تمييز على ارض فلسطين » . ثم أيضاً حين يوجه الخطاب لليهود الذين يعيشون في فلسطين ، فرداً فرداً « اننا نقدم لكم أكرم دعوة ، أن نعيش حقاً في اطار السلام العادل في فلسطيننا الديمقراطية »(١٨) .

النقطة الخامسة : « النضال مع القوى الوطنية الاردنية لاقامة جبهة وطنية أردنية ـ فلسطينية هدفها اقامة حكم وطني ديمقراطي في الأردن ، يتلاحم مع الكيان الفلسطيني الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال » .

وهو نص لم يأت بجديد ، إذ أن الدورات السابقة للمجلس الوطني دعـت لاقامة الجبهة الوطنية الأردنية ـ الفلسطينية(١٩) . أما الجديد في ايراده ، في وثيقة لها كل هذه الاهمية ، فهو أنه غيب شعار وحدة الضفتين أو وحدة الشعبين الفلسطيني والأردني . وتغييبهما هنا جاء في

سياق تأكيد نهج الاستقلال الوطني الفلسطيني والمطالبة بكيان مستقل ، من غير أن يغفل أهمية التلاحم النضالي بين الشعبين ، بدليل أن النص أكد على أهمية التلاحم الذي يقوم نتيجة الكفاح والنضال . كما أن تغييبهما يعني البت في مسألة رفض عودة السلطة الأردنية الى الضفة الغربية .

النقطة السادسة : « تناضل منظمة التحرير لاقامة وحدة نضالية بين الشعبين وبين كافة قوى حركة التحرير العربي المتفقة حول هذا البرنامج » .

وبهذا أيضا تم التأكيد على الوحدة النضالية للشعبين ، والربط بينها وبين وحدة كافة قوى حركة التحرير العربي التي تؤيد اتجاهات هذا البرنامج . واذ وضعت الصياغة عبارة قوى حركة التحرير العربي وليس عبارة . قوى حركة التحرر الوطني العربية ، فقد أفسحت المجال لكي يشمل التعاون قوى عربية أوسع من القوى التي تدل عليها عبارة حركة التحرر الوطني بما صار لها من مدلولات محددة .

ونحن نرى كيف يحسم البرنامج هنا ، على صعيد الموقف الفلسطيني السياسي المشترك ، بهاتين النقطتين وبغيرهما من النقاط التي كرست النهج الاستقلالي الوطني ، اشكالات لا حصر لها . هذه الاشكالات كانت قد برزت منذ العام ١٩٤٨ وارتبطت بمسألة طبيعة العلاقة بين فلسطين والأردن . بل أنها برزت قبل ذلك ، أي منذ تشكيل امارة شرق الأردن العام ١٩٢١ على أرض الضفة الشرقية لنهر الأردن ، بينما كانت فلسطين تتململ لمواجهة طلائع الغزو الصهيوني المدعوم بحراب الاحتلال البريطاني . وهي اشكالات نجمت عن تعدد وتداخل وتناقض الكثير من العوامل التي أملت على هذا الفريق أو ذاك رفع شعار وحدة الضفتين أو معارضته ، من غير أن يكون للتبني أو للمعارضة المدلول ذاته لتبني أو معارضة شعار وحدة أي بلدين عربيين آخرين ، بالضرورة .

فقد رفعت القوى الوطنية والتقدمية الأردنية والفلسطينية شعارات وحدوية في أوقات فرضت فيها الشعارات ضرورات توطيد جبهة النضال المشترك ضد الرجعية ، وضد التبعية للنفوذ الاستعماري والامبريالي وضد اسرائيل . وجرى ذلك في أوقات لم تكن فيها مجريات الأحداث التي أعقبت العام ١٩٤٨ قد طرحت على بساط البحث أهمية مطلب الاستقلال الوطني الفلسطيني (ليس من اجل الاستقلال في حد ذاته على أهميته ، ولكن للمساعدة على انجاح النضال الذي يستهدف تمكين الشعب الفلسطيني من تحصيل حقوقه الوطنية ومن تقرير مصيره الذي حرم من تقريره بصورة فظة وفريدة) . وعاد العديد من القوى الوطنية ، بما فيها الأردنية للموافقة على مطلب الاستقلال الفلسطيني ، حين اتضحت أهميته هذه في هذا المجال . وفي المقدمة دعم الحزب الشيوعي الاردني هذا المطلب على الرغم من أنه يتسمى بالأردني ، ويضم في صفوفه فلسطينيين واردنيين الى اليوم ، وكان بين أوائل القوى الوطنية التي رفعت مطلب الدولة الفلسطينية المستقلة .

أما الرجعية الأردنية فقد طرحت ، من جانبها شعار وحدة الضفتين أو وحدة الشعبين لكي تتمكن على نحو أنجع ، من تكبيل حركة الشعب الفلسطيني المعادية للاستعمار والصهيونية ، ومن الهيمنة عليه ومنعه من لعب الدور الذي ندبته له ظروفه وقضيته ، ولكي

تفعل الأمر ذاته ضد الحركة الوطنية والتقدمية الأردنية ذاتها .

وجاء برنامج النقاط العشر ، بما هو تعبير عن ذروة التطور في الفكر والمواقف الفلسطينية ، الذي تحقق حتى العام ١٩٧٤ ، ليضع المسألة في سياقها الصحيح ، ويبت في النقاش الدائر بشأنها على الساحة الفلسطينية وغيرها . وذلك بتأكيده الدعوة للنضال من اجل الاستقلال الوطني الفلسطيني ، مع تأكيده الدعوة لوحدة نضال الفرقاء العرب كافة ، الذين يؤيدون حركة الشعب الفلسطيني الوطنية ، وبينهم الشعب الأردني وقواه الوطنية ، من غير أن يغفل العلاقة الخاصة التي تربط الشعبين الفلسطيني والأردني .

النقطة السابعة : « على ضوء هذا البرنامج تناضل منظمة التحرير من أجل تقرير الوحدة الوطنية والارتقاء بها الى المستوى الذي يمكنها من القيام بواجباتها وبمهماتها الوطنية والقومية » .

والمقصودة في هذا النص هي ، بطبيعة الحال ، الوحدة الوطنية الفلسطينية . وقد وفر البرنامج بما صاغه من نقاط الالتقاء بين الفرقاء الوطنيين كافة ، الاساس المطلوب لتعزيزها . وظل ذلك ، بعد أن توفر هذا الأساس الأهم من غيره ، مرهونا بسلوك الفرقاء المعنيين .

النقطة الثامنة : « تناضل السلطة الوطنية الفلسطينية ، بعد قيامها ، من اجل اتحاد اقطار المواجهة في سبيل استكمال تحرير كامل التراب الفلسطيني وكخطوة على طريق الوحدة العربية الشاملة » . هذا النص يستوقفنا فيه تأجيل النضال من أجل وحدة دول المواجهة (والمقصود الدول العربية المحيطة باسرائيل) الى ما بعد قيام السلطة الوطنية . فمن غير هذا التأجيل كان النص سيفهم عل أنه امعان في تغييب مطلب وحدة الضفتين على حساب الدعوة لوحدة دول المواجهة كلها ، أما بالتأجيل فقد تحدد معنى النص والدافع الذي أملاه ، في التخوف الفلسطيني المشروع ، المعبر عنه بأشكال عديدة ، من أن تقف السلطة الوطنية المنشودة في موضع العاجز عن مجابهة اسرائيل اذا كانت وحدها . ومن هنا ثبتت الدعوة لوحدتها مع دول المواجهة العربية الأخرى وجاءت في سياقها تماماً ، حتى تتوفر لتلك السلطة ، وللدولة الفلسطينية التي ستقوم فيها ، الحماية العربية الكافية التي تمكن من استمرار المجابهة مع اسرائيل ، ولكي يصبح الأمل باستكمال استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية أملا يسنده واقع ملموس . وبهذا يصبح البرنامج السياسي المرحلي منطقيا مع نفسه ، حين يؤكد استمرار النضال لتحقيق الطموحات الكبيرة التي صاغها بعد تحقق مطلب السلطة الوطنية في جزء من أرض فلسطين ، مع ملاحظة أن بعض فرقاء الرفض الفلسطيني كانوا يعتبرون السلطة الوطنية المستقلة على جزء من أرضها مطلبا متواضعا !

النقطة التاسعة : « تناضل منظمة التحرير من أجل تعزيز تضامنها مع البلدان الاشتراكية وقوى التحرر والتقدم العالمية لاحباط كافة المخططات الصهيونية الرجعية الامبريالية » .

هذه الدعوة المعبر عنها هنا للنضال في هذا الاتجاه اكتسبت معنى جديداً في ضوء الاتجاه الجديد الذي صاغه البرنامج ، وهو معنى يتصل بمواقف الدول الاشتراكية من مسألة التسوية . ولكي ندرك هذا المعنى الجديد يجدر أن نلاحظ كيف برز بعد حرب تشرين ، أكثر مما

كان قبلها ، اتجاهان دوليان متباينان . أولهما اتجاه الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية الأخرى التي رأت أن الوقت قد حان من اجل تحقيق تسوية تقوم على الاستجابة للمطالب العربية وفي صلبها . انسحاب القوات الاسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حزيران ١٩٦٧ ، وضمان الحقوق الوطنية المشروعة لشعب فلسطين ويضمنها حقه في اقامة دولته الخاصة به(٢٠) . وثانيهما اتجاه الولايات المتحدة الاميركية التي أبدت موافقة على الأساس الأول وتمسكت برفض الأساس الثاني ، ثم رفضت بصورة باتة الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية التي صار الاتحاد السوفياتي يعترف بها ممثلة للشعب الفلسطيني ومسؤولة عن صياغة مستقبله . وبينما ظلت الولايات المتحدة ترفض أن تنظر لقضية فلسطين بمقياس غير الذي نظر وفقه القرار ٢٤٢ المرفوض من منظمة التحرير ، كان الاتحاد السوفياتي يأخذ على عاتقه مهمة تنشيط المبادرات التي تظهر في الساحة الفلسطينية باتجاه،قبول المشاركة في مجهودات التسوية ، ويوسع اتصالاته مع الفلسطينيين ولا يخفي عدم ارتياحه لطروحات الرفض التي اعتادت الأدبيات السوفياتية أن تصفها بأنها متطرفة ، لأنه ، على النقيض من الولايات المتحدة يدعو للنضال من اجل اشراك م.ت.ف.كطرف متساو في الحقوق مع الاطراف الأخرى في مجهودات التسوية . في ضوء ذلك فان تأكيد النقطة التاسعة من البرنامج على الدعوة للنضال من أجل تعزيز التضامن ، وليس العلاقات فقط ــ مع الدول الاشتراكية اكتسب معناه الجديد وهو الاستجابة لطروحات الاتحاد السوفياتي ، على نحو أو آخر ، حول الأمور الملموسة التي كانت مثارة آنذاك ، واخصها المشاركة في مجهودات التسوية استنادا الى دعمه هو بالذات ودعم الدول والأطراف الأخرى التي تؤيد وجهة نظره .

النقطة العاشرة : « على ضوء هذا البرنامج تضع قيادة الثورة التكتيك الذي يخدم ويمكن من تحقيق هذه الأهداف » .

وهو نص كان ايراده سيعتبر من باب تحصيل الحاصل لو وضع في ظروف غير الظروف التي احاطت بصياغة واقرار البرنامج المرحلي . أما في هذه الظروف التي ساد فيها الاحساس بأهمية التوجه الجديد وبخطورة المجازفة في المضي فيه والدخول في مساعي التسوية ، وما اكتنف ذلك كله من شكوك متبادلة ، فان النص على حق قيادة الثورة في وضع التاكتيك الذي يحقق البرنامج جاء بمثابة تفويض للقيادة بالتصرف ، أصرت هي على الحصول عليه .

ويستوقفنا هنا أن البرنامج منح التفويض لـ « قيادة الثورة » وليس للجنة التنفيذية لمنظمة التحرير تحديدا،علما بأن المجلس الوطني الذي صادق عليه هو واحدة من مؤسسات المنظمة تنبثق عنه اللجنة التنفيذية وليس قيادة الثورة . وهذا يعني اقرارا يكاد يكون صريحا من قبل المجلس بان قيادة الثورة ليست هي اللجنة التنفيذية التي ينتخبها ، وانما هي شيء غير ذلك او اوسع من ذلك . ومن الصعب ان نحدد ، او ان تحدد اية جهة اخرى تحديدا دقيقا كل الدقة المعنى الذي يعنيه هذا التعبير ، قيادة الثورة . انما يظل من الممكن استقراء ذلك من الواقع الذي يبين ان القرارات المصيرية الهامة ، وبينها قرار وضع هذ البرنامج وعرضه على المجلس للمصادقة عليه ، كانت تتخذ بين قادة المنظمات الفدائية بصرف النظر عما اذا كانوا اعضاء او غير اعضاء في اللجنة التنفيذية ، وعدد منتقى من القادة الاخرين . وهناك اثنان من الامناء العامين لمنظمات فدائية ليسا فلسطينيين ، ولا يحق لهما بالتالي ان يكونا اعضاء في

مؤسسات منظمة التحرير بما فيها المجلس الوطني ، ومع ذلك فهما يشتركان في صياغة قرارات الثورة الهامة ، ويعدان من بين الاعضاء المقصودين عندما يستخدم تعبير قيادة الثورة من قبل مؤسسات م.ت.ف.

وزيادة على النقاط العشر التي تضمنها مشروع البرنامج المقدم الى المجلس الوطني أضاف هذا ، فقرة جديدة لم تأخذ رقما في البرنامج ، وبهذه الاضافة لم يترك المجلس التفويض الممنوح لقيادة الثورة بالتصرف مفتوحا . ونص الاضافة هو « هذا وتعمل اللجنة التنفيذية على وضع هذا البرنامج موضع التنفيذ [تحصيل حاصل] واذا نشأ موقف مصيري يتعلق بمستقبل الشعب الفلسطيني فعندئذ يدعو المجلس الى دورة استثنائية للبت فيه » . وكان فهم الأطراف المتعددة للمقصود بالموقف المصيري متفاوتا . فقد فسره البعض على أساس أن الاشتراك في مؤتمر جنيف ، أي في مجهودات التسوية ، معبراً عنها بالمؤتمر ، تقتضي مثل هذه العودة للمجلس ، وفسره آخرون على أساس أن البت بالمسائل المرتبطة بالسلطة الوطنية هي التي تقتضيها .

وبعد مناقشات استغرقت أسبوعا بكامله صادق المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثانية عشرة على البرنامج ، وجاءت المصادقة عليه بما يشبه الاجماع . وقد صوت ضده أربعة أعضاء فقط ينتمون لاتجاهات متعددة ، أي أن المعارضة لم تعكس موقف أي فريق من الفرقاء الممثلين في المجلس الوطني(٢١) .

بعد اقرار البرنامج

توج اقرار البرنامج خلاصة التطورات السياسية التي شهدتها الساحة الفلسطينية خلال عشر سنوات من عمر منظمة التحرير . ووضع الحركة الوطنية الفلسطينية ، لأول مرة في تاريخها ، على بداية نهج ايجابي للعمل الوطني حل محل نهج الرفض السلبي الذي اشتهرت به . وفتح امام العمل الوطني الفلسطيني آفاقا لم يسبق أن انفتحت على هذا النحو من الاتساع الذي تلاه . وصارت مطالبه مفهومة من أوساط متزايدة من الرأي العام العربي والدولي والعالمي . وأعطى لأصدقاء الثورة الفلسطينية الدوليين دفعة جديدة ، لكي يستند دعمهم لها على أسس معقولة يستطيعون الدفاع عنها . ومهد اقرار البرنامج بما يشبه الاجماع الطريق أمام مزيد من الانتصارات السياسية .

وذهب وفد المنظمة الى مؤتمر القمة العربية السابعة (الرباط ، تشرين الأول ١٩٧٤) مسلحا ببرنامج النقاط العشر أي بقرار النضال من اجل السلطة الوطنية المستقلة ، وبالاجماع الفلسطيني عليه . وعالج المؤتمر بامعان شديد الخلاف الفلسطيني ــ الأردني حول مسألة تمثيل الشعب الفلسطيني وبت فيه لصالح منظمة التحرير ، وأصدر قراره الشهيــر بهذا الصدد . وهو القرار الذي أكد أيضا حق الشعب الفلسطيني في العودة الى أرضه وتقرير مصيره ، وحقه في اقامة سلطته الوطنية المستقلة بقيادة منظمة التحرير ، وجدد تأكيد صفة المنظمة كممثل شرعي وحيد لشعب فلسطين ، ومسؤوليتها عن صياغة مستقبله . وهو الذي الزم الدول العربية بمساندة مطلب اقامة السلطة الوطنية المستقلة على أي جزء يتحــرر من الارض الفلسطينية ، ودعا للحفاظ على الوحدة الوطنية الفلسطينية ، واعلن التزام الدول

العربية بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعمل الفلسطيني[٢٢] .

وبهذا القرار تمت الاستجابة العربية ، معبرا عنها في وثيقة على مستوى القمة ، لنص ومضمون المادة ٢٦ من الميثاق الوطني الفلسطيني التي تعتبر منظمة التحرير هي المسؤولة « عن حركة الشعب العربي الفلسطيني في نضاله من اجل استرداد وطنه وتحريره والعودة اليه وممارسة حق تقرير المصير فيه ، في جميع الميادين العسكرية والسياسية والمالية ، وسائر ما تتطلبه قضية فلسطين على الصعيدين العربي والدولي »[٢٣] .

ثم ذهب وفد منظمة التحرير بعد ذلك بقليل (تشرين الثاني ١٩٧٤) ليشترك في مناقشات الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للأمم المتحدة ، تطبيقاً لقرار اتخذته الجمعية سمح للمنظمة بأن تشترك في مناقشاتها لقضية فلسطين . وكان هذا الوفد ، الأول من نوعه ، مسلحاً ببرنامج النقاط العشر ، وبالاجماع العربي على قرار قمة الرباط وبالجهود التي بذلتها الدول العربية في سياق تطبيقه ، وبالتأييد الدولي المتزايد للمنظمة وللمطالب الفلسطينية . وفي الأمم المتحدة خاطب ياسر عرفات ممثلي دول العالم في الجمعية العامة ، ممن استقبلوه بحفاوة ملفتة للنظر ، بقوله . « أتوجه اليكم أن تقفوا مع نضال شعبنا من اجل تطبيق حقه في تقرير مصيره ، هذا الحق الذي كرسه ميثاق منظمتكم ، وأقرته جمعيتكم الموقرة في مناسبات عديدة . وانني أتوجه اليكم أيضاً أن تمكنوا شعبنا من العودة من منفاه الاجباري ، الذي دفع اليه تحت حراب البنادق وبالعسف والظلم ، ليعيش في وطنه ودياره وتحت ظلال أشجاره حراً سيداً متمتعاً بكافة حقوقه القومية ، ليشارك في ركب الحضارة البشرية وفي مجالات الابداع الانساني بكل ما فيه من امكانيات وطاقات ، وليحمي قدسه الحبيبة كما فعل عبر التاريخ ويجعلها مثله حرة لجميع الأديان بعيداً عن الارهاب والقهر » . وقال أيضاً . « أتوجه اليكم بأن تمكنوا شعبنا من اقامة سلطته الوطنية المستقلة وتأسيس كيانه الوطني على أرضه » . وأعلن . « لقد جئتكم بغصن الزيتون مع بندقية الثائر ، فلا تسقطوا الغصن الأخضر من يدي »[٢٤] .

وبعد المناقشة أصدرت الجمعية العامة (١٩٧٤/١١/٢٢) قرارها ذا الرقم ٣٢٣٦ الذي أشرنا إليه سابقا والذي تضمن في حيثياته الاقرار بأن منظمة التحرير هي ممثلة الشعب الفلسطيني . ونص على أن الجمعية العامة تؤكد الحقوق الثابتة لشعب فلسطين ، وهي طبقاً لنص القرار .

« أ ــ حقه في تقرير المصير دون أي تدخل خارجي ،

ب ــ حق الاستقلال الوطني والسيادة ،

جـ ــ حق الفلسطينيين الذين طردوا من دياهرم وممتلكاتهم منذ العام ١٩٤٧ بالعودة اليها » . ودعا القرار الى عودتهم في اقرب وقت ممكن.[٢٥]

بقي أن نقول أن اقرار البرنامج السياسي المرحلي ، الذي افتتح مرحلة جديدة في تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية ، لم يلغ بطبيعة الحال الخلافات التي كانت قائمة حول بنوده بين فرقاء منظمة التحرير ، وقد رأينا كيف انعكست هذه الخلافات حتى داخل البرنامج ذاته في الصياغات الملتوية التي وضعت للتوفيق بين أفكار متعارضة . وهذه الخلافات عادت تعبر عن نفسها حتى منذ الأيام الاولى التي تلت اعلان البرنامج للرأي العام ، في حوار أخذ في بعض

الحالات اشكالا حادة . غير ان ذلك كله لا يلغي الحقيقية التي اكدها اقرار المجلس الوطني للبرنامج ، وهي ان الغلبة على ساحة الفكر السياسي الفلسطيني الوطني قد تأكدت منذ ذلك الحين للمواقف الجديدة التي عبر عنها البرنامج صراحة أو مواربة ، أي للمواقف الايجابية التي اكدت أنصع ما في وجه الحركة الوطنية الفلسطينية وهو عدالة قضيتها ، وأهلية هذه العدالة لأن تصبح مفهومة على أوسع نطاق حين يتولى الفلسطينيون طرحها على النحو الذي يحقق التوازن بين العدالة المطلقة وبين المطالب العادلة في كل مرحلة من مراحل النضال ، وفق طبيعة تلك المرحلة ومنطقها ووفق موازين القوى القائمة فيها .

---

(١) **قرارات الامم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤** ، مراجعة وتحقيق د . جورج طعمة ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الوثائق والدراسات ، أبو ظبي ، **الطبعة الثانية** ١٩٧٥ ، ص ٢١٠ .

(٢) لمزيد من التفاصيل راجع ، مثلا ، **الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٤** ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٧ فصل حركة المقاومة الفلسطينية ، ص ٤ وما بعدها .

(٣) راشد حميد ، **مقررات المجلس الوطني الفلسطيني ١٩٦٤ ـ ١٩٧٤** ، بيروت ، مركز الابحاث ١٩٧٥ ، ص ٣٦ .

(٤) عربي عواد ، عضو قيادة التنظيم الشيوعي للحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية ، عضو المجلسين الوطني والمركزي في م . ت . ف . (مقابلة شخصية ، تموز ١٩٧٩) .

(٥) راجع نصه في **الهدف** (بيروت) ، ١٩٧٣/٩/٢٩

(٦) نص الرسالة في **محفوظات مركز الابحاث** ، بيروت .

(٧) محمود عباس (أبو مازن) ، عضو اللجنة المركزية لفتح (مقابلة شخصية ، أيار ١٩٧٩) ، وعواد ، **مصدر سبق ذكره** .

(٨) عباس ، **المصدر نفسه** .

(٩) راجع بهذا الصدد موقف الجبهة مفصلا كما عرضته سبعة مقالات نشرتها **الحرية** (بيروت) تحت عنوان . المسألة الوطنية بين اليسار الحقيقي والتطرف اللفظي ، بين ١٩٧٣/١١/٧ ، و ١٩٧٣/١٠/٨ . وراجع أيضا حديث نايف حواتمه ، الأمين العام للجبهة الشعبية الديمقراطية وردوده على أسئلة الجمهور ، في **المصدر نفسه** ١٧ و ١٩٧٣/١١/٢٤ .

(١٠) نص البلاغ الذي أصدرته اللجنة المركزية عن اجتماعها هذا في ١٩٧٣/١١/١٧ في **محفوظات مركز الأبحاث** ، بيروت

(١١) نص المذكرة في **المصدر نفسه** .

(١٢) نص التقرير في **المصدر نفسه** .

(١٣) حميد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٢٩ .

(١٤) نصت الفقرة ب من القرار على « انهاء جميع ادعاءات أو حالات الحرب ، واحترام سيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة والاعتراف بذلك ، وكذلك استقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود أمنة ومعترف بها وحرة من التهديد أو أعمال القوة » بينما نصت الفقرة أ على « سحب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضي التي احتلتها في النزاع الأخير » اي في حرب حزيران ١٩٦٧ . راجع النص الكامل للقرار في قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والنزاع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٦٧ .

(١٥) نصه الكامل في **المصدر نفسه** ، ص ٤ وما بعدها .

(١٦) راجع نصه الكامل في قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والصراع العربي الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ . **مصدر سبق ذكره** ، ص ٤

(١٧) كراس **ياسر عرفات في الامم المتحدة** ، بيروت ، دار القدس ، بلا تاريخ ، ص ٢٤

(١٨) **المصدر نفسه** ، ص ٢٥ .

(١٩) راجع ، مثلا ، **توصيات اللجنة السياسية** للدورة الاستثنائية (العاشرة) في حميد ، **مصدر**

سبق ذكره ، ص ٢٠٥ . والبرنامج السياسي المقر من الدورة الحادية عشرة في **المصدر نفسه** ، ص ٢٣١ .

(٢٠) راجع بهذا الصدد حديث ياسر عرفات لمجلة **شؤون فلسطينية** ، أيلول ١٩٧٤ . وراجع أيضا نص البيان المشترك حول محادثات وزيري خارجية سوريا والاتحاد السوفياتي الذي صدر في ١٩٧٤/١/٢٥ في **الوثائق العربية ١٩٧٤** ، بيروت ، مكتبة نعمة يافت والجامعة الأميركية ١٩٧٧ ، ص ٢٢٩ .

(٢١) الأعضاء الأربعة هم د . سعيد حمود وهو من الجبهة الشعبية ، وناجي علوش من فتح ، وكلاهما من الكتاب ، ويوسف الخطيب وهو عضو قديم في حزب البعث العربي الاشتراكي دخل المجلس بصفة مستقل وهو شاعر وصاحب دار نشر ، ورفعت النمر وهو صاحب ومدير بنك بيروت للتجارة وعضو مجلس ادارة البنك العربي .

(٢٢) الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٢ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١١٣ .

(٢٣) حميد ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٢٥ .

(٢٤) ياسر عرفات في الأمم المتحدة ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٢٦ .

(٢٥) راجع نصه الكامل في قرارات الأمم المتحدة بشأن فلسطين والنزاع العربي ـ الاسرائيلي ١٩٤٧ ـ ١٩٧٤ ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٥٥ و ١٥٦ .

محمود اللبدي

التضامن العالمي والانفتاح الاوروبي على القضية الفلسطينية

لم تعد فلسطين منبوذة كما كانت عليه في السابق . لقد تغير العالم منذ ثلاثين عاماً حتى الآن ، وتغيرت معه موازين القوى الدولية التي كانت سائدة في ذلك الوقت . ومع تغير الموازين الدولية لصالح الشعوب المقهورة في العالم الثالث ، بدأت النظرة الى فلسطين تتغير أيضاً . لقد فرض تحرر الشعوب مفاهيم جديدة على العالم الرأسمالي الغربي مما اضطر دوله الصناعية والغنية الى أن تغير في مواقفها تجاه الدول النامية وقضاياها السياسية والاجتماعية . كما أن مصالحها وارتباطاتها بدأت تفرض عليها أن تغير وجهة نظرها لصالح القضية الفلسطينية ، التي كانت معزولة ، بل وغير موجودة في قاموسها السياسي .

لقد أطلقت البندقية الفلسطينية شرارة التغيير في الشرق الأوسط ، ولا بد لهذا العالم أيضا أن يتغير وان ينتصر للحق ضد الظلم والاضطهاد والاستغلال . ولا بد للعقل الفلسطيني من أن يغير ليس فقط الرأي العام الدولي لصالح الحق الفلسطيني والنضال الفلسطيني العادل فحسب ، بل لا بد من تغيير موازين القوى في هذه المنطقة والتي رسخها وحافظ عليها الاستعمار والامبريالية والصهيونية ، لكي تخدم مصالحهم المعادية للحق والحرية . ومما لا شك فيه أن مجموعة النضالات الفلسطينية ، عسكرية وسياسية ودبلوماسية ، قد أسهمت ولا تزال تسهم في تغيير الرأي العام الغربي لصالح القضية الفلسطينية . فالتضامن العالمي مع فلسطين آخذ في النمو والازدياد . ومع زيادة الوعي بالجوانب المختلفة للقضية الفلسطينية ، وخصوصاً بالجانب الانساني منها ،يزداد التعاطف مع فلسطين . ومع زيادة التعاطف العالمي مع الحق الفلسطيني يقل التعاطف مع الدولة الصهيونية الغاصبة . فالمستقبل دائما للشعوب التي تقاتل من اجل حقها وحريتها ، فمن له قضية عادلة كقضية فلسطين ، وعلى استعداد للقتال من أجلها ،فلا بد أن يكون النصر حليفه .

نظرة تاريخية

نشطت الحركة الصهيونية منذ نشأتها في نهاية القرن الماضي في مجال اجراء الاتصالات مع القوى العظمى في ذلك الوقت ، لاقناعها بالفكرة الصهيونية القائلة بتهويد فلسطين . وكان

من أهم الشعارات التي استعملتها الحركة الصهيونية ونشرتها بكثرة لاقناع الرأي العام بالفكرة الصهيونية هو « حل المسألة اليهودية » . أي أن حل المسألة اليهودية لا يمكن أن يتم الا اذا تأسست دولة خاصة باليهود ، يعيشون فيها بعيداً عن الملاحقة والاضطهاد اللاحق بهم في أوروبا الشرقية .

ومن جهة أخرى ، فقد سعت الحركة الصهيونية إلى ربط هذه الدولة « اليهودية » المنتظرة بمصالح الدول الكبرى والمسيطرة في ذلك الوقت ، ولهذا سعى تيودور هرتسل للاتصال بالاتراك العثمانيين ، وذهب إلى اسطنبول ، وعرض على السلطان التركي عبد الحميد ذهباً وأموالا اذا وافق على « تهويد » فلسطين . وبعد أن فشل في مساعيه لدى الاتراك العثمانيين ، ذهب هرتسل نفسه الى القيصر الالماني فلهلم ، وكان حليفاً للاتراك في ذلك الوقت ، وعرض عليه ، أن يربط مصالح الدولة الصهيونية بالمصالح الالمانية ، على أن تكون هذه الدولة ناطقة باللغة الالمانية ، ولكن من دون جدوى . وبعد وفاة هرتسل مؤسس الحركة الصهيونية في العام ١٩٠٤ ، تابع قادة الصهاينة مساعيهم الجادة لبلوغ هدفهم .

وبعد ان فشلوا في مساعيهم لدى محور الوسط (التحالف الالماني العثماني) ، ارتد الصهاينة الى الحلفاء الغربيين (خصوم محور الوسط) لمتابعة مساعيهم في تهويد فلسطين . فجاءت الحرب العالمية الأولى ووجد الصهاينة الفرص سانحة للاستفادة من هذه الحرب لبلوغ أهدافهم . فالتقت المصالح البريطانية الاستعمارية بالاطماع الصهيونية لتهويد فلسطين . وفي معاهدة سايكس ــ بيكو ١٩١٦ ــ حرص البريطانيون على الاستئثار بفلسطين ، وجعلوها من حصتهم في عملية تقسيم تركة الرجل المريض الرابض على البوسفور ، وحاكم المشرق العربي .

وهنا لا بد من طرح السؤال الآتي : هل كانت بريطانيا العظمى ، كدولة استعمارية في ذلك الوقت ، حريصة على حل المسألة اليهودية في اوروبا ؟ بالتأكيد لا .

طبعا ليس للاطماع البريطانية اي مصلحة في حل المسألة اليهودية ــ كما أن بريطانيا « العظمى » كدولة استعمارية لم يكن يعنيها من يقتل وكم يقتل من اليهود الأوروبيين . كما أن الاستعمار والامبريالية بشكل عام لا يهمها عدد القتلى والجرحى من يهود أو غيرهم ، فالرأسمال لا يعرف الانسانية والامبريالية لا يهمها سوى الارباح والأموال ومضاعفتها . فعلى سبيل المثال لم تهتم الامبريالية الامريكية بعدد القتلى والجرحى والمشردين من الشعب الفيتنامي ابان الحرب الشرسة لاخضاع فيتنام . والامبريالية الامريكية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني لا يهمه كم عدد القتلى والجرحى الفلسطينيين واللبنانيين في جنوب لبنان وفي فلسطين سابقا .

ولذلك فان الدعم البريطاني لتهويد فلسطين لم يكن بسبب الحس الانساني لدى الامبراطوريةالبريطانية، أو من أجل انقاذ اليهود المعذبين والملاحقين في أوروبا . لقد دعمت بريطانيا الفكرة الصهيونية لاسباب سياسية محضة ، تصب كلها في خدمة الاطماع الاستعمارية البريطانية .

للغرب مصلحة قديمة في زرع الشقاق في العالم العربي ، كما أن سياسة « فرق تسد » هي شعار استعماري قديم طبقته بريطانيا في منطقة الشرق الأوسط لخدمة مصالحها . ان

انتزاع فلسطين من السيادة العربية ، وزرع جسد غريب فيها ، هو من صميم السياسة الاستعمارية . فهو يفصل المشرق العربي عن مغربه ، بالاضافة الى ذلك فهو يؤمن الممرات الاستراتيجية التي تستخدمها بريطانيا للوصول الى مستعمراتها في الهند وشرق آسيا . كما أن انتزاع فلسطين من المشرق العربي يصب في خدمة الأهداف والاطماع الاستراتيجيـة والاقتصادية الأخرى لبريطانيا في المنطقة .

قطعت حكومت جلالـة الملكـة البريطانيـة عهدا باعطـاء اليهود وطنـا قوميا في فلسطين. وجاء ذلك على لسان وزير خارجية بريطانيا العظمى بلفور إلى صاحب البنوك الصهيوني الثري اللورد روتشلد . وعائلة روتشلد معروفة بثرائها ، حيث تملك بنوكاً في بريطانيا وفرنسا . وبالرغم من أن روتشلد لم يكن زعيم الحركة الصهيونية في ذلك الوقت ، الا أن قطع العهد البريطاني الى الرجل الثري يدل دلالة واضحة على أن الصهاينة قد دعموا بريطانيا بالأموال لتمويل الحرب ، أو جزء منها ، ضد محور الوسط في ذلك الوقت . ومعروف أيضا بأن الحركة الصهيونية وضعت جنودا بتصرف بريطانيا ليحاربوا معها ضد محور الوسط ، ومكتشفات علمية حديثة استخدمت في الحرب العالمية الأولى .

ان قطع العهد البريطاني للصهيونيين بمنحهم وطنا قوميا في فلسطين لم يكن بلا مقابل ، ولم يكن لأسباب انسانية كما قلنا في السابق ، وانما كان نتيجة لصفقة بين الحركة الصهيونية وبريطانيا العظمى. كما كان تعبيراً عن اهداف مشتركة وارتباط المصالح البريطانية والصهيونية في المشرق العربي . ولو كانت بريطانيا مهتمة بالنواحي الانسانية لحرصت أيضا على مستقبل الشعب الفلسطيني والمآسي والويلات التي ستحل به ، فيما اذا طرد من وطنه ، وشرد في معسكرات اللاجئين .

استفاد الصهيونيون من فترة الانتداب البريطاني التي ابتدات عمليا بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى . ومنذ العام ١٩١٨ ، بدأوا يعملون بشكل منظم على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين وتمويلها من قبل صندوق المال اليهودي الذي أقر تأسيسه اثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول في بازل ١٨٩٧ .

لقد وصل عدد اليهود المهاجرين الى فلسطين عام ١٩٣١ الى ١٧٤,٦٠٦ نسمة ، ولكن هذا العدد تصاعد بشكل محلوظ منذ أن استلم هتلر الحكم في المانيا ، في العام ١٩٣٣ ، وبدأ بملاحقة اليهود واعتقالهم . لقد وجد الصهيونيون ضالتهم المنشودة في هتلر الذي بدأ باضطهاد اليهود ، وهذا مما شجع على زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين . فقد عقد قادة الحركة الصهيونية اتفاقا مع النظام النازي بتهجير اليهود الالمان الى فلسطين . وهذا مما زاد عدد المهاجرين اليهود بشكل ملحوظ ، حيث وصل في العام ١٩٤٤ الى ما يزيد عن نصف مليون ، أي ٥٢٨,٧٠٢ نسمة .

واستفادت الحركة الصهيونية من النظام النازي ، ليس فقط لاجتذاب المهاجرين اليهود الى فلسطين ، ولكن لكسب الرأي العام العالمي أيضا . وهنا بدأت قضية حل المسألة اليهودية تطرح نفسها من جديد ، بعد أن هدأت لفترة تزيد عن الثلاثين عاما . استفادت الحركة الصهيونية من الحقبة النازية الى أبعد الحدود ، حيث نشطت لتحريك الرأي العام العالمي .

وبدأت تنشط بشكل ملحوظ داخل الولايات المتحدة ، حيث هاجر عدد كبير من يهود أوروبا . إن تحريك الجانب الانساني لدى الشعوب الاوروبية والامريكية قد زاد من دعم هذه الشعوب للاطماع الصهيونية وأهدافها في تهويد فلسطين ، دون النظر لما قد يحل بسكان فلسطين الاصليين . وما من شك في أن بريطانيا قد وجدت نفسها في وضع يشجعها على فتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ، بالرغم من احتجاج سكان البلاد الاصليين المتزايد ضدها . لقد بدأ الفلسطينيون يشعرون بزيادة الخطر الذي يتهددهم من جراء هذه الهجرة ومن تصرفات هؤلاء المهاجرين واستعداداتهم العسكرية وشراء الأراضي وبناء المستوطنات . ومن أجل ذلك فقد استخدم الصهيونيون نفوذهم في الولايات المتحدة للضغط على بريطانيا وخصوصا في عهد الرئيس الامريكي ترومان .

اسرائيل والغرب

اذا استعرضنا فترة الانتداب البريطاني على فلسطين ، وخصوصا اذا نظرنا الى الانتفاضات الفلسطينية ضد الهجرة الصهيونية من جهة ، والانتداب البريطاني من جهة أخرى ، فسنجد أن فلسطين وقعت ضحية التآمر الدولي عليها وعلى سكانها مما خدم المطامع الصهيونية والأهداف البريطانية . ففي فترة الانتداب البريطاني ازداد التكالب الدولي على فلسطين خصوصا إذا نظرنا الى ما دار داخل أروقة الأمم المتحدة من تآمر وتواطؤ مع الحركة الصهيونية . فمن ورقة بيضاء إلى ورقة سوداء ، ومن لجنة تقصي الحقائق الى أخرى لكي تقضي على ما في داخل فلسطين من ثورات وتذمرات وصدامات وتمكين الصهيونيين من فرض سيطرتهم عليها ، يساعدهم في ذلك تواطؤ الدول الكبرى مع أهداف الحركة الصهيونية .

ومما لا شك فيه أن اسرائيل تعتبر ، بكل تأكيد ، وليدة للغرب ، وخادمة لاطماعه في المنطقة العربية . واذا ما نظرنا الى التوازنات الدولية بعد الحرب العالمية الثانية ، فانها ولا شك قد لعبت دوراً حاسماً في انشاء دولة اسرائيل في فلسطين . لقد انتصر الحلفاء على الحلف النازي – الياباني – الفاشي ، ولهذا فقد كان للدول المنتصرة الدور الحاسم في تأسيس دولة اسرائيل . وعندما وصلت قضية فلسطين الى مرحلة التقسيم في عام ١٩٤٧ كان عدد الدول المستقلة في ذلك الوقت والتي تتمتع بعضوية الأمم المتحدة ٥٦ دولة . وفي ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ ، صوتت ٣٣ دولة لصالح التقسيم ، و ١٣ دولة عارضت التقسيم وامتنعت ١٠ دول عن التصويت .

ونظرة الى هذا التقسيم الجائر ترينا أنه أعطى السكان العرب الأصليين ٤٤ ٪ من مساحة أرضهم بينما أعطى المهاجرين اليهود الغرباء ٥٦ ٪ من مساحة فلسطين ، هذا مع العلم بأن عدد سكان فلسطين العرب كان يبلغ في ذلك الوقت حوالي ٢٠٠ ٠٠٠ ,١ نسمة بينما يبلغ عدد المستوطنين اليهود حوالي ٠٠٠ ,٦٠٠ الف . أي ظلم هذا الذي يرتكب بحق فلسطين وشعبها ويبارك بشرعية دولية ؟ فمن الذي منح هذه المؤسسة الدولية الحق بتشريد شعب وتقسيم وطنه بينه وبين مستوطنين غرباء ؟ ولكن الحقيقة هي أن هذه الصورة كانت تعكس الموازين الدولية السائدة في ذلك الوقت والتي نتجت عن الحرب العالمية الثانية . فاذا كانت الحرب العالمية الأولى قد وضعت الحجر الاساسي في بناء الدولة الصهيونية فان الحرب العالمية الثانية قد أكملت هذا البناء وأعطته الشرعية الدولية السائدة في ذلك الوقت .

لقد وافقت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، أي أوروبا الغربية ودول المعسكر الاشتراكي وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة الامريكية . وهي الدول الصناعية على انشاء الدولة الصهيونية في فلسطين . ولم يفكر الا أقلها في ذلك الوقت بما قد يحل بشعب فلسطين من مآس وويلات . واذا كان الغرب قد وافق على تأسيس دولة صهيونية في فلسطين للأسباب التي ذكرناها سابقا ، أي لتقسيم العالم العربي ، ولخدمة المصالح السياسية والاستراتيجية والاقتصادية فلا بد من تفحص الاسباب التي حملت دول الشرق الاشتراكي على الاعتراف بهذه الدولة المصطنعة . فلا أحد ينكر التعاطف العالمي مع اليهود من جراء الويلات التي عانوها على أيدي النازية ، ولكن يظهر أن الغياب العربي عن الساحة الدولية حيث أن الدول العربية كانت ضعيفة ومستعمرة سياسيا واقتصاديا ترك المجال للصهاينة يسرحون ويمرحون ويقنعون الشرق والغرب بأهدافهم ومطامعهم .

تأسيس دولة اسرائيل عام ٤٨ والرأي العالم العالمي

لقد نظر العالم بارتياح الى تأسيس دولة اسرائيل على أرض فلسطين في عام ٤٨ . كما أن الرأي العام الدولي المتأثر بالدعاية الصهيونية وبالجرائم النازية ضد اليهود قد نظر بعطف الى الدولة الصهيونية وأيدها . ودخل شعب فلسطين المشرد طي النسيان ، ولم يكترث بمعاناته أحد . وللتخفيف عن الرأي العام من عبء ذنب جديد أو ظلم جديد ذهبت الدعاية الصهيونية تقول للعالم أن فلسطين كانت فارغة ، وأرضها بلا شعب ، وهذا مما دعا العالم شرقه وغربه الى تأييد الدولة الصهيونية . لقد حرص الغرب والشرق على اسرائيل كما يحرص الانسان على بؤبؤ عينه ، وكل من يطعن بوجود اسرائيل وبحقها في البقاء والاستمرار كان منبوذا أو صوتاً في الصحراء ، الا أن الغرب أخذ يدعمها بالمال والسلاح . وقد استفادت اسرائيل من عقدة الذنب لدى الشعب الالماني ، وحصلت نتيجة لذلك ونتيجة للضغط الغربي على المانيا الاتحادية على دعم كان العامل الحاسم في تطوير ونمو الدولة الصهيونية الجديدة في ذلك الوقت (مجموع ما حصلت عليه اسرائيل من المانيا الاتحادية ٢٣ مليار مارك غربي حتى عام ١٩٦٨) .

وما من شك في أن الدول العربية قد أسهمت بقسطها الهام في دعم الدولة الصهيونية ، فأمدتها بالسكان ، أي باليهود العرب حيث يبلغ عدد السكان اليهود الشرقيين الآن حوالي ٦٠ ٪ من سكان اسرائيل . بالاضافة الى ذلك فقد حافظت هذه الدول على حدود اسرائيل ومنعت أي عمل فدائي من عبور الحدود للقيام بأي عمل عسكري ، ضد الدولة الغاصبة والمعتدية . ولا نريد هنا أن نهاجم الدول العربية ولكن هنا يصدق المثل القائل « الجاهل عدو نفسه » . والدول العربية السبع في عام ٤٨ والتي كانت مستقلة اسماً في ذلك الوقت ، لم يكن لأولي الأمر فيها حول ولا قوة ولا حتى حرية القرار . أضف الى ذلك الجهل والتخلف الموروث عن الامبراطورية العثمانية التي تخلفت عن الركب الحضاري والتكنولوجي ما يزيد عن مائتي سنة . والعرب بعد ذلك الجيل كانوا لدرجة كبيرة اميين، لا يقرأون ولا يكتبون ، بينما المهاجرون الصهيونيون جاءوا الى المنطقة من مناطق أرقى علماً وحضارة وتقدماً ، ولهذا فقد وجدوا عدواً سهلاً . أضف الى ذلك تآمر الدول الكبرى على شعبنا وبلدنا ومنطقتنا .

الرأي العام العالمي المعادي للعرب : حرصت اسرائيل على أن ترسم لنفسها صورة معينة في أذهان الغربيين ، وما من شك في أن هذه الصورة « Image » التي نمتها وغذتها الدعاية الصهيونية قد خدمت اسرائيل لفترة طويلة ولا تزال رواسبها باقية في أذهان الاوروبيين حتى الآن . فالصورة التي روجتها الدعاية الصهيونية لنفسها ولاعدائها كانت على النحو التالي :

١ ـ اسرائيل ضعيفة أمام قوة العرب الهائلة (خصوصا أيام عبد الناصر) .
٢ ـ اسرائيل صغيرة أمام انتشار الأراضي العربية من المحيط الى الخليج .
٣ ـ اسرائيل متقدمة أمام التخلف العربي .
٤ ـ اسرائيل ديمقراطية أمام دكتاتورية العرب .
٥ ـ اسرائيل غربية وأوروبية أمام المشرق العربي والمشارقة المسلمين .
٦ ـ اسرائيل تحب السلام أمام العرب الذين يحبون سفك الدماء .
٧ ـ اسرائيل ملجأ لليهود الفارين من معسكرات الاعتقال وأفران الغاز ، بينما العرب ، وخصوصا أيام عبد الناصر ، يلاحقونهم ويريدون رميهم في البحر .

هذه هي الصورة التي بثتها وروجتها الدعاية الصهيونية عن اسرائيل لكي تكسب التعاطف الغربي . وفي المقابل طبعت في أذهان الغرب صورة مغايرة ومغلوطة عن العرب تخدم أهدافهم . فالانسان الغربي يعرف عن العرب ما يسمعه من الدعاية الصهيونية فقط . وما من شك في أن هذه الصورة التي بثتها اسرائيل وروجتها كانت تدعم لحد كبير من قبل أجهزة الدعاية العربية . فكلام العرب أكبر من فعلهم ، فهم فعلا كانوا يتكلمون عن الحرب وان كانوا لا يستعدون لها . فأجهزة الدعاية العربية كانت تصور للغرب وكأن اسرائيل يمكن القضاء عليها بأربع وعشرين ساعة .ومامن شك في أن كلام الانسان المتخلف علميا وحضاريا وتقنيا دائما يفوق حجمه الحقيقي . فالعرب الحاليون هم أشبه بابن فاشل لاب عظيم . ونحن العرب الحاليين ابناء تلك الأمة المجيدة التي وصلت فتوحاتها وأمجادها من الاندلس غربا الى الصين شرقا . ولهذا فنحن نعيش في عقدة نقص دائمة تزول فقط إذا استعادت هذه الأمة دورها التاريخي .

ولهذا فقد كان الكلام العربي الكبير أكبر مسيء للعرب ومفيد لاسرائيل التى كانت تصيد الاخطاء والهفوات من أجهزة الاعلام العربية . وبالرغم من عدالة قضية فلسطين كان العرب اسوأ مدافعين عنها . واستفاد العدو من ذلك . وترك الرأي العام العالمي فريسة سهلة للدعاية الصهيونية النشطة التي كانت على علم ومعرفة ودراية بكيفية مخاطبة الرأي العام العالمي وطرق كسبه . وهنالك نقطة ساعدت الصهاينة في نشر دعايتهم الكاذبة ضد العرب وتقبل الغربيين لهذه الدعاية وهي العداء التاريخي بين الشرق المسلم العربي وبين الغرب المسيحي . طبعا اذا عدنا للتاريخ فان الغرب يمكن تحريضه بسهولة على المشرق بسبب اختلاف الحضارات هذا اذا ما عدنا الى غزوات الفرنجة على المشرق العربي والتي حملت لواء الصليب منذ ثمانماية عام تقريبا . وهنا لا بد من تذكير الغربيين بأن الحضارة المسيحية التي اعتنقوها هي جزء من حضارة المشرق بل انها تنبع من الشرق . فالسيد المسيح من اصل فلسطيني ولهذا فلا فرق بين الاسلام والمسيحية في الشرق ، فهما حضارتان مكملتان لبعضهما البعض . ولا بد لهاتين

الحضارتين أن تتعاونا مع بعضهما البعض ، ثم انه لا يوجد في هذا العالم حضارة منفصلة انفصالا تاماً عن الأخرى ، لان تاريخ الانسانية واحد وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً عبر العصور منذ بدء التاريخ المعروف لدينا حتى الآن .

حرب ١٩٦٧ وبداية التحول

حافظت اسرائيل على صورتها المتفوقة اعلامياً على العرب ونمت وغذت هذه الصورة حتى جاءت حرب حزيران ٦٧ . وابتهج العالم فرحا وسرورا لانتصار اسرائيل ولهزيمة العرب ، وزاد من فرح العالم الغربي لانتصار اسرائيل مفاجأته بالنصر الاسرائيلي الذي لم يكن يتوقعه . فحسب كلام أجهزة الدعاية والاعلام لدى الطرف الاسرائيلي والطرف العربي سيكون النصر حتما لصالح العرب . فمسكينة اسرائيل في نظر الدعاية الغربية « وجوع يا سمك » على رأي اذاعة صوت العرب من القاهرة . اذن ما من شك في أن العالم سينتصر للضعيف ضد القوي .

ثم إن العالم العربي نفسه قد صعق لهذه الهزيمة النكراء . فمن كان يتوقع ذلك ؟ لقد كان الجميع ضحية لاعلامنا العربي . ووصلت المعنويات العربية الى الحضيض بعد الهزيمة ؟ حتى استطاعت المقاومة الفلسطينية بعملياتها الجريئة بعد هزيمة حزيران ان تعيد الثقة الى النفوس وذلك بتصعيد عملياتها العسكرية داخل الاراضي المحتلة . فبدأ الانسان العربي يستعيد ثقته بنفسه رويداً رويدا . وجاءت معركة الكرامة بعد أقل من مرور عام على هزيمة حزيران أي في ٢٣ اذار ١٩٦٨ لكي تعيد بعض الكرامة المهدورة للانسان العربي وتهزم اسطورة السوبرمان الاسرائيلي الذي لا يقهر .

لقد فقدت اسرائيل جزءاً من صورتها التي رسمتها للعالم الغربي بانتصارها الحاسم والخاطف . ولم تعد تلك الدولة الضعيفة المستضعفة والمسالمة . والاحتلال الذي نتج عن تلك الحرب الخاطفة ، وممارسات اسرائيل كدولة احتلال في الاراضي المحتلة ، قد أفقدها بعض التعاطف الأوروبي والامريكي ، بل أفقدها أيضا التعاطف العالمي . وبدأت المقاومة الفلسطينية تأخذ شرعيتها الدولية رويداً رويداً . فالمقاومة الفلسطينية بدأت تشبه وتقارن بالمقاومة الأوروبية ضد الاحتلال النازي ـ وهذا حق مشروع . كما أن تعنت اسرائيل ، ورفضها لتنفيذ قرار مجلس الأمن ٢٤٢ والخلاف الذي دار حول تفسير هذا القرار بالانسحاب من الأراضي المحتلة أو من أراض محتلة ، أفقدها كثيراً من التعاطف الأوروبي والدولي وخصوصا على الصعيد الشعبي .

وبالرغم من نشاط أجهزة الدعاية الصهيونية في مدح الاحتلال وتلميع صورته على أنه احتلال حضاري أو انساني أو ديمقراطي الا أن رفض الفلسطينيين للاحتلال في الداخل والخارج قد فضح اسرائيل أكثر فأكثر . وبدأت المقاومة الفلسطينية تبرز كثورة انسانية وتقدمية وخصوصا في الفترة القصيرة التي عايشت نمو وصعود الثورة الفلسطينية في الأردن حتى عام ١٩٧٠/ ١٩٧١ .

الاعلام الفلسطيني بعد ١٩٦٧

لم يقتصر النشاط الاعلامي للثورة الفلسطينية على الاهتمام فقط بالمناطق المحتلة ١٩٦٧ ولكن بدأت قضية الشعب الفلسطيني ككل تطرح نفسها على الرأي العام العالمي . وبالرغم من

خروج الثورة الفلسطينية من الأردن ولجوئها ولجوء اجهزتها الاعلامية السياسية الى لبنان فقد استطاعت ان تستمر وان تناضل بكافة الوسائل للتعبير عن حقها وعن أهدافها . ولم يعد شعب فلسطين منبوذاً ومجهولا أو مرمياً في غياهب النسيان . لقد بدأ الشعب الفلسطيني يسترد حياته من جديد باعتماد المقاومة المسلحة كوسيلة وحيدة يفهمها الصهاينة واعتماد النضال السياسي والدبلوماسي والاعلامي لشرح القضية الفلسطينية من أولها الى آخرها . ونستطيع أن نقول هنا أن فلسطين قد عادت الى الحياة السياسية والى « الخريطة السياسية العالمية » كما قالها الأخ أبو عمار في المجلس الوطني الثالث عشر في القاهرة في آذار ١٩٧٧ .

لقد تعلمت الثورة الفلسطينية من أخطاء الماضي واقلعت عن استعمال الكلام الكبير الذي يخدم العدو الصهيوني . فبدلا من رمي اليهود في البحر طرحت الثورة الفلسطينية شعار التعايش ضمن دولة ديمقراطية واتبـاع كافة الاديان السماوية . وهذا شعار حضاري متقدم وانساني يتقبله الغرب . وبدلا من الاتهامات التي كانت توجه للعرب على أنهم معادون لليهودية والسامية ، فان شعار الدولة الديمقراطية العلمانيـة أثر تأثيراً كبيراً لدى الرأي العام العالمي في نهاية الستينات وبداية السبعينات . رفضت اسرائيل هذا الشعار على أنه يهدف الى تدميرها ولكنه على الأقل كان متقدماً عن الطروحات السابقة قبل هزيمة ٦٧ .

ومما لا شك فيه أن هذا الشعار الانساني قد أربك الدعاية الصهيونية ووضعها في الزاوية اذ أنها لم تعد تستفيـد من اخطاء العرب السابقة والفاحشة .

لقد قفز الاعلام الفلسطيني قفزة نوعية الى الامام من خلال طروحاته الجديدة ومنطقه الثوري الجديد . ومع هذه الطروحات المتقدمة انتقل الاعلام الفلسطيني من الدفاع الى الهجوم . كان في السابق يرد على هجمات اسرائيل الاعلامية بأسلوب دفاعي ضعيف كمن يرد عن نفسه الاتهام . لقد استطاع الاعلام الصهيوني حتى عام ١٩٦٧ أن يضع العرب في قفص الاتهام ، وكأنهم هم المذنبون وهم الذين قتلوا وسلبوا ونهبوا . ولكن المنطق الثوري الجديد الذي رافق البندقية الثورية استطاع أن يعيد الأمور الى وضعها الحقيقي . فاسرائيل هي المتهمة وهي المذنبة وليس العرب ولا الفلسطينيون، الذين طردوا واضطهدوا وشردوا من أوطانهم .

ومع انتقال الاعلام الفلسطيني من مرحلة الدفاع الى الهجوم بدأت اسرائيل تدافع عن باطلها وتعنتها وتوسعها ، وكان ذلك بحد ذاته انتصاراً كبيراً للقضية الفلسطينية . ان اسرائيل هي الموجودة الآن في قفص الاتهام على الصعيد الدولي ، أما الفلسطينيون فهم الذين يتصدرون ويهاجمون اعلامياً وسياسياً ودبلوماسياً . لقد باتت اسرائيل تستعمل حججا ضعيفة وغير مقنعة للرأي العام العالمي بل وتستعمل أحيانا حججاً متغطرسة تماما كما كان عليه الوضع العربي قبل حزيران ١٩٦٧ ، مما يثير الاشمئزاز لدى الغربيين نحو اسرائيل ، ويزيد التعاطف مع ا الفلسطينيين وقضيتهم العادلة .

استمرار التحول العالمي لصالح فلسطين : لقد خاضت الأمة العربية حرب تشرين الأول (أو رمضان) في العام ١٩٧٣ . ولا نريد هنا أن ندخل في تفاصيل تلك الحرب أو خلفياتها . ثم تلتها النتائج المخزية والمهينة للأمة العربية جمعاء وهي اتفاقيات كامب ديفيد ، ومعاهدة الصلح الساداتية ــ الاسرائيلية المنفردة .

لم تكن حرب تشرين حرباً تحريرية ، اي لتحرير الأرض المغتصبة ٦٧ أو لتحرير فلسطين، بل كانت حرباً تحريكية محدودة الابعاد للخروج بالمنطقة من الجمود السياسي التي غرقت فيه منذ حرب حزيران ٦٧ . وكما يقول كيسنجر فانه لا بد من تسخين الاجواء السياسية قبل البدء بالمفاوضات .

ومهما تكن الاسباب فقد خلقت حرب رمضان وضعا سياسيا جديداً بالنسبة للقضية الفلسطينية ولمنظمة التحرير ، وكان لا بد من التعاون مع الواقع الجديد . ما من شك بأن الخلاف الذي دار داخل اطراف منظمة التحرير بين رفض وقبول قد أضعف الساحة الفلسطينية . وهذا مما أفاد العدو الصهيوني على الصعيد الاعلامي ، وجعله يبرز هذا الخلاف وجوانبه وليتغنى به لكي يضعف من مصداقية منظمة التحرير الفلسطينية وحقها الشرعي في تمثيل الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج وليطعن في حقها بالمطالبة بالأرض الفلسطينية كما نص عليه قرار المجلس الوطني في دروته الثانية عشرة في القاهرة في حزيران عام ١٩٧٤ . إي عند اقرار برنامج السلطة الوطنية الفلسطينية على أي شبر يتم تحريره أو يجلو عنه الاحتلال.

لم تستطع جبهة الرفض أن تنال من المد الاعلامي الفلسطيني بالرغم من دهاء وحنكة اسرائيل للاستفادة من هذا الوضع . واستمرت منظمة التحرير تتابع نضالها السياسي والدبلوماسي والاعلامي مستندة على النضال العسكري الذي لم يتوقف . واستمرت الهجمة الاعلامية الفلسطينية على الصهيونية ، تطالب بالسلطة الوطنية التي رفضتها اسرائيل رفضا قاطعا ، بينما لقي هذا الشعار تفهما أكثر فأكثر على الصعيد العالمي ومنه الأوروبي . ولم تجد اسرائيل سوى حجج واهية للتعبير عن رفضها لهذا الشعار المرحلي و « المعتدل » ، حيث ركزت على انه يهدف الى « تدمير اسرائيل » واتهمت الدعاية الصهيونية « المعتدلة » في منظمة التحرير بأنهم يريدون تدمير اسرائيل مثلهم كمثل « المتطرفين » في المنظمة .

لقد كان الشعار المرحلي ، أي شعار السلطة الوطنية ، هو الأرضية التي استند اليها الانتصار السياسي والاعلامي الكبير الذي وصل قمته في دعوة الاخ أبو عمار ، قائد الثورة للذهاب الى مقر الأمم المتحدة في نيويورك في تشرين الثاني ١٩٧٤ . لقد كانت زيارة الأخ أبو عمار الى الأمم المتحدة حدثا عالميا وتاريخيا وهو الأول من نوعه ، حيث لم يسبق لحركة تحرر أن دعيت للتحدث أمام الجمعية العمومية للأمم المتحدة وذلك بدعوة مقدمة من ١٠٥ دول أعضاء في هذه المنظمة الدولية . وبهذه الدعوة ارادت ١٠٥ دول ، بالاضافة الى تأييدها لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وأهدافها ونضالها أن تقول لا لتعنت اسرائيل ، ولا لغطرسة اسرائيل .

لقد عبر خطاب الأخ أبو عمار في الأمم المتحدة عن شعور كافة المظلومين في هذه الأرض كما عبر عن شعور كافة المناضلين من اجل الحرية والاستقلال . وجن جنون اسرائيل بهذا النجاح الاعلامي و السياسي للمنظمة ، كما جن جنون الحاقدين والامبرياليين والمستعمرين من أمثال كيسنجر وغيره . ولكن الشعب الفلسطيني بقيادة ثورته بدأ يشعر بوجوده ويسترد ثقته بنفسه ، حيث خرج الناس الى الشوارع في مدن الضفة وغزة كما أطلقت المخيمات الفلسطينية في لبنان الرصاص ابتهاجا بهذا الحدث التاريخي العظيم .

مؤامرة كيسنجر وضرب لبنان : كان لا بد من ضرب هذه الانتصارات التي حققتها منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد الدولي . فلم يكد الأخ أبو عمار أن يعود الى بيروت بعد خطابه في الأمم المتحدة حتى بدأت القلاقل تبرز في لبنان . وبعد ثلاثة أشهر تقريبا أي في شهر شباط ١٩٧٥ أغتيل المناضل معروف سعد في صيدا . ثم تبعتها حادثة الباص في عين الرمانة في نيسان ١٩٧٥ . وهكذا أخذت الحرب الأهلية في لبنان تستفحل وتكبر دون أن يستطيع أحد كبح جماحهاأو انهائها بالرغم من كافة الوساطات .

انشغلت الثورة الفلسطينية في الدفاع عن نفسها ، وصمودها الذي فاجأ العالم أكسبها مزيداً من المد الاعلامي ، وفشلت مساعي الصهاينة لتصوير الحرب اللبنانية على أنها حرب طائفية ــ بين مسلمين ومسيحيين ــ أو حرب لبنانية ضد فلسطين أو العكس . إن فشل هذه الحرب في القضاء على الثورة الفلسطينية قد زاد من الاعجاب العالمي ومن التعاطف مع المقاومة الفلسطينية . ولا نريد هنا أن نضخم الدورالاعلامي الفلسطيني في كسب هذه المعركة الاعلامية على القوى الانعزالية ــ ولكننا نستطيع أن نستشهد بقول بيار الجميل رئيس حزب الكتائب الذي اعترف للفلسطينيين بتفوقهم الاعلامي كما اعترف بذلك الرئيس حافظ الأسد . ولا نستطيع أن نتجاهل الممارسات الفاشية والأخطاء الكتائبية والشمعونية التي استفاد منها الاعلام الفلسطيني لكسب معركته الاعلامية .

لقد كانت تكاليف هذه الحرب باهظة جداً خصوصا على صعيد العنصر البشري والخسائر المادية ، ولكن الثورة الفلسطينية استطاعت أن تتابع نشاطها السياسي والاعلامي على الصعيد الدولي ، كما أن صمودها في الحرب الأهلية قد جعل منها رقماً سياسياً هاماً لا يمكن تجاهله ، أو أنه لا يمكن القفز فوق رأس منظمة التحرير الفلسطينية اذا أريد التوصل الى حل دائم وشامل في منطقة الشرق الأوسط .

وبالرغم من استفادة اسرائيل من هذه الحرب القذرة التي دبرتها بمساعدة المخابرات المركزية الامريكية ، وذلك من خلال سياسة تعريب الحرب ، الا أن الحضور الاعلامي الفلسطيني لم يترك لاسرائيل اية ثغرة تنفذ منها لتشويه سمعة المنظمة وصورتها .

لقد أثبت الفلسطينيون في هذه الحرب انهم متحضرون أكثر من غيرهم ، ممن يدعون الحضارة والمدنية ، وخاضوا غمار هذه الحرب اللبنانية دفاعا عن النفس بكل شرف ومسؤولية . لقد كان الفلسطينيون الوحيدون الذين لا يعرفون الطائفية ولا القتل على الهوية ، فالهوية النضالية الفلسطينية لا تعرف الطائفية ولا الحقد ، وهذا مما رفع من سمعة الثورة الفلسطينية ومنظمة التحرير في الخارج . كما أن مجازر مخيم تل الزعتر وضبية وجسر الباشا قد أكسبت الفلسطينيين عطفا عالميا خصوصا معركة تل الزعتر التي ركزت أنظار العالم بأسره لمدة سبعة وخمسين يوما على قضية الشعب الفلسطيني ونضاله العادل للدفاع عن النفس . كما ان الثورة لم تنس ولو للحظة ان عدوها الرئيسي هو العدو الصهيوني وليس الكتائب ولا غيرهم من الاحزب اليمينية اللبنانية .

حرب الجنوب : خرجت الثورة الفلسطينية من الحرب الأهلية اللبنانية منتصرة ولكن الصهاينة وعملاءهم لم ترقهم نهاية الحرب على هذا الشكل . إن هدفهم كان استمرار الحرب

ولم يفكروا في أن تنتهي الحرب دون القضاء على الثورة أو اخضاعها للسيطرة والوصاية ولهذا فان القوى الانعزالية استمرت في الحرب الباردة والتحريض ضد الثورة الفلسطينية ووجودها المؤقت في لبنان . ولكن الحق الفلسطيني كان أقوى من كل المؤامرات وفوق كل تشويش لسمعة الثورة وصورتها .

استمر النشاط السياسي والدبلوماسي لمنظمة التحرير الفلسطينية ـ هذا بالاضافة الى النشاط الاعلامي والعسكري، فلم تترك المنظمة بابا دبلوماسيا الا وطرقته ، ولم تترك مؤتمرا دوليا الا وحضرته . لقد بات الحضور الفلسطيني أمرا واقعا على كل المؤتمرات الدولية ـ من قمة أفريقية الى قمة دول عدم الانحياز الى مؤتمر الدول الاسلامية الى دول المعسكر الاشتراكي بقيادة الاتحاد السوفياتي . وفي جميع هذه الأطر بالاضافة الى مؤسسات الأمم المتحدة كانت الثورة الفلسطينية تجد آذانا صاغية وتعاطفا ملموسا ومتزايدا،وهذا مما بدأ يزيد من عزلة اسرائيل على الصعيد الدولي أكثر فأكثر .

أما النشاط العسكري للثورة الفلسطينية ، والذي لم يتوقف ، فقد وصل قمته في حرب المواجهة التي شنها الاسرائيليون على جنوب لبنان في منتصف آذار ١٩٧٨ . لقد استفادت الثورة الفلسطينية من هذا العدوان الاسرائيلي بحد ذاته ، كما استفادت على الصعيد الاعلامي من الصمود الذي أبداه المقاتلون الفلسطينيون أمام الوحشية الاسرائيلية . إن تفوق السلاح الاسرائيلي عتاداً وعدة على السلاح الفلسطيني قد زاد من التعاطف مع الضعيف أي مع الثورة الفلسطينية ، التي هي أقل عتاداً وعدة وعدداً .

كانت تصريحات الصهاينة متغطرسة في بداية الحرب حيث أعلنوا أنهم سينهون مهمتهم في ٢٤ ساعة ثم في ثماني واربعين ساعة ولكن الصمود الفلسطيني واللبناني الوطني كان عظيما حتى استمر ثمانية أيام بلياليها الى أن طلبت اسرائيل نفسها وقف اطلاق النار . وكان ذلك لسببين ـ أولا الصمود الفلسطيني المفاجىء أمام القوة الجبارة ، وثانيا : بسبب ضغط الرأي العام الدولي .

وقف الرأي العام الدولي ضد عدوان اسرائيل على جنوب لبنان وعلى الثورة الفلسطينية ، ولهذا اضطرت اسرائيل أمام ضغط الرأي العام الدولي الى التراجع من جنوب لبنان . كما قرر مجلس الأمن الدولي ارسال قوات دولية لكي تحل محل القوات الغازية .

لقد خدمت حرب الجنوب الثورة الفلسطينية على عدة أصعدة ، ليس فقط على الصعيد العسكري والاعلامي والسياسي ، بل أيضا على صعيد التصدي لسياسة السادات الاستسلامية واتفاقه مع العدو الصهيوني . كانت حرب الجنوب ضربة كبيرة للسادات الذي كان قد زار القدس قبل أربعة أشهر فقط ـ في ١٩ تشرين الثاني ١٩٧٧ واعلانه في الكنيست الاسرائيلي أن لا حرب بعد الآن ، فكانت حرب الجنوب صفعة له حيث اثبتت للعالم أجمع وللجماهير العربية أن لا فائدة من المهادنة ، وان سياسة الثورة الفلسطينية هي السياسة الصحيحة والسليمة ، وان تقييم الثورة الفلسطينية لسياسة العدو الصهيوني هي أكثر دقة وموضوعية .

إن قدوم القوات الدولية الى جنوب لبنان زاد من تألق الثورة الفلسطينية وانفتاح العالم الغربي عليها . لقد ثبت للجميع الآن أن التخوفات والتحسبات التي خوفت بل نفرت بعض الأطراف الفلسطينية من القوات الدولية ، ليست في موضعها ولم تكن صائبة . وبالرغم من الحساسيات السابقة بين قوات الأمم المتحدة وبعض الأطراف الفلسطينية واللبنانية في الجنوب ، الا أننا نستطيع أن نقول الآن وبارتياح بأن الثقة بدأت تترسخ بين الطرفين مما خلق وضعاً مرتاحا في الجنوب ، وهذا مما جعل القوات الدولية تزداد تفهما للوضع السائد في الشرق الأوسط . ان العلاقة اليومية والطيبة التي تولدت مع الزمن قد غيرت من مفاهيم الجنود والضباط الدوليين لصالح القضية الفلسطينية ، بينما كانوا يحملون قبل قدومهم الى الجنوب وجهة النظر السائدة في الغرب والمعادية للقضية الفلسطينية والمؤيدة لاسرائيل . فعلى سبيل المثال عاد الجنود الفرنسيون الى بلدهم وقد تحولوا من خصوم الى متفهمين لحقيقة الوضع في المنطقة . هذا بالاضافة الى اهتمام اجهزة الاعلام في البلدان المشاركة بأبنائها الجنود في جنوب لبنان ، مما اضطرها الى نشر أخبار أكثر فأكثر عن الشرق الأوسط من الجانب العربي والفلسطيني . وهنا لا بد وأن نذكر باعتزاز الاسلوب الحضاري الذي تعاملت به الثورة الفلسطينية مع القوات الدولية. فبدلا من أن يكونوا أعداء لها كما أريد لهم في البداية فقد تحولوا الى متفهمين لطبيعة الصراع ، وبدأوا يفهمون من هو المعتدي ومن هو المعتدى عليه . ولهذا نستطيع أن نقول أن القوات الدولية قد اسهمت من حيث لا تدري في تغيير الرأي العام الدولي لصالح القضية الفلسطينية . كما خيبت كل الآمال التي بنت عليها اسرائيل وعملاء اسرائيل في المنطقة .

الانفتاح الأوروبي على القضية الفلسطينية

إن عدالة القضية الفلسطينية هي أهم سلاح اعلامي وسياسي في وجه العدوان الاسرائيلي ، كما أن ضعف امكانيات الثورة الفلسطينية أمام شراسة اسرائيل وغطرستها جعل العالم يتعاطف مع الضعيف ضد القوي المتغطرس والمعتدي . وما من شك في أن أخطاء اسرائيل وتعنتها ورفضها للقرارات الدولية وتماديها في الاحتلال وبناء المستوطنات قد أفاد الثورة الفلسطينية على الصعيد الاعلامي . لقد رفضت اسرائيل ولا تزال الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وهي تستمر في رفضها لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتحاول لكسب الوقت والمماطلة الاستمرار في اختلاق الحجج والاكاذيب لاشغال الناس وخصوصا الأوروبيين عن الاعتراف بالحقيقة الفلسطينية . فهي أي اسرائيل ، تروج تارة أن المنظمة تريد تدمير اسرائيل واخرى تقول ان الدولة الفلسطينية حتى الصغيرة تهدد بزوالها وتصر على انها لا تريد ان تعترف بالمنظمة لان دستور المنظمة أي الميثاق الوطني الفلسطيني ، يهدف الى تدميرها ... والخ. طبعا الاعلام الصهيوني لا يزال يستمر في الترويج بأن المنظمة الفلسطينية هي منظمة ارهابية وتستغل عمليات عسكرية للمقاومة للدلالة على ذلك . واسرائيل تحاول ، بهذه الحجج ، أن تستغبي العالم أو أن تستمر في استغبائه من خلال تزوير الحقائق ، كما زورتها لفترة ثلاثين سنة مضت . ولكن السلاح الاعلامي الاسرائيلي لم يعد مؤثرا كما كان في السابق .

أما بالنسبة للرأي العام الأوروبي فان المواقف الاسرائيلية باتت غير مفهومة ، خصوصا

وان اسرائيل ترفض ايضا اشتراك المنظمة في اية تسوية سياسية في الشرق الأوسط . ولا نستطيع هنا أن ننكر الدور الاعلامي الذي تقوم به الثورة الفلسطينية لكسر الحواجز الصهيونية ، التي بنتها أجهزة الاعلام الصهيونية للانسان الأوروبي لتمنعه من التفكير الحر ومن الانتصار للحق والعدالة . فقد استطاعت الثورة الفلسطينية أن تخترق الحواجز وان تنفذ الى العقل الأوروبي لتقول له الحقيقة . وهذا ما خلق الفجوة أو الفارق بين الرأي العام الأوروبي الذي بدأ يزداد تفهماً للقضية الفلسطينية وبين الموقف الرسمي لدول اوروبا المؤثر عليه من قبل الولايات المتحدة . فنستطيع أن نقول أن موقف الرأي العام الأوروبي هو أكثر تقدماً من مواقف حكوماته .

لقد تبنت دول أوروبا الغربية موقف اسرائيل في معاداة الثورة الفلسطينية ، واستعملت حجج اسرائيل للتعبير عن مواقفها . ولا نستطيع هنا الا أن نذكر باجلال موقف الرئيس الفرنسي شارل ديغول الذي كان أول من وقف بحزم ضد التوسع وضد الاحتلال الاسرائيلي . ولكن عدم وجود شخصيات بنفس المستوى في أوروبا مكن الصهيونيين من التأثير على مواقف الدول الأخرى . وقد استفادت اسرائيل من عضويتها في الأممية الثانية أو الاشتراكية الدولية لفرض هيمنتها على الأحزاب الاشتراكية الحاكمة في غرب أوروبا ، كسيطرتها على حزب العمال البريطاني أو الحزب الاشتراكي الالماني أو الايطالي أو كسيطرتها على الأحزاب الاشتراكية الموجودة في المعارضة مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي بقيادة ميتران وغيره . وكان أول من تمرد على اسرائيل داخل الاشتراكية الدولية رئيس وزراء السويد أولاف بالمه الذي قابل سراً الأخ أبو عمار في عام ١٩٧٤ في الجزائر ، وهاجمته أجهزة الاعلام الصهيوني ورتبت حملة مضادة في البرلمان السويدي ولدى الرأي العام حتى أجلسته على مقعد المعارضة .

ولكن خروج حزب العمل الاسرائيلي من الحكم واستلام كتلة الليكود بقيادة الارهابي بيغن لدفة الحكم في اسرائيل قد خفف من التأثير الاسرائيلي داخل الاشتراكية الدولية . ولا شك في أن بيغن استفز الرأي العام الأوروبي بتصريحاته الفاشية السافرة ، مما بدأ يخلخل ويزعزع مواقف حلفائه الغربيين .

النفط العربي والتحول العالمي

خرجت الولايات المتحدة من الحرب العالمية الثانية منتصرة عسكريا واقتصاديا وماليا ، ولم تخرج كأقوى دولة في العالم فقط ولكنها خرجت كأغنى دولة في العالم أيضا ، اذ تجمع لدى خزانتها أكبر كمية من مخزون الذهب في العالم . وهذا ما جعلها تفرض على العالم الدولار الامريكي كعملة رئيسية في العالم . ولكن الدولار الذي ربط بالذهب في العام ١٩٧٤ فقد قيمته الآن وأصبحت االأونصة الذهبية تساوي ٤٧٧ دولار . ان هذه النسبة العالية من التضخم أو فقدان القيمة راجع لعدة أسباب داخلية وخارجية لا نريد أن نتطرق لها هنا . ولكن هذه النسبة المرتفعة من فقدان الثمن مرتبطة ارتباطا وثيقاً بالبترول ، هذا بالاضافة الى تمويل حرب فيتنام وحروب الشرق الأوسط ومؤامرات أمريكا عبر العالم .

لقد فقدت الولايات المتحدة نسبة كبيرة من احتياطي الذهب ، وهذا مما جعل رؤوس الأموال تنتقل من خزائنها الى الدول البترولية . وقيمة الدولار الآن محفوظة اصطناعيا بشراء الكميات

الهائلة منه التي تعرض في الأسواق من قبل المارك الالماني الغربي أو الين الياباني ، أو من الدولار البترولي الذي يحول في النهاية الى بنوك وخزائن الولايات المتحدة .

إن هذا يدل على اختلال التوازن العالمي على الصعيد المالي ، ولم تعد أمريكا أغنى دولة في العالم،هذا اذا ما نظرنا ايضا الى المشاكل الداخلية من بطالة وغيرها في المجتمع الامريكي . بالاضافة الى ذلك فان دول أوروبا الغربية أي دول المجموعة الأوروبية التسع قد بدأت تكون نفسها كمجموعة اقتصادية متماسكة ، للخروج من دائرة التأثير الامريكية ، وبدأوا يفكرون فيها في إستعمال عملة جديدة غير الدولار الامريكي من اجل تسهيل التبادلات التجارية فيما بينها . إن قرب أوروبا الغربية من الشرق واعتمادها على بترول الشرق الأوسط وحاجتها الماسة اليه جعلها تحسب حسابا للدول العربية وتبتعد قليلا عن أمريكا . إن المطالبة بربط البترول بالقضية الفلسطينية واستعمال البترول كسلاح في المعركة بدأ يفرض نفسه على الساحة ، وقد جربت أوروبا الغربية ذلك في حرب ١٩٧٣ ، عندما أعلن العرب عن وقف ضخ البترول الى الخارج مما أفزع الأوروبيين وجعلهم يفكرون مليا في مواقفهم المؤيدة لاسرائيل .

وما من شك في أن سلاح البترول قد أرغم كثيرا من الدول الأوروبية على تغيير مواقفها من منظمة التحرير الفلسطينية ولا تزال بريطانيا مثلا تضع شرطا للحوار مع م . ت . ف أن تعترف المنظمة بوجود اسرائيل . وكان هذا الموقف سائدا لدى المجموعة الأوروبية . ولكن حتى هذا الموقف بدأ يتراجع أمام الحق الفلسطيني والصمود العربي .

إن الموقف الصلب الذي وقفه الأخ أبو عمار في قمة بغداد وفي مؤتمر وزراء الخارجية والمالية في بغداد كان له أثر ايجابي في تصلب الموقف العربي ضد اتفاقية كامب دايفيد . ومع صلابة الأمة العربية تراجعت مواقف أوروبا الغربية الرسمية لصالح القضية الفلسطينية . فالضغط الشعبي الأوروبي بدأ يزداد على حكوماتها ، وهو آخذ في الازدياد أيضا . فأصبح على الحكومات أن تختار بين مصالحها الحقيقية المرتبطة مع بترول الشرق الأوسط وأسواق الشرق الأوسط الغنية ، وبين دعمها لاسرائيل ولعدوانها وغطرستها .

الاختراق

بالاضافة الى الاعلام الفلسطيني النشط والذي ساهم بشكل متواضع في تغيير مفاهيم الرأي العام فقد ساهمت الدبلوماسية الفلسطينية الهادئة في عملية التحول والاختراق . والاختراق هنا مقصود به إختراق الحواجز الصهيونية المفروضة على أوروبا الغربية .

إن ثورة ايران التي انتصرت على نظام فاشي متخلف في شباط ١٩٧٩ قد شدت من أزر الثورة الفلسطينية ورفعت من قيمتها وزادت قناعة الدول الأوروبية بأن الثورة الفلسطينية هي مفتاح الحل في الشرق الاوسط وانه لا يمكن الوصول الى حل دون منظمة التحرير الفلسطينية . وقد رددت منظمة التحرير هذا الشعار مرارا ولا تزال تردده مشيرة بذلك الى أن قضية فلسطين هي محور الصراع في الشرق الأوسط ، ولا حل بدونها أو على حسابها .

ولا بد من ذكر العوامل الأخرى التي ساهمت في عملية الاختراق ــ وهنا نذكر صمود الفلسطينيين في الأرض المحتلة ورفضهم لمؤامرة الحكم الاداري الذاتي مما وضع العراقيل أمام

محادثات الحكم الذاتي التي يقودها النظام المصري الساداتي مع العدو الصهيوني . لقد فشلت أمريكا واسرائيل في ايجاد بديل لمنظمة التحرير الفلسطينية من قيادات الداخل وخصوصا من رؤساء البلديات . لقد تجلت وحدة الموقف الفلسطيني في الداخل والخارج عندما أعلن جميع رؤساء البلديات أن ممثلتهم الشرعية هي منظمة التحرير الفلسطينية ولا يوجد أحد غيرها ، وهذا مما دعم مواقف المنظمة أيضا . إن مظاهرات الداخل ضد الاحتلال،بما تمكنه من ارتفاع روح المقاومة ضده، قد زادت من التعاطف العالمي مع القضية الفلسطينية . كل هذه العوامل مجتمعة أدت الى الاعتراف الأوروبي بالحقيقة الفلسطينية .

وما من شك في أن الفضل الكبير للاعتراف الأوروبي بمنظمة التحرير الفلسطينية يعود الى المستشار النمساوي ، اليهودي الأصل برونو كرايسكي ، والذي قام بدعوة الأخ أبو عمار لزيارة النمسا في شهر تموز من عام ١٩٧٩ . وما من شك أيضا في أن هذه الدعوة قد كشفت عن جرأة وحنكة هذا المستشار النمساوي والذي تحدى أبناء طائفته وقام بدعوة منظمة التحرير للنمسا . لقد كانت هذه الزيارة ، التي تعبر عن اعتراف بالمنظمة الفلسطينية ، ضربة للغطرسة الاسرائيلية والاحتلال والتوسع . كما أنها شجعت حكومات أوروبية أخرى على الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية .

كانت هذه الدعوة المقدمة من المستشار النمساوي ضربة لاسرائيل داخل الاشتراكية الدولية حيث اشترك في الحوار مع الأخ أبو عمار والوفد المرافق له رئيس الاشتراكية الدولية الحالي ورئيس الحزب الاشتراكي الالماني المستشار الالماني السابق فيلي برانت . وقد جن جنون اسرائيل بهذه الزيارة وبدأت تهاجم المستشار كرايسكي والرئيس برانت ولكن ذلك لم ينفعها،فالأبواب قد فتحت ولم يعد بمقدور اسرائيل اقفالها . وتبع ذلك دعوة رئيس م . ت . ف لزيارة اسبانيا قدمها حزب الوسط الديمقراطي الحاكم ، والتي لاقت استحساناً وتأييداً من كافة الاحزاب الاسبانية المشتركة في البرلمان الاسباني .

ثم جاءت الدعوة من تركيا البلد الاسلامي والغربي في توجهه السياسي والعضو في حلف الأطلسي في تشرين الأول ١٩٧٩ وتلتها الدعوة من حكومة البرتغال ، فذهبت م . ت . ف الى البرتغال في ٢ تشرين الثاني . لقد أعد الحزبان الشيوعي والاشتراكي البرتغاليان مهرجانا جماهيريا كبيرا حضره عشرة آلاف شخص كانوا يهتفون بحماس غير متوقع لمنظمة التحرير وقائدها ياسر عرفات . إن هذا الحماس لفلسطين يدل دلالة واضحة على ان الرأي العام الأوروبي الغربي قد بدأ يتحول عن اسرائيل ، و اذا كانت الشريحة الاشتراكية والشيوعية والتقدمية عموما من المجتمعات الأوروبية قد بدأت تتحول لصالح القضية وتنتصر للحق ، فان هذه الشريحة التقدمية تشكل ولا شك أداة ضاغطة على الحكومات المحافظة والمترددة في اتخاذ خطوات ايجابية نحو منظمة التحرير الفلسطينية والاعتراف بها كممثلة شرعية للشعب الفلسطيني .

واذا أخذنا بعين الاعتبار نمو التيار التقدمي في أوروبا الغربية ، أي نمو الحركة الاشتراكية والشيوعية في ايطاليا وفرنسا على سبيل المثال فاننا نجد أن المستقبل في أوروبا على الصعيد الشعبي والرسمي سيكون لصالح فلسطين . كما أنه يجب أن لا ننسى القوى المحافظة الأخرى ، وخصوصا المسيحية منها والتي بدأت تتعرف على الجوانب الانسانية لمأساة فلسطين،

فهي ايضا ستزداد تأييدا كلما فهمت الحقيقة وعلمت ما يجري في بلد المسيح من ظلم واضطهاد ضد العرب المسيحيين والمسلمين على حد سواء .

بالاضافة الى ذلك فان الشعور الاوروبي المتنامي بالاستقلالية عن أمريكا سيجعل أوروبا تتوجه أكثر فأكثر للشرق حيث يكمن البترول الذي تحتاجه للطاقة ، وحيث الأسواق الاستهلاكية الخصبة لتسويق منتجاتها .

خاتمـة

تتضامن الشعوب مع الضعيف ضد القوي ، ومع المظلوم ضد الظالم ، ومع الحق ضد الباطل ، وتبقى المواقف الرسمية للحكومات تسيرها مصالح وتؤثر عليها الارتباطـات والمواثيق . ولكن هذه الشعوب تستطيع أن تضغط على حكوماتها لارغامها على اتخاذ المواقف العادلة والانسانية ، هذا اذا علمت الحقيقة . وفي العصر الحديث فان للرأي العام أهمية خاصة في التأثير على القرار السياسي .

وللاعلام دور مهم في اقناع الرأي العام بعدالة القضية التي يناضل من أجلها . ولكن الاعلام ليس سهلا ، اذ انه علم قائم بذاته ، فهو فن مخاطبة البشر بالاساليب التي تناسب مستواهم ووضعهم الاجتماعي والسياسي . فالاعلام هو بحد ذاته قضية حضارية ، يرقى برقي القضية وحملة هذه القضية . فلا يمكن مخاطبة الناس بعقول متخلفة ، خصوصا اذا كانوا في مرحلة حضارية متقدمة .

يعكس الاعلام المستوى الحضاري الذي وصل اليه أصحاب القضية ككل والاعلاميون بشكل خاص . فكلما ارتفع الاعلام وارتقى كلما كان مقنعا أكثر فأكثر للرأي العام المطلوب مخاطبته ، وكسبه . فالاعلام يعمل بشكل مباشر على رفع مستوى الوعي والمعلومات لدى المخاطب . ولهذا فالكلام المقنع يكسب الناس أكثر بينما الحجج الضعيفة تنفر بل وتخدم العدو .

لم يعد العالم كبيرا ومنتشرا كما كان في عصر الجمل والحصان ، فالعالم أصبح صغيرا بتطور طرق المواصلات وأجهزة الاتصال الحديثة . فأي خبر أو تصريح يصدر في اية بقعة صغيرة يكون حول العالم في بضع دقائق . وما من شك في أن خبر السوء هو أكثر انتشارا من الخبر الجيد خصوصا وان العدو الصهيوني والأجهزة التابعة له تتربص بنا للاستفادة بأكبرقدر ممكن من اخطائنا . ولهذا فان غلطة رجل الاعلام الصغيرة لا يمكن اخفاؤها لأنها منشورة في الجرائد والمجلات ، بينما رجل السياسة لا يعلم أحد بخطئه خصوصا وان أغلب المحادثات السياسية تدور خلف الأبواب المغلقة وفي الكواليس . ولكننا بلا شك نلاحظ نتائج هذه الأخطاء من خلال انعكاساتها السلبية على سير الأمور .

فالاعلام سلاح هام لا بد من احسان استخدامه حتى يكون فاعلا ومؤثرا في كسب عقول البشر وقلوبهم لصالح القضية التي يناضل من اجلها . ومن يستطيع أن يكسب عقول الناس وقلوبهم فانه قادر على توسيع دائرة التضامن مع قضيته ومع نضاله العادل . وما من شك في أن التضامن العالمي المتزايد مع قضية فلسطين سوف يدفعها الى النصر .

ولكن الاعلام الفلسطيني بالرغم من تطوره الا أنه لا يزال يجابه بقوة الاعلام الصهيوني وفعاليته في أوروبا الغربية . فالسيطرة الصهيونية على عقول الأوروبيين وقلوبهم لا تزال قوية . ولهذا فان المراحل التي مر بها الاعلام الفلسطيني في مجابهة الاعلام الصهيوني على الصعيد الأوروبي لم تكن سهلة ، كما أنه لا تزال هناك معارك اعلامية قادمة لا بد للاعلام الفلسطيني من أن يخوضها ويكسبها ، خصوصا في بريطانيا وهولندا ، هذين البلدين الأكثر تخلفا في مواقفهما تجاه فلسطين .

لم نتطرق في هذا البحث الى القلعة الاعلامية الصهيونية في الولايات المتحدة الامريكية ، فهذه تستلزم بحثاً خاصاً ومفصلا ، لأن الولايات المتحدة تشكل الرأس الأكبر الذي تسيره الدعاية الصهيونية لخدمة مصالحها وأهدافها .

رياض منصور

الجالية الفلسطينية في الولايات المتحدة
دوافع الهجرة والواقع الديموغرافي

مقدمة

تزايد عدد المهاجرين الفلسطينيين الى الولايات المتحدة باطراد، وبشكل ملحوظ، خصوصا في العقد الحالي . فبينما كان الفلسطينيون يهاجرون في الاربعينات الى الولايات المتحدة بمعدل لا يصل الى ١٠٠ شخص سنويا[١] ، وفي الخمسينات بمعدل حوالى ٥٠٠ شخص سنويا[٢] ، قفز الرقم في السبعينات ليصل الى معدل ٢٥٠٠ شخص سنويا[٣]. ان هذا الرقم العالي من المهاجرين الفلسطينيين ، مصحوبا ببروز قضية الشعب الفلسطيني بقيادة ممثله الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية كقضية وطنية على المسرح الدولي ، فرض ويفرض حاجة ماسة وضرورية لدراسة واقع هذا الشعب المناضل والمشتت ، لا في المناطق المحتلة والاردن فحسب ، بل دراسة واقعة في بلاد الشتات كذلك ، ومن ضمنها الولايات المتحدة ، بغرض تشخيص مشاكله وهمومه ، وامكانات تطوير برامج للتعامل معها لحلها او التخفيف عن حدتها .

---

* استقينا الارقام الواردة في جداول هذه الدراسة ، من التقارير السنوية الصادرة عن دائرة الهجرة والتجنس التابعة لوزارة العدل في الولايات المتحدة الاميركية ، *Annual Report.* Immigration and Naturalization Service, 1941 - 1976. والجداول التي استعملت من تلك التقارير تقع بين جدول رقم « ٦ » الى جدول رقم « ٤٧ » لكل تقرير سنوي . ولقد غطت هذه الدراسة التقارير السنوية للفترة ما بين ١٩٤١ و١٩٧٦ . وكان المهاجرون الفلسطينيون يسجلون ، في التقارير والجداول ، تحت اسم فلسطين الى عام ١٩٥٨ . ولكن بعد ١٩٥٨ بدأ تسجيلهم كأردنيين .

ونظرا لعدم توفر معلومات منفصلة عن الشرق اردنيين والفلسطينيين كل على حده ، ونظرا لان معظم المهاجرين من الاردن قد قدموا اصلا من الضفة الغربية ، ونظرا لان الفلسطينيين في الاردن يشكلون اغلبية السكان ، فان هذه الدراسة اعتبرت جميع المهاجرين المسجلين تحت خانة فلسطين او الاردن بمثابة مهاجرين فلسطينيين ومع ان هذا الاعتبار يشكل محدودية لهذه الدراسة ، الا ان بالوسع الجزم بان نسبة عدد الشرق اردنيين ضئيلة بين صفوف الجالية الفلسطينية ـ الاردنية ، بحيث لا تشكل خللا كبيرا يدفع لرفض نتائج هذه الدراسة .

كما يجب بيان انعدام او عدم دقة الدراسات الميدانية الديمغرافية عن الفسلسطينيين في الولايات المتحدة الاميركية ، مما جعل هذا البحث الميداني مطلبا ملحا ، لا لمجرد ملء فراغ في هذا المضمار ، بل لشق بداية الطريق نحو المزيد من الابحاث الميدانية المتخصصة في مجالات حياة الفلسطينيين في اميركا بجوانبها المتعددة . فحول تقدير عدد الفلسطينيين في اميركا مثلا ، تتضارب ارقام الباحثين بشكل مريع . يذكر ابراهيم ابو لغد[٤] في احد ابحاثه أن عدد الفلسطينيين في اميركا بلغ في عام ١٩٧٠، ٧٠٠٠ شخص. وقد استقي هذا الرقم من دراسة لنبيل شعث[٥] ، الذي استقاه اصلا من دراسة لمركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير ، بينما تشير معلومات « ملفات العالم العربي »[٦] الى ان عدد الفلسطينيين في اميركا كان يقدر ، حتى نهاية ١٩٦٩، بـ ٢٥,٠٠٠ شخص بحسب المعلومات الاسرائيلية ومصادر اخرى . بينما يذكر اسماعيل شموط ان عدد الفلسطينيين في اميركا كان يبلغ حتى نهاية ١٩٧١ ٤٥,٠٠٠ شخص[٧] .

ومن هذه المصادر يتبين بشكل بارز تماما التضارب الصارخ والفروقات الكبيرة في الأرقام ، مما يدفع الى استخلاص ان هذه الارقام تخمينية ، وغير مبنية على دراسات علمية دقيقة لعدد الفلسطينيين في اميركا ، كما انه يتعذر على الانسان استعمال اي من الارقام اعلاه بارتياح ، اذا اراد الدقة في معرفة عددهم . هذا النقص والتضارب في الأرقام ،كانا دافعين أخرين لانجاز هذا البحث لوضع حد لمثل هذه التناقضات الواسعة ، غير المفيدة لجميع الاشخاص المهتمين في مجالات العمل بين صفوف الجالية الفلسطينية في اميركا ، او حتى المهتمين في مجالات البحث العلمي من زاويته الاكاديمية .

الهجرة : أسبابها ومراحلها

لقد مرت هجرة الفلسطينين الى اميركا بثلاث مراحل مميزة . كانت المرحلة الأولى قبل عام ١٩٤٨ . والثانية بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٦٧ ،والثالثة مرحلة ما بعد ١٩٦٧ .

المرحلة الاولى : كانت فلسطين ترزح ، مع مطلع القرن الحالي ، تحت نير الاستعمار العثماني في اواخر لحظات حياته ، ومعظم ابناء الشعب الفلسطيني يعانون من ويلات ذلك الاستعمار، خصوصا في مجالات الضرائب والتجنيد والتمييز الديني بالنسبة لمسيحيي بلاد الشام ، وفلسطين من ضمنها . ولقد واكب هذا الوضع الغزو الثقافي والديني الغربي بما فيه الاميركي ، لبعض مناطق فلسطين ، لا سيما رام الله ؛ حيث اسست عدة مؤسسات تربوية ثقافية دينية ، منها كلية بيرزيت ومدرسة الفرندز للبنين والفرندز للبنات في رام الله ، ذات الصلات بكنائس ومؤسسات اميركية تمثل الاطماع الامبريالية . وقد اوجد هذا مناخا من الاحتكاك والتأثير الثقافي الاميركي في وسط الضفة الغربية (رام الله ــ القدس ــ بيت لحم) عبر الاقنية الدينية ، اذ انها من المراكز الرئيسية لتجمع الفلسطينيين المسيحيين. لذلك ، فان عوامل الضغط الاستعماري العثماني ، والمشاكل التي خلقتها ، من ناحية ، وتوفر مناخ من الاحتكاك الغربي الذي وفر فرصة خيار « الخلاص » من هذه المشاكل ، من ناحية اخرى ، هي الاسباب الرئيسية لهجرة الالاف من السوريين واللبنانيين المسيحيين في نهاية القرن المنصرم وبدايات القرن الحالي . ولهذا ، ليس غريبا ان نرى ان الاغلبية الساحقة من المهاجرين الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ كانوا من مدينة رام الله وكانوا مسيحيين (حوالى ١٥٠٠ شخص

من مجموع حوالى ٢٠٠٠ شخص)(٨) .كما ان الهجرة في هذه الفترة اتسمت بأنها هجرة فردية للرجال ، مما يكشف اسبابها العميقة القائمة في الوضع السياسي والاقتصادي المتدهور ، سواء تحت نير الاستعمار العثماني ، او ما تلا ذلك من استعمار بريطاني واستيطان اسرائيلي .

لقد تبع انتهاء الحكم العثماني وقوع فلسطين تحت سلطة الانتداب البريطاني الذي لم يؤد إلا الى مزيد من التدهور الاقتصادي، بما حمله معه من اهداف استعمارية، وبما اعطاه من وعود للحركة الصهيونية ، وبما قدمه من مساعدات لهذه الحركة ، لتنشىء وطنها على حساب الحق الفلسطيني ، سواء بالنسبة للهجرة ، او لاقامة المستوطنات ، او للاستيلاء على الارض، او لانهاض اقتصاد مستقل على حساب الاقتصاد الفلسطيني الذي يشكو بالاساس من التدهور .
وامتد الصراع مع الاستعمار البريطاني ومع الاستعمار الصهيوني الاستيطاني ، دفاعا عن الحق العربي في فلسطين لاكثر من ثلاثين سنة ، عبر الانتفاضات السياسية وعبر الثورات المسلحة والمتلاحقة : هذا الصراع ، وما رافقه من نهب متتابع ومصادرة للارض ، انعكس على الاوضاع المعيشية الصعبة ، التي يعاني منها الشعب ، خصوصا في المناطق الجبلية ذات الموارد الزراعية القليلة ، مما ادى الى البحث عن الخلاص بالهجرة . وقد ساعدت الصلات المعقودة ، عبر مدارس وكنائس التبشير ، في توجيه هذه الهجرة الى البلدان التي جاء منها اولئك المبشرون . واذ كانت هذه الهجرة تخص الرجال (اي القوة المنتجة فقط) فهي تشير بهذا الى هدفها المؤقت وهو تحسين الظروف الاقتصادية الفردية ، قبل ان تصبح هجرة مستقرة نتيجة تلاحق الاضطرابات وسوء الأحوال الاقتصادية

وبالرغم مما ذكر اعلاه ، فان هجرة الفلسطينيين قبل عام ١٩٤٨ كانت بسيطة جدا ، لم تتجاوز المئة شخص في العام خلال الاربعينات .

المرحلة الثانية

ومع نشوب حرب ١٩٤٨ وقيام دولة اسرائيل ، دخلت الهجرة الفلسطينية الى اميركا مرحلتها الثانية . ان قيام هذه الدولة ، بقوة السلاح وبدعم كامل من الامبريالية ، استكمالا لمصالح هذه الامبريالية وبالتوافق معها . على انقاض الحق الفلسطيني في ارضه ، وما رافق ذلك من عمليات قتل وتشنيع وتدمير ومصادرة واستيلاء على الارض ، ادى الى هجرة مئات* الالوف من الشعب الفلسطيني عن وطنه الى الأرض المجاورة في الضفة وغزة ، والى الاراضي العربية الأخرى ، لا سيما سوريا ولبنان. وأكمل هذا المخطط بمصادرة الشخصية الوطنية الفلسطينية ، وبطمسها قسرا ، حين الحق ما تبقى من فلسطين بالمملكة الاردنية ، او بالحكومة المصرية ، فمزق الوطن على هذا النحو الى عدة اجزاء تمهيدا لطمس وانهاء الهوية الفلسطنية المستقلة .

وقد اخذت سياسة الحكومة الاردنية على عاتقها تحقيق انهاء الشخصية الفلسطينية ، ضمن المخطط الامبريالي . لذا سارت هذه السياسة ، على قاعدة اضطهاد الشعب سياسيا واجتماعيا عبر سلسلة متتابعة من القوانين والاجراءات ، لمنع تبلور اي حركة وطنية فلسطينية تطالب بحقوقها .

ان قيام دولة اسرائيل ، وتشريد ابناء الشعب الفلسطيني ابيا – فيما ابيا – الى فصل

الاكثرية الساحقة من هؤلاء ، فلاحين وعمالا ، عن وسائل انتاجهم ، وبالتالي الى تحطيم علاقات الانتاج التى كانت قائمة . وبذلك نشأ جيش كامل من العاطلين عن العمل ، في اوضاع معيشية وسكنية واقتصادية سيئة جدا . ولم تكن الضفة الغربية ولا البلاد العربية المجاورة — بما تعانيه اصلا من اقتصاد متخلف وسيىء — بقادرة على استيعاب كل ذلك العدد من العاطلين . بل ان الحكم الاردني ، بسياسته القمعية والاضطهادية الالحاقية ، وبسياسته الاقتصادية المكملة ، فاقمت من الوضع بدلا من ان تعالجه ، مما ادى الى حركة نزوح اخرى بحثا عن لقمة العيش ومن ضمن ذلك الى الولايات المتحدة .

اتسمت سياسة الحكم الاردني الاقتصادية بالتركيز على انماء المؤسسات العسكرية والامنية وما يستتبع ذلك من انماء للقطاع الثالث (ادارة . نقل . خدمات . تجارة) مع اهمال للقطاع الزراعي الذي يشكل القطاع الاهم في الضفة الغربية. اما بالنسبة للصناعة، فان الضفة الغربية لم تشهد تطورا ملموسا في هذا المجال ، وما تحقق من تطور ، على ضآلته ، شهدته الضفة الشرقية وحدها . وحتى في مجال الخدمة الحكومية وبعد التمييز الذي اصبح سياسة دائمة لها ، فلم تفسح المجال امام الفلسطيني ، وقدمت عليه الاردني في حقل التوظيف ، مما سد ابواب عمل اخرى امامه ، ودفعته ، نتيجة للازمة الاقتصادية ونتيجة للتمييز الاقليمي ، الى البحث خارج الوطن عن العمل وعن لقمة الخبز .

ونشطت الدوائر الاستعمارية خلال هذه المرحلة (١٩٤٨ — ١٩٦٧) بطرح المشاريع لاكمال انهاء الوجود الوطني الفلسطيني ، فكانت مشاريع التوطين المتتالية التي رفضها الفلسطينيون حلا ومخرجا للوضع السيىء الذي يعانون منه .

ودخل الشعب الفلسطيني معركة مواجهة هذه المؤامرة وهو مثخن بالجراح، مسلوب الوطن مهزوما ومشتتا بدون قيادة، فاقدا للبرنامج السياسي الواضح وللقوى المنظمة والقيادة الواعية للتعامل مع الظروف المستجدة ، وصار الهم هو صنوان يبحث عن لقمة الخبز من اجل البقاء . في مثل هذه الظروف كان الفلسطيني يعامل بالتهديد والقمع والسجن اذا ما عمل من اجل استعادة شخصيته الوطنية ، والترغيب من خلال ابراز التوطين كمخرج من كل هذه المشاكل ، وخصوصا قضية الخبز . ورافق هذه المعركة خطأ ملحوظ من قبل قوميي حركة التحرر الوطني العربية ، الا وهو طرحهم لقومية المعركة انطلاقا من مفهوم اندماج الفلسطينيين مع العرب الاخرين في المعركة العربية — الاسرائيلية ، بدون ابراز دور مميز للفلسطينيين يحافظ على شخصيتهم الوطنية الفلسطينية المهددة بالاندثار ، ليصب هذا النهج ، الذي كان سائدا في تلك الفترة ، في نهر التوطين المعادي .

وقد كانت ضخامة المؤامرة في تلك المرحلة الثانية ، وقساوة ظروف الحياة الاقتصادية خاصة في الأردن، في مقدمة الاسباب الرئيسية لزيادة عدد المهاجرين الفلسطينيين ، لا الى اميركا فحسب ، بل الى بلدان الجزيرة العربية والخليج (خاصة الكويت) ايضا .

واثر هذا الوضع على الهجرة لاميركا بعد عام ١٩٤٨ بشكل بارز ومباشر كما ونوعا . فمن حيث الكم قفز معدل المهاجرين الى اكثر من ٥٠٠ شخص سنويا ما بين الاعوام ١٩٤٨ — ١٩٦٧ ، اي بزيادة ٥٠٠٪ من المرحلة التي سبقتها . ومن حيث النوع اتسمت الهجرة

بظاهرتين ، اولاهما هجرة عائلات بأكملها للالتحاق بذويهما الذين كانوا في اميركا قبل عام ١٩٤٨ (وهذا شكل بدايات النزوح النهائي من المنطقة العربية) . والثانية هجرة جيش جديد من الايدي العاملة طلبا للعمل وسدا لحاجات عائلاتهم الاقتصادية . وكانت نسبة عالية من هذا الجيش من اللاجئين الفلسطينيين ، حيث لعب القانـــون الاميركي لـ « مساعـدة اللاجئين » ، المجاز عام ١٩٥٣ ، دورا هاما في تسهيل هجرة حوالى الف لاجيء في بضع سنوات في منتصف الخمسينات .

الجدول رقم (١)

عدد المهاجرين ونسبة المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن لمجموع المهاجرين سنويا.

السنة	عدد المهاجرين	عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن	نسبة القادمين من فلسطين والاردن الى مجموع المهاجرين
١٩٥٠	٢٢٦	١٦٨	٧٤٪
١٩٥١	٢٨٤	١٦٤	٥٨٪
١٩٥٢*	٢٨٨	٣٤	١٢٪
١٩٥٣	٣٠٤	٣٢	١١٪
١٩٥٤	٣٤٦	٣٩	١١٪
١٩٥٥	٤١١	٣٤	٨٪
١٩٥٦	٨١٤	٤٠	٥٪
١٩٥٧	٩٩٤	٢٨	٣٪
١٩٥٨**	٥٢٨	٤٤٢	٨٤٪
١٩٥٩	٦٠٧	٥٧٨	٩٥٪
١٩٦٠	٥٢٦	٤٤٢	٨٣٪
١٩٦١	٦٥٨	٥٥٤	٨٤٪
١٩٦٢	٧٧١	٦٥٧	٨٥٪
١٩٦٣	٧٥٢	٦٠١	٨٠٪
١٩٦٤	٧٢٦	٥١٩	٧٢٪
١٩٦٥	٧٠٢	٥٠٤	٧٢٪
١٩٦٦	١٢٢٥	١١٢٣	٨٦٪
١٩٦٧	١٦٠٤	١٤٣٧	٩٠٪
١٩٦٨	٢٠١٠	١٧٢٦	٨٦٪
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٢٤٤	٨٦٪
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٣٥٢	٨٣٪

السنة	عدد المهاجرين	عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن	نسبة القادمين من فلسطين والاردن الى مجموع المهاجرين
١٩٧١	٢٥٨٨	٢٢٧٩	٪٨٨
١٩٧٢	٢٧٥٦	٢٤١٩	٪٨٨
١٩٧٣	٢٤٥٠	٢١٢٠	٪٨٧
١٩٧٤	٢٨٣٨	٢٥٢٩	٪٨٩
١٩٧٥	٢٥٧٨	٢٣٤٩	٪٩١
١٩٧٦	٢٥٦٦	٢٤١٦	٪٩٤
المجموع	٣٥١٢١	٢٧٨٤٠	٪٧٩

يوضح الجدول رقم (١) عدد المهاجرين بدءا من عام ١٩٥٠ وحتى العام ١٩٧٦ ، والذي يبلغ مقداره ٣٥,٢١٢ . كما يوضح اثر الحروب على الهجرة ، خصوصا عام ١٩٥٦ وعام ١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ، حيث تضاعف العدد في كل من هذه السنوات . واذا كانت الهجرة قد تضاعفت بدءا من عام ١٩٦٦ فهذا المؤشر الذي حدث قبل الحـرب انما هو نتيجة لسياسة اسرائيل الانتقامية ضد القرى العربية بهدف التوسع . واخيرا ، يوضح الجدول ايضا النسبة المرتفعة من المهاجرين من الاردن نتيجة للاسباب التي ذكرناها ، والتي تعود للوضع السياسي والاقتصادي السيىء ، وهذا شبيه بالهجرة الى اماكن اخرى مثل الكويت .

ويذكر بلال الحسن في مجرى عرضه للمناطق التي قدم منها المهاجرون الفلسطينيون للكويت ، ان معظمهم قدموا من الاردن للأسباب التالية

- ١ صخامة عدد الفلسطينيين في الاردن، لاجئين ومقيمين ، في الضفة الغربية مقارنة بعدد الفلسطينيين في المناطق الاخرى .
- ٢ ـ واجهت هذه الضخامة السكانية النسبية للفلسطينيين في الاردن حالة من الضعف الاقتصادي العام ، الذي جعل امكانيات البلد الاقتصادية عاجزة عن استيعاب القوة البشرية العاملة . فالامكانيات الزراعية للضفة الغربية لم تستطع

* كانت الارقام تحسب تحت خانة فلسطين وبما ان فلسطين توزعت ما بين اسرائيل والاردن اساسا ، فان انخفاض نسبة الارقام بعد ١٩٥١ . يعود اساسا لقلة عدد الذين كانوا يحملون جوازات سفر فلسطينية من ايام الانتداب البريطاني

* بما ان الارقام قبل عام ١٩٥٨ كانت تحسب تحت خانة القادمين من فلسطين . فان الارقام تحت خانة « عدد المهاجرين القادمين من فلسطين والاردن » تلك العام غير صحيحة ، لان فلسطين اصبحت بعد ٤٨ جزءا اسرائيليا وجزءا اردنيا ، مما عنى قلة عدد المهاجرين من حملة الجوازات الفلسطينية او من كانوا يعتبرون قادمين من فلسطين بهويات فلسطينية (غزة ـ لبنان مثلا) .

استيعاب اللاجئين اليها ، وافتقاد الخطط التي ترفع من طاقة الانتاج الزراعي للأرض زاد من حدة المشكلة مع ازدياد النمو الطبيعي للانسان وبقاء الطاقة الانتاجية على حالها .

- ☐ ٣ ـ ركزت خطة التنمية الاقتصادية في الاردن على اعطاء الاولوية في بناء المصانع للضفة الشرقية ، وفي ظل وضع من هذا النوع لم تفتح مجالات كافية لمواجهة البطالة وتوفير فرص جديدة للعمل في الضفة الغربية .
- ☐ ٤ ـ اذا اضفنا الى ذلك تخطيط النظام الاردني بعناية لاستيعاب القسم الاكبر من القطاع الشرق اردني في مؤسسات الدولة (ابناء الريف والبدو في الجيش ، او ابناء المدن والمتعلمين في دوائر الدولة وفي قطاع الجيش) ، بنسبة تفوق نسبة التوزيع السكاني ، نجد ان هذا الواقع يلعب دوره ايضا في نمو عملية الهجرة[٩] .

جدول رقم (٢)

نسبة غير العاملين (ربات بيوت واطفال وعاطلين عن العمل) الى مجموع المهاجرين

السنة	عدد المهاجرين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجرن
١٩٥٩	٦٠٧	٣٤٩	٥٨٪
١٩٦٠	٥٣٦	٢٧٤	٥١٪
١٩٦١	٦٥٨	٣٨٠	٥٨٪
١٩٦٢	٧٧١	٤٦٣	٦٠٪
١٩٦٣	٧٥٢	٤٠١	٥٣٪
١٩٦٤	٧٢٦	٣٨٨	٥٣٪
١٩٦٥	٧٠٢	٣٥٩	٥١٪
١٩٦٦	١٣٢٥	٧٧٠	٥٨٪
١٩٦٧	١٦٠٤	٩٩١	٦٢٪
١٩٦٨	٢٠١٠	١٣٨٤	٦٩٪
١٩٦٩	٢٦١٧	١٧٨٠	٦٨٪
١٩٧٠	٢٨٤٢	١٨١٩	٦٤٪
١٩٧١	٢٥٨٨	١٦١٥	٦٢٪
١٩٧٢	٢٧٥٦	١٦٣٥	٥٩٪
١٩٧٣	٢٤٥٠	١٤٩٧	٦١٪
١٩٧٤	٢٨٣٨	١٨٤٤	٦٥٪
١٩٧٥	٢٥٧٨	١٧٣٦	٦٧٪
١٩٧٦	٢٥٦٦	١٧١٤	٦٧٪
المجموع	٣٠٩٢٦	١٩٣٩٩	٦٣٪

ونظرة الى الجدول رقم ٢ ، تبرز النسبة العالية للمهاجرين من العاطلين عن العمل . حيث كانت بين عامي ١٩٦٠ ــ و١٩٦٧ حوالى ٨٢٪ من مجموع المهاجرين ، وبين عامي ١٩٦٨ ــ و ١٩٧٦ حوالي ٨٨٪ من مجموع القادمين من الاردن مقارنة بالمهاجرين الفلسطينيين القادمين من مناطق الشتات الاخرى . وهي تثبت ان الأسباب الانفة الذكر ، بالنسبة للمهاجرين الفلسطينيين الى الكويت ، تنطبق على المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا .

ويوضح الجدول رقم ٢ ما ذكر عن هجرة العائلات . فهذا الجدول يبدا من عام ١٩٥٩ ، وفيه يتبين ان هجرة النساء والاطفال والعاطلين عن العمل تتعدى نصف عدد المهاجرين . والمقصود من العاطلين عن العمل بتقديرنا كبار السن والمعالين وهم لا يتجاوزون في الجدول كله ٢٧٥فردا.وهذه الهجرة للعائلة الكاملة لا يفسرها الا تلك الاقتلاع الوحشي الناتج عن الاحتلال الاسرائيلي لباقي الارض الفلسطينية ، وما رافق تلك الاحتلال من تدمير واضطهاد ومصادرة للارض ونسف للبيوت واستيلاء على وسائط المعيشة .

جدول رقم (٣)
نسبة المتجنسين غير العاملين (ربات بيوت واطفال وعاطلين عن العمل) الى مجموع المتجنسين

السنة	مجموع المتجنسين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجرين
١٩٥٩	٢٠٩	٧٥	٣٦٪
١٩٦٠	٢٢٧	٨٠	٣٥٪
١٩٦١	٢٨٧	٧٧	٢٧٪
١٩٦٢	٥٦٥	١٤٨	٢٦٪
١٩٦٣	٤٣٥	١٦٠	٣٧٪
١٩٦٤	٣٣٣	١٢١	٣٦٪
١٩٦٥	٣٩٠	١٤٢	٣٦٪
١٩٦٦	٤٠١	١٥٧	٣٩٪
١٩٦٧	٣٨٤	١٣٩	٣٦٪
١٩٦٨	٣٩٩	١٣٤	٣٤٪
١٩٦٩	٣٩٧	١٣٨	٣٥٪
١٩٧٠	٤٢٩	١٢١	٢٨٪
١٩٧١	٥٤٤	١٩٨	٣٦٪
١٩٧٢	٨٥٤	٢٨٦	٣٤٪
١٩٧٣	١٠٠٦	٢٧٧	٢٨٪

* استخلص هذا الرقم من طرح مجموع الاناث المذكورين في الجدول رقم (٥) وهم ١٢,٧٨٢ + مجموع الذين هم دون العشرين من الجدول رقم (٧) وهم ٦٢٤٢ من المجموع النهائي للمهاجرين (١٩,٣٩٩) .

السنة	مجموع المتجنسين	عدد ربات البيوت والاطفال والعاطلين عن العمل	نسبة غير العاملين الى مجموع المهاجرين
١٩٧٤	١١٥٧	٤٦٢	٤٠٪
١٩٧٥	١٣٦٤	٤٦٣	٣٤٪
١٩٧٦	١٣١٢	٤٥٧	٣٥٪
المجموع	١٠٦٩٣	٣٧٣٥	٣٥٪

اما الجدول رقم ٣ فهو يوضح مآل قسم من هؤلاء بعد عدد من السنين (٣ ـ ٥ سنوات) وبعد تجنسهم، وفيه نجد ان نسبتهم قد تدنت نتيجة اضطرارهم للعمل ، بما في ذلك النساء ومن هم دون العشرين وكبار السن ، لظروف الحياة الصعبة التي يواجهونها في المجتمع الجديد ، مما يوضح ان حياتهم السابقة والبائسة ليست وحدها التي اناخت بثقلها عليهم ، فالظروف الجديدة تمارس ضغطا آخر عليهم ، وهم يقيمون ويحاولون التكيف ، مما يضطر ما يقارب نصفهم الى النزول للعمل . وتتضح هذه الصورة القاتمة عندما نذكر ان عدد كبار السن والمعالين ينخفض الى ١٥**٪ مما يعني ان معظم هؤلاء اضطر الى ذلك العمل للحصول على لقمة العيش . ومما يكشف الاهداف الخطرة للدعاية الامبريالية التي حرضت على الهجرة ، لايجاد حل للعاطلين عن العمل ولايجاد حل للبؤس الذين هم فيه ، بقدر ما ، كان ابعاد الفلسطيني عن وطنه وابعاده عن مكان الصراع ، وحتى لا يحمل السلاح ليدافع عن بيته وليدافع عن حقه .

المرحلة الثالثة

ثم جاءت المرحلة الثالثة ، مرحلة ما بعد عام ١٩٦٧، لتعيد تكرار ما جرى بعد حرب ١٩٤٨ بالنسبة للمهاجرين الفلسطينيين ، فقفز معدل المهاجرين السنوي الى حوالى ٢٥٠٠ شخص سنويا ، اي بارتفاع ٥٠٠٪ عن المرحلة التي سبقت ، كذلك هجرة عائلات واشخاص عازبين . ولقد كان للصدمة الكبيرة بهزيمة العرب سنة ١٩٦٧ بعد التعويل الواسع من قبل الجماهير العربية ، بما فيها الفلسطينيون ، على جيوش الحكومات العربية لتحرير فلسطين بضربة خاطفة ، وللمآسي الاضافية التي ولدها احتلال باقي المناطق الفلسطينية (الضفة والقطاع) ، وتشرد مئات الالاف من الفلسطينيين الجدد ، الخ ... الاثر الرئيسي في الزيادة الضخمة لعدد المهاجرين الفلسطينيين لاميركا في هذه المرحلة .

من التحليل اعلاه ، يستنتج بدقة ان السبب الرئيسي والمباشر لهجرة الفلسطينيين الى

** استخلص هذا الرقم من طرح مجموع الاناث في الجدول رقم ٦ وهو ٢٦٧٨ ومجموع من هم دون العشرين من الجدول رقم ٨ وهو ٤٢ : اي ٢٧٢٠ من المجموع النهائي للمجنسين وهو ٣٧٣٥ . ان المقارنة بطبيعة الحال يجب ان تاخذ بعين الاعتبار ان الرقم ٢٧٥ هو للمهاجرين و١٥ للمتجنسين ، وبالقيمة المطلقة تنخفض النسبة من ١,٢ ٪ الى ٠,١ ٪ .

اميركا هو العدوان الاسرائيلي ــ الصهيوني ــ الامبريالي الاميركي ، ثم الممارسات الرجعية الاردنية ضد الشعب وارضه ، وما ولده الوضع الاقتصادي المشوه من آثار على هذا الشعب . ولم نجد داعيا لتكرار التحليل السابق عن المرحلة الثانية ، اذ ان هذه المرحلة امتداد للمرحلة السابقة من حيث استمرار السياسة الامبريالية والصهيونية ، وكذلك من حيث استمرار السياسة الاردنية .

الجالية ديمغرافيا

بلغ عدد المهاجرين* الفلسطينيين للولايات المتحدة حوالى ٥٥,٠٠٠ نسمة حتى نهاية شهر حزيران (يونيو) ١٩٧٦ . ويوضح الجدول رقم ٤ عدد المهاجرين القادمين للولايات المتحدة والعدد بعد الزيادة الطبيعية والمجموع الاجمالي سنويا . والزيادة الطبيعية قدرت بحسب نسبة سنوية مقدارها ٣٥/١٠٠٠ (١٠) اضيفت بشكل مركب على مدى الاعوام المختلفة .

لقد اختيرت هذه النسبة لاعتبارين اساسيين الاول هو نسبة الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في الأردن ، والثاني هو نسبة زيادة الفلسطينيين في اسرائيل . لان معظم المهاجرين الفلسطينيين قد جا ٔوا من فلسطين او الاردن. ولذلك فان نسبة الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في المنطقتين هي خير مؤشر على نسبة زيادتهم الطبيعية في اميركا .

يتزايد الفلسطينيون في الاردن بنسبة سنوية مركبة مقدارها ٤١/١٠٠٠(١١) ، كما يتزايدون في اسرائيل بنسبة سنوية مركبة مقدارها ٣٥/١٠٠٠(١٢) . ويتضح من هذين الرقمين ان اختيار نسبة سنوية مركبة مقدارها ٣٥/١٠٠٠ للزيادة الطبيعية للفلسطينيين في اميركا ، هو اختيار محافظ ، خصوصا اذا اخذنا بعين الاعتبار التقدم في المجال الصحي في الولايات المتحدة مقارنة بالاردن واسرائيل، مما يعني تقليل نسبة الوفيات الفلسطينية ، وبالتالي ارتفاع نسبة الزيادة السنوية الصافية في اميركا مقارنة مع نظيراتها في البلدين الاخرين . ولذلك فاننا نستطيع ان نقول بأن نسبة ٣٥/١٠٠٠ هي نسبة قريبة جدا من الدقة التقديرية .

ويبرز الجدول رقم (٤) ما يلي .

١ ــ زيادة مطردة للهجرة بخط بياني تصاعدي ، فمن هجرة بضعة مئات في بداية الخمسينات الى هجرة بضعة آلاف في منتصف السبعينات .

٢ ــ قفزة غير طبيعية لعدد المهاجرين في عامي ١٩٥٦ و١٩٥٧ ، وذلك بسبب العدد الكبير من اللاجئين الفلسطينيين الذين دخلوا اميركا في العامين ، بناء على قرار الحكومة الاميركية لـ « مساعدة اللاجئين » ، المجاز عام ١٩٥٣ .

٣ ــ قفزة نوعية كبيرة لعدد المهاجرين لعامي ١٩٦٦ و١٩٦٧ . والسبب في ذلك عائد اساسا لالغاء قانون الكوتا ، الذي لم يكن يسمح بهجرة اكثر من حوالى ٢٠٠ مهاجر سنويا ،

---

* بما في ذلك المتكاثرون طبيعيا من خلال التوالد .

جدول رقم (٤)

عدد المهاجرين سنويا ثم المجموع الكلي سنويا ثم المجموع الكلي بعد اضافة الزيادة الطبيعية سنويا

السنة	عدد المهاجرين	مجموع عدد الفلسطينيين قبل الزيادة الطبيعية	مجموع الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية	الزيادة الطبيعية السنوية
قبل ١٩٤٩	—	—	٢٠٠٠**	٧٨
١٩٤٩	٢٣٤	٢٢٣٤	٢٣١٢	٧٨
١٩٥٠	٢٢٦	٢٥٣٨	٢٦٢٧	٨٩
١٩٥١	٢٨٤	٢٩١١	٣٠١٣	١٠٢
١٩٥٢	٢٨٨	٣٣٠١	٣٤١٧	١١٦
١٩٥٤	٣٤٦	٤١٩٧	٤٣٤٤	٩٤٧
١٩٥٥	٤١١	٤٧٥٥	٤٩٢١	١٦٦
١٩٥٦	٨١٤	٥٧٣٥	٥٩٣٦	٢٠١
١٩٥٧	٩٩٤	٦٩٣٠	٧١٧٣	٢٤٣
١٩٥٨	***٥٢٨	٧٧٠١	٧٩٧١	٢٧٠
١٩٥٩	٦٠٧	٨٥٧٨	٨٨٧٨	٣٠٠
١٩٦٠	٥٣٦	٩٤١٤	٩٧٤٤	٣٣٠
١٩٦١	٦٥٨	١٠٤٠٢	١٠٧٦٦	٣٦٤
١٩٦٢	٧٧١	١١٥٣٧	١١٩٤١	٤٠٤
١٩٦٣	٧٥٢	١٢٩٦٣	١٣١٣٧	٤٤٤
١٩٦٤	٧٥٢	١٣٨٦٣	١٤٣٤٨	٤٨٥
١٩٦٥	٧٠٢	١٥٠٥٠	١٥٥٧٧	٥٢٧
١٩٦٦	١٣٢٥	١٦٩٠٢	١٧٤٩٤	٥٩٢
١٩٦٧	١٦٠٤	١٩٠٩٨	١٩٧٦٦	٦٦٨
١٩٦٨	٢٠١٠	٢١٧٧٦	٢٢٥٣٨	٧٦٢
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٥١٥٥	٢٦٠٣٥	٨٨٠
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٨٨٧٧	٢٩٨٨٨	١٠١١

** من اصل الـ ٢٠٠٠ . هناك حوالي ١٥٠٠ منهم من مدينة رام الله . (اسعد قسيس ، ١٩٧٠) .
* حسبت الزيادة الطبيعية بنسبه ٣٥ / ١٠٠٠ سنويا وبشكل مركب . (جانيت ابو الغد ١٩٧١ ، ص ١٦٢) .
*** منذ عام ١٩٥٨ . ويسجل المهاجرون الفلسطينيون تحت اسم « اردنيين » بحسب التقرير السنوي لدائرة الهجرة ١٩٥٨ .

تابع جدول رقم ٤

السنة	عدد المهاجرين	مجموع عدد الفلسطينيين قبل الزيادة الطبيعية	مجموع الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية	الزيادة الطبيعية السنوية
١٩٧١	٢٥٨٨	٣٢٤٧٦	٣٣٦١٣	١١٣٧
١٩٧٢	٢٧٥٦	٣٦٣٦٩	٣٧٦٤٢	١٢٧٣
١٩٧٣	٢٤٥٠	٤٠٠٩٢	٤١٤٩٥	١٣٤٣
١٩٧٤	٢٨٣٨	٤٤٣٣٣	٤٥٨٨٥	١٥٥٢
١٩٧٥	٢٥٧٨	٤٨٤٦٣	٥٠١٥٩	١٦٩٦
١٩٧٦	٢٥٦٦	٥٢٧٢٥	٥٤٥٧٦٠	١٨٤٥

المجموع: ١٥٦٧٢

بالاضافة للمهاجرين من اصحاب القرابة المباشرة لعائلات المتجنسين (أباء ، وامهات وزوجات وازواجا واطفالا) ، واستبدال تلك القانون بقانون جديد هو قانون ٣/١٠/١٩٦٥ (قانون التفضيل)(١٣) أعطى اولوية الهجرة للابناء البالغين والعازبين من المتجنسين ، والاولوية الثانية للزوج او الزوجة وابناء المهاجرين غير المتزوجين (حملة البطاقة الخضراء) والاولوية الثالثة للمتعلمين الفنيين (اطباء ، مهندسين ، الخ) ، والاولوية الرابعة للابناء المتزوجين من المتجنسين ، والاولوية الخامسة لاخوة واخوات المتجنسين ، والاولوية السادسة للمهرة الذين يحتاج اليهم في امريكا . هذا القانون الجديد جعل ارقام المهاجرين لعام ١٩٦٦ يقفز بزيادة حوالى ٥٠٠ مهاجر. فبدلا من ٢٠٠ شخص ، حسب قانون الكوتا ، هاجر ٧٧٢ شخصا من مجموع ١٩٢٥ ، تحت البند الذي عوض بند الكوتا . وفي عام ١٩٦٧ كان عدد المهاجرين تحت البند الذي عوض بند الكوتا هو ١١٤٢ شخصا من مجموع ١٦٠٤ اشخاص .

لكن القضية ليست في مجرد قوانين امريكية عامة ، تنظم الهجرة وتعالج وضعا خاصا في الولايات المتحدة. وانـما في ما عاناه الشعب الفلسطيني نتيجة للحروب الاسرائيلية التوسعية ، وما كان يشكوه من وضع سياسي واقتصادي سيىء . وحتى نستطيع الربط بين هذا السبب الاساسي وبين قوانين الهجرةالامريكية العامةلاي مهاجر من أي بلد، علينا ان ننظر في كيفية تعامل السفارات والمكاتب الامريكية في المنطقة مع هذه القواني . لقد قدمت هذه السفارات والمكاتب كل انواع التسهيلات العملية. من اجل الهجرة ، بل انما كانت تقوم بعملية اعلامية بارزة للتشجيع عليها في الصحف المختلفة، خصوصا بعد الحروب ، موظفة العديد من عملائها للتحريض وللجذب ، محققة بذلك العديد من الاهداف واولها تذويب الشخصية الوطنية ، وابعادها عن اجواء الصراع ، الى جانب الاستئثار بالادمغة (اطباء ، مهندسين) والحصول على ايد عاملة فنية رخيصة .

٤ ــ بعد عام ١٩٦٧ قفز عدد المهاجرين السنوي الى ما فوق الــ ٢٠٠٠ شخص سنويا ، ولم

يهبط منذ سنة ١٩٦٨ عن الـ ٢٠٠٠ ، بل قارب الى ٣٠٠٠ ، عامي ١٩٧٠ و١٩٧٤ .

٥ ـ يلاحظ بان معدل الهجرة السنوية في السبعينات وصل الى اكثر من ٢٥٠٠ شخص ، مصحوبا في الفترة نفسها ، بزيادة طبيعية قريبة من الـ ٢٠٠٠ ، مما يعني ان اكثر من ١/١٠٠٠ (٤٥٠٠ شخص سنويا) من مجموع سكان فلسطين ، يتراكمون سنويا في اميركا ، اي بمعدل ١٪ من مجموع سكان فلسطين كل عقد

٦ ـ مجموع الفلسطينيين في اميركا هو حوالى ٢٪ من مجموع الشعب الفلسطيني* .

الفلسطينييون في اميركا بحسب الجنس

لا تتوفر احصاءات دقيقة عن نسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في الولايات المتحدة قبل عام ١٩٥٩ ، لان دائرة الهجرة الاميركية ، في تقاريرها السنوية ، لم تصنف المهاجرين الفلسطينيين بحسب ذلك التقسيم . الا ان الاحصاءات بعد عام ١٩٥٩ تعتبر مؤشرا مناسبا لتقدير نسبة الذكور للاناث في الفترة ما قبل عام ١٩٥٩ ، وقد كانت اكثر اختلالا لمصلحة الذكور عن الفترة التي تبعت عام ١٩٥٩ : لان اغلبية المهاجرين جاءوا لعوامل اقتصادية (العمل) ولم يبدأوا باحضار عائلاتهم الا بعد حرب ١٩٤٨ بشكل ملحوظ . وبما ان المجتمع الفلسطيني آنذاك كان مجتمعا ينيط بالرجل مسألة التغرب من اجل العمل ، فاننا ، بناء على هذا ، نستطيع ان نستنتج بأن اغلبية المهاجرين في تلك الفترة كانوا ذكورا .

الجدول رقم (٥)

تقسيم المهاجرين عند قدومهم بحسب الجنس

السنة	مجموع المهاجرين	الذكور	الاناث	نسبة الذكور	نسبة الاناث
١٩٥٩*	٦٠٨	٣٨٣	٢٢٥	٦٣٪	٣٧٪
١٩٦٠	٥٣٦	٣٤٠	١٩٦	٦٣٪	٣٧٪
١٩٦١	٦٥٨	٤٠٣	٢٥٥	٦١٪	٣٩٪
١٩٦٢	٧٧١	٤٥٠	٣٢١	٥٨٪	٤٢٪
١٩٦٣	٧٥٢	٤٨٥	٢٦٧	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٤	٧٢٦	٤٦٨	٢٥٨	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٥	٧٠٢	٤٥٢	٢٥٠	٦٤٪	٣٦٪
١٩٦٦	١٣٢٥	٨٢٧	٤٩٨	٦٢٪	٣٨٪

* هذا على اعتبار ان مجموع الشعب الفلسطيني هو ٣,٥ ملايين نسمة . وعلى اعتبار ان الفلسطينيين في اميركا زادوا بمقدار ١٠٠٠٠ شخص تقريبا . في سنتي ١٩٧٧ و١٩٧٨ . عن طريق الهجرة والتكاثر الطبيعي . ليصلوا الى ٦٥٠٠٠ شخص .

١٩٦٧	١٦٠٤	٩٣٣	٦٧١	٥٨٪	٤٢٪
١٩٦٨	٢٠١٠	١١٣٩	٨٧١	٥٧٪	٤٣٪
١٩٦٩	٢٦١٧	١٤٩٢	١١٢٥	٥٧٪	٤٣٪
١٩٧٠	٢٨٤٢	١٦٠٠	١٢٤٢	٥٦٪	٤٤٪
١٩٧١	٢٥٨٨	١٥٣٧	١٠٥١	٥٩٪	٤١٪
١٩٧٢	٢٧٥٦	١٦٨٥	١٠٧١	٦١٪	٣٩٪
١٩٧٣	٢٤٥٠	١٤٤٠	١٠١٠	٥٩٪	٤١٪
١٩٧٤	٢٨٣٨	١٦٠٧	١٢٣١	٥٧٪	٤٣٪
١٩٧٥	٢٥٧٨	١٤٧٩	١٠٩٩	٥٧٪	٤٣٪
١٩٧٦	٢٥٦٦	١٩٢٤	١١٤٢	٥٦٪	٤٤٪
المجموع	٣٠٩٢٦	١٨١٤٤	١٢٧٨٢	٥٩٪	٤١٪

ونظرة متفحصة على الجدول رقم (٥) تبرز ، بشكل ملموس ، استمرارية طغيان نسبة الذكور على نسبة الاناث بين المهاجرين ، خلال الاعوام من ١٩٥٩ الى ١٩٧٦ . ويلاحظ ان نسبة الذكور للاناث ، ما بين ١٩٥٩ و١٩٦٧ ، كانت ٦٣٪ للذكور و٣٧٪ للاناث ، بينما تغيرت هذه النسبة ، ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ ، الى ٥٧٪ ذكورا الى ٤٢٪ اناثا . ان هذه التغييرات تعيد تأكيد الاستنتاج الذي توصل اليه سابقا عند تحليل اسباب القفزات الكبيرة في عدد المهاجرين بعد الحروب الاسرائيلية ـ الفلسطينية والعربية ، ذلك الاستنتاج الذي مفاده ان العائلات الفلسطينية ، بعد الحروب كانت تهاجر بكاملها (ذكورا واناثا) . واذا ما رسمنا خطا بيانيا لنسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في اميركا ، فانا نرى ان هذا الخط سيبدأ من نقطة قريبة جدا من نسبة ١٠٠٪ ذكورا الى ١٠٠٪ اناثا، ثم يقترب تدريجيا من الوضع الطبيعي . واذا اعتبرنا ان الفلسطينيين الموجودين في اميركا هم فقط المهاجرون ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ واحفادهم ، وهم حقيقة يشكلون نسبة ٤٦٥٩٩/ ٥٤٥٧٠*، اي ٨٥٪ من مجموع الفلسطينيين في اميركا ، فاننا نستطيع استنتاج ان نسبة الذكور الى الاناث من الفلسطينيين هناك هي ٥٩٪** ذكورا و٤١٪ اناثا*** (بدون ادخال الزيادة الطبيعية في هذه النسب) . وبما ان نسبة الذكور للاناث قبل عام ١٩٥٩ كانت اكثر اختلالا لصالح

* الرقم ٤٦٥٩٩ هو حصيلة مجموع المهاجرين (ذكورا واناثا) ما بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٧٩ (الجدول رقم ٤) مضافا اليه مجموع الزيادة الطبيعية خلال الفترة نفسها من الجدول المذكور

** مجموع الذكور من سنة ١٩٥٩ الى سنة ١٩٧٦ هو ١٨١٤٤ ، من اصل ٩٢٧ ــ ٣ . بناء على المعلومات الواردة في الجدول رقم (٥) . ٥٩٧١٪ من مجموع الفلسطينيين .

*** مجموع عدد الاناث بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ هو ١٢٧٨٢ من اصل ٣٠٩٢٧ بناء على المعلومات في الجدول رقم (٥) ، اي ٤١٪ من مجموع الفلسطينيين .

الذكور عنها بعد عام ١٩٥٩ (الجدول رقم ٦ الذي يبين نسبة الذكور والاناث لمجموع المتجنسين بينهم من الذكور حوالي ٧٠٪ و٣٠٪ من اناث ، بمعنى ان المهاجرين قبل ٥ سنوات من عام ١٩٥٩ على الاقل ، كانوا موزعين كما يلي ٧٠ ذكورا الى ٣٠٪ اناثا) ، فاننا نستطيع القول بان نسبة الذكور للاناث من الفلسطينيين في اميركا لا تقل عن نسبة ٦٠٪ ذكورا الى ٤٠٪ اناثا .

جدول رقم (٦)
تقسيم المتجنسين حسب الجنس

السنة	مجموع المتجنسين	الذكور	الاناث	نسبة الذكور	نسبة الاناث
*١٩٥٩	٢٩٠	١٤٦	٦٢	٧٠٪	٣٠٪
**١٩٦٠	٢٢٧				
١٩٦١	٢٨٧	١٠٦	٨١	٧٢٪	٢٨٪
١٩٦٢	٥٦٥	٣٩٠	١٧٥	٦٩٪	٣١٪
١٩٦٣	٤٣٥	٢٨١	١٥٤	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٤	٣٣٩	٢١٥	١١٨	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٥	٣٩٠	٢٥٠	١٤٠	٦٤٪	٣٦٪
١٩٦٦	٤٠١	٢٣٩	١٦٢	٦٠٪	٤٠٪
١٩٦٧	٣٨٤	٢٥٠	١٣٤	٦٥٪	٣٥٪
١٩٦٨	٣٩٩	٢٦٤	١٩٥	٦٦٪	٣٤٪
١٩٦٩	٣٩٧	٢٧٢	١٢٥	٦٩٪	٣١٪
١٩٧٠	٤٢٩	٢٧٠	١٥٩	٦٣٪	٣٧٪
١٩٧١	٢٠٤٤	٩٥١	١٩٩	٦٥٪	٣٥٪
١٩٧٢	٨٥٤	٥٩٠	٢٦٤	٦٩٪	٣١٪
١٩٧٣	١٠٠٦	٦٤٤	٣٦٢	٦٤٪	٣٦٪
١٩٧٤	١١٥٧	٧١٥	٤٤٢	٦٢٪	٣٨٪
١٩٧٥	١٣٦٤	٨٦٩	٤٩٥	٦٤٪	٣٦٪
١٩٧٦	١٣١٢	٨٣٦	٤٧٦	٦٤٪	٣٦٪
المجموع	١٠٦٩٣	٦٧٨٨	٣٦٧٨	٦٥٪	٣٥٪

* لم يعمل بهذا التقسيم قبل عام ١٩٥٩ .

** لم تتوفر المعلومات عن عدد الذكور وعدد الاناث لذلك العام ، بسبب خطا في تقرير دائرة الهجرة لعام ١٩٦٠ ، حيث ان الجدول رقم (٤١) ، ص ٨١ ، اعاد طرح التقسيمات ، بحسب الجنس لعام ١٩٥٩ ، خطا بدلا من عام ١٩٦٠ ، ولهذا انعدم توفر المعلومات .

ومزيدا من التمحيص في الجدول رقم (٦) يبرز بشكل واضح على ان حوالى ثلثي المتجنسين من الفلسطينيين هم ذكور . ومع ان هذه النسبة قريبة جدا من ٦٠٪ ذكورا الى ٤٠٪ اناثا بالنسبة للمهاجرين ، فان نسب توزيع الذكور للاناث للمهاجرين والمتجنسين غير متطابقة ، مما يوحي بأن نسبة ضئيلة (٥٪) من النساء المهاجرات لا يتجنسن لاسباب عديدة اهمها اثنان . الاول هو عدم معرفة اللغة الانجليزية من قبل النساء المعزولات في البيوت معظم الاوقات ، مما يصعب جدا حصولهن على الجنسية ، لا يحققن النجاح في فحص الجنسية ، والثاني هو الحاجة العملية للجنسية في تسهيل الامور التجارية (ملكية محلات البقالة او المشاريع الاقتصادية الاخرى) والتي يضطلع بها الرجال اكثر من النساء بناء على الاعراف التي لا تزال سائدة بين الفلسطينيين .

الفلسطينيون في اميركا بحسب الاعمار

ان اعمار اغلبية المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا لا تتعدى الاربعين عاما، بمعنى انهم خيرة الايدي العاملة الجاهزة للمشاركة بحيوية في عملية الانتاج الاميركي . ويبرز الجدول رقم ٧ النسبة العالية للذكور من ذوي الاعمار التي هي دون العشرين ، حيث كانت تلك النسبة بين عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦٦ في حدود الـ ٢٩٪ من مجموع الذكور ، ولقد قفزت هذه النسبة الى حدود الـ ٣٥٪ في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ . ويرجع هذا ، مرة اخرى ، الى تأثير حرب عام ١٩٦٧ على نوعية المهاجرين الفلسطينيين الى اميركا (عائلات بكاملها) . كما يلاحظ من الجدول نفسه ان الذكور من ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٢٩ عاما ، والذين شكلوا اعلى نسبة مهاجرين من بين فئات الاعمار المختلفة للذكور ، قد هاجروا الى اميركا بنسبة قاربت الـ ٥٩٪ من مجموع الذكور المهاجرين ما بين الاعوام ١٩٥٩ و١٩٦٦ ، وانخفضت نسبتهم الى قرابة الـ ٥٣٪ في الفترة ما بين ١٩٦٧ و١٩٧٦ . ويبرز بشكل جلي ان حرب ١٩٦٧ اثرت بشكل تصاعدي على نسبة المهاجرين من ذوي الاعمار ، ما دون العشرين عاما ، وبشكل انحداري على المهاجرين من ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٢٩ . وبالفارق النسبي نفسه (٦٪) هبوطا وصعودا . بينما بقيت فئة ذوي الاعمار فوق الـ ٤٠ عاما بالنسبة للذكور في حدود الـ ١٢٪ من مجموع الذكور بدون ان تتأثر هذه الفئة بشكل ملحوظ بسبب حرب ١٩٦٧ .

اما بالنسبة للاناث ، فقد تميزت هجرتهم بخصائص عامة شبيهة بالتي اثرت على هجرة الذكور (تأثيرات حرب ١٩٦٧) ولكن بشكل اخف حدة ، الا ان نسبة توزع الفئات الثلاث اختلفت بشكل ملحوظ بالنسبة للذكور ، فبينما تراوحت نسبة الذكور من ذوي الاعمار دون العشرين ما بين ٢٩٪ و٣٥٪ ، قبل وبعد حرب ١٩٦٧ ، فان نسبة الاناث من الفئة نفسها (دون العشرين عاما) تراوحت ما بين ٤١٪ قبل ١٩٦٧ و٤٤٪ بعد ١٩٦٧ .

أما للاناث من فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٢٩ عاما فقد انخفضت نسبتهن من حوالي ٤٤٪ ما قبل ١٩٦٧ الى حوالي ٣٩٪ ما بعد عام ١٩٦٧ ، بينما كانت لذوات الاعمار ما فوق الـ ٤٠ عاما حوالي ١٦٪ .

الجدول رقم (٧)

تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب الاعمار والجنس

السنة	ذكور							اناث						
	المجموع	تحت ٢٠ عاما		٢٠ ــ ٣٩ عاما		٤٠ فما فوق		المجموع	تحت ٢٠ عاما		٢٠ ــ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٥٩	٢٨٣	١١٥	٪٣٠	٢٢١	٪٥٨	٤٧	٪١٢	٢٢٥	٩٥	٪٤٢	٩٦	٪٤٣	٣٤	٪١٥
١٩٦٠	٣٤٠	٧٨	٪٢٣	٢٢٢	٪٦٥	٤٠	٪١٢	١٩٦	٧٤	٪٣٨	٩٥	٪٤٨	٢٧	٪١٤
١٩٦١	٤٠٣	١٢٠	٪٣٠	٢٢٦	٪٥٦	٥٧	٪١٤	٢٥٥	١١١	٪٤٤	١٠٤	٪٤١	٤٠	٪١٥
١٩٦٢	٤٥٠	١٤٣	٪٣٢	٢٦٢	٪٥٨	٤٥	٪١٠	٣٢١	١٤٣	٪٤٥	١٤١	٪٤٤	٣٧	٪١١
١٩٦٣	٤٨٥	١٣٧	٪٢٨	٢٨٠	٪٥٨	٦٨	٪١٤	٢٦٧	١٠٨	٪٤٠	١٢٠	٣٩	٪١٥	
١٩٦٤	٤٦٨	١٢٣	٪٢٦	٢٩٨	٪٦٤	٤٧	٪١٠	٢٥٨	١٠٦	٪٤١	١٠٦	٪٤١	٤٦	٪١٨
١٩٦٥	٤٥٢	٩٨	٪٢٢	٢٩٥	٪٦٥	٥٩	٪١٣	٢٥٠	١٠١	٪٤٠	١٠٢	٪٤١	٤٧	٪١٩
١٩٦٦	٨٢٧	٢٥٢	٪٣٠	٤٤٥	٪٥٤	١٣٠	٪١٦	٤٩٨	١٩٥	٪٣٩	٢٢٠	٪٤٤	٨٣	٪١٧
١٩٦٧	٩٢٣	٣٢٩	٪٣٦	٤٥٩	٪٤٩	١٣٥	٪١٥	٦٧١	٢٦٣	٪٣٩	٢٨٦	٪٤٣	١٢٢	٪١٨
١٩٦٨	١١٣٩	٥٠٠	٪٤٤	٥١١	٪٤٥	١٢٨	٪١١	٨٧١	٤١٤	٪٤٧	٩٠١	٪٣٥	١٥٦	٪١٨
١٩٦٩	١٤٩٢	٥٩٢	٪٤٠	٦٨٤	٪٤٦	٢١٦	٪١٤	١١٢٥	٤٩٤	٪٤٤	٤٥٣	٪٤٠	١٧٨	٪١٦
١٩٧٠	١٦٠٠	٥٧٧	٪٣٦	٨٢٤	٪٥٢	١٩٩	٪١٢	١٢٤٢	٥٥٣	٪٤٥	٤٨٦	٪٣٩	٢٠٣	٪١٦
١٩٧١	١٥٣٧	٥٥١	٪٣٦	٨١٣	٪٥٣	١٧٣	٪١١	١٠٥١	٤٦٨	٪٤٥	٤١٣	٪٣٩	١٧٠	٪١٦
١٩٧٢	١٦٨٥	٥٠٩	٪٣٠	٩٤٦	٪٥٦	٢٣٠	٪١٤	١٠٧١	٤٧٨	٪٤٥	٤٦٣	٪٤٣	١٣٠	٪١٢
١٩٧٣	١٤٤٠	٤٥١	٪٣١	٨٠٨	٪٥٦	١٨١	٪١٣	١٠١٠	٤٢٦	٪٤٢	٤١٢	٪٤١	١٧٢	٪١٧
١٩٧٤	١٦٠٧	٥٥٧	٪٣٥	٨٥٠	٪٥٣	٢٠٠	٪١٢	١٢٣١	٥٣١	٪٤٣	٥٠٧	٪٤١	١٩٣	٪١٦
١٩٧٥	١٤٧٩	٥٦٦	٪٣٨	٧٢٩	٪٤٩	١٨٤	٪١٣	١٠٩٩	٤٨٨	٪٤٤	٤٣٦	٪٤٠	١٧٥	٪١٦
١٩٧٦	١٤٢٤	٥٣٤	٪٣٨	٧٠٤	٪٤٩	١٨٦	٪١٣	١١٤٢	٥٠١	٪٤٤	٤٣٦	٪٣٨	٢٠٣	٪١٨
المجموع	١٨١٤٤	٦٢٤٢	٪٣٤	٩٥٧٧	٪٥٢	٢٣٢٥	٪١٣	١٢٧٨٣	٥٥١٠	٪٤٣	٥١٧٧	٪٤١	٢٥٥	٪١٦

ويبرز الجدول رقم (٨) (جدول تسيم المتجنسين بحسب الاعمار والجنس ، وتغييرا ملحوظا وجذريا على نسب فئات الاعمار الثلاث المذكورة اعلاه . فلقد انخفضت نسبة الذكور من ذوي الاعمار دون العشرين من حوالى ٣٤٪ مجموع الذكور ، الى حوالى ٦٪ من المجموع نفسه . وهذا التغيير الجذري بفارق حوالى ٢٨٪ يعود اساسا الى أن الاغلبية الساحقة من المهاجرين من ذوي الاعمار دون العشرين هم من الشبيبة ما بين الـ ١٥ و١٩ عاما ، اذن انه بعد أن تمكث تلك الفئة خمسة اعوام على الأقل في اميركا ، مما يضعها في خانة فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما تستطيع الحصول على الجنسية .

ولهذا نستطيع بسهولة معرفة سبب الارتفاع الكبير في نسبة فئة الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما الى ما فوق الـ ٧٠٪ من مجموع الذكور ، وذلك عائد الى ضخامة الاعداد التي انتقلت من فئة دون العشرين الى هذه الفئة ، كذلك ارتفعت نسبة الذكور من فئة ما فوق الـ ٤٠ الى حوالي ٢٠٪ من مجموع المتجنسين .

وأما بالنسبة للاناث ، فان الاتجاهاف العامة التي صبغت تغييرات نسبة الفئات الثلاث للذكور هي كذلك التي صبغت تغييرات نسبة الفئات الثلاث للاناث . فلقد انخفضت نسبة الاناث من فئة دون العشرين عاما الى حوالى ١٢٪ ، بينما ارتفعت فئة ذوات الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما الى حوالى ٦٦٪ وبقاء فئة ما فوق الاربعين عاما حوالى ٢٠٪ . وبالنسبة للمجموع الاجمالي حسب الاعمار ، فان الجدول رقم (٩) يشير الى ان الفلسطينيين المهاجرين ما بين ٥٩ و١٩٧٦ ، من فئة دون العشرين عاما من الذكور شكلوا ٣٤٪ من مجموع الذكور ، وشكلت الاناث ٤٣٪ من مجموع الاناث ، وان هذه الفئة بذكورها واناثها معا شكلت ٤٨٪ من مجموع المهاجرين . وأما الفئة الثالثة والاخيرة ، فئة ما فوق الـ ٤٠ عاما ، فلقد شكل ذكورها نسبة ١٣٪ من مجموع الذكور ، واناثها ١٦٪ من مجموع الاناث ، وكانت هذه الفئة بذكورها واناثها معا قد شكلت ١٤٪ من مجموع المهاجرين .

وأما بالنسبة للفلسطينيين المتجنسين في الفترة نفسها ، ما بين ١٩٥٩ ، فان الجدول رقم (١٠) يشير الى ان فئة دون العشرين عاما قد شكل ذكورها ٦٪ من مجموع الذكور شكلت اناثها ١٢٪ من مجموع الاناث وكلا الفئتان شكلتا ٨٪ من مجموع الذكور وشكلت اناثها نسبة ٦٦٪ من مجموع الاناث ، وشكلت الفئتان نسبة ٦٩٪ من مجموع المتجنسين الفلسطينيين . أما الفئة الاخيرة ما فوق الـ ٤٠ عاما ، فلقد شكل ذكورها ٢٢٪ من مجموع الذكور ، وأما الاناث فقد شكلن ٢٢٪ من مجموع الاثاث . ولقد شكل الذكو والاناث لهذه الفئة مجتمعين ٢٣٪ من مجموع المتجنسين الفلسطينيين .

ان التحليل اعلاه لا يعطي صورة شاملة عن نسب فئات الاعمار ، عام ١٩٧٦ لجميع الفلسطينيين في اميركا ، بغض النظر عما اذا كانوا مهاجرين أم متجنسين ، كما ان التحليل أعلاه لا يتطرق لمجموعة كبيرة من الفلسطينيين (بالاضافة الى الفلسطينيين قبل عام ١٩٥٩) الا وهم الفلسطينيون المولودون في أميركا خلال الاعوام السابقة لعام ١٩٧٦ ، والذين يشكلون قرابة مجموع الفلسطينيين في أميركا ، وجميعهم متجنسون بحكم ولادهتم في الولايات المتحدة . الا ان التحليل أعلاه مهم وضروري من زاوية معرفة اتجاهات تغييرات

الجدول رقم (٨)

تقسيم المتجنسين حسب الأعمار والجنس

السنة	المجموع	ذكور						اناث						
		تحت ٢٠ عام		٢٠ ــ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق			تحت ٢٠ عام		٢٠ ــ ٣٩ عام		٤٠ فما فوق	
		العدد												
١٩٥٩	١٤٦	٤	٪٣	١١٣	٪٧٧	٢٩	٪٢٠	٦٣	١٢	٪١٩	٤٥	٪٧١	٦	٪١٠
١٩٦٠*														
١٩٦١	٢٠٦	١٤	٪٧	١٥٦	٪٧٦	٣٦	٪١٧	٨١	٩	٪١١	٥١	٪٦٣	٢١	٪٢٦
١٩٦٢	٣٩٠	٢٧	٪٧	٢٤٩	٪٦٤	١١٤	٪٢٩	١٧٥	٢٥	٪١٤	١٠٥	٪٦٠	٤٥	٪٢٦
١٩٦٣	٢٨١	٣٨	٪١٤	١٨٠	٪٦٤	٦٣	٪٢٢	١٥٤	٢٩	٪١٩	٨٧	٪٥٦	٣٨	٪٢٥
١٩٦٤	٢١٥	٢٧	٪١٢	١٥٤	٪٧٢	٣٤	٪١٦	١٨	١٥	٪١٣	٨٣	٪٧٠	٢٠	٪١٧
١٩٦٥	٢٥٠	١٦	٪٦	١٨٩	٪٧٦	٤٥	٪١٨	١٤٠	١٩	٪١٤	٧٧	٪٥٥	٤٤	٪٣١
١٩٦٦	٢٣٩	٢٤	٪١٠	١٦٢	٪٦٨	٥٣	٪٢٢	١٦٢	٣٠	٪١٩	١١٤	٪٧٠	١٨	٪١١
١٩٦٧	٢٥٠	٢٥	٪١٠	١٧٩		٤٦	٪١٨	١٣٤	٢٦	٪١٩	٩١	٪٦٨	١٧	٪١٣
١٩٦٨	٢٦٤	٢٠	٪٨	١٩١	٪٧٢	٥٣	٪٢٠	١٣٥	١٦	٪١٢	٩٣	٪٦٩	٢٦	١٩
١٩٦٩	٢٧٢	٢٥	٪٩	١٩٤	٪٧١	٥٣	٪٢٠	١٢٥	٢٢	٪١٨	٧٥	٪٦٠	٢٨	٪٢٢
١٩٧٠	٢٧٠	١٢	٪٤	٢١٠	٪٧٨	٤٨	٪١٨	١٥٩	٢٢	٪١٤	١٠٧	٪٦٧	٣٠	٪١٩
١٩٧١	٣٥١	١٩	٪٥	٢٦٣	٪٧٥	٦٩	٪٢٠	١٩٣	٣٧	٪١٩	١٢٥	٪٦٥	٣١	٪١٦
١٩٧٢	٥٩٠	٢٨	٪٥	٤١٤	٪٧٠	١٤٨	٪٢٥	٢٦٤	٢٤	٪٩	١٧٨	٪٦٨	٦٢	٪٢٣
١٩٧٣	٦٤٤	٣٣	٪٥	٤٤٢	٪٦٩	١٦٧	٪٢٦	٣٦٣	٢٤	٪٧	٢٤٨	٪٦٨	٩٠	٪٢٥
١٩٧٤	٧١٥	٤٨	٪٧	٤٩٤	٪٦٩	١٧٣	٪٢٤	٤٤٢	٣٨	٪٩	٢٩٣	٪٦٦	١١١	٪٢٥
١٩٧٥	٨٦٩	٤٥	٪٥	٦١٤	٪٧١	٢١٠	٪٢٤	٤٩٥	٤٧	٪٩	٣٤١	٪٦٩	١٠٧	٪٢٢
١٩٧٦	٨٣٦	٤٢	٪٥	٦٠٠	٪٧٢	١٩٤	٪٢٣	٤٧٦	٣٩	٪٨	٢٢٨	٪٦٩	١٠٩	٪٢٣

النسب السكانية للفئات الثلاث المختلفة وأسبابها والمؤثرات عليها ، لان ذلك يشكل الارضية الأولية التي نرسي عليها كافة الاستنتاجات المتعلقة بطبيعة العمل بين صفوف هذه الفئات المختلفة وآفاق مستقبله .

الجدول رقم (٩)

مجموع عدد ونسبة المهاجرين بحسب الجنس والعمر
(١٩٥٩ ــ ١٩٧٦)

الجنس	المجموع	عدد ذوي الاعمار دون الـ ٢٠ عاما	نسبة دون الـ ٢٠ عاما للمجموع	عدد ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما	نسبة فئة ما بين ٢٠ و٣٩ للمجموع	عدد ذوي الاعمار من فئة الـ٤٠ عاما وما فوق	نسبة فئة الـ ٤٠ عاما وما فوق للمجموع
ذكور	١٨١٤٤	٦٢٤٢	٣٤٪	٩٥٧٧	٥٣٪	٢٣٢٥	١٣٪
اناث	١٢٧٨٣	٥٥٥١	٤٣٪	٥١٧٧	٢١٪	٢٠٥٥	١٦٪
ذكور و اناث	٣٠٩٢٧	١١٧٩٣	٣٨٪	١٤٧٥٤	٤٨٪	٤٣٨٠	١٤٪

والسؤال الذي يطرح نفسه هو . ما هي نسب توزع الفلسطينيين جميعهم في أميركا (مهاجرين ومولودين) بحسب الفئات الثلاث للاعمار في نهاية عام ١٩٧٦ ؟ يعطي الجدول رقم (٩) جزءا من الأجابة ، بينما يبقى رقمان غير محسوبين فيه . الرقم الاول ، وهو مجموع الفلسطينيين الذين كانوا في اميركا قبل عام ١٩٥٩ ، وعددهم كان ٧٩٧١ (الجدول رقم ٤) . والرقم الثاني هو ١٥٦٧٢*، وهو مجموع الفلسطينيين نتيجة الزيادة الطبيعية ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ . ولهذا ، فان مجموع الارقام التالية .

٧٩٧١ مجموع الفلسطينيين عام ١٩٥٩ (الجدول رقم ٤) .

٣٠٩٢٧ مجموع المهاجرين الفلسطينيين ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ (الجدول رقم ٤) .

١٥٦٧٢ مجموع الزيادة الطبيعية للفلسطينيين في الولايات المتحدة خلال الفترة ١٩٥٩ ــ ١٩٧٦ (الجدول رقم ٤) .

يشكل المجموع العام للفلسطينيين في أميركا ، وهذا هو الرقم المتطابق مع

* هذا الرقم هو حصيلة جميع الزيادة الطبيعية للفلسطينيين ما بين ١٩٥٩ و١٩٧٦ . وهذا العدد هو حصيلة مجموع الفارق في الجدول رقم (٤) ، ما بين الفلسطينيين بعد الزيادة الطبيعية وقبلها عبر الاعوام المعنية .

رقم المجموع العام ، بحسب الجدول رقم (٤) .

وبما أننا : بحسب التحليلات السابقة ، نعرف كيف يوزع الرقم ٢٠٩٢٧ بحسب فئات الاعمار ، فانه يبقى علينا تقسيم الرقمين المتبقيين لمعرفة نسبة توزع عموم الفلسطينيين بحسب فئات الاعمار الثلاثة . الرقم ١٥٦٧٢ يلحق بمجموعة الفئة دون العشرين عاما ، لان هذا الرقم حصيلة الاغلبية الساحقة للمولودين ما بين ٥٩ و١٩٧٦ (وهي فترة دون العشرين عاما)** . وأما الرقم الاخر ٧٩٧١ ، فان ١٥٤٢ منه جاؤوا نتيجة للزيادة الطبيعية للفترة ما قبل ١٩٥٩ . وبما ان اغلبية الفلسطينيين ابان تلك الفترة كانوا بالغين عازبين ، فاننا نستطيع تقدير أنه لا يوجد الان أي فرد من الرقم ٧٩٧١ يمكن اضافة الى خانة دون العشرين عاما ، ويمكن تقدير عدد فئة ما بين ٢٠ و٣٩ بحوالى ٢٠٠٠ شخص معظمهم من الرقم ١٥٤٢(المولودين ما بين ١٩٤٩ و١٩٥٩ ،والذين لا تتجاوز اعمارهم الـ ٣٩ عاما) . والعدد المتبقي ٥٩٧١ ينتمون لفئة ما فوق الـ ٤٩٠ عاما للاسباب التي ذكرت اعلاه .

الجدول رقم (١٠)

مجموع عدد ونسبة المتجنسين بحسب الجنس والعمر
(١٩٥٩ ـ ١٩٧٦)

الجنس	المجموع	عدد ذوي الاعمار دون الـ ٢٠ عاما	نسبة دون الـ ٢٠ عام للمجموع	عدد ذوي الاعمار ما بين ٢٠ و٣٩ عاما	نسبة فئة ما بين ٢٠ و٣٩ عاما للمجموع	عدد ذوي الاعمار من فئة الـ ٤٠ عاما وما فوق	نسبة فئة الـ ٤٠ وما فوق للمجموع
ذكور	٦٧٨٦	٤٤٧	٦٪	٤٨٠٤	٧١٪	١٥٣٥	٢٣٪
اناث	٣٦٧٨	٤١٤	١٢٪	٢٤٤١	٦٦٪	٨٠٣	٢٢٪
ذكور و اناث	١٠٤٦٤	٨٨١	٨٪	٧٢٤٥	٦٩٪	٢٣٣٨	٢٣٪

وبهذا فان الصورة تصبح على الشكل التالي من حيث التوزع العام . مجموع الفلسطينيون دون العشرين عاما هو ١١٧٩٣ من جدول رقم (٩) مضافا الى رقم ١٥٦٧٢ (بحسب ما شرح أعلاه) ،فيصبح مجموع هذه الفئة ٢٧٤٦٥ فردا*. ومجموع الفلسطينيين

** لان الزيادة الطبيعية هي نسبة مجموع المواليد الى نسبة مجموع الوفيات . ولذلك فان الرقم الحقيقي للمولودين هو اعلى من ٢/١ ٣٪ التي روعيت سنويا ، لانه حسم من الرقم الحقيقي للمولودين حوالي ٢/١ ١٪ نسبة الوفيات سنويا .

* هذا الرقم قليل نظرا لما شرح في حاشية سابقة .

ما بين ٢٠ و٣٩ هو ١٤٧٥٤ من الجدول رقم (٩) مضافا الى رقم ٢٠٠٠ (بحسب ما شرح اعلاه) فيصبح مجموع هذه الفئة ١٦٧٥٤ فردا . وأما مجموع الفلسطينيين فوق الـ ٤٠ عاما فهو ٤٣٨٠ من الجدول رقم (٩) مضافا الى رقم ٥٩٧١ (بحسب ما شرح اعلاه) فيصبح مجموع هذه الفئة ١٠٣٥١ فردا . ولهذا فان الجدول رقم (١١) يوضح أعمار الفلسطينيين في أميركا بحسب الفئات الثلاث في نهاية عام ١٩٧٦ .

الفلسطينيون بحسب الاعمار في الولايات المتحدة
حتى نهاية حزيران ١٩٧٦

الجدول رقم (١١)

المجموع	تحت الـ ٢٠ عاما	النسبة المئوية للمجموع	٢٠ و٣٩ عاما	النسبة المئوية للمجموع	٤٠ فما فوق	النسبة المئوية للمجموع
٥٤٥٧٠	٢٧٤٦٥	٪٥٠	١٦٧٥٤	٪٣١	١٠٣٥١	٪١٩

ان الشبيبة دون العشرين عاما تشكل ، على الأقل ، ٥٠٪ من مجموع الفلسطينيين ، بينما يشكل الشباب ما بين ٢٠ و٣٩ عاما ٣١٪ من مجموع الفلسطينيين ، وما فوق الاربعين عاما يشكلون ١٩٪ من مجموع الفلسطينيين . كما تجدر الاشارة الى ان ٢/٣ الشبيبة (دون العشرين) هم من المولودين في اميركا مما يعني اعتبار اغلبيتهم الساحقة ، ان لم نقل جميعهم ، لا يعرفون اللغة العربية ، وجميعهم قطعا لا يعرفون العربية قراءة وكتابة .

---

(١) *Annual Report*, Immigration and Naturalization Service, 1941- 1950 Tab 6.

(٢) *Op. Cit.* 1951- 1960 Tab. 6.

(٣) *op. Cit.* 1970- 1976, Tab. 6.

(٤) Abu- lughod, ***Journal of Palestinian Studies***, Vol. II, NB. 3 spring 1973, P. 97.

(٥) Nabil Shaath, High level Palestinian Manpover, ***Journal of Palestinian Studies*** , Vol. I No. 2, 1972, P. 81.

(٦) Arab World File, I- P. 24 august 13, 1975, No. 353.

(٧) I. Shammout, Palestine- Illestrated Political History, cultural and art section- Dept. of Information and National

---

** هذا الرقم مرتفع قليلا نظرا لان الوفيات (المطروحة من الزيادة الطبيعية) تاتي غالبا منه .

Guidance, P.L.O. 1972.

(٨) *Asaid S. Kasses, The People of Ramallah:* A People of Christian. Arab Heritage, unpublished dissertation. The Florida State University, 1971 PP. 50- 55.

(٩) بلال الحسن الفلسطينيون في الكويت ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ١٤ ــ ١٦ .

(١٠) Janet Abu- ughod, *The Demographic Transformation of Palestine*, P. 162.

(١١) *Statistical Abstract of Israel*, 1961, No. 12 (Jerusalem), and Ministry of Foreingn Affairs, Facts about Israel, 1963 (Jerusalem), table on, P. 48.

(١٢) *Department of Statistics*, Jordan, 1962, (Amman) table 7, P.7.

(١٣) *Annual Report:* Immigration and Naturalization Service, 1972, P. 6.

حسام الخطيب

الحوار البرلماني العربي - الاوروبي

مدخل : الحوار ـ البرلماني والحوار الرسمي

تشكل تجربة الحوار البرلماني العربي الاوروبي ، بالنسبة للجانب العربي ، قناة اتصال دولية شديدة الاهمية ، تهدف الى اقامة جسر من التعارف والتفاعل بين البرلمانيين العرب والبرلمانيين الاوروبيين ، تحقيقا للتفاهم الدولي من جهة ، ومن جهة ثانية خدمة للقضية العربية في المجال البرلماني الدولي ، من خلال طرح اسس هذه القضية بدقة وايجابية ، وتعريف البرلمانيين بها على اوسع نطاق ، ومحاولة تشكيل سياج برلماني دولي مؤيد للحق العربي ولتطلعات الشعب العربي في الوحدة والتحرير والتنمية والعدالة الاجتماعية والاسهام الحضاري في العالم المعاصر .

ومنذ البدء اعتبر الحوار البرلماني مكملا لتجربة الحوار العربي الاوروبي الرسمي ، الذي ولدت فكرته في اعقاب حرب تشرين الاول (اوكتوبر) ١٩٧٣ ، نتيجة لشعور اوروبا الملموس بالمعاناة الاقتصادية وبالخطر الامني . وكان تأمين تدفق البترول بالنسبة لاوروبا عاملا اساسيا من عوامل اهتمامها بالحوار .

كذلك وجد لدى العرب شعور باهمية الموقف الاوروبي بالنسبة للقضية العربية . وهكذا اقر مؤتمر القمة العربي في الجزائر بتاريخ ١٩٧٣/١١/٢٦ بحث اسس العلاقات العربية الاوروبية وبدء الحوار ، كما اقر مؤتمر القمة للمجموعة الاوروبية (كوبنهاغن ، ١٥ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣) مبدأ الاسهام الاوروبي الموحد في حل نزاع الشرق الاوسط ، ومبدأ الترابط بين الاستقرار الاقتصادي وتسوية النزاع في الشرق الاوسط .

وقد شكل الاوروبيون من جانبهم لجنة خبراء وكذلك فعل العرب ، الا ان الحوار لم يأخذ طابعا جديا الا في وقت لاحق وذلك بسبب تفاوت المواقف السياسية الاوروبية وعدم ارتياح الولايات المتحدة الامريكية في البدء لظهور مبادرة اوروبية مستقلة .

وقد شهد عام ١٩٧٥ سلسلة من اجتماعات لجنة الخبراء العرب والاوروبيين (القاهرة

حزيران ــ يونيه) ، روما (تموز ــ يوليه) ، ابو ظبي (تشرين الثاني ــ نوفمبر) ، ووضح تماما ان الجانب الاوروبي يعمل على التركيز على النواحي الاقتصادية والتملص من اي بحث سياسي ، ولكن حتى بالنسبة للنواحي الاقتصادية كان موقفه شديد التحفظ .

واخيرا عقدت دورة لكسمبورغ في ايار (مايو) سنة ١٩٧٦ على صعيد اللجنة العامة ــ اي مستوى السفراء ، وتم ذلك بضغط من الدول العربية . وقد واجه الحوار صعوبات كثيرة في مؤتمر لكسمبورغ ، ومع ذلك تمخض المؤتمر عن انشاء لجان ومجموعات متخصصة لاعداد الدراسات التي تشمل النواحي التجارية والصناعية والتكنولوجية ومسائل البنية التحتية . وقد عكس بيان لكسمبورغ ، الذي ظهر بعد معاناة كبيرة ، وجود هوة في الموقف السياسي تجاه القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط وهوة اخرى في الموقف الاقتصادي ، ومع ذلك فمن الممكن اعتباره خطوة الى الامام .

وقد تبعت هذه الخطوة المتأنية خطوة اخرى تمثلت في اجتماع الجمعية العامة للحوار العربي الاوروبي في تونس (٧ ــ١٢ شباط ــ فبراير ١٩٧٧) حيث اتخذ الحوار طابعا اكثر شمولا واتضح فيه التباين بين الموقف العربي والموقف الاوروبي ليس على الصعيد السياسي فحسب بل كذلك على الصعيد الاقتصادي .

وفيما يلي بعض الملاحظات التي يمكن ان تساعد على تكوين فكرة عن حصيلة هذا الحوار .

☐ ١ ــ كرر البيان السياسي للاوروبيين المواقف السابقة للمجموعة الاوروبية ، بل اكثر من ذلك ألحق بتصريح مفاده « ان المجموعة الاوروبية لا يمكن ان تسمح لاخرين ان يحددوا لها ما يجب ان تكون عليه علاقات المجموعة باسرائيل. » ولا يخفى ما في هذه الجملة من استفزاز للطرف العربي .

☐ ٢ ــ وافق الجانب الاوروبي بصعوبة على تشكيل لجنة سياسية مشتركة خاصة بالمؤتمر ورفض تشكيل لجنة دائمة لمتابعة الحوار السياسي وان كان وعد بدراسة هذا الامر .

☐ ٣ ــ بدا تقدم واضح في موقف المجموعة الاوروبية من انتهاكات اسرائيل لحقوق الانسان في الاراضي المحتلة على النحو التالي .

☐☐ ــ ابداء مشاعر القلق نحو استمرار الاحتلال الاسرائيلي لمناطق كبيرة من الاراضي العربية .

☐☐ــ التمسك بانطباق اتفاقية جنيف الرابعة على سكان الاراضي المحتلة ومعارضة اية تعديلات في الطابع الاقليمي والسكاني لهذه المناطق وخاصة سياسة اقامة مستعمرات فيها . والمعارضة في اتخاذ خطوات من جانب واحد في تبديل كيان مدينة القدس .

☐☐ ــ رفض استمرار ما يسمى بسياسة (خلق الحقائق)التي تثير المصاعب امام المفاوضات .

ولكن الموقف من حقوق الشعب الفلسطيني لم يظهر اي تقدم بل اظهر ربطا لمفهوم اوسع للتسوية الشاملة.

□ ٤ ـ لم تتبلور اية خطوات محددة فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي ، وكان الجانب العربي يرافع لصالح اتفاقيات عامة تجارية وتكنولوجية بين الدول العربية والمجموعة الاوروبية، في حين اصر الجانب الاوروبي على الانطلاق من مشروعات صغيرة محددة وذات طابع تدريبي او بحثي ، كذلك اتضح تفضيل الجانب الاوروبي لعقد اتفاقيات ثنائية بين كل دولة واخرى بدلا من الاتفاقات الشاملة(*) . ومع ذلك يمكن القول ان هناك لجانا اختصاصية مهمة شكلت من اجل اعداد دراسات عينية محددة في مجال التبادل التجاري ونقل التكنولوجيا والتعاون المالي والايدي العاملة .

والحق انه بعد هذه الولادة العسيرة امكن عقد اجتماعات اكثر نجاحا فيما بعد ، اهمها دورتا اللجنة العامة لسنة ١٩٧٧ ، الاولى في تونس (شباط ـ فبراير) والثانية في بروكسل (تشرين الاول ـ اوكتوبر) ، وكانت هذه نقطة تحول بما تم فيها من اقرار مبدئي لبعض المشروعات ، وكذلك بنتيجة قرار الجامعة العربية برصد ١٥ مليون دولار لتمويل الحوار . وقد استكمل الحوار في هذه الدورة هيكله العام ووضحت خطوطه الرئيسية سواء من حيث التمويل او التنظيم والتنفيذ كما حدث تقدم ملموس في الموقف الاوروبي من القضية الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ، اذ تبنى الطرف الاوروبي في الحوار بيان المجموعة الاقتصادية الاوروبية (السوق الاوروبية المشتركة) الذي صدر في ٢٩ حزيران ١٩٧٧ والذي طالب بانهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية ، والاعتراف بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني بما في ذلك امكان قيام وطن لهذا الشعب من خلال تسوية متفاوض عليها .

وقد تعثر الحوار بعد ذلك بسبب انشقاق النظام المصري عن الصف العربي وسعيه وراء الحل الثنائي الاستسلامي والتعاون مع العدو . ومع ذلك امكن في نهاية عام ١٩٧٨(٩ ـ ١١ كانون الاول ـ ديسمبر) عقد لجنة الحوار العربي الاوروبي في دمشق مع تأييد قوي من الجمهورية العربية السورية ، وقد تمخض هذا الاجتماع عن تقدم ملموس في تحديد المشروعات العربية الاوروبية المشتركة . ويعتبر هذا الاجتماع بداية مرحلة الانتقال من النظريات والدراسات العامة الى المشروعات المحددة التي يجري العمل على بلورتها منذ ذلك التاريخ ، ولكن ببطء ملحوظ .

مؤتمر دمشق البرلماني وبداية الطريق

أتت قناة الحوار البرلماني الاوروبي لتكمل طريق الحوار الرسمي الذي يتم باشراف كامل من الجامعة العربية وجهاز المجموعة الاقتصادية الأوروبية . وقد بدأ الحوار البرلماني ب(المؤتمر التحضيري الاول للتعاون البرلماني العربي الاوروبي) الذي عقد في مقر مجلس الشعب بدمشق في الفترة الواقعة بين ١٢ ـ ١٧/٩/١٩٧٤ ، وحضره عن الجانب العربي وفود تمثل البرلمانات في الاقطار العربية التالية . الاردن ، البحرين ، تونس ، السودان ، سورية ، فلسطين ، الكويت ، لبنان ، مصر ، موريتانيا ، اليمن الديمقراطية ، وحضره من

* تقتضي الدقة ان نشير الى ان عددا لا باس من الدول العربية كان احيل الى الاتفاقات الثنائية . بل كان بعضها يخشى ان تؤثر الاتفاقات الشاملة على تعاملها الثنائي الخاص مع بعض الدول الاوروبية .

الجانب الاوروبي برلمانيون من دول المجموعة الاوروبية . هولندا ، المانيا الاتحادية ، ايطاليا ، ايرلندا ، بريطانيا ، بلجيكا ، فرنسا ، لكسمبورغ .

وقد كان الاعداد العربي للمؤتمر ممتازاً . ومنذ البدء حرص مجلس الشعب العربي السوري على حشد الامكانات البرلمانية العربية من خلال الاتصالات الثنائية مع البرلمانات الشقيقة من جهة ، وكذلك من خلال الاتحاد البرلماني العربي الذي كان وقتذاك مجرد بذرة في طريق النمو ، ذلك انه اسس في دمشق في ١٩٧٤/٦/٢١ ، وكانت رئاسة دورته الاولى لسورية (الرئيس محمد علي الحلبي) ، مما ساعد على توجيه طاقته منذ البدء لخدمة قضايا الوحدة والتحرر في الوطن العربي .

وقد وضع مجلس الشعب جميع امكاناته من مادية ومعنوية تحت تصرف (المؤتمر التحضيري للتعاون البرلماني العربي الاوروبي) . وجرى حشد الكفاءات العربية السورية المختلفة ولا سيما من اطاري جامعة دمشق ووزارة الخارجية ، واعدت الدراسات والمذكرات اللازمة ، بتعاون كامل من منظمة التحرير الفلسطينية ، ومشاركة متفاوتة من قبل البرلمانات العربية الأخرى التي كان اسهامها في الاتحاد البرلماني العربي ما يزال في مدارجه الاولية .

وواجهت تجربة الحوار مع البرلمانيين الاوروبيين مصاعب ناتجة عن تفاوت معرفة كل منهم بجوانب الصراع في الشرق الاوسط وتباين عواطفهم تجاه الطرفين . وقد كشف المؤتمر عن وجود مفهومات كثيرة مغلوطة لدى الجانب الاوروبي ، وعن جهل شديد لدى بعض المشاركين من الاوروبيين بحقائق الصراع العربي الصهيوني . وبعد مداولات شاقة امكن في النهاية التوصل الى مقررات سياسية واقتصادية وثقافية ذات شأن .

خلاصة مقررات مؤتمر دمشق

☐ أ ـ كان اهم ما قرره المؤتمر على **الصعيد السياسي** :

ـ تنفيذ قرارات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بقضية فلسطين ومشكلة الشرق الاوسط .

ـ الاعتراف بالحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني .

ـ قيام اوروبا بدورها الهام في اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط واتخاذ خطوات تالية لتصريح الدول التسع في ٦ (تشرين الثاني ـ نوفمبر) ١٩٧٣ .

ـ حث جميع البرلمانيين في اوروبا وفي العالم لبذل كل الجهود لتأمين النجاح المنشود لمؤتمر جنيف للسلام .

☐ ب ـ وعلى **الصعيد الاقتصادي** اقر المؤتمر مبادىء اساسية من اهمها .

ـ الترابط الوثيق بين اقتصاديات اوروبا والعالم العربي .

ـ امكان التعاون الواسع من خلال التكنولوجيا الاوروبية والارصدة والمواد الاولية العربية .

ـ ضرورة توسيع التجارة بين البلدين .

ـ ضرورة تزويد اوروبا بكميات كافية من النفط وتلافي زيادات الاسعار عن طريق ايجاد استقرار عام في اسعار المواد الاولية والبضائع المصنعة .

ـ الاقتصاد في استخدام النفط والتعاون لايجاد مصادر بديلة للطاقة .

ـ استثمار الارصدة العربية في اوروبا والبلاد العربية استثمارا خلاقا ، وانشاء مشروعات مشتركة في كلتا المنطقتين .

ـ حق العرب في السيطرة على مصادرهم الطبيعية والمالية والاسهام في القضايا النقدية الدولية .

ـ اعتبار السلم ، وخاصة في الشرق الاوسط ومنطقة البحر الابيض المتوسط ، شرطا أوليا لتحقيق التنمية في العالم العربي واوروبا على حد سواء .

ـ دور التعاون الاقتصادي بين المنطقتين في احلال السلام وتنفيذ قرارات الامم المتحدة المتعلقة بالشرق الاوسط وقضية فلسطين .

ـ ضرورة استئناف الحوار وتوسيعه .

ولم يكن من السهل في إبانه الاتفاق على النقاط السابقة، وقد استغرقت كل نقطة تقريباً وقتاً طويلا ومناقشات مضنية ، كما أثارت بعض النقاط جدلا حاداً بين المندوبين الاوروبيين أنفسهم .

□ جـ ـ وعلى **الصعيد الثقافي** اقر المؤتمر توصيات كثيرة تتعلق بايجاد السبل لتيسير التبادل الثقافي والفني والاعلامي وتعريف كل من الطرفين بتاريخ الطرف الآخر وثقافته والتعاون بين المؤسسات الفكرية والجامعية والاعلامية الاوروبية والعربية .

استمرار الاتصالات والتمهيد لمؤتمر لكسمبورغ

بعد مؤتمر دمشق استمرت الاتصالات مع الجانب الاوروبي ، وقد ساعد على ذلك نشوء جهازين يجمعان كل طرف ، ذلك ان كلا من **الاتحاد البرلماني العربي والرابطة البرلمانية للتعاون العربي الاوروبي** (مقرها باريس) استكملا بالتدريج وضعهما التنظيمي واخذا دورهما الاداري والتنسيقي كل فيما يخصه . وهكذا جرى تنظيم الاتصالات بعد مؤتمر دمشق عن طريق الامانة العامة للاتحاد والامانة العامة للرابطة . وقد عقدت اجتماعات ولقاءات مصغرة بين الاتحاد والرابطة كان ابرزها التقاء الوفود العربية مع اللجنة التنفيذية للرابطة في باريس في نهاية شهر نيسان واوائل شهر ايار من عام ١٩٧٦ على اثر انتهاء اجتماعات مجلس الاتحاد البرلماني الدولي في المكسيك . وتبع ذلك ايضا اجتماع في ايرلندا واتصالات بين الامانتين العامتين ، مما ادى الى وضوح طريق العمل نتيجة لرغبة الطرفين في تطوير البذرة التي بدأت في مؤتمر دمشق التحضيري . وشهد مطلع عام ١٩٧٧ نشاطا مكثفا بهذا الصدد بين الاتحاد والرابطة ، وتبلورت فكرة عقد مؤتمر عام للحوار البرلماني العربي الاوروبي في مقر البرلمان الاوروبي في لكسمبورغ في الفترة الواقعة بين ٢٠ حزيران الى ٢ تموز عام ١٩٧٧ .

وقد تولى الاتحاد البرلماني العربي التنسيق بين الشعب البرلمانية العربية من اجل الاعداد لمؤتمر لكسمبورغ ، وجرى توزيع العمل على البرلمانات العربيـة ، وعقـدت الاجتماعات التحضيرية التالية في دمشق .

☐ أ ـ **اجتماع اللجنة التحضيرية العربية** : خلال يومي ٣٠ نيسان والاول من ايار ، وقد حضرها ممثلون عن الشعب البرلمانية في كل من الاردن ودولة الامارات العربية المتحدة وسورية ومصر وفلسطين والسودان والجمهورية العربية اليمنية ... وعقدت اللجنـة اجتماعات مكثفة فيها اعداد وجهة نظر عربية كاملة ازاء جدول الاعمال وخطوط الموضوعات المقترحة وطريقة تنظيم المؤتمر ، كما جرى اعداد اوراق عمل عربية مشتركة مبنية على اساس الاوراق التي قدمتها مختلف الشعب ، لكي تقدم هذه الاوراق الى اللجان الثلاث في لقاء لكسمبورغ . اللجنة السياسية ، اللجنة الاقتصادية ، اللجنة الثقافية .

☐ ب ـ **اجتماع اللجنة التحضيرية العربية الاوروبية** : وقد عقد هذا الاجتماع فور انتهاء الجانب العربي من اجتماعاته واستغرق يومي ٢،٢ ، ايار ١٩٧٧ ، وحضرته الوفود العربية المذكورة في الفقرة السابقة بالاضافة الى ممثلي الجانب الاوروبي السادة . ريمون اوفروا ، الرئيس المشارك لجمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي ، وتيجل دوكليرك (بلجيكا) ، وفان إلسن (هولندا) وروبرت سوان ، الامين العام للجمعية .

وقد التقى الطرفان العربي والاوروبي في الثاني من ايار في دمشق واستهل الاجتماع بكلمة ترحيبية القاها السيد الرئيس بهجت التلهوني رئيس الاتحاد البرلماني العربي ، والقى السيد ريمون اوفروا الرئيس المشارك لجمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي كلمة عامة تتعلق بالحوار العربي ـ الاوروبي وبالقضايا المشتركة بين اوروبا والوطن العربي .

وقد تابعت اللجنة المشتركة عملها خلال يومي ٢،٣ ايار (مايو) ١٩٧٧ وتداولت في اوراق العمل التي قدمت اليها من الجانبين العربي والاوروبي ،وانتهت الى اتفاق كامل حول الموضوعات التي ستطرح على جدول اعمال مؤتمر لكسمبورغ وعلى طريقة تنظيم عمل المؤتمر ولجانه ، وعلى البرنامج اليومي للمؤتمر ، كما جرى اقرار مواعيد معينة لتقديم الدراسات واوراق العمل ، وأنيط ترتيب كل هذه الامور بالامانة العامة للاتحاد .

☐ ج ـ **اجتماع ما قبل المؤتمر** : كما عقد قبيل المؤتمر اجتماع نهائي في دمشق ضم المندوبين العرب الذين كلفوا بتحضير ورقات العمل السياسية والاقتصادية والثقافية ، وعقدت الاجتماعات في مقر الاتحاد البرلماني العربي وفي مجلس الشعب السوري الذي اسهم بكل امكاناته للتحضير النهائي لأوراق العمل . واسفرت الاجتماعات عن الاقرار النهائي لاوراق العمل العربية في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية .

مؤتمر لكسمبورغ

تم عقد المؤتمر الثاني للتعاون البرلماني العربي الاوروبي في لكسمبورغ في الفترة الواقعة بين ٢٩ حزيران يونيو ـ ٢ تموز (يوليو) ١٩٧٧ ، وكان مستوى الحضور العربي رفيعا ، واتى تمثيل البرلمانات العربية جيدا ، سواء من حيث الكفاءة السياسية او من حيث تنوع

الاختصاص ، اذ ضمت الوفود كفاءات سياسية واقتصادية وثقافية متنوعة ، وانضم اليها عدد من السفراء العرب ومندوبي الجامعة العربية في دول المجموعة الاوروبية .

وحضر من الجانب الاوروبي السيدة لينوليت فون بوثمر والسيد ريمون اوفروا رئيسا جمعية التعاون البرلماني العربي الاوروبي . وقد حضرت وفود من فرنسا وايطاليا وهولندا والمانية الاتحادية وبلجيكا وبريطانيا العظمى ولكسمبورغ . ولم يحضر احد من الدانمرك ولم يعط اي تفسير لذلك . كما ان ممثل ايرلندا السيد فلاناجان هو نائب سابق ومتقاعد . والحقيقة انه كان بين الممثلين الاوروبيين عدد من النواب السابقين . كما ان بعضهم حضروا ليوم واحد وغادروا المؤتمر. وكان من ابرز الاوروبيين السيد كريستوفر ماهيو (بريطانيا) وهو نائب سابق.وقد اسهم اسهاما جيدا في اعمال اللجنة السياسية السناتور ليليو باسو (ايطاليا)، ودنيس ولترز واندرو فولدر (بريطانيا) وجورج كليرفيت وتيجيل دوكليرك (وكلاهما من بلجيكا) والجنرال فان ايلسن (نائب سابق) وكلاس دوفريز (من هولندا) وكانوا جميعا فعالين في المؤتمر .

ووفقا لما جرى عليه الاتفاق خلال اجتماعات اللجنة التحضيرية المشتركة ، عقدت جلسة الافتتاح في الساعة العاشرة من صباح يوم ٣٠ حزيران (يونيو) ١٩٧٧ والقيت فيها الكلمات التالية التي دلت على الطابع الرسمي للاجتماع .

١ ـ كلمة ممثل حكومة لكسمبورغ (وزير الزراعة)
٢ ـ كلمة ممثل البرلمان الاوروبي
٣ ـ كلمة ممثل الجامعة العربية
٤ ـ كلمة ممثل المجموعة الاقتصادية الاوروبية
٥ ـ كلمة رئيس الاتحاد البرلماني العربي
٦ ـ كلمة رئيس جمعية التعاون البرلماني الاوروبي العربي

وقد عقد مؤتمر صحفي عقب جلسة الافتتاح مباشرة .

وخلال جلسات المؤتمر بحثت الموضوعات التالية بناء على اوراق عمل مقدمة من قبل الجانبين العربي والاوروبي .

☐ **اللجنة السياسية**

١ ـ الموقف الراهن في الشرق الاوسط
٢ ـ المبادرات الاوروبية المحتملة للتوصل الى حل عادل لمشكلة الشرق الاوسط .
٣ ـ حماية حقوق الانسان في الاراضي العربية المحتلة
٤ ـ الحوار الاوروبي العربي ومشكلاته

☐ **اللجنة الاقتصادية**

١ ـ المشروعات المشتركة من اجل رخاء البلدان العربية والاوروبية والافريقية
٢ ـ التعاون الاقتصادي الاوروبي العربي

□ **اللجنة الثقافية**

١ ـ نحو برنامج لتحسين التفاهم المتبادل من خلال معرفة تاريخ وحضارة المجتمعين الاوروبي والعربي .

٢ ـ مقترحات لتطوير الصلات الثقافية والاجتماعية بين الوطن العربي واوروبا..

وقد انتهت اللجان الى تحليل واف بالغرض وتوصيات محددة نجلمها فيما يلي .

خلاصة مقررات مؤتمر لكسمبورغ

١ ـ **البيان السياسي** : يرحب المؤتمر البرلماني العربي الأوروبي ببيان الشرق الأوسط الذي اصدره المجلس الاوروبي في التاسع والعشرون من حزيرات (يونيو) سنة ١٩٧٧ ، باعتباره يكشف عن عزم اجتماعي لدى اقطار المجموعة الاقتصادية الاوروبية لان تلعب دوراً بناء في البحث عن السلام وعن خطوة بارزة نحو تسوية عادلة .

ويلاحظ المؤتمر بارتياح أن الاعلام الجديد للمجلس الأوروبي يمضي قدماً باتجاه السياسة التي اقترحتها رابطة التعاون البرلماني العربي الأوروبي على مجلس وزراء المجموعة الاوروبية .

على أن المؤتمر يبدي أسفه لأن بيان المجلس لم ينص بالتحديد على أن وطن الشعب الفلسطيني يجب أن يكون دولة مستقلة ذات سيادة .

ومن خلال ادراك الخطر المرتقب لحرب جديدة لن تقتصر عواقبها غير المحدودة على بلدان الشرق الأوسط بل ستتناول العالم بأسره وأوربا بشكل خاص ، فان المؤتمر يطالب بالعمل السريع والفعال في سبيل ما يلي .

١ ـ انهاء الاحتلال المستمر للأراضي العربية والتأكيد على وجوب قيام جميع الأطراف المعنية بتطبيق مقررات الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن .

٢ ـ ايقاف بناء المستعمرات الاسرائيلية في الاراضي العربية باعتبار أن كل مستعمرة تمثل ركيزة اعداد للحرب .

٣ ـ انهاء الانتهاك الاسرائيلي المستمر لحقوق الانسان وبشكل خاص ممارسة تعذيب السجناء السياسيين .

٤ ـ انهاء الوضع الخطير في جنوب لبنان حتى تتمكن السلطات الشرعية من إعادة السلام والأمن .

وباعتبار أن الأمن الاوروبي يعتمد على السلام في الشرق الأوسط ، فان المؤتمر يدعو الحكومات المعنية للعمل على

أ ـ عقد مؤتمر جنيف في وقت مبكر ، مع مشاركة منظمة التحرير الفلسطينية بوصفها الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني .

ب ـ إقامة جهاز دائم على المستويين الوزاري والبرلماني لتقوية التشاور السياسي من خلال الحوار العربي الأوروبي .

ويتطلع المؤتمر إلى مبادرات أوروبية أخرى باتجاه احلال السلام العادل ، ويعلن تأييده الكامل لمثل هذه المبادرات .

٢ ـ **المقررات الاقتصادية ـ برنامج العمل :** يدعو المؤتمر البرلماني العربي الأوروبي الى اقامة عمل دائم لصالح التعاون الاقتصادي العربي الاوروبي .

ويجب أن يكون الهدف النهائي لهذا التعاون هو الوحدة الاقتصادية الحقيقية لتأمين حياة انسانية أفضل للشعوب العربية والاوربية عن طريق تدعيم السلام والازدهار والعدالة ، وفقا لما جاء في مؤتمر دمشق .

لذلك يحدد مؤتمر التعاون البرلماني العربي الأوروبي ما يلي .

١ ـ يجب أن ينبع التعاون الاقتصادي العربي الأوروبي من رغبة سياسية ، وأن يأخذ بعين الاعتبار المتطلبات السياسية لهذا التعاون . والظروف الضرورية للتطور الاقتصادي تكمن في إيجاد سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط . هذا يعني انهاء حالة الحرب واعادة الأراضي المحتلة من قبل اسرائيل واستعادة الحقوق القومية المشروعة للشعب الفلسطيني ، كما يعني ضمان أمن وازدهار أوروبا .

٢ ـ يجب أن توضع توصيات اللجنة العامة لمؤتمر تونس موضع التنفيذ ، كما يجب زيادة دعم الدول العربية والاوروبية للحوار العربي الأوروبي .

٣ ـ يستلزم الاعتماد والتكامل الاقتصادي المتبادل بين الدول العربية وأوروبا وضع سياسة متوسطة وأخرى طويلة المدى ، بصورة فورية ، لتحقيق التعاون الاقتصادي وذلك بحشد الطاقة البشرية العربية والمواد الأساسية ، والتكنولوجيا والادارة الأوروبية .

٤ ـ كما أنه لا بد للتعاون الاقتصادي العربي الأوروبي من تخطي مستوى التبادل التجاري ، ولهذا فانه ليس من الممكن حصر (أو تحديد) التعاون بالبترول أو أي مواد أساسية أخرى . بل على العكس يجب أن يهدف الى اتاحة الفرصة الكافية للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للدول العربية من خلال المشاريع الصناعية والاسكانية والخدمات الاجتماعية (الخبرات التعليمية ، الصحية ، الفنية ، والادارية) .

كما يجب اتاحة الفرصة لوصول (أو استخدام) التقنية الحديثة في مجالات التعاون الاقتصادي واعتماد الدول النامية عليها في مستلزماتها الاقتصادية والاجتماعية والمحيطية المعينة ، على مختلف مستويات تطورها . (قرار هيئة الأمم المتحدة رقم ٣٢٠٢ الصادر بتاريخ ١ أيار (مايو) ١٩٧٤ . لذلك كانت الاتفاقات الدولية التي تلي الاتفاقات الثنائية تحظى بأهمية كبرى .

٥ ـ يجب دراسة دور وضع الشركات المتعددة الأطراف ، وعلى الأخص بالنسبة للأخطار التي قد تنشأ عن بعض فعالياتها والتي تؤثر على سيادة الدول العربية فيما يختص ببرامجها المعدة للتطوير الاقتصادي ، وفيما يتعلق بمواردها القومية .

ويجب التحضير لفترة ما بعد عصر البترول بالنسبة للدول المنتجة للبترول وذلك بتطوير تركيبها الاقتصادي .

٦ ــ كذلك ينبغي الاهتمام بالدورة المالية للواردات (الدولارات) البترولية ، واستخدامها في إطار تطوير مختلف الدول العربية . كما يجب دمج الاستثمارات العربية في أوروبا والاستثمارات الاوروبية في الدول العربية . في مجموعة ضمانات متبادلة لتحقيق الاعتماد المتبادل بين المنطقتين ، وتوفير الضمانات اللازمة لمناخ ملائم للاستمثارات الخاصة .

٧ ــ يجب تحضير قائمة أولويات لتنفيذ التعاون والتنسيق من خلال المشاريع المشتركة في التطوير الصناعي والتطوير الزراعي الصناعي .

٨ ــ وفي مجال التطوير الزراعي يجب تحقيق التعاون بزيادة الانتاجية في الزراعة وزيادة عدد مزارع تربية الماشية وأحواض الاسماك .

٩ ــ ويجب التحضير لمشاريع التعاون المتعلقة بالبنية التحتية (الطرقات العامة ، السكك الحديدية ، المرافىء) وتسهيلات المواصلات ، والتدريب المهني للقوة العاملة .

١٠ ــ انشاء مشاريع مشتركة لتطوير حقول البترول والغاز الطبيعي الموجود حاليا واستكشاف وتطوير حقول جديدة في الدول العربية والافريقية .

١١ ــ يجب على دول السوق المشتركة أن تقدم للدول العربية التقنية المتقدمة لخلق مناخ ملائم للاستثمارات الأوروبية في الدول العربية . وبهذه المناسبة فان اللجنة توصي بأن تعطى أولوية في هذا المجال لتدعيم الجهد العربي المبذول في إعادة بناء لبنان بالمزيد من التقنية حتى يعود الى حالته الطبيعية في أقصر مدة ممكنة .

توصيات اللجنة الاقتصادية

١ ــ سيجري انشاء لجنة فرعية للجنة الاقتصادية على ان يسمى نصف اعضاء هذه اللجنة من قبل الجانب العربي ، والنصف الاخر من قبل الجانب الاوروبي ، على الا يتجاوز مجموع عدد أعضاء هذه اللجنة الفرعية ستة اعضاء .

٢ ــ تكون مسؤوليات هذه اللجنة الفرعية .

أ ــ اجراء مسح وتقييم لأولويات المشاريع التي يمكن تحقيقها .

ب ــ متابعة تطورات الحوار العربي الاوروبي بما أمكن من الدقة وبشكل انتقادي .

جـ ــ تحضير تقرير مشترك للقاء القادم لرابطة التعاون البرلماني .

٣ ــ لاحظت اللجنة الاقتصادية باهتمام بالغ قائمة الاولويات المرفقة بمسودة التقرير الاقتصادي المقدم من الجانب العربي ، وستقوم باحالة القائمة الى اللجنة الفرعية لبحثها .

٣ ــ **المقررات الثقافية** : وادراكا من اللجنة بأن مجال الثقافة واسع ومتشابك وفي تطور دائم ، فقد ارتأت وجوب اعداد خطتين أولاهما بعيدة المدى ، تحدد الأهداف الرئيسية

التي يجب أن تتخذها الرابطة في الميدان الثقافي . والثانية قريبة المدى تحدد المهام العملية التي لا بد من تنفيذها في المستقبل القريب . وهناك اجماع على ضرورة عقد اجتماع سنوي للجنة على الأقل من أجل متابعة تنفيذ هذه التوصيات .

الخطة البعيدة المدى : ١ ـ تأسيس معهد للدراسات العربية في أوروبا ، يتناول بالبحث والتدريس الجوانب التاريخية القديمة والمعاصرة للعالم العربي والحضارة العربية .

٢ ـ تنظيم محاضرات وأسابيع ثقافية بالتعاون مع السلطات المحلية والجامعات والمدارس وغيرها . لتعميق معرفة كل طرف بثقافة الطرف الآخر .

٣ ـ تشجيع التبادل السياحي بين الطرفين وتنمية وسائل استقبال السواح الأوروبيين في البلاد العربية .

٤ ـ تكوين جمعيات الصداقة بين الطرفين وكذلك تكوين شعب للصداقة العربية الأوروبية في البرلمانات العربية والأوروبية .

٥ ـ تدريس اللغة العربية في المدارس والجامعات الأوروبية وتشجيع تعليم اللغات الأوروبية في المدارس العربية .

٦ ـ تنمية اعلام متوازن عن العالم العربي في البلاد الأوروبية .

٧ ـ نشر الكتب والفهارس والبحوث التي تتعلق بالحضارتين العربية والأوروبية وعلاقاتهما المتبادلة وترجمة الكتب الأوروبية التي تبحث في اسهام الثقافة العربية في الحضارة المعاصرة .

٨ ـ إعادة النظر في الكتب المدرسية التي يصدرها كل من الطرفين حول الطرف الآخر والعمل على تصحيح المعلومات واستبعاد التحامل والأحكام السلبية .

٩ ـ اتخاذ جميع الاجراءات الممكنة للمحافظة على التراثين الأوروبي والعربي .

١٠ ـ تشجيع تبادل الزيارات بين الطلاب ومنظمات الشباب والأساتذة والباحثين ورجال الفن والمهن والعمال والمنظمات النسائية .

١١ ـ العمل على حماية حقوق المهاجرين العرب والأوروبيين .

الخطة القريبة المدى : ١ ـ تكوين جمعيات برلمانية للصداقة بين الطرفين كلما أمكن ذلك أو على الأقل محاولة زيادة عدد الأعضاء في الشعب الوطنية لجمعية التعاون البرلماني العربي الأوروبي .

٢ ـ على الرابطة أن تتصل بمنظمة اليونسكو لتدعوها إلى شن حملة لانقاذ التراث الثقافي الفلسطيني المعرض للدمار .

٣ ـ أن تعمل سكرتارية الرابطة على نشر دليل عن الجامعات والمعاهد الأوروبية التي تهتم بالأدب العربي ودراسة اللغة العربية .

٤ ـ أن توصي الرابطة السلطات الأوروبية والعربية على كل المستويات (وطنياً

واقليميا) باتخاذ جميع الوسائل لحماية حقوق جماعات العمال المهاجرين ولقمع جميع أعمال العنصرية والتعصب الأجنبي .

٥ ــ أن تعمل أمانة سر اللجنة الثقافية على عقد الصلات مع منظمات الشباب الأوروبية ، مثل مجالس ومنظمات الشباب الأوروبي ، وفروعها الأقليمية ، ومجلس اللجان الوطنية للشباب الأوروبي ، ومنظمات التعليم ودعوتها الى تنظيم تبادل الزيارات مع الشباب العربي .

٦ ــ بالنظر للدمار الخطير الذي تعرضت له المؤسسات الثقافية في لبنان ، فان اللجنة تدعو الحكومات والمؤسسات العربية والأوروبية لتساعد بسرعة وبسخاء لاعادة بناء المؤسسة الثقافية اللبنانية وتقويتها .

٧ ــ تدعو اللجنة الثقافية الرابطة لأن تحدد بأقرب مدة ممكنة ثلاث أفضليات تمثل المسائل الأساسية التي يجب أن تشكل جدول أعمال الاجتماع القادم للجنة الثقافية المقرر لعام ١٩٧٨. ويجب أن تدرس هذه البنود من قبل الشعب العربية والأوروبية قبل القدوم الى الاجتماع . وتوصي اللجنة بأن يكون أحد بنود الاجتماع متابعة وتقييم الخطة القصيرة المدى المتضمنة في هذا التقرير .

تقييم للمؤتمر ونتائجه

□ أ ــ كان المؤتمر من حيث المبدأ خطوة مهمة في مجرى الحوار العربي الأوروبي بوجه عام ، وخطوة حاسمة في مجرى التعاون البرلماني بوجه خاص . وقد كان هناك مغزى سياسي كبير .

□ ١ ــ لعقد المؤتمر في مقر البرلمان العربي الأوروبي في لكسمبورغ .

□ ٢ ــ لحضور ممثلين عن حكومة لكسمبورغ من جهة والمجموعة الأوروبية من جهة أخرى .

□ ٣ ــ لطبيعة الكلمات التي ألقاها هذان الممثلان ، وهي بوجه عام لا تتعارض مع وجهة النظر العربية وفيها تنويه بالمبدأين الأساسيين اللذين يستند إليهما الموقف العربي وهما . الانسحاب الاسرائيلي وحق الفلسطينيين في وطن قومي .

وبالطبع هذه الامور تكون تحصيل حاصل لو أن الحوار يجري اصلا مع البرلمانات الأوروبية نفسها ، ولكن أهميتها تنبع من أن جمعية التعاون البرلماني هي التي تتولاه ، وتفسير ذلك ان الحوار يتجه وجهة رسمية تمثيلية أي أن الحكومات الأوروبية تنظر بارتياح إلى هذا الحوار ، وربما كان لديها استعداد لتطويره بحيث تصبح مشاركة برلمانات دول المجموعة الأوروبية فيه مشاركة رسمية تمثيلية لا مشاركة طوعية شخصية كما هو الحال الآن .(*) .

---

* تجري في الوقت الحاضر اتصالات مبدئية لاستئناف الحوار البرلماني على أساس تمثيلي ولا سيما مع المجلس الأوروبي .

☐ ب ــ اكتسب المؤتمر أهمية سياسية كبيرة بسبب ظهور بيان لندن في التاسع والعشرين من حزيران (يونيو) ١٩٧٧ اي في العشية التي سبقت انعقاد المؤتمر . وقد تضمن هذا البيان لاول مرة احكاما من دول السوق الاوروبية المشتركة على ضرورة الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة وعلى ضرورة قيام الوطن الفلسطيني ، وكذلك استنكر سياسة اقامة المستعمرات الاسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة، ويعتبر هذا البيان مهما بوجه خاص لانه كان معدا منذ عدة شهور ــ حسبما اوردت الانباء ــ ولم يصدر الا بعد مشاورات طويلة بين الحكومات الاوروبية وكذلك مع الولايات المتحدة الاميركية .

☐ جـ انتهت اللجان الثلاث في المؤتمر إلى مقررات اجماعية ذات نغمة معتدلة جداً ، وروعي في المقررات أن تكون عملية وغير استفزازية وغير مضخمة .

قد راعت اللجنتان الاقتصادية والثقافية بوجه خاص النواحي العملية وطالبتا بتشكيل لجنة متابعة وتنفيذ للمقررات وهذا يدل على وجود الرغبة الصادقة في مباشرة العمل المشترك .

☐ د ــ من ايجابيات المؤتمر الاساسية أن الوفود العربية انطلقت من خلال المذكرات التي أعدت أثناء الاجتماعات التحضيرية ولم تخرج غالباً عن هذه المذكرات ، وبدت موحدة الموقف والهدف ومنسقة التخطيط والتحرك . ولم يفت المندوبين أن يلاحظوا هذا الامر، بينما كان الجانب الاوروبي يعتمد على مساهمات شخصية وظهرت أوراقه موسومة بتواقيع شخصية ، ولم تكن صفتها التمثيلية قوية وإن لم يظهر في المؤتمر أي خلاف بين الأوروبين فيما يتعلق بالمجالين الاقتصادي والثقافي .

وقد جرت بعد مؤتمر لكسمبورغ استعدادات عربية وأوروبية واسعة لمتابعة الحوار والبدء بدراسة اساليب تنفيذ مقررات هذا المؤتمر . وشكل الجانب العربي لجانا خاصة لهذا الغرض ، اجتمعت في ابو ظبي في شهر ايار (مايو) ١٩٧٨ ، وعملت على وضع برنامج عمل محدد تمهيدا للالتقاء مع اللجان الاوروبية المقابلة . ولكن التطورات السياسية اللاحقة التي ادت الى توقيع السادات لمعاهدة الخيانة والاستسلام وما تبع ذلك من خروج النظام المصري على الصف العربي ، كل ذلك وضع الحوار البرلماني امام صعوبات كبيرة وادى الى اعاقة مسيرته . ومن المأمول ان يتم في مجلس الاتحاد البرلماني العربي القادم الذي سيعقد في مطلع العام ١٩٨٠ وضع استراتيجية جديدة للحوار .

افاق الحوار البرلماني

وبعد هذا العرض لا بد ان يطرح الانسان اسئلة من مثل . اين يقف الحوار البرلماني من الحوار العام؟ ما هي اولوياته؟ وما هي آفاقه ؟

☐ ١ ــ الامر الاول الذي لا بد من تذكره باستمرار ان الحوار البرلماني لا يمكن ان يكون بديلا للحوار الرسمي ولا عملا مستقلا عنه . بل هو رافد من روافد الحوار العام . ومن هنا كان من الضروري متابعة الاتصال بتطورات الحوار الرسمي والتنسيق معه ومعرفة النواحي التي يستطيع الحوار البرلماني ان يسهم فيها . ولكي يتحقق هذا الامر يحسن ان

يكون للاتحاد البرلماني العربي حضور (بصفة مراقب) في الاجتماعات الرئيسية للحوار الذي تديره الجامعة العربية(*) .

☐ ٢ ـ يختلف الحوار الرسمي عن الحوار البرلماني . ومن طبيعة الحوار البرلماني انه غير ملزم للحكومات وان كان يشكل عنصر ضغط عليها .

ومن هنا يمكن استخدام الحوار البرلماني لاثارة حملات تمهيدية لصالح تثبيت المسائل التي يرى الجانب العربي ضرورة اعطائها الاولوية . ذلك ان الحوار البرلماني يستطيع ان يستقطب مجموعات ضاغطة من البرلمانيين يمكن ان تمهد السبيل امام الضغوط الرسمية كأن تجري حملة مثلا لصالح إقناع البرلمانيين الاوروبيين بالحقوق الراسخة للشعب العربي الفلسطيني او بضرورة توقيع اتفاق للتعاون التكنولوجي او غير ذلك .

☐ ٣ ـ ان التنسيق لا يعني ان اولويات الحوار الرسمي هي بالضرورة اولويات الحوار البرلماني . ذلك ان الحوار البرلماني يتمتع بمجال واسع من الاختيارات السياسية والاقتصادية وبامكانه ان يقوم بأدوار نوعية خاصة،اي ان يبحث عن الثغرات الضعيفة ويحاول النفاذ من خلالها . واعتمادا على هذا المنطق مثلا لا يكون من الخطأ القبول التكتيكي باعطاء النواحي الاقتصادية في الحوار نوعا من الافضلية ومحاولة المضي منها فيما بعد الى طرح المسائل السياسية ما دامت النواحي الاقتصادية تستأثر باهتمام البرلمانيين الاوروبيين وتعطيهم فرصة إرضاء الناخبين . ويعتمد ذلك كله بالطبع على وضوح خطة الحوار الرسمي والتنسيق مع المسؤولين عن الحوار في الجامعة العربية .

☐ ٤ ـ تختلف روح الحوار البرلماني عن روح الحوار الرسمي . ذلك ان الحوار البرلماني هو مطارحة مفتوحة غير ملزمة ، ومن المفيد له ان يظل بعيدا عن آلية المماحكة بين طرف وطرف ، وبذلك يظل الشعرة التي لا تنقطع من جهة ، ويعطي للعرب فرصة كسب أصدقاء من جهة اخرى . اي ان قيمته الاقناعية والدعاوية تظل عالية بصرف النظر عن طبيعة النتائج التي يتوصل اليها . فمثلا فرصة عقد المؤتمر الثاني للحوار البرلماني في مقر البرلمان الاوروبي في لكسمبرغ كانت مناسبة طيبة لعرض وجهة النظر العربية وابراز رغبة العرب في العمل المشترك مع اوروبا من اجل تثبيت الامن والسلام في المنطقتين العربية والاوروبية وعلى مستوى الانسانية بأسرها وذلك بصرف النظر عن القيمة العملية للنتائج التي تم التوصل اليها .

☐ ٥ ـ ان دخول اللجنة الاقتصادية للمجموعة الاوروبية طرفا مشاركا مع الرابطة البرلمانية للتعاون العربي الاوروبي ، يعتبر تقدما ملموسا في اتجاه حوار برلماني افضل . ذلك ان الاتصالات البرلمانية السابقة كانت تتم عن طريق الرابطة ، وهي جمعية ناشطة وصديقة ومتفهمة لوجهة النظر العربية ، وتضم في عضويتها حوالى اربعمئة برلماني من دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية ، ولكنها ليست ذات صفة تمثيلية ، وعضويتها اختيارية .

---

* قام الاتحاد البرلماني بمحاولات سابقة لتامين مشاركته ولكن المحاولات لم تتمر وقيل وقتذاك ان الجانب الاوروبي لا يرغب في فتح المجال للأعضاء المراقبين . في حين أن الاتحاد يحرص على دعوة الجامعة العربية الى مؤتمراته .

والحق ان الرابطة تتعاون مع الاتحاد البرلماني العربي بروح ايجابية من اجل التوصل الى صيغة برلمانية عربية من خلال الاتحاد البرلماني العربي والبرلمان الاوروبي . اي من خلال مؤسستين تمثيليتين . كما انها تتعاون مع الاتحاد لاقامة الاتصالات مع جميع الجهات ذات الشأن في الحياة البرلمانية الاوروبية . من ذلك مثلا ما تقوم به الرابطة ، حالياً ، من محاولة لعقد اجتماع لتبادل الآراء بين وفد من المجلس الوطني الفلسطيني ومجموعة من البرلمانيين الاوروبيين في إحدى العواصم الأوروبية (ستراسبورغ) على الارجح .

□ ٦ ـ وغني عن القول ان الضمانة الاساسية لنجاح الطرف العربي في الحوار البرلماني هو اعتماد هذا الطرف على الدراسة والبحث والعمل العلمي الجاد من جهة ، وحسن اختياره لممثليه من جهة اخرى ، ويحسن ان يكون ممثلون ثابتون يتولون متابعة الحوار باستمرار ، لان مادة الحوار تتضخم بعد كل لقاء ولا بد من ان يبني بعضه على بعض ليودي الى النتائج المنشودة .

وفي الختام يظل صحيحا ـ كما ذكرناه في مطلع هذه الدراسة ـ ان الحوار البرلماني العربي الاوروبي هو قناة من اقنية الاتصال العالمي ، ولا بد من رفده بفتح قنوات حوار اخرى مع مناطق مختلفة من العالم . ويظل امتحانه الاول والاساسي هو مقدرة الطرف العربي على التحرك الموحد وتجاوز التعامل المنفرد مع الاطراف الاوروبية الى نوع من التعامل الشامل على مستوى المنطقتين ، وعند ذلك يمكن ان يتحول الحوار الى اداة فعالة لخدمة المنطقتين العربية والاوروبية ، وكذلك للاسهام في قضايا التعاون الدولي والسلام العالمي .

سهيل عامر

الدعاية الصهيونية واليهود السوفيات

شهدت السنوات العشر الماضية حملة صهيونية واسعة معادية للدول الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفياتي تمثلت بسيل من الكتب والمقالات والمعارض والافلام السينمائية التي يشرف عليها قسم الدعاية التابع للمنظمة الصهيونية العالمية ولدولة اسرائيل . وفيها تدعو الدوائر الامبريالية والصهيونية الى وضع حد للحملة الدعائية المعادية للسامية ، التي تشنها جميع وسائل الاعلام في « الاتحاد السوفياتي ضد يهود روسيا كشعب وكافراد »[1] ، تحت ستار الدعاية المناهضة للصهيونية واسرائيل .

وتوجه الدعاية الصهيونية هجومها الايديولوجي والتخريبي ضد سياسة الحكومة والحزب السوفياتيين ، وتشهر بالعلماء والساسة البارزين من السوفيات ، الذين يمثلون ويوجهون النشاط الفكري في بلادهم ، ويفضحون في تصريحاتهم وكتاباتهم الجوهر الرجعي للصهيونية . ومن بين الساسة والكتاب والصحفيين ، يوري ايفانوف الذي أصدر الكتاب المعروف « احذروا الصهيونية » ، والعالم الاختصاصي يفجيني يفسييف ، وكتابه « الفاشية تحت النجمة الزرقاء » ، ومساهمته في تحرير الدراسة الهامة التي اصدرها قسم الفلسفة التابع لاكاديمية العلوم السوفياتية والتي حملت عنوان « الصهيونية العالمية — ايديولوجيتها وممارساتها . » ، وجملة مقالات المعلق السياسي البارز في صحيفة البرافدا فلاديمير بولشكوف ، ومؤلف « غزو بلا سلاح » ، و « الثورة الزاحفة المضادة » ، فلاديمير بيجون ، ومقالات المعلق السياسي في جريدة « البرافدا » وعضو اللجنة المركزية للحزب اشيوعي السوفياتي يوري جوكوف ، وفاليري ايميليانوف ومحاضراته في جمعية « المعرفة » ، وكتابات العالمة السوفياتية البارزة غالينا نيكيتنا ، ومؤلفات مدجريان ومادجريسكايا وسكورلاتوف وسيميونيك ومينشكوف ، وغيرهم من العلماء والساسة السوفيات ، المختصين في دراسة أوضاع اسرائيل والصهيونية التي جعلت في قاموسها السياسي ، مرادفا لمعاداة السامية ، كل فضح لايديولوجيتها العنصرية وكل وقوف ضد الاعتداءات الاسرائيلية المتكررة ضد الشعوب العربية .

ان الة الدعاية الصهيونية تصرف مئات الملايين من الدولارات والاف الاطنان من الورق وتسخر جهازاً بشرياً ضخماً من الصحافيين والعلماء ورجالات الدولة . وتنشط عبر وسائل الاعلام الامبريالية وفي دوائر المنابر والمنظمات الدوليه ضد البلدان الاشتراكية ، والشعوب العربية ،. وكما تشير معلومات المصادر السوفياتية . فان قسم الدعايه والاعلام التابع للمنظمة الصهيونية العالمية . يوظف بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مليون دولار ضد الاتحاد السوفياتي والبلدان الاشتراكية .

رب سؤال يتبادر للذهن لماذا اكتسبت المعركة الايديولوجية الصهيونية في السنوات الاخيرة احد اعنف اشكالها ؟ .

ان الجواب على هذا السؤال نجده في التاكيد على الحقائق التالية

الاولى : دخول قضية الشعب الفلسطيني الضمير السياسي العالمي . وبالذات التقدمي منه ، واتساع الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب العربي الفلسطيني . هذا الاعتراف الذي جاء تكريساً للنضال المتفاني والمتعدد الجوانب للثورة الفلسطينية داخل الاراضي المحتلة وخارجها على الصعيدين العربي والدولي .

والثانية : اتساع ادانة اسرائيل والصهيونية العالمية في المؤتمرات والمنابر الدولية . وقمةهذه الادانة جاءت في القرار التاريخي الذي اتخذته هيئة الامم المتحدة في ١٠ تشرين الثاني ١٩٧٥ ، الذي اعتبر الصهيونية شكلاً من اشكال العنصرية والتمييز العنصري . وقد كان للوفدين الفلسطيني والسوفياتي الدور الحاسم في صياغة هذا القرار .

والثالثة : الدور الخطير الذي تلعبه الصهيونية في الصراع العربي ــ الاسرائيلي ، وما يتركه هذا الصراع من انعكاسات على مجرى الصراع العالمي بين قوى التقدم والرجعية. ذلك لان خطر الصهيونية ليس محصوراً في اطار دولة اسرائيل ، بل يتعداها ليساهم بدور فعال في الاستراتيجية العالمية للامبريالية المناهضة للحركة الثورية العالمية .

والرابعة : ازدياد دعم نضال الشعب الفلسطيني من قبل دول المنظومة الاشتراكية مادياً ، ومعنوياً ، ضد اسرائيل ، وتاكيد هذه الدول على عدالة هذا النضال ومساندتها للحقوق الوطنية لهذا الشعب ، بما فيها حقه في اقامة دولته الوطنية المستقلة .

والخامسة : افلاس الدعاية الاسرائيلية ودعاية المنظمات الصهيونية في الخارج ، في تصوير اسرائيل دولة صغيرة تنشد الامن والسلام ، وسط محيط من الكراهية والتخلف ، وباعتبارها (وهذا هو الشيء المهم بالنسبة لتعاملها مع اليهود) مركزاً لـ « اليهودية العالمية » . الأمر الذي يقتضي جمع يهود« الشتات » بعد سلخهم عن مجتمعاتهم التي اندمجوا فيها ، ومن ثم تجميعهم ضمن حدود دولة اسرائيل القابلة للتوسع والاستيطان . فالى جانب شعار الصهيونية التقليدي الذي تقلص دوره « يهود الشتات يحتاجون الى اسرائيل » ، طرحت المؤتمرات الصهيونية الاخيرة ، ابتداء من المؤتمر السادس والعشرين تحديداً ، الشعار الجديد « دولة اسرائيل تحتاج الى يهود الشتات » ، ومن الملاحظ ان المنظمات الصهيونية تركز على الشعار الجديد بنشاط وقلق . ذلك لانها تدرك ، تمام الادراك ، ان خزان الهجرة اليهودية الى اسرائيل بدأ ينضح . فيما اخذت الهجرة المعاكسة بالازدياد . وافضل شاهد

على ذلك ما يقوله وزير خارجية اسرائيل السابق يغئال الون ، حين يؤكد ان المشكلة تنبع من « ان الهجوم على الصهيونية يتزامن وانكفاء ثقة اسرائيل بنفسها حتى الحد الادنى من الجزر ، فالهجرة الى البلاد تتضاءل والهجرة منها تزداد »[٢] .

والسادسة : ان حل القضية القومية الذي نهضت به ثورة اكتوبر الاشتراكية السوفياتية ، بما فيها ايجاد حل لقضية السكان اليهود ، والقضاء على جذور « معاداة الساميه » وفتح المجال واسعا امام اليهود السوفيات للاندماج الطوعي في المجتمع الاشتراكي . هذا الحل يحمل في طياته اشمل مساهمة لاجهاض الافكار الايديولوجية الصهيونية ، وتحطيم كثير من احلامها ومشاريعها التوسعية ، لا عن طريق معالجاته العملية والعلمية لمسالة القوميات فحسب ، بل بحرمان المخططات الصهيونية الكولونيالية من الاحتياط البشري الذي تتصوره في اليهود السوفيات .

امام هذه الحقائق ، تعمل الدوائر الصهيونية ، بصعوبة ، من اجل الا تؤثر هذه المعطيات على يهود العالم ، وبالذات على يهود الاتحاد السوفياتي ، لان الاكثرية منهم قطعت شوطا في الاندماج في المجتمع الاشتراكي .

هذه الحيثيات كلها تسبب قلقا جديا لاسرائيل وللصهيونية، وتشكل خطرا كبيرا على مستقبل الهجرة الى اسرائيل ، خصوصا ان الهجرة كانت ، وما تزال ، الشعار الرئيسي للصهيونيين الساعين لانشاء دولة « نقية عنصريا » . وهم يركزون على جمع اصحاب الاختصاصات العالية من اليهود ، لتشغيلهم في القطاعات الاقتصادية والثقافية والعسكرية الهامة، بينما يستعملون المهاجرين اليهود الذين لا يحملون اختصاصات عالية لحما للمدافع الاسرائيليه ، في معركتهم العدوانية ضد الشعوب العربية المجاورة . وامام ما تقدم من الحقائق ، التي تقف عائقا جديا امام الاستراتيجية الصهيونية ، يعمل الصهيونيون والاسرائيليون على عدة محاور ، على الصعيد الدولي ، لكي يوظفوا كل ما لديهم من احتياطات بشرية، يهودية وغير يهودية ، من اجل تنفيذ الاهداف المطروحة من قبلهم في كل مرحلة من المراحل التاريخية .

ويهمنا هنا تسليط بعض الاضواء على محور نشاط الحركة الصهيونية المعادي للاتحاد السوفياتي ، وعلى اسباب هذا النشاط ، وأدواته واهدافه . وكما هو معلوم ، فان البورجوازية الصهيونية وقفت ، قبيل انتصار ثورة اكتوبر الاشتراكية السوفياتية وبعده ، موقفا معاديا ، لانها وجدت في هذه الثورة عدوا يهدد مصالح البورجوازية اليهودية التي كان لها موقع هام في مجمل الحياة الاقتصادية والسياسية لروسيا القيصرية . كما ان ثورة اكتوبر هزت جذور العداء القومي والطبقي من أساسها ، وفتحت المجال واسعا امام هذه الشعوب ، من القوميات المختلفة للتعايش في ظل المساواة والسلام . وفي هذا وحده ضربة موجعة لأهم دعائم الفكر والنشاط الصهيونيين .

والجدير بالذكر ، ان الاتحاد السوفياتي هو اول بلد في العالم اصدر قانونا حرم فيه العداء للسامية ، ففي ٢٥ تموز ١٩١٩ ، اصدرت السلطات السوفياتية مرسوما خاصا جاء فيه « تامر مفوضية الشعب جميع سوفييتات النواب ، باتخاذ الاجراءات الحاسمة للقضاء

على جذور حركة العداء للسامية . ويعتبر كل من يدبر الاعتداء على اليهود او يحرص على ذلك شخصا خارجا على القانون »(٣٣) .

لقد اثارت هذه المواقف المبدئية غيظ الصهيونيين الذين بدأوا ينشطون عمليا من اجل ترجمة مقررات المؤتمر السري الذي عقدوه في موسكو في ٢ أيار ١٩١٨ ، وحضره ممثلون عن بتروغراد ، وموسكو ، ومينسك وفورونيج وفولغاغراد وريبنسك وساراتوف واستراخان واركوتسك واريول وكازان وتولا وكوز لوف وكالوغا ودويروفكا وبوريسوفاغليسك وسامارا وريزان ، وغيرها من المدن السوفياتية الرئيسية . ففي ذلك المؤتمر القي تقرير جاء فيه « الصهيونية هي الانشاء والبعث ، والاشتراكية هي الدماء والانحلال : الصهيونية هي السلام ، والاشتراكية هي العداوة : الاشتراكية تضع الصهيونية على مفترق طرق . وعليه ليست الصهيونية والاشتراكية قطبين نقيضين وحسب بل هما ايضا عنصران ينفي احدهما الآخر كليا »(٤) .

وهذا ما حدث فعلا ، عندما اخذ الصراع منذ البداية شكله المصيري في تلك الفترة ، لم يكن ثمة مجال للمساومة . هناك خياران لا ثالث بينهما اما الانضمام الى معسكر الثورة والمساهمة في بناء النظام الجديد . واما الانضمام الى معسكر اعداء الثورة . ولقد كان من الطبيعي ان يجد الصهيونيون موقعهم مع اعداء النظام الاشتراكي من جنرالات الحرس الابيض دينيكين وتيلور ! وقد شهدت الحرب الاهلية انذاك ، مساهمة نشيطة من قبلهم ، من اجل اعادة عجلة التاريخ الى الوراء الى نظام الاوتوقراطية القيصرية ، والى سياسة القهر القومي والطبقي ، والى سياسة العداء للسامية .

فبهذا الصدد اشار أحد زعماء الحركة الصهيونية في روسيا القيصرية صموئيل باسمنيك في كتابه المكرس لدراسة الثورة الاشتراكية وعلاقتها باليهود « لقد حصلت انكلترا على حق الانتداب على فلسطين ، كنتيجة للحرب العالمية لكي تساعد اليهود في اقامة وطن قومي هناك . ولكن تحقيق الحلم الصهيوني مستحيل بدون المساعدة الاقتصادية والمعنوية من قبل اليهود الشرقيين ، لا سيما يهود روسيا . وانا نبهت ، منذ البداية ، الى انه نتيجة البلشفية سيفقد اليهود الروس طاقتهم بشكل لا يستطيعون معه ، بعد ذلك ، تقديم المشاركة لبناء فلسطين اليهودية » . ويتابع باسمنيك ، الذي عرف بانه من احد انشط المعاونين للجنرال دينيكين قائد الحرس الابيض « ان اليهودية نظرية معادية للبلشفية من كل النواحي ، فباعتبار ان اليهود يعتمدون ويرتكزون على التربة اليهودية التاريخية ، فان عليهم واجب النضال ضد البلشفية لاسقاطها . وخلال فترة وجود البلاشفة على رأس الحكم ستعيش الصهيونية في حالة خمول ، وستكتفي باحتياطي اليهود الاميركيين فقط ... »(٥) .

على الرغم من انتصار ثورة اكتوبر على اعدائها المحليين ، استمرت الاحزاب الصهيونية ، وبالذات حزب بوعالي تسيون (عمال صهيون) ، بالنشاط تحت شعارات مختلفة ، الى ان تم القضاء نهائيا على أخر تنظيماتها في عام ١٩٢٠ . امام هذا الواقع ، لجأوا للتدخل الخارجي في شؤون اليهود السوفيات ، عن طريق تأسيسهم للجان متعددة مختصة في الخارج ، موظفين في ذلك الرصيد المادي والاعلامي الضخم المتوفر لديهم . وكل هذا من اجل خلق مشكلة ما يسمى بـ « المسألة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

أدوات وأساليب الدعاية الصهيونية : لسنا هنا في معرض التحليل التفصيلي بشأن العداء المستشري بين الصهيونية والاشتراكية اثناء الثورة وبعدها . فقد كتب الكثير في هذا الموضوع ، وأن ما يهمنا التأكيد عليه هو ان النشاط الصهيوني ضد البلدان الاشتراكية وخصيصا ضد الاتحاد السوفياتي اخذ يرتدي معاني جديدة في السنوات الاخيرة . ويقود هذا النشاط وما يزال اللجان المختصة المنبثقة عن اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية . ولعل اهم هذه اللجان الفرع الامبركي « بناي بغريت » (ابناء العهد) ،ثم روابط الدفاع عن اليهود في البلدان الاشتراكية،التي تتخذ مراكز لها في نيويورك وبروكسل وفيينا ولندن وتل ـ ابيب . والتي تخوض حربا صليبية ضد الاتحاد السوفياتي . ومنذ عام ١٩٥٩ ، اجتمع زعماء الطائفة اليهودية في الولايات المتحدة مع الرئيس الامبركي ايزنهاور ، وطلبوا منه ان يتناول في مباحثاته مع الزعماء السوفيات « وضع اليهود السوفيات » . وقد ابدى الرئيس ايزنهاور كل الاستعداد ، ووعدهم « بان كل طلباتهم سوف تتحقق »[٦] . وبعد سنتين من هذه المقابلة نظم الفرع الامبركي « بناي بغريت » « رحلة سياحية » لمئة شخص من اجل زيارة الاتحاد السوفياتي . وتبين بعد الزيارة ان قادة هذه المجموعة اجروا المباحثات الضرورية ، وجمعوا المواد اللازمة لدراسة وضع اليهود السوفيات عن كثب . وبعدها بدأت تقام ، منذ عام ١٩٦٢ ، في الولايات المتحدة وخارجها الندوات والمؤتمرات حول ما يسمى بـ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

وفي خريف ١٩٦٣ طالب المشرفون على « المؤتمرات اليهودية » ، من الرئيس كندي ، ان يجعل من « وضع اليهود السوفيات » مشكلة دولية تشغل الرأي العام العالمي ، وتحتل الصفحات الاولى في الجرائد الامبركية . ولقد كان في طليعة المبادرين لدراسة هذه المسألة ارثور غولدبرغ الممثل السابق للولايات المتحدة في هيئة الامم المتحدة . والسيناتور جاكوب دايفيس ، وغيرهما من الشخصيات السياسية الامبركية الشهيرة . الا ان اغتيال الرئيس الامبركي كندي في دالس ، حال دون دراسة القضية مع المراجع السياسية العليا في البيت الابيض ورسم الخطط اللازمة لذلك .

وفي فترة حكم الرئيس جونسون ، وجد زعماء الحركة الصهيونية الظروف اكثر ملاءمة لطرح الموضوع معه ، بعد ان اجتمع اكثر من ٢٥ منظمة صهيونية امبركية في جمعية عمومية ، تم فيها تأسيس « المؤتمر اليهودي لدراسة وضع اليهود السوفيات » وتمكن ممثلو هذا المؤتمر من مقابلة الرئيس الامبركي في السابع من نيسان ١٩٦٤ ، حيث ناقشوا اقتراحاتهم وطلباتهم[٧] . ومنذ ذلك الحين ، بدأت هذه المسألة تقفز الى الصفحات الاولى في الصحف الامبركية الاساسية ، وبدأت تظهر برامج خاصة في الاذاعة والتلفزيون عن هذا الموضوع .

إلا ان نشاط الحركة الصهيونية واسرائيل بدأ يظهر علانية ويأخذ شكله التخريبي في اواخر الستينات ، بعد ان قطعت معظم البلدان الاشتراكية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، باستثناء (رومانيا) على اثر الحرب العدوانية ضد الدول العربية في عام ١٩٦٧ .

ففي كانون الاول عام ١٩٦٧ مثلا ، انبرت صحيفة « هآرتس » لمهاجمة الاتحاد السوفياتي لموقفه الذي اتخذه ضد الاعتداءات الصهيونية على كل من مصر وسوريا والاردن ، وقام مراسل هذه الصحيفة بتوجيه الشتائم الى الاتحاد السوفياتي والى الحركة الشيوعية ، وقد

جاء في معرض حديثه حول هذا الموضوع « ان على اسرائيل ان تكون بمثابة الشوكة القاسية التي يتكون حولها بالتدريج ، الصديد في جسم الحركة الشيوعية »(٨) .

وفي شباط عام ١٩٧٠ ، وجهت غولده مائير رئيسة وزراء اسرائيل نداء الى يهود العالم والى الدوائر الامبريالية الغربية،للقيام «بحملة شاملة»ضد الاتحاد السوفياتي.وعلى اثر هذا كثف الصهيونيون نشاطهم ، ودعوا الى مؤتمر عالمي عقد في بروكسيل بين ٢٢ و ٢٥ شباط عام ١٩٧١ ، شارك في اعماله ٨٠٠ مندوب ، كانوا يمثلون ٢٩ منظمة صهيونية تعمل في اطار الولايات المتحدة وبلدان اوروبية وغربية اخرى ، عدا المندوبين الذين مثلوادولة اسرائيل . ومن المنظمات التي تمثلت في المؤتمر« المؤتمر اليهودي ـ الاميركي » ، و« الفرع الاميركي النقابي للهستدروت » و« بناي بغريت » . و« نساء بناي بغريت » و الكونغرس الاميركي للحاخامين الاميركيين ، والتنظيمات النسائية الصهيونية « مزراحي » و « هداسا » و المجلس القومي للنساء اليهوديات ، والنساء الطليعيات ، والمجلس الارثوذكسي اليهودي الاميركي ، والحلقات العمالية ، والاتحاد الصهيوني الاميركي وغيرها . وكان شعار المؤتمر الاساسي « صيانة اليهود السوفيات » ووضع المؤتمر امامه مهمات كثيرة يمكن ان نلخصها بالشكل التالي

١ ـ تشجيع القيام بالحملات المعادية للشيوعية التي تنص عليها الجبهة المشتركة للدول الأعضاء في حلف الناتو .

٢ ـ تصنيع وتسويق الافتراءات حول ما يسمى بـ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي .

٣ ـ الاشراف على النشاط التخريبي للصهاينة في البلدان الاشتراكية .

٤ـ مساعدة اجهزة التجسس التابعة للولايات المتحدة ، وتلك التابعة لدول الناتو في جمع المعلومات الاقتصادية والسياسية والعسكرية عن الاتحاد السوفياتي ، وفي دول المنظومة الاشتراكية الاخرى ، بالاعتماد على الامكانيات الشرعية وغير الشرعية .

وقد طلع المؤتمر بقرارات تندد بسياسةالاتحاد السوفياتي القومية ، ووجه نداء الى يهود العالم للقيام بمظاهرات حول السفارات السوفياتية ، واقامة المؤتمرات والندوات الايديولوجية المناهضة للسوفيات ، واصدار الكتيبات ، والمقالات والمنشورات حول وضع اليهود المؤلم في ظل نظام « الستار الحديدي » وقد تأسست لهذا الغرض دار نشر خاصة في الولايات المتحدة تابعة « للاتحاد الصهيوني الاميركي » . ووضعت امامها مهمة اساسية وهي دراسة « المسالة اليهودية في الاتحاد السوفياتي » . ان بعض الكتيبات والنشرات التي تحمل طابعا معاديا للسوفيات توزع بأكثر من مليون نسخة ، وهذا من الاشياء النادرة والباهظة التكاليف ، في عالم النشر . كما ، تصدر تلك الدار كتيبات خاصة تحت اسم « اغنيات الامل » مهداة لليهود السوفيات تحضهم فيها على ترك المجتمع الاشتراكي ، والهجرة الى « وطن الاجداد » . وتحاول الدوائر الصهيونية ، بالتعاون مع دوائر المخابرات المركزية الاميركية ، تسريب نشرة سرية الى اليهود السوفيات تحت عنوان « دعوا شعبي يرحل » . ويروج لهذه النشرات بين صفوف الشبيبة في أوروبا الغربية وفي الولايات المتحدة « المؤتمر العالمي للطلاب اليهود » .

الذي أسس بدوره ، ابتداء من ١٩٧٠ ، دائرة خاصة تابعة للمؤتمر حملت اسم « نضال الطلاب من اجل تحرير اليهود السوفيات » . وهناك رابطة اخرى تهتم بهذا الموضوع ، وهي تابعة للدوائر الصهيونية تحمل اسم « رابطة ترحيل اليهود الروس » ، وتتخذ لها مركزين الاول في فيينا والآخر في تل – ابيب . وفي سياق هذه الحملة عقد مؤتمر آخر في عام ١٩٧٦ ، في بروكسيل عاصمة الناتو . كان شعاره الأساسي « الدفاع عن اليهود في ظل الانظمة غير الديمقراطية » . وشارك في اعمال هذا المؤتمر ٧٥٠ شخصية صهيونية من ٤٠ بلداً ، وقد توقف المؤتمر طويلا عند عمل اللجان التي انتخبت سابقا لمتابعة دراسة « وضع اليهود السوفيات » وامكانية التأثير عليهم . وناقش المؤتمر استحداث طرق جديدة لمد الجسور المباشرة وغير المباشرة مع اليهود السوفيات .

وقد لخص مبرمج الدعاية الصهيونية المناهضة للسوفيات البروفسور الصهيوني عضو مؤتمرات بروكسل جانس مورغانتو ، اهدافها بنقطتين **الاولى** : اقامة اوسع الصلات مع اليهود السوفيات عن طريق المراسلات والحوالات البريدية التي تحوي المناشير والكتيبات المختلفة . وتزويد اليهود السوفيات بالنشرة التي تصدر عن لجنة الدعاية التابعة للمنظمة الصهيونية العالمية التي تحمل اسم « دعوا شعبي يرحل » ، وذلك من اجل وضعهم في جو نشاط الحركة الصهيونية وابعادهم عن الاندماج في المجتمع الاشتراكي ، وبالتالي حثهم على الهجرة الى اسرائيل ؛ **والثانية** : ممارسة كافة الضغوط على الحكومة السوفياتية ، عبر الوفود الرسمية الاميركية والاوروبية الغربية وغيرها ، لطرح ما يسمى بـ « المشكلة اليهودية » في الاتحاد السوفياتي ووسائل حلها(٩) . وعندما يقرر الزعماء الصهيونيون ممارسة الضغوطات على هذا البلد أو ذاك ، فانهم ينطلقون دون شك من مركز قوتهم المادية والاعلامية الضخمة . فاللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة يشكل أداة ضغط هامة على السياسة الاميركية في سياستها الشرق اوسطية ، كما يحاول ان يوظف ضغوطه لخدمة مخططات الصهيونية في كل بلدان العالم التي فيها تجمعات يهودية ، فضلا عن استناده الى الدوافع الاميركية ذاتها للهجوم على السوفيات واثارة المشاكل لهم .

على سبيل المثال ، في عام ١٩٧٢ عندما ناقش الكونغرس الاميركي نتائج المباحثات مع السوفيات ومستقبلها ، حول المسائل التجارية والعلمية والفنية ، وقف بعض الشيوخ وممثلو الحكومة الاميركية يندددون بالسياسة السوفياتية حيال اليهود السوفيات ، وهددوا باتخاذ الاجراءات اللازمة ضد الاتحاد السوفياتي ما لم يلغ القيود امام الهجرة اليهودية الى اسرائيل . وهدد السيناتور جاكسون الاتحاد السوفياتي بان اعوانه مستعدون لممارسة كل الضغوط من اجل تجميد وقطع العلاقات التجارية والعلمية بين الحكومتين ما لم تفتح الابواب مشرعة امام اليهود السوفيات الراغبين في الهجرة الى الخارج . ولا نبالغ اذا قلنا ان العلاقات التجارية والثقافية بين الطرفين لا تسير بالشكل المطلوب ، لان احد المعوقات الاساسية لذلك هي الضغوط التي يمارسها اللوبي الصهيوني ومن يدور في فلكه من السياسيين الاميركيين على الدوائر الحاكمة . ومن يتتبع المباحثات الاميركية السوفياتية التجارية ، ير ان بعض ممثلي بيوتات المال اليهودية في الولايات المتحدة كثيرا ما يشتركون في وفود رجالات الاعمال التي تزور الاتحاد السوفياتي وتشرف على سير الاعمال بين الطرفين .

ولقد بدأت تطرح بحدة مسألة « اليهود السوفيات » في المؤتمرات الاخيرة للمنظمة الصهيونية العالمية . فقد نظم المؤتمر الثامن والعشرون الذي عقد في شباط ١٩٧٢ في القدس المحتلة عدة ندوات حول هذا الموضوع . وشهد هذا التاريخ انعقاد الدورة الرابعة للمؤتمر اليهودي العالمي في القدس ايضا . كما اعقبه مؤتمر « السوفيتالوغيون »(*) في تل ـ ابيب . ولقد تمحور النقاش في هذه المؤتمرات حول تنشيط الهجرة اليهودية من الاتحاد السوفياتي الى اسرائيل . واصدر المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون قرارا خاصا بمساعدة « اسرائيل » باقامة ٥٧ مستوطنة جديدة في الاراضي العربية المحتلة لاستيعاب المهاجرين الجدد . والجدير بالذكر ان اجتماع المؤتمر الاخير للمنظمة الصهيونية العالمية الذي عقد في شباط ١٩٧٨ ، استحدث دائرة جديدة تابعة للمنظمة حملت اسم « دائرة اسرى وسجناء صهيون » يتراسها الوزير الاسرائيلي حاييم لنداو الذي اعرب عن قلق المؤتمر الشديد من الحملة التي تقوم بها وسائل الاعلام السوفياتية ضد الايديولوجية الصهيونية وضد السياسة الاسرائيلية في منطقة الشرق الاوسط .

لقد ركز المؤتمر على نشاط اللجان المختصة في مناهضة الاتحاد السوفياتي . واثنى على جهود العلماء « والمؤرخين والصحافيين الصهيونيين وغير الصهيونيين الذين ينظمون المؤتمرات والندوات في الجامعات الاميركية والاوروبية الغربية ، كما اثنى على اولئك الاختصاصيين في تنظيم الحملات ضد السوفيات ، الذين يشرفون على البرامج الخاصة التي استحدثت في كل من اذاعة اميركا وهيئة الاذاعة البريطانية وراديو اوروبا الحرة وراديو اوروبا رقم واحد وراديو اسرائيل وغيرها من وسائل الاعلام التي بدأت تبث منذ عام ١٩٧٠ ، برامج خاصة باللغة الروسية عن وضع اليهود السوفيات ، وعما يسمى بالمخاطر التي تحدق بمستقبلهم ومصيرهم . فيكاد لا يمر يوم الا وتبث هذه الاذاعات التصريحات الاستفزازية عن الاجحاف بحقوق اليهود السوفيات ، وبالاخص حقهم في التعليم والتعبير عن ارائهم ، ومن ثم حقهم بالهجرة الى اسرائيل . وعلى سبيل المثال ، بثت هذه الاذاعات خلال تسعة اشهر من عام ١٩٧٧ اكثر من ١٥٠ رسالة ونداء وبرقية عن « وضع اليهود » المؤلم في الاتحاد السوفياتي[١٠] . وتصرف من اجل القيام بهذه الحملة مئات الملايين من الدولارات من قبل قسم الدعاية والجمعيات الخيرية والدينية الكثيرة التي تعمل في جهاز المنظمة الصهيونية العالمية . وكما يشير الباحثون السوفيات فانه . « من اجل التحضير واقامة الندوات والمؤتمرات المناهضة للبلدان الاشتراكية والقوى المحبة للسلام ، تصرف الصهيونية مئات الملايين من الدولارات . ويكفي القول بان اسرائيل والدوائر الصهيونية تمول سنويا الحملات المناهضة للاشتراكية بمبلغ يتراوح بين ٧٠٠ و ٨٠٠ مليون دولار . وان ثلثي هذا المبلغ تقريبا يصرفان على المؤتمرات الصهيونية في بروكسيل ١٩٧١ ، ١٩٧٦ وعلى الندوات الاخرى »[١١] .

والحديث عن ادوات الحملة الصهيونية المناهضة للاتحاد السوفياتي لا ينسينا نشاط

* « السوفيتالوغيا » اصطلاح سياسي جديد بدأ يبرز في الادبيات السياسية البرجوازية في السنوات الاخيرة . يقصد به علماء الاجتماع المختصين في الاتحاد السوفياتي .

الجناح الفاشي من الصهيونية المتل في «رابطة الدفاع اليهودية» التي كان يترأسها الارهابي ماير كاهاني ، الذي يقود الان في اسرائيل الحركة الاستيطانية الفاشية غوش ايمونيم. ويدعو برنامج الرابطة التي تاسست في عام ١٩٦٨ الى قطع كل العلاقات ما بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والى القيام بالمظاهرات التي لا تتوقف امام المكاتب السوفياتية ومحاولة الاعتصام بها . ولعل احدى اهم المهمات المطروحة امام هذه الرابطة زرع الرعب والدمار في السفارات والممثليات السوفياتية الدبلوماسية والتجارية والسياحية .

ولقد اوردت الصحف الاميركية بعض انباء هذه الرابطة ، حيث اتضح انها « ارتكبت في تنفيذها لاغراضها ، سلسلة بشعة من الجرائم لا يسمح لنا المجال بتعدادها . لكن سجلها الذي نعترف بانه غير كامل شمل حتى كانون الثاني ١٩٧٢ ، ١٤ عملية تفجير قنابل و ٢٤ جريمة اعتداء ومحاولة للاختطاف ، و ١١ عملا من اعمال الشغب ، و ١٩ قضية عصيان ، ، و ١٠ عمليات استيلاء على مكاتب و ٧ عمليات افساد لمناسبات ثقافية ، و ٥٥ انتهاكا لقوانين حمل السلاح و ١٢٠٠ مرة يقبض على اعضائها لسوء السلوك »(١٢) .

ان اكثر الجرائم بشاعة هي القاء القنابل او محاولة القائها على مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية في الخارج ، وعلى مقر السفارات السوفياتية في الولايات المتحدة وكندا ، ومكتب شركة « ايروفلوت » السوفياتية في نيويورك ، ومقر البعثة السوفياتية في « جلين كوف بولنج ايلاند » ومكتب وكالة « تاس » في واشنطن .

ولم يترك كاهاني مناسبة الا وهدد فيها بان الدم الروسي سوف يراق على شوارع نيويورك ، ذلك لانه كما يزعم في كتابه « لن تعود ثانية » فان اليهود السوفيات يتعرضون لخطر الابادة المادية لدرجة لا تقل عنها في المانيا النازية ، ولم يعد هناك وقت لان مذبحة جديدة يمكن ان تقترب »(١٣) .

ان هذه الضجة المفتعلة حول وضع اليهود السوفيات . لا يمكن ان تاخذ هذا الشكل ما لم تغذها دوائر المخابرات الامبريالية وبالذات دائرة المخابرات المركزية الاميركية . والصهاينة يركزون على هذه المسالة الحساسة جداً ، لكي تكون في ايديهم ورقة ضغط جدية ، يوظفونها في التاثير على سياسة الولايات المتحد الاميركية ، المتعلقة بتحديد الاسلحة الاستراتيجية النووية ، بالاضافة الى التاثير على مجرى المفاوضات التجارية والعلمية التي تدور بين الولايات المتحدة وبين الاتحاد السوفياتي .

« لقد رزح اليهود السوفيات عشرات السنين تحت نير الكبت الثقافي والاهانة الجماعية ... وهم يريدون فك قيودهم والاعلان عن حقوقهم ، ويريدون الهرب الى ارض شعبهم وأجدادهم ، »(١٤) : هذه المقولة رددها المشاركون في المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرين ، وهم يحاولون اثارتها وتعميمها في دوائر « الدولية الاشتراكية » ، وضمن اطار « دول الكومنولث » ، ومن فوق منابر المنظمات والهيئات الدولية . وتحاول الة الدعاية الصهيونية التاثير على الدول والهيئات المختلفة ، والرأي العام الاوروبي والاميركي ، واللعب على اوتار « معاداة السامية » . كل ذلك من اجل حض هذه الاطراف على اتخاذ مواقف معادية للسوفيات .

ومن اجل تبرير الاعمال الاجرامية التي تقوم بها المخابرات الاسرائيلية ضد البعثات الدبلوماسية السوفياتية والفلسطينية في الخارج .

حقيقة المشكلة

هل هناك اجحاف بحقوق اليهود السوفيات ؟

وهل توجد « مشكلة يهودية » عموما في الاتحاد السوفياتي ؟

لندع الحقائق تتكلم عن نفسها ، وتعطينا صورة حقيقية وواقعية . عن وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي .

لقد اصدر المؤتمر اليهودي الاميركي كتابا حمل اسم « وثيقة الحقائق عن التمييز ضد اليهود » جاء فيها « ان عدد الطلاب اليهود في المدارس الثانوية ظل ثابتا عند رقم ٤٧,٠٠٠ من عام ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، حتى عام ١٩٦٧ ، في مقابل زيادة في عدد الطلاب الاوكرانيين تبلغ ١٥٤٪ والاوزبكيين ١٩٨٪ ، وغيرهم من المجموعات القومية بنسبة تزيد على ١٠٠ »(١٥) . غير انه طبقا للأرقام التي اصدرتها هيئة الاحصاءات المركزية في الاتحاد السوفياتي بلغ عدد الطلاب اليهود في الكليات في العام الدراسي ١٩٦٢ ــ ١٩٦٣ ، ٧٩,٩٠٠ طالب : اي بزيادة قدرها ٤٠٪ ، نلك رغم ان التعداد السوفياتي يسجل انخفاضا في عدد السكان اليهود في هذه الفترة . وتوضح الاحصاءات ان ٣,١٥٪ من السكان اليهود هم من طلاب الجامعات في حين تبلغ هذه النسبة ١,٨٢٪ بالنسبة لمجموع السكان .

ثم تقرر وثيقة الحقائق « رغم ان اليهود ما زالوا يلعبون دورا هاما في العلم السوفياتي ، فان نسبة العاملين اليهود في مجال الابحاث العلمية قد هبطت بشكل ثابت من ١٦,٨٪ في عام ١٩٤٧ ، الى ١١٪ عام ١٩٥٥ ، الى ٧,٧٪ في عام ١٩٦٧ » .

غير ان عدد العاملين في مجال الابحاث العلمية طبقا لأرقام هيئة الاحصاءات المركزية السوفياتية ، قد ارتفع من ٢٩ الفا عام ١٩٥٨ ، الى ١٦١ الفا عام ١٩٦٩ ، ويمثل اليهود المجموعة الثالثة من حيث العدد بين العاملين في مجال الابحاث العلمية ، ولا يزيد عنهم الا الروس والاوكرانيون مع الاخذ بعين الاعتبار ان اليهود لا يشكلون الا ١٪ من سكان الاتحاد السوفياتي . وفضلا عن نلك ، فان بين ٢٧٨ شخصا فازوا بجائزة لينين لمناسبة ثورة اكتوبر ، ١٩٧١ ، كان ٣٩ شخصا ، اي ما يعادل نسبة ١٤٪ من الفائزين بالجائزة من اليهود ، ومن بين ٨١ شخصا فازوا بهذه الجائزة في مجال العلوم كان سبعة من اليهود . وكذلك بلغ عدد اليهود ٢٦ شخصا من بين ١٦٠ شخصا فازوا بهذه الجائزة في مجال التكنولوجيا .

وكما اشار رئيس الوزراء السوفياتي الكسي كوسيغين ، في مؤتمر صحافي عقده في كندا اثناء زيارته اياها في تشرين الثاني ١٩٧١ ، فان ٨٪ من العاملين في الميادين العلمية يهود ، و ٢٠٪ في ميدان الادب والصحافة و ٨٪ في ميدان الفن و ٦٪ في مجال الطب(١٦) .

وتدعي « وثيقة الحقائق » ، ان اليهود مستبعدون عن الدراسة في الاكاديميات العسكرية السوفياتية ومن مدارس التدريب للحصول على الدبلومات . وان بعض مجالات النشاط السياسي خالية من اليهود مثل السلك الدبلوماسي .

غير ان الوقائع التي تمكنا من الحصول عليها في المنشورات السوفياتية الرسمية ،

وبالذات النشرات التي اصدرتها وكالة « نوفوستي » ومنها كتيب « اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع » هذه الوقائع تدحض مزاعم « وثيقة الحقائق » هذه وتبين بالاسماء زيف ادعاءاتها . فمن بين كبار ضباط الجيش السوفياتي ترد اسماء الجنرال ياكوب كرايزر ، والكولونيل جنرال دافيد دراجونسكي ، والكولونيل جنرال الكسندر تسيزلين ، والميجور جنرال زينوفي كونسيفوي ، والميجور جنرال ليو نفاتور ، والليفتنات جنرال جريجوري بلاسكوف ، وكل هؤلاء من اليهود . كما ان في السلك الدبلوماسي الكثير من اليهود ، ونذكر منهم اثنين من كبار ديبلوماسيين وهما تشاركينين وج منديلفتنش . هناك ثمانية الاف من نواب السوفيتيات على كافة المستويات، كما يوجد خمس نواب يهود في مجلس السوفياتي الاعلى على الاقل، ويشغل عدد من اليهود مراكز ادارية هامة ، من بينهم بنيامين ديمنشيش الذي يشغل منصب نائب رئيس مجلس الوزراء السوفياتي لشؤون التخطيط. ويشغل سيمون جينسبورغ منصب رئيس مجلس ادارة التشييد في الاتحاد السوفياتي ، فسيفولود رامسكي نائب رئيس هيئة الاحصاءات المركزية في الاتحاد السوفياتي ، ويوري بوكسرمان نائب وزير صناعة الغاز في الاتحاد السوفياتي ، وكثيرون غيرهم(١٧) . والصهيونية لا تترك مناسبة الا وتتباكى فيها على مصير الثقافة اليهودية في الاتحاد السوفياتي ، وتصور الامور وكأن اليهود السوفيات تشتعل فيهم الرغبة الجامحة في اقامة المدارس اليهودية واحياء الثقافة ذات الطابع اليهودي البحت .

صحيح انه لا توجد في الاتحاد السوفياتي مدارس يهودية . ولكن سبب ذلك لا يعود اطلاقا الى حصر وجود مثل هذه المدارس . بل على العكس ، ان السبب في ذلك يعود اصلا الى انه لا توجد في الاتحاد السوفياتي مدرسة واحدة ذات منحى طائفي ، لأن الترويج للطائفية محظور بحكم الدستور ، اضافة الى ان عدداً كبيراً من اليهود لا يرغبون في العودة الى« الغيتوات » المنغلقة على نفسها . فهم فعلا قد اندمجوا في المجتمع السوفياتي للمساهمة في بناء النظام الاشتراكي .

بهذا الصدد تقول ريفا فيتشكينا رئيسة اللجنة التنفيذية لبلدة فالدخيم في منطقة بيروبيدجان ذات الاستقلال الذاتي . « رغم اني في صغري التحقت بمدرسة يهودية ، فقد ارسلت اولادي الى مدرسة روسية . لماذا ؟ حسنا . ان هناك الى جانب اليهود في بلدتنا (روسا وأوكرانيين وبيلوروس وتتاراً وبشكيريين .. والاطفال يلعبون معا ،ويترعرعون معا ، في دور الحضانة ويتصادقون ، انه لمن الاجحاف والقسوة ان نفصلهم عن بعضهم البعض ، وان نعزلهم . اليس في ارسالهم الى مدرسة يهودية ـ حين يدرس الاطفال من كل القوميات معا في مدرسة روسية ـ هو عزلهم وبالتالي الاساءة اليهم ابلغ الاساءة ؟.اذا لم ارسل اولادي الى مدرسة يهودية ، فذلك عائد لسبب آخر لا يقل اهمية . وهم حين ينهون دراستهم في المدرسة الروسية سيتمكنون من مواصلة دراستهم العليا في خاركوف او موسكو او لينينغراد او أي مدينة كبرى . وبعبارة اخرى في المؤسسات التعليمية في المدن الكبرى التي استوعبت أفضل الفكر العلمي الروسي والاجنبي ... تلك هي الخطوط العامة التي تسترشد بها في الاختيار لا الامهات اليهوديات وحدهن ، بل كذلك الامهات التتاريات والارمنيات والاوزبكيات وغيرهن ممن يعشن في جمهوريات روسيا الاتحادية . »

وتتابع فيتشكينا متسائلة . « قد يبدو قولي هذا مفارقة ، لكنه حقيقة واقعة . ان

الامهات اليهوديات هن اللواتي أغلقن المدارس اليهودية . غير ان كل من يريد تعلم الايديشية يستطيع ان يدرسها في بيته ، دراسة خاصة ، او على يد مدرس خاص او بالانضمام الى جماعة الهواة المسرحية اليهودية . كما ان مجلة « سوفيتش هميلاند » ، الشهرية تعطي دروسا في الايديشية في كل عدد[١٨] .

لا شك ان فيتشكينا تعكس في رأيها هذا ، افكار وطموحات اغلبية السكان اليهود في الاتحاد السوفياتي الذين اختاروا ، بوعي وتصميم ، المجتمع السوفياتي الاشتراكي وطنا لهم ، فيه يتطورون ويصنعون ثقافة اشتراكية جديدة هي ملك لكل قوميات الاتحاد السوفياتي وشعوبه .

وهنا يجدر بنا ان نشير الى ان الوثائق الصهيونية ، ومنها « وثيقة الحقائق » هذه ، تخلط عن عمد بين اليهود والصهيونيين . واذا كان من السهل تفحص طبيعة وضع اليهود في الاتحاد السوفياتي بما هم مواطنون كغيرهم من المواطنين لا يقف حائل خاص دون تقدمهم ومساهمتهم في كل اوجه النشاطات العامة ، فان الامر لا يحتاج الى امعان الفكر واستنباط الدلائل للتأكد من ان اليهود الذين يحملون اتجاهات صهيونية يحرمون من اية تسهيلات ، فالنشاط الصهيوني محظور في الاتحاد السوفياتي بحكم القانون منذ العام ١٩١٨ . وكل من يعرف ولو شيئا قليلا عن الاتحاد السوفياتي ، يعلم ان الدولة والمجتمع بأسرهما نشطا نشاطا واسعاً ، ومؤثراً ، في مقاومة كل ما هو رجعي في الفكر او العمل . وقد انطبق هذا ايضا على الصهيونية .

وتشكو « وثيقة الحقائق » الصادرة عن المؤتمر اليهودي الاميركي من انه في سنة ١٩٥٦ كان هناك ٤٥٢ معبداً في الاتحاد السوفياتي ، بينما انخفض هذا العدد سنة ١٩٦٩ الى ٥٥ معبداً . وذلك رغم ان القانون السوفياتي يخول المؤمنين الحق في تكوين جمعيات دينية ، وان تكون لهم مبانيهم الدينية المقامة لاغراض الصلاة والعبادة . ولا يوجد في الاتحاد السوفياتي سوى ثلاث حاخامين عاملين اثنان منهم يزيد سن كل منهما على ٧٥ عاما . ويمنع اليهود من صناعة الاحجية وشالات الصلوات وغيرها من ادوات العبادة اليهودية ولا يمكن الحصول على لحم الكونسير في الاتحاد السوفياتي »[١٩] .

ان وراء تضخيم الامور اهدافا كثيرة لعل اهمها تأجيج واستفزاز المشاعر الدينية لليهود السوفيات وغير السوفيات من المؤمنين . والتطبيل والتزمير حول ما يسمى بسياسة الاضطهاد الدينية التي تجبر اليهود على عدم ممارسة الشعائر الدينية ، وتدفعهم ، بالتالي ، قسراً لتبني الايديولوجية الماركسية ــ اللينينية ، والاندماج قسراً في المجتمع السوفياتي .

اما الحياة والحقيقة فتثبتان عكس ذلك . ففي الواقع ان اليهود الذين يرغبون في ممارسة الشعائر الدينية هم احرار تماما في ذلك ، مثلهم في ذلك مثل اتباع الديانات الاخرى من المؤمنين ، وتستطيع كل مجموعة تضم عشرة اشخاص ان تقيم معبداً دينيا صغيراً (مينانيم) . ولها كل الحق في ممارسة الطقوس الدينية في مساكن الاعضاء او غيرها من الاماكن . كما يوجد في الاتحاد السوفياتي ١٠٠ معبد و (٣٠٠) معبد صغير .

صحيح ان عدد المحافل اليهودية قد تناقص كثيراً في العقود القليلة الماضية . لكن هذا ليس أمراً قاصراً على الديانة اليهودية . فقد حدث انخفاض مماثل في عدد الكنائس الارثوذكسية ، والجوامع ، وهذا لا يرجع الى اجراءات ادارية باغلاق المعابد أو الكنائس أو

الجوامع ، بل الى الهبوط الشديد في عدد من يؤدون الشعائر الدينية . ويؤكد علماء الاجتماع السوفيات ، ان عدد ممارسي هذه الشعائر بين اليهود صغير جدا ؛ اذ يتراوح بين ٢ و ٧٪ في جمهوريات روسيا الاتحادية واوكرانيا وبين ٧ و ١٢٪ في جمهورية جيورجيا وشمال القوقاز و بخارى . ان اغلبية هؤلاء هم من الطاعنين في السن . والجدير بالذكر انه في جيورجيا ، حيث توجد اكبر نسبة من المؤمنين اليهود ، يوجد ١٦ معبداً لنحو خمسين الف يهودي . بعبارة اخرى ، فان هذه المعابد موجودة حيث تكون مطلوبة . وحول هذا الموضوع يشير حاخام موسكو الراحل يهودا ليفين في خطاب القاه اثناء زيارته الولايات المتحدة عام ١٩٦٨ الى « ان ابواب معبد موسكو مفتوحة امام كل مؤمن وكل زائر منذ قامت الثورة ، حتى ايامنا هذه ... وتؤدى الصلوات هناك اثناء النهار حيث يدرس التلمود . وهناك مجزر لذبح الدواجن وحمام يتبع الطقوس الدينية حيث يقومون هناك بعملية الختان . ويوفر مجلس البلدية فطير الماتزو لليهود . وهذا ليس في موسكو وحدها ، بل وفي كل مكان ... »[٢٠] .

ليس صحيحا انه لا يوجد في الاتحاد السوفياتي سوى ثلاثة حاخامين عاملين . ففي جيورجيا وحدها خمس أضعاف هذا العدد على الاقل ، وعلى سبيل المثال ، عقد في عام ١٩٧١ مؤتمر لممثلي الجماعات الدينية اليهودية في موسكو ، وكان بين اعضاء لجانه القيادية والمتحدثين الذين نشرت كلماتهم عشرة حاخامين من مختلف انحاء الاتحاد السوفياتي . ان كل هذه الحقائق والارقام تعري الارقام التي تنشرها الوثائق الصهيونية وتدفع للاعتقاد بان الغرض منها هو الكذب ، وخلق الاوهام من اجل التاثير على اليهود خدمة لاهداف الصهيونية والقوى الاخرى المعادية للاتحاد السوفياتي ، ومن اجل حضهم على الهجرة الى اسرائيل . ألم يعلن قادة الصهيونية ان اسرائيل هي الوطن الاصلي ليهود العالم . وان تل ــ ابيب ليست عاصمة اسرائيل وحسب بل هي عاصمة كل يهود العالم بصرف النظر عن الدولة التي يتعايشون بين ظهرانيها ؟

وما الذي يتوخاه الصهاينة والدوائر الامبريالية من هذه التحركات والنشاطات ؟ .

ان احد الاهداف الرئيسية في رأينا هو الضغط على الاتحاد السوفياتي لحمله على تغيير سياسته المتعلقة بالشرق الأوسط ، هذه السياسة التي تدعم نضال شعوبنا العربية ضد مختلف اشكال الاستعمار والقهر . هذا من جهة ، ومن جهة اخرى ، الضغط على الاتحاد السوفياتي بوسائل متعددة لتخفيف قيود الهجرة امام اليهود السوفيات والسماح لهم بحرية الهجرة الى اسرائيل .

فيما يتعلق بالهدف الاول ، يبدو الاتحاد السوفياتي متمسكا ، برغم توالي الضغوط ، بالاسس التي تستند عليها سياسته الخارجية ، وذلك واضح من حجم المساعدات التي قدمها ويقدمها للدول العربية لدعم مقدرتها على التصدي لاسرائيل والامبريالية . ويتضح دوره اكثر بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، حيث انه يستمر في مساعدتها ، ودعمها ، وفي وقت يحاول ضربها او يتغاضى عن ضربها الكثير من الانظمة العربية السائرة في فلك المخطط الاميركي الصهيوني .

اما فيما يتعلق بالمأرب الثاني الذي تتوخاه الدوائر الصهيونية من الاتحاد السوفياتي المتعلق بوضع اليهود السوفيات وبعدم السماح لهم بالهجرة ، فهذه مسالة حساسة جدا . وتحاول الصهيونية ، في لعبها على هذه القضية ، ان تصيب عصفورين بحجر: فهي من جهة ،

تحاول امام العالم الغربي ان تبرز سياسة الاتحاد السوفياتي وكأنها « معادية للسامية » وانها موجهة لاضطهاد اليهود ووضع القيود امامهم وخاصة القيود حول السماح لهم بالهجرة بحرية تامة الى اسرائيل ، وتحاول ان توهم الرأي العام العالمي بأن طالبي الهجرة هم الاغلبية من اليهود السوفيات ، نظراً لتعلقهم باسرائيل « ارض اجدادهم » ارض « اللبن ، والعسل » وانهم يمنعون من تحقيق ذلك . ومن جهة اخرى وعلى خط مغاير ، تعمل لتضخيم حجم الهجرة امام العالم العربي لكي تساهم بقسطها في ضرب الصداقة بينه وبين الاتحاد السوفياتي .رغم ان الدعاية الصهيونية بدأت تكال لها الضربة تلو الاخرى من قبل الدعاية المضادة لها من السوفيات والفلسطينيين والقوى التقدمية العالمية ومن قبل اليهود السوفيات العائدين من اسرائيل ، الا اننا لا ننكر انها ما زالت مؤثرة بهذا المقدار او ذاك ، هنا او هناك ، وهذا ما يبرز اهمية استمرار العمل من اجل دحضها واحباط تأثيراتها .

---

(١) راجع « **المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون ١٩٧٢** » . مؤسسة الدراسات الفلسطينية . بيروت ، ومركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالاهرام ، القاهرة .بلا تاريخ ــ ص ١٠٢١ .

(٢) **فلسطين الثورة**. عدد ١٦ آذار ١٩٧٦

(٣) **مراسيم الدولة السوفياتية (بالروسية)** دار نشر « العلوم القانونية »المجلد الثاني ، موسكو ١٩٦٤ ــ ص ٩٤ ــ الطبعة الروسية .

(٤) راجع يوري ايفانوف **احذروا الصهيونية (بالروسية)** دار نشر « بوليتزدات » موسكو ١٩٧١ ص (٨٩) .

(٥) باسمنيك صموئيل . **الثورة البلشفية واليهود** . برلين ١٩٢٣ ص ١٤٣ ، ٢٣٢ ــ الطبعة الروسية .

(٦) *Let My People Go.. Ed and compiled by Richard gohen* N.Y .1971. P-10

(٧) **المصدر نفسه** ، ص ١٢ .

(٨) **الجوهر الرجعي للصهيونية** . تاليف مجموعة من الاختصاصيين السوفيات . دار التقدم موسكو ١٩٧٥ ــ ص ١١١ ــ

(٩) راجع كتاب « **الصهيونية العالمية ــ ايديولوجيتها وممارساتها** . تاليف جماعة من العلماء السوفيات دار نشر « بوليتزدات » ، موسكو ١٩٧٨ ، ص ٢٣٣ ــ ٢٣٤ ــ الطبعة الروسية .

(١٠) **المصدر نفسه** ، ص ٩٧ .

(١١) **المصدر نفسه** ، ص ٢٣٦ .

(١٢) *Daily World* (New York). 19- 11- 1972

(١٣) حاييم لومر ، **الصهيونية ودورها في السياسة العالمية** . دار الثقافة الجديدة القاهرة ١٩٧٤ ــ ص ١١١ ــ

(١٤) راجع المؤتمر الصهيوني الثامن والعشرون **مصدر سبق ذكره** ص ٤٠٠ .

(١٥) حاييم لومر ــ الصهيونية ودورها في السياسة العالمية **مصدر سبق ذكره** ص ١٢٢ .

(١٦) استقينا هذه المعلومات والارقام التي تليها من المجلد المجلد الرابع لنتائج **الاحصاءات المركزية للسكان لعام ١٩٧٠**ــ دار الاحصاءات . موسكو ١٩٧٢ ــ المجلد الرابع ص ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ومن الكتيب الذي اصدرته وكالة نوفوستي « **اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع** .موسكو ١٩٧٠ ــ ص ٢٦ . ٥٠ و ٥١

(١٧) اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع ــ **مصدر سبق ذكره** ــ ص ٥١ .

(١٨) راجع **الحياة السوفياتية** »(موسكو) عدد حزيران ١٩٧١ .

(١٩) راجع حاييم لومر ، الصهيونية ودورها في السياسة العالمية، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٣ .

(٢٠) اليهود السوفيات بين الخرافة والواقع **مصدر سبق ذكره**، ص (٦٠) .

الصورة الفلسطينية في وسائل الاعلام الكندية وأثرها السياسي

الانسان هو صورة مركبة من ردات فعل مختلفة بعلاقاته مع الآخرين . وتتشكل ردات الفعل هذه من تداعي الصور والافكار . كما ان هذه الافكار تقوم عادة على ما نتصوره من انطباعات ثم نجسدها على اشكال مفرحة وغير مفرحة بنسب مختلفة معتمدين في ذلك على استقرار هذه الاشكال وتكرارها وحساسيتها. والاصغر سنا هم الاكثر حساسية وتأثرا . كما انه من المسلم به أن الصور المرئية لها التأثير الاكبر . وهكذا فان التلفزيون ، بواسطة الصور المرئية وبدرجة التكرار، يلعب الدور الأهم في تقديم الرواية للمشاهدين خصوصا للأطفال منهم .

وفي ضوء ذلك نرى اهمية الصورة العربية وفسادها في وسائل الاعلام الكندية ووسائل اعلام الولايات المتحدة . والفلسطيني ، قبل كل شيء ، هو عربي ، وصورة العربي في وسائل الاعلام الكندية . تتطابق مع صورة الفلسطيني كما تتطابق مع العرب الآخرين . ومن المهم التأكيد ، في بداية الكلام ، على ان كثيراً مما تعرضه وسائل الاعلام الكندية هو امتداد لما تبثه محطات التلفزيون الاميركية ووكالات الانباء وكذلك هوليود .

ويعاني العرب الكنديون من حملة مستمرة جائرة في كل وسائل الاعلام الكندية ، مما يجعل علاقاتهم بزملائهم الكنديين صعبة للغاية ، هذا ان لم تكن عميقة الجرح معنويا . وهو امر يسبب دمارا كبيراً للشباب في علاقاتهم مع الاطفال وكذلك لأشكال تصوراتهم الشخصية ، ونتيجة هذه الحملة القاسية هي انحياز ضد العربي وضد كل ما يمثله ويرمز اليه ، واضافة الى تأثيرات هذه التشويهات على العلاقات الشخصية اليومية ، فهي تؤثر وبدرجة كبيرة على المسائل السياسية المرتبطة بالعرب والوطن العربي .

دعونا نتفحص بينات من عملية صنع هذه الصورة في المجالات المختلفة لوسائل الاعلام . ان وسائل التلفزة هي الاكثر جورا بين الوسائل جميعها ، ولذلك فهي تقدم مثالا حيا لهذه الحملة العدائية . ومع أن الاخبار التي يقدمها التلفزيون تشارك بشكل ملموس في صنع هذه الصورة السلبية ، الا ان البرامج الترفيهية هي الاكثر مساهمة في تقديم صورة مغلوطة عدائية وعنصرية . فكثير من المسلسلات التلفزيونية تقدم العربي على انه زعيم الاشرار . ان مسلسل « فيجاس » وهو من البرامج الاكثر شعبية، يصور العربي على انه شيخ متعجرف تحيط به مجموعة من الحاشية الفاسدة والتي لا تقل قبحاً عنه .

وفي « ذي كوديز » (C.B.C. ، آب ١٩٧٩) ، يلعب دور المجرمين رجال يرتدون الزي العربي وهم يصرون على رفع اسعار النفط .

وفي « معركة نجمة كالكيتكا » (A.T.V ، ١١ آذار ١٩٧٩) يقوم البرنامج على تقديم الاشرار ، على انهم حلفاء من البدو للنازيين ، وفي زي العرب .

وفي مسلسل « **الجميع في العائلة** » تتساءل احدى الشخصيات ، بول بنيامين ، بينه وبين نفسه ان كان « هوموسابين هو القاتل ؟ » . فيرد أديث بانكر ، وهو شخصية ثانية ، مستفسراً ان كان هوموسابين عربياً ؟ لقد درج التلفزيون على تقديم العربي بشكل سلبي وهذا ما حصل في مسلسلات « اليس » و « حاول ان تكون ذكيا » و « الرجل الخارق » و « المركز الطبي » و « جزيرة الاعلام » و « هاواي خمسة » ، و « كولومبو » .

ان هذا قليل من كثير . ان الرجل العربي هو دائماً صاحب انف معقوف يضع نظارتين سوداوين ويقدح الشرر من عينيه . واذا بدا شبه مهذب فلأنه شبه ذكي . وهو في كل الاحوال اما يجر وراءه جملا أو انه محترف للذة وغني الى درجة مثيرة للاشمئزاز من غير ان يستحق ذلك .

والمرأة العربية ليست احسن حالا . فهي عادة من الحريم . وعندما تكون محظية فهي ترتقي الى راقصة او وسيلة للجنس . وباختصار ، فليس هناك عرق في اميركا الشمالية عومل بازدراء واحتقار من قبل وسائل الاعلام كما عومل العرق العربي . هل كان بمقدور اي مخرج ان يخضع مجموعة عرقية اخرى الى هذا النموذج المشوه ؟ وهل نحتاج الى تقدير ما يمكن ان يحل بهذا المخرج لو تجرأ وعرض صورة مشوهة عن اليهود ؟ .

ان الصورة المشوهة لعرق ما غالباً ما تكون مكررة على المستوى الشخصي . وبالاضافة الى برامج التسلية فهناك البرامج الرمزية . ان التكرار الدائم على تشويه عرق يصبح امراً طاغيا . ولقد كتب ماك جرينفيلد في هذا الخصوص في مجلة « **نيوزويك** » ، كتب يقول « هناك حلقة مفرغة ، ومعيبة من العمل هنا . ان الكاريكاتير معيب . وهو يستوحي انطباعاً قديماً كان مقبولا ، في الماضي . اعني به الافتقاد الى معرفة ماهية العرب وحقيقة ماضيهم »

وتصبح البرامج الاذاعية وبرامج التلفزيون منصفة بالمقارنة مع تغطية الاخبار وبرامج الاحداث اليومية . فكثيراً ما نرى عقب هجوم « ارهابي » فلسطيني (وهي الصفة التي تعطى لهذه الاعمال) نحيب المفجوعين من اقارب اليهود الضحايا ونرى كذلك تفاصيل عاطفة الزوجة والأم . ولكننا لا نرى أثر الغارات الاسرائيلية (أعمال انتقامية ، بلا شك !؟) والامهات المفجوعات الباكيات . فليس لدى العربي عواطف او مشاعر . وليس لخسارته اي أثر على احد آخر .

والنتائج السياسية لهذا التشويه العرقي شديدة الوضوح . فالفلسطيني ، بالنسبة للرأي العام الاميركي الشمالي، يفتقد اي شعور انساني . وعليه فان الغارات الاسرائيلية مشروعة . كما ان استعمال الاسلحة المحرمة من قبل الاسرائيليين مثل القنابل العنقودية وقنابل النابالم الحارقة تمر من غير اكتراث . وتزويد اسرائيل بمزيد من الاسلحة لا يحتاج الى تبرير .

وعلى المسرح السياسي للاذاعة الكندية يمكننا ان نكتشف صورة صاعقة من اول نظرة ومن غير ايحاءات مسبقة . ولقد حاولت ان اقوم بذلك ، وأنا احمل شعوراً على انه من مسؤولية الاذاعة الكندية في برامج الاخبار وبرامج الاحداث اليومية ، ان تقدم للرأي العام الكندي تقارير اخبارية غير منحازة وموضوعية ، مما يتيح للكنديين ان يشكلوا احكاما واعية ' وبالانطلاق من هذه الأرضية ، فلقد توصلت الى النتيجة ذاتها التي من المؤكد ان كل ذي عقل سيتوصل اليها ، الا وهي ، ان اجهزة الاعلام الاذاعية في كندا تقوم بعملية ثابتة من التحريض والانحياز ضد العرب . وتتضح هذه العملية في تغطية اخبار الشرق الاوسط واخبار النزاع العربي ــ الاسرائيلي . ولنبدأ ببعض التسهيلات الاذاعية بشكل منفصل . وسيكون التركيز على وسائل الاعلام المحلية المقامة في هاليفاكس ونوفاسكوتا . وهي في كل الاحوال لا تختلف عن اي تجربة في اي مكان آخر من كندا .

هيئة الاذاعة الكندية (.C.B.C)

١ ــ **تقارير اخبارية** : في عملية صياغة تقارير موضوعية من الاخبار ، هناك اتجاه لاضافة النتائج العاطفية وكسب المزيد منها الى جانب الاسرائيليين . وغالبا ما يكون ذلك عن طريق تقارير مجتزأة او مشوهة أو ناقصة . وعندما يقوم الفلسطينيون بعملية من نوع القيام بتفجير أو القاء قنبلة يدوية ، توضع هذه العملية كخبر رئيسي وتوصف على انها عمل **ارهابي** جبان وقذر مع تفاصيل وافية عن قتل الاطفال . وعلى الجانب الاخر ، عندما

تقوم القوات الاسرائيلية المسلحة بالغارة على المخيمات الفلسطينية ، والقرى اللبنانية المسالمة مستخدمة اكثر الاسلحة تعقيداً ومسببة قتل عشرات وربما مئات من الرجال والنساء والاطفال . فهي اعمال توصف بانها انتقامية ، ونادراً غير ذلك . ودعوني اعطي مثالين على ذلك .

صباح يوم الثاني من كانون الاول ١٩٧٥ ، قامت القاذفات الاسرائيلية بالقاء صواريخها على المخيمات الفلسطينية جنوبي لبنان تاركة اكثر من مائة ضحية ومئتين من الجرحى معظمهم من النساء والاطفال . ولقد تداولت ذلك معظم وسائل الاعلام في العالم وندد به السكرتير العام للامم المتحدة في اليوم ذاته . الا انه عند الساعة ١١ مساء (حسب التوقيت الاطلنطي) سمعنا خبر هذه المذبحة الجماعية من هيئة الاذاعة الكندية والبرامج التلفزيونية على الوجه التالي حرفياً . « قتل اليوم سبعة وسبعون شخصاً على الحدود بين اسرائيل ولبنان » . هكذا حرفيا . هذا مثال على التشويه المتعمد والمخيف . ولم يكن من الممكن معرفة الضحايا او معرفة الذين قتلوهم وكيف . انه مثل حقيقي عن درجة احتقار الانسان الفلسطيني والمرأة والاطفال الفلسطينيين .

وفي يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٩وقع انفجار كبير في مدينة بيروت،من المعتقد ان الذين كانوا وراءه هم؛ الاسرائيليون بالاشتراك مع بعض الكنديين ، مما تسبب بمقتل قائد فلسطيني (قيل انه من المسؤولين عن عملية ميونيخ) بالاضافة لعدد من المارة . لم تذكر كلمة « ارهاب » . الا انه بعد مضى ستة ايام (٢٨ كانون الثاني) وقع انفجار في مدينة ناتانيا في اسرائيل، مما تسبب بمقتل شخصين اسرائيليين. ولقد وصف العمل على انه هجوم « ارهابي » .

٢ ـ افلام او تقارير وثائقية : وهي كذلك تحابي وجهة النظر الصهيونية .وكمثال، يمكن ايراد برنامج بعنوان « الاتصال الروسي » وهو برنامج قدم بكثير من الاعتزاز من هيئة الاذاعة الكندية ، المقاطعة الخامسة ، يوم ٢٥ ايلول ١٩٧٩ ، والبرنامج هو صورة من التشويه المضخم والتحامل والافتراء . ويتكلم عن « ارهاب » منظمة التحرير الفلسطينية من غير ان يشير الى ارهاب نزع الأراضي ، وهو اكثر اشكال الارهاب عنفا ، الذي يمارسه الصهيونيون على الفلسطينيين عن طريق اقتلاعهم من منازلهم . هذا اذا لم نذكر المجزرة التي ارتكبها الارهابي الكبير مناحيم بيغن وكل قادة اسرائيل وهي المجزرة التي لا زالت مستمرة حتى الان منذ ١٩٤٨ .

وتعرض بشكل مؤثر ومتقن مشاعر المأساةالتي تعانيها الام الأسرائيلية المفجوعة . غير ان امهات المئات من الفلسطينيين والاطفال اللبنانيين الذين يقتلون يوميا ، بسبب الغارات الاسرائيلية ، فهم بلا عواطف ولا احاسيس . فهي تروي ارهاب عبوة من « ت . ن . ت » وضعها رجل من منظمة التحرير . لكن ارهاب قنبلة عنقودية تسقط فوق مخيم فلسطيني او قرية لبنانية ليست جديرة بالذكر .

والروس اشرار لانهم يدربون الفلسطينيين الذين يكافحون من اجل استرجاع ارضهم السليبة . غير ان الاميركيين ابرياء في تزويدهم للاسرائيليين بطائرات الفانتوم المتقدمة، والاسلحة الموجهة ضد الفلسطينيين العزل والاحتلال الاسرائيلي للأراضي العربية منتهكين بذلك ميثاق الامم المتحدة وقراراتها المتكررة .

ويعرض البرنامج صوراً لاطفال اسرائيليين وهم يغنون ، من غير ان يعرض صوراً للاطفال الفلسطينيين وهم يتلوون بسبب قنابل النابالم والقنابل العنقودية . فليس لدى الاطفال الفلسطينيين ما يغنون من اجله ، وهم الذين ولدوا في مخيمات قاسية بعيدين عن اوطانهم . ان الانحياز والتشويه في وسائل الاعلام يجعل قسوة ومرارة حياتهم اكبر بكثير .

والبرنامج يحكي عن مئات من الاسرائيليين والاميركيين والاسكندنافيين الذين يتوافدون الى المناخ الصحراوي الدافىء في ايلات . لكنه لا يذكر شيئاً عن اصحاب الارض الاصليين . ولا يقول ابدا ان هذه الأرض هي ملك للاجئين الذين يذبحون يومياً في لبنان ليس بسبب ، الا لأنهم يناضلون من اجل العودة الى « السماء الدافئة » لأراضي اجدادهم . و « الارهابي » الشاب الذي يخاطر بحياته وهو في مقتبل العمر انما يقاتل في سبيل تحرير عائلته واهله من الاضطهاد والاحتلال الاسرائيليين .

ويعتمد البرنامج على مصادر من نوع الجنرال غازيت ، ضابط المخابرات الاسرائيلية ، وراي كلاين ، وهو

ضابط سابق في المخابرات المركزية الامريكية بالاضافة الى اشخاص مثل بريان كروزير وروبرت موس وهم الذين اصبحوا المدافعين الشرعيين عن الأنظمة الدكتاتورية في شيلي وجنوب افريقيا . (كما جاء في ستان ماكدويل لكلوب وميل في ١ تشرين الاول ١٩٧٩). وبينما عثر البرنامج على محام واحد من سكان الضفة الغربية ليعبر عن الموقف المعارض لمنظمة التحرير الفلسطينية الا انه لم يكلف نفسه مشقة البحث عن التأييد الكاسح لمنظمة التحرير الفلسطينية بين رؤساء البلديات والمجالس المنتخبة في الضفة الغربية وقطاع غزة ، والجماهير الفلسطينية تحت الاحتلال الاسرائيلي وفي المنفى . ان مبرر وجود هذا البرنامج لا أساس له كلية ذلك ان المساعدة السوفياتية العسكرية لمنظمة التحرير الفلسطينية هي امر معروف تصرح به منظمة التحرير ولم يكن في يوم أمراً سرياً .

٣ ــ **مقدمو المقابلات** : ان أهم الذين يقدمون المقابلات في هيئة الاذاعة الكندية في البرنامج الاذاعي « كما يحدث » هي باربره فورم . وهي مقدمة برامج تظهر انحيازاً لا شك فيه لمصلحة اسرائيل . وغالباً ما تتعاطى مع اي مشترك في هذا البرنامج بروح عدائية في حال تعرضه بالنقد لوجهة النظر الاسرائيلية بينما تظهر وداً ونعومة مع اي مشترك متعاطف مع اسرائيل . وهناك عشرات الامثلة ، الا ان المثال الذي اود ذكره هو

في « تشرين الثاني ١٩٧٧ اجرت السيدة فورم مقابلة مع المندوب السوري في هيئة الامم المتحدة. ولقد عنف السفير السوري وأسيء اليه . وعلى عكس ذلك ، ما كان يجري بمقابلاتها مع مناحيم بيغن او مع اعضاء الكنيست من حزب ليكود كما حدث مع زلمان شيفول . وكمثال على المعاملة المتناقضة من قبل السيدة فورم يمكن تقديم ما حدث في مقابلة حديثة تمت يوم ٢٩ تشرين الاول ١٩٧٩ مع رئيس الزينيث ، القادم من كولومبيا البريطانية ، والسفير الاسرائيلي في كندا ، متعرضاً لموضوع الغاء القرار الكندي حول نقل السفارة من تل ابيب الى القدس . صحيح ان للمتقابلين اراءهم ومشاعرهم لكنني اعتقد انه في سبيل تقديم تقرير صحيح ومتوازن من الضروري وضع هذه المشاعر الشخصية جانباً .

٤ــ **ضيوف البرامج** :من المؤكد ان هناك اغلبية واضحة من ضيوف البرامج والصحفيين ذوي الميول الصهيونية المعروفة . ويمكن الاشارة بهذا الخصوص الى السيد جون كيمشي . ففي يوم ٢٢ كانون الثاني ١٩٧٦ ، استضافت السيدة فورم السيد كيمشي الذي قدم قصة مفبركة من غير اساس ، مهما كان ضعيفاً ، مدعياً ان رؤساء الجزائر وليبيا والعراق التقوا سراً في اوروبا وخططوا من اجل اختطاف وزراء نفط الدول المصدرة للنفط(اوبك) بمن فيهم وزراء بلادهم . ولقد شعرت بالجزع عندما وجدت هيئة الاذاعة الكندية تسمح بترويج روايات معادية عن رؤساء ثلاث دول ليس من مصلحة كندا معاداتها . وكان من الممكن ان تؤخذ رواية كيمشي على اساس انها رواية مسلية لو لم تقدمها هيئة الاذاعة الكندية كخبر حقيقي .

٥ ــ **المراسلون**: كذلك توجد غالبية كبيرة من تقارير المراسلين الذين يكنون عواطف كبيرة نحو اسرائيل من غير ان يكشفوا للجمهور عواطفهم هذه .

٦ ــ **الانتقاء التعسفي لمواد الاخبار** : تقدم عادة مواد اخبارية معينة من النوع الذي يحط من قدر العرب . وكمثال على ذلك .

في ١٧ نيسان ١٩٧٨ قدم السيد بول هوفمان رواية بعنوان « الرق الابيض » في برنامج « كما يحدث » . والقصة من النوع المسيء للعرب ومن النوع الغير مناسب في اي حال من الاحوال . وفي الاسبوع نفسه كشف عضو الكونغرس الاميركي السيد ماكلوسكي عن ان استخدام الاسرائيليين للقنابل العنقودية ، وهي القنابل المحرمة دولياً ، ضد المواطنين المسالمين خلال عدوانهم على جنوب لبنان، هو ضد التعهدات المعطاة لحكومة الولايات المتحدة . وبالرغم من الاتصالات التلفونية ورسائل الاحتجاج التي وجهت لمقدم برنامج « كما يحدث » فلقد اعتبر ان هذه المادة الاخبارية لا تتناسب مع المستمعين الكنديين .

وفي حلقة ٩ شباط ١٩٧٩ من برنامج « كما يحدث » نرى مثالا آخر عن اشكال الصحافة المسيئة والتي تحط من قدر العرب . كان الموضوع هو برنامج زيارة الملكة اليزابيت الثانية لبلدان عربية لمدة ثلاثة اسابيع وهي الزيارة التي شملت السعودية والكويت ودولة الامارات العربية . وفي معرض التقديم لهذه المادة الاخبارية تتم الاساءة الى كل التقاليد العربية عن طريق الكلام الساخر عن « الترف عند العرب الذين يأكلون اعين الغنم من الماشية » تــم

تستضيف السيدة فوريم سيدة تدعى اولغا موت لاند (وهي كاتبة متخصصة بالاخبار الخاصة حسب ما تصفها مقدمة البرنامج) من صحيفة « ديلي اكسبرس » اللندنية . وكان السؤال الاول الذي وجه اليها « هل تقوم الملكة بزيارة هؤلاء «السيفرز» بدعوة منهم ام انها تسعى وراءهم بمبادرة منها ؟ » . ويعرف قاموس اكسفورد كلمة سيفرز Ciphers على انها « اشخاص تافهون لا قيمة لهم » بينما يعرفها قاموس وبستر على انها « الذي لا وزن له ولا قيمة ولا تأثير » . وهؤلاء هم ملوك ورؤساء دول يكرمون جلالتها وهم ملوك ورؤساء دول صديقة لكندا . كما انهم يمسكون على مفتاح الازدهار للشعوب العربية عن طريق كميات النفط التي تصدرها بلادهم . هؤلاء هم الذين تصفهم السيدة فوريم على انهم سيفرز لا قيمة لهم . وخلال المقابلة كلها كانت لهجة السيدة فوريم تسخر من العرب والحكام العرب . وتسيء ليس فقط للعرب الكنديين بل لكل المستمعين ايضا . وليس من المعقول ان يكون العمل الاعلامي هذا هو الذي يدفع من اجله الكنديون الدولارات على شكل ضرائب، وهو امر يتعارض مع مصالحهم، بغض النظر عن تهجمات السيدة فوريم الشخصية والسياسية ، وما يترتب عليه من شتم لشعوب وبلدان ليس بينهم وبين الكنديين اي عداوات او خلافات .

٧ ـ « التوازن » ـ الكاذب : « انه لأمر معروف ان غالبية البرامج التي تقدم من الاذاعة والتلفزيون تحابي اسرائيل وان معظم العاملين هم من الاسرائيليين او من المؤيدين لاسرائيل . لكنه في حال حدوث ان احداً رغب في تقديم وجهة نظر معادية للصهيونية ، يتم في الحال التقدم بطلب لتقديم رأي معاكس من اجل الحفاظ على « التوازن » ولقد حدث ان اتى الدكتور الفرد ليلينتال ، وهو كاتب يهودي ومؤرخ بارز ، الى جامعة والهوسي للزيارة ولالقاء محاضرات . وعندما طرح امر اجراء مقابلة معه في برنامج للتلفزيون المحلي لهيئة الاذاعة الكندية ، كان من الضروري تقديم صهيوني ليعرض وجهة النظر الاخرى لدواعي التوازن . وأنا اعرف ، خصوصا انني واكبت اراء مؤيدة للصهيونية من هذا البرنامج وغيره ، ان ضرورة التوازن هي قضية مسلية وعادية .

٨ ـ الاعلانات : خلال شهري نيسان وايار من سنة ١٩٧٨ ، تم عرض اعلان تجاري من هيئة الاذاعة الكندية ومن A TV . بهدف الدعاية من اجل تخفيض الاستهلاك للطاقة . ولقد عرض هذا الاعلان العنصري عربياً ، في زي عربي تقليدي ، وبشكل مسيء للشخصية العربية على أساس انها شخصية شيطانية تسرق المال عن طريق الاغتصاب . والاكثر عجبا في هذا الامر هو ان هذا الاعلان التجاري قد رعته حكومة نوفاسكوتيا الحالية . ومن الجدير بالملاحظة انه عندما قدمت احتجاجات الى الوزير ضد مجلس الطاقة في نوفاسكوتيا تم فعلا سحب هذا الاعلان .

نظام التلفزيون الاطلنطي (ATV)

تظهر التقارير الاخبارية ، وبرامج الشؤون الحالية في نظام التلفزة الاطلنطي انحيازا ومستوى منخفضا من التكافؤ كما فصلنا اعلاه. وهناك امثلة كثيرة لكنني سأحصر الامر بثلاثة امثلة تشكل تجربة شخصية

١ ـ يوم السادس عشر من آذار ١٩٧٨ ، دعي مدير القسم الفلسطيني في مكتب المعلومات العربي لالقاء محاضرة في مركز اتحاد الطلاب في جامعة والهوسي . ولقد اعلمت وسائل الاعلام . كما تم تعيين مواعيد مع تلفزيون CBC وATV وكذلك صحيفة « كرونكل هيرالد » .لقد تمت كل الامور على ما يرام الا بخصوص ATV الذي الغى البث كما كان قد اتفق من قبل . اما العذر الذي قدم فكان . « لم يكن من الممكن توفير شخص آخر لتقديم وجهة نظر اخرى » . ومن الجدير بالاشارة هنا انه في الاسبوع الذي سبق ذلك قدم زائر اسرائيلي وجهة نظره على البرنامج نفسه من غير ان يطرح احد قضية تأمين عرض لوجهة النظر الاخرى .

٢ ـ يوم السابع والعشرين من ١ ايلول ١٩٧٨ رعت دائرة الثقافة الدولية في جامعة القديسة ماري في هاليفكس ندوة عن اتفاقات كامب ديفيد شارك فيها مندوب اسرائيلي اسمه السيد سيموندز كما شاركت فيه كمواطن فلسطيني كندي ، ممثلين وجهتي النظر المختلفتين . ولقد قدمت دائرة الثقافة الدولية هذه المناقشة لكل وسائل الاعلام في هاليفاكس . ولقد قدمنا كلانا في CBC وكرونكل هيرالد بينما رأت ATV استضافة السيد سيموندز فقط . وفي هذه الحال لم يكن الامر مجرد بحث عن وجهة النظر الاخرى بقدر ما كان استبعادا مقصودا لها .

٣ ـ في شهر تشرين الاول ١٩٧٩ دعي المحامي الاميركي عابدين جبارة لالقاء محاضرة عن انتهاكات اسرائيل

لحقوق الشعب الفلسطيني في كلية الحقوق في جامعة والهوسي . ولقد تقدمت ATV من اجل استضافة المحاضر الزائر . الا انه تم الاعتذار بحجة ان مقدم البرنامج لم يجد ما « يسند اليه » هذا الموضوع .

تلفزيون دارتماوث كابل

لقد حدث مرة ان اتفق على اجراء مقابلة مع رئيس وسكرتير جمعية العرب الكنديين في المناطق الاطلنطية . وعين الموعد مع مدير البرنامج على ان يكون يوم ٢ كانون الثاني ١٩٧٩ . بهدف التصريح عن اهداف ونشاطات المؤتمر السنوي العام للجمعية وكذلك شرح برنامجة في اقامة مدرسة لابناء الجالية المقيمة. وعند الموعد المحدد اعتذر مدير البرنامج ، وهو في وضع متوتر وبادي الاهتمام ، لالغاء المقابلة . ولقد فسر الامر على انه تلقى تهديدات بالتلفون من اعضاء في المنظمة الصهيونية في هاليفاكس لانه سبق له ان عرض شريطاً عن الحياة الفلسطينية في المناطق المحتلة من وجهة نظر توجه نقدا للاحتلال الاسرائيلي.ولقد اتصلت شخصياً، في اليوم التالي ، بمدير البرنامج الذي اكد لي انه تلقى فعلا مثل هذه التهديدات . ولقد بدا في وضع قلق وكثير التأثر .

ان هذا مثال واضح للارهاب الذي تمارسه جالية من السكان لتمنع الشعب الكندي من الاطلاع ، عبر وسائل الاعلام، على وجهات النظر الاخرى التي تنتقد وجهة النظر الصهيونية . كما ان تتبع هذه الحادثة يظهر مزيداً من التهويل . فبعد ان كشفنا واقعة الارهاب هذه لوسائل الاعلام وبعد ان عرضنا الامر امام المعنيين ، أتى من همس لمدير البرنامج الدكتور كوربير، ان عليه ان ينفي الامر في سبيل مصلحته . وهكذا نشر رسالة بأسمه في صحيفتي « كرونكل هيرالد » و « ذي ميل ستار » الصادرتين في هاليفاكس يوم ٣ آذار ١٩٧٩ نافيا ان يكون قد تعرض للارهاب او ان يكون قد الغى البرنامج الذي سعينا له . ولقد كتبت لصحيفة « كرونكل هيرالد » ، كما كتب اثنان من الذين اطلعوا على القصة من الدكتور كوربير شخصيا ، نعرض تفاصيل الرواية الحقيقية . ولقد اعتذر رئيس التحرير عن نشر رسالتي ، حسب نصيحة محاميه ، حتى لا يؤخذ الأمر على انه تكذيب للدكتور كوربير . عندها عدت وكتبت الى رئيس التحرير والى ناشر الصحيفة مبديا استهجاني من ان محاميهم بذلك لا يرى الدرجة ذاتها من الاهمية لاعتباري كاذبا . ولم تعط الصحافة « الحرة » كثير بال لحقيقة ان روايتي كانت مدعومة من مراقبين حياديين . وهذا مثال آخر عن الارهاب الصهيوني وعن القصة القديمة ذاتها التي نواجهها دائما في هذا الجزء من العالم ، وهي « **المقاييس المزدوجة** » . اذ يمكن لأي شخص ان يكتب اي شيء عن العرب والفلسطينيين ، ولكن عندمايسعى هؤلاء للدفاع عن انفسهم في مواجهة الصهيونية يصبح الأمر غير مناسب ومن غير مصلحة الرأي العام كما يصبح عداء للسامية .

الصحافة

تلعب الصحافة ، على المستوى ذاته ، دوراً سلبيا . وانه لأمر مألوف للجميع تلك المقالات المعادية للعرب والمتعلقة بالنزاع في الشرق الاوسط . صحيح ان الصحافة دابت باستمرار على تناول الاسلام من موقع معاد، الا ان الامر وصل الى مستوى متدن من الاخلاق منذ الثورة الايرانية ، وجميع المحررين ، الى حد ما ، يأخذون موقفاً معاديا . اذ انه من الصعب ان تنشر مقالة او تكتب رسالة تعرض وجه النظر الثانية . وتجربتي مع الصحيفة اليومية في هاليفاكس « كرونكل هيرالد » هي مثال تقليدي للمقاييس المزدوجة وعدم المساواة الدائمة . ولنعط بعض الامثلة .

يوم ٢ آذار نشرت صحيفة « ذي كرونيكال هيرالد » مقالة افتتاحية بعنوان « تهديد عرفات » واصفة اياه على انه « رجل يشكل مع منظمته تهديدا خطيرا لقضية السلام في الشرق الاوسط والعالم ولأمن واستقرار الانسانية » . « ويرتكب اتباعه اعمال القرصنة الجوية والقتل وهي اعمال تزيد في فظاعتها على اي وصف » . وتضيف المقالة « يفتقد الفلسطينيون الى خصائص شخصية مثل خصائص وطن له حدود جغرافية محددة » . وقس على ذلك من الاقوال التي تفتقد الى اي اساس من الصحة . ولقد كتبت الى المحرر بهذا الخصوص مؤكداً على عدم صحة هذه الادعاءات وعلى اصالة الشخصية الفلسطينية وكذلك على مدى الاضطهاد والقمع وانتزاع اراضي الشعب الفلسطيني . الا ان المحرر رفض نشر رسالتي ، بحجة ان هذا الأمر ليس من جملة اهتمامات الرأي العام. كما انه لم يبد استغرابه عندما تساءلت كيف يكون الامر من صميم اهتمامات الرأي العام لدرجة تناوله

بمقالة افتتاحية بينما يصبح غير ذلك عندما اوجه رسالة لتنشر في الزاوية المقابلة ؟ .

ان كثيراً من الكتاب الصهيونيين ، امثال رجل الاعمال سامول جاكبسون ، ينشرون من وقت لآخر مقالات في صفحة الرأي في صحيفة « ذي كرونكل هيرالد » تؤيد وجهة النظر الاسرائيلية وتشهر بدرجة كبيرة بالفلسطينيين والعرب . وهي مقالات لا تقوم على اي اساس من الحقيقة وتكون مشبعة بالهراء والنفاق . وفي اكثر من مناسبة كتبت مقالات موثقة تعالج مواضيع رئيسية بما فيها الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان وحقوق الشعب الفلسطيني ومواضيع اخرى من هذا القبيل . الا انها كانت ترفض كلها . وبينما كان يتم نشر كل المقالات التي تعكسَ وجهة النظر الاسرائيلية والاميركية من اتفاقات كامب ديفيد والمعاهدة التي تبعتها ، الا ان وجهة النظر الفلسطينية لم تكن تناسب اعين الكنديين .

يوم ١٩ تموز ١٩٧٩ اعادت صحيفة « ذي كرونكل هيرالد » نشر مقالة من صحيفة « ذي ديلي تلغراف » بقلم بيريجرن وورستورن وكانت بعنوان « وجهة نظر الغرب من بترول العرب ــ سلاح قاتل في ايدي اعداء حاقدين » . وهي مقالة لم يسبق ان كتب مثلها من الافتراء والعداء . ولقد رفضت الصحيفة نشر رد قصير يفند ما جاء فيها من مغالطات .

كتب التعليم المدرسية

المدرسة هي قطاع آخر خطير الا انهم مهمل . اذ ان كثيراً من كتب التعليم ، ولنضع جانباً المدرسين، تقدم معلومات مغلوطة ومنحازة . ولقد وقع بين يدي منذ فترة كتاباً يستخدم في المرحلة الابتدائية من التعليم ، والكتاب بعنوان « عالم الشعوب في المحيط الشرقي » ، من تأليف بنيامين فاز ، دار بورو ، نورث يورك أونتاريو . ويشمل الكتاب على تسع مناطق تضم افريقيا وآسيا واوروبا . وواحدة من هؤلاء هي اسرائيل (لاحظ العنوان ارض الميعاد) . ويهدف مضمون الكتاب الى كسب العطف وتقديم معلومات غير صحيحة . ولا اساس من الصحة لكل ما يرد ذكره على انه حقائق تاريخية . وعليه ينكر على الفلسطينيين حقهم التاريخي الموروث . كما ينكر عليهم هويتهم :« كان يعيش في فلسطين اليهود، والعرب والمسيحيون » . وفي سنة ١٩٤٨ « شن العرب المجاورون حرباً ضد اسرائيل » . اما في سنة ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، وسنة ١٩٧٣ « فقد اندلعت الحرب». وتقدم احصائية فريدة تقنية خبيثة يعتمدها المؤلف من اجل ان يبين نسبة الغير متعلمين ومعدل الدخل والمصاريف الحكومية والمستوى الصحي الفردي والمعيشي في اربع بلدان هي كندا ، مصر ، اسرائيل والاردن . والنتيجة مهمة جداً . انها التناقض الصارخ **بيننا وبينهم** . والاسرائيليون مثل الكنديين (انهم الــ **نحن**) اما العرب **فهم ليسوا** من الــ نحن . ويقدم الكتاب تفاصيل عن مواعيد رحلات الطيران وعن اماكن الانضمام الى رحلات الى اسرائيل . وهذا امر تنفرد به اسرائيل من بين كل الدول التي يعرضها الكتاب . كما يعرض الفصل العلم الاسرائيلي وهاتيكفا (النشيد القومي الاسرائيلي) ،باللغتين الانكليزية والعبرية . وليس من المؤكد ان كل البلدان الاخرى **لها علم خاص بها أو نشيد قومي** ! ان الامور تبدو في حالة شديدة القساوة . هل من الممكن دراسة ميكانيكية واسباب هذا الوضع ؟ ان كل متتبع للحالة السياسية في وسائل الاعلام الكندية قادر على العثور على بعض الاجوبة . والاسئلة المطروحة كثيرة . الا ان معظم هذه الاسئلة ترتبط بمن يملك او يتحكم بوسائل الاعلام ، وبالمنتجين المنفذين . وبدرجة ارتباط فرص تحسين اوضاعهم ورتبهم بوجهات النظر التي يعرضونها عن الشرق الاوسط . وما اذا كانت توجه لهم دعوات منظمة لزيارة اسرائيل في فترات الصيف . ودور ذلك على المستوى السياسي . ان الوعد الذي قطعه رئيس الوزراء كلارك على نفسه لنقل مقر السفارة الكندية من تل ابيب الى القدس يكشف بشكل واضح العامل السياسي ، حتى ولو كان على درجة غير كبيرة . وباختصار يمكن ايراد ما ذكره الفرد ليلينتال . « ان الاخطبوط الصهيوني » موجود هنا ايضاً . ان الاخطبوط ، وعلى ذات المستوى الموجود فيه في الولايات المتحدة الاميركية منتشر هنا . وهذا الاخطبوط ليس امتيازاً ينفرد به الاميركيون الشماليون . انه منتشر في اوروبا ايضاً . ويكشف كتاب مايكل آدامز وكريستوفر مايهو « ليس للنشر ــ الشرق الاوسط يغطيه » دور هذا الاخطبوط في بريطانيا .

وعند هذه النقطة يشهر الصهيونيون سلاحهم بوصم كل منتقديهم بتهمة العداء للسامية . ولقد اظهر هذا السلاح فعالية كبيرة في اخراس كل منتقدي اسرائيل وسياساتها ،مما اعطى اسرائيل حصانة فريدة لم يسبق ان تمتعت بها دولة من قبل . اذ من الممكن ان تنتقد السياسة الكندية وسياسة الولايات المتحدة او اي حكومة اخرى .

يمكن ان تنتقد السيد جو كلارك والسيد جيمي كارتر وحتى ملكة انكلترا ، ولكن الويل لك ثم الويل اذا ما تعرضت بالنقد لسياسة الحكومة الاسرائيلية ، او لمناحيم بيغن او الذين كانوا قبله . انهم جميعا فوق عملية النقد .

واشعر الان بالسعادة وانا انهي هذه المقالة بالملاحظة الايجابية التالية ان اعدادا وفيرة من الصحافيين والاكاديميين وحتى السياسيين من اوروبا واميركا الشمالية قد بدأوا يكسر هذا الطوق . لقد بدأوا بالافصاح عن آرائهم . صحيح ان العملية لا زالت بطيئة ومبكرة . الا انها على الطريق الآن ولن يمضي وقت طويل حتى يسمح للكنديين والاوروبيين والاميركيين بان يعرفوا ان الفلسطينيين هم شعب ، مثل كل الشعوب الاخرى . وان لهم حقوقا ايضا . وانهم يتألمون ، مثل كل الشعوب ، عندما يتعرضون للقمع او لانتزاع اراضيهم .

كندا ـ د . اسماعيل زايد

أحداث افغانستان وانحسار الغرب عن آسيا

شهدت أفغانستان بين ٢٧ نيسان ١٩٧٨و٢٧كانون الأول ١٩٧٩ سلسلة من الانقلابات العسكرية ، يمكن اعتبارها صراعاً على السلطة بين أجنحة الائتلاف الذي أسقط نظام داوود خان . وقد اعتمد الائتلاف على الجيش بشكل أساسي ، اضافة الى وجود سياسي شكل أساسه حزبا « خلق » الذي يتزعمه نور محمد طرقي و« بارتشام » الذي يتزعمه بابرال كارمال . ويعود الحزبان الى منشأ واحد، ففي عام ١٩٦٧ انشق كارمال عن خلق ، وشكل بارتشام ، لكن الحزبين عادا الى الاندماج في تموز ١٩٧٧ وعملا معاً لاسقاط داوود خان . ولم يطل التحالف بين الحزبين ، فمنذ أواسط العام ١٩٧٨ بدأت عملية اقصاء أتباع كارمال الى السلك الديبلوماسي الخارجي ، وبدأت خيوط السلطة تتجمع في ايدي حفيظ الله أمين ، الذي أصبح منذ ٢٩ آذار ١٩٧٩ الحاكم الفعلي لأفغانستان ، بعد أن تسلم رئاسة الحكومة ، واكتفى طرقي بألقاب رئيس الجمهورية والأمين العام لحزب خلق ، والزعيم العظيم للشعب الأفغاني . ولم يكتف أمين بذلك ، بل عمد في ١٦ أيلول ١٩٧٩ إلى اجراء عملية انقلابية انتهى فيها طرقي جسدياً في ظروف غامضة . ولم يطل أمر أمين وحكمه ففي ٢٧ كانون الأول ١٩٧٩ أطاح الجيش بأمين ، الذي اعتبرته السلطة الجديدة « عميلا للولايات المتحدة الأميركية » . فقد أعلن كارمال في خطابه الأول الى الشعب الافغاني « ان أمين عميل وكالة المخابرات المركزية الأميركية ، وخائن قضية وحدة الحزب والدولة والقوات المسلحة . قد قضى ، دون رحمة أو شفقة على حياة نور محمد طرقي ، أول سكرتير عام للجنة المركزية للحزب الديمقراطي الشعبي .. ونتيجة لموجة السخط الشعبي مثل أمين وأعوانه أمام محكمة الشعب الثورية العادلة وأعدم (نوفوستي ١٩٧٩/١٢/٣١) .

السلطة الجديدة تعلن العداء للصهيونية والتاييد للشعب الفلسطيني

أعلن كارمال ، في خطابه الى الشعب الافغاني ، عن النهج السياسي الذي سيتبعه فقال . « ان أفغانستان تقف جنباً ، الى جنب مع القوى المحبة للسلام ، وتناضل ضد الحروب ومشعليها وضد الاستعمار والاستعمار الجديد والامبريالية والصهيونية... وتدعم بحزم النضال التحرري للشعب العربي الفلسطيني (نوفوستي ، ١٩٧٩/١٢/٣١) كما ايدت السلطة الجديدة الثورة الايرانية ، ودعت الدول المجاورة لأفغانستان الى مد يد الصداقة والتعاون . وسمت الدول المجاورة بأسمائها ، لكن ما ميز الحركة الجديد في أفغانستان هو طلبها الدعم العسكري من الاتحاد السوفياتي ، وهو الطلب الذي لقي الاستجابة الفورية ، ودخلت القوات العسكرية السوفياتية أفغانستان. حيث تم الطلب وتمت الاستجابة له من وجهة نظر الجانبين ، تطبيقاً لاتفاقية حسن الجوار والتعاون الموقعة بين الدولتين في كانون الأول ١٩٧٨ . وقد أصدرت الحكومة الأفغانية بلاغاً بهذا الخصوص جاء فيه« تصرح حكومة جمهورية أفغانستان الديمقراطية بكل الحزم مرة أخرى بأن ذلك الطلب ، قد جاء نتيجة تزايد التدخل المسلح والاستفزازات من قبل الأعداء الخارجين للشعب الافغاني .. وتؤكد حكومة جمهورية أفغانستان الديمقراطية ان ضرورة مثل هذه المساعدة سوف تنتفي بعد انتهاء التدخل المسلح والاستفزازات من الخارج (نوفوستي ١٩٨٠/١/٣٠) . من ناحية اخرى ادان أسد الله بسافاري نائب الرئيس الافغاني الادعاءات القائلة أن الاتحاد السوفياتي تدخل في شؤون بلاده الداخلية

« واتهم الولايات المتحدة والصين والمملكة العربية السعودية ومصر أنها قد اشتركت في تشكيل عصابات قطاع طرق معادية للأفغان (رويتر ٥/١/١٩٨٠) . وقد ولد دخول القوات العسكرية السوفياتية افغانستان موجة من ردود الفعل الحادة في العالم الغربي ومؤيديه من دول العالم .

ردود الفعل العالمية على أحداث افغانستان ، واستخدام الولايات المتحدة الغذاء سلاحا سياسيا .

اتسم الموقف لدى دول العالم ، من احداث افغانستان ، بالحدة في طابعه العام . وشكل فرزاً واضحا تميز بالدعوة والاستعداد الى خطوات عملية ، كان أبرزها موقف الولايات المتحدة والدول المرتبطة بها. فقد أعلنت الولايات المتحدة خطوات اجرائية ضد الاتحاد السوفياتي اهمها وقف تصدير القمح ، كما حددت باتخاذ خطوات أخرى كوقف تصدير التكنولوجيا المتطورة ، وعدم التوقيع على اتفاقية سالت ـ٢ والعمل على نقل دورة الألعاب الأولمبية ـ ١٩٨٠ ، الى خارج الاتحاد السوفياتي ، الخ ذلك . وطلبت الولايات المتحدة من حلفائها الاقتداء بها ، فأعلنت كندا وقف تصدير القمح الى الاتحاد السوفياتي ايضاً ، وبدأت تبحث مع بلدية مونتريال مسألة الاستعداد لاجراء الدورة الأولمبية فيها . وأعلنت كل من مصر واسرائيل استعدادها لتقديم تسهيلات عسكرية للولايات المتحدة ، واقترحتا عليها ذلك . لكن الولايات المتحدة قررت استخدام قواعدها في الصومال وعمان . كما أعلنت الصين ، في ختام زيارة هارولد براون وزير الدفاع الأميركي لعاصمتها بكين ، « أن العمليات السوفياتية تهدد بصورة مباشرة السلام الدولي والأمن لكافة دول العالم ، وأنها تشكل تحدياً للمجتمع الدولي ... ولذلك رأى الجانبان أن المقاومة والتصدي للعدوان العسكري السوفياتي وأطماعه التوسعية مسألة عاجلة جداً في الوقت الراهن (السفير ، ٨/١/١٩٨٠) ، وقال تينغ هسياو بينغ في مأدبة عشاء أقامها حسين مبارك نائب الرئيس السادات أثناء زيارته للصين ، « ان الصين تعتزم التعاون مع الشعب الأفغاني في التصدي لأعمال العدوان والتوسع السوفياتي (المصدر نفسه) . ودعت السعودية وتونس الدول الاسلامية الى « عدم الاكتفاء بالتنديد اللفظي » وقال الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية « ان جميع الدول الاسلامية والدول النامية مهددة بهذا الخطر (السفير ٦/١/١٩٨٠) . كما دعا الحبيب الشطي الأمين العام للمؤتمر الاسلامي الدول الأعضاء في المنظمة الاسلامية « لتوحيد جهودها من أجل وضع حد للوجود العسكري السوفياتي في افغانستان (المصدر نفسه) .

لكن ياسر عرفات رئيس منظمة التحرير الفلسطينية قال في كلمة القاها في الذكرى العشرين لتأسيس اتحاد طلبة فلسطين ، « في الوقت الذي يتباكون فيه على الاسلام في افغانستان هم ضد الاسلام في ايران (النهار ، ١١/١/١٩٨٠) .

كما اعلن فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية « أن الاتحاد السوفياتي قدم لأفغانستان مساعدة غير انانية ولصالح الشعب الأفغاني (السفير ، ١٢/١/١٩٨٠) .

اضافة الى موقف م.ت.ف. الذي عكسه تصريح فاروق القدومي ، أعربت المنظمات الفلسطينية عن شجبها للحملة الامبريالية الاميركية ضد افغانستان . وأعلنت الجبهة الديمقراطية موقفها من السلطة الافغانية الجديدة في برقية التهنئة التي أرسلها الامين العام للجبهة نايف حواتمة ، جاء فيها « نعبر عن تضامننا الكامل مع كل الاجراءات التي اقدمت عليها حكومتكم وحزبكم لمجابهة التدخل والعدوان الرجعي والامبريالي ، وبالاستناد الى التضامن والمساعدة الخاصة التي قدمها الاتحاد السوفياتي ، وخاصة على الصعيد العسكري (الحرية ، ١٤/١/١٩٨٠) .

على صعيد آخر اجتمع مجلس الأمن بناء على طلب ٥٠ دولة لبحث مسألة « التدخل العسكري السوفياتي في افغانستان » في ٥/١/١٩٨٠ وقد تقدمت الدول صاحبة الطلب بمشروع قرار يدعو الى سحب القوات العسكرية الأجنبية من أفغانستان . دون أن يسمي بالاسم الاتحاد السوفياتي . ورد المندوب السوفياتي على القرار بالقول « ان الاقتراح الذي قدمته الولايات المتحدة وبريطانيا وحوالي ٥٠ دولة أخرى تؤيدها لتوريط مجلس الأمن في القضية ، غير مقبول ... ان الأحداث في تلك البلاد هي شؤون افغانية . وان العلاقات بين موسكو وكابول مبنية على التزامات المعاهدة المتبادلة بينها (رويتر ، ٥/١/١٩٨٠) . كما قال وزير خارجية افغانستان شاه محمد دست في الجلسة « ان حكومة بلدنا تعتبر هذه المناقشة تدخلا مباشراً في شؤون أفغانستان الداخلية ، وهي تعبر عن احتجاجها الحاسم على ذلك... فبوجه تزايد الخطر الخارجي وقيام الولايات المتحدة الأميركية وغيرها من الدول الأمبريالية والصين بالدعم المباشر للعصابات المناوئة للثورة ، لبت الحكومة السوفياتية طلبنا وفقاً للمادة ٤ من معاهدة الصداقة وحسن الجوار والتعاون بين الاتحاد السوفياتي وأفغانستان ، وأرسلت الى افغانستان مجموعة محدودة من القوات المسلحة (نوفوستي ، ٨/١/١٩٨٠) . وردت بريطانيا على وزير خارجية افغانستان بالقول « ان بريطانيا لا تعتبر حكومة افغانستان الحالية حكومة شرعية »(رويتر ، ٥/١/١٩٨٠) . وأيدتها الولايات المتحدة . وبعد مداولات استمرت ثلاثة أيام صوت أعضاء مجلس الأمن على مشروع القرار الداعي الى سحب القوات العسكرية من افغانستان فأيدته ١٣ دولة ،

وعارضه الاتحاد السوفياتي وألمانيا الديمقراطية . لكن القرار سقط باستخدام الاتحاد السوفياتي حق الفيتو .

بعد ذلك طلبت ١٨ دولة من دول عدم الانحياز ، عقد اجتماع طارىء للجمعية العمومية ، لبحث موضوع التدخل في أفغانستان ، اذ أنه ليس لأي دولة حق الفيتو في الجمعية العمومية ، لكن قراراتها تشكل احتجاجا فقط ، فليس لها قوة الالزام والتنفيذ . وتعتبر هذه الجلسة هي السادسة من نوعها خلال ٢٤ سنة من عمر الجمعية العمومية . فقد عقدت أول جلسة طارئة لها في تشرين الثاني ١٩٥٦ لبحث الاعتداء الثلاثي على مصر ، وفي العام ذاته عقدت أيضا في تشرين الثاني اجتماعا طارئا ثانيا لبحث التدخل السوفياتي في المجر ، وعقدت اجتماعا ثالثا في آب ١٩٥٨ لبحث مسألة الانزال الأميركي في لبنان . وفي أيلول ١٩٦٠ اجتمعت لبحث مسألة الحرب في الكونغو ، أما الاجتماع الخامس لها فكان في حزيران ١٩٦٧ لمعالجة الحرب العربية ـ الاسرائيلية . وقد بدأت الجمعية العمومية جلستها في ١٩٨٠/١/١١ لبحث مسألة التدخل العسكري السوفياتي في أفغانستان .

المعارضة الأفغانية

كتب لويس دويري في صحيفة الغارديان . « بعد انقلاب السابع والعشرين من نيسان ١٩٧٨ الذي أطاح بداوود خان ، لم يواجه النظام الجديد سوى معارضة لا تكاد تذكر ، وذلك لثلاثة أسباب ، الأول أن معظم المواطنين فوجئوا بالانقلاب ، الثاني أن الأغلبية كانت تريد أن تمنح النظام الجديد فرصة النجاح . والثالث هو أن الانقلاب وقع في الربيع . والربيع والصيف في أفغانستان موسما عمل زاخران . فالريف يكون عادة مشغولا بالحصاد والماشية اللذين يشغلانه عما يدور في العاصمة ، ولكن ما ان انتهى الموسم الزراعي حتى انفجرت القلاقل في الأرياف مصحوبة بانفجارات دورية في العاصمة (السفير ، ١٩٨٠/١/١٠) . ونقل داوني المراسل التلفزيوني ، الذي اشتهر بتغطية ثورات أرتيريا وروديسيا وكردستان ، صورة عن النشاطات المسلحة المناهضة لنظام الحكم في كابول فقال . « ان ثورة أفغانستان هي الأكثر فوضى بين الثورات التي عرفتها ، فليس هناك في كونار وهي مركز رئيسي للثورة أية قيادة مركزية ، وكثيراً ما يمنع قرويون من قبلية من القبائل مسلحين من مناطق أخرى من المقاطعة من اجتياز أراضيهم ، وأن الأسلحة التي يجري الاستيلاء عليها تباع عادة . كما ان الجنود الذين ينضمون الى الثوار ، كثيراً ما تسلب أسلحتهم ويتركون كي يدبروا شؤونهم بأنفسهم .. ان المسلحين في مقاطعة كونار لم يكونوا يفكرون كثيراً في الأحداث خارج المقاطعة ، وكانوا يقاتلون بصورة رئيسية للحفاظ على وضعهم الاقطاعي القائم ووقف الاصلاحات التي أدخلتها الحكومة اليسارية في كابول وهي اصلاحات اعتبرت ضد الاسلام (السفير ١٩٧٨/١٢/٣١) . وقد علق مصدر باكستاني معارض على وضع القبائل المسلحة في أفغانستان وقال « ان قيام حركة معارضة مسلحة قوامها رجال القبائل المسلحون في أفغانستان هي عملية ليست سهلة... وان تحقيق ذلك باهظ التكاليف وصعب الاعداد ، وذلك بسبب وجود عدة قبائل على طول الحدود الباكستانية ـ الأفغانية تعاني من نقص في التعليم وينعدم لديها الهدف والجهل الكامل ، الذي يميز رجال القبائل ، بمختلف أنواع الأسلحة الحديثة .. ان التكاليف لا تنحصر فقط بما سينفق على ابتياع الأسلحة وحسب ، بل بمقدار الأموال التي توزع على رجال القبائل لاقناعهم بمحاربة الحكومة المركزية في كابول (السفير ، ١٩٨٠/١/١١). أما القيادة السياسية للمعارضة فهي موزعة في الأقطار المجاورة ، وتعمل جاهدة لتشكيل جبهة موحدة لقيادة العمليات القتالية . وقد اجتمعت هذه القيادات في ١٩٨٠/١/٤ في باكستان لبحث مسألة تشكيل جبهتها وضم الاجتماع رؤساء أربعة تنظيمات ، لكنهم لم يتوصلوا الى اتفاق محدد ، حيث يدعو البعض منها الى العمل تحت زعامة الملك السابق لأفغانستان ظاهر شاه الذي يعيش في المنفى في روما منذ عام ١٩٧٢ « الذي ناشد كل المجموعات السياسية في بلاده تناسي الخلافات والانضمام الى القوات التي تخوض حرب تحرير ضد التدخل السوفياتي (السفير ، ١٩٨٠/١/٨) . كما طلب رئيس المجلس الثوري الوطني الاسلامي في أفغانستان ضياء خان نصري من الحكومة المصرية « شحنا جويا فوريا للأسلحة والمستشارين العسكريين لمساعدة الثوار الأفغانيين الذين يواجهون القوات السوفياتية . وقال انه قدم هذا الطلب أثناء محادثاته مع وزير شؤون الرئاسة المصري منصور حسن (المصدر نفسه) .

أهمية أفغانستان الجغرافية السياسية

هذا الاهتمام الذي حظيت به الأحداث في أفغانستان ، ينطلق من اعتبارات جغرافية سياسية لهذا البلد الذي يعتبر عقدة الوصل بين وسط وشرق آسيا . ويبلغ طول حدوده الشمالية مع الاتحاد السوفياتي ١٢٠٠ كم ، كما يتصل مع الصين في الشمال الشرقي منه بحدود طولها ٥٠ كم ، وتقع باكستان على حدوده الشرقية والجنوبية ويبلغ طول الحدود معها ١٥٠٠ كم ، ومن الغرب تحده ايران وطول حدودها مع أفغانستان تبلغ ٦٠٠ كم .

يسكن في أفغانستان ١٧ مليون نسمة ، وطبيعة أراضيه جبلية وعرة ، يعمل ٨٠٪ من سكانه في

الزراعة ، وتبلغ نسبة الأراضي المزروعة ٨٪ من مساحة البلاد . كما يحوي باطن الارض ثروات طبيعية أهمها النفط والفحم والغاز الطبيعي ، وهذه الثروات غير مستغلة حتى الآن .

وبعد أن خسرت الولايات المتحدة مواقعها في ايران ، عملت على استعادة نشاطها في بلدان مجاورة للاتحاد السوفياتي . وتعتبر ، في هذا الاطار ، أفغانستان بلداً نموذجيا ، جغرافيا ، لمراقبة نشاط الاتحاد السوفياتي ، وقد يكون هذا السبب أحد الأسباب الرئيسية التي دفعت الأتحاد السوفياتي الى تقديم العون العسكري السريع لحكومة كابول الجديدة . هذا العون فاجأ الولايات المتحدة فردت على ذلك باعادة شحن الاسلحة الى باكستان ، كما أعادت اقامة اتفاق مع تركيا على استخدام القواعد الأميركية فيها لمدة خمس سنوات أخرى ، بعد ان كانت قد أوقفت استخدامها بعد أحداث قبرص . كما طلبت الولايات المتحدة من الدول المؤيدة لها الدعم والعون لتطويق خطوة الاتحاد السوفياتي ، كان أبرزها تضامن كندا بالاعلان عن وقف شحن الحبوب الى الاتحاد السوفياتي :واقرار السعودية تقديم قرض لباكستان قيمته ٨١٠ مليون دولار . هذا عدا الدعاوة السياسية الواسعة لتحريض العالم الاسلامي ضد الاتحاد السوفياتي الملحد . فقد قال الرئيس الأميركي كارتر عن التدخل السوفياتي في أفغانستان « انه جهد متعمد من حكومة ملحدة وقوية لاخضاع شعب مسلم مستقل (السفير ، ١٩٨٠/١/٦) .

أخيراً ، مع التحفظ من ظاهرة استخدام القوة ، هل يمكن اعتبار التحرك الأميركي الصاخب دفاعاً عن الحرية ، والولايات المتحدة صاحبة الباع الطويل في اسقاط الأنظمة المعارضة لها من مصدق الى الييندي ؟ أم ان الولايات المتحدة بدأت تشعر بأن امبراطوريتها بدأت بالتقلص في العالم ، من فيتنام ، مروراً بكوبا وايران ونيكاراغوا ، فعادت الى سلاح الخمسينات لترفع مجدداً شعار الصراع مع الشيوعية الملحدة ؟ واذا كان الأمر كذلك فلماذا ، كما قال ياسر عرفات « يتباكون على الاسلام في أفغانستان وهم ضده في ايران » .

أحمد شاهين

مراجعات

نبيل ايوب بدران

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني .
الجزء الثاني ١٩٤٨ - ١٩٦٧

مركز الابحاث ،بيروت ١٩٧٩

صدرت بالعربية وبالانجليزية عدة دراسات علمية تتناول موضوعات عديدة متصلة بتعليم الفلسطينيين ، معظمها دراسات عامة نلحظ فيها كثيرا من التكرار . لذا ، نستطيع القول بأن هذا الكتاب الذي يتناول التعليم وعلاقته بالتحديث في المجتمع الفلسطيني ما بين سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٦٧ ، يمتاز عن تلك الكتب العامة بالدراسة المحددة والجادة . فليس من اليسير على باحث واحد ، مهما يبلغ من عمق وأصالة ، أن يعالج مسألة شائكة وعسيرة كمسألة « التحديث » في مجتمع كالمجتمع الفلسطيني الذي تعرض للتمزيق والاقتلاع والنفي والتشتيت . لكن على الرغم من ذلك ، حاول الاستاذ نبيل بدران ان يتعرض للمسألة رغم ما فيها من عسر وتشابك . فحاول ان يكشف لنا ، في دراسة عميقة ، عن طبيعة «التحديث» وكيف يكون ؟ وعن تعليم الفلسطينيين وعلاقته بـ « بتحديث مجتمعهم » . فمؤلف هذا الكتاب يعد أحد الثقات في دراسة تعليم الفلسطينيين ، وقد استفاد كثيرا في ذلك من ترؤسه قسم الدراسات التربوية في مركز التخطيط التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية .

عشر سنوات (لا تسع كما يقول المؤلف) تفصل بين صدور الجزء الأول عام ١٩٦٩ والجزء الثاني عام ١٩٧٩ ، من هذا الكتاب ، ولا اظن ان الكاتب أمضاها كلها في البحث والتنقيب كما يقول ، ولكن تعدد المشاغل ، والاستغراق في العمل الاداري ، وحمل اكثر من بطيخة في اليد ، كلها اسباب استنزفت ، ولا تزال ، وقت الباحث وغيره من الباحثين الفلسطينيين ، مما يحد من ارتفاع وتيرة عطائهم الفكري وتواصله .

يقع الكتاب في ٢٠٤ صفحات من الحجم الكبير ، وينقسم الى ثلاثة فصول ، بالاضافة الى مقدمة ، وتعقيب ، وثبت بالمراجع العربية والاجنبية .

ويتناول الفصل الأول النكبة واثرها المباشر على المجتمع العربي الفلسطيني ، اما الفصل الثاني فقد خصصه المؤلف لدراسة التعليم كرأسمال أساسي ، ويتناول الفصل الثالث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني قبل التحولات السياسية العميقة (الاحتلال وانتشار الثورة المسلحة) وهو أطول الفصول الثلاثة .

وكأي بحث علمي جاد ، حاول المؤلف ان يوفر لبحثه اكثر المقومات ضرورة ، الأمر الذي يغفله بعض الباحثين غالبا إما جهلا وإما استهتارا . فنبيل بدران حاول ان يجعل المدخل الطبيعي لدراسته معرفة القواعد والمفاهيم التي يستخدمها أثناء البحث محددا مدلولاتها سلفا،خصوصا ان مفاهيم العلوم الاجتماعية ومناهجها لم يتم الاتفاق العام بصددها حتى الان ، سواء في عملية وصف او تحليل او تفسير الظواهر الاجتماعية المنوي دراستها ،لا لأهمية هذه المفاهيم بالنسبة للبحث فحسب ، بل للاسترشاد بها في الجانب التخصصي . اذ لا بد للباحث الميداني المنقب من ان يعتمد ، في ابحاثه ودراساته تلك ، على مجموعة من المبادىء النظرية التي توجه ابحاثه ، وتمده بالفروض التي يحاول اختبارها في المجتمع موضوع الدرس . فمثل هذه الفروض هي التي ترسم له ، الى حد كبير ، ابعاد المشكلات التي يركز عليها دراسته .

مفاهيم المؤلف

افتتح المؤلف كتابه بالحديث عن مفهوم « التحديث » ، بهدف ادراك ابعاده وحدوده ، وعن وقوف قسم من الكتاب التقدميين العرب ضد استعمال هذا التعبير ، لارتباطه بمفاهيم « علم

الاجتماع الاميركي الرجعي » وان هذا الموقف هو جزء من تيار عالمي تقدمي يرفض هذا التعبير وما يرتبط به من منهج تحليلي . لكن الجدل الواسع ، عالميا وعربيا ، حول هذا الموضوع – كما يقول المؤلف – اوضح العديد من الامور التي ساعدت على إزالة بعض السمات غير الصحيحة التي الصقت بمفهوم « التحديث » والتي اعاقت استعماله كأداة عمل في التحليل الاجتماعي الشمولي . فجرى فصل هذا المفهوم عن النموذج الغربي – الصناعي ، مع الابقاء على اعتماد الخصائص الاساسية لنشوء وتطور المجتمع الصناعي . وهكذا – كما يقول المؤلف – اخذ يتبلور مفهوم مشترك حول التحديث اتفقت حوله الاراء، على انه نمط معين من التغيير الحاصل ضمن مجتمع محدد ، وهو في جوهره عملية تصاعد قدرة الانسان على التحكم بمحيطه المادي . ويدخل ضمن هذه القدرة على التحكم بالمحيط تغير قيم الانسان والعلاقات الاجتماعية والتطور الحضاري عموما ، ضمن اعتقاد متصاعد بالعقلانية والتفكير العلمي . ومن هنا ، يعتقد الباحث ان معرفة مستوى التحديث هي ايضا معرفة التغيرات والتطورات في كل الحالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية عموما . كما انها معرفة بالتصور العام من جهة ، وتصور الطليعة نفسها المنبثقة عن عملية التغيير من جهة أخرى . ويشمل هذا التصور رؤية المستقبل القريب والبعيد ، والعلاقة الجدلية بينهما . ثم ينتقل المؤلف خطوة أخرى باتجاه تحديد مفاهيمه النظرية ، بالتأكيد على اهمية دور التعليم في عملية التغيير في الدول النامية التي تشهد مرحلة من التطور ؛ اذ ، يكتسب الانسان من خلال عملية التعليم ، كفاءة جديدة يحتاجها التطور الاقتصادي ويزداد قدرة على الاتصال بعالم أرحب ، ويساعد في تعميق الادراك الذاتي الحضاري ، ويزيد من الرغبة في المشاركة في تطوير الحضارة الوطنية او القومية . ويرى بدران ، في مستوى توجيه الفئة الحاكمة للعملية التربوية ، عمقا في الوضوح لديها ، وصدقا في ارادة التطوير الاجتماعي – الاقتصادي الشامل. وهو يرى في تحليل وضع الخريجين اداة تمكننا من معرفة التسارع المستقبلي لنمط التطور الاجتماعي والسياسي في منطقتنا .

بعد ذلك يدرج المؤلف تحت عنوان « التعليم » ، عملية توصيل المعرفة والاطر المؤسسية التي تتولاها قاعديا واداريا ، كجزء من تعبير « التربية » التي تهتم ببناء شخصية الفرد . فالاهداف التربوية تحدد اشكال التعليم واطره وشروط عملية التربية . ومن هذا المنطلق يرى ان الاهداف التربوية تعكس الارادة السياسية للقوى الحاكمة ، وتعبر المطالب التربوية للطليعة التقدمية وللجماهير المنظمة الواعية ، عن حجم الوعي والارادة للتأثير على السياسة التعليمية والمسار التعليمي بعامة .

ثم يحدد الباحث دوافعه الى اختيار موضوع بحثه واستمرار اهتمامه به بعدد من الاسباب ، اظن ان ابرزها هو تخبط منظمة التحرير الفلسطينية ومختلف التنظيمات الفلسطينية في توضيح استراتيجية تربوية ، وضآلة الخبرات الطليعية التي تساعد على بلورة استراتيجية وممارسة متقدمتين ، تلتصق بالاستراتيجية والممارسة الثورية العامة ، الى جانب الاهتمام باستكشاف اثر التربية المتوفرة في ظل الاحتلال ، وفي دول الشتات على مجمل قيم الفرد الفلسطيني ومسلكه ، بهدف مجابهة نتائج هذه السياسات والممارسات التربوية ، وتحديد العوامل السياسية والاجتماعية المساعدة او المعيقة .

فهدف الكتاب اذن ، هدف عملي تطبيقي يسعى لتحويل المعرفة العلمية الى اداة تعين على رسم الخطط ومتابعة المسيرة إنطلاقا من خلفية واعية وتصور ناجح ومدروس قادر على الاسهام في دفع وتلبية حاجات الجانب الاخر من هذا الواقع الفلسطيني ، واعداد الشعب الفلسطيني وتعبئته للاستمرار في معركته التحريرية الطويلة .

ويدون ان يحدد لنا الباحث مفهومه « للمجتمع الفلسطيني في الشتات » ، او يوضح ما اذا كان هناك اصلا مجتمع فلسطيني واحد في الشتات – وهذا ما سنناقشه فيما بعد – ، يسارع الى تقديم عدد كبير من الفروض التي يحاول اخضاعها للبحث والتحليل ، لادراك مدى صحتها العلمية .

مناقشة المفاهيم

ارى قبل البدء بمناقشة مفاهيم تحديث التعليم والمجتمع التي استخدمها المؤلف ، أن لا بد من التنويه بأنني لن ادخل في مناقشة الاتساق الداخلي لهذه المفاهيم ، ولا في ارتباكاتها الواضحة في التطبيق ، ولكنني سأناقشها من زاوية تعكس تباينا أساسيا مع المؤلف من حيث بؤرة الاهتمام و النظرة الفلسفية وارتباطها الوثيق بالمفاهيم الخاصة بالنمو الاجتماعي وبفكرة التقدم . فلا بد بادىء ذي بدء ، من التمييز الدقيق بين فكرتي « التحديث » و« التقدم » في تطبيقاتهما على التغيرات الاجتماعية ، لاننا لا نظن بتوافق العمليتين في حدوثهما ، فهناك تحديث غير تقدمي ، ويمكن له أن يؤدي الى نتائج غير مرغوبة في مجالات كثيرة ومنها التعليم على سبيل المثال .

قد يبدو للبعض ، أن فكرة « التحديث » فكرة علمية لا لبس فيها ولا غموض ، بعد ان شاع استعمالها في الحياة العادية اليومية من قبل كل

الناس في وصف عمليات التغير الاجتماعي التي تزخر بتحديات ايديولوجية مثيرة . ومع ذلك ، من الضروري التأكيد على أن الافكار المطروحة حول مفهوم « التحديث » ترتبط ارتباطا وثيقا بالاتجاهات الايديولوجية المحافظة التي يمثلها ، على صعيد علم الاجتماع ، اتباع المدرسة المثالية (الوظيفية ــ التكاملية) ، الداعية الى مبدأ الحفاظ على توازن المجمع وتكامل انساقه ووظائفها الاجتماعية المختلفة ، من خلال العمل على تطوير وظائف هذه الانساق وتحديثها لامتصاص توترات النسق واستيعابها وإعادة توازنه والحفاظ عليه . فأفرزت هذه الاتجاهات الأيديولوجية المحافظة اكداسا من النظريات الاستهلاكية الموضة التي تشدنا الى صراعات ثانوية في المجتمع ، بعيدا عن الصراعات الاساسية فيه ، كمحاولة تستهدف اخفاء او تشويه أو إبعاد أو اختزال الايديولوجيا الثورية المرتكزة على الاتجاهات المادية في التحليل ، والتي تسمح بادخال مفاهيم مثل التنمية والتقدم لفهم التغيرات الاجتماعية والتباين الاجتماعي من خلال توجيه الانظار الى دور العوامل المادية والفكرية في التغير الاجتماعي . فلا شك بأن قضية التغير ، وادراك عوامله ، وتتبع مساراته وانماطه ومعدلاته ، وتحليل نتائجه ، قد اختلطت ، كباقي القضايا الاجتماعية ، بالايديولوجيات المتصارعة ، وان مضمون الاجابة على هذه الاسئلة الذي يشكل إطار المفهومات التي توجه الباحثين في التغير على مستوى المجتمع ككل أو على مستوى نسق او نظام معين فيه ، يشكل انحيازا ايديولوجيا مسبقا للباحث . وما دام مفهوم « التحديث » تشوبه شبهة ايديولوجية ، فكنا نفضل لو ان الباحث اعتمد المنهج المادي في التحليل ، بدلا من المنهج المثالي الذي تقتله حقيقة واقعية واحدة . فنحن لا نرى في عملية التغير عملية تحديثية لوظائف الانساق وبناءاتها ، وانما نفهم انها عملية ثورية تتضمن تغييرا شاملا للنظم الاجتماعية والسياسية والقانونية ، وكذلك للبناء الاقتصادي ، ولانماط الحياة ، وللقيم الحضارية ، ولصور الوعي المختلفة ، وان هذا التغير يتضمن صراعا ضاريا بين القوى الاجتماعية المؤيدة للتغير والقوى الاجتماعية المعارضة له . وهذا بحد ذاته يفرض علينا ، عند الحديث عن التغير ، الاهتمام بابراز دور العوامل الاقتصادية لفهم عمليات التغير وديناميتها .

لعل اول مهمة يتعين على الباحث مواجهتها ــ ولم يواجهها إطلاقا ــ عند الحديث عن الفلسطينيين بعامة ، هو إقامة تصنيف منظم وأساسي لبناءاتهم الاجتماعية في المتحدات الاجتماعية التي اقاموا فيها بعد الاقتلاع والنفي والتشريد . فهذا التصنيف الواضح والمحدد يزود الباحث باطار ملائم لاجراء بحوث مقارنة وتراكمية ضرورية لكشف التغيرات الحادثة فيه .

من اليسير علينا إثبات ان واقع الفلسطينيين خارج فلسطين لا يشكل مجتمعا واحدا يمكن الحديث عنه كوحدة واحدة محددة واضحة المعالم . فالمجتمع الانساني يتطلب توافر اجراءات معينة او عمليات محددة ، اي ان هناك « متطلبات وظيفية » للمجتمع . وأهم هذه المتطلبات . ١ ــ نسق اتصال ، ٢ ــ نسق اقتصادي يختص بامور الانتاج وتوزيع السلع ، ٣ ــ اجهزة تتولى تنشئة الاجيال الجديدة ، ٤ ــ نسق سلطة وتوزيع محدد للقوة ، ٥ ــ وربما ايضا نسق طقوس يصون التماسك الاجتماعي ويدعمه ، ويمنح الاحداث الشخصية الهامة اقرارا وتقديرا اجتماعيين . فهناك اذن اكثر من بعد او محك لتفرد المجتمع واستقراره ، منها البعد السياسي والاقتصادي والمكاني والبعد الزماني . وهنا قد لا نجد بايدينا محكا واحدا يسهل تطبيقه تطبيقا واقعيا على الفلسطينيين في الشتات . فلفظ « المجتمع الفلسطيني » فضفاض يقصر عن استيعاب مختلف انماط التجمعات او الجماعات الفلسطينية في مستقراتها الجديدة ، حيث لا يمكن اغفال مدى تأثيرها وتأثرها بخصائص هذه المستقرات الجديدة .

وهكذا نميل الى تصنيفهم الى جماعات موزعة في ثنايا مجتمعات اشد تعقيدا . فهذا التصنيف يساعدنا كثيرا على أن نطرح تساؤلات محددة عن البناء الاجتماعي في هذه المتحدات الاجتماعية ، وان نجيب بعد ذلك . فما الذي يحدث للافراد الذين ينتقلون من مخيم الى آخر ، ومن المخيم الى المدينة او العكس ؟ كيف تتأثر حياتهم الاجتماعية ؟ وعلى اي نحو تتغير قيمهم ومعتقداتهم ؟ وما الذي يكتسبونه من هذه المستقرات الجديدة ؟ وما هي عناصر الحياة والثقافة التي يقدمونها لهذه المستقرات ؟ وكيف يدخل التغير الى هذه الجماعات وكيف تستوعبه الخ ؟ كلها اسئلة تمكننا الاجابة عليها من توضيح وتمييز العلاقات الدائرة بين هذه الجماعات وغيرها ، وبين بعضها البعض .

أما بالنسبة للمفهوم الثالث من المفاهيم الاساسية التي تقوم عليها هذه الدراسة ، فهو مفهوم « التعليم » ، الذي يرى فيه المؤلف السبب المحوري في عملية « التحديث » ، والعامل الديناميكي الاساسي في تطور المجتمع العربي الفلسطيني . وبالتالي فان المؤلف يلتزم ــ إنطلاقا من هذا المفهوم ــ بالبحث لمعرفة مدى تأثير التعليم على التطور الاجتماعي والسياسي ، وتحليل نتائجه لاستخلاص الرؤية المطلوبة ، وتحديد تفاصيل الاعباء والمهمات لتدارك اي تطور يعوق الحركة الثورية للجماهير الفلسطينية فالمؤلف ــ من خلال هذه النظرة ــ يرى في التعليم معيارا وحيدا للحكم على مدى ما تحققه الشعوب من تقدم ، وهو عنده ــ على ما يبدو ــ مقياس للتخلف او التقدم ، ومعيار

الحضرية او الريفية . كما انه يعتقد ، كذلك ان باستطاعة العلم إيجاد حلول لكل المشاكل مهما يكن نوعها. فالمؤلف ، انطلاقا من هذا التداعي هو في النهاية من اتباع الحتمية التكنولوجية التي تقف بالمرصاد لاتباع الحتمية الايديولوجية .

وتدلنا البيانات المأخوذة من واقع الفلسطينيين ، وازدياد تعقد بناءاتهم الاجتماعية القائمة في الشتات ، وعنف التغيرات التي طرأت ولا تزال تطرأ عليها ، بأن هناك شكا في كفاية هذا الفهم لدور العملية التربوية لتفسير وفهم الصراعات العديدة بين البناءات الاجتماعية التقليدية والبناءات الحديثة ، وكيفية ضبط هذه الصراعات حتى يمكن تحقيق أسرع معدل في التقدم . فصراعات القيم متضمنة اساسا في اصول المشاكل الاجتماعية. لان العملية التربوية تقوم بوظيفة هامة وحيوية من اجل بقاء المجتمع واستمراره ، وتلك نتيجة المحافظة على بعض المعتقدات والمهارات التي لا تورث بل تكتسب عن طريق التعليم الذي يعاون في تشكيل شخصيات الافراد بحيث تتلاءم مع الثقافة السائدة . وما دام التعليم اداة سياسية تسهم في عملية التكامل الاجتماعي ، وفقا لنسق القيم العام في المجتمع ، وتبعا للبناء المتغير للادوار التخصصية بصورة تتلاءم مع مستوى النمو الاقتصادي للمجتمع ، فمن الضروري ان نضع في اعتبارنا ، عند دراسة تعليم الفلسطينيين ، اختلاف المجتمعات التي يقيمون فيها تبعا لظروفها التاريخية وبناءاتها الخاصة ، وان نضع في الاعتبار أيضا ان الانسان الفلسطيني المقتلع ، الذي فقد مؤسساته الاجتماعية قد تغير هو الاخر نتيجة ذلك . انه يعبر عن تفكيره ، في هذه الحال عن طريق عادات جديدة وقوى جديدة ، واتجاهات وقيم جديدة ، وأراء جديدة في الحياة وامنيات ومخاوف جديدة كذلك . من هنا ننظر الى الحتمية الايديولوجية والى الحتمية التكنولوجية باعتبارهما عاملين متفاعلين متساندين في تشكيل النظرة المادية للعالم وفي عملية التقدم الاجتماعي .

النكبة واثرها المباشر

في الفصل الاول عن تعليم الفلسطينيين ، يناقش المؤلف النكبة وأثرها المباشر على المجتمع العربي الفلسطيني . فيوضح ان التطورات الاقتصادية والتعليمية التي شهدتها فلسطين قبل عام ١٩٤٨ ، كانت قد شجعت على ظهور مفاهيم وقيم جديدة في المجتمع الفلسطيني ، الا انها لم تستطع تحقيق تغيير هيكلي واجتماعي جذريين .

ويبين المؤلف إن حوالى ٧٥٠ الفا من الفلسطينيين قد اضطروا للهجرة الى المناطق العربية المجاورة ، حيث استقر الريفيون في المخيمات والقرى العربية . اما اهل المدن منهم ، فقد استقروا في المدن العربية او في جوارها ، فاستفادت هذه المناطق ، ريفا ومدنا ، من وجودهم ، فشرعت في تشغيلهم ، الا انها لم تستوعب كل اعدادهم ، فارتفعت بين صفوفهم البطالة خصوصا بين الريفيين منهم ، بينما استفادت البرجوازية الفلسطينية من علاقاتها التقليدية والجديدة من امكاناتها العلمية السابقة ، لتحسن من وضعها الاقتصادي ، ولمتابعة الدراسة الثانوية والجامعية . وقد شجعتهم رغبتهم في تحسين وضعهم المعيشي على الهجرة الخارجية باتجاه دول النفط ، بحثا عن العمل الملائم مهنيا . ولقد أسهم هذا الانتقال في سرعة تفكك الروابط العائلية للاسر المدنية ، وحررها من الرقابة الاجتماعية المقيدة لحركتها كمجموعة وكأفراد ، وبات تحقيق نجاح اقتصادي فردي كفيلا بتحقيق الامن الاجتماعي لهذه الفئة من الفلسطينيين ، بينما بقي الريفيون يرون ان الشعور بالأمن لا يمكن الحصول عليه الا ضمن التماسك العائلي والقروي .

ويرى المؤلف ان التعليم قبل النكبة كان عاملا محوريا في تطوير الوضع المادي والاجتماعي للافراد والاسر والمجتمع المحلي . وجاءت النكبة لتزيد من هذه القناعة ، ولتطرح التعليم شعارا لتجديد القوى الذاتية من اجل التحرير والعودة، وضمانا للمستقبل في ظل الاوضاع المعيشية المستجدة. فبرزت الى جانب منظمات الاغاثة الدولية او العربية عدة مبادرات فردية من قبل مدرسين سابقين للمساهمة في تعليم ابناء اللاجئين غير القادرين على ارسال ابنائهم الى المدارس الخاصة او الى المدارس الحكومية والمجانية ، فارتفعت نسبة الطلبة الفلسطينيين في كل مراحل التعليم ، واتسعت حركة نقد ورفض المجتمع التقليدي والسياسيين التقليديين ، والعمل على التحرر منهم وبناء مجتمع جديد .

ويرى المؤلف ان حركة التجديد هذه قد تمحورت حول العلم كاساس دينامي وكمنهج أساسي لتنظيم الدولة والمجتمع وتنمية القدرات الذاتية . وان كل ذلك يتطلب تحقيق انقلاب شامل في نظام التفكير والعمل .

ثم يؤكد السيد بدران ان التفكير كان موحدا تقريبا لدى الشباب الفلسطيني والعربي عامة (العلم وحد بينهم) في تحليل اسباب ونتائج النكبة ، فنشأت الاحزاب القومية المؤمنة بالعمل الثوري لازاحة الانظمة التي فقدت شرعيتها مع الهزيمة لتحقيق التغيير المطلوب . فتداخل النضال السياسي الفلسطيني بعد النكبة مع النضال السياسي العربي العام كمحصلة لاستمرار النضال الفلسطيني ــ العربي ، وللانتشار الجغرافي الفلسطيني .

التعليم كراسمال اساسي

ثم ينتقل المؤلف في الفصل الثاني ، الى الحديث عن التعليم كراسمال أساسي في حياة الفلسطينيين ، فيوضح ان ضيق فرص العمل وشروط التعيين وسلم الرواتب في الدول المضيفة للفلسطينيين ، هي من ابرز الدوافع التي حثت الفلسطينيين على التعلق

بالتعليم كمجال لتخطي البطالة المنتشرة هناك . الا ان هذا التعلق بالتعليم لم يستمد دوافعه فقط من الاسباب المحلية ، بل ان نمو مجـالات العمـل للمتعلمين في دول النفط ضاعف ايضـا من هذا التعلق ، بحيث اصبح التعليم امـلا وهاجسـا يستنفران الامكانيات المعنوية والمادية للفرد وللأسرة وللعائلة بأكملها لتعليم القادرين ذكورا وإناثـا كاستثمار اقتصادي مأمون ومضمون الريع . وفي اواخر الستينات ، ومع انتشار التعليم في الدول النفطية المختلفة نفسها ، ارتفع الطلب على المتعلمين المؤهلين تربويا وجامعيا ، فجاء هذا الطلب النوعي حافزا للكثيرين من الفلسطينيين الذين كونوا مدخرات للتفرغ للدراسة الجامعية والحصول على مؤهلات عليا تضمن لهم مناصب احسن ودخلا أعلى من السابق .

ويخلص المؤلف الى القول بأن التعليم قد احتل مركزا محوريا في تفكير الفرد الفلسطيني ومسلكه واصبح يرى فيه المجال الانسب للاسراع في تطوير الوضع المعيشي وتلبية الاحتياجات الجديدة ، كما رأت فيه الجماهير المعدمة هدفا اساسيا يتطلب التضحية وتضامن الجهود داخل الاسرة والعائلة . وأوجد هذا الاندفاع وراء التعليم وضعا متعـدد الجوانب

١ ــ تفاوتا علميا واضحا بين الأجيال

٢ ــ بطالة جديدة تشمل الشباب المتسرب قبل الانتهاء من الدراسة الثانوية ، والعازف عن العمل اليدوي

٣ ــ تضخما متزايدا في عدد حملة شهادة الثانوية العامة ، تطلعا للعمل الثابت ، والتأهيل العالي ، كطريق للنجاح الاقتصادي والاجتماعي .

٤ ــ تضخما آخر على مستوى التعليم العالي او الجامعي لتقلص فرص العمل لحملـة الشهـادة الثانوية ، واللجوء الى هذا التعليم كمنفذ اخيـر لضمان العمل والنجاح ، مما دفع افواج حملـة الليسانس لمتابعة الدراسة الجامعية العليا .

٥ ــ تطور تعليم الاناث للحاجة الى دخلهن وتوفر مجالات عمل لهن في القطاع التربوي .

الاحتلال وانتشار الثورة المسلحة

ينتقل المؤلف ، في الفصل الثالث والاخير ، الى بحث الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للشعـب العربي الفلسطيني قبل التحولات السياسيـة العميقة . فيلقي مزيدا من الضوء على هذه الاوضاع قبل حرب سنة ١٩٦٧ ، تلك الفترة التي تميزت بانبعاث الشخصية الفلسطينية على الساحة العربية متجاوزة الشتات والحصار السيـاسي . فحـاول المؤلف في هذا الفصل ، التعرف على الاوضـاع الانتاجية والمعيشية للتجمعات الفلسطينية التقليدية والجديدة ، والاقتراب من فهم أثر ارتفاع المستوى التعليمي للاجيال الصاعدة ، والاعتماد الاساسي عليهم لتحسين وضع الاسرة ، وعلى العلاقات ، داخل الاسرة نفسها بشكل خاص ، وعلى المجتمع المحلي بشـكل عام فيوضـح المؤلـف من اجـل هذا الغرض ان هناك تقاربـا ثقافيـا بـين الاجيال الفلسطينية لم يمنـع نشـوء تفـاوت في الوعي السياسي ــ الاجتماعـي بينهـا نتيجـة لتسييس الجيـل الجديـد خلال الانتظـام التعليمي الطويل . الا ان هذا التسييس المكثف للجيل الجديد لم يتعكس بصورة وعي اجتماعي تقدمي ، وذلك بسبب تخلف الوضـع التربـوي ، وتغلب فكر البرجوازيـة الصغـيرة ومسلكهـا على الاحـزاب السياسية العربية . وجاءت الظـروف المعيشيـة والعملية لتخفف ــ كما يقول المؤلف ــ من راديكالية الوعي السياسي لمعظم افراد الجيل الجديـد ، ولتخلق تقاربا في مسلك الاجيال .

ويستطرد المؤلف في تلمس الاثار الاجتماعيـة للتعليم فيقول ان ادراك الفلسطينيين لاهمية التعليم عامة عزز دور الفتاة ومكانتها داخل وخارج اطار الاسرة . الا ان هجرة المتعلمين ذكورا وإناثا للعمل في دول النفط ، اثرت سلبا في التطور الاجتماعي ، فبقي نفوذ القوى التقليدية اضافة الى قيمها العشائرية ، مسيطرا ، وتعززت مكانة الوجاهة التقليدية ، التي استطاعت استيعاب قسم كبير من ايجابيات التطور التعليمي الذي عم المخيم الفلسطيني .

وفي ختام بحثه يلخص المؤلف أهم الافكار والاراء التي وصل اليها خلال تحليله الطويل . وهو يشير الى مساهمة التعليم كممارسة ، وكاطار تنظيمي ، في تعميق الانتماء الوطني القومي ، وابراز شخصية مستقلة للاجيال الصاعدة ، تدعم ارادة العـودة والنضال . لكن الالتزام الاجتماعي تجاه الاسرة ، وهيمنة الطموحات الاستهلاكية المتزايدة ، نتيجة لنمط الثقافة السائدة ، والعقلية التفاخرية ، خلقت للفرد المتعلم معضلة تحديد المسلك السيـاسي ــ الاجتماعي المتجانس . فالمتعلم يتوق الى العمـل السياسي المبـاشر ، بينمـا يبتعـد عنـه دخـلا واستهلاكا ، ولم يثنه اي حل جذري عن البقاء في دوامة التناقض . وقد عجزت الحركات السياسية الفلسطينية عن الاحاطة بكامل ظروف الشعـب العربي الفلسطيني ، فتخلفت عن وضع استراتيجية نضاليـة متكاملة ، وإيجاد أطر تعبوية ، قادرة على تحقيق توازن في مسلك الفرد وطنيا واجتماعيا .

وجاء الانتشار التعليمي واستمرار الانتسـاب المدرسي والعالي ، وليد الطموحات الاقتصاديـة ، فحرك حماس الاسرة والجيل الجديد ، لكن عملية التعليم لم تستطع الارتقاء الى مستوى نهج تفكيري عقلاني ، يؤثر على الحياة الاجتماعية والسياسية ، لارتقاء الفرد والاسرة والجماعات باسلوب التعليم القائم .

وبعد ، فهذا الكتاب يمثل جهدا كبيرا للمؤلف في تقديم عمل علمي يستطيع ان يسهم في فهم جانب من جوانب الواقع الفلسطيني المتشابك والمعقـد .

وغني عن القول ان الكتاب يسم مليء بالمعلومات المترابطة التي تم تحليلها بمنهج واضح محدد وبتتابع منطقي وتتبع دؤوب .

وبرغم القيمة العلمية لهذا الكتاب ، فان هناك بعض الانتقادات الشكلية والموضوعية . فاول ما يؤخذ على المؤلف هو ما اوضحناه حول مفاهيم الباحث وقصورها عن اداء مهامها في التحليل .

ومن الملاحظات الاخرى

□ ١ ــ لم يبد المؤلف ، على الاطلاق اهتماما بهوامش الكتاب ، سواء في كتابة اسم المؤلف واسم المراجع ورقم الصفحات المشار اليها بشكل دقيق . ففي الصفحة ٣٥ من الكتاب يشار الى الصفحة رقم ٢٩ من المرجع والصحيح هو الصفحة رقم ٢٨ .

□ ٢ ــ هناك صياغات مرتبكة وغير واضحة في بعض فقرات الكتاب ، وعدم دقة في اختيار اللفظ المناسب للتعبير عن المعنى المقصود . (انظر صياغة الفرضية الاولى في الصفحة رقم ١٥ مثلا)

□ ٣ ــ كثرة الاخطاء المطبعية وعدم الاهتمام بكتابة عناوين واضحة للجداول توضع خارج اطار كل جدول كما جرت العادة ، وعدم دقة بعض ارقام هذه الجداول (الجدول رقم ٥ مثلا)

□ ٤ ــ التناقض بين فقرة واخرى في الكتاب كان واضحا (فعلى سبيل المثال محتوى الفقرة الرابعة من الصفحة ٢٦ يتناقض مع محتوى الفقرة الثانية من الصفحة ٢٧) .

□ ٥ ــ يشير الاقتباس الثامن الموجود في صفحة ٣٢ الى مراجعة الحاشية رقم ٣ أعلاه والموجودة في الصفحة الرابعة من الكتاب ، علما بان هذا الكتاب لا توجد به صفحة ٤ وإنما يبدأ من صفحة رقم ٩ .

□ ٦ ــ اغفل الباحث دور مؤامرات التوطين غير المباشر على عملية تعليم الفلسطينيين ، إن من حيث الكم او من حيث المحتوى . فبعد فشل عمليات التوطين المباشرة في ابعاد الفلسطينيين عن دول الطوق ، حاولت الدوائر الاستعمارية ، من خلال تشجيع التعليم المهني وتوفير وظائف للفلسطينيين في دول النفط ، جذب الشباب للعمل هناك بعيدا عن حدود فلسطين والاستقرار بعد الزواج مع اسرته في تلك البلاد .

□ ٧ ــ اسم مجلة حركة القوميين العرب كان « الثائر » وليس « ثائر » كما يقول المؤلف في الصفحة ٥٧ .

□ ٨ ــ يصف المؤلف في الصفحة ٦٨ الفقرة الثانية ، تصرف اللاجئين مع وكالة الغوث باللاعقلانية ، لانهم يقبلون مساعداتها ويرفضون سياساتها . ونحن لا نرى ان هناك تناقضا بين قبول الاغاثة في فترات الضنك الشديد ورفض مؤامرات التوطين التي كانت وكالة الغوث متورطة بها .

□ ٩ ــ هناك خطأ منهجي واضح يتكرر في اكثر من صفحة ، وهو طول الاقتباسات المأخوذة من مصادرها الاصلية ، فهي تصل في بعض الاحيان الى ١٥ سطرا ، وهو لا يجوز لانه يضيع شخصية الباحث خلف شخصية صاحب النص المقتبس .

□ ١٠ ــ في الصفحة ٩٧ خطأ فادح لا اعرف مصدر الباحث في قوله في الفقرة الثانية بان هناك علاقة بين وزارة المعارف والثقافة في فلسطين ووزارة التربية في الكويت تعود الى العام ١٩٣٧ ،حيث واظبت وزارة المعارف في فلسطين على ارسال البعثات بعد الحرب العالمية الثانية وبعد النكبة الى الكويت . طبعا اي طالب في المرحلة المتوسطة يعلم ان فلسطين والكويت ايام الانتداب لم يكن فيهما وزارات اطلاقا ، اما القول بوجود وزارة المعارف في فلسطين فأمر غريب ان يرد على قلم مثقف فلسطيني شديد الاطلاع كالاستاذ بدران .

□ ١١ ــ يصنف الباحث في الصفحة ١٢١ الجامعات الى درجات اولى وثانية ، ويعتبر الجامعة الاميركية في بيروت من جامعات الدرجة الاولى . واغفل بدران الاشارة عمدا الى جامعات الدرجة الثانية ، وأخشى ان يكون مقصده جامعة بيروت العربية ، وحينذاك سنعزو هذا الخطأ الى تورطه اللاواعي وقبوله لمقولات ذات شبهة سياسية معادية لكل ما هو وطني في المنطقة .

□ ١٢ ــ يشير المؤلف في الصفحة ١٢٣ الى المعهد التابع للاونروا ، بكونه تجربة عالمية فريدة بدون ان يذكر لنا معاييره التي استخدمها في هذا الحكم الذي نراه متسرعا ومتعسفا .

□ ١٣ ــ اما في الصفحة ١٤٧ الفقرة الثالثة ، فيشير المؤلف الى اسرائيل على انها استعمار صهيوني لفلسطين . والواقع انه لا بد من الاشارة الى ان الوجود الصهيوني في فلسطين ليس وجودا استعماريا تقليديا ، ويجب التحفظ دائما عند اطلاق صفة الاستعمار على هذا الكيان .

ومما يمكن ان يوجه للمؤلف من انتقادات ، هو اغفاله الواضح للمنهج المقارن في عرضه لاوضاع تعليم الفلسطينيين بالمقارنة مع اوضاع التعليم في الدول المضيفة لهم ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية فان المؤلف في معالجته لتعليم الفلسطينيين في فلسطين المغتصبة عام ١٩٤٨ كان مختصرا وعجولا ، فلم يعط الامر الاهمية نفسها التي اعطاها لباقي التجمعات الفلسطينية سواء في باقي فلسطين او خارجها .

وفي النهاية نرى ان وقائع المؤلف ونتائجه تؤكد ما ذهبنا اليه في مقدمة هذه المراجعة . فالواقع

الفلسطيني الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الجديد بعد النكبة ، قد خلق قيما اجتماعية جديدة تتفق مع احتياجات الفلسطينيين الجديدة التي ترتب عليها زيادة التأكيد على ربط التعليم بهذه الاحتياجات ، وعلى تحديد شكل ومضمون ودرجة هذا التعليم ، لا العكس كما يحاول ان يشير الكتاب .

واخيرا فان هذه الانتقادات لا تؤثر على هذا العمل الكبير والهام ، والمساهمة العلمية التي قدمها المؤلف .

سمير ايوب

شهريات

المقاومة الفلسطينية

الاحتفال بذكرى الانطلاقة

بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية ، احيت الجماهير الفلسطينية واللبنانية في معظم المناطق ، المهرجانات الحاشدة ، التي شاركت فيها وحدات رمزية من مقاتلي الثورة الفلسطينية ، والحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية وجيش لبنان العربي ، كما شاركت ايضا وحدات رمزية اخرى عن التنظيمات الشعبية الفلسطينية واللبنانية .

وقد بدأت الاحتفالات ، مع مساء اليوم الاخير من السنة المنصرمة ، وذلك باحتفال المشاعل واضاء الاخ ياسر عرفات ، القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية ، ورئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، المشعل الكبير في تلك الامسية ، وذلك بمناسبة دخول الثورة الفلسطينية عامها السادس عشر . اضاء المشعل وسط هتاف الجماهير اللبنانية والفلسطينية الحاشدة .

المهرجان الاحتفالي الرئيسي حضره، بالاضافة الى بعض الاخوة اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح وبعض فصائل المقاومة ، العديد من الوفود الرسمية والشعبية والاجنبية ، والتي مثلت القوى والاحزاب الوطنية والتقدمية، وحركات التحرر العربية والعالمية . وكان بين الحضور وفد برلماني تركي ، ووفد حكومي كنغولي . ووفد يمثل القوى التقدمية في اليابان ، ووفد من كندا عن لجنة مكافحة العنصرية ، ولجنة الدفاع عن حقوق الانسان الفلسطيني ، كما كان هناك وفد من الهنود الحمر الامريكان ، وكذلك وفدان يمثلان لجنتي الصداقة مع الشعب الفلسطيني في كل من السويد والنرويج ، ووفد يمثل الجاليات العربية في امريكا ، وتميز الاحتفال بالحضور الكبير لوفد الثورة الايرانية برئاسة الامام محمد منتظري .

وقد القى الاخ عرفات ، بعد اضاءة الشعلة كلمة قال فيها

« ليس من قبيل الصدفة ان نحتفل هذا الاحتفال المركزي هنا على ارض لبنان ، ارض العروبة مع الحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية . ومع كل القوى اللبنانية والعربية الوطنية التي نصنع نحن واياها هذا المزيج الثوري، هذا الالتحام الثوري الذي يمثل في حد ذاته اعظم امتزاج واعظم التحام في امتنا العربية . وفي تاريخ امتنا العربية .

نحن نقول باسم هذه البندقية اللبنانية الفلسطينية اننا هنا مرابطون ليس دفاعا عن الشعب الفلسطيني ، ولا دفاعا عن امتنا العربية ، ضد هذا العدو الصهيوني الامبريالي برئاسة الولايات المتحدة، بل لتبقى امتنا العربية . لتبقى ارضنا عربية ، عربية » (فلسطين الثورة ، ١/١/١٩٨٠)

وفي صبيحة اليوم الاول من العام الجديد في عمر الثورة ، قامت وحدات رمزية من قوات الثورة الفلسطينية وقوات الحركة الوطنية اللبنانية والجبهة القومية ، وجيش لبنان العربي ، بمسيرة عسكرية

انتهت في الملعب البلدي حيث تم الاحتفال بعيد الثورة . وشارك بحضور الاحتفال بالاضافة الى قادة فصائل المقاومة والحركة الوطنية اللبنانية ، عدد من السفراء العرب والاجانب المعتمدين في بيروت ، وكذلك الوفود المهنئة ،وحشد كبير من المواطنين الفلسطينيين واللبنانيين .

والقى ياسر عرفات خطابا في الاحتفال تحدث فيه عن المراحل الصعبة في عمر الثورة الفلسطينية ، وما تواجهه من مؤامرات ، والمرحلة الدقيقة التي تمر بها ، ولكنها بالرغم من ذلك عملت على تحرير الانسان الفلسطيني وكذلك حررت الانسان العربي . وليعيد إلى الاذهان ما فعلته مؤامرةسايكس بيكو « التي قسمت هذه المنطقة العربية ومنطقة الشرق الاوسط، وحكمت علينا بان نكون عبيدا للامبريالية وللصهيونية العالمية ، مرة بقيادة فرنسا وتارة بقيادة بريطانيا ، واليوم ، بقيادة رأس الامبريالية ، الولايات المتحدة الامريكية . ولكننا الآن ومن خلال هذه البندقية استطعنا ان نعيد شعبنا الى الخريطة السياسية للمنطقة العربية ، لمنطقة الشرق الاوسط ، وللخريطة السياسية للعالم اجمع » .

كما تحدث عن التلاحم اللبناني الفلسطيني حيث « ان هذه البندقية التي تعانقت مع البندقية اللبنانية لتصنع هذا التلاحم وهذه الاسطورة ، وهذا المزيج الثوري ، قد صنعت اعظم تلاحم ثوري في هذه المنطقة . ففي تلك اللحظة التي فقدت فيها الثورة الفلسطينية مكانا فتحت هذه الجماهير اللبنانية قلوبها لتقول هذه القلوب هي مكان لهذه البندقية الفلسطينية . هي مكان للثائر الفلسطيني » .

كما ذكر كيف جاءت الثورة الايرانية لتكمل الملحمة ، والتلاحم الاستراتيجي بين الثورتين الايرانية والفلسطينية ودورهما في ضرب المصالح الامريكية ، والوقوف ضدها وضد الاستعمار والامبريالية والصهيونية . مؤكدا ان الدرب شاق وصعب وطويل امام الثورة ، ومذكرا بقوة الحلف الامبريالي الصهيوني ، وهدفه الدائم لضرب الثورة الفلسطينية وحركات التحرر في كل مكان ، ليقول ان وحدة السلاح بين المقاتلين على ارض المعركة هو وحده القادر على التصدي وصنع المعجزات .

كما حمل على الذين يحاولون النيل من الثورة الفلسطينية ، ومحاولة التصدي لها معلنا بانه « ليس وطنيا ولا قوميا ولا ديمقراطيا ولا تقدميا من يحاول ان ينال من منظمة التحرير الفلسطينية او ينال من الثورة الفلسطينية التي اصبحت الرقم الصعب والاساسي في معادلة الشرق الاوسط ، وفرضت وجودها ليس من خلال خطة وليس من خلال قرار ، وليس من خلال اجتماع ، ولكن من خلال شلال الدم الذي لم يتوقف لحظة واحدة طوال خمسة عشر عاما ، وليس هذا فقط ، ولكن من خلال رصيد ستين عاما من النضال ، منذ وعد بلفور » اما صمود الجماهير الفلسطينية في داخل الارض المحتلة ضد قوات الاحتلال فقد وصفه بانه « الصمود الاسطوري الذي لم يصمد حتى الان احد مثله » « هذا الشعب داخل الارض المحتلة الذي يصنع كل يوم معجزة وملحمة وفي كل يوم يلقن العدو الصهيوني درسا من خلال صمود اطفالنا ونسائنا من كوادرنا ورجالنا ، ليس فقط بصمودهم ولكن بهذه العمليات العسكرية المتزايدة داخل ارضنا » .

وانهى كلمته مشيرا الى « ان الدرب صعب وطويل » ، وان « هذه الثورة عندما انطلقت ، نتذكر قول شهيد امتنا العربية الزعيم البطل الشهيد عبد الناصر ، ان هذه الثورة هي انبل ظاهرة في امتنا العربية وهي وجدت لتبقى ، واليوم نقول ان هذه الثورة وجدت لتبقى ووجدت لتنتصر وستنتصر » (الخطاب كاملا في فلسطين الثورة . ٢/١/١٩٨٠) .

وفي الاحتفال تحدث ايضا الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، فحيا بطولات وتضحيات الشعب الفلسطيني ومقاتليه داخل الارض المحتلة وخارجها ، بحيث اصبحت الثورة رغم كافة المؤامرات العقبة الرئيسية في وجه مخططات كامب ديفيد ، وقدرت الثورة من خلال نضالها وتلاحم هذا النضال مع القوى الوطنية والتقدمية بان تحظى بالتاييد الاممي المتصاعد . كما دعا إلى مزيد من الوحدة الفلسطينية ، ومزيد من التصدي ، وشدد على اهمية دعم الثورة الايرانية لنضال الشعب الفلسطيني . ودعا الى تطوير التلاحم معها .

كما القى الاخ انعام رعد كلمة باسم الحركة الوطنية اللبنانية ، اشاد فيها بصمود الشعب الفلسطيني ، وبالانتصارات التي حققتها الثورة الفلسطينية في جميع المجالات ، وشدد على وحدة مصير النضال اللبناني ــ الفلسطيني ، مؤكدا على ضرورة التمسك بالبندقية اللبنانية الفلسطينية

للاستمرار في مواجهة كافة المؤامرات ومحاولات خنق الثورة الفلسطينية حتى تحرير كامل التراب .

كذلك تحدث الاخ كمال شاتيلا باسم الجبهة القومية والوطنية اللبنانية مؤكدا على اهمية التلاحم المصيري بين الثورة الفلسطينية والقوى الوطنية والتقدمية اللبنانية لاسقاط مؤامرة كامب ديفيد ، وكذلك شدد على استمرار التلاحم اللبناني ـ الفلسطيني .

وقد شهدت المناطق الوطنية اللبنانية احتفالات مماثلة اقيمت بهذه المناسبة ، كما اقيمت الاحتفالات في كافة مناطق تجمع الفلسطينيين .

الحملة الليبية على الثورة الفلسطينية والوساطة العربية

استمرت حملة التصعيد الليبية ضد الثورة الفلسطينية ، رغم الوساطات العربية التي نشطت منذ البداية ، وكذلك رغم البيان الذي اذاعته اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية طالبة من ليبيا ان توقف حملتها ضد المنظمة ، وكذلك رغم قرارات المجلس المركزي الفلسطيني (١٢/١٥) التي جاءت مؤيدة لبيان اللجنة التنفيذية ، في دعوته لوقف الحملات .

من جهة اخرى ، استمرت الاتصالات لتطويق تدهور العلاقات حيث قام الرئيس عبد الفتاح اسماعيل ، رئيس اليمن الديمقراطي ، بالدور الاكثر نشاطا في هذا الاتجاه ، فاجرى الاتصالات بشكل منتظم بين الطرفين ، كما ذكرت الانباء عن تحرك قام به رئيس اليمن الشمالي علي عبد الله صالح (السفير ١٢/٢٠) . وفي الاطار ذاته، وفي الكويت، استقبل وزير الخارجية الكويتي الشيخ صباح الاحمد سفير بلاده لدى ليبيا ، الذي ذكر انه عاد من هناك الى الكويت ، حيث كان قد اجرى بعض المشاورات التي لم يكشف النقاب عنها ، وفي الوقت نفسه استقبل الشيخ صباح الاحمد مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت ، الذي ذكر بانه نقل اليه رسالة شفوية من ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية . كما فهم ان الزيارة التي قام بها وزير الخارجية السعودية الامير سعود الفيصل في (١٢/٢٣) كانت احدى المحاولات العربية لاعادة العلاقات الليبية الفلسطينية الى سابق عهدها (السفير ١٢/٢٠) .

اما سوريا ، فقد تجسد دورها في الزيارة التي قام بها وزير الخارجية عبد الحليم خدام الى بنغازي ، حيث استقبله الرئيس الليبي العقيد معمر القذافي ، وتسلم منه رسالة من الرئيس السوري حافظ الاسد تناولت العلاقات الليبية الفلسطينية التي تدهورت اخيرا ، وكان هذا الموضوع قيد البحث في اللقاء الذي عقد بين الرئيس الاسد ورئيس اللجنة التنفيذية ياسر عرفات ، وكل من محمد زهدي النشاشيبي وعبد المحسن ابو ميزر وطلال ناجي اعضاء اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف . وخليل الوزير وصلاح خلف ومحمد غنيم ومحمود عباس اعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح بحضور عبد الحليم خدام . وقد ادلى عبد المحسن ابو ميزر الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية بعد هذا الاجتماع بتصريح اعلن فيه استجابة اللجنة التنفيذية للمنظمة للجهود التي يقوم بها الرئيس الاسد لانهاء الخلاف الطارىء بين م.ت.ف وليبيا من اجل تمتين الجهود القومية ، وابلاغه الموافقة على خطواته التي يقوم بها لاعادة العلاقات الى ما كانت عليه قبل الازمة (تشرين « دمشق » ، ١٢/٢٢) .

ومع تزايد اخبار الوساطات ، نسب الى مصدر ليبي رسمي قوله ان الخلاف في طريقه الى الحل ، بينما نفى مصدر ليبي رسمي اخر وجود اية وساطات من اي نوع بين الفريقين ، واكد ذلك ناطق بمكتب الاتصال العربي بالامانة العامة لمؤتمر الشعب العام في طرابلس ، في تصريح وزعته وكالة الانباء الليبية ينفي « ان تكون هناك اي وساطة من اي جهة حول العلاقة بين ليبيا والمقاومة الفلسطينية » (السفير ١٢/٢٤) .

هذا في الوقت الذي نسبت وكالة الصحافة الفرنسية في الجزائر الى مصدر فلسطيني قالت انه جدير بالثقة ، قوله ان الوساطة السورية بين منظمة التحرير الفلسطينية وليبيا انتهت باتفاق (١٢/٢٣) ، واضاف المصدر نفسه ان الوساطة التي تولاها نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري عبد الحليم خدام سوف تمكن ممثلي المنظمة في طرابلس من العودة الى اماكنهم ، كما ستتوقف ليبيا عن مساندة ما سمي باللجان الثورية الفلسطينية . وقال ان الطرفين سيمتنعان عن القيام باي حملات دعائية عن طريق الصحافة انتظارا لابرام الاتفاق النهائي ، وان اتصالات على مستوى عال سوف تتم بين الفلسطينيين والليبيين لهذا

الغرض (السفير ٢٤/١٢) . هذا وقد وصل دمشق الدكتور احمد طالب الابراهيمي مبعوث الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، الذي صرح لدى وصوله مطار دمشق بانه يحمل رسالة الى الرئيس السوري حافظ الاسد ، وكان سبق للابراهيمي ان زار طرابلس واجتمع بالقذافي . في غمرة تكهنات تحدثت في حينه عن وساطة جزائرية بين الطرفين .

هذا في الوقت الذي استمرت السلطات الليبية في تصعيد حملتها على المنظمة ، وتطور هذا التصعيد ليشمل الاعتقالات بين المواطنين الفلسطينيين في ليبيا . ففي (١٧/١٢) ذكرت وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) ان السلطات الليبية قامت باغلاق مكتب م.ت.ف في مدينة بنغازي ، كما قامت تلك السلطات بابلاغ قرار بالترحيل لثلاثة من العاملين فيه هم ابو ثائر وابراهيم طوباسي وابو جبر . كما قامت من جهة اخرى بتطويق مكتب م.ت.ف في مدينة طرابلس ، وطلبت من العاملين فيه تسليم اسلحتهم الخاصة للدفاع عن النفس (وفا ١٧/١٢) . واستمر مسلسل التصعيد ، حيث قامت السلطات باعتقال خمسة مواطنين فلسطينيين من كوادر الثورة الفلسطينية (وفا ٢٨/١٢) ، واستدعت عددا اخر من مكتب المنظمة ، وكوادر « فتح » في مدينة طرابلس ، واجرت معهم التحقيقات الاستفزازية لارغامهم على قبول الوصاية الليبية ، وطلبت الى عدد منهم مغادرة الاراضي الليبية خلال اربع وعشرين ساعة منذ التبليغ (وفا ٢٠/١٢). عدا ان تلك السلطات اوقفت التعامل مع مكاتب المنظمة في ليبيا ، والغت التعامل بالمعاملات والاوراق الرسمية التي تحمل خاتم منظمة التحرير الفلسطينية ، واصدرت تعميما بهذا الشأن الى جميع الدوائر والوزارات والمصالح الحكومية ، بينما قامت بالغاء كل المعاملات الرسمية التي كانت معتمدة في السابق ، اذا كانت تحمل ختم وتوقيع المسؤولين في منظمة التحرير (وفا ٢١/١٢) . وصعدت الحملة في (٢٤/١٢) باغلاق مكتب المنظمة في طرابلس ، والاستيلاء على جميع محتوياته واغلاقه بالشمع الاحمر . (وفا ٢٤/١٢) .

وردا على ما ذكر حول نفي ليبي للوساطة التي قامت بها بعض الجهات العربية ، وحول ما تردد عن بعض وسائل الاعلام بان منظمة التحرير الفلسطينية طالبت بعض الجهات العربية بالوساطة من اجل تنقية العلاقات ، صرح مصدر فلسطيني في الثورة الفلسطينية بان م.ت.ف لم تطلب مثل هذه الوساطة ، وهي ترى ان حل الخلاف لا يكون الا في اطار جبهة الصمود والتصدي ، وان م.ت.ف كانت قبلت بوساطة بعض الاشقاء العرب بين قيادة المقاومة والجماهيرية الليبية حرصا على القضية القومية المركزية (التصريح كاملا في « وفا » ، ٢٥/١٢) .

في هذا الوقت وصل الى بيروت عضو الامانة العامة الدائمة لمؤتمر الشعب العربي السيد احمد عبد العال على رأس وفد من الامانة العامة ، حيث ذكر انه حضر للقيام بمسعى وبمبادرة من الامانة العامة ، وذلك لازالة الخلاف الليبي – الفلسطيني . وذكر بان السيد عبد العال اتصل بياسر عرفات ، والتقى ايضا عددا من قادة المقاومة ومنهم د. جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية ، ونايف حواتمة الامين العام للجبهة الديمقراطية ، واحمد جبريل الامين العام للجبهة الشعبية – القيادة العامة . وفي تصريح لوكالة الانباء الصحافية ذكر عبد العال انه « بالواقع ليس ما نقوم به وساطة بالمعنى المتعارف عليه .. فلا وساطة بين الاشقاء ... انما تنحصر مهمتنا في ابداء الرأي في الخلاف والاستماع الى من يعنيهم الامر » (السفير ، ٢٥/١٢) .

كما التقى في هذه الاثناء ايضا مبعوث الرئيس الجزائري الشاذلي بن جديد ، السيد احمد طالب الابراهيمي عددا من قادة المقاومة ، وتركز بحثه معهم على سبل معالجة الخلاف الطارىء ، كما نقل الى عرفات رسالة من الرئيس الجزائري تتعلق بالوسائل الكفيلة بتطويق الازمة الليبية – الفلسطينية .

وفي اطار الجهود المتواصلة لتطويق الخلاف بين الجماهيرية الليبية والمقاومة الفلسطينية ، وصل الى ليبيا كل من جورج حبش ونايف حواتمة واحمد جبريل وسمير غوشه وماجد محسن عن فصائل المقاومة ، ورياض رعد عن الحزب التقدمي الاشتراكي ، حيث ذكرت الوكالة الجماهيرية للانباء ان الرائد عبد السلام جلود استقبلهم في قصر الشعب في طرابلس ، واضافت الوكالة ان الزيارة تأتي في اطار توكيد التلاحم بين الثورتين الليبية والفلسطينية. وفي وقت لاحق قالت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين في بيان وزعته في بيروت ان الاجتماع تناول المهمات النضالية الملقاة على

عائق الثورتين ، واضاف البيان انه تم الاتفاق في الاجتماع على ما يلي

١ ــ الدعوة السريعة الى عقد القمة الرابعة لجبهة الصمود والتصدي .

٢ ــ التاكيد على ان م.ت.ف هي الممثل الشرعي الوحيد .

٣ ــ الحرص الكامل على مصالح الجالية الفلسطينية في ليبيا .

ويظهر البيان ان قادة عدد من الفصائل الفلسطينية عقدوا اجتماعا مع القيادة الليبية في (١٢/٢٦) جرى فيه البحث في تعزيز العلاقات الليبية ــ الفلسطينية . وقامت وكالة الجماهيرية للانباء بنشر النص الكامل للبيان الذي اذاعه قادة المقاومة . والذي جاء في مجمله اقرب الى الادعاءات الليبية في هجومها على المنظمة . وليس فيه ما يخفف حدة التوتر القائم (نص البيان كاملا في السفير ، ١٢/٣١) .

من جهة اخرى قال فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية ، ردا على سؤال حول الوساطة العربية بشأن الخلاف « نرجو ان يكون هناك تقدم في الوساطة الحالية ، لاننا لسنا مع اي معركة كانت مع اي نظام عربي ، ولكننا لا نسمح بالاعتداء على الشرعية الفلسطينية والتدخل في الشؤون الداخلية لمنظمة التحرير ، والتاثير على قرارها المستقل . كما اننا نرفض اي محاولة لفرض وصاية على الشعب الفلسطيني من اي نظام عربي » ، وقال كذلك ان العلاقة « بيننا وبين اي نظام عربي تنظمها قرارات مؤتمر القمة العربي ، لانها تحدد شكل وطبيعة العمل العربي الموحد ، وضرورة التزام جميع الاعضاء بهذه القرارات ، وكل من يخرج عنها يعتبر خارجا من المجموعة العربية » واضاف « لقد دعونا الدول الاعضاء في الصمود والتصدي الى عقد مؤتمر عاجل لبحث هذه القضية ونامل ان يخرج هذا المؤتمر بنتائج ايجابية ، كما طلبنا عقد مؤتمر عربي عام بهذا الصدد ان امكن » (وفا ، ١٢/٢٨) .

وفي مجال اخر اشار القدومي الى ان الثورة الفلسطينية اجرت اتصالات مع سوريا واليمن الديمقراطية والجزائر بشأن تسوية الاوضاع مع ليبيا ، وهي حريصة على اقامة علاقات طبيعية معها على قاعدة الغاء الاجراءات المتخذة ضد م.ت.ف (وفا ، ١٢/٢٠) .

هذا ولا زالت الحملة الليبية على الثورة الفلسطينية مستمرة ، حيث ذكر ان السلطات الليبية قامت بمداهمة مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في بلدة سبها بواحة فزان ، واستولت عليه، وذكرت الانباء ان هذه الخطوة جاءت بعد ان رفض العاملون في المكتب الاعتراف بما يسمى باللجان الثورية التي شكلتها ليبيا ، واضافت الانباء ان السلطات لا زالت تمارس ضغطها وارهابها على المواطنين الفلسطينيين هناك . (السفير ، ١٩٨٠/١/١٤) ، هذا في الوقت الذي نفى فيه القذافي في مؤتمر عقده في بنغازي ، وجود اي وساطة بين ليبيا وحركة فتح ، التي ذكر في مؤتمره انها هي التي سببت الخلاف ... وعليها ازالته (السفير ، ١/١٤) .

هذا وكانت اللجنة المركزية لحركة « فتح » عقدت اجتماعا تدارست فيه اخر تطورات الوضع الراهن ، خاصة « الحملة المسعورة » التي تتعرض لها المنظمة من قبل القيادة الليبية ، وقد اصدرت اللجنة المركزية في ختام اجتماعها بيانا اعلنت فيه ادانتها الممارسات التي يقوم بها النظام الليبي ، وعلى رأسه القذافي ، ومحاولته لضرب الجماهير الفلسطينية وثورتها ، وكذلك ضرب جبهة الصمود والتصدي ، وافشالها ، وتفكيك وحدة الموقف العربي في مواجهة كامب ديفيد ، والعمل على تسهيل مهمة هذه الاطراف في تنفيذ الحكم الذاتي وذلك بمحاولة ضرب شرعية منظمة التحرير الفلسطينية وتمثيلها للشعب الفلسطيني . واعلن البيان للشعب الفلسطيني والليبي والعربي عن ان ١ ــ الموقف الذي اتخذه القذافي ليس بجديد ، وان حركة فتح لن تسمح للقذافي او غيره بالتطاول على الثورة الفلسطينية . ٢ ــ ان حركة فتح والثورة الفلسطينية ستتصدى لجميع محاولات الوصاية والخضوع والاحتواء ، وان فتح ستظل امينة ووفية للمبادىء القومية والوطنية . ٣ ــ تاكيد العلاقة النضالية بين الثورة الفلسطينية والشعب الليبي . ٤ ــ الالتزام المبدئي والثابت بالوحدة الوطنية الفلسطينية . ٥ ــ الالتزام بمنظمة التحرير وموقعها في الثورة الفلسطينية ، وكذلك بجبهة الصمود والتصدي ، والتاكيد على

الالتزام بوحدة الموقف العربي الذي تاكد في قمتي بغداد وتونس .

واعلن البيان كذلك ان المنظمة كانت قد قبلت محاولة الرئيس حافظ الاسد للوساطه ،وكذلك محاولات الجزائر واليمن الديمقراطي ، ولكن القذافي اعلن رفضه لهذه الوساطة ، بل وانكر وجودها ، واستمر في حملته المشبوهة وممارساته المتعددة (نص البيان كاملا في وفا ، ٨/١) .

على اي حال لم تتوقف الجهود العربية في محاولة الوساطة ، وسيعقد وزراء الخارجية لجبهة الصمود والتصدي اجتماعهم في (١/١٦) في دمشق ، حيث ذكرت المصادر الدبلوماسية ان الهدف من الاجتماع هو الاعداد لقمة جبهة الصمود والتصدي وذلك من اجل البحث في تسوية الخلاف الليبي الفلسطيني (النهار ، ١/١٦) .

لجنة المتابعة العربية

كان ابرز ما خرجت به قمة تونس عدا القرارات التي تتناول الوضع في لبنان والتواجد الفلسطيني ، هو احياء لجنة المتابعة التي انبثقت اول مرة عن مؤتمر بيت الدين ، وذلك من اجل تطبيق هذه المقررات . والقمة العربية التي جمعت بين الموقفين المتناقضين ، اللبناني والفلسطيني ، تركت للطرفين مسؤولية الاتفاق على برامج التنفيذ ، وذلك بمساعدة لجنة المتابعة العربية المشكلة من ممثلين عن المملكة العربية السعودية ، ودولة الكويت ، وسوريا ، والامانة العامة لجامعة الدول العربية . وان إعادة تحديد المواقف مع بعض الحدة هنا وبعض التصعيد هناك لم تكن اكثر من تحضيرات لاجتماعات اللجنة ، وهي تشكل مؤشرا الى الاجواء التي ستسود هذه الاجتماعات .

لقد تحركت السلطات اللبنانية باتجاه دعوة لجنة المتابعة العربية بعد انهاء اعمال مؤتمر القمة في تونس، وجرى الاعلان رسميا عن اول اجتماع لها على ان يتم في (١٢/٧) ويكون في القصر الجمهوري اللبناني برئاسة رئيس الجمهورية الاستاذ الياس سركيس . وفعلا قام رئيس الوزراء الدكتور سليم الحص بابلاغ الدعوة لكل الاطراف المعنيين . وقد آثار البعض الشكوك الكثيرة حول امكانية عقد هذا الاجتماع في موعده المحدد ، لان الامين العام للجامعة العربية كان قد اعتذر للجنة المتابعة عن الحضور لارتباطه بمواعيد سابقة ، وكذلك لان السفير السعودي على الشاعر كان غائبا ، ولعدم تعيين العضو السوري الى قبل الموعد بيومين . ولكن هذه الشكوك تبددت بعد ان تبلغت السلطة رسميا اسم ممثل سوريا وهو محمد غانم ، واسم ممثل الكويت وهو سفيرها في لبنان عبد الحميد البعيجان ، وكذلك بعد تعيين حمادي الصيد ممثلا للجامعة العربية ، وتعيين السفير السعودي على الشاعر ممثلا للسعودية .

هذا وقد استأثرت المساعي المبذولة لتقريب وجهات النظر بين الحكومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية باهتمام جميع الاطراف ، خاصة المراجع العليا اللبنانية ، على امل ترجمة مقررات قمة تونس عمليا دون اصطدامها بعراقيل تؤخر التنفيذ او تجهضه .

وما ان وصل ممثل الجامعة العربية حمادى الصيد بيروت ، حتى بدأ بسلسلة من الاتصالات واللقاءات ، سواء على صعيد اعضاء لجنة المتابعة او الاطراف اللبنانية والفلسطينية ، محاولا اجراء استشفاف عام للخطوط العريضة لكل من الموقف اللبناني الرسمي ، وللموقف الفلسطيني .

المصادر الحكومية اللبنانية قالت ان اللجنة ستأخذ مقررات قمة تونس ، وتحاول ايجاد تفسير واحد لها ، ثم تنتقل الى فرز هذه المقررات واختيار الاولويات منها ، التي يمكن تنفيذها نظرا لموافقة كافة الاطراف عليها . والاعتقاد السائد ان هذا التنفيذ سيشيع بالضرورة ــ اذا حصل ــ جوا من الارتياح ، ويزيل عوامل الشك بين لبنان الرسمي ، وم . ت . ف ، الامر الذي سيخلق اجواء مؤاتية للبحث في مرحلة لاحقة في القضايا الاصعب .وفي ما لا يتوفر اتفاق بشانه منذ الان .

ويتضمن جدول الاعمال الامور التالية

١ ــ الابلاغ عن خطة لانتشار الجيش في الجنوب

٢ ــ جردة بمقررات مؤتمرات القاهرة والرياض وبيت الدين والاسباب التي عملت على عرقلة تنفيذها .

٣ ــ الاطلاع على موقف الامين العام للامم المتحدة من لبنان ، وما يمكن ان يطرح على مجلس الامن بهذا الخصوص .

٤ ـ تنظيم التنفيذ والدور الذي يمكن ان تلعبه اللجنة وهي تتحرك من اجل العمل انطلاقا مما تقرر في تونس .

٥ ـ البحث في العقد الباقية ، كالوجود الفلسطيني في منطقة عمليات القوات الدولية . (السفير ، ١٢/٣) .

اما على صعيد المواقف ، فقد لخص الموقف الفلسطيني ، على اساس ان منظمة التحرير الفلسطينية على استعداد للحوار مع السلطة اللبنانية في اي موضوع ، سواء اكان يتعلق بالجنوب او بغير الجنوب ، ولكن بعد ان تسقط السلطة اللبنانية تحفظها على البند الخامس من مقررات تونس المتعلقة بالجنوب (النهار ، ١٢/٧) والذي يؤكد على مشروعية التواجد الفلسطيني المسلح في الجنوب ، بما في ذلك مناطق عمل القوة الدولية ، وتنظيم هذا التواجد بموجب الاتفاق بين السلطة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية .

اما على الصعيد اللبناني ، فان المصادر القريبة من الحكم تؤكد على ان الموقف اللبناني ينظر الى هذه النقطة بالذات نظرة مغايرة ، وان العودة عن التحفظ على القرار المذكور غير واردة ، ولكن هذه المصادر اوضحت ان التحفظ شأن لبناني ، وهو يرمي الى عدم تنصل لبنان من التزاماته الدولية (النهار ، ٧٩/١٢/٧) .

على اي حال ، عقدت لجنة المتابعة العربية اجتماعها الاول في القصر الجمهوري ، حيث بدأت من حيث انتهت السابقة ، وقد ركز المجتمعون على المواضيع والقضايا ذات الاولوية ، وتقرر في هذا الاجتماع أن تباشر اللجنة اتصالات واسعة مع الاطراف المعنية ، ولا سيما منظمة التحرير الفلسطينية . وذلك من اجل تحديد الاوليات قبل الانتقال الى البحث في طرق تنفيذها في الاجتماعات الدورية التي تقرر ان تعقدها اللجنة لاحقا .

وقالت المصادر المطلعة ان البحث في الاجتماع اخذ عدة منحنيات ، وتناول النتائج التي انتهت اليها اللجنة الرباعية في منتصف ١٩٧٧ ، واسباب فشلها كما تناول موضوع التواجد الفلسطيني ونسبة الـ ٧ في الالف ، وغيرها من المواضيع التي كانت السبب في فشل وطي صفحة اللجنة الرباعية في الماضي . وانتهى الاجتماع ، على ان تقوم اللجنة بالاجتماع بالاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، الذي تم الاجتماع اليه بحضور احمد صدقي الرجاني عضو اللجنة التنفيذية ، صلاح خلف (ابو اياد) عضو اللجنة المركزية لحركة « فتح » والعميد سعد صايل (ابو الوليد) مدير غرفة العمليات المركزية للقوات المشتركة ، واسفر الاجتماع عن البحث في مقررات قمة تونس المتعلقة بلبنان والذي « تميز بالنظرة الشاملة لهذه المقررات ، وبالروح الايجابية في معالجتها والتعامل معها . كما عبرت م . ت . ف . للجميع عن استعدادها الكامل للعمل من اجل تنفيذ هذه المقررات وانجاح مهمة اللجنة » (وفا ، ٧٩/١٢/١٠) .

بعد هذين الاجتماعين مع كل من سركيس وعرفات غادر ممثل الجامعة العربية في لجنة المتابعة بيروت الى تونس (١٢/١٢) وذلك لوضع الشاذلي القليبي ، الامين العام ، في اجواء الاجتماعين الذين عقدتهما اللجنة مع الجانبين اللبناني والفلسطيني ، ولاطلاعه على الموقفين اللذين عبر عنهما كل من عرفات وسركيس ، ولاجراء مشاورات معه . وقد حمله الامين العام بدوره عدة رسائل الى كل من عرفات وسركيس والحص ، وكذلك فؤاد بطرس ، وزير الخارجية اللبناني . وفي رسالته لبطرس يطلب الامين العام فتح مكتب لجامعة الدول العربية في بيروت تشمل مهماته دول المشرق العربي ، ويبلغه بأن السيد حمادي الصيد سيكون مبعوثا خاصا للجامعة في بيروت ، للاشراف على انشاء المكتب المذكور ، اضافة الى كونه ممثل الجامعة في لجنة المتابعة .

اما اجتماع لجنة المتابعة المقرر في (١٥/ ١٢) فلم تشأ المصادر الحكومية اللبنانية انذاك التكهن بما يمكن ان ينتج عنه ، معربة عن اقتناعها بان الاوراق لا زالت مخفية ويسود الاعتقاد لدى هذه المصادر بأن على لجنة المتابعة ، كي تنجح في مساعيها ، او على الاقل كي تؤمن عوامل نجاح مواربه لعوامل الفشل . ان تعمل فريقا منسجما وان ينسق اعضاؤها فيما بينهم . ويحضروا الخطط والمقترحات لتجري مناقشتها مع المعنيين

ولكن ، وبعد الاجتماع الثاني (١٢/١٥ للجنة المتابعة بكامل اعضائها في قصر بعبدا ، فقد قالت المصادر ان الاجتماع لم يحقق اي تقدم ، وان

البحث لم يتجاوز العموميات . في حين اطلع اعضاء اللجنة الجانب اللبناني على حصيلة المناقشات التي اجروها مع رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير بشأن مقررات تونس وطرق تنفيذها وقد لخصوها في ثلاث نقاط

الاولى ان المطلوب هو البحث مع الحركة الوطنية اللبنانية في مسالة تسهيل دخول الجيش اللبناني الى الجنوب . والمقاومة ترى ان يجري حوار بين السلطة اللبنانية والحركة الوطنية الموجودة عسكريا في الجنوب. وتعتبر م . ت . ف . ان هذه القضية في هذا المجال باتت لبنانية ــ لبنانية . اما فيما يخصها فلقد ابدت المقاومة ترحيبا بدخول الجيش للجنوب ، واستعدادا للمساعدة على انتشاره حين لا يتعارض هذا مع حقها المقرر في التواجد فيه .

الثانية اثارت المقاومة موضوع الوجود الانعزالي الاسرائيلي القائم في الجنوب ، ودعت اللجنة الى اخذ هذا الامر بعين الاعتبار عند البحث في هذا الموضوع

الثالثة ضرورة الانطلاق عند البحث في طرق تنفيذ مقررات قمة تونس من كونها كلا يجب البحث فيه جملة (النهار ، ١٢/١٦) .

بعد ذلك جرت في الاجتماع مناقشة خطه عمل اللجنه للمرحلة المقبلة . وامكانيه حصر مهمات اللجنه في البحث في نطاق الجنوب ام الجنوب والشمال . وكذلك الاقتراح بتشكيل لجنة وزاريه من اجل استمراريه البحث بينها وبين لجنه المتابعه .

وتم تشكيل اللجنة الوزارية المكلفة بمتابعة البحث والتنسيق مع لجنة المتابعة من وزير الدفاع السيد جوزف سكاف ووزير المال الدكتور علي الخليل ، وبمشاركة قائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب . وكان اول اجتماع لها في (١٢/١٧)، حيث ناقشت عملها وبحثت في الخطوات الجدية التي تؤدي الى تنفيذ مقررات قمة تونس والتنسيق بين الاطراف المعنية . ومع تكتم المصادر الرسمية عما دار من مناقشات ، فقد فهم ان البحث تناول قضية الجنوب ومقررات تونس وامكانيات تنفيذها جملة او وفقا لاولويات يتم اختيارها بعد التشاور مع جميع الاطراف. ويكون الجنوب وانتشار الجيش في طليعة هذه الاولويات . كما بحثت في امكانية عقد اجتماع ثلاثي بين م . ت . ف . ولجنة المتابعة وكذلك اللجنة الوزارية (النهار ، ١٢/١٨) .

من جهة اخرى اكدت مصادر قريبة ، ان قيادة الجيش اللبناني لن تقبل دخولا رمزيا الى الجنوب ، وقالت ان هناك خطة للدخول والانتشار لا تقبل التجزئة او النقصان وهي تتجاوب مع الموقف السياسي الرسمي لجهة كونه حدا ادنى . وهذه الخطة ، كما ذكر ، تتألف من مرحلتين ، تقضي المرحله الاولى بدخول كتيبه معززة من الجيش الى كل من صور والنبطية وجسر القاسمية . واما المرحلة الثانية فتقضي بازالة دولة « سعد حداد » بمعاونة الامم المتحدة . وان اي دخول بشكل رمزي لن يكون موضع ترحيب من قبل الجيش (النهار ، ١٢/١٨) .

وعلى الرغم من ان بعض اعضاء لجنة المتابعة العربية كان يتوقع ان يعرض الطرف اللبناني الخطة العسكرية لدخول الجيش الى الجنوب الا ان ذلك لم يتم ، لان الخطة ، حسب رأي بعض المصادر ، لم توضع بعد في صيغتها النهائية . ولكن بعض المصادر اوضح أن حرص السلطة على عدم الكشف عن هذه الخطة سببه ما تسعى اليه السلطة اولا من الحصول على ضوء اخضر من منظمة التحرير لدخول الجنوب، وبان تعمد المنظمة من جانبها لتذليل الصعوبات التي تعترض هذا الدخول .

في هذه الاجواء استمر عقد الاجتماعات بين اللجنة الوزارية المكلفة ولجنة المتابعة وحتى الاجتماع الثالث لم يكن قد تحقق شيء ، وانما ارتأى المجتمعون ان لقاءاتهم حتى الآن كانت من اجل وجوب الاستمرار والسعي ومحاولة جمع الفريقين ولتحقيق نوع من الانفراج ولو الظاهري لئلا تتجمد اعمال لجنة المتابعة. ومن هنا كانت فكرة جمع الجانبين اللبناني والفلسطيني . حيث قامت لجنة المتابعة بالاجتماع الى عرفات الذي رحب بالفكرة مذللا العقبات امامها لناحية دخول الجيش الى الجنوب. وقد صرح بعد الاجتماع بقوله . « هناك كتيبتان من الجيش اللبناني في الجنوب ، ونحن نرحب بدخول عشر كتائب اخرى الى جانب كل من الكتيبتين وذلك لمواجهة العدوان الاسرائيلي المستمر. بل نقول بواجب دخول الجيش اللبناني كله ليقوم بواجباته في الدفاع عن الارض اللبنانية والسيادة اللبنانية . وقد ابلغنا هذا الى اللجنة العربية ، واعلنا الى جانب ذلك ترحيبا بعقد لقاء ثلاثي ، فلسطيني ــ لبناني مع لجنة المتابعة العربية » (النهار ، ١٢/٢١) .

اما موعد الاجتماع التلاثي فقد حدد في ١٢/٣١ ، على ان يعقد في مقر رئاسة الحكومة ، ويحضره من الجانب اللبناني رئيس الحكومة الدكتور سليم الحص ، وعضوا اللجنة الوزارية جوزف سكاف وعلي الخليل ، وقائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب .

بعد ذلك ، شهدت الاوساط السياسية تحركا واسعا قام به ممثل الجامعة العربية السيد حمادي الصيد . اما بالنسبة للحوار مع الحركة الوطنية فقد كانت هناك اطراف تشجعه . ومع ان لجنة المتابعة العربية لم تقرر اجراء الاتصالات مع الاطراف اللبنانية غير الرسميين ، وحصر اتصالاتها بالسلطة اللبنانية ومنظمة التحرير الفلسطينية ، الا انه اتفق على ان يجري مثل هذه الاتصالات الوزيران المكلفان في اللجنة الوزارية،على ان يقوم علي الخليل بالاتصال باطراف الحركة الوطنية ، وان يقوم جوزف سكاف بالاتصال باطراف الجبهة اللبنانية، وقالت المصادر الحكومية كذلك انه بانتظار الاجتماع المشترك اللبناني ــ الفلسطيني المنتظر في (١٢/٣١) مع لجنة المتابعة فان لبنان سيكون قد وضع خطته العسكرية لدخول الجيش الى الجنوب وانتشاره (السفير ، ١٢/٢٢) ، الا ان مصادر اخرى اكدت بأن لبنان لن يطرح في الاجتماع الثلاثي الخطة العسكرية لدخول الجنوب ، وذلك اثر اجتماع امني ضم الياس سركيس ، رئيس الجمهورية ، وكل من قائد الجيش العماد فيكتور خوري ، وقائد قوة الردع العربية العميد سامي الخطيب والمدير العام لقوى الامن الداخلي العميد الركن احمد الحاج ، ومدير المخابرات في الجيش اللبناني المقدم جوني عبده . وفي هذا الاجتماع تركز البحث على عدة اوجه منها مسألة الجنوب وتطبيق مقررات تونس . وكل ما ذكرته هذه المصادر حول الاجتماع الثلاثي المقرر عقده ان يصدر عن الاجتماع بيان مشترك يتضمن النيات الايجابية والصادقة للفريقين والرغبة في العمل لتطبيق قرارات قمة تونس وحل بقية المعضلات التي تتحدث عنها تلك القرارات (النهار ١٢/٢٩)

على الصعيد الفلسطيني، قالت بعض المصادر الفلسطينية ان لبنان الرسمي حاول في تونس ان يلعب مع المنظمة لعبة مؤذية ولكنه لم ينجح ، وانه كرر هذه اللعبة في مجلس الامن الدولي وكانت اللعبة تقضي باستصدار قرار يتضمن نصا صريحا على وجوب اخراج الفلسطينيين من منطقة العمليات الدولية وكاد لبنان ان ينجح لولا الجهود الضخمة التي بذلتها المنظمة . ولكن المصادر نفسها قالت بان لبنان الرسمي ايضا بدأ منذ فترة قصيرة يميل الى الاعتدال بطريقة يمكن ان تؤدي الى تجاوب المنظمة ، وتعطي النتائج الملموسة على ارض الواقع (النهار ، ١٢/٣٠) .

اما على صعيد الطرف اللبناني فقد اكدت المصادر القريبة من الحكم بان السلطة اللبنانية ليست في وارد البحث في الخطط العسكرية مع الفلسطينيين . وفي اعتقاد الحكم ان على لجنة المتابعة ان تسعى لتحقيق امرين وهما ١ ــ وضع مهلة زمنية للتفاهم على بعض القضايا الشائكة ، ٢ ــ وضع برنامج عمل تتمكن اللجنة بموجبه من التعاطي مع امور عدة في حال عدم تمكنها من النجاح في امر معين (المصدر نفسه) .

اما على صعيد موقف الحركة الوطنية كما شرحته للجانب اللبناني المكلف بالتنسيق والاتصال مع لجنة المتابعة ، فهو انه لا يجوز ان يكون ثمن دخول الجيش اللبناني للجنوب تخليها عن سلاحها في المنطقة ، في حين ان الفريق المسلح الآخر لا يزال يحمل سلاحه في مناطق اخرى كان قد دخلها الجيش .وما زال هذا الفريق يقيم الحواجز في هذه المناطق ، واحيانا على مقربة من الجيش . وفي رأي الحركة الوطنية ، ان العدل والتوازن يقضيان بالنظر الى الامور بعينين وليس بعين واحدة . وعليه فان الحركة الوطنية تطلب ان يشمل البحث الجنوب وغير الجنوب ، وان نزع السلاح اذا حدث ، يجب ان يشمل كل الاطراف فلا يختل التوازن الحالي القائم (النهار ، ١٢/٣١) .

على اي حال عقد الاجتماع التلاثي الذي كان مقررا في(١٢/٣١) في حينه ، وحضره الجانب اللبناني ممثلا بالدكتور سليم الحص والوزيرين جوزف سكاف وعلي الخليل ، وعن لجنة المتابعة حمادي الصيد ممثل الامين العام للجامعة والسفير الكويتي عبد الحميد البعيجان ، والسفير السعودي الفريق علي الشاعر . اما عن الجانب الفلسطيني فحضره ياسر عرفات ومعه كل من الاخوة فاروق القدومي ، رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير وسعد صايل مدير غرفة العمليات المركزية للقوات المشتركة . وقد تم في هذا الاجتماع البحث في قضية الجنوب

ومهمات لجنة المتابعة حيث كرر عرفات مرة اخرى تجاوب واستعداد منظمه التحرير الفلسطينية لتسهيل دخول الجيش وعمل لجنة المتابعة ، ومما قاله في هذا الخصوص ، « ان طبيعة الاجتماع هو بهدف تنسيق وتنظيم ما اتفق عليه في مؤتمر تونس بالنسبة للوضع الفلسطيني اللبناني ككل وبالنسبة للجنوب اللبناني على الاخص. وقد ابلغنا الاخوة باستعداد المقاومة لتقديم كافة التسهيلات كما قدمتها في السابق بالنسبة لدخول الجيش اللبناني ... الذي اتمناه ان تتمكن السلطة اللبنانية والجيش اللبناني من بسط نفوذه على كل الاراضي اللبنانية وحتى الحدود بين فلسطين ولبنان » (التصريح كاملا في وفا ، ١٢/٣١) .

الاجتماع الثالث للجنة المتابعة العربية (١٩٨٠/١/٣) برئيس الجمهورية ، والذي عقد بعد اللقاء الثلاثي المذكور، لم يأت بجديد على الصعيد العملي سواء بالنسبة للجنوب او بالنسبة لبقية الموضوعات على الرغم من التصريحات التي ادلى بها عرفات وممثلي المنظمة عن الترحيب لدخول الجيش اللبناني ، وكذلك التاكيدات التي تمت من قبل المقاومة للجنة المتابعة العربية سواء في اللقاءات الجانبية او في الاجتماع الثلاثي .

ولكن ذكر مصدر حكومي لبناني انه تقرر في هذا الاجتماع ان تواصل لجنة المتابعة اتصالاتها مع المجلس الشيعي والحركة الوطنية ، وكذلك الاطراف الاخرى المعنية بقضية الجنوب ، وذلك لبلورة افكار معينة تدور كلها وتتركز حول دخول الجيش وطريقه هذا الدخول وحجمه ، واعرب المصدر عن امله في ان يؤدي الاجتماع المقبل الذي تقرر في (١/١٢) الى خطوات تنفيذية لدخول الجيش . كما قالت مصادر مطلعة اخرى ان البحث تناول في الاجتماع النقاط التالية

١ ـ عاد المجتمعون الى الاقتراح القديم الذي كانت اللجنة قد تبنته ، والقاضي بان تتحرك اللجنة بشكل جماعي في اتصالاتها مع الاطراف المعنيين بحيث تتم اللقاءات بحضور جميع اعضاء اللجنة .

٢ ـ طرح ممثل الجامعة تشكيل لجنة عسكرية من الدول الاعضاء المشاركة في اللجنة تعمل باشرافها، كي تشارك في البحث عن تفاصيل دخول الجيش وتشرف عليه وتراقب عمليات العرقلة ان وجدت .

٣ ـ ابلاغ سركيس من قبل ممثل الجامعة بان عرفات وعده واكد له انه لن يدع اللجنة تفشل في تحقيق مهماتها الاساسية .

٤ ـ ان سركيس طرح ضرورة ازالة المظاهر المسلحة من امام الجيش قبل دخوله ، وغير ذلك من امور (النهار ، ١٩٨٠/١/٤) .

على اي حال وعلى رغم ان تنفيذ مقررات قمة تونس ولا سيما ما يتعلق منها بالجنوب، هو مطلب لبناني ملح حسبما تعلنه السلطة اللبنانية بشكل دائم، الا ان المصادر المطلعة تعتقد ان عدم التنفيذ لن يشكل ازمة في الوقت الحاضر بالنسبة للسلطة خصوصا اذا استمر تجميد الاوضاع . اما اذا عاد الجنوب الى اجواء التفجير ، فان ذلك قد يفرض على المسؤولين طرح قضية تنفيذ المقررات جديا وبالحاح ، وان الحكم قد يجد نفسه مضطرا الى الاقدام على مبادرة ما تستعجل التنفيذ. وتشدد المصادر بان هذه المبادرة اذا حصلت لن تتجاوز الاطار العربي الذي لا يزال الحكم ـ كما تقول المصادر ، يفضله لحل قضية الجنوب (النهار ، ١٢/١٢) .

اما من جهه ما كان مقررا بالنسبة لاجتماع لجنة المتابعة يوم (١/١٢) مع رئيس الجمهورية فقد ارجىء هذا الاجتماع الى اجل غير مسمى بعد ان تقرر ان يغادر ممثل الجامعه الى تونس للاجتماع بالامين العام الشاذلي القليبي، حيث ذكر انه سينتدبه لجولة على بعض الاقطار العربية تشمل الجزائر والعراق والكويت وكذلك دول الخليج العربي . وهذه الجولة تتم من اجل اطلاع المسؤولين العرب على نشاط لجنة المتابعة والصعوبات التي تواجهها ، وربما طلب منهم المساعدة لتوفير عوامل النجاح للجنة ولتنفيذ مقررات قمة تونس . هذا وقد فاتح ممثل الجامعة حمادي الصيد السيد فؤاد بطرس قبل مغادرته بضرورة قيامه بالجولة العربيه، وتمنى عليه اجراء اللازم لارجاء موعد اجتماع اللجنة مع رئيس الجمهورية .

وبعد مغادرة حمادي الصيد بيروت ، كثرت التكهنات حول مستقبل لجنة المتابعة ، والاسباب التي دعت الى تأجيل اجتماعاتها ، فمن قائل ، ان ذلك حصل نتيجة تصلب الحركة الوطنية اللبنانية في مواقفها ورأى آخر يقول ان السبب هو تباين موقف لجنة المتابعة وموقف السلطة اللبنانية (النهار ، ١/٩) . بينما اكد مصدر حكومي لبناني ان اللجنة

لن توقف اعمالها وستستمر في بذل المساعي والجهود لدى الاطراف المعنيين من اجل حملهم على تسهيل المهمة الموكلة للجنة . وقال ان استمرار اجتماعات اللجنة يظل افضل من وقفها وانفراط عقدها . وقد تفادت اللجنة منذ اول اجتماع عقدته ان تربط نفسها بمهلة زمنية لتنفيذ المهمة الموكلة لها خوفا من ان تنقضي هذه المهلة قبل ان تكون قد نفذتها، او نفذت شيئامنها، فتضطر عندئذ الى وقف كل نشاط. ويضيف المصدر ان لجنة المتابعة هي في الواقع امتداد لقمة تونس واستمرار لها ، واذا وجـدت اللجنة نفسها مضطرة الى انهاء مهمتها لاخفاقها في التوصل الى نتائج حاسمة فانها سترفع تقريرا بذلك للامين العام للجامعة (النهار ١٢/١/١٩٨٠) .

ولا زال عمل لجنة المتابعة مستمرا رسميا ، بانتظار عودة السيد حمادي الصيد وكذلك الفريق علي الشاعر الذي غادر لبنان لاسباب يبدو انها تتصل بعمل اللجنه. وكذلك عودة المندوب السوري محمد غانم الذي كان مشغولا في شؤون اخرى في سوريا في المرحلة الاخيرة. لكن الى حين عودة اعضاء اللجنة

واعادة الاتصال بالاطراف المعنيين بالقضية التي يدور البحث فيها، فان لكل حادث حديثا مع ان كل الدلائل تشير الى الامل بانجاز شيء هو ضعيف جدا. والخوف هو ان تنتهي لجنة المتابعة العربية الى ما انتهت اليه اللجان السابقة .

صابر موسى

المناطق المحتلة

بين قضيتي بسام الشكعة ، وشركة كهرباء القدس ،

السلطات الاسرائيلية تفقد حرية المناورة امام القدرة السياسية لسكان المناطق المحتلة

تشهد الاراضي العربية المحتلة تطورات هامة على صعيد المؤامرات التي تحاك ضد الشعب الفلسطيني ، وقضيته الوطنية . وتبدو الساحة هناك ، وكأنها ساحة مواجهة دائمة بين سلطات الاحتلال ، والمواطنين الفلسطينيين بقيادة رؤساء البلديات ، والشخصيات الوطنية ، وعلى اكثر من صعيد . فما ان تخسر سلطات الحكم العسكري الاسرائيلي معركة ، الا وتسارع الى فتح معركة اخرى ، وفي الحال يكون التصدي سريعا وفعالا بمختلف الوسائل والاساليب .

ويمكن القول ، ان قضية بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ، قد فتحت الباب على مصراعيه ، امام معركة مكشوفة ومتواصلة ، وفي مجالات عدة ، لم تكن تلك القضية اولها ، كما لن تكون قضية شركة كهرباء القدس العربية أخرها بكل تأكيد .

ومن ناحية ثانية ، دخلت الى ساحة الصراع في المناطق المحتلة ، عناصر جديدة ، تدعم الموقف الاسرائيلي ، ولا تقل خطورتها على مستقبل الاراضي المحتلة من وجود الاحتلال ذاته . ونقصد بذلك المحاولات التي تبذلها السلطات المصرية لاقامة اتصالات مع بعض الشخصيات في المناطق المحتلة ، وفتح مكاتب اتصال مصرية في مدن تلك المناطق ، وتحريك بعض الادوات لتخريب وحدة النضال الفلسطيني في قطاع غزة . كما دخلت الى هذه الساحة ممارسات جديدة للسلطات الاردنية ، تتمثل في اعادة تنشيط بعض الدوائر الرسمية التي كانت قائمة في الضفة الغربية قبل الاحتلال عام ١٩٦٧ ، والتي تتولى تصريف اعمالها حتى الآن الغرف التجارية ، ومخاتير القرى العربية .

الوضع السياسي

كان من أثار قضية الشكعة ، ونتيجة لخسارة السلطات الاسرائيلية احدى المعارك السياسية ضد

القيادات الوطنيـة الفلسطينيـة ، ان قررت هذه السلطات ، الرجوع عن اسلوبها المتبع سابقا ، والذي كان يدعو الى « عدم التشدد بشأن حظر النشاط السياسي على رؤساء البلديات ، شرط ألا يمس هذا النشـاط اتفاقيـات كامـب ديفيـد » (ر.إ.إ. ، العـدد ١٩٤٢ ، ١٧ ، ١٩٧٩/١٢/١٨ ، ص ١٢) . وتطبيقا لهذا القرار استدعت سلطات الحكم العسكري رؤساء البلديات كي توضح لهم ، انـه لن يسمـح بالنشاطـات السياسية الموجهة ضد اتفاقيات كامب ديفيـد . ويعني هذا « تجميد النشاطـات السياسيـة في المناطق ، الموجهة ضد تلك الاتفاقيات ، والحكم الذاتي ، وضد سياسـات الاستيطـان لحكومـه الليكود » (على همشمار ، ١٩٧٩/١٢/١٩) .

وفي السياق نفسه ، ومن اجل منع استمرار الزخم السياسي الوطني الذي تجسده وحدة العمل المشترك بين الضفة الغربية وقطـاع غزة ، قرر الحكم العسكري منع النشاطات المشتركة لزعماء المنطقتين . وكشف رشاد الشوا رئيس بلدية قطاع غزة حقيقة هذا القرار ، عند اجتماعه مع الحاكم العسكري للاحتجاج على قرار منعه من الذهاب الى الضفة الغربية ، وقال « ان هذا المنع يبرهن عن نوايا عزل الضفة عن القطاع ، ومحاولة لفرض الحكم الذاتي على القطاع » . واضاف الشوا « ان خطوات الحكم العسكري لن تغير من معارضة السكان لمشروع الحكم الذاتي ، لانها لا تحتوي على الحد الادنى المقبول للفلسطينيين » (المصدر نفسه) .

والحقيقة ان الاوسـاط الاسرائيليـة المهتمـة بشؤون المناطق ، مصابة بالذهـول من القـدرة العالية لمستوى التصدي لدى سكان المناطـق ، الذين يدافعون عن حقهم في ارضهم ضد سياسات الاستيطـان ، ومصـادرة الاراضي ، وسلبهـم لحقوقهم المشروعة وقد وصل المعنيون بالتطورات الجارية في الضفة والقطاع ، الى نتيجة ملخصها « ان قوة المناورة لدى الحكم العسكري اخـذة بالتقلص ... وحقا ، توجد لدى الحكم العسكري مقدرة على منع الاجتماعـات ، والاحتجاجـات ، والسماح لحرس الحدود بتفريق الطلاب في حرم الجامعة ، او فرض الرقابة على صحف المناطق ، ولا شك في ذلك ، لكن نجاعـة هذه الخطوات تقل شيئا فشيئا ، وكثيرا من هذه الاجراءات اعطت عكسها . وكانـت قضيـة الشكعـة ، كمـا هو معروف ، مثالا كلاسيكيا على ذلك ، وهـو ليس المثال الوحيد » (امنون كابليوك ، على همشمار ، ١٩٧٩/١٢/٢٨) .

وقد دفع هذا الوضع الصحافـة الاسرائيليـة للبحث والتحليل في تركيب القوى السياسية داخل المناطق المحتلة ، ومدى تنظيمهـا ، ومستواهـا الفكري ، وقوة تاثيرها بين الجماهير . فرؤسـاء البلديات الحاليون الذين يقودون العمل الوطنـي ، يمثلون الخط المتطرف ... وقـد اعلنـوا مرات عديدة ، ان منظمة التحرير هي ممثلهم الشرعي ، وهي التي ستحكم الدولة الفلسطينية المستقلة التي يريدون اقامتهـا » (يعقـوب حكبـوك ، ملحـق هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٧) . والجانـب الايديولوجي عندهم متين ، وهـم يختلفـون عن سابقيهم « الذين لم يميلوا الى التطرف ، وحافظوا على خط موال للاردن ، اما هؤلاء الجدد ، فانهم يتضامنـون بوضـوح مع منظمـة التحريـر الفلسطينيـة ، وغالبيتهـم يعارضـون الاردن » (المصدر نفسه) .

وتوجد الى جانب القيادة الرسمية المعروفة في المناطق ، والتي يمثلها رؤساء البلديات ، مجموعة اخرى « ليست صغيرة ولها اهميـة في الضفـه وخارجها . وهؤلاء هم العاملون في الخفاء لكي لا يلفتوا انتباها متزايدا اليهم ، ويحملون ايديولوجية هامة . وبناء على ذلك ، فان تاثير هذه المجموعة بارز ، وتوجد لآرائها أهمية خاصّة في المناطق ، حتى ان رؤساء البلديات يصغون اليها بانتباه . وابرز شخصيتين في هذه المجموعة هما الدكتور احمد حمزة النتشه ، والصحافي بشير البرغوتي ... كما يعمل مع هذه المجموعة كل من خلدون عبد الحق من نابلس ، والدكتور حيدر عبد الشافي من غزة ...

« والشخصيات النشيطة في هذه المجموعة ، لا تعمل في وظائف رسمية ، مثل رؤساء البلديات ، وهم امـا اعضـاء في الحـزب الشيوعـي ، او متضامنون مع الجبهة الوطنية ، وباقي الهيئات ذات التطلعات اليسارية المتطرفة . وتعمـل هذه الهيئات في أطر محددة ، منظمة ومتطورة نوعا ما . وهناك اراء في الضفة تقول ان هذه المجموعة مؤثرة اكثر من رؤساء البلديات المعروفين ، وان النتشه

والبرغوتي ، والشاقي ، وعبد الحق ورفاقهم هم القوة الحقيقية ، ورؤساء البلديات هم المشهورون في الخارج ... » .

« اما المجموعة الثالثة ، وهي غير رسمية ايضا ، فهي مجموعة معتدلة ، وتؤيد الاردن ، ومعظم شخصياتها كانت تشغل مناصب رسمية ايام الحكم الاردني ، ومنها انور الخطيب ، انور نسيبه ، مصطفى دودين ، عبد الرؤوف فارس ، نهادجاد الله، حكمت المصري ، نعيم عبد الهادي ، الحاج شفيق بالي ، وغيرهم . ولا يوجد أي وزن لهذه المجموعة في الخارطة السياسية في المناطق ... وقد حافظت ... على علاقات جيدة مع النظام الهاشمي ، على العكس من غالبية رؤساء البلديات ، وممثلي المجموعات المتطرفة الشيوعية التي قطعت كل الجسور مع الملك حسين . ولا يزال هؤلاء ، يحافظون على ثقتهم بالملك ، لانهم يرون حل المشكلة الفلسطينية عبر العلاقة مع الاردن ، تحت زعامة الملك ، رغم انهم لا يستطيعون تجاهل التطورات الاخيرة في العالم العربي ، وفي المناطق [المحتلة] ايضا » (المصدر نفسه) .

وباستثناء هذه القوة الاخيرة والهامشية ، والمكونة من شخصيات كبيرة في السن ، والتي تستمد قوتها من كونها تنتمي الى عائلات كبيرة ، فان الموقف العام في المناطق « موحد ازاء التنسيق المصري ـ الاسرائيلي في كل ما يتعلق بالمسالة الفلسطينية » (امنون كابليوك ، مصدر سبق ذكره) .

اما عن وعي سكان المناطق لمناورات اطراف كامب ديفيد فانه عال جدا . فاذا ما حدثت السكان عن الخلافات في الراي بين وفود مصر واسرائيل حول الحكم الذاتي ، او عن تصريحات المصريين القائلة ان هدفهم تحقيق الاستقلال للفلسطينيين ، فانك تجابه بقول قاطع « اننا لا نؤمن حتى بكلمة واحدة للسادات ، وهؤلاء الذين يحيطون به . لقد باعونا . ويبحثون عن اسلوب لاخفاء صفقتهم التي عقدوها مع اسرائيل . وسوف نقاطع سفارة السادات التي ستفتح في تل ابيب » . وبالنسبة لمكاتب الاتصال التي يريدون انشاءها في الضفة ، فاننا « لن نقيم علاقات معها ، وهي مرفوضة ايضا ، واننا لا نفهم لماذا يخشى بيغن منها ان المصريين يقومون بالدعاية من اجل حكمه الذاتي » (المصدر نفسه) .

وتعترف الاوساط الاسرائيليه الان ، بأن النشاطات السياسية التي وصلت الى ذروتها اثناء قضية الشكعة ، لا يمكن كبحها بعد الان « وانها بهذا الاسلوب او ذاك متلائمة مع الظروف والمعطيات ، وهي مستمرة في التعاظم » . وبالمقابل فان اسرائيل « تفقد قدرتها على التحكم بالاحداث ، فقد كانت في السنوات الاولى بعد حرب حزيران (يوليو) ١٩٦٧ تتمتع بحرية مناورة سياسية ، لكن هذه تبددت مع اوهام وضع خطوط [الحدود] الابدية ، وتقلصت الى الصفر تقريبا بعد ذلك . وبسبب قصر النظر ، والخرافات عن البقاء في ظل الحراب الاسرائيلية ، لم يبق هذا الوضع سرا لدى زعماء المناطق ، فقد بنوا عليه خططهم السياسية . ومن هنا ياتي تفاؤلهم ازاء المستقبل » (المصدر نفسه) .

نشاطات مصرية واردنية

وفي اطار التمهيد للحكم الذاتي ، الذي تريد اطراف كامب ديفيد تطبيقه على الاراضي المحتلة ، كشف مراسل صحيفة عل همشمار الاسرائيلية في القاهرة ، عن محاولات اجراها عدد من الممثلين المصريين في مباحثات الحكم الذاتي ، مع زعماء من الضفة الغربية وقطاع غزة ، وان احمد عزت عبد اللطيف ، رئيس الوفد المصري لمجموعات العمل في تلك المباحثات ، سافر مرات عديدة خلال الاسابيع الاربعة الاخيرة الى القدس لهذا الهدف . وقد رفضت السلطات المصرية « الافصاح عن اسماء هؤلاء الزعماء الذين التقى معهم عبد اللطيف » (عل همشمار ، ١٩٧٩/١٢/١٣) . وفي وقت لاحق اوضحت الاذاعة الاسرائيلية صفة الشخصيات التي يلتقي معها اعضاء الوفد المصري ، عندما اعلنت ان عزت عبد المجيد عضو الوفد « قام بزيارة احد كبار الموظفين الاردنيين في القدس الشرقية » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٨ ، ٩ و ١٩٨٠/١/١٠ ، ص ٦) .

وفي هذا السياق ، ذكرت الاذاعة الاسرائيلية ايضا ان موظفي دائرة الجوازات الاردنية ، سوف يعودون الى العمل في الصفة الغربية « بعد موافقة ضمنية من اسرائيل » (ومن المعروف ان هؤلاء الموظفين كانوا قد توقفوا عن اعمالهم منذ حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧) . ومن المقرر ان يتخذوا مكاتب غرف التجارة مقرا لهم وسيعملون في مهمه

اصدار جوازات السفر التي كان رؤساء البلديات يقومون بها » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٩ ، ١٠ و ١٩٨٠/١/١١ ، ص ١٢) . وستكون هذه اول مجموعة من الموظفين تستانف عملها في الضفة الغربية » وسيستانف رجال القضاء وموظفو الضرائب اعمالهم قريبا » (المصدر نفسه) .

ويأتي هذا النشاط مترافقا مع نشاط اخر تقوم به السلطات الاردنية ، فقد ذكرت مصادر امنية اسرائيلية ان حزب الاخوان المسلمين استانف مؤخرا » نشاطه السري في الضفة الغربية ، بالتنسيق مع الاردن . ومما يذكر ان حزب التحرير [الاسلامي] المعادي للاردن يمارس نشاطه هناك . ويعمل الحزبان بشكل مناهض لرؤساء البلديات ذوي الميول الشيوعية » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٤٥ ، ٢٠ و ١٩٧٩/١٢/٢١ ، ص ٩) .

وفي الوقت نفسه ، تحركت عناصر مشبوهة في قطاع غزة يوم ١٩٨٠/١/٧ ، وهاجمت مكاتب جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني في المدينة ، عقب قرار ادارة كلية الازهر (التابعة لجامعة الازهر في القاهرة) الذي دعت فيه رئيس الكلية الشيخ محمد عواد للاستقالة من وظيفته . وقد ادعت اوساط الشيخ عواد ، ان هذا القرار جاء » بتأثير من شخصيات في جمعية الهلال الاحمر برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي » (عل همشمار ، ١٩٨٠/١/٨) . ورغم محاولات اظهار الاحداث بأنها قضية دينية وان جزءا منها كان بتأثير احداث افغانستان ، اعترفت المصادر الاسرائيلية ، ان ما حصل ليس خلافا شخصيا ، وانما » عداءات سياسية بين وجهة النظر المصرية (الشيخ عواد) ، وبين وجهة نظر منظمة التحرير الفلسطينية (الدكتور حيدر) . ولم يقبل الجمهور ابعاد عواد ، ورد على ذلك بغضب » (المصدر نفسه) .

وكان تواطؤ سلطات الاحتلال مع مجموعات الشغب واضحا . فقد دعى الدكتور حيدر عبد الشافي لمؤتمر حضره الاكاديميون ، والممثلون الآخرون في المدن الاخرى ، للاحتجاج على الاحداث التي جرت في غزة ، وعبر المحتجون في نهاية المؤتمر ، عن استيائهم » من تصرف الحكم العسكري الذي لم يعمل على وقف المظاهرة قبل انطلاقها » (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٧ ، ٨ و ١٩٨٠/١/٩ ، ص ٨) . كما ان سلطات الحكم العسكري في القطاع منعت الدكتور عبد الشافي ، فيما بعد ، من عقد مؤتمر صحفي ليوضح فيه حقيقة القضية ، ولكشف ابعادها والقوى التي تقف وراءها . وقد تضامنت جميع القوى الوطنية في المناطق المحتلة مع موقف جمعية الهلال الاحمر في غزة . وتلقى الدكتور عبد الشافي رئيس الجمعية ، برقيات استنكار للاعتداء الذي وقع ضد مكاتب الهلال الاحمر من جمعيتي الهلال الاحمر في مدينتي نابلس ، والقدس ، ومن اتحاد النساء العربي في البيرة ، واتحاد الجمعيات الخيرية في نابلس والمؤسسات الوطنية في قطاع غزة . واستنكرت تلك البرقيات الحادث واكدت وقوف مرسليها الى جانب المسؤولين عن الجمعية من اجل استئناف خدماتها لمواطني القطاع .

واصدر مجلس الطلبة في جامعة بيرزيت بيانا ، دعا فيه الى ضرورة تعميق التلاحم بين صفوف الحركة الوطنية لجماهير الارض المحتلة ، وادان البيان بعض الفئات التي تسعى جاهدة لعرقلة مسيرة الجماهير الفلسطينية . واكد ان هذه الفئات تحاول الظهور بمظهر الحريص على الدين ، بعد ان فقدت مبررات وجودها الوطنية والتاريخية (فلسطين الثورة ، ١٩٨٠/١/١٢) .

كما اصدرت الهيئة الاسلامية في مدينة القدس المحتلة بيانا ، ناشدت فيه » جميع المواطنين ، الحفاظ على وحدة الصف لمواجهة المخاطر التي تحدق [بالشعب الفلسطيني] ، حتى يتمكن من افشال جميع المخططات التي تستهدف النيل من وحدته الوطنية ، وفرض المؤامرات عليه » (المصدر نفسه) .

مصادرة شركة كهرباء القدس الوطنية

في يوم ١٩٧٩/١٢/٢١ ، استدعى اسحاق موداعي ، وزير الطاقه الاسرائيلي المحامي انور نسيبة رئيس مجلس ادارة شركة كهرباء القدس العربية ، وابلغه عزم الحكومه الاسرائيليه شراء امتياز الشركة ابتداء من ١٩٨١/١/١ وقد عللت السلطات الاسرائيلية اسباب اتخاذ قرارها المذكور بعدم قدرة الشركة على الاستمرار في تقديم الخدمات لتتلاءم مع التطويرات الواقعة في مجال امتيازها . وان » المشتركين اليهود اشتكوا عدة مرات ، من مستوى الخدمات التي تقدمها الشركة »

(هارتس ، ١٩٨٠/١/١) .

وكانت شركة كهرباء القدس ، تعاني من بعض الازمات المالية والادارية منذ العام ١٩٦٧ ، حيث اخذت تشتري بعد الاحتلال ما يعادل ٥٨ / من طاقتها الكهربائية من شركة الكهرباء القطرية الاسرائيليه . وذلك لتوفير الاحتياجات المستجدة ، التي فرضها واقع زيادة وتيرة بناء الاحياء السكنية اليهودية ، والمستوطنات التي اقيمت في مجال امتيازها واجبرها هذا الوضع بالتالي على تلبية الاحتياجات الجديدة ، باسعار تعادل اسعار الكهرباء في اسرائيل ، مع فارق ان شركة الكهرباء الاسرائيلية تتلقى دعما من الحكومة ، بينما لا تحصل الشركة العربية على ذلك ، مما اوقعها في عجز دائم . وبلغت ديونها في العام ١٩٧٩ حوالى ٢٨ مليون ليرة اسرائيلية ، اضافة الى مبلغ ١٠ ملايين ليرة لصالح شركه الوقود الاسرائيلية (باز)

وفي محاولة لتخليص الشركة من ازمتها ، عقدت ادارتها اجتماعا في اواسط شهر اب الماضي ، برعاية اللجنة الفلسطينيه – الاردنيه المشتركة . وجرى في تلك الاجتماع تسويه اوضاع الشركة وعين رئيس دائم لمجلس ادارتها ، ومدير عام لها . كما بحث وضع الشركة بشكل عام ، وما تتعرض له من تهديدات وضغوطات من قبل الاجهزة الاسرائيلية المختلفه

وتقدم شركة كهرباء القدس العربيه خدماتها لحوالى ٤٩,٨٣٢ الف مشترك ، يتوزعون على ١٣ مدينة ، و ٤٩ قرية ، و ٥ مخيمات للاجئين . ويشترك فيها ١٣١ مؤسسة صناعية ، وفندقيه ، وتجارية ، يعمل فيها ١٠,٠٠٠ موظف . ويبلغ عدد عمال وموظفي الشركة نحو ٤٠٠ وعدد المستفيدين من خدماتها ٢٠,٠٠٠ مواطن . وتساهم في اداراتها بلديات القدس ورام الله والبيرة وبيت لحم وبيت ساحور وبيت جالا .

ومهما حاولت السلطات الاسرائيلية تبرير القرار بان خلفياته لا تتعدى الاعتبارات التقنية ، والاقتصادية ، فانه لا يمكن إلا ربطه مع القرارات السابقة بشان مدينة القدس ، منذ اعلان ضمها في ٢٨ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ . وقد ادت السياسه نفسها ، حتى الآن ، الى حل مجلس امانة القدس ، ونقل دائرة التربية والتعليم الى بيت لحم ، ومحكمه الاستئناف الى رام الله ، وتطبيق المناهج الاسرائيلية على الطلاب العرب ، وتشتيت القرى العربية المحيطة بالقدس ، والحاقها بمناطق بيت لحم ، ومنطقة رام الله ، مع ان تلك القرى هي من احياء القدس العربية والملاصقة لها .

ردود الفعل على القرار

اثار قرار وزير الطاقة الاسرائيلي ، امتلاك شركة كهرباء القدس العربية ، ردود فعل واسعة في الاراضي المحتلة . وراحت المؤسسات والهيئات الوطنية تستعد لمعركة طويلة مع سلطات الاحتلال ، لن تقل اهميتها عن قضية الشكعه . لان الضفة الغربية كما يقول الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم لن « تجيب بالسكوت ، وهذا قرار تحريضي ، وغير ضروري ، وهو سيؤدي الى مواجهة حادة بين السكان العرب ، والحكم العسكري ، وسيكون اخطر بكثير من قضية الشكعة » (يديعوت احرونوت ، ١٩٨٠/١/١) . ودعت الصحافة الاسرائيلية ، من جانبها ، حكومة اسرائيل الى اخذ العبر من تجاربها السابقة مع الزعامة الفلسطينية في الداخل التي تريد تحويل قضية شركة الكهرباء الى « معركة سياسية ، والى طبعة جديدة لقضية الشكعة ... وان تتعلم الدرس الصحيح من تلك القضية على الاقل ، لكي لا تجد نفسها من جديد في وضع يثير الضحك » (معاريف ، ١٩٨٠/١/٢) .

ورد المحامي انور نسيبه على ادعاءات وزير الطاقة الاسرائيلي بشان الشركة ، ورفضها رفضا قاطعا . واوضح انه من الناحية المالية ، تواصل الشركة الوفاء بجميع التزاماتها ، ومن الناحية الفنية ، فانها تتقيد بجميع واجباتها . « صحيح ان الشركة كانت في السابق تواجه الصعوبات ، ولكننا عقدنا العزم على مواجهة هذه المشاكل بنجاح » (ر . أ إ ، العدد ١٩٤٥ ، ٤ و ١٩٨٠/١/٥ ، ص ١٠) وحدد نسيبه بصورة قاطعة ، ان الدوافع « السياسية هي التي تقف خلف قرار الحكومة » (المصدر نفسه)

وفي يوم ١٩٨٠/١/٥ عقد في القدس اجتماع بمبادرة لجنة التوجيه الوطني ، خصص للبحث في موضوع شركة الكهرباء . ورغم منع سلطات الاحتلال لرؤساء البلديات من حضور الاجتماع ، فان رئيسي بلديتي نابلس وحلحول نجحا في الوصول اليه والاشتراك فيه . وتحدث انور نسيبه في الاجتماع . وقال « ان مزارعا من منطقة القدس

ابلغه . انه يفضل البقاء في الظلام . على تلقي الكهربــاء من شركة الكهربــاء الاسرائيليــة » (هآرتس ، ١٩٨٠/١/٦) .

وأصدر المؤتمر بيانا ، أكد فيه ان الاحتــلال الصهيوني قام بعد الانتصار في قضية التشكعة بهجمة على المؤسسات الوطنية ، مثـل الاقتحــام العسكري لجامعة بيرزيت . واقتحام قاعة المعلمات في البيرة ، ومصادرة الحريات ، وفرض الاقامــة الجبرية . وتطبيق العقوبات الجماعيــة . وتــوج الاحتلال ممارساته هذه بقرار الاستيلاء على شركة كهربــاء القــدس . وهــي مؤسســة اقتصاديــة فلسطينية ، تعــود ملكيتهــا لجماهــير الشعــب الفلسطيني . وجــدد البيــان الـرفض القاطــع لاتفاقيات كامب ديفيد . والسيطرة على الاراضي ، وطالب الانظمة العربية الالتزام بمقررات قمتــي بغداد وتونس لمواجهة تلك الاتفاقيات ، واسقاط النهج المعــادي للشعــب الفلسطينــي (وفــا ، ١٩٨٠/١/٥ . ص ١٠ و ١١) .

وادان مجلس بلدية غزة في بيان اصدره ، القرار الاسرائيلي الذي لم يكن ابدا » لمصلحة المواطن كما تزعم السلطات ، بل هو حلقة في سلسلة احكام القبضة على القدس العربية ، وسلخها عن الضفة الغربية ، ولتثبيت الامر الواقع الذي فرضتــه ، تاكيدا لما تسميه توحيد القدس ، وجعلها عاصمة ازليــــة لاسرائيــــل » (الــــرأي الاردنيـــة ، ١٩٨٠/١/٨) . وربط البيان بين هذا الاجراء ، والاجراءات الاخـرى التـي تمارسهـا سلطـات الاحتــلال ، من مصـــادرة الاراضي ، واقامـــة المستوطنات ، واكد ان » الضفة الغربية ، وقطاع غزة جزء من شعب واحد ، ذي مصير واحد ، وان ما يهدد ارضنا او اية مؤسسة عربيــة في الاراضي المحتلة ، انما هو عدوان علينا جميعا .... وما زالت ماثلة للاذهان قضية رئيس بلدية نابلس ، وما أكدته من أهمية وحدة القوى الوطنية في هذا الصدد » (المصدر نفسه)

الاستيطان ومصادرة الاراضي

استمــرارا لسياســة السيطــرة على الاراضي العربية ، واقامــة المستوطنــات ، يخطــط قســم الاستيطان في الوكالــة اليهوديــة لاقامــة ســت مستوطنات في منطقة أريحا . وهذه المستوطنات هي ، نعيمه أ و ب ، الموج ب و ج ، ومتسفه بريحوب . وسوف تعتمد هذه المستوطنات اساسا على » الصناعة والسياحة ، وقليلا على الزراعــة بسبب نقص الميــاه والاراضي الزراعيــة في هذه المنطقة » (هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٤) . وستقام اربع من هذه المستوطنات بين أريحا والسيــاج المقام على نهر الاردن . ووفقالهذا التخطيط ستحاط مدينــة اريحــا من كل جوانبهــا بالمستوطنــات الاسرائيلية . وتجدر الاشارة الى ان هذه الخطة تلغي عمليا ممر اريحا الذي يشكل » الاساس الهام في مشروع الون ، والذي يضمن الربط المادي بين الاردن ، والضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

وفي مجال تعزيز المستوطنات القائمة حاليا ، يخطط وزير الزراعة ارئييل شارون لبناء ٦٢٠٠ وحدة سكنية من ميزانية العام القادم ، التي تبدأ في نيسان (ابريل) ١٩٨٠ . ويكلف هذا البناء ١٥ مليار ليرة اسرائيلية . الا انمتيتاهو دروبلس رئيس قسم الاستيطان في الوكالة اليهودية قدر تكاليف بناء هذه الوحدات السكنية » بميزانية مضاعفة تبلــغ ٢٠ مليــار لــيرة اسرائيليــة » (دافـــــار ١٩٧٩/١٢/٢٦) . وحسب هذه الخطة ستبنى ٣٢٠٠ وحدة سكنية من قبل وزارة الاسكان في مستوطنات مدينية ، و٣٠٠٠ وحدة سكنية من قبل وزارة الزراعة في مستوطنات ريفية . وسيــكون نصيب مستوطنات الضفة الغربية وغــور الاردن ٨٥٪ من هذه المساكن . ونصيب مدينة كاترين في مرتفعات الجولان ٥٠٠ وحدة سكنية ، وستبنى المساكن الباقية في مستوطنات قطاع غزة ، وغوش قطيف .

وكشفت وزارة الزراعة الاسرائيلية عن بنــود الميزانية المخصصة للاستيطان خلال العام الحالي التي تنتهي في اذار (مارس) ١٩٨٠ ، وهي لا تشمل المبالغ التي » تخصصها وزارة الدفاع لمواقع الناحال ، وحمايــة المستوطنــات والاتصال ، الخ» (دافار ، ١٩٧٩/١٢/٢٠) . وسيصرف حسب الميزانية مبلغ ٢٠٢ مليون ليرة على مستوطنات غور الاردن ، و ٢٢٤ مليون ليرة لمستوطنات مشارف رفح ومشارف سيناء .

وفي منطقة نابلس ، قررت لجنة وزارية اقامة مستوطنة جديدة تدعــى لبونــه ، وستقــام هذه المستوطنة على بعد ٧ كلم عربي مستوطنة نوفه تسوف ، قرب الخط الاخضر . » وتتألف النــواة المخصصــة للاستيطــان في لبونــة ، من عاملي

الصناعـة الجويـة في اسرائيـل » (معاريـف ، ١٩٨٠/١/٤) .

وفي هذا الاطار ، تعمل السلطات الاسرائيلية على منح المستوطنات الاسرائيلية نوعا من الحكم الذاتي في الاراضي المحتلة ، باقامـة مجـالس اقليميـة للمستوطنات . ففي يوم ١٩٨٠/١/٢ اقيم في غور الاردن مجلس اقليمي يهودي تقع منطقته بين سهل بيسان شمالا ، واريحا جنوبا ، ومجرى نهر الاردن شرقا . ويبلغ طول المنطقة التـي يشرف عليهـا المجلس حوالى ٦٥ كلم ، وعرضها ٢٠ كلم » وتضم خمس عشرة مستوطنة زراعية ، ومستوطنة مدينية واحدة ، وستة مواقع استيطانية للناحال » (ر . إ . إ . العدد ١٩٥٢ ، ٢ و ١٩٨٠/١/٣ ، ص ١١) .

وفي الكلمة التي القاها يسرائيل نديفي ، رئيس المجلس الاقليمي للمستوطنات ، بمناسبة الاحتفال بانشاء المجلس ، عبر عن مدى القلق الذي يسود بين المستوطنين ، بسبب المشكلات الاقتصاديـة الخانقة ، التي تدفعهم للنزوح الى داخل اسرائيل ، اضافة الى « شعورهم بالخوف من اقامة الحكم الذاتي » . واقترح نديفي حلا يقضي بضم غور الاردن الى اسرائيل ، لان المستوطنين ليسوا على استعداد للعيش هناك ، ومسألة « الحكم الذاتي مسلطة فوق رؤوسهم » . ورد عليه يوسف بورغ وزير الداخلية ، الذي كان يحضر الاحتفال (وهو رئيس الوفد الاسرائيلي المفاوض في مباحثات الحكم الذاتي مع المصريين) « ان الحكم الذاتي مشروع اسرائيلي يهدف الى خلق امكانية تعـايش بـين اسرائيل ، وابناء اسماعيل في هذه المنطقة . انها محاولة نبذلها » (المصدر نفسه) .

وفي مجال مصـادرة الاراضي العربية ، قامـت سلطات الاحتلال بمصادرة أراضي قرية بني نعيم في منطقة تل الخزف قرب مستوطنة كريات أربع . « وتشمل هذه الاراضي ٦٠٠ دونم . يطالب اهالي كريات اربع باقامة مبـان سكنية عليها » (ر . إ . إ . العدد ١٩٥١ ، ١ و ١٩٨٠/١/٢، ص ٦) . وذكرت المصادر الاسرائيلية ، ان العمل ببناء الحي الجديد « سيبدأ في شهر نيسان (ابريل) القادم ، وسيبنى في المرحلة الاولى ٢٠٠ وحدة سكنيـة » (هارتس ، ١٩٨٠/١/٢) .

وأمام موجة الاستيطان الجديدة ، وللـرد على مواصلة انتهاك حقوق المواطنين العرب في ارضهم ، عقد اجتماعان لرؤسـاء البلديـات ، والمجـالس المحلية ، في كل من مدينتي نابلس ورام الله ، اصدر المجتمعون في اعقابهما « بيانـا بصيغـة واحدة . وقد منع اجتماع ثالث كان مقررا عقده في الخليل ، من قبل الحكم العسكري » (هارتس، ١٩٧٩/١٢/١٨). واتهم البيان المشترك ، كلا من مصر والولايـات المتحـدة ، بتشجيـع اقامـة المستوطنات الجديدة . واضاف ان « التمييز الذي تدعيه حكومة اسرائيل بين الاراضي الحكوميـة ، والاراضي الخاصـة في الضفـة الغربيـة ليس صحيحـا . حيث ان كل الاراضي هي اراض خاصة ، وهي ملك الشعب الفلسطيني » (المصدر نفسه) .

اعتقالات جديدة في صفوف المواطنين العرب

اعلنت المصادر الامنيـه الاسرائيليـه ، انهـا اعتقلت ٢٠ شابا من منطقة رام الله ونابلس ، بتهمة القيام « باعمال معادية ، وتنفيذ عمليـات عسكرية . وينتمي المتهمون الى منظمـة فتـح » (يديعـوت احرونـوت ، ١٩٧٩/١٢/٢٢) . واضافت تلك المصادر ، انها كشفت كميات كبيرة من الاسلحة والمواد التحريبية ، وان قسمـا من المتهمين اعترفوا بتنفيذ عمليات اطلاق النار على وسائط النقل العسكرية الاسرائيلية على طرق الضفة الغربية . وتعتقد سلطات الامن ان المتهمين كانوا يقصدون بالاساس القيـام بعمليـات ضد قوات الامن ، او قتل الاسرائيليين ، او العرب المتهمين بالتعاون مع السلطات . وذكر ايضا ان المتهمين نفذوا سلسلة من العمليات منها

١ ـ وضع عبوة ناسفة بجانب عامود الكهرباء بالقرب من مستوطنة شيلا .

٢ ـ محاولة قتل مختار احدى القرى العربية ، بتهمة تعاونه مع السلطات الاسرائيلية .

٣ ـ اغتيال ثلاثة مواطنين من قرية سنغال ، بتهمة تعاونهم مع السلطات .

٤ ـ نفذ المتهمون سلسلة طويلة من اعمـال التخريب في القدس ، وعلى جانبي الخط الاحمر .

واكد المصـدر الامنـي الاسرائيلي ، ان هذه

السبكه هي من « اخطر ما تم كشفه في السنوات الاخيرة . وان المجموعه كانت مقسمة الى زمر فرعية . عملت كل واحدة منها بشكل مستقل . وبالتنسيق مع التعليمات الصادرة من قيادة عليا » (المصدر نفسه) .

محمد عبد الرحمن

اسرائيليات

نتائج زيارة بيغن الى اسوان

اتفاق على تعزيز العلاقات بين مصر واسرائيل في ظل احداث ايران وافغانستان

تواصل اسرائيل ، مع حلول السنة الجديدة ، التركيز على تطبيق معاهدة السلام المنفردة مع مصر ، خصوصا ما يتعلق بموضوع تطبيع العلاقات وتبادل التمثيل الدبلوماسي ، وفتح الحدود بين البلدين . ويلاحظ ان الجهود التي تبذلها الحكومة الاسرائيلية في هذا المجال ، والتي تكثفت مع مطلع السنة الجديدة ، قد بدأت تعطي ثمارها بفعل التجاوب المصري ، رغم العوامل غير المشجعة لعملية تطبيع العلاقات ، واولها عدم احراز اي تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي حتى الان . وربما تكون العوامل الخارجية ، واهمها التطورات الاخيرة في المنطقة ، التي تحاول اسرائيل استثمارها لتقوية تحالفها مع الولايات المتحدة، والحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية ، هي الحافز الاكبر على تطبيق معاهدة السلام ، بهدف تقوية محور القاهرة – تل ابيب ، بتشجيع من الولايات المتحدة . وسنتناول ، فيما يلي ، الموقف الاسرائيلي في مسار تطبيق بنود المعاهدة مع مصر ، وفي مفاوضات الحكم الذاتي ، ثم علاقات اسرائيل مع الولايات المتحدة ، على خلفية التطورات الجارية في المنطقة ، خصوصا في ايران وافغانستان، ومحاولات اسرائيل الاستفادة منها على جميع المستويات اقتصاديا وسياسيا وعسكريا .

قمة أسوان : تقدم في تطبيع العلاقات

لم تسفر الزيارة الرسمية التي قام بها رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن الى مصر ، في السابع من كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ ، والتي استغرقت اربعة ايام متتالية ، عن تقدم يذكر في المواضيع المختلف عليها بين البلدين ، والمتعلقة اساسا في مفاوضات الحكم الذاتي ومستقبل القدس الشرقية . فقد اقتصرت نتائج تلك الزيارة على التاكيد المجدد على مسار تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، ابتداءا من اواخر كانون الثاني (يناير) الماضي . ولخصت المصادر الاسرائيلية هذه النتائج بالقول « لم تحدث ازمة ، ولم يكسر الجمود ، هذه هي محصلة اسوان ... ووعد السادات بازالة العقبات التي اعترضت مفاوضات تنفيذ تطبيع العلاقات ، بما في ذلك فتح الحدود الجوية والبرية والبحرية بين البلدين » (ر٦١ ، العدد ١٩٥٩ ، ١٠و١١/١/١٩٨٠ ، ص ٣) . وكشف السادات وبيغن ، في المؤتمر الصحفي الذي عقداه في نهاية المفاوضات بينهما ، ان الخلافات في وجهات النظر حول الحكم الذاتي مستمرة . وقد اقترح السادات خطة على مرحلتين تقضي بوضع مبادىء الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة ، ثم بدء التطبيق في غزة اولا ، اذ حسب قوله (اي السادات) ، « هناك مسؤولية خاصة [لمصر]

تجاه غزة . فقد كانت لنا قبل سنة ١٩٦٧ ، واشعر ان واجبنا انهاء احتلالـــها ، وجعل سكانها يتمتعون بالحكم الذاتي الكامل » (المصدر نفسه ، ص٤) . وبذلك يكون السادات قد احيا فكرة قديمة ، هي اقامة حكم ذاتي في قطاع غزة اولا ، بعد الاتفاق على طبيعته وجوهره ،خصوصا وانه يعتقد ان الحصول على تأييد السكان الفلسطينيين في القطاع اسهل منه في الضفة الغربية .

لكن يبدو ان بيغن لم يتحمس لهذه الفكرة، وقد وعد بطرحها للنقاش امـــام حكومتـــه ، لاتخـــاذ قرار بشأنها . ولخص بيغن نتائج قمة اسوان بقوله « لم نتوصل الى شيء ، في بعض المواضيع الاساسية جدا ، كموضوع القدس ، الذي سبق ان عبـــر السادات عن موقفه منه في الكنيست . وقد سألني عدة مرات حول هذا الموضوع ، واجبته للمــرة السادسة او السابعة ان القدس عاصمة اسرائيل ، وهي مدينة واحدة غير قابلة للتقسيم ، ولجميع الاديان حرية تامة في دخولها وزيـــــارة الاماكن المقدسة بها .. غير اننا توصلنا الى اتفاق هام جدا ، حيث قررنا تطبيق البنود [الخاصة بتطبيع العلاقات بين اسرائيل ومصر] ، وبدء العمل بها اعتبارا من ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ ... وسنعتاد بعد قليل على استقبال الطائرات المصرية في مطار بن ــ غوريون ، وسيعتاد المصريون على استقبال طائرات الــ العال في مطار القاهرة . وملاحظتي حول هذا الموضوع انه غير مسجل في معاهدة ا السلام ، وقد تم بنـــــاء على وعد شخصي من السادات » (المصدر نفسه ، ص٥) .

وعلى صعيد العلاقات الديبلوماسية ، تخطـط اسرائيل لافتتاح سفارتها في القاهرة مع بدء مرحلة تطبيع العلاقات مع مصر ، وذلك بالاضافـــة الى قنصلية في الاسكندرية . وقد تم اختيار مدير مكتـب رئيس الحكومة الياهو بن ــ اليسار ، كأول سفير اسرائيلي في مصر .

وتشير المصادر الاسرائيلية الى ان المحادثات بين بيغن والسادات قد تجاوزت حدود العلاقات المتبادلة بين البلدين ، لتشمل الوضع في المنطقة ، والقضايا الدولية ككل ، حيث وجد الطرفان لغة مشتركة بينهما ازاءها ، خصوصا فيما يتعلق بأحداث افغانستان ، وايران ، والدور الاميركي في المنطقة .

انطلاقا من هذه النتائج التي اسفرت عنها زيارة بيغن الى اسوان ، يلاحظ ان تطور العلاقات بين مصر واسرائيل مرهون بمسارين مختلفين اولهما يتعلق بالمفاوضات حول الحكم الذاتي ، الذي لم يحرز اي تقدم جوهري حتى الان في شأن المسائل المختلف عليها ، الامر الذي من شأنه ان يؤثر على تنفيذ معاهدة السلام بين الطرفين بصورة كاملة . اما المسار الثاني فيتعلق بالاهداف الاستراتيجية لمعاهدة السلام بين مصر واسرائيل ، وقد برزت اهميته الخاصة الان ، في ظل التطورات الاخيرة في المنطقة . وسنتناول هنا الموقف الاسرائيلي تجاه هذين المسارين .

مفاوضات الحكم الذاتي تراوح في مكانها

على صعيد مفاوضات الحكم الذاتي ، انتهت حتى الان الجولة السابعة منها ، التي كانت قد عقدت في القاهرة يوم ١٩٧٩/١٢/١٩ بحضـــور الوفود الثلاثة المصرية والاسرائيلية والاميركية ، دون ان تسفر عن اي تقدم فيما يتعلق بالقضايا الاساسية المختلف عليها . وقد تقرر خلال هذه الجولة تمكين مجموعات العمل التي تبحث في موضوع صلاحيات ومسؤولية المجلس الاداري ، من البدء في البحث الجدي حول المواضيع المختلف عليها ، ومحاولة بناء نموذج لصلاحيـات المجلس الاداري ومجالات عمله . كذلك تقرر تفويض مجموعة العمل الخاصة البحث في شؤون الانتخابات ، بانهاء قانـــون الانتخابات ، حتى انعقاد الجولة الثامنـــة من المفاوضات ، التي تقرر عقدها في اسرائيل في نهاية الشهر الماضي (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠) .

وخلال انعقاد الجولة الاخيرة من مفاوضـــات الحكم الذاتي في القاهرة، أعلن وزير الدولةالمصري للشؤون الخارجية ، بطرس غالي ، في مقابلة مع احدى الصحف الاسرائيلية ، ان مصر تطلب ان يكون لها وجود في الضفة الغربية وقطاع غزة ، وذلك بواسطة فتح « مكاتب ارتباط » في تلك المناطق ، تكون بمثابة فروع تمثيلية لسفارتها في تل ابيب . واضاف غالي ان طلب مصر هذا يمكن حصره « في اطار جهودها الرامية الى مساعدة الفلسطينيين » . وردا على سؤال حول ماهية مكتـب الارتبـاط ، ومركزه ، اعلن غالي ان هذا لا يعني فرعا للسفارة او قنصلية ، وانما شيئا ما في الوسط ، يستطيـع

الفلسطينيون التوجه اليه (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠). وكانت لجنة مصرية خاصة برئاسه بطرس غالي ، قد قدمت تقريرا الى الرئيس السادات حول مسالةتطبيع العلاقات مع اسرائيل ومفاوضات الحكم الذاتي ، ورد فيه ان « مكاتب الارتباط » هذه هي في الحقيقة نواة للتمثيل الديبلوماسي المصري لدى الكيان الفلسطيني المستقل الذي سيقوم مستقبلا .«وستتحول هذه المكاتب الى سفارات لدى الدولة الفلسطينية بعد انتهاء الفترة الانتقالية للحكم الذاتي ، التي ستدوم

خمس سنوات. واشارت اللجنة الى ان صيغة مكاتب الارتباط هذه لها سابقة في العلاقات بين الولايات المتحدة والصين الشعبية » (المصدر نفسه ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

وقد ردت مصادر حكومية في القدس بتحفظ واضح على اقتراح مصر هذا ، الرامي الى فتح مكاتب ارتباط في الضفة الغربية وقطاع غزة ، معلنة ان اسرائيل ستنفذ معاهدة السلام نصا وروحا ، ويمكنها البحث في الطلبات المصرية بقدر ملائمتها وصيغة المعاهدة (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠).

وعلى اي حال ، فقد اعلن رئيس الوفد الاسرائيلي لمفاوضات الحكم الذاتي الوزير بورغ ، امام لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، عقب انتهاء الجولة الاخيرة من المفاوضات ، ان مصر ترغب في ان تكون المفاوضات حول اقامة الحكم الذاتي جوهرية ، وتتعلق بنقل الصلاحيات من الحكم العسكري الاسرائيلي الى الفلسطينيين . واضاف بورغ ان اسرائيل عارضت اقتراحا كهذا ، « موضحة ان البحث يجب ان يكون عمليا ، ويتناول التفاصيل ، حيث يمكن تقسيم المواضيع الى ثلاثة اجزاء اولا ، المواضيع التي لا يمكن ان توافق اسرائيل على نقلها الى ادارة الحكم الذاتي على غرار الامن والسياسة الخارجية ثانيا ، المواضيع التي ستنقلها ، مثل القضايا الاجتماعية والتعليم والقضايا الداخلية . ثالثا ، المواضيع التي سيبقى الاهتمام بها مشتركا ما بين اسرائيل وادارة الحكم

الذاتي » (هارتس ،١٩٧٩/١٢/٢٥) . واضاف بورغ ان مصر رغبت في زيادة عدد اعضاء مجلس ادارة الحكم الذاتي ببضعة عشرات من الاعضاء ، الا ان اسرائيل رفضت ذلك ، خوفا من ان تؤدي زيادة عددهم الى خلق الانطباع حول انشاء برلمان ، ولا زالت تؤيد تحديد عددهم بـ١١ عضوا فقط (المصدر نفسه) .

ولخصت وسائل الاعلام الاسرائيلية نتائج مفاوضات الحكم الذاتي حتى الجولة الاخيرة منها ، المذكورة سابقا ، بالقول ان الحكومة الاسرائيلية اصبحت مطالبة الان بتحديد موقفها من القضايا الاساسية المختلف عليها في هذه المفاوضات ، وهي مصدر صلاحيات ومجالات عمل المجلس الاداري ، وعدد اعضائه ، ثم مسالة حق السكان العرب في القدس في المشاركة في انتخاباته . واضافت تلك المصادر تقول ان مجمل المفاوضات حول الحكم الذاتي ، كما دارت حتى الان ، يدل على ان تفاهما كبيرا قد تحقق بين اسرائيل ومصر حول اسلوب ادارة الانتخابات للمجلس الاداري ، رغم وجود بعض الخلافات حول هذه النقطة ايضا ، على غرار ما اذا كان يجب انتخاب ممثل واحد ، او اكثر ، للمجلس في كل قضاء انتخابي . كذلك هنالك مشكلة صعبة جدا في هذا المجال تتعلق ، بطلب مصر تمكين سكان القدس الشرقية من المشاركة في الانتخابات (هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٤) . والواضح ان المشكلات الاساسية ، التي لم تجد حلولا لها حتى الان ، والمتعلقة بمجال عمل وصلاحيات المجلس الاداري هي التالية اولا ، مصدر صلاحيات الحكم الذاتي ، حيث يصر الوفد الاسرائيلي في المفاوضات على ان يكون الحكم العسكري هو مصدر الصلاحية لنشاطات المجلس الاداري ، بينما تطالب مصر ان يكون الاتفاق حول انشاء الحكم الذاتي هو مصدر الصلاحية لنشاطات المجلس . ثانيا ، عدد اعضاء المجلس الاداري ، حيث تصر اسرائيل على الا يتجاوز عدد اعضاء المجلس احد عشر عضوا ،«من اجل ضمان طابعه الاداري » ، بينما تطالب مصر بمجلس مؤلف من عشرات الاعضاء ، من اجل اضفاء طابع مؤسسة تشريعية عليه . ثالثا ، صلاحيات المجلس ، اذ تقترح اسرائيل تقسيمها الى مجالات ثلاثة اولها المواضيع التي ستحول بصورة دائمة اليه (زراعة ، صحة ، عمالة ، الخ) . وثانيها ، المواضيع التي ستخضع للادارة المشتركة للمجلس الاداري والسلطات الاسرائيلية (مثل توزيع الاراضي ، وتوزيع كميات المياه) . اما ثالثها فهي تلك التي ستسلم بصورة دائمة الى اسرائيل (الامن والسياسة الخارجية) . اما مصر فتطالب في المقابل

منح المجلس الاداري الصلاحيات نفسها الممنوحة اليوم للحكم العسكري الاسرائيلي (المصدر نفسه) .

انطلاقا من هذه الخلافات العميقة في مفاوضات الحكم الذاتي ، بدأ القلق يساور بعض الاوساط الاسرائيلية ، بسبب عدم تحقيق اي تقدم جوهري في المفاوضات حتى الان ، الامر الذي لا يؤدي – بحسب رأي هذه الاوساط – الى خلق جو سياسي مريح بين مصر واسرائيل . « فليس هناك احتمالات مشجعة لقيام علاقات تجارية وسياحية ، ولتبادل ثقافي وما شابه ذلك ، اذا بقي الجو السياسي فاترا ... وثمة اساس للاعتقاد بأن القاهرة غير مهتمة بنشوء ازمة بينها وبين القدس ، الا انه ما من شك في ان المصريين يشعرون بعدم الراحة ازاء الحقيقة بأن مفاوضات الحكم الذاتي لم تحقق اي تقدم ملموس في المواضيع الاساسية » (افتتاحية هارتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٤) .

ويتزعم هذه الاوساط وزير الخارجية الاسرائيلي السابق موشي دايان ، الذي عاد يطرح مشروعه القديم بخصوص تنفيذ مشروع الحكم الذاتي من جانب واحد ، بواسطة اخراج الحكم العسكري الاسرائيلي من المناطق المحتلة . وبهذه الطريقة يمكن ، حسب اعتقاده ، تجاوز معارضة الفلسطينيين لهذا المشروع . وحسب قول دايان ، يجب على اسرائيل فقط ان تضمن مصالحها في المناطق المحتلة ، والمتمثلة في عدم قيام دولة فلسطينية ، وبقاء الجيش الاسرائيلي داخل المناطق وعلى الحدود، ثم استمرار الاستيطان في اماكن محددة . ويذكر دايان دوافعه لتنفيذ خطوة كهذه بقوله « على ضوء تيار اليقظة القومية في الشرق الاوسط ، يجب تنفيذ الحكم الذاتي دون شروط ، ودون اشتراط اشتراك العرب الفلسطينيين، أو وقف المفاوضات مع مصر والولايات المتحدة . [كما] ان اتفاق كامب ديفيد ليس اتفاقا هاما فحسب ، وانما افضل اتفاق حققته اسرائيل مع الولايات المتحدة ومصر . واذا لم ينفذ هذا الاتفاق ، ثمة خوف من ان يتحول الى مادة محفوظة في السجلات، لا اهمية لها» (من مقابلة مع دايان في يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/١٢/٢١) . ورغم تشاؤم دايان فيما يتعلق باحتمال اشتراك الفلسطينيين في تنفيذ مشروع الحكم الذاتي ، فانه متفائل في امكانية الوصول الى اتفاق مع المصريين حول هذا المشروع . « فالمصريون لن يندفعوا نحو الاعتراف بالفشل ،وسيتوصلون الى اتفاق مع اسرائيل ، معلنين للفلسطينيين هذا هو الحد الاقصى الذي استطعنا تحقيقه من اجلكم ، ولو شاركتم لحققنا المزيد... [كذلك] فالمصريون لن يشرطوا تحقيق اتفاق السلام بتنفيذ الحكم الذاتي ، خصوصا وانهم مهتمين بالانسحاب الكامل من سيناء الذي سيستمر سنتين اضافيتين ... كذلك الاميركيون ايضا ، لاعتباراتهم الخاصة ، يمكنهم القول الفلسطينيون لم يوافقوا ، اذن لنترك هذا الامر » (المصدر نفسه) .

الا ان اراء دايان هذه ، التي تتعلق بتطبيق الحكم الذاتي في المناطق المحتلة ، من جانب واحد ، والتي لا تعني في الحقيقة سوى تجميل وجه الاحتلال ، انطلاقا من المصلحة الاسرائيلية ، تبدو الآن بعيدة كل البعد عن الموقف السياسي الاسرائيلي الآخذ بالتصلب حيال مصير المناطق المحتلة ، وافضل تعبير لهذا التصلب ، ازدياد نفوذ الاوساط المتطرفة المنتمية إلى حركة غوش إيمونيم، أو المقربة منها ، داخل الحكومة ، وفي الكنيست . فقضية عدم اخلاء مستوطنة ايلون موريه ، حتى الآن ، من قبل مستوطني حركة غوش ايمونيم ، وفق قرار صادر عن محكمة العدل العليا ، اصبحت دليلا قاطعا على عدم جدية سياسة الحكومة الاسرائيلية ، في توفير الحد الادنى من الشروط الضرورية لتطبيق مشروع الحكم الذاتي ، وبالتالي تشجيع الاوساط المتطرفة على تنفيذ مخططاتها الاستيطانية داخل المناطق المحتلة . وقد تجاوبت هذه الاوساط مع سياسة الحكومة هذه ، بواسطة دفع مؤيديها في الكنيست الى تقديم مشروع عاجل ، يقضي بتطبيق القانون والقضاء ، وادارة الدولة على جميع المناطق المحتلة ، وبذلك يمكن حل المشكلة القانونية للمستوطنات الاسرائيلية، في هذه المناطق. ويتمكن مستوطنو ايلون موريه من البقاء في اماكنهم (هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٧)

واعلن النائب موشي شمير ، من زعماء حركة هتحياه ، في معرض تقديمه لمشروع القرار هذا ، ان « سيادة اسرائيل على ارض – اسرائيل ، اما ان تكون او لا تكون » ، مضيفا ان « الاستيطان اليهودي في اي مكان في عهد هذه الحكومة غير مضمون من [خطر] الاخلاء » (المصدر نفسه)

وردا على مشروع القرار هذا ، اعلن بيغـن ان الحكومة الاسرائيلية لم تعترف ابدا بالضفة الغربية وقطاع غزة كمناطق محتلة ، وان « حق الشعب اليهودي في ارض ــ اسرائيل غير قابل للطعن » . ولكن بيغن اضاف ان الحكومة الاسرائيلية لم تقدم على خطوة كهذه ، اي ضم المناطق ، رغم ملاءمة هذه الخطوة ومبادىء الحكومة الاساسية ، « طالما ان المفاوضات حول معاهدة سلام جارية بين اسرائيل وجيرانها » (المصدر نفسه) .

ورغم فشل مشروع القرار هذا في الكنيست ، فان مستوطني ايلون موريه لا زالوا مصرين على تغيير الوضع القانوني للمناطق المحتلة ، كحل لمشكلة مستوطنتهم ، رافضين الانتقال الى الجبل الكبير ، رغم عشرات الملايين من الليرات التـي انفقتهـا الحكومة الحالية من اجل اعداد هذه المنطقـة ، لانتقال مستوطنة ايلون موريه اليها . وقد قررت الحكومة الاسرائيلية تاجيل موعد الانتقال الى اجل غير محدد بسبب معارضة المستوطنين ، الامر الذي دعا بعض اصحاب الاراضي العرب في قرية رجيب العربية الى تقديم شكوى جديدة لمحكمة العـدل العليا ، التي اصدرت امرا مؤقتا ، يطالب الحكومة بتقديم تعليل لعدم اخلاء المستوطنة ، خلال عشرة ايام (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٦ ، ٧ و ١٩٨٠/١/٨ ، ص١٠ و ١٥) .

في ظل هذا التصلب الداخلي ، يبدو ان اي تغيير في الموقف الاسرائيلي المتصلب ازاء القضايا المختلف عليها في مفاوضات الحكم الذاتي ، يكاد يكون شبه مستحيل ، وبالتالي فان نجاح المفاوضات حول هذا المشروع يتطلب المزيد من التنازلات المصرية ، وفق الاسلوب الذي اتبعه النظام المصري حتى الان . وعلى اي حال ، فان عدم التقدم في المفاوضات حتى الان ، لم يؤثر على ما يبدو ، في مجرى تنفيذ معاهدة السلام بين الطرفين ، خصوصا فيما يتعلق ببدء تطبيع العلاقات بينهما ، الامر الذي اكتسب دفعا جديدا بعد زيارة بيغن الى اسوان . ويبدو ان المسار الاخـر ، المذكور سابقـا ، والمتعلـق بالهـدف الاستراتيجي العام لمعاهدة السلام ، ومدى تاثره بالتطورات الاخيرة في المنطقة ، هو الدافع الاساسي المؤثر على مجرى تنفيذ المعاهدة .

الترحيب الاسرائيلي والمصري بالقواعد الاميركية

عرف الوزير الاسرائيلي عيزر وايزمان ، في مقابلة له مع التلفزيون الاميركي اثناء زيارته الاخيرة للولايات المتحدة ، معاهدة السلام بين اسرائيـل ومصر ، « بانها ليست معاهدة عادية ، اساسها التقليل من عمليات القتل بين العرب واسرائيل ــ وهو امر جيد في حد ذاته ــ وانما هي بداية انشاء تكتل ، على اساس معاد للسوفييت ، بداه السادات ونحن نؤيده برعاية الولايات المتحدة » (نشر نص المقابلة في معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) . واضاف وايزمان قائلا « انني اعتقد ان [معاهدة السلام] هي احدى الحلقات الاولى في سلسلـة ... اميركيـة ، تصلـح لمصر واسرائيل ولدول اخرى ، ربما الاردن والمغرب ، وامل ايضا [ان تصلح] للسودان والسعودية . فخلال الاشهر المقبلة .. ستكون هذه الـدول صاحبـة مصلحة وعامل مشترك مع الولايات المتحدة ، الى حد تكون معه استمرارا لجدار وموقع ضد ما يحدث في افغانستـان وطهران » (المصـدر نفسه) . وفـي مناسبـة اخرى اعلـن وايزمـان « علينـا الا نصاب بالذهول ... اننـي لا ارى الجميـع مع الخميني ، ولا ارى العالم العربي الموحد . علينا ان نقرر ما هو جيد بالنسبة لنا ، فمحور اسرائيل ــ مصر هو اساس هام ، ويلزم تطوير السلام ، ليس باي ثمن ، وانما من خلال رؤية ما يحدث حولنا ، ليس كجيران فقط ، وانما كجزء من هذه المنطقة التي يجب ان يكون الوضع المتغير بها امام انظارنا دائما ... ان خروج ايران (من المحور الاوسع الذي سعت اليه الولايات المتحدة) لا يهدم [اسس هذه السياسة] ، وانما على العكس (كما نقلها عن يوسف حوريف ، معاريف ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

انطلاقا من حديث وايزمان هذا ، يبدو ان مسالة استمرار تنفيذ معاهدة السلام مع مصر ، باتت امرا مفروغا منه ، بينما المراهنة على فشل مفاوضات الحكم الذاتي ، لعرقلة تنفيذ المعاهدة ، تبدو قليلة الاحتمالات . ومن هذا المنطلق ينبغي النظر الى نتائج قمة اسوان التي نجحت في دفع العلاقات الثنائية بين اسرائيل ومصر الى مرحلة التطبيع الكامل تقريبا ، وفشلت في ايجاد حد ادنى من التفاهم حول القضايا المختلف عليها في مشروع الحكم الذاتي .

كذلك يبدو ان التطورات الاخيرة ، في افغانستان

وايران ، تعتبر الحافز الاكبر لاستمرار تنفيذ المعاهدة بين اسرائيل ومصر ، بهدف تقوية مواقع الولايات المتحدة في المنطقة . فالتوافق في الاراء بين بيغن والسادات في اسوان ، حول هذه الاحداث ، وترحيبهما المشترك بالقواعد الاميركية في بلديهما ، انما يعكس الهدف الاكبر للتحالف بينهما ، الا وهو خدمة المصالح الاميركية . فالنظام المصري عبر عن ترحيبه بالقواعد الاميركية بان « وضع تحت تصرف الولايات المتحدة مطارا عسكريا في مصر العليا ، كي تتمكن طائرات سلاح الجو الاميركي من الهبوط به ، والحصول على خدمات ستمكنها من الاقلاع للقيام بمهامها » (زئيف تسيف ، هارتس ، ١٩٨٠/١/٧) . وبالنسبة لاسرائيل ، فقد حاولت اقصى جهدها لاستثمار التطورات في المنطقة لصالحها .

فاسرائيل تحاول اقصى جهدها ، استغلال احداث ايران وافغانستان لتقوية تحالفها مع الولايات المتحدة ، كما ذكرنا لتحسين مواقعها في السياسة الاميركية ، الى درجة لن يكون بعدها في اسرائيل اي نقاش « حول ضرورة اعتراف اميركا باهمية اسرائيل القومية والعالمية الكبرى . فهذا الاعتراف الاميركي — وليس الالتزام التاريخي ، العاطفي او الانتخابي ، هو الذي يحدد ، اكثر من اي عامل اخر ، اية مساعدات عسكرية تحصل عليها اسرائيل ، واية مساعدات يحصل عليها العرب (بما في ذلك السعودية ومصر) بالمقارنة مع اسرائيل » (مردخاي بركاني ، دافار ، ١٩٧٩/١٢/٢١) . ولقد كانت اسرائيل تتوقع ، على خلفية الاحداث الجارية في المنطقة ، تغييرا جذريا في الولايات المتحدة لصالحها ، يتمثل اساسا في تسليم الادارة الاميركية بسياستها ، خصوصا فيما يتعلق بالموضوع الفلسطيني ومفاوضات الحكم الذاتي ، او بقضية الاستيطان . وادركت ان الفرصة ملائمة لتقوية تحالفها السياسي والعسكري بالولايات المتحدة، واكبر دليل على ذلك ترحيبها المتزايد بالقواعد الاميركية.فقد أعلن وزير الدفاع وايزمان اثناء زيارته الى الولايات المتحدة ، « ان اسرائيل ليست بحاجة لكي تقترح ، لان هناك تعاون عميق الجذور بينها وبين الولايات المتحدة . واذا ما احتاجت هذه الى مساعدة أو تعاون أو تبادل في المعلومات ، فان اسرائيل هي واحدة من أكثر البلدان صداقة لها في الشرق الأوسط » (معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) .

كذلك اعلن رئيس الحكومة السابق اسحاق رابين ان هدف اسرائيل الاساسي يجب ان يكون ايجاد جبهة موحدة مع الولايات المتحدة ، لمنع الاتحاد السوفييتي من دخول المنطقة ، وانه اذا طلبت الولايات المتحدة استخدام قواعد عسكرية في اسرائيل لحماية مصالحها الخاصة ، فمن غير المنطقي الا نستجيب لذلك (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٦ ، ٧ و ٨ /٨٠/١ ، ص٦) . كذلك اعلن رابين ان « افتراض [اسرائيل] هو انه عندما يسود تفاهم استراتيجي وسياسي بينها وبين الولايات المتحدة، فان التنسيق في النشاطات العملياتية المختلفة ، يكون امرا طبيعيا ومفهوما » (من مقابلة مع رابين ، معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) .

ويلاحظ ان الموقف الاسرائيلي ، على صعيد الحكومة والبرلمان ، وحتى في وسائط الاعلام يحبذ جدا قيام الولايات المتحدة بعمل عسكري في الشرق الاوسط ، لان ذلك من شانه ان يخدم المصالح الاسرائيلية على اكمل وجه . فمن جهة يخفف مثل هذا العمل عزلة الموقف الاسرائيلي في الصراع مع العرب ، حيث يتحول هذا الصراع الى امر ثانوي في المنطقة ، « فالحقيقة هي ان كل تطور في الشرق الاوسط ليست له اية صلة بالنزاع الاسرائيلي — العربي . فالعالم يواجه اليوم اخطارا ناجمة عن تصادم بين مجتمعات من القرون الوسطى ، تملك ثروات هائلة ، وبين القرن العشرين . لم يعد النزاع الاسرائيلي — العربي المشكلة الاساسية في الشرق الاوسط ، في كل ما يتعلق بالسلام العالمي » (حاييم هيرتسوغ ، معاريف ، ١٩٨٠/١/٤) . ومن جهة اخرى ، يعزز التدخل العسكري الاميركي في المنطقة التحالف الاسرائيلي مع الولايات المتحدة ، الأمر الذي يعود بالفائدة الكبيرة على اسرائيل. وانطلاقا من هذا الموقف فقد اعلن وزير الخارجية الاسرائيلي السابق ، موشي دايان ، اثناء زيارته الاخيرة الى الولايات المتحدة ، في اواخر السنة الماضية ، انه « اذا ارادت الولايات المتحدة ان تختار العمل العسكري ضد ايران ، فان اسرائيل مستعدة لتقديم العون لها .. اذ خلافا لذلك ، اي حليف نكون بالنسبة لها ؟ » (دايان في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

كذلك فان التحـريض ضد دول المنطقـة وشعوبها، لا يتوقف على وسائط الاعلام الاسرائيلية. فحسب قول رابين ، « على الولايات المتحدة ان تعترف بحقيقة مرة ، وهي انه عندما يدور الحديث حول الدول العربية والاسلامية في الشرق الاوسط ، فان الخيار ليس بين انظمة حكم سلطوية فاسدة ، واخرى تقدمية صالحة . هذا الخيار غير قائم ، لا حاضرا ولا مستقبلا . الخيار الحقيقي هو بين نظام سلطوي ، وربما حتى فاسد ، يؤيد الولايات المتحدة ويتعاون معها ، وبين نظام شبيه اخر يطرد الولايات المتحدة ويتعاون مع الاتحاد السوفييتي » (من مقابلة مع رابين ، معاريـف ، ١٩٨٠/١/٤) . ويضيف رابين محذراً من خطورة الوضع في المنطقة التي تعتبر « بئر نفط العالم الحر » ، حسب قوله « لقد نجح الاتحاد السوفييتي في هدم « الجدار الشمالي » الـذي بنته الولايات المتحدة لحماية الشرق الأوسط. فتركيا محيدة : وايران ابعدت الولايات المتحدة وتحولت الى معاداتها ، اما افغانستان فقد احتلتها القوات السوفياتية . ومن اجل اكمال الهدف السوفيتي فالمطلوب الان فقط تغيير نظام الحكم في السعودية . واذا ما حدث ذلك، فستحسم المصالح الاميركية الحيوية في الشرق الاوسط » (المصدر نفسه) .

تحفظ اميركي

يلاحظ ان الدعوة والترحيب الاسرائيلي بالقواعد الاميركيـة وبالتعـاون العسـكري مع الولايـات المتحدة، لم تلقيا استجابة ـ علينا على الاقل ـ لدى الادارة الاميركية . فقد ذكر الناطق بلسان وزارة الخارجية الاميركية هوبينـغ كارتر ، ان الولايات المتحدة قررت عدم الاستجابة لمقترحات اسرائيل ومصر ، بالنسبة لاستخدام قواعـد عسكريـة في اراضيهما ، حيث ستقوم باستخدام قواعد دائمة ، في عمان وكينيا والصومال (ر.إ.إ ، العدد ١٩٥٨ ، ٩ و ١٩٨٠/١/١٠ ، ص٣)

وسـبـق هـذا الاعـلان الاميركي بنحو شهر تقريبا، قرار حول زيادة امداد السعودية بالاسلحة وتنشيط مجرى التحديث في الجيش المصري وتزويده بالاسلحة ، « وهي الامور التي تشير الى الاهداف الجديدة للسياسة الاميركية في منطقـة الخليـج الفارسي ، بعد ثورة الخميني في ايران » (شموئيل سيغف ، معاريف ، ١٩٧٩/١٢/١٦) . وتـرى بعض الدوائر الاسرائيلية ان اهمية السعودية قد ازدادت في نظر الولايات المتحدة ، « ليس فقـط كمصدر نفط هام ، ورخيص نسبيا ، وانما ايضا كقاعدة لنشاط المخابرات [الاميركية] ضد الاتحاد السوفيتي ، وكمدخل الى منطقة الخليج . ولهذه الاسباب قررت الولايات المتحدة فصل قضية امداد السعودية بالاسلحة عن مسألة ميزان القوى بين الدول العربية واسرائيل ، ودمج عملية الامداد هذه في اطار ميزان القوى في الخليج الفارسي وحده . وبعبارة أخرى سياسة امداد الاسلحة غير المحددة ، التي انهارت قبل فترة قصيرة في إيران ، بدأت تنفذ نفسها في السعودية » (المصدر نفسه) .

وتضيف تلك المصادر ايضا ان تبني « الاتجاه السعودي » في السياسة الاميركية ، جاء بسبب اعتبارين برزا واضحين خلال الازمة الايرانية . اولهما ، يتعلق باسرائيـل وبمركزهـا في الشرق الاوسط « حيث ادت السياسة الايرانية المتطرفة تجاه اسرائيل في عهد الخميني ، الى استبعاد كل استعانة من جانب اميركا باسرائيل ، كقاعدة لعمل عسكري ممكن ضد ايران ... لان هذه الاستعانة من شأنها ان تؤثر على العلاقات مع السعودية بصورة خطرة ، وتلزم تواجدا اميركيا ضخما للمحافظة على ممرات النفط ، ثم تشجع ارتباطا ايرانيا بعناصر راديكالية اخرى في العالم العربي . وهذا التطور من شأنه ان يشكل خطرا على انظمة الحكم في السعودية ومصر ، ويزيد من التوتر بـين الـدول العربيـة واسرائيل... [لذلك]منذ اللحظة التـي ادركت بها الولايات المتحدة ان الاعتماد على اسرائيل لا يخدم مصالحها في منطقة الخليج ، لم تصبـح فقـط الاستشارة المسبقة بين اسرائيل واميركا حول هذه القضية ، غير ممكنة ، بل انه حتى اعلان مسبق حول قرار تزويد السعودية بالسلاح ، لم يسلم الى اسرائيل » (المصدر نفسه) .

لذلك تعتقد بعض الاوساط الاسرائيلية ، انـه ليست هناك اية فائدة تستطيع اسرائيل تحقيقها من وراء استغلال الاحـداث الاخـيرة في المنطقـة ، خصوصا وانه لا يوجد احد ـ على حد قول هذه الاوساط ـ في الولايات المتحدة «يرغب في تلقي المساعدة من اسرائيل او [سماع] نصائحها ، او [استخدام] قواعدها . لم يرغب الاميركيون فيها

قبل ازمة ايران ، وليسوا راغبين فيها الآن . ومن السخف الاعتقاد ان ازمة ايران لم تغير شيئا في الشرق الاوسط ... فالاستنتاج الذي توصلت اليه الادارة الاميركية ، يقضي بضرورة اتباع الحذر السياسي الكبير ، في حال اضطرار الولايات المتحدة للقيام بعمل عسكري ما . اي بعدما تتاكد اميركا فقط ، بان هذا العمل الذي ينفذ في ظروف وشكل معين ، يجري التسليم به من قبل جزء من العالم الاسلامي . وهذا الاستنتاج الاساسي يستثني منذ البداية كل استعانة باسرائيل ، بقواعدها وبخدماتها الاخرى ... اي ان اسرائيل الصالحة ، والمخلصة ، لا زالت تعتبر ملكا استراتيجيا غير قابل للاستعمال بالنسبة للاميركيين » (يونيل ماركوس ، هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢١) .

لذلك فان الحديث ، في اسرائيل حول اهمية التكتل الموالي للولايات المتحدة ، الذي يمكن ان يتحقق بعد تطبيق معاهدة السلام مع مصر ، ومع انضمام الاردن والسعودية بوجه خاص الى « جهود السلام » في المنطقة ، يقابله تخوف من أن تؤدي الجهود الاميركية الى « تحجيم » مركز اسرائيل في المنطقة . ومن هنا ينبع تساؤل رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، حول ما اذا كانت الولايات المتحدة معنية باحياء حلف بغداد من جديد في الثمانينات ، بعد ان فشل في الخمسينات (ر . إ . إ ، العدد ١٩٥٦ ٧ و ١٩٨٠/١/٨ ، ص ٨) .

ويبدو ان لهذا التخوف الاسرائيلي ما يبرره ، خصوصا بعدما رفض الرئيس الاميركي كارتر منح اسرائيل مساعدات اقتصادية وعسكرية كبيرة للسنة المقبلة (١٩٨١) . فقد طلبت اسرائيل منحها ٣,٤ مليار دولار ، بينما وافق الرئيس كارتر على مبلغ مليار دولار كمساعدات عسكرية و ٧٨٥ مليون دولار مساعدات اقتصادية - اي نفس القيمة التي ستحصل عليها خلال هذه السنة - وقرض بقيمة ٢٠٠ مليون دولار ، بفائدة قدرها ٩٪ (هآرتس ، ١٩٨٠/١/١) . وقد حاول وزير الدفاع الاسرائيلي عيزر وايزمان ، التأثير على الادارة الاميركية لرفع المساعدات لاسرائيل ، عندما اجتمع الى الرئيس كارتر والى وزير الدفاع الاميركي براون وكبار المسؤولين في الادارة الاميركية ، خلال زيارته للولايات المتحدة في اواخر السنة الماضية ، الا ان جهوده هذه لم تجد نفعا كما يبدو . وتفيد المصادر الاسرائيلية ان كارتر اعلن لوايزمن ان اسرائيل اكثر تسليحا واقوى من الدول العربية ، وان الحكم الاميركي مضطر لتخصيص موارد اكثر للدفاع عن الولايات المتحدة وتمويل مشاريع اجتماعية وغيرها ، ولذلك لا يمكن الاستجابة لطلب اسرائيل البالغ ٣,٤ مليار دولار (هآرتس ، ١٩٧٩/١٢/٢٠) وعلى اي حال ، لقد اثار قرار الرئيس كارتر هذا حول المساعدات للسنة المقبلة ، استياءا شديدا في اسرائيل ، حيث اتهمت مختلف الاوساط وزير الدفاع بالفشل في مهمته ، اي الفشل في اقناع الادارة الاميركية بزيادة المساعدات .

حنة شاهين

قضايا دولية

افغانستان .. وازمة الشرق الاوسط

في العادة تكون الاسابيع التي تربط بين عام ينقضي ، وعام يبدأ - خاصة اذا كانت تربط بين عقد ينقضي وعقد يبدأ - فترة تقييم لاحداث اكثر منها فترة احداث آنية ذات دوي كبير .

وبالفعل فان اسابيع ما بين كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٩ وكانون الثاني (يناير) ١٩٨٠ شغلت بالتحليلات لاحداث السبعينات ، والتوقعات لاتجاهات الثمانينات . وبطبيعة الحال فان الشرق

الاوسط كان أحد أهم محاور الاهتمام في التحليلات والتوقعات على السواء ، فثمة ثورتان في المنطقة تشغلان الرأي العام العالمي ، وتشغلان بصفة خاصة كل أجهزة صنع القرار في عواصم العالم الثورة الفلسطينية والثورة الايرانية ، وكلاهما موقعها في الشرق الاوسط . وكلاهما تمتد تأثيراتهما الى عالم الطاقة ، عالم النفط الذي طبع السبعينات بصبغة لونت الاحداث ابتداء من حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ الى احداث طهران ١٩٧٩ . وكلا الثورتين الفلسطينية والايرانية تستقطبان التزام العالم الاسلامي ، الذي شهدت نهاية السبعينات ما يشبه « اعادة اكتشاف » له في الغرب سواء من جانب المتحمسين لانبعاثه او المحذرين من خطر نهضته . فالثورة الايرانية فجرت اقوى حركة اسلامية ثورية في النصف الثاني من القرن الحالي ، ومن خلال تحالفها الوثيق مع الثورة الفلسطينية ، وهو ليس وليد انتصار الثورة الايرانية انما هو احد عوامل هذا الانتصار — كشفت عن بعد للثورة الفلسطينية لم يكن قد حظي بالاهتمام الكافي وهو البعد المتمثل في الالتزام الاسلامي بالقضية الفلسطينية والالتزام الفلسطيني بالحق الاسلامي ، الذي ترمز اليه القدس .

وادراك تأثير هذا التحالف الثوري في تطورات الشرق الاوسط ليس غائبا عن اذهان الاعداء الاساسيين لهذا التحالف ، انما نظرتهم اليه تختلف في زاوية الرؤية . في مقابلة اجرتها مجلة « يو . اس . نيوز أند وورلد ريبورت » (الوثيقة الصلة بوزارة الدفاع الاميركية) مع زبغنيو برجنسكي مستشار الرئيس الاميركي لشؤون الامن القومي — وهي مقابلة جرت في العدد الاخير للمجلة من العام ١٩٧٩ في الاول من العام ١٩٨٠ (١٢/٣١ — ١/٧) —سألت المجلة برجنسكي « هل ستكون للحمى الدينية في الشرق الاوسط آثار ضارة بصورة خطيرة على مفاوضات السلام العربية — الاسرائيلية ؟ » . والسؤال يكشف زاوية الرؤية الاميركية الى اتجاهات الاحداث في الشرق الاوسط ، وهي زاوية طريق السلام الاميركي ومصيره .

برجنسكي أجاب على هذا السؤال بقوله «نعم انها يمكن ان تكون لها مثل هذه الاثار ، ولكنني لا اعتقد بضرورة اصدار حكم مسبق بهذا . فهي قد تسهم ايضا في الادراك بان هذا الصراع الذي استمر ثلاثين عاما حتى الان هو بالفعل امر لا لزوم له وان الوقت قد حان لتنحيته جانبا . وهي قد تسهم في الادراك بان هناك اخطارا اخرى — داخلية وخارجية — تواجهها المنطقة ، وهي اكثر اهمية واشد خطورة » .

وهذه الاجابة لا تكشف عن زاوية الرؤية الاميركية لاتجاهات الاحداث فحسب .. انها تتناول الخطوط الرئيسية التي تحدد التفكير الاميركي الراهن في الامر . فهناك الخوف من ان تؤدي « الحمى الدينية » (كتعبير المجلة الاميركية الذي لا تخفى دلالته) الى الاضرار بالسلام الاميركي — اي بمخطط كامب ديفيد — ولكن هناك الى جانب هذا الخوف نقيضه . هناك الرغبة في الصعود فوق موجة المد الديني الاسلامية في الشرق الاوسط واستخدامها وتوجيهها في هذا الاتجاه نفسه ، اتجاه السلام الاميركي بين العرب واسرائيل . اما كيف يكون ذلك ، فاجابة برجنسكي واضحة تماما دفع القوى الاسلامية في المنطقة الى « الادراك » — الى الاعتقاد — بان هناك اخطارا داخلية وخارجية تهددها وتستوجب منها ان تنحي جانبا خطر الصهيونية واسرائيل لتتفرغ لمواجهة هذه الاخطار . فما هي طبيعة هذه الاخطار ؟ لا يحتاج المرء الى جهد كبير ليفهم ان برجنسكي يعني خطر « الثورة » في الداخل وخطر « الشيوعية » من الخارج . وهو ما يصرح به في المقابلة نفسها في مواضيع اخرى .

واحداث اسابيع ما بين عقد السبعينات وعقد الثمانينات تقدم اجابات حسية على هذه التساؤلات .

ففيما العالم منهمك في تحليلاته وتوقعاته انقض صوت جديد كان له وقع مزلزل في العالم وفي الشرق الاوسط بوجه خاص . ويمكن القول بان هذا الحدث — بردود الفعل الحادة التي استقبلته واضافت اليه ثقلا وخطورة — قد اكد بالفعل ان الشرق الاوسط قد دخل ثمانينات ساخنة . ثمانينات المواجهات الخطرة والمعقدة بين قوى الثورة والتحرر وقوى الامبريالية والصهيونية والرجعية .

في ٢٧ كانون الاول (ديسمبر) وقع انقلاب عسكري في افغانستان اطاح برئيسها حفيظ الله امين ، واعلن رسميا تولي بابراك كارمال نائب رئيس الوزراء في عهد الرئيس الاسبق نور محمد طرقي رئاسة الجمهورية . واعلن الرئيس الجديد في رسالة وجهها في اليوم التالي الى الشعب من راديو كابول ان حكمه سيعمل على اعادة كافة الحريات الديمقراطية

الى الشعب الافغاني واطلاق سراح جميع المسجونين السياسيين ، والبحث عن حل سلمي للمشكلات مع رجال القبائل المتمردين .

واعلن رئيس افغانستان الجديد ـ على صعيد السياسة الخارجية ـ نقطتين محددتين تأييد افغانستان للثورة الايرانية والثورة الفلسطينية ، وطلبه تأييد هاتين الثورتين لبلاده .

قبل هذا الانقلاب بيومين اثنين (اي في ١٢/٢٥) كانت وزارة الخارجية الاميركية قد اعلنت ان الاتحاد السوفياتي نقل بجسر جوي عددا ضخما من القوات الضاربة السوفياتية الى كابول وحشد في الوقت نفسه خمس فرق من قواته على حدود افغانستان . وبدا من بيان الخارجية الاميركية وقتها انها كانت تعتقد ان هذا الحشد العسكري يقصد به مساعدة الرئيس الافغاني حفيظ الله في مواجهة المتمردين من رجال القبائل . ولكنها اعلنت فور الانقلاب ان الجسر الجوي السوفياتي الى افغانستان لم يكن سوى « حصان طروادة » للتمكين للانقلاب من الاطاحة بامين وتولية كارمال .

اعلن الاتحاد السوفياتي من جانبه (١٢/٢٨) ان الحكومة الافغانية ناشدت الحكومة السوفياتية بالحاح تقديم مساعدة سياسية ومعنوية واقتصادية وعسكرية عاجلة ، وان الاتحاد السوفياتي لبى طلب الجانب الافغاني على اساس معاهدة الصداقة والتعاون التي كانت قد وقعت بين البلدين قبل عام واحد ، وبهدف مواجهة تهديدات خارجية ضد استقلال افغانستان ومصالح شعبها .

بعد هذا الحدث الخاطف في افغانستان ، الذي اكتسب اهميته بالنسبة للعالم الغربي في فترة متاخرة للغاية نتيجة للتطورات الثورية في ايران ، تم في اطار رغبة الولايات المتحدة الملحة في السيطرة على مناطق منابع النفط في الشرق الاوسط ككل ، بما في ذلك منطقة الخليج العربي ، بدا من ردود الفعل الحادة والمتصاعدة من جانب الولايات المتحدة ، ووراءها العالم العربي وكل النظم والحكومات الخاضعة للنفوذ الاميركي باشكاله المختلفة ، ان الولايات المتحدة تدفع الامور نحو ازمة حادة في منطقة الشرق الاوسط بالذات .. في تخوم ايران وفلسطين ، وفي نطاق المنطقة النفطية الاساسية في العالم . ذلك ان احدا ما كان يمكن ان يتوقع تصعيدا في ردود الفعل والحملات الاعلامية الاميركية ـ والغربية عامة ـ الى الحد الذي شهدته وتشهده المنطقة بسبب انقلاب عسكري في افغانستان ودخول قوات سوفياتية في هذا البلد الذي يقوم فيه منذ نيسان (ابريل) ١٩٧٨ نظام اشتراكي ويرتبط بالاتحاد السوفياتي بمعاهدة صداقة وتعاون ، وتمتد بينهما حدود مشتركة طولها ١٢٠٠ كيلومتر .

وهكذا نستعيد اجابة برجنسكي في مقابلته مع مجلة « يو . اس . نيوز » .. فالمطلوب في الاستراتيجية الاميركية للشرق الاوسط ان يحدث « ادراك » بان هناك اخطارا اخرى غير اخطار اسرائيل والصهيونية والامبريالية .. هناك الخطر السوفياتي . واذا كان السوفيات قد دخلوا افغانستان قبل ان يتمكن الغرب من اسقاط النظام الاشتراكي فيها (وليس اسقاط رئيس معين فحسب) فلا بد ان يحدث « ادراك » لدى شعوب المنطقة بان السوفيات يريدون الاستيلاء على الخليج العربي لانهم يريدون نفطه ، ويريدون الانقضاض على النظم القائمة في المنطقة وتغييرها ، بل ويريدون المساس بمقدسات الاسلام والمسلمين .

تصاعدت ردود الفعل ـ ليس يوما بعد يوم ، بل ساعة بعد ساعة ـ بدءا من تشبيه العمل العسكري السوفياتي في افغانستان بالعمل العسكري السوفياتي في تشيكوسلوفاكيا في العام ١٩٦٨ الى اعتبار هذا العمل حملة شيوعية لاخضاع العالم الاسلامي (...) وعندما وصلت ردود الفعل الغربية الى هذه الذروة ، استقرت عندها . ولم يعد ثمة حديث عن شيء الا عن الخطر السوفياتي على المقدسات الاسلامية وعلى المسلمين ونظمهم وتقاليدهم . واصبح المعنى الوحيد الذي يمكن الخروج به من ردود الفعل الغربية هو ان العالم الغربي كله يجند نفسه للدفاع عن الاسلام والمقدسات الاسلامية وعن شعوب المسلمين ، ولا شيء غير ذلك . وان المعركة من اجل هذا كله هي هناك في افغانستان .

في هذا الخضم الهائل من ردود الفعل ازاء العمل السوفياتي في افغانستان . وخلال اقل من ثلاثة اسابيع من بدايته كانت بداية الثمانينات تتكشف عن احداث جديدة لها دلالتها العميقة بالنسبة للشرق الاوسط ، خاصة بالنسبة للثورة الفلسطينية والثورة الايرانية ، وبوجه عام بالنسبة لمصير الثورة في المنطقة ككل .

الاتحاد السوفياتي

لقد اجمعت الآراء على ان الاتحاد السوفياتي بالخطوة التي اتخذها في افغانستان ويخطوته الى « الحل العسكري » قد اتخذ قرارا خطيرا بالقياس الى معايير القرارات السوفياتية ، وان القرار يوازي في خطورته بالنسبة للقيادة السوفياتية (المكتب السياسي للحزب الشيوعي السوفياتي واللجنة المركزية للحزب) حجم التهديدات التي يتعرض لها الاتحاد السوفياتي مباشرة او المصالح السوفياتية غير المباشرة .

ليونيد برجنيف الرئيس السوفياتي والامين العام للحزب الشيوعي وصف بنفسه القرار السوفياتي (مقابلة مع برافدا في ١/١٢) بالخطورة حيث قال « ان التجميد المفاجيء للعلاقات بين الشرق والغرب هو احد اخطر المخاطر التي واجهتها الحكومة السوفياتية » .«ان القرار لم يكن سهلا ، ولكن عدم ارسال قوات سوفياتية الى كابول كان سيعني ترك افغانستان فريسة للامبريالية ويسمح للقوى العدوانية بتكرار ما حدث في تشيلي حيث تم اغراق حرية الشعب بالدم » .

بالنسبة للاتحاد السوفياتي ايضا لم يخف ان الاحداث التي اطاحت بافغانستان قبيل دخول القوات السوفياتية كانت مصدر قلق شديد بالنسبة لما يمكن ان يكون لها من آثار في الجمهوريات السوفياتية في آسيا الوسطى . وفي هذا الصدد قول برجنيف « ان التدخل المسلح الذي لم يتوقف والمؤامرة المحبوكة جيدا من قبل القوى الخارجية شكلت تهديدا جديا بخسارة افغانستان لاستقلالها وبتحولها الى رأس جسر امبريالي على الحدود الجنوبية لبلادنا .. ان التصرف على نحو مغاير كان معناه ان ننظر متقاعسين كيف تنشأ على حدودنا الجنوبية بؤرة الخطر الشديد على امن الدولة السوفياتية » .

يضاف الى هذا ان الاتحاد السوفياتي لم يعتبر دخوله افغانستان السبب الحقيقي لتأزم الوضع الدولي . ووفقا للتحليل الذي قدمه برجنيف « ان رد الفعل العدائي للقوى الامبريالية على احداث افغانستان ليس مفاجأة . فجوهر الامر هو ان الامبرياليين واعوانهم قد خسروا الورقة التي راهنوا عليها هناك . وباختصار ليست الاحداث في افغانستان بالسبب الحقيقي لتأزم الوضع الدولي الراهن . فلو لم تكن افغانستان لوجدت الاوساط المعنية في الولايات المتحدة وفي حلف الاطلسي بكل تأكيد ذريعة اخرى لتأزيم الحالة في العالم » .

من ناحية اخرى لم يترك الاتحاد السوفياتي محاولة الغرب الضرب على وتر الاسلام والدول الاسلامية تمر دون ايضاح موقفه منها . فقد ذكرت وكالة « نوفوستي » السوفياتية الرسمية ، في تعليق لها (١/١٢) على الدعوة الى عقد مؤتمر اسلامي لبحث الموقف في افغانستان ، ان مثل هذا المؤتمر « سيكون موجها ضد الثورتين الايرانية والافغانية لخدمة الامبريالية الامبركية».وقالت «نوفوستي» في هذا السياق ان « مصر تحولت الى مركز تنسيق اميركي لاحتلال الشرق الادنى العربي عسكريا .. ان الولايات المتحدة استطاعت بحجة انقاذ الرهائن في طهران ، وتحت ستار الدفاع عن الاسلام ان تجعل من الشرقين الادنى والاوسط الاسلاميين رهينة لها وان تشق صفوفهما وحتى ان تلقي جزءا منهما في احضان الامبريالية العالمية والصهيونية» .

الولايات المتحدة

كان ابرز ما ميز سلوك الولايات المتحدة ازاء العمل السوفياتي في افغانستان هو نقلها دفة الاهتمام بصورة تكاد تكون كاملة من التركيز على ازمة « الرهائن » الاميركيين في طهران الى ما وصفته في البداية بانه « مستوى جديد عبر اليه الانتشار العسكري السوفياتي في افغانستان (١٢/٢٦) . ثم ما لبث هذا الوصف ان تحول مع تصعيد الحملة ضد الخطوة السوفياتية الى اخطر عرض للتدخل العسكري السوفياتي منذ العام ١٩٦٨ ، حينما غزا الاتحاد السوفياتي تشيكوسلوفاكيا لازالة حكومة اعتبرها حكومة لا يمكن الارتكان اليها .. ومن المؤكد انه سيؤثر على العلاقات السوفياتية — الاميركية عبر عدد كبير من المسائل » (تصريحات مسؤولة في الحكومة الاميركية في ١٢/٢٨) .

ولعله يجدر بالملاحظة انه طوال الايام من تاريخ بدء الجسر الجوي السوفياتي الى افغانستان حتى اليوم التالي للانقلاب العسكري الذي اطاح بحفيظ الله امين ، ونصب بابراك كارمال رئيسا لافغانستان — اي طوال ستة ايام — لم يحتل « التدخل السوفياتي » في افغانستان ايا من افتتاحيات الصحف الاميركية الرئيسية ، وخاصة

« نيويورك تايمز » و« واشنطن بوست » و« لوس انجيلوس تايمز » و« هيرالد تريبيون » . ولكن ابواب الحملة الاعلامية فتحت كلها دفعة واحدة ، وعلى اوسع نطاق ، مع تحرك الدبلوماسية الاميركية ، وتصاعد حملات الرئيس الاميركي كانت نفسها ضد الخطوة السوفياتية ، وانتقال مبعوثين عن الادارة الاميركية الى اوروبا الغربية والى باكستان والصين لبحث « الازمة » . وقد بدأت الحملة تكتسب طابعها الحاد ببيان اصدره كارتر في اولى ايام العام الجديد وصفته الصحف الاميركية بانه يشير الى تدهور كبير في العلاقات السوفياتية ـ الاميركية ، حيث قال كارتر ان التحرك السوفياتي في افغانستان « ادخل تغييرا اشد دراماتيكية على رأيي في ماهية الاهداف النهائية للسوفيات من اي تغيير طرأ عليه منذ ان توليت الرئاسة » .

لكن كان من اسرع التعقيبات التي ظهرت في الولايات المتحدة على الخطوة السوفياتية في افغانستان ذلك الذي عالج الجانب العسكري . فقد كتب « درو ميدلتون » المحرر العسكري لصحيفة « نيويورك تايمز » تحليلا اخباريا (١٢/٣١) قال فيه ان الاتحاد السوفياتي اظهر براعة في سرعة نقل القوات . « ان الدرس العسكري الاول للولايات المتحدة وحلفائها في تحرك الاتحاد السوفياتي السريع المحمول جوا الى داخل افغانستان هو ان الروس لديهم قدرة على نقل اعداد كبيرة من القوات في وقت قصير نسبيا . وهذا الدرس يمكن ان يطبق على مناطق اخرى واوضاع اخرى في تخوم الاتحاد السوفياتي » .

وذكر « ميدلتون » من ناحية اخرى « ان امتلاك السوفيات مطارات في افغانستان يمكن ان يكون يكون له تاثير حرج على مصالح الولايات المتحدة والمصالح الغربية في المنطقة . فوجود الطائرات السوفياتية في افغانستان يقلص فرص المفاجأة في اي تحرك عسكري (اميركي) في ايران .. » .

واشار المحلل العسكري الاميركي الى ان التحركات العسكرية السوفياتية « ربما نتجت عن تصور موسكو للتهديد الاميركي بالتدخل في ايران » .

واخيرا فان هذا التحليل قد حمل ايضا الرأي القائل بان التدخل السوفياتي العسكري في افغانستان انما يهدد بان تتحول افغانستان الى فيتنام سوفياتية ، على اساس ان الصراع قد يطول مع رجال القبائل المسلمين المسلحين ، وان الاتحاد السوفياتي قد يضطر الى دفع المزيد والمزيد من قواته الى هذا الصراع . ولكنه اشار الى وجهة النظر المعاكسة التي تذهب الى ان السوفيات سيتمكنون من قمع « الثوار » بسرعة ، وقال انه « اذا نجح السوفيات في ذلك فان ميزان القوى في الشرق الاوسط وفي جنوب اسيا سيشهد مزيدا من التحول ضد الولايات المتحدة » .

اما على الصعيد السياسي فان اتجاه المعالجات الاميركية للموقف في افغانستان كان تاكيدا على ان العلاقات الاميركية ـ السوفياتية قد انتكست من وفاق السبعينات الى حالة الحرب الباردة التي سادت بينهما في الاربعينات والخمسينات . لكن الواضح ان ردود الفعل الاعلامية في الولايات المتحدة لم تكن ردود فعل مباشرة ازاء التدخل السوفياتي انما كانت ردود فعل تصنعها ردود الفعل الرسمية المتمثلة في اجراءات ادارة كارتر وبياناتها .

في ٤ كانون الثاني (يناير) بدأ مسلسل « العقوبات » الاميركية ضد الاتحاد السوفياتي بان طلب الرئيس كارتر من مجلس الشيوخ الاميركي تاجيل مناقشة المعاهدة الثانية للحد من الاسلحة الاستراتيجية (سالت ـ ٢) التي ابرمت بين الولايات المتحدا والاتحاد السوفياتي في فيينا في حزيران (يونيو) ١٩٧٩ . وفي صدد هذه الخطوة كان المعلق الاميركي جيمس ريستون (نيويورك تايمز) قد سبق ان قال (١٢/٣١) ان الخطوة التي اتخذها الاتحاد السوفياتي في افغانستان تعني انه توصل الى قناعة بان مجلس الشيوخ الاميركي لن يصدق على معاهدة (سالت ـ ٢) .

شملت « العقوبات » الاميركية التي اعلنت بعد ذلك ضد الاتحاد السوفياتي وقف تصدير القمح والمعدات والتجهيزات التكنولوجية . والحد من عدد رحلات الطائرات السوفياتية الى مدن الولايات المتحدة ، والحد من حقوق الصيد للسفن السوفياتية في المياه القريبة من السواحل الاميركية ، وتاجيل افتتاح قنصليات جديدة للبلدين (خطاب كارتر في ١/٦) .

لكن فرص هذه العقوبات على الاتحاد السوفياتي لم يكن الجانب الاهم في رد الفعل الاميركي ـ خاصة وان موسكو اعلنت ان هذه العقوبات لن تصيبها باي ضرر . وبصفة احص ما اسفرت عنه

هذه العقوبات ، وهو منع تصدير القمح الاميركي ، اثار لدى منتجيه الاميركيين من الضيق اكثر مما اصاب السوفيات . إن الجانب الاهم في رد الفعل الاميركي ، هو الانطلاق تحت قواعد عسكرية في المنطقة ، في الشرق الاوسط والقرن الافريقي وفي الخليج العربي مباشرة ، تحت ذريعة التصدي للسوفيات . هذا بالاضافة الى ما اعلنته واشنطن (١/١٤)الى تقديم صفقة مساعدات عسكرية واقتصادية قيمتها ٤٠٠ مليون دولار لباكستان « لتواجه التهديد الناجم عن التدخل العسكري السوفياتي » .

نشرت صحيفة « لوس انجيلوس تايمز » (في ١/٤) انها علمت ان الرئيس كارتر قرر « السعي للحصول على تسهيلات طويلة الاجل جوية وبحرية في عمان والصومال مطلة على بحر العرب . ولكن الصحيفة كشفت ان هذا المسعى الجديد لم يبدأ بعد « الغزو السوفياتي » لافغانستان انما بدأ قبل شهر حيث قبلت عمان والصومال اقتراحات اميركية قدمها مسؤولون من وزارتي الخارجية والدفاع اليهما في الشهر الماضي .. وهي اقتراحات قدمت على انها طلب تسهيلات مؤقتة لقوة الطوارىء الاميركية بعد احتجاز الرهائن الاميركيين في طهران يوم ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) . وقد زار فريق المسؤولين الاميركيين ذاته ايضا كينيا للغرض نفسه . وتقبل الكينيون المقترحات .

(في الوقت نفسه اعلنت كل من مصر واسرائيل استعدادهما لتقديم التسهيلات اللازمة للقوات الاميركية اذا ارادت « حماية » منطقة الخليج العربي والتصدي للخطر السوفياتي الزاحف من افغانستان) .

المسؤولون الاميركيون الذين اعلنوا امر طلب الولايات المتحدة القواعد الدائمة قالوا ان القوات السوفياتية في افغانستان « فرضت نوعا جديدا من التهديد على باكستان وشبه القارة الهندية وكذلك على ايران والبلدان العربية » ، (لوس انجيلوس تايمز في ١/٤) . ورد هؤلاء المسؤولون انفسهم على الفكرة القائلة ، بان افغانستان ستكون بمثابة فيتنام سوفياتية مؤكدين ان هناك اختلافات كثيرة اهمها ان افغانستان لها حدود مشتركة طويلة مع الاتحاد السوفياتي ، اي انه ليست هناك مشكلة خطوط تموين طويلة ، كما كان الحال بالنسبة للولايات المتحدة في حرب فيتنام . كذلك فان الاتحاد السوفياتي لا يواجه ضغطا داخليا ضد تدخله في افغانستان ، كما حدث مع الولايات المتحدة بالنسبة لحربها في فيتنام .

ونقلت الصحيفة الاميركية نفسها عن مسؤول اميركي قوله « ان دماء كثيرة ستراق لوقت طويل هناك (في افغانستان) ، ولكن في النهاية ـ ربما بارسال عدد كبير من الافغان الى سيبيريا وادخال ضعف القوات السوفياتية الحالية الى افغانستان على الاقل ـ من المتوقع ان تسيطر موسكو على البلاد » .

ويتضح الاهتمام بمسالة القواعد في مقابلة اجراها جيمس ريستون كبير معلقي صحيفة « نيويورك تايمز » ، مع وزير الخارجية الاميركي السابق هنري كيسنجر . وفي هذه المقابلة (١/٥) ، يقول كيسنجر بالتحديد « ان المسالة ليست مسالة افغانستان . انما هي مسالة ما يمكن ان تتوقعه منا (من الولايات المتحدة) البلدان التي تعتمد علينا ، وماذا نستطيع ان نتوقع منهم ، وأية بلدان تملك حقا أو توقعا معقولا في ان تعتمد علينا . تلك هي المسالة التي يتعين علينا ان نناقشها » . ويقول ريستون ـ معبرا عن رأي كيسنجر في المقابلة « ان الازمة الاخيرة (افغانستان) ، هي فرصته للتصدي للمشكلة الاعمق والاوسع ، مشكلة اقامة سياسة عسكرية وسياسية مستقرة لحماية المصادر النفطية الجوهرية للامة (الاميركية) في الشرق الاوسط » .

قال جوزيف كرافت ، المعلق الاستراتيجي في مؤسسة « انتر برايز فيلد » (هيرالد تريبيون ١/٨) الاختبار الحقيقي هو اين ستكون الولايات المتحدة بعد ستة اشهر من الان حينما سيعود الروس ـ بالتأكيد ـ الى طريق هجوم السلام . الامر الذي له وزنه هو اذا كانت الولايات المتحدة عندئذ ستكون قد اقامت وجودا بحريا دائما لها في المحيط الهندي ، وقواعد حول الخليج ، ونوع ما من القدرة السياسية في ايران .

مع ذلك فقد ساد ادراك داخل الولايات المتحدة بان رد الفعل الذي تمارسه ادارة كارتر ازاء الخطوة السوفياتية مبالغ فيه ، وفي الوقت نفسه ان « العقوبات » الاميركية ليست ذات وقع خطير في حد ذاتها . وقد كتب « ستيفن روز نفيلد » ـ وهو من المعلقين الذين سبق لهم العمل كمستشارين في مجلس الامن القومي الاميركي ـ في صحيفة

« واشنطن بوست » (١/٦) ، يقول « ان التيار الصاعد للرأي العام الآن يعتقد أن تحرك الكرملين الى داخل افغانستان ينذر او يسجل تحولا في ميزان القوة الدولي .. ان التحرك السوفياتي هو واحد من تحركات كثيرة يقوم بها ممثلون عديدون في عالم متعدد الالوان . بعض العمل ضدنا ، وبعضه لنا . ولدينا ما يكفي من اشياء مشروعة تثير قلقنا دون ان نراكم المبالغة في القلق ، الامر الذي قد تكون له اثار ضارة تدفعنا الى ممارسات استراتيجية مشكوك فيها تضيف كميات جديدة الى يأسنا. ويضيف «روزنفيلد» محققا من مبالغات ردود الفعل ، فيتساءل « من منا كان يمكن ان يشعر انه في حالة احسن لو ان موسكو اقامت علاقات افضل مع بكين . وحصلنا نحن على كابول ؟ » .

في الوقت نفسه قال « جيمس ريستون » (١/٦) ، « ان خطاب كارتر الذي اعلن فيه فرض العقوبات على الاتحاد السوفياتي ــ كان ردا موزونا بعناية ، ولكنه بدا اكثر تشددا مما هو في الحقيقة . فان عقوباته المقترحة لا تتلاءم مع الجريمة ولا هي تصلح الضرر » . ويقول ريستون ايضا « ان من المهم ان لا نبالغ في المأساة . لقد شجع الرئيس كارتر في خطابه الفكرة القائلة بان الغزو السوفياتي لافغانستان ليس اكثر من بداية لتحرك اوسع كثيرا واشد خطورة للسيطرة على نفط الشرق الاوسط .. ان التحليل الاكثر عقلانية والمقبول بصورة عامة للتحرك السوفياتي هو ان موسكو خشيت اسقاط الحكومة الماركسية في كابول واحلال حكومة اسلامية متشددة محلها ، الامر الذي قد يؤدي ــ مع الوضع الديني الملتهب في ايران الان ــ الى الهاب حماس السكان المسلمين الكثيرين على الجانب السوفياتي من الحدود الافغانية والايرانية .. واذا كان هذا التحليل صحيحا ، فانه لا حرب عامة على حقول النفط تثير خوفنا ، انما عالم اكثر انقساما واشد خطورة ، يملك ميزانيات عسكرية اضخم (تكلف الامم الان اكثر من ٦٠٠ مليار دولار سنويا) ومزيد من التضخم ، ومساعدة اقل للاعضاء الافقر في الاسرة البشرية . هذه هي المأساة الاكبر في افغانستان » .

واذا كانت قد صدرت في الولايات المتحدة اصوات وتحليلات اكثر هدوءا من ردود الفعل الرسمية للادارة الاميركية . فذلك لان كثيرين من المعلقين والمحللين ادركوا ان ادارة كارتر انما تمارس في تشكيل سياستها ازاء « التدخل السوفياتي » في افغانستان جزءا من حملة انتخابات الرئاسة الاميركية . بما يوحي انها اعتبرت ان ازمة افغانستان جاءت دعما جديدا لحملة كارتر الانتخابية يضاف الى الدعم الانتخابي الذي حصل عليه نتيجة ازمة احتجاز الرهائن في السفارة الاميركية في طهران . فكارتر يجرب من جديد رفع اسهمه لدى الناخبين من خلال « ازمة » خارجية جديدة جاءته من السماء . بعد ان افادته معالجته لازمة الرهائن في رفع اسهمه الشعبية على الرغم من انه لم يتوصل الى حل وحتى لم يقدم اقتراحات بحلول لهذه الازمة . وهو بالنسبة لازمة افغانستان يكرر التكتيكات الانتخابية ذاتها .

الصين

لم تدخل الصين طرفا في الصراع الاميركي ــ السوفياتي من قبل ، كما دخلته في الصراع الذي اثاره الدخول السوفياتي الى افغانستان . حتى عندما دخلت القوات الصينية الاقاليم الشمالية من فيتنام في شباط (فبراير) ١٩٧٩ في « حملة تأديبية » ، بسبب دور فيتنام في اسقاط نظام بول بوت الموالي لبكين في كمبوديا ، لم يكن الموقف الصيني جزءا من صراع اميركي ــ سوفياتي ، انما كان جزءا من الصراع السوفياتي ــ الصيني ، وان كانت الولايات المتحدة قد ايدت بكين انذاك .

لكن موقف الصين من التحرك السوفياتي في افغانستان تأييدا للخطوات الاميركية ، يتجاوز كثيرا حجم التأييد الذي لقيه التحرك الصيني ضد فيتنام .

ذروة الموقف الصيني في ازمة افغانستان بدت في دعوة ونغ شياو ــ بنغ ، نائب رئيس الوزراء و« رجل الصين القوي » ــ كما يسمى في الغرب ــ الى اقامة « حلف من جميع البلدان لوقف توسع القوة السوفياتية » . هذه الدعوة ازالتها ــ في وقت واحد ، كل من وكالة انباء الصين الجديدة و« البنتاغون » (وزارة الدفاع الاميركية) نظرا لانها صدرت عن ونغ شياو ــ بنغ ، اثناء اجتماع له مع هارولد براون وزير الدفاع الاميركي (١/٨) ، الذي كان يزور الصين رسميا . براون رد على الدعوة بقوله ان على الولايات المتحدة والصين الشعبية ان تنسقا تحركاتهما في ما يتعلق بالاتحاد السوفياتي .

وقالت وكالة « يونايتدبرس » الاميركية ان براون تحاشى تقديم رد مباشر على الاقتراح الصيني باقامة « حلف عالمي » . لكن براون كان قد صرح في الصين ـ واثناء هذه الزيارة نفسها ـ بان الولايات المتحدة تريد اتصالات اوثق مع الصين حول المسائل الاستراتيجية والعسكرية .

وذكرت وكالات الانباء ان وزير الدفاع الاميركي استمع الى مزيد من الاقتراحات من اجل اقامة تحالف ضد الاتحاد السوفياتي حينما كان يزور الاكاديمية العسكرية للجيش الصيني بعد محادثاته مع ونغ شياو ـ بنغ ، فقد القى الجنرال « شياو كي » قائد الاكاديمية كلمة ترحيب بوزير الدفاع الاميركي قال فيها « ان الطريقة الوحيدة للتعامل مع نزعة الهيمنة السوفياتية هي ان تنهض الشعوب باسرها لمقاومتها » .

مع ذلك فقد ذكر الدبلوماسيون الغربيون في بكين واثناء زيارة هارولد براون لها (نيويورك تايمز في ١/٧) ان الصين استبعدت التدخل المباشر لمواجهة التحرك السوفياتي العسكري في افغانستان . « فان الصينيين يدركون انهم يملكون قدرة محدودة للغاية في مواجهة الاتحاد السوفياتي ، ولهذا يتطلعون بدلا من ذلك الى رد فعل قوي من جانب الولايات المتحدة واوروبا الغربية وبلدان العالم الثالث » . كذلك فان الصينيين ـ وفقا لمعلومات الدبلوماسيين الغربيين في بكين ـ مستعدون لتقديم مساعدات « سخية » لباكستان وتنسيق هذه المساعدات مع ما ستقدمه الولايات المتحدة من مساعدات لباكستان ايضا .

في نهاية زيارة وزير الدفاع الاميركي لبكين (١/٩) التي استمرت اربعة ايام اعلن براون ان الولايات المتحدة والصين الشعبية ستتحرك كل على حدة لتقوية البلدان المحيطة بافغانستان ، وان وفدا عسكريا صينيا على مستوى عال سيزور الولايات المتحدة . كما اعلن براون ان الولايات المتحدة ، ستتلقى باهتمام في المستقبل طلبات الصين لشراء تجهيزات تكنولوجية متقدمة مثل الحاسبات الالكترونية (الكمبيوتر) التي قد تكون لها استخدامات عسكرية .

وقد عقبت صحيفة « واشنطن بوست » على نتائج زيارة وزير الدفاع الاميركي للصين في ضوء ازمة افغانستان فقالت « ان لدى الصينيين شكوكهم الخاصة المستمرة حول قوة الولايات المتحدة وحول حكمة التعويل بشدة على اي بلد اجنبي ، ولهذا فانهم ليسوا متلهفين ـ حتى في الوقت الحاضر ـ على الدخول في حلف صريح مع الولايات المتحدة .

وكانت حكومة بكين قد سلمت ي. شيرباكوف السفير السوفياتي لديها مذكرة احتجاج رسمية (١/١) طالبت فيها بسحب القوات السوفياتية فورا من افغانستان ، ووصفت وجود هذه القوات في افغانستان المجاورة لها بانه يشكل تهديدا لامن الصين .

والتقت وكالة انباء الصين الجديدة مع التفسيرات الغربية للعمل السوفياتي في افغانستان في وصفه (١/١) بانه « جزء من استراتيجية ، تهدف الى الاستيلاء على المناطق المنتجة للنفط والسيطرة على الممرات البحرية والالتفاف على اوروبا » .

باكستان

من بين الاطراف الدولية التي دخلت ازمة افغانستان دخولا مباشرا وعميقا يمكن ان نعتبر ان باكستان قد دخلت في الازمة الى عمق اشد من كل الاطراف الاخرى . ولا يرجع هذا الى مجرد حقيقة ان باكستان لعبت منذ فترة طويلة دور قاعدة تجمع وانطلاق رجال القبائل المتمردين على السلطة الافغانية .. انما لان ظروفا كثيرة داخلية تحيط بنظام الرئيس الباكستاني الجنرال ضياء الحق جعلت البحث عن اخطار خارجية احد المخارج الممكنة من ازمات داخلية لا توجد لها حلول مقبولة في المدى القصير .

وقد انتقل مستوى العلاقات بين باكستان والولايات المتحدة من نقطة تقترب من الصفر ـ بسبب حظر الاسلحة الاميركية ـ عن باكستان وبسبب ما يشاع عن انهماك باكستان في محاولة انتاج قنبلة ذرية ـ الى نقطة اخرى اقرب ما تكون الى ايام التحالف القديم حينما كانت باكستان عضوا في حلفين غربيين الحلف المركزي (السنتو) ، وحلف جنوب شرقي اسيا (السياتو) .

وبدا من خلال تركيز ردود الفعل الاميركية على اهمية تقوية باكستان عسكريا امران اولهما فرضية تذهب الى ان « الخطوة السوفياتية التالية

بعد افغانستان ستكون هي باكستان » ، وثانيهما ان دعم باكستان بالاسلحة يمكن ان يساعدها على التصدي لقوات الاتحاد السوفياتي . ومن الواضح ان الفرضيتين لا تقومان على اساس متين ، ولا تستندان الى قدر كاف من الواقعية .

في مقابلة صحفية مع ارنو دو بورشغراف (نيوزويك ١/٧) قال الجنرال ضياء الحق « ان باكستان وافغانستان تشكلان الباب الخلفي للخليج والمرور المباشر الى المحيط الهندي .. واهداف موسكو في المدى البعيد هي تحييد اوروبا الغربية عن طريق الاستحواذ على السيطرة الاستراتيجية في المناطق التي يعتمد عليها الغرب من اجل بقائه . الى هذا الحد فالامر واضح لي . ولكنني اجد نفسي ضائعا حين احاول فهم الاعيب سياسات القوى العظمى » .

وقال الجنرال ضياء الحق ايضا « ان القوة السوفياتية هي السائدة الان في المنطقة والولايات المتحدة غير فعالة. سواء عن قصد او عن غير قصد ، ولكننا لا بد ان ننظر الى الامر نظرة واقعية .. » .

لكن حديث الجنرال الباكستاني لم يتناول دور حكومته في ايواء المتمردين الافغان ، وهو الدور الذي اعتبره الاتحاد السوفياتي تحويلا لباكستان الى « قاعدة لاستعدادات العدوان الامبريالي ضد افغانستان » (برافدا في ١/٧) . وقد اكدت « برافدا » ان الخطط العدوانية التي يضعها مؤيدو المتمردين ــ الولايات المتحدة والصين تقضي بتوريط باكستان على نحو اعمق في ورطة خطرة . « ان المشاركة في مثل هذه المغامرات لا تتفق باي حال مع مصالح الشعب الباكستاني ولا مع مبادىء علاقات حسن الجوار » . وقد وصفت الوكالات الغربية (الامبركية خاصة) مقال « برافدا » هذا بانه اخطر تحذير وجهه الاتحاد السوفياتي حتى الان الى باكستان ، بعد ان اعلنت موسكو ان المعسكرات الباكستانية للاجئين الافغان هي في الحقيقة مراكز تدريب ، وان بعض جوانب التدريب فيها يقوم به ضباط في الجيش الباكستاني .

وقد حرصت الولايات المتحدة على دفع باكستان الى عمق المشكلة الافغانية من الناحيتين العسكرية والدعائية . ومن الناحية العسكرية اعلنت « مصادر دبلوماسية » (غير معلومة الهوية) نقلت عنها الصحف والوكالات الاميركية (١/١٣) ان القوات السوفياتية « دفعت بقوافل من مدفعيتها وامداداتها من كابول في اتجاه الحدود الباكستانية في محاولة لسحق التمرد ضد الحكومة الافغانية التي يساندها السوفيات » . ونقل عن دبلوماسيين من اوروبا الغربية في كابول قولهم ان القيادة السوفياتية قد حركت بالفعل فرقتين من خمس فرق عسكرية لها في افغانستان نحو الجنوب .

من الناحية السياسية دفعت باكستان للعب دور اساسي في الدعوة الى عقد مؤتمر لوزراء خارجية الدول الاسلامية بصورة استثنائية في عاصمتها « اسلام اباد » يوم ٢٦ كانون الثاني (يناير) لبحث الوضع في افغانستان . كما دفعت الى لعب دور رئيسي في الدعوة الى اجتماع مجلس الامن لبحث الموضوع نفسه ، وهو الاجتماع الذي استمر ثلاثة ايام وانتهى (١/١٧) باستخدام الاتحاد السوفياتي حق النقض (الفيتو) ضد مشروع قرار يدعو الى « الانسحاب الفوري وغير المشروط لجميع القوات الاجنبية من افغانستان » . ولعبت باكستان الدور نفسه في الدعوة الى اجتماع الجمعية العامة للامم المتحدة الذي استمرت بمناقشته اربعة ايام وانتهت (١/١٤) بقرار ايدته اغلبية ١٠٤ ضد ١٨ امتناع ١٨ عن التصويت يدعو الى « الانسحاب الفوري وغير المشروط والكامل للقوات الاجنبية من افغانستان » . ولحظ ان القرار لم يذكر الاتحاد السوفياتي بالاسم (على غرار القرار الذي اتخذته الجمعية العامة في اذار الماضي بشأن انسحاب القوات الصينية من فيتنام) .

اما ان قرار الجمعية العامة هذا قد كسب الى صفه كل هذا العدد من الاصوات (١٠٤ اصوات) ــ الامر الذي يدل على ان النسبة الاكبر من دول العالم الثالث وقفت مع هذا القرار ــ فان له دلالته الاكيدة على مدى فعل الدبلوماسية الاميركية والغربية في العالم .. وعلى ان العمل السوفياتي في افغانستان سيحتاج الى وقت اطول قبل ان تتأكد اهميته بالنسبة لدول العالم الثالث نفسها . او يتأكد العكس .

سمير كرم

قضايا عسكرية

شهدت المرحلة الأخيرة من العام الماضي ، ١٩٧٩ ، تصعيدا خطيرا للصراع القائم بين الولايات المتحدة الأميركية والثورة الايرانية ، ما زال مستمرا حتى الان . فاثر قيام الطلبة الايرانيين باحتجاز الرهائن الاميركيين في السفارة الأميركية بطهران ، يوم ٧٩/١١/٤ ، بدأت الولايات المتحدة تتخذ سلسلة من الاجراءات والتحركات العسكرية المعادية لايران . كان ابرزها تكثيف الوجود البحري الأميركي في المحيط الهندي وبحر العرب ، بحيث اصبح يضم نحو ٢١ سفينة حربية ، من بينها حاملتا الطائرات « كيتي هوك » و« ميدواي » اللتان تضمان معا ١٦٠ طائرة قتال من مختلف الانواع (اهمها ٤٨ مقاتلة متعددة المهام من طراز « ف ـ ٤ فانتوم » أو « ف ـ ١٤ توم كات » و« ٣٦ ـ ٤٨ مقاتلة هجومية من طراز « أ ـ ٧ اي كورسير ـ ٢ ») . بالاضافة الى سفينة القيادة « لاسال » (الموجودة اصلا في المنطقة منذ العام ١٩٧٢ وتتوفر لها تسهيلات في البحرين) المخصصة لقائد قوة الشرق الأوسط الاميركية ، ولديها قدرات توجيه وقيادة تشكيلات بحرية وجوية وبرمائية كبيرة .

وما زالت عملية تعزيز وتطوير القوة البحرية الاميركية ، في المحيط الهندي وبحر العرب ، مستمرة في جميع النواحي ، سواء من حيث زيادة عدد السفن الحربية وتحسين نوعيتها ، او من حيث تدعيم قواعدها الاصلية في المحيط الهندي ، او السعي من اجل الحصول على قواعد وتسهيلات جديدة من دول عدة في المنطقة ، او من حيث تدعيم الغطاء السياسي والاعلامي اللازم لتحركاتها واستخدامها .

ففي ٧٩/١٢/١٦ ، غادر واشنطن وفد اميركي في مهمة في الشرق الاوسط وافريقيا غايتها الحصول على موافقة بعض الدول على أن تستعمل القوات الاميركية قواعد قائمة فيها ، في حالة نشوب ازمة في المنطقة تتطلب تدخل هذه القوات ، وذلك بناء على قرار الرئيس « كارتر » الخاص بانشاء قوة التدخل السريع في المناطق البعيدة عن الولايات المتحدة ، وهي القوة التي ستضم ١٠٠ ـ ١١٠ الاف جندي ، والتي عين الجنرال « بول كيلي » (احد قادة مشاة البحرية الأميركية) رئيسا لاركانها الموحدة في ١٩٧٩/١٢/٢٨ .

وفي ١٩٨٠/١/٤ صرح مصدر مطلع في وزارة الدفاع الاميركية ، بان الولايات المتحدة تلقت اجوبة مشجعة من عمان وكينيا والصومال على طلبها استخدام القواعد العسكرية في الدول الثلاث . كما صرح بان خبراء عسكريين اميركيين سيتوجهون الى عواصم الدول المذكورة للبحث في القواعد التي تناسب البحرية وسلاح الطيران الاميركيين .

والقواعد المرشحة للاستخدام الاميركي في الدول الثلاث هي

قاعدة « مومباسا » في كينيا وقاعدة جزيرة « مصيرة » في عمان وميناء بربرة في الصومال ، بالاضافة الى القاعدة الجوية القريبة منه .

وفي الوقت ذاته اعلنت كل من مصر واسرائيل موافقتها على اعطاء تسهيلات جوية وبحرية (بالنسبة للأولى) ، وقواعد جوية وبحرية (بالنسبة للثانية . وصرح ناطق باسم الخارجية الأميركية ، في ١٩٨٠/١/٣ بان الولايات المتحدة تدرس مسألة اقامة قواعد عسكرية في مصر واسرائيل ، ضمن الدراسه التي تجريها حاليا من حيث احتمال اقامة قواعد في بلدان صديقة . وفي ١٩٨٠/١/٧ صرح الفريق اول « كمال حسن علي » ، وزير الدفاع المصري ، بان سلطات بلاده مستعدة لاعطاء تسهيلات للولايات المتحدة اذا طلبت احدى الدول العربية مساعدتها ، او اذا طلبتها الولايات المتحدة نفسها للتدخل في ايران من أجل اطلاق الرهائن المحتجزين هناك ، او من أجل التدخل في أفغانستان . وكان ذلك يفسر ويؤكد تصريحات الرئيس السادات بهذا الخصوص ، التي كان قد ادلى بها في ١٩٧٩/١٢/٢٩ في حديث له مع مجلة « اكتوبر » المصرية .

وفى ١٩٨٠/١/٦ أكد التلفزيون الاسرائيلي ان الولايات المتحدة تنشىء سرا قاعدة جوية ضخمة في مصر ، وان هذه القاعدة ستعطي للولايات المتحدة حرية التحرك الاستراتيجي في الشرق الأوسط . وقد أعلن الناطق باسم الخارجية الأميركية في

٨/١/١٩٨٠ ، « هوبينغ كارتــر » ان طائــرات اميركية تقوم منذ أسابيع بمهمات تدريبية انطلاقا من قواعد جوية مصرية ، وذلك ضمن تمارين للتنسيق مع القوات المصرية . وفي ٩/١/١٩٨٠ كشفت مصادر حكومية اميركية ان طائرتي رصد وانذار مبكر وادارة عمليــات جويــة من طراز « بوينــغ ــ ٧٠٧ » ، « اواكس » ، موجودتين في مصر منذ ٣ أسابيع ، في قاعدة قرب الاقصر ، لارشاد القوات الاميركية حال تدخلها عكسريا في المنطقة ، وانهما تقومان بتدريبات تتعلق بالتعاون مع القاذفات والمقاتلات والسفن الحربية في ظروف احتمال فرض حصار بحرّي على ايران .

هذا بالنسبة للجهود الأميركية الخاصة بتأمين القواعد العسكرية والتسهيلات اللازمة في حالــة التدخل العسكري ضد ايــران أو افغانستــان . وبالاضافة الى ذلك ذكرت مصادر وزارة الدفاع الاميركية ، في ٩/١/١٩٨٠ ، ان الولايات المتحدة تعتزم تطوير قاعدة « دييغو غارسيا » البريطانية في المحيط الهندي لخدمة السفن الحربية الاميركية ، والتي يوجد بشأنها اتفاق موقع بين الدولتين في العام ١٩٦٦ ، كما اعلنت ، في اليوم ذاته ، مصــادر البحرية الأميركية في « سان دييغو » بكاليفورنيا ، ان ١٢ قطعة بحرية حربية ابحرت او ستبحر من القاعدة المذكورة ، ويتوقع ان يتوجه بعضها الى المحيط الهندي ، حيث ستكون مستعدة لمواجهة أي طارىء في ايــران . وفي ١٥/١/١٩٨٠ أعلنــت السلطات البحرية في جنوب افريقيــا أن حاملــة الطائرات الاميركية « نيمتيز » ترافقهــا سفينــة اخرى ، دخلت يوم ١٤/١ المحيط الهندي في طريقها نحو الشرق الأوسط . ويقال انها ستحل محــل الحاملة « كيتي هوك » الموجودة في بحر العــرب حاليا . والجدير بالذكر ان الحاملة « نيمتيز » كانت تعمل من قبل ضمن الاسطول السادس الاميركي في البحر الأبيض المتوسط ، وقد قامت بزيارة الى ميناء حيفا الاسرائيلي في ٦/٤/١٩٧٨ . وهي واحدة من ثلاث حاملات طائرات تمتلكها البحرية الاميركية تعمل بالطاقة النووية . ويبلغ وزنهــا ، بحمولــة القتال ، ٩٣,٤٠٠ طن . وطولها الاجمالي ٣٣٢ مترا ، وعرض مهبطها ٧٦,٨ مترا ، وعمق غاطسها ١١,١ مترا . وتدفعها محركات تبلغ قوتها ٢٦٠ ألف حصــان . وتزيــد سرعتهــا القصــوى عن ٥٥ كلم/ساعة . وهي تحمل نحو ١٠٠ طائرة قتال من مختلف الانواع . ويبلغ عدد الطاقم البحري لها ٣٣٠٠ رجل ، وعدد الطاقم الجوي ٢٨٠٠ رجل . اي ما مجموعه ٦١٠٠ رجل .

وهكذا يتضح لنا مدى الخطر الامبريالي الاميركي الذي يهدد الثورة الايرانية ومنطقة الشرق الاوسط الغنية بالنفــط ، وذات الاهميــة الاستراتيجيــة الكبرى . وتسعى الولايــات المتحــدة عبــر هذه التحركات السياسية والعسكرية والاعلامية ، الى تأكيد سيطرتها على المنطقة ، واعادتها الى عصر القواعد العسكرية والسيطرة الاستعمارية المباشرة ، بدعوى الافراج عن الرهائن الاميركيين المحتجزين في طهــران ، والتصــدي للوجــود السوفييتــي في افغانستان . وانهاء السياسة العربية المعارضــة لاتفاقات « كامب دافيد » من خلال ادخال بعض الدول العربية في حلف غير مباشر مع اسرائيل تحت شعار التصدي للخطر الخارجي المهدد للنفط في منطقة الخليج .

« مقاتلات « ف ــ ١٦ » تصل الى اسرائيل »

قالت مصادر عسكرية في « تل ابيب » ، يوم ١٤/١/١٩٨٠ ، أن اسرائيل ستتلقى في اواخــر كانون الثاني (يناير) ، من العام ذاته ، أول دفعة من صفقة الــ ٧٥ طائرة مقاتلة اميركية من طراز « ف ــ ١٦ » ، قبل عامين من الموعد المحدد سابقا لحصولها على هذه الطائرات . وفي اليوم ذاته صرح ناطق باسم شركة « جنرال داينــا ميــكس » في نيويورك ، التي تصنع طائرات « ف ــ ١٦ » ، ان اسرائيل ستحصل اواخر هذا الشهر على أول طــائرة « ف ــ ١٦ » ، كما ستحصل قبل اخر السنــة الحالية على ٢٥ طائرة من النوع ذاته . وذكر الناطق ان سبب التعجيل في تسليم اسرائيل هذه الطائرات هو انها جزء من صفقة وقعت اصلا مع ايران ، والغيت بعد تغيير نظام الحكم فيها

والجدير بالذكر ان وزير الدفاع الأمــيركي ، « هارولد براون » ، كان قد وافق خلال زيارتــه لاسرائيل التي جرت في منتصف شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، ضمن جولته على عدة دول في الشرق الاوسط (السعودية والاردن واسرائيل ومصر) اثر وقوع ثورة ايران ، على التعجيل بتسليم اسرائيل نحو ٦٠ طائرة « ف ــ ١٦ » (من جملة صفقة الــ ٧٥ طائرة) ، وذلك من اصل ١٦٠ طائرة « ف ــ ١٦ » كان من المقرر بيعها لايران ، باعتبار ان التعجيل

بتسليم اسرائيل هذه الطائرات يشكل احدى الوسائل الكفيلة بتعزيز امن الاخيرة ، في مواجهة التحولات الاستراتيجية التي ستطرأ على المنطقة نتيجة للثورة في ايران . (راجع شؤون فلسطينية نيسان ، ١٩٧٩ ، ص ١٧٢ وما بعدها) . والمعروف ان الـ ٧٥ طائرة « ف ـ ١٦ » المذكورة ستحل محل جزء من الـ ٢٧٥ طائرة « أ ـ ٤ سكاي هوك » الموجودة حاليا لدى السلاح الجوي الاسرائيلي ، ضمن عملية التجديد الجارية في تسليحه منذ العام ١٩٧٥ ، حين بدات مقاتلات « كفير ـ ٢ » تدخل الخدمة العملية في اسراب الطيران اسرائيلي. وسوف تستمر هذه العملية خلال الثمانينات ، حتى يتم استبدال كافة طائرات « السكاي هوك » والـ « ف ـ ٤ فانتوم » بطائرات « كفير » و« ف ـ ١٥ » و« ف ـ ١٦ » و« ف ـ ١٨ » (على الارجح) . والـ « ف ـ ١٦ » مقاتلة قتال جوي (اي اشتباك قريب) ذات مقعد واحد. متعددة المهمات في جميع الاحوال الجوية ، وتستخدم في القتال الجوي والاعتراض والمطاردة والقصف التكتيكي . وهي مزودة بمحرك نفاث توربوفان من نوع « برات اند ويتني ف ـ ١٠٠ » (الذي تزود طائرات « ف ـ ١٥ » بمحركين منه) ، تبلغ قوة دفعه العادية ٦٥٠٠ كلغ ترتفع الى ١١٢٧٠ كلغ ضغط مع الحارق الخلفي الاضافي بعد تشغيله

ويبلغ وزن الطائرة العادية (في مهمة قتال جوي عند الاقلاع ١٠,٢٤٥ كلغ ، ويصل وزنها الاقصى (في مهمة قصف ارضي) عند الاقلاع ١٤,٩٨٥ كلغ . ويكفل لها محركها القوي نسبة قوة دفع الى وزنها في حالة المهمة القتالية الجوية المخفضة التسليح والوقود (وزن الطائرة فارغة يبلغ ٦٦١٣ كلغ ، و١٥٨٠ كلغ وزن نصف كمية الوقود الداخلي ، و١٦٩ كلغ وزن صاروخان جو ـ جو ، و٢٠٠ كلغ وزن الطيار ومعداته ، اي ما جملته ٨٥٦٢ كلغ)، تبلغ ١,٣٢ كلغ دفع كل كلغ وزن . وهي نسبة جيدة تماما توفر لها قدرات اشتباك جوي ومناورة ممتازة ، خاصة وان معدل التسلق الابتدائي لها يبلغ ٢٧٠ مترا/ثانية ، ونصف القطر الادنى للدوران يبلغ نحو ٤٥٠ مترا ، ومعدل التفافها الاقصى ١٢,٥ درجة ثانية ، وقدرة تحملها للجاذبية ٩ أضعاف جاذبية الارض ، ولذلك تعتبر الـ « ف ـ ١٦ » ذات قدرات ممتازة على المناورة في القتال الجوي . وتبلغ سرعتها القصوى على ارتفاع ١٢ الف متر ٢١٥٠ كلم/ساعة (٢,٠٢ ماك) ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر (أي ٣٠٠ متر) ١٤٥٠ كلم/ساعة (١,٢ ماك) . وسرعتها القتالية على ارتفاع ١٢ ألف متر ٢٠٧٥ كلم/ساعة (١,٩٥ ماك) . وتستطيع ان تصل الى ارتفاع ١١ ألف متر خلال ١,١ دقيقة فقط . ويصل مداها القتالي في حالة القتال الجوي (٤ صواريخ جو ـ جو ، بدون خزان وقود اضافي) نحو ٢٧٥ كلم ، وفي حالة القصف الارضي (١٣٦٠ كلغ قنابل + صاروخين جو ـ جو + خزاني وقود اضافي) يبلغ نحو ١١٠٠ كلم على ارتفاع عال و٦٤٠ كلم على ارتفاع منخفض . وهي مسلحة بمدفع دوراني سداسي الفوهات « م ـ ٦١ فولكان » عيار ٢٠ مم مزود بـ ٥١٥ طلقة ، بالاضافة الى ٤ ـ ٦ صواريخ جو ـ جو قصيرة المدى موجهة بالاشعة تحت الحمراء من طراز « سايدويندر » الاميركي ، او « شافرير » الاسرائيلي الصنع (الاول اقصى مدى له ١٠ كلم والثاني ٥ كلم) . أما في حالة استخدامها في مهمه قصف ارضي فيمكن لها أن تحمل ٤٩٩٠ كلغ حمولات هجومية (مع وقود داخلي كامل) ، على ٩ نقاط تعليق وهي مزودة بجهاز رادار متطور صالح لمهام الاعتراض والقتال الجوي ضمن مدى قريب في ظروف الرؤية الجوية الحسنة اساسا ، وذلك بالاضافة لصلاحيته في مهام الهجوم الارضي بصورة ثانوية . وله قدرة كشف اهداف جوية ، ضمن رؤيته الامامية ، حتى مسافة ٤٠ كلم ، وقدرة متابعة لها حتى مسافة ٢٠ كلم . كما أن له قدرة رؤية الى اسفل وكشف اهداف تطير على ارتفاع منخفض حتى مسافة ٢٠ كلم ، ومتابعتها حتى مسافة ١٠ كلم .

وقد حلق النموذجان التجريبيان للطائرة المذكورة للمرة الاولى في ١٩٧٤/١/٢٠ ، ثم حلقت ٨ نماذج ما قبل الانتاج في ١٩٧٦/١٢/٨ ، ثم حلق أول نموذج انتاجي كامل في ١٩٧٨/٨/٧ . وسوف يشتري سلاح الجو الاميركي ١٣٨٨ طائرة منها . كما ستصنع منها بترخيص في اوروبا نحو ٣٥٠ طائرة لحساب هولندا وبلجيكا والدانمارك والنرويج . وكان من المفروض أن تشتري ايران ١٦٠ طائرة منها ، بالاضافة الى ٧٥ طائرة مقرر بيعها الى اسرائيل ، التي طلبت في بادىء الامر حوالى ١٥٠ طائرة كصفقة اولى ، على أن يرتفع العدد الى ٢٥٠ ـ ٣٠٠ طائرة فيما بعد وذلك على امل أن توافق الحكومة الاميركية على الترخيص بانتاج

الطائرة ، أو أجزاء رئيسية منها ، في اسرائيل . ولكن الحكومة الاميركية رفضت ، حتى الان الترخيص المذكور ، واعلنت موافقتها على بيع اسرائيل ٧٥ طائرة ، ضمن صفقة الطائرات الثلاثية المعلنة في ١٤/٢/١٩٧٨ . ويعتبر سلاح الجو الاسرائيلي هذه الطائرة طرازا يلائم احتياجاته العملية في الثمانيات ، نظرا لميزاتها القتالية المتعددة (ضمن ظروف الرؤية الحسنة السائدة في منطقة الشرق الاوسط) ، ورخص تكاليفها نسبيا بالقياس الى بقية المقاتلات المتطورة الحديثة ، اذ يتراوح سعرها حتى الان ما بين ٧,٦ و ١٢,٢ مليون دولار (وفقا لنوعية تجهيزها) ، وهو سعر منخفض نسبيا بالقياس لسعر الطائرة « ف ــ ١٥ » التي كلفت اسرائيل ٢٤ مليون دولار للطائرة الواحدة عام ١٩٧٥ (صفقة ضمت ٢٥ طائرة) . كما أن نفقات تشغيلها تعتبر منخفضة نسبيا . وسوف تزود الطائرات « ف ــ ١٦ » الاسرائيلية باجهزة رادار ومعدات الكترونية تصنع في اسرائيل لجعلها قادرة على استخدام صواريخ « شافرير » الاسرائيلية .

اذ تبلغ قوة دفع « الميغ ــ ٢١ » المذكورة ٧٥٠٠ كلغ ضغط (مع الخزان الخلفي) ، ووزنها القتالي (في حالة تزودها بنصف الوقود الداخلي وصاروخين جو ــ جو ، من طراز « ١٠١ ــ ٨ افيد » ، أي في الحالة ذاتها التي حسبت على اساسها نسبة قوة الدفع الى الوزن للطائرة « ف ــ ١٦ ») نحو ٦٧١٠ كلغ (وزن الطائرة فارغة قدر بـ ٥٢٠٠ كلغ ، ونصف كمية الوقود الداخلي ١٢٠٠ كلغ ، والصاروخين ١١٠ كلغ ، والطيار ٢٠٠ كلغ) ، ومن ثم تكون نسبة قوة الدفع الى الوزن نحو ١,١٢ الى ١ (الـ « ف ــ ١٦ » نسبتها ١,٣٢ الى ١) . وسرعتها القصوى ٢٢٢٥ كلم/ساعة على ارتفاع ١١ الف (ف ــ ١٦ سرعتها المماثلة ٢١٥٠ كلم) ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر ١٢٠٠ كلم/ساعة (١٤٥٠ كلم « ف ــ ١٦ ») . ويعطي مدخل الهواء ذو المخروط المتحرك ، الموجود في « الميغ ــ ٢١ » ، ميزة لها بالنسبة لـ « ف ــ ١٦ » في حالة السرعات ١,٨ ــ ١,٩ ماك (وان كان ذلك لا يتحقق اثناء القتال الا لفترات قصيرة) . ومعدل تسلقها ٢١٠ امتار/ثانية (مقابل ٢٧٠ متر/ثانية) ، ونصف قطر دورانها الادنى ٦٠٠ متر (٤٥٠ مترا في الـ « ف ــ ١٦ ») ، وقدرة تحملها للجاذبية ٨ أضعاف جاذبية الارض (مقابل ٩ اضعاف) . والطائرتان على مستوى واحد تقريبا من حيث امكانية كشفهما بالرادار أو بالعين المجردة ، ومن ثم من حيث قابليتهما للاصابة .

و « الميغ ــ ٢١ » مسلحة بمدفع ثنائي الفوهات عيار ٢٣ مم مزود بـ ٢٠٠ طلقة . ورغم أن مدفع الـ « ف ــ ١٦ » اكثر غزارة في الرمي (معدل الرمي النظري ٦٠٠٠ طلقة/دقيقة ، مقابل ٣٠٠٠ طلقة/دقيقة) . اذ يستطيع ان يرمي الـ ٥١٥ طلقة عيار ٢٠ مم في ٥ ثوان تقريبا ، مقابل ٢٠٠ طلقة في ٤ ثوان لمدفع « الميغ ــ ٢١ » عيار ٢٣ مم الا ان الفارق الكبير في وزن قذائف (١١٠ غرام للمدفع ٢٠ مم و١٨٠ مم للمدفع ٢٣ مم) كلا المدفعين يجعل نسبة اوزان القذائف المرمية بالوحدة الزمنية ليست سوى ٦٦ الى ٥٤ لصالح الـ « ف ــ ١٦ » وفي حالة تسلح « الميغ ــ ٢١ » بالصواريخ جو ــ جو الحديثة « أ ــ أ ــ ٨ افيد » (تسلح باربعة صواريخ) فانها تصبح متكافئة في تسليح الـ « ف ــ ١٦ » بصواريخ « سايدوندر ٩ ل » الحديثة ، من حيث قدرة المناورة ومدى الاصابة تقريبا (١٠ كلم بالنسبة للاول و٨ كلم بالنسبة للثاني) . ويبقى الاختلاف الاساسي بين الطائرتين في زيادة قدرة مناورة الـ « ف ــ ١٦ » بالنسبة «للميغ ــ ٢١ ».. ولكن يمكن اجراء تعديل في تصميم جناح « الميغ ــ ٢١ » بحيث يصبح بزاوية ٤٠ درجة تقريبا ، بالاضافة لبعض تعديلات تقنية اخرى ، تؤدي الى زيادة فاعلية « الميغ ــ ٢١ » في المناورة الى حد الـ « ف ــ ١٦ » ، وهو ما يعتقد بعض الخبراء في الغرب انه يجري حاليا في الاتحاد السوفياتي .

ويبلغ المدى القتالي للميغ ــ ٢١ بيس (في حالة التسلح باربعة صواريخ جو ــ جو وحمل خزان وقود اضافي) نحو ٦٥٠ كلم ، مقابل نحو ٦٠٠ كلم للطائرة « ف ــ ١٦ » (وهي مسلحة باربعة صواريخ جو ــ جو ، وخزاني وقود اضافي) وعلى كل حال فان الاسلحة الجوية العربية تواجه مهمة تطوير قدراتها التقنية والتدريبية لمواجهة تحدي كل من الـ « ف ــ ١٥ » والـ « ف ــ ١٦ » في العام ١٩٨٠ .

محمود عزمي

Palestine Affairs

No. 99, February 1980

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

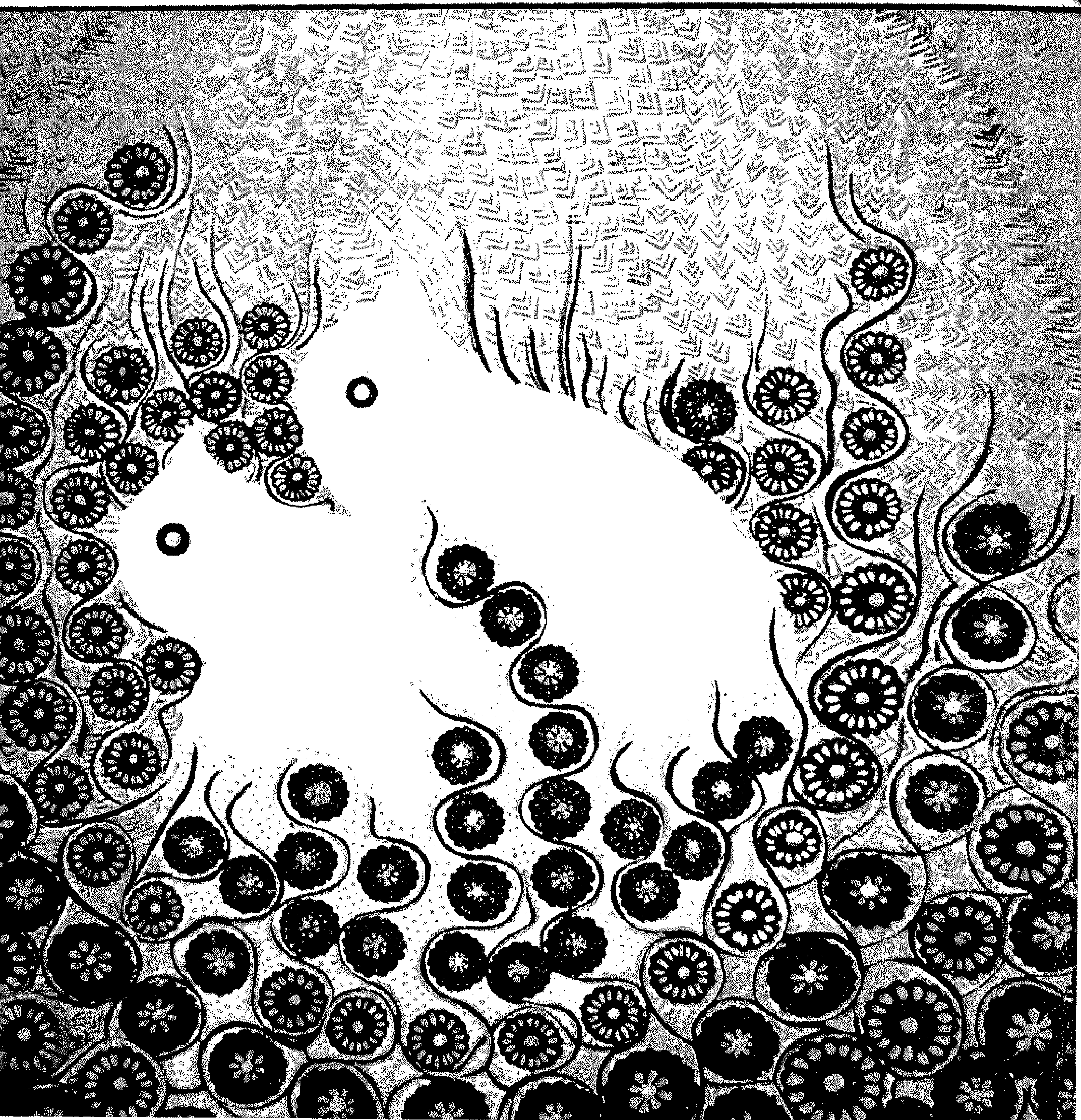
Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

السعر: ٥ ل.ل. في لبنان
٦ ل.س. في سوريا
٦٥٠ فلساً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولة الامارات العربية
٦ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
٧٥٠ درهماً في ج.ع.ل.
٧,٥٠ درهم في المغرب

شؤون فلسطينية

١٠٠

آذار (مارس) ١٩٨٠



شؤون فلسطينية

١٠٠ اذار (مارس) ١٩٨٠

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

المحتويات

لوحة الغلاف من اختيار الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين ، للفنانة **سمية صبيح** .

المدير العام : صبري جريس ❋ رئيس التحرير : محمود درويش

سكرتير التحرير : فيصل حوراني

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني ، (متفرع من السادات) ، رأس بيروت — لبنان ، ص ب ١٦٩١ ، تلفون . التحرير والتوزيع ٢٥١٢٦٠ ، برقيا . مرابحاث ، بيروت

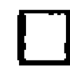
الاشتراك السنوي (بريد جوي) . ٦٠ ل ل في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل ل . في سائر الاقطار العربية ، ١٠٠ ل ل في اوروبا ، ١٢٥ ل ل . في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل . ل . في جميع الدول غير العربية .

شفيق الحوت

بمناسبة العدد المائة من "شؤون فلسطينية"
تهنئة وتحية وتمنيات

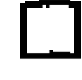
لأن « شؤون فلسطينية » قد استمرت فوصلت عددها المئة ، فانها تستحق التهنئة . وبالطبع فلمركز الابحاث الفلسطيني الذي تصدر عنه التحية . ومن كان مثلي على صلة ، ولو محدودة بـ « شؤون فلسطينية » وشجونها ، وبمركز الابحاث ومعاناته ، يدرك ان هذه التحية وهذه التهنئة يتجاوزان المعنى التقليدي للكلمتين . فالمركز ومجلته يحتلان في الثورة الفلسطينية موقعا استراتيجيا هاما لا يقل في اهميته عن اي موقع سياسي او عسكري فيها . والعاملون في هذا الموقع ، ومن تعاقبوا على العمل فيه من قبل ، كانوا في ميدانهم طلائع وروادا كرفاقهم من الطلائع والرواد في الكفاحين المسلح والسياسي على حد سواء . ولذلك لم يكن غريبا ان تحاول يد العدو الصهيوني الاجرامية ان تنال من مركز الابحاث ومجلته والعاملين فيهما ، فقصفتهم بصواريخها ، وحاولت نسفهم بطرودها الملغومة .



رحم الله الاخ الاستاذ نقولا الدر ، اول مسؤول في منظمة التحرير . على مستوى اللجنة التنفيذية ، عن شؤون الثقافة والاعلام . ومد الله في عمر الاخ الدكتور فايز صايغ ، اول مسؤول وعلى المستوى نفسه ، عن مركز الابحاث الفلسطيني . فلقد تمكن الرجلان ، على ما بينهما من خلاف في الطبع وتباين في اسلوب العمل ، من وضع الاسس الراسخة لمركز الابحاث ونشاطاته المتعددة . كان ذلك في العام ١٩٦٥ ، يوم كانت المكتبة العربية تشكو من فقر مدقع يصل حد العدم في كل ما يتعلق بفلسطين وقضيتها .

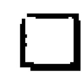
وككل البدايات ، كانت المهمة شاقة ، فالمطلوب كثير والامكانيات قليلة ، والاقلام والالسنة الغوغائية لا ترحم . اذكر يوم افتتح المركز ، ولم يكن فيه سوى بعض المقاعد والرفوف ، من كتب في الصحف ينتقد هذا ، « البذخ والتبذير » على المكاتب والسكرتيرات بدلا من صرف المال على جيش التحرير والسلاح !! يومها علق المرحوم نقولا الدر باسلوبه الداق « الا يعلم هؤلاء انه في البدء كانت الكلمة » . اما فايز صايغ فقال « ماذا كان يمكن لهؤلاء ان

يقولوا لو علموا بالميزانية التي ساقترح على اللجنة التنفيذية رصدها من اجل المركز وبرامجه ؟ » .



بعد الدكتور فايز صايغ ، تسلم شقيقه الاخ الدكتور انيس صايغ ادارة المركز ، فاستمر في تنفيذ مخططات المركز ، ولكن بتواتر اكثر سرعة وبانتاج مكثف . وكانت « شؤون فلسطينية » من طموحاته التي حققها في اذار (مارس) ١٩٧١ ، الذي شهد صدور اول عدد منها .

ولقد استقطبت « شؤون فلسطينية » في طلعتها عددا لا بأس به من الكتاب والباحثين ، منهم من كان معروفا وصاحب تجربة وخبرة ، ومنهم من كانت « شؤون فلسطينية » المدرسة التي تعلم فيها ، وتخرج منها . وللحق ان « شؤون فلسطينية » لم تملأ فراغا ثقافيا في الساحة الفلسطينية فحسب ، وانما كانت قدوة لعدد من الدوريات التي صدرت فيما بعد على نمطها شكلا ومضمونا . باستطاعة المراقب المنصف ان يقول ان صدور « شؤون فلسطينية » شرع ابوابا كانت مقفولة ، او محدودة ، امام « البحث » في الكتابة الدورية ، الذي لم يكن يجد المتسع لنشره وانتشاره في الصحف والمجلات اليومية والاسبوعية . وهذا افسح المجال للكثيرين من اصحاب الكفاءات والمعلومات والدراسات لتطوير امكانياتهم وامتهان الكتابة بتفرغ تام ، دون اي حاجة لعمل اخر يؤمن لهم سبيل عيشهم . ولا شك في ان في ذلك مساهمة كبرى في تطوير حياتنا الثقافية بشكل عام ، والفكرية السياسية بشكل خاص .



منذ ان نشأت « شؤون فلسطينية » والقريبون من مركز الابحاث يتساءلون عن اثر ذلك على باقي النشاطات التي كان المركز يمارسها . هل اعطت « شؤون فلسطينية » المركز ام اخذت منه ، خصوصا ان رئيس تحريرها كان في الوقت ذاته مديرا للمركز ؟

والحقيقة انه من الصعب الرد على هذا التساؤل ، بسبب العلاقة المتداخلة بين اسرتها وبقية العاملين في المركز . فلقد كان باستطاعة المركز ان يفخر بان « الشؤون » هي بعض انتاجه ، كما انه كان ولا يزال باستطاعة بقية العاملين في المركز ان يردوا تقصير المركز في انتاجه ، فيما بعد ، بسبب انصباب الاهتمام على « الشؤون » .

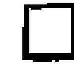
وبعيدا عن هذا الجدل الداخلي ، فان الحقيقة التي لا يمكن تجاهلها ان « شؤون فلسطينية » وصلت ذروة لم تستطع بعدها ان تتجاوز ذاتها لا شكلا ولا مضمونا . وانه لمن حق القارىء بعد ان فرح « بشؤون فلسطينية » لملئها الفراغ ولنوعيتها الجديدة ، ان يطمح بعد سنوات من صدورها بان يراها تنمو وتتطور وتسعى للوصول نحو افاق جديدة ، وعوالم جديدة .

مرت فترة على « شؤون فلسطينية » ، واظنها لا تزال قائمة ، اصبح فيها القارىء قادرا على التنبؤ المسبق عما ستكونه مواضيع عددها المقبل واسماء من يكتبونها .

ولقد كان لاشتراك الاخ الاستاذ محمود درويش في ادارة التحرير (تموز ١٩٧٣) اثره الواضح في تعزيز النكهة الادبية في المجلة . فاصبح للشعر والادب والنقد مكانهم ومكانتهم

فيها ، مما اضاف على المجلة بعدا ثقافيا مطلوبا وجمالية خففت من عبوس البحث والرقم .

ولا شك في ان محمود درويش ، عندما تسلم رئاسة التحرير في ايار (مايو) ١٩٧٧ بعد ان قاد مسيرتها فعليا في السنوات الصعبة اراد احداث تغييرات ، كثيرا ما كان يتحدث عنها قبل تسلم المسؤولية . غير ان الظروف – على ما يبدو – لم تسمح له باحداث المرجو ، خصوصا وانه تحمل كذلك ، في الوقت نفسه ، مهمة ادارة المركز ، مما شتت جهوده بين اكثر من هم واكثر من مهمة ... ولكن تلك قضية اخرى ليس هذا مجالها .



المهم ، هو المستقبل . مستقبل « شؤون فلسطينية » ، فماذا يستطيع المحب لهذه المجلة ، الحريص على استمراريتها ان يقول في هذا المجال ؟

اسمح لنفسي بتسجيل بعض الملاحظات ، من موقعي كقارىء مواظب ، فاقول ، متمنيا :

اولا : ان تهتم « شؤون فلسطينية » باجراء المقابلات السياسية حول القضايا الاستراتيجية المطروحة فلسطينيا وعربيا ، وحتى دوليا ، اذا امكن . فمع الاحترام والتقدير لكل ما يصدر عن المعلقين السياسيين ، من تحليلات وتفسيرات ، فانه لما يهم القارىء ان يسمع مباشرة رأي المسؤولين انفسهم وبالسنتهم . موضوع مثل « الوحدة الوطنية » يستحق ان يسأل فيه جميع قادة الفصائل، وان يناقشوا فيما يقولون . او موضوع مثل « الوحدة القومية » هو الآخر يستحق تسجيلا لرأي القادة القوميين عنه ، وان يناقشوا كذلك .

ان المقابلة السياسية والحوار المباشر مع المسؤولين ليست مرغوبة ومثيرة لدى القارىء وحسب ، وانما هي كذلك نوع من التوثيق المسؤول للمستقبل .

ثانيا : ان تهتم « شؤون فلسطينية » بالدراسات الميدانية لاستكشاف الرأي العام الذي كثيرا ما نجيره – عن غير قصد بالطبع – لصالح هذه الفكرة او تلك ، لهذا المشروع او ذاك . ان مجلة تصدر عن مؤسسة ثورية يجب ان تعكس فعلا اراء الناس العاديين والبسطاء ، ولا يجوز ان تبقى حكرا على النخبة ، او من نظن انهم النخبة . وفي هذا الاطار اتمنى ان أرى « شؤون فلسطينية » اكثر اهتماما بالشؤون الحياتية والمعيشية لجماهير الشعب الفلسطيني . اننا كثيرا ما ننشغل بالعناوين السياسية الكبرى لقضايا عابرة ، ونهمل قضايا « بسيطة » ، ولكنها تشكل عصب القضية الكبرى الحقيقية . قضايا « السفر » و « الاقامة » و « حق العمل » و .. وغير ذلك مما يعانيه شعبنا يوميا من مشاكل وقضايا لم تحل . هذه كلها لا بد من البحث فيها ، واستخراج الارقام والوثائق المتعلقة بها ، وما يجب ان يعمل بصدد حلها ... هذا اذا كان لها من حل . ولا شك في ان القضايا الاجتماعية تستحق كذلك عناية خاصة ، ولا سيما في الساحة اللبنانية وفي اعقاب الحرب المؤلمة التي وقعت .

ثالثا : انا اعرف ان « شؤون فلسطينية » تصدر للخاصة . ولكن اما من سبيل لتعميم انتشارها وذلك بفتح ابواب تثقيفية تحاول رفع مستوى المواطن – القارىء ذي الثقافة المتوسطة ؟ شخصيا اشعر اننا بتنا بحاجة الى قاموس دوري يشرح لنا الكثير مما يتردد على

مسامعنا من مصطلحات ومشروعات وقرارات . بل ان منا من يردد الكثـير من هذه « الغوامض » وهو لا يعرف مضمونها . لماذا لا ننشر مثلا النص الحرفي للقرار ٢٢٢٦ الذي كثيرا ما يردده قادتنا ويعلنون تمسكهم به ؟ لماذا لا نعيد نشر نص قرار التقسيم مثلا ، او القرار الشهير ٢٤٢ ، مع ايضاحات مبسطة عما نقبل به او نرفضه في هذا القرار او ذاك .

رابعا : رغم وعي وادراكي على اهمية المنهجية العلمية في سرد الوقائع والاحداث الشهرية ، داخل الارض المحتلة وخارجها ، الا اني لا استطيع ان اتجاهل بان التوجيه الثوري هو من مهام مجلة « شؤون فلسطينية » . لذلك فان العرض الراهن لا يختلف عنه في اية مجلة دورية اخرى معنية بالشؤون السياسية العامة . لذلك ارى من الضروري ان يتم العرض باسلوب مميز يحاول توعية القارىء على المهم والاهم ، وباسلوب علمي كذلك . وفي هذا الاطار لا اعرف لماذا تعزف « شؤون فلسطينية » هذا العزوف الكلي عن « الصورة » الفوتوغرافية . ان من بعض هذه الصور لقطات في مستوى الوثائق ، واعتقد ان قارىء المستقبل عندما يعود الى « شؤون فلسطينية » قد يتهمها بهذا التقصير . طبعا لا اقصد من كلامي تحويل المجلة الى مجلة مصورة ، ولكن هناك من الصور ما لا بد من تسجيله . وان تعذر ذلك ، فعلى الاقل ، لنر على الغلاف غير هذا الذي نراه ، ويبدو احيانا انه اختير لانه البديل الاوحد عن لا شيء .

خامسا : واتمنى اخيرا ان ارى « شؤون فلسطينية » ، اكثر حرصا على استكتاب اكبر عدد من الكتاب العرب ، وليس فقط عن قضية فلسطين ، وانما عن اية قضية عربية ذات اهمية قومية . احيانا ينتابني الشعور باننا بتنا « اسارى » القضية الفلسطينية ، مع انها اكثر قضايا العالم ارتباطا بقضايا الاخرين .



وبعد .. فلقد قلت من البداية ان تهنئتي « لشؤون فلسطينية » بمناسبة صدور عددها المئة ، وتحيتي لمركز الابحاث الذي تصدر عنه ، ليسا من النوع التقليدي . ولذلك كان هذا النقد المحب وهذه التمنيات التي ليست سوى خواطر عابرة ، وحرصت ان تبقى كذلك بعيدا عن اسلوب ، البحث التقليدي ... ففي المجلة من هذا ما يكفيها .

مع تمنياتي لاسرة « شؤون فلسطينية » بتحقيق ما تصبو اليه من تقدم .

روز مصلح

الصناعة في الضفة الغربية
التبادل التجاري والانتاج والتسويق
١٩٤٧ ـ ١٩٧٩

الصادرات والواردات من المنتوجات الصناعية

جرى تحول واضح في الميزان التجاري للضفة الغربية مع الاردن،فبعد عجز استمر طيلة فترة الالحاق الهاشمي بلغ في سنة ١٩٦٦ حوالى ٢٠ مليون دينار أردني[١]،حصل فائض تجاري ، عائد أساساً الى الوضع الجديد الذي خلقه الاحتلال . حيث أصبحت صادرات الضفة الغربية الى الأردن تعادل اضعاف وارداتها . واصبح العجز الجديد في الميزان التجاري للضفة الغربية مع اسرائيل والدول الاجنبية . ويشير الجدول رقم ١ الى أن اسرائيل تحتل المرتبة الأولى في تجارة الضفة الغربية . أما الاردن فيحتل المرتبة الثانية من حيث الصادرات ، تليه الدول الاجنبية والتي بدورها تسبق الاردن من حيث الواردات .

الجدول رقم ١

الصادرات والواردات والميزان التجاري للمنتوجات الصناعية
للضفة الغربية للسنوات ١٩٧٢ ـ ١٩٧٨[٢](بملايين الليرات الاسرائيلية)

	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
الصادرات(المجموع)	٢١٦,٤	٢٤٢,٦	٤٠٩,٦	٦٩٠,٥	٩٨٦,٤	١,٢٥٠,٩	٢,٥٦٥,٦
اسرائيل (المجموع)	١٠٧,٣	١٧٤,٧	٢٨٧,٣	٤٤٢,٢	٦١٦,٦	٧٧٧,٤	١,٤٥٧,٢
صناعة	٩٢,٩	١٢٩,١	٢٣٢,٤	٢٧٥,٩	٥٠٩,٠	٦١٠,٧	—
الأردن (المجموع)	١٠٧,٣	٦٦,٢	١١٩,٥	٢٢٠,٦	٣٤٢,٨	٤٦٢,٧	١,٠٨٥,٠
صناعة	٤٥,٧	٢٥,٤	٣٤,٥	١٤٩,٩	٢٤٤,٥	٢٣٨,٧	٦٤٢,٤
دول اخرى(المجموع)	١,٨	١,٧	٢,٨	٢٧,٧	٢٧,٠	١٠,٨	٢٣,٤
صناعة	١,٨	١,٧	٢,٨	٩,١	٨,٢	١٠,٨	٢٣,٤
الواردات	٤١٣,٥	٥٤٢,٥	٨٨١,٨	١,٤٦٣,٤	١,٩٧٠,٦	٢,٧٤٢,٨	٤,٢٥٠,٢

اسرائيل (المجموع)	٣٤١,١	٤٨٣,٥	٧٩٠,٠	١,٢٩٧,٣	١,٧٦٦,٩	٢,٤٥٩,١	٣,٧٥٧,٢
صناعة	٢٨٤,٩	٣٩٩,٥	٦٦٤,١	١,٩٢,٢	١.٤٧٦,١	٢,٠٢٧,٩	—
الأردن (المجموع)	١٨,٩	١٦,٥	٢١,٣	٣١,٤	٢٩.٩	٤٨,٧	٨٧,٥
صناعة	١٥,٠	١٢,٦	١٧,٩	٣٠,٥	٢٨,٤	٤٥,٨	٨٢,٠
دول اخرى المجموع	٥٣,٥	٤٢,٥	٧٠,٥	١٣٤,٧	١٢٧,٨	٢٣٥,٠	٥٠٥,٥
صناعة	٤٠,٩	٣٤,٣	٥٧,٣	٨٥,٦	١٠٢,٦	١٠٢,٣	٤٨١,٤
فائض الصادرات عن الواردات(المجموع)	١٩٧,١	٢٩٩,٩	٤٧٢,٢	٧٧٢,٩	٩٨٤,٢	١,٥٥٨,٩	١,٧٨٤,٦
اسرائيل	٢٣٣,٨	٣٠٨,٨	٥٠٢,٧	٨٥٥,١	١,١٥٠,٣	١,٧٤٨,٧	٢,٣٠٠,٠
الأردن	- ٨٨,٤	- ٤٩,٧	- ٩٨,٢	- ١٨٩,٢	- ٣١٢,٩	- ٤١٤,٠	- ٩٩٧,٥
دول اخرى	٥١,٧	٤٠,٨	٦٧٧,١	١٠٧,٥	١٤٦,٨	٢٢٤,٢	٤٨٢,١

وتترافق الزيادة في الواردات من اسرائيل بنقص في قيمة المستوردات من الأردن . فبعد ان كانت نسبة ما تستورده الضفة الغربية من إسرائيل ٨٢٪ من مجموع الواردات في سنة ١٩٧٢ ، اصبحت في سنة ١٩٧٧ تعادل ٩٠٪ منها . وفي سنة ١٩٧٨ انخفضت الى ٨٦٪. بينما بلغت نسبة ما يستورد من الأردن في سنة ١٩٧٢ حوالى ٤٪ انخفضت في سنة ١٩٧٥ الى ٢٪ وفي سنة ١٩٧٨ الى ١,٦٪ .

وقد ارتفعت نسبة الصادرات الى إسرائيل خاصة في الفترات التي وضعت فيها العراقيل أمام صادرات الضفة الغربية للأردن . فبعد ان كانت في سنة ١٩٧٢ تعادل ٤٩٪ من مجموع الصادرات ، ارتفعت في سنة ١٩٧٥ الى ٦٤٪ لكنها انخفضت في سنة ١٩٧٨ ، الى ٥٦٪ ، وقد حافظت نسبة الصادرات للأردن على انخفاضها كما كان الحال قبل الاحتلال حيث لم تزد نسبة الصادرات عن ٥٠٪ من مجمل صادراتها في سنة ١٩٦٦[٣] . وقد أصبحت في سنة ١٩٧٢ تعادل ٤٩٪، وفي سنة ١٩٧٥ انخفضت الى ٣٢٪ ، لكنها ما لبثت ان ارتفعت قليلا في العام ١٩٧٨ الى ٤٠٪ من مجموع الصادرات . وهذا الانخفاض عائد الى أن الأردن لا يسمح إلا باستيراد ما يحتاجه من منتوجات . وعـادة فهذه زراعية ، حيـث بلغت نسبتها في سنـة ١٩٦٦ ٨٠٪ من مجمل صادرات الضفة الغربية الى الأردن[٤] أما المنتوجات الصناعية فشكلت ٩٣٪ من واردات الضفة الغربية من الضفة الشرقية في ذلك العام بينما لم تشكل المنتوجات الصناعية سوى ٢٥٪ من صادرات الضفة الغربية للشرقية .

وقد ظلت المنتوجات الصناعية هي الغالبة على الاستيراد من الأردن ، وبلغت قيمتها ٧٩٪ من مجموع الواردات في سنة ١٩٧٢ كما يبين الجدول رقم ١ . وارتفعت هذه النسبة بوضوح في سنة ١٩٧٥ ، اذ بلغت ٩٧٪ من مجموع الواردات ، لكنها ما لبثت ان انخفضت قليلا في سنة ١٩٧٨ الى ٩٤٪. كما انه في العام ١٩٧٢ ، اصبحت قيمة الصادرات من الضفة الغربية الى الأردن تعادل ٣ أضعاف ما يستورد منه ، خاصة من المنتوجات الصناعية وفي سنة ١٩٧٥ ، اصبحت قيمة الصادرات من المنتوجات الصناعية تعادل حوالى خمسة أضعاف المستوردات ، وزادت عن ذلك في سنة ١٩٧٨ . ويبين الجدول رقم ٢ أهم المستوردات الصناعية من الأردن وتطورها . ومن الواضح ان قيمة ما يستورد يقل عاما بعد عام ، وذلك لأن الضفة الغربية لم تعتمد في السابق على الأردن الا في جزء محدود من مستورداتها ففي سنة ١٩٦٦ ، كانت قيمة ما يستورد من الأردن لا تتجاوز ٤ ملايين دينار أردني من مجموع قيمة وارداتها البالغة ٢٤ مليون

دينار . بالاضافة الى توفر امكانية استيراد مواد مماثلة من اسرائيل أو غيرها بتكلفة أقل . ولذلك فمن المتوقع أن يقتصر الاستيراد من الأردن على المواد التي تضطر اليها المصانع العربية من أجل السماح لها بالتصدير ويتبين ذلك من مقارنة الجدولين ٢ و٣.فهناك نقص في استيراد المواد الغذائية من الأردن مقابل ارتفاع فيما يستورد عبر اسرائيل . كما بلغ استيراد الضفة الغربية في سنة ١٩٧٨ من البلاستيك ٦٠٩الاف ليرة اسرائيلية من الاردن بمقابل اكثر من ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية عبر اسرائيل . وفي الوقت الذي بلغت فيه قيمة ما يستورد من الحديد والفولاذ ٢,١٢٧ مليون ليرة اسرائيلية من الأردن في العام ١٩٧٨ ، كان ما يستورد عبر اسرائيل اكثر من ٥٠ مليون ليرة . ويظهر الفرق واضحا في استيراد المعدات والأجهزة ، ففي الوقت الذي لا يزيد ما يستورد من الأردن عن ٧٢٧ الف ليرة اسرائيلية ، يزيد ما يستورد عبر اسرائيل عن ٨٤ مليون ليرة اسرائيلية في العام ١٩٧٨

الجدور رقم (٢)
المستوردات من المنتوجات الصناعية من الأردن
للسنوات ١٩٧٣ ــ ١٩٧٨(٥)
بالاف الليرات الاسرائيلية

	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥	١٩٧٦	١٩٧٧	١٩٧٨
منتجات البان	٢٧٠	١,١٢٢	١,٢٢٩	١,٦٧٦	١,٥٩٤	٢,٢٠١
زجاج	٢٢٤	٢٢٥	٦٤٣	١٧٦	١١١	٥٠
زيوت	٢,٩٧٧	٤,٦٦١	١٤,٤٠٦	١٧,٣١٢	٢٢,٦٢٢	٦٠,١٩٦
بلاستيك	٥٨٨	٢٢٥	٢٦٠	١,٢٨٤	٨٨٥	٦٠٩
قش	٥٢٨	٤٢٥	٧٤٤	٦٥٣	١,٠٥٠	ـ
ورق ومواد طباعة	٢٢٤	٤٠٥	٥٠٠	٦١٩	٢,٨٧٠	٤,١٢٢
اقمشة	١,١٢١	١,٧٦٥	٤,٢٢٠	٢,٩٢٢	٩,٩٦٤	٩,٣٤٧
حديد وفولاذ	٥٦٠	٩٥٠	١,٤٥٦	١,٣٥٢	٤,٣٧٤	٢,١٢٧
ادوات رياضية والعاب	١٠٦	١٠٠	١٢٦	١٩٠	٤٢	ـ
ادوات ومعدات	٢٢٧	٣١٩	٢٩١	٢٠٤	٢٨٢	٧٢٧
اشياء احرى	٤,٥١٦	٧,٨٠٨	٧,٠٦٤	١,٤٨٣	١,٩٤٥	١,٦٢٥
مجموع	١٢,٦٢١	١٨,١٠٦	٣١,٢٥٩	٢٨,٨٧١	٤٥,٨٤١	٨٢,٠٢٥

الجدول رقم ٣
واردات الضفة الغربية من السلع الرئيسية
من الخارج عبر اسرائيل للعام ١٩٧٨(٦)
(بالالف ليرة اسرائيلية)

السلعة	قيمة الاستيراد	السلعة	قيمة الاستيراد
مواد غذائية ودخان ومشروبات وزيوت	١١٩,٤٦٧	مواد كيماوية	١٥,٩٤٥
بلاستيك ومطاط	١٠,١٩١	جلود	٢٢٣
خشب	٦,٧٥٣	ورق	٨,٥٤٩
اقمشة	١٣,٢٨٦	معدات	٨٤,٥٨٨
حديد	٥٠,٦٦١		

وتشكل المنتوجات الصناعية المصدرة للدول الاخرى عدا اسرائيل والاردن ، مجمل صادرات الضفة الغربية اليها ، باستثناء سنتي ١٩٧٥ و١٩٧٦ ، حيث تم تصدير نسبة عالية من المنتوجات الزراعية كما يبين الجدول رقم ١ ، وذلك عائد الى عدم تصدير جزء كبير من هذه المنتوجات للأردن حيث تقل نسبتها في السنتين المذكورتين .

وتعتبر صناعة الخشب والصدف الزخرفية من اهم صادرات الضفة الغربية لاوروبا والولايات المتحدة .

أما المنتوجات الصناعية المستوردة من الدول الاجنبية عن طريق اسرائيل فتشكل نسبة عالية من الواردات وتزيد عن ثلاثة اضعاف ما يستورد من هذه المنتوجات عن طريق الأردن . مما يدل على ان الاستيراد عبر الجسور تقل فعاليته وتأثيره في صناعة الضفة الغربية .

الانتاج والتسويق

يتوجه معظم الناتج الصناعي في الضفة الغربية للاستهلاك المحلي . فلا يزيد ما يصدر عن ١٠٪من هذا الناتج(٧) . وتبلغ نسبة ما يصدر لاسرائيل حوالى ٧١٪ من قيمة الصادرات الصناعية، اي حوالى ٣ أضعاف ما يصدر للاردن ، وهو ٢٧,٦٪ بينما لا يتجاوز ما يصدر للخارج عن ١,٤٪ كما يشير الجدول رقم ١ .

وتشكل منتوجات الخشب الزخرفية ، اهم صادرات الضفة الغربية للأردن ، يليها في الاهمية ، زيت الزيتون والسمنة والجبنة ، والصابون وحجارة البناء ، والرخام ، والزيتون والبلاستيك ، كما يبين الجدول رقم ٤ . وتعتبر هذه المنتوجات من اقل الصناعات تضررا بوجود الاحتلال . وذلك لعدم وجود منافسة اسرائيلية لها بالاضافة الى استمرار تصديرها للاردن ، فقد ارتفعت قيمة الصادرات من الحجارة بشكل واضح . فبعد ان كانت في سنة ١٩٧٢ حوالى ٥٨٥ الف ليرة اسرائيلية ، اصبحت في سنة ١٩٧٥ ، حوالى ٨ ملايين ليرة اسرائيلية . وفي سنة ١٩٧٨ ، زادت عن ٤٥ مليون ليرة اسرائيلية(٨) . كما حافظت المنتوجات الزراعية على نسبتها من الصادرات ، وذلك بسبب حاجة الأردن لها ، خاصة الصابون ، الذي تستهلك معظم انتاجه ، كما يغطي مصنع شركة الزيوت النباتية استهلاك الأردن كاملا من السمنة . وذلك لمساهمة الحكومة في هذه الشركة(٩).

الجدول رقم ٤

المنتوجات الصناعية المصدرة للأردن للعام ١٩٧٨(١٠)

المنتوجات الصناعية	القيمة بالالـف لـيرة اسرائيلية	الكمية بالطن
منتوجات الخشب الزخرفية	٦٤٣,٣٥٧	—
منتوجات السيراميك الزخرفية	٨٩	—
منتوجات الصدف الزخرفية	١,١٣٢	١٦٥
جبنة	٣٦,٩٢٣	٧٠٦
سمنة	١٧١,٨٧٣	٨,٨٢٣
عسل	٩٠٣	٢٣
زعتر	٩	٥
زيت زيتون	٢٠٩,٨١٨	٤,٥٨٦
سمن حيواني	١,٤٢١	١٥٢
شوكولاته	١٠,٨٨٠	٢٥٥
بسكوت	٤,٢٦٩	—
زيتون	٣٠,٩١٧	١,٦٠٩
رب البندورة	٩٠١	٨٢
نبيذ	١,٣١٠	—
عرق	٥٦	—
رخام	٢١,٨٤٨	١٧,٦٨٣
صابون	٦٧,٩١٠	٣,٣٦٠
منتجات بلاستيكية	١٦,٢٥١	—
منتجات خشبية	١٠٥	—
حجارة بناء	٤٥,٠٦٠	٦٤,٨٩٣
علب فارغة	٣,٤٢٨	—

وقد حصل تراجع في بعض المنتجات التي كانت تصدر للأردن نتيجة للشروط التي تفرضها السلطات الأردنية والسلطات الاسرائيلية . فمثلا تراجعت صادرات الضفة الغربية من القبانات والموازين بسبب اشتراط اسرائيل ان لا يزيد سمك الحديد المستورد عبر الاردن عن ٣ ملم ، وهذا لا يتناسب مع حاجة هذه الصناعة ، الامر الذي يستدعي الاستيراد عن طريق اسرائيل ، لكن اشتراط الاردن استيراد المادة الخام عبرها ، مقابل السماح بتصديرها ، يقلل من نسبة الصادرات . وهذا الانخفاض يظهر لدى مقارنة الجدولين ٤ و٥ ، فبعد ان حصلت صناعة القبانات في الخليل في سنة ١٩٧٠ على حوافز مالية مقدارها ١,٢٥٧ لـيرة اسرائيلية(١١) ، لم تذكر على الاطلاق في الجدول رقم ٤ ، ضمن المنتوجات المصدرة للاردن كما تشير المقارنة الى انه حصل نقص في تصدير المشروبات الروحيه، فبعد ان كانت قيمة الحوافز المدفوعة في سنة ١٩٧٠ للعرق ٤٧,٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، أصبح ما يصدر منه في سنة ١٩٧٨ لا يتجاوز ٥٦,٠٠٠ ليرة إسرائيلية ، مع العلم بأن الليرة قد انخفضت بمعدل ٣٠٪ سنويا ، خلال الفترة ما بين ١٩٧٠ و١٩٧٨ .

الجدول رقم ٥
الحوافز المالية المدفوعة للمنتوجات الصناعية المصدرة للأردن في سنة ١٩٧٠(١٢)

المنطقة	نوع المنتجات	الكمية المدفوعة (ليرة اسرائيلية)
بيت لحم	مواد بلاستيكية	١٨٧,٠٠٠
	منتجات تجميل	١٧٠,٠٠٠
	مشروبات روحية	٦,٠٠٠
رام الله	ورق	١١,٠٠٠
	شوكولاته	٢١٠,٠٠٠
	صابون	٥٢,٠٠٠
	عرق	٤٧,٠٠٠
	تنباك	ـ
الخليل	منسوجات	ـ
	قبانات	١,٢٥٧
	ليف معدني	١,٨٨٧
نابلس	زيوت ودهون	١,١٩٤,٠٠٠
	كبريت	١٧٧,٠٠٠
	زيوت	١١,٠٠٠
	صابون	١,١٤٦,٠٠٠
مجموع		**٣,٢١٥,٢٤٤**

ويشير الجدول رقم ٤ إلى توقف تصدير الكبريت الى الأردن ، وهذا عائد الى اقفال المصنع ، بسبب المنافسة الاسرائيلية ، رغم أن الحوافز المالية التي قدمت لتصدير الكبريت بلغت ١٧٧,٠٠٠ ليرة اسرائيلية ، كما يبين الجدول رقم ٥ في العام ١٩٧٠ .

ويبين الجدول رقم ٦ أهم المصانع التي ما زالت تصدر للأردن في العام ١٩٧٩ . وهي قليلة وتقتصر كما بينا سابقا على صناعات محددة . ولا يسمح الأردن بدخول معظم منتوجات المصانع التي انشئت بعد الاحتلال . وحتى المصانع القديمة والتي كانت تصدر باستمرار للضفة الشرقية قبل الاحتلال ، لا يسمح لها الا بتصدير الأنواع التي كانت تصدر قبل سنة ١٩٦٧ ، كما هو الحال في مصنع السلفانا للشوكولاته في رام الله(١٣) . رغم أن جزءاً من صادرات هذا المصنع كان يذهب الى دول الخليج . كما ان معظم صناعات الضفة الغربية تعتمد على مواد مستوردة عن طريق اسرائيل . وهذا يؤدي الى خفض الانتاج . فمثلا كان انتاج مصنع تعليب البندورة في شركة الصناعات الزراعية بالخليل يصل الى ١٠٠٠ طن سنويا قبل

سنة ١٩٦٧ ، انخفض في سنة ١٩٧٩ الى ٢٠٠ طن فقط(١٤) . وكان تصديره لا يقتصر على الأردن انما يتعداه للسعودية ودول الخليج . أما الآن فلا يصدر سوى لعمان . وتستعمل حجة اثبات المنشأ من قبل السلطات الأردنية لمنع تسويق كثير من السلع التي تنتجها الضفة الغربية والمتوفرة في الأردن ، وهذا استمرار لسياستها السابقة في اضعاف الصناعة وعرقلة تطورها .

وتتأثر المصانع الجديدة بشكل خاص من هذه السياسة . فشروط التصدير لهذه المصانع يتطلب الحصول على رخصة أردنية وهذه تفترض ان يكون رأسمال المصنع عربيا وأن لا يحصل على قروض من اسرائيل ، وان يكون جميع عماله من العرب ، وأن يستورد مواده الخام عن طريق الأردن ، وهذا الشرط الأخير يدفع المصانع الجديدة والقديمة نحو الارتباط بالشركات الاسرائيلية .

ومن الجدير بالذكر أن المصانع القليلة التي ما زالت تصدر للأردن يذهب بعض ناتجها الى الدول العربية-فمثلا تستهلك الكويت والسعودية حوالى ٤٠٪ من انتاج مصنع الالكترود (١٥) ويستهلك الأردن ٢٠٪ فقط .

الجدول رقم ٦

تسويق الانتاج الصناعي حسب الفروع المختلفه لاهم مصانع الضفه الغربيه للعام ١٩٧٩

الفرع الصناعي	المؤسسة	حجم الانتاج	التسويق			
			الضفة الغربية	غزة	اسرائيل	الأردن
الصناعات الغذائية	مصنع البندورة / الخليل	٢٠٠ طن سنويا	٤٠	—	—	٦٠
	مصنع الزيوت / الخليل	٢٠ طن سنويا	١٠٠	—	—	—
	مصنع الزيوت النباتية	١٨,٠٠٠ طن سنويا	٢٠	—	—	٨٠
	مصنع الجبشة	١ طن يوميا	٨٠	٢٠	—	—
	مصنع سلفانا	٧ طن يوميا	٥٠	١٠	—	٤٠
	مصنع الاصدقاء	٢ طن يوميا	٩٠	—	١٠	—
	مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	½ طن يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	شركة معكرونة الغزال	٤ طن يوميا	٤٥	٥	٥٠	
	الشركة الوطنية للمواد الغذائية	١,٢ طن يوميا	٧٠	٢٥	٥	—
	مصنع استافرو مسعد	١ طن يوميا	١٠٠	—	—	—
التبغ	شركة سجائر القدس	٣,٠٠٠,٠٠٠ علبة شهريا	٥٠	٢٥	١٥	—

	شركة السجائر العالمية	٥٠,٠٠٠ علبه شهريا	٨٠	٢٠	—	—
النسيج والخياطة	شركة ستقرط للنسيج	١٣,٠٠٠م يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	مصنع الاقصى	١٠,٠٠٠م يوميا	٤٠	٦٠	—	—
	شركة مصانع العشي	١٠,٠٠٠م يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	مصنع ادعيبس	٢٥٠ م يوميا	١٠٠	—	—	—
	شركة أو بي جي	٧٢,٠٠٠ قطعة شهريا	٣٠	٢٠	٥٠	—
	شركة النسيج الوطنية	٦٦,٠٠٠ قطعة شهريا	٦٠	٣٠	١٠	—
	مصنع اصواف وخياطة قمصية	٧,٥٠٠ قطعة شهريا	—	—	١٠٠	—
المنتجات الكيماوية (الادوية)	شركة بيرزيت	٨٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—
	مصنع شركة فلسطين	٧٢,٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	الشركة الشرقية الكيماوية	١٥,٠٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	شركة بلسم	٦٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—
	شركة جاما للمواد الكيماوية	٥٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٩٠	١٠	—	—
	شركة القدس للمستحضرات الطبية	٦٠,٠٠٠ قطعة شهريا	٨٠	٢٠	—	—
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	٣,٠٠٠ قطعة شهريا	٨٠	٢٠	٢٠	—
الأعلاف	شركة فلسطين للاعلاف	٢٠ طن يوميا	٦٠	٤٠	—	—
	الشركة الوطنية للاعلاف	٢٠ طن يوميا	١٠٠	—	—	—
	الشركة العربية للأعلاف	٢٠ طن يوميا	١٠٠	—		—
دهان	مصنع دهان يونفرسال	٥ طن يوميا	٨٥	١٥		—
البلاستيك	مصنع شركة البلاستيك الاردنية	٤ طن يوميا	٤٥	١٥	٢٥	١٥

الاسفنج	مصنع شركة رباح	٢ طن يوميا	٨٠	—	٢٠	—
الصابون السائل	مصنع شركة الصناعات العربية	٨ طن يوميا	٧٥	٢٥	—	—
	شركة المنتوجات الكيماوية	٢ طن يوميا	٦٠	—	٤٠	—
الصابون درجة اولى أبيض	صابون النعامة (المصري)	٧٠ طن شهريا	٥	—	—	٩٥
	صابون الجمل (الشكعة)	٧٠ طن يوميا	٣٥	—		٦٥
	صابون المفتاحين (طوقان)	٧٠ طن شهريا	٢٠	—	—	٨٠
الصابون درجة أولى أخضر	شركة يحيى سلهب	٢٥ طن شهريا	—	—		١٠٠
	شركة قطاير	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة رنتيسي اخوان	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة حسني عبد الحق	٢٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثانية ابيض	الحاج ماجد النابلسي	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عمر ورشدي العالول	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثانية أخضر	حمدي كنعان	٥ طن شهريا	١٠٠	—	—	—
	انور كنعان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	سعيد كنعان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شركة السختيان	٥ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
الصابون درجة ثالثة ابيض	عزمي عبد المجيد	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	محمد حسني رضوان	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عثمان اطبيلة	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	شفيق أبو زهر	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
	عباس النابلسي	١٠ طن شهريا	—	—	—	١٠٠
المنتوجات غير المعدنية (الخزف)	مصنع فاخوري للفخار والخزف	٦٠ قطعة يوميا	٥٠	—	٤٦	١
المنتجات المعدنيه	مصنع سلك الجلي / الخليل	٣ طن يوميا	٧٠	٢٠	١٠	—

	مصنع الالكترود	٨ طن يوميا [١٦]	١٠	١٠	٢٠	٦٠
	مصنع الزغل/ الخليل	—	١٠	—	٩٠	—
	مصنع نيروخ للقبانات	٣٠ طن شهريا	٥٠	٢٥	٢٥	—
	شركة مصانع التنك/ نابلس	٥٠٠٠ تنكة شهريا	٧٠	—	—	٣٠
	الشركة الصناعية الزراعية التجارية / جنين	٢٠٠٠طن شهريا	٥٠	١٠	٤٠	—
	مصنع انتاج القطع المعدنية	٤ طن شهريا[١٧]	٨٠	—	١٠	١٠
	مصنع أبو عيطة للفلورسنت	٦٠٠٠ قطعة شهريا	٧٥	٢٥	—	—

ولا تسمح السلطات الاردنية بدخول معظم المنتوجات الكيماوية ، وهذا استمرار لسياستها السابقة ، حيث لم تنشىء اية مصانع للأدوية في الضفة الغربية قبل الاحتلال . ولا يصدر للأردن إلا البلاستيك والاسفنج ، باعتبار أنهما كانــا يصدران في السابق.وتمنع اسرائيل استيراد المواد الكيماوية عبر الجسور ، مما يعطي مبررا للسلطات الاردنية لعدم السماح لمنتوجات الضفة الغربية المصنعة من هذه المواد بالدخول ، ضمن شروطها التي ورد ذكرها .

وقد تعثر انتاج شركة البلاستيك الاردنية من البلاستيك والاسفنج بسبب تكلفة الاستيراد عن طريق الأردن ، مما أدى الى عدم القدرة على منافسة مصانع الدول العربية ، خاصة وأن تسويق الانتاج يعتمد على الدول العربية . ولذلك انخفض الانتاج من ١٥ طن يوميا الى النصف[١٨] . كما انخفض مجموع ما يصدر للأردن والسعودية وسوريا والخليج واليمن الى ١٥٪ منذ سنة ١٩٧٢ بعد ان كان سنة ١٩٦٧ يعادل ٦٠٪ من الانتاج .

وهناك نوع من التخصص في إنتاج مدن الضفة الغربية للمنتوجات المصدرة للأردن كما يبين الجدول رقم ٧ ، حيث تشتهر الخليل بتعليب البندورة ، ومنطقة بيت لحم بالصدف والمنتوجات البلاستيكية ، ونابلس بالصابون وزيت الزيتون ، وعلب التنك ، ورام الله بالشوكولاته والبسكوت ، والخليل وجنين بالحجارة .

ولا تستطيع مصانع النسيج التصدير للأردن لان ذلك يتطلب استيراد الخيط عبر الجسور مما يعرضها للتلف خاصة وان السلطات الاسرائيلية تشترط ان تكون بشكل شلل يمكن

الجدول رقم ٧
اهم المنتوجات الصناعية المصدرة للأردن من الضفة الغربية ونسبتها حسب المناطق في سنة ١٩٧٨(١٩)

السلعة	جنين	نابلس	طولكرم	رام الله	اريحا	بيت لحم	الخليل	غزة	سنوي	بالألف ليرة
رب البندورة	–	–	–	–	–	–	١٠٠,٠	–	١٠٠	٩٠١
صدف	–	٠,٥	–	–	–	٨٣,٠	١٦,٥	–	١٠٠	١٢,١٠٨
زيت الزيتون	٦,٦	٥٩,٦	٢٠,٣	١٣,٥	–	–	–	–	١٠٠	٢٠٩,٨١٨
سمنة	–	٩٩,٣	–	٠,٤	–	–	–	٠,٣	١٠٠	١٧١,٨٧٢
جبنة	١٠,٠	٨٤,١	٥,٩	–	–	–	–	–	١٠٠	٣٦,٩٢٢
شوكولاته	–	–	–	٩٢,٠	–	٨,٠	–	–	١٠٠	١٠,٨٨٠
بسكوت	–	–	–	٩٥,٣	–	٤,٧	–	–	١٠٠	٤,٢٦٩
صابون	–	٩٩,٦	–	–	–	–	–	٠,٤	١٠٠	٦٧,٩١٠
كبريت	–	–	–	–	–	–	–	–	–	–
منتوجات بلاستيكية	–	–	–	٠,٥	١,٣	٩٧,٣	٠,٥	٠,٤	١٠٠	١٦,٢٥١
حجارة	٥٨,٥	١١,٠	١,٢	٠,٥	٠,٥	٩,٣	١٩,٠	–	١٠٠	٤٥,٠٦٠
علب تنك	–	١٠٠,٠	–	–	–	–	–	–	١٠٠	٣,٤٢٨

تفتيشها ، ولذلك فقد اصبحت اسرائيل افضل مكان لتسويق مثل هذه المنتوجات . وتعمل بعض المصانع بكامل طاقتها الانتاجية لتلبية طلبات هذه الشركات .

أما الصناعات الغذائية ، فان نسبة ما يصدر لاسرائيل منها قليلة ، باستثناء شركة معكرونة الغزال التي تسوق ٥٠٪ من منتوجها في اسرائيل ، ويقتصر على صنف واحد لا تنتجه المصانع الاسرائيلية(٢٠) .

ومن الملاحظ ان معظم المصانع العربية التي تسوق جزءا من منتوجها في اسرائيل كما يبين الجدول رقم ٦ يذهب في معظمه الى الجليل ، عن طريق وكلاء عرب.

ومن الواضح من الجدول ، ان المنتوجات الكيماوية لا تلاقي رواجا في اسرائيل باستثناء صناعة البلاستيك والاسفنج والصابون السائل . فالادوية تستهلك جميعا في الضفة الغربية وقطاع غزة ، اما الاعلاف ، رغم وجود ستة مصانع في الضفة الغربية ، فانها تستهلك غالبا محليا .

وتعتبر المنتوجات المعدنية المصنعة في الضفة الغربية من الصناعات المطلوبة في اسرائيل ، نظرا لمتانتها وجودتها ، وأسعارها المعتدلة . فيصدر حوالى ٩٠٪ من انتاج مصنع الزغل في الخليل ، لاسرائيل ، بالاضافة الى تسويق معظم هذه المصانع في هذا الفرع جزء من انتاجها في اسرائيل .

ويبين الجدول رقـم ٦ ان قطاع غزة يستهلك جزءا لا بأس به من معظم منتوجات الضفة الغربية ، خاصة النسيج والملابس والأدوية والانتاج المعدني ، والدخان ، وتتوفر في قطاع غزة مصانع تنتج سلعاً مماثلة لما هو قائم في الضفة الغربية ، مثل السمنة ، والاعلاف ، وسلك الجلي ، والبلاستيك(٢١) ، مما يجعل سوق القطاع ضيق أمام مثل هذه المنتوجات .

وتتنافس المصانع العربية فيما بينها على سوق الضفة الغربية وقطاع غزة . ويبين الجدول رقـم ٦ مصانع تنتج سلعاً مماثلة في الفروع المختلفة . فمثلا ، تنتج مصانع الأدوية انواعاً متماثلة ، ويسوق الناتج لمعظم المصانع بنسبة ٨٠٪ في الضفة و٢٠٪ في القطاع . ويغطي مصنع شركة بلسم للأدوية حوالى ٣٠٪ من مبيعات المصانع العربية ، يليه مصنع شركة القدس للمستحضرات الطبية الذي يغطي ٢٠٪ ويعتبر هذا المصنع بالاضافة الى مصنع فلسطين للأدوية وشركة المصنع الكيماوي ومصنع بيرزيت من اهم مصانع الأدوية في الضفة الغربية(٢٢) . وتتم بعض المحاولات للتنسيق بين هذه المصانع ، ولكن حتى الان ظل التنسيق ضعيفاً وفي بعض المجالات المحددة . وتعمل معظم مصانع الادوية بنسبة ٢٠ ـ ٢٥٪ من طاقتها الانتاجية . وتبلغ مبيعاتها سنويا حوالى ٥٠ مليون ليرة اسرائيلية . أي أن معدل الاستهلاك السنوي للفرد أقل من ٥٠ ليرة اسرائيلية . وهذه النسبة متدنية جداً وذلك لان الشركات الاسرائيلية تغطي حوالى ٤٠٪ من استهلاك الضفة الغربية وقطاع غزة .وبدأت بعض هذه المصانع بالتفكير في صناعات جديدة للادوية ، فمثلا بدأ مصنع الطزيز في القدس في انتاج القطرة ، ويفكر المصنع الكيماوي ايضا بالبدء بانتاج مثل هذا الصنف . وفي شركة بيرزيت قسم لانتاج الابر . واذا كان من الممكن ايجاد بعض الحلول لمشكلة التنافس بين المصانع العربية ، فان مشكلة التنافس مع الشركات الاسرائيلية تظل قائمة حيث تغطي هذه الشركات ٤٠٪ من سوق الضفة الغربية وقطاع غزة .

اما مصانع الصابون السائل فتحدد المنافسة فيما بينها في بعض الاصناف التي تتشابه في انتاجها ، فمثلا يتنافس مصنع المنتوجات الكيماوية ومصنع شركة الصناعة العربية (ستار) في انتاج الكلور ، والصابون السائل ، اما المنتوجات الاخرى فيتم فيها بعض التعاون(٢٣) . كما ان بعض هذه المنتوجات تسوق في اسرائيل من خلال وكلاء اسرائيليين . وهناك منافسة قوية مع الشركات الاسرائيلية ، خاصة في مواد التنظيف .

اما مصانع الاعلاف فهي من المصانع القليلة التي تعمل بكامل طاقتها الانتاجية . ويغطي مصنع الشركة العربية للاعلاف حوالى ٣٠٪ من استهلاك الضفة الغربية ، اما الشركة الوطنية للاعلاف فيقتصر تسويق انتاجها في رام الله وطولكرم ونابلس وجنين ، ويتميز هذا المصنع باشراف اخصائي عليه ، مما أدى الى تطوير الانتاج بشكل واضح .

وتعاني مصانع الاعلاف ايضا من المنافسة الاسرائيلية ، حيث تغطي الاعلاف الاسرائيلية ٥٠٪ من سوق الضفة . وتوجد منافسة قوية بين مصانع البلاستيك في الضفة الغربية ، خاصة بين مصنعي شركة البلاستيك الآردنية وشركة عابدين الشرق ، ويغطي المصنع الاول ٦٠٪ من انتاج واستهلاك الضفة الغربية ، وتغطي المصانع الاخرى ٢٠٪ اما الباقي فتغطيه الشركات الاسرائيلية .

وتسيطر صناعة الاسفنج في الضفة الغربية على السوق المحلي بكامله ، حيث يغطي مصنع رباح ، ومصنع الاسفنج التابع لشركة البلاستيك الاردنية ١٠٠٪ من استهلاك الضفة

الغربية . أما مصنع دهان يونفرسال ، فانه يغطي ١٠٪ من استهلاك السوق ، والباقي تغطيه شركات اسرائيلية ، وهو المصنع الوحيد للدهان في الضفة الغربية وفي قطاع غزة .

وفي صناعة المنتوجات المعدنية ، يوجد تنافس بين بعض المصانع المتماثلة في الانتاج ، فمثلا ، هناك منافسة بين مصنعي التنك في نابلس وجنين على سوق الضفة الغربية حيث يغطي الأول ٨٠٪ من سوق الضفة والثاني ٢٠٪(٢٤) . ويتميز مصنع التنك في جنين بأن ٤٠٪ من استهلاكه يتم في الجليل .

ويعتبر مصنع شمسيات الفلورسنت الوحيد من نوعه في الضفة والقطاع . ولذلك فهو يغطي ٨٠٪ من استهلاك الضفة الغربية دون منافسة . أما مصنع القطع المعدنية فهو ينتج قطعا سياحية يستهلك ٨٠٪ منها في بيت لحم والقدس و ١٠٪ في الجليل ويصدر للخارج ما تبقى ، من خلال تجار الصناعات السياحية .

ولا توجد منافسة تذكر بين مصانع المنتوجات الغذائية ، فمثلا ، كان مصنع السلفانا هو الوحيد من نوعة حتى سنة ١٩٧٨ ، حيث اعيد فتح مصنع الجبشة من جديد الذي ما زال ضعيف الانتاج. ويسوق الأول منتوجه من خلال وكلاء في مختلف مدن الضفة الغربية . اما مصنع الأصدقاء ، فيتركز انتاجه على البسكوت ، ولذلك فلا يشكل منافسا للمصنعين السابقين . وتستهلك مدن الضفة الغربية حوالى ٩٠٪ من انتاج هذا المصنع ، وما تبقى يستهلك في الجليل .

ويعتبر مصنع شركة الغزال من اضخم مصانع المعكرونة في الضفة والقطاع ، ويسوق معظم المنتوج في الضفة نفسها ، ولا يستهلك القطاع سوى جزء بسيط منه. ويليه مصنع الشركة الوطنية للمواد الغذائية حيث يسوق ٢٥٪ من المنتوج في قطاع غزة وحوالى ٥٪ في الجليل ، اما الباقي فيستهلك في الضفة الغربية . ويستهلك ، منتوج مصنع خليل الرحمن في منطقة الخليل وقطاع غزة بشكل اساسي ، وما تبقى يذهب للقدس ورام الله .

وتظهر المنافسة واضحة بين شركة السجائر العالمية المساهمة وشركة سجائر القدس(٢٥) ، حيث تعرضت الاولى الى خسارة منذ بدء تأسيسها سنة ١٩٧٤ وحتى سنة ١٩٧٨ ، حيث استقطبت هذه الشركة الخبير الفني بالاضافة الى رئيس قسم المبيعات في شركة سجائر القدس. وتعاني هاتان الشركتان من المنافسة الاسرائيلية بشكل كبير ، حيث تسيطر شركة دوبيك الاسرائيلية على حوالى ٦٠٪ من سوق الضفة والقطاع ، وتغطي شركة القدس ٢٠٪ ، وما تبقى تغطيه شركة السجائر العالمية . ويذهب حوالى ١٥٪ من انتاج شركة سجائر القدس الى منطقة الجليل من خلال وكيل هناك .

ولا تستطيع مصانع الجلود ، رغم قلة عددها منافسة الجلود التي تستوردها الشركات الاسرائيلية ، ولذلك فهي في تراجع مستمر في الانتاج .

وقد نتج عن هذه المنافسة على السوق المحدودة للضفة والقطاع ،مع عدم اتاحة مجال كبير للتصدير عن طريق الأردن ، بالاضافة الى عدم توفر وكلاء موزعين للمنتوجات العربية في اسرائيل ، توقف بعض المصانع عن العمل خاصة الصغير منها ، وتدني انتاجية حتى ما هو كبير منها ، كما يبين الجدول رقم ٨ .

الجدول رقم ٨
بعض مصانع الضفة الغربية وقدراتها الانتاجيه
للعام ١٩٧٩

المصنع	النسبة من طاقةالانتاج
شركة المصنع الكيماوي الاردني	٢٠٪
شركة مصانع معايعة	١٥٪
مصنع الجبشة للشكولاته	٤٠٪
مصنع سلك الجلي ــ الخليل	٣٠٪
شركة الصناعات الزراعية	٢٠٪
شركة المنتوجات الكيماوية	٥٠٪
شركة سجائر القدس المساهمة المحدودة	٥٠٪
مصنع ياسين حسني الزغل	٤٠٪
الشركة الصناعية التجارية الزراعية ــ التنك	٥٠٪
شركة رباح لصناعة الاسفنج	٦٠٪
شركة البلاستيك الاردنية	٥٠٪

وفي كثيرمن الاحيان تغري المنتوجات المصنعة في اسرائيل ، المستهلكين التجار والعاديين في الضفة الغربية لكونها اكثر متانة وأقل تكلفة(٢٦) ، بالاضافة الى توفر وكلاء موزعين لهذه البضائع في مختلف مدن الضفة ، مما يجعل عملية استيرادها أكثر سهولة .

ولم تعان صناعة الصابون كغيرها من ضيق السوق المحلية ، لتوفر إمكانية التصدير للأردن طوال فترة الاحتلال ، خاصة الصابون من الدرجة الاولى والثانية بنوعيه الابيض والاخضر(٢٧). اما الصابون من الدرجة الثالثة فيسوق معظمه الى الضفة الغربية. ويبين الجدول رقم (٦) أصناف للصابون الأبيض من الدرجة الاولى وهي النعامة لصاحبها المصري ، والجمل للشكعة ، والمفتاحين لطوقان ، يصدر ٨٠٪ منها للأردن ، كما يتم تصدير جزء من صابون الجمل والمفتاحين لدول الخليج .. اما الصابون الأخضرمن الدرجة الاولى والابيض من الدرجة الثانية فيصدر بالكامل للضفة الشرقية . ويستهلك الجيش الاردني نسبة عالية من النوع الثاني ، وما تبقى يصدر للخليج . ومن الصابون الأخضر من الدرجة الثانية ، فهناك فقط صابون حمدي كنعان الذي يسوق في الضفة الغربية اما المصابن الأربع الباقية ، فتسوق منتوجها بالكامل في الاردن . كما يسوق كافة منتوج الصابون الابيض من الدرجة الثالثة بالكامل في الاردن .

وقد لاقت حجارة البناء رواجاً في التسويق ، وذلك بسبب الطلب المتزايد عليها في الضفة الغربية من جهة ، وفي اسرائيل من جهة اخرى ، بالاضافة الى حاجة الاردن ودول الخليج ، مما يجعل كافة المحاجر تعمل بكامل طاقتها الانتاجية .

اما مصانع الفخار والخزف فلا تسوق للاردن اكثر من ١ ٪ من المنتوج ، وحوالى ٥٠ ٪ يسوق في الضفة الغربية، خاصة في مدينة القدس ، ويستورد الوكلاء الاسرائيليون حوالى ٤٩ ٪ من المنتوج. وتنتج معامل الخزف والفخار ما بين ٥٠ ــ ٦٠ قطعة يوميا ، وتوجد منافسة بينها خاصة انها تتركز جميعا في مدينة الخليل .

مما سبق ذكره ، يتضح ان صغر السوق يلعب دورا هاما في عرقلة تطور الانتاج في الضفة الغربية ، وتستطيع الشركات الاسرائيلية المدعمة من قبل السلطات الحكومية منافسة مصانع الضفة الغربية على هذه السوق ، كما ان امكانية التصدير محكومة بشروط الاردن وقيوده ، وتظل امكانية التصدير للخارج عبر اسرائيل محصورة في بعض الصناعات السياحية ، الموجودة في منطقة بيت لحم ، مثل صناعة الخشب الزخرفية ، والمنتوجات الصدفية ، بالاضافة الى بعض المنتوجات المعدنية السياحية كالحلي ، والسناسل . والجدير بالذكر ان التصدير مقصور على بعض الوكلاء الذين كانوا يقومون قبل الاحتلال بالتصدير لامريكا وأوروبا .

وهناك بعض المنتوجات التي تصدر للخارج عبر اسرائيل ، ولكن لا يقوم المصنع بهذه العملية بنفسه انما عبر وكلاء يعملون لحساب شركات اسرائيلية . وهذه تبرز بشكل خاص في فروع النسيج والخياطة والملابس والصناعة السياحية .

المواد الخام

تعتمد الضفة الغربية ، كما بينا سابقا على الزراعة في اهم صناعاتها حيث تعتبر السمنة ، وزيت الزيتون والصابون ورب البندورة ، من أهم الصادرات الى الاردن . ورغم توفر بعض المواد الاولية اللازمة لهذه المنتوجات محليا ،الا انها تظل في حاجة الى مواد اخرى ضرورية، وهذه تستورد في الغالب من الشركات الاسرائيلية او من الخارج ، مباشرة او عن طريق وكلاء اسرائيليين ، اما الاستيراد عن طريق الاردن فهو قليل نسبيا . فمثلا يتوفر لصناعة الصابون ، (النوع الأخضر) الجفت ، ولكن المواد الآخرى غير متاحة محليا ، فمثلا يؤخذ زيت النخيل من شركة الزيوت النباتية التي تستورده بدورها من الخارج . كما يستورد نوع خاص من زيت الزيتون المركب صناعيا من اجل انتاج الصابون الابيض ، من اوروبا[٢٨]، اي أن هذا النوع من الصابون لا يعتمد اطلاقاً على زيت الزيتون المحلي . كما ان شركة مصانع الزيوت النباتية تستورد انواعاً مختلفة من الزيوت اللازمة لانتاج السمن والمرجرين ، مثل زيت النخيل ، وجوز الهند ، والصويا ، والقطن ، ودوار الشمس ، والفستق ، من جنوب شرقي اسيا[٢٩] . حيث يستورد ٥٠ ٪ من هذه المواد عن طريق العقبة و ٥٠ ٪ عن طريق حيفا واسدود . أما الصفيح فيتم استيراده من فرنسا ، وكان في السابق يستورد من اليابان ، ويمنع استيراد الزيوت عبر الاردن لشركة الصناعات الزراعية في الخليل ، فتضطر الى استيرادها عن طريق حيفا واسدود . أما مصنع تعليب البندورة ، فرغم توفر البندورة في مختلف انحاء الضفة الغربية ، فانه يستورد مادة التنك الخام من فرنسا وبريطانيا عن طريق الموانيء المذكورة سابقا .

وتعتمد الصناعة الغذائية على المواد الخام المستوردة ، فمثلا تحتاج مصانع الشوكولاته والبسكوت الى الزبدة والكاكاو والسكر والحليب ، وهذه تستورد من الخارج عن طريق حيفا واسدود.كما ان نسبة عالية من الطحين المستهلك يعتمد على الشركات الاسرائيلية ، وهذا يدل على مدى اعتماد صناعة الضفة الغربية على هذه الشركات كما يبين الجدول رقم ٩ .

ذ، الجدول رقم ٦

الموارد الخام وطرق استيرادها لبعض مصانع الضفه الغربيه للعام ١٦٧٦

المصنع	المواد الخام	الاستيراد
مصنع سلفانا للشوكولاته	زبدة ،كاكاو ،سكر ،ورق	من الاردن ، من الخارج عن طرق حيفا واسدود
مصنع الجبشة للشوكولاته	سكر ،حليب ، كاكاو ، زبدة كاكاو	من اسرائيل ومن الخارج
شركة معكرونة الغزال	الطحين	اسرائيل
	اكياس نايلون	مصنع البلاستيك – بيت ساحور
مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	طحين	اسرائيل
الشركة الوطنية للمواد الغذائية	طحين	٣٥٪ من نابلس ،٦٥٪ من اسرائيل
مخبز شحادة الحديث	طحين	١٠٪ من نابلس ، ٩٠٪ من اسرائيل
شركة الصناعات الزراعية	بندورة	الضفة
	تنك خام	فرنسا ، انجلترا ، اليابان (حيفا واسدود)
	الزيت	٩٥٪ من الضفة ٥٪ من هولندا وايطاليا
	مادة الآسيد	اليابان واليونان وقبرص
شركة او بي جي للنسيج	الخيوط بوليستير ونايلون	٢٠٪ من اسرائيل ٨٠٪ من اوروبا
شركة النسيج الوطنية	قطن ، مواد صباغة ، مواد كيماوية ، صور	٣٠٪ من اوروبا، ٧٠٪ شركات اسرائيلية
شركة سنقرط واستاذ ودهمان للنسيج	قطن	٦٥٪ من الآردن عن طريق العقبة ٣٥٪ من اسرائيل
مصنع الاقصى للنسيج	خيوط	٨٠٪ من المانيا وفرنسا واميركا ٢٠٪ من اسرائيل
مصنع عزات ادعيبس واولاده للنسيج	صباغ، مواد تحضيرية للطباعة قطن بوليستير	اسرائيل
شركة مصانع ابناء العشي للنسيج	خيوط ، اوراق الطبع والالوان	اميركا ، فرنسا ايطاليا ، بريطانيا
مصنع صبحي أبو شرح للمغيط	كاوتشوك سيارات قديمة . خيط غزل	اسرائيل
شركة سجائر القدس المساهمة	تبغ	٤٠٪ من الضفة ، ٦٠٪ من جنوب افريقيا
شركة السجائر العالمية	تبغ	٨٠٪ جنوب افريقيا ، ٢٠٪ برازيل وبريطانيا وهولندا

	كرتون	البرازيل
	الصمغ وورق السجائر	فرنسا والنمسا
	الفلتر والورق المذهب والسلوفان والورق المقوى	شركات اسرائيلية
شركة مصانع معايعة	مواسير ، زوايا ، اخشاب سلك زنبرك ، سلك تيك ناعم	اسرائيل اوروبا
مصنع المطاط الحديث	مطاط	وكلاء اسرائيليين
مصنع شركة بيرزيت للأدوية	المواد الخام للادوية	دنمارك وايطاليا
مصنع شركةفلسطين لصناعة الأدوية	المواد الخام للادوية	٢٠٪ من اسرائيل ٨٠٪ من اوروبا بواسطة وكلاء اسرائيليين
شركة جاما للادوية		٨٠٪ من اسرائيل ، ٢٠٪ من اوروبا
شركة بلسم لصناعة الادوية		٩٥٪ من ايطاليا والمانيا ٥٪ من اسرائيل
شركة المصنع الكيماوي الأردني	مواد التعبئة والزجاج	المانيا سويسرا عن طريق حيفا
	كرتون	مصنع اوهانسيان في رام الله
مصنع البلاط الاوتوماتيك	اسمنت ، اسمنت اسود ، حصمة تلياني	اسرائيل
شركة مصنع الالكترود	حصمه بلدي ، نحاسة ، بودرة خاصة باللحام ، حديد	بيت لحم من فرنسا وبلجيكا والمانيا الغربية عن طريق العقبة اسدود وحيفا
مصنع سلك الجلي	حديد	المانيا وبلجيكا عن طريق حيفا واسدود
مصنع رويال للسخانات الشمسية	حديد	اسرائيل
مصنع عوض فاخوري للفخار والخزف	بوردة	هولندا عن طريق وكلاء اسرائيليين
	مواد الفخار ترابة صفراء ، سمقة حمراء ، رمل	الخليل

شركة المنتوجات الكيماوية	الكريمات	اوروبا
	بقية المواد	اسرائيل
مشاغل الصدف الزخرفية	الصدف	استراليا
مشاغل خشب الزيتون الزخرفية	خشب الزيتون	الضفة الغربية
مصنع ياسين حسني الزغل	حديد صاج	اسرائيل
شركة نيروخ لصناعة القبانات والموازين	حديد ، نحاس ، فولاذ ، دهان	اسرائيل
شركة السختيان اخوان	الورق الخام ، مواد كيماوية مختلفة منها الصوديوم	عن طريق اسدود ٣٥٪ من المانيا وهولندا وايطاليا (اسدود /حيفا) ٦٥٪ شركات اسرائيلية
شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	المواد الخام للأدوية	اسرائيل
شركة ملحيس للصناعة والتجارة	البلاستيك والاقمشة	شركات اسرائيلية في الغالب الكل يستوردون من المانيا وايطاليا وفرنسا
صناعة الصابون (الابيض)	الزيت	من اوروبا مباشرة (ايطاليا اسبانيا اليونان وقبرص) عن طريق اسدود وحيفا
صناعة الصابون الاخضر)	الجفت وزيت البالم	الجفت محلي وزيت البالم محلي من شركة الزيوت النباتية
شركة جنين الصناعية التجارية الزراعية(التنك)	الصفيح والقصدير	من فرنسا المانيا الغربية
شركة رباح لصناعة الاسفنج		
مصنع نجيب ناصر للنسيج	القطن	اسرائيل
مصنع الاصدقاء للبسكوت	الطحين ، السكر ،المرجرين الزبدة	اسرائيل
شركة مصانع الزيوت النباتية	الزيت زيت النخيل ، زيت نواة البلح زيت جوز الهند ، زيت الصويا ، زيت القطن ، زيت عباد الشمس ، زيت الفستق .	جنوب شرقي آسيا سنغافورة ، ماليزيا ، الملايو ، عن طريق الجسور والضفة ٥٠٪ حيفا واسدود ٥٠٪

الشركة الوطنية للاعلاف	الذرة الصفراء والحمراء والشعير والنخالة ، فيتامينات ، املاح معدنية ، مواد كيماوية زيوت	من امريكا عن طريق وكلاء اسرائيليين هولندا ، بريطانيا
شركة مصانع التنك ـ نابلس	الصفيح	٢٠٠ طن عن طريق عمان ٥٠٠ طن عن طريق حيفا واسدود
شركة البلاستيك الاردنية (مصنع البلاستيك الاسفنج)	حبيبات من البلاستيك مواد كيماوية سائلة	٧٠٪ مستورد من الخارج منها ١٠٪ عن طريق اسدود العقبة ٢٠٪ من اسرائيل .
فرشات الزيزك	الساج الموجود داخل المحل	من ايطاليا واستراليا
مصنع شصيات الفلورسنت	ساج للعلبة . السلك	من اسرائيل
مصنع انتاج قطع معدنية	حديد ، نحاس والبراغي	من اسرائيل من مصنع كوميت في بيت ساحور

وتعتمد مصانع النسيج بشكل كلي تقريبا على المواد الخام المستوردة من الشركات الاسرائيلية ، كما يبين الجدول ان مصنعا واحدا يستورد مواده الخام عبر الأردن وهو مصنع شركة سنقرط للنسيج ، وقد بينا في السابق أسباب تحول هذه المصانع عن الاستيراد عبر الجسور .

أما صناعة السجائر فيعتمد في استيرادها للتبغ على جنوب افريقيا بشكل اساسي ، وتفرض وزارة الزراعة الاسرائيلية نسبة معينة من التبغ المزروع محليا حسب قدرة المصنع الانتاجية . أما المواد الاخرى مثل الفلتر والورق المذهب والسلوفان والورق المقوى فيؤخذ من شركات اسرائيلية .

ويعتمد الحصول على الخشب والمطاط في الضفة الغربية على الشركات الاسرائيلية كما يبين الجدول رقم ٣ والجدول رقم ٩ . ولذلك تتحكم هذه الشركات بصناعة الخشب والمفروشات بالكامل .

أما مصانع الأدوية والمنتوجات الكيماوية الاخرى فتستورد معظم المواد الأولية اللازمة من اوروبا ، وفي كثير من الأحيان عبر وكلاء إسرائيليين ، كما يبين الجدول رقم ٩ . وتمنع اسرائيل استيراد مثل هذه المواد عبر الجسور . ورغم توفر المواد الاولية لصناعة البلاط والرخام والطوب ، إلا أن الاسمنت الضروري يستورد من إسرائيل وتتميز الصناعة المعدنية الكبيرة بأنها تستورد معظم موادها الاولية من اوروبا ، أما مصانع السخانات الشمسية فتعتمد على الشركات الاسرائيلية في هذه المواد وتقوم هي بتجميعها .

وقد تراجعت صناعة الصدف الزخرفية بعض الشيء بسبب صعوبات استيراد المواد الخام اللازمة باستمرار . أما صناعة خشب الزيتون الزخرفية فقد حصل فيها تقدم ملحوظ ،

وهذا عائد بشكل أساسي الى توفر شجر الزيتون بكثرة في الضفة الغربية .

وتتوفر في الضفة الغربية الحجارة اللازمة للبناء ، إلا ان استخراجها يحتاج الى آلات ومعدات تستورد عن طريق وكلاء اسرائيليين بالاضافة الى تحكم السلطات في صرف البارود اللازم للمحاجر ، علما بأن هناك مخصصات شهرية لكل محجر(٣٠) .

وتعاني المصانع التي تستورد موادها الخام مباشرة من الخارج من التأخير الذي يتم فيه تخليص البضائع ، بسبب التفتيش الدقيق ، بالاضافة الى الاضرابات المستمرة في الموانيء . وتفرض السلطات الاسرائيلية قيودا على استيراد المواد المتوفرة لديها عن طريق الزام المصانع العربية شراء نسبة معينة من هذه المواد ، فمثلا تستهلك شركة سجائر القدس ٤٠٪ من التبغ عن طريق الشركات الاسرائيلية . كما تعمل هذه السلطات على زيادة الضريبة الخاصة باستيراد هذه المواد مما يضطر المصانع العربية ، الى شراء مختلف المواد الاولية المتوفرة لدى هذه الشركات بالأسعار المفروضة عليها . فمثلا تحدد مؤسسة « كلال تكس » الاسرائيلية سعر شراء خيط القطن من المزارعين وبيعه للمستهلكين ، بالاضافة الى تحديد نسبة ما يمكن استهلاكه في مصانع الضفة الغربية . كما تحدد كمية الطحين التي يستطيع مخبز شحادة الحديث استهلاكها بحيث لا يزيد انتاجه من الخبز عن ١٦٠ طن شهريا ، وبذلك يبقى المجال مفتوحا لتسويق الخبز الاسرائيلي . هذا بالاضافة الى ما تضعه السلطات من عراقيل امام استيراد المعدات والاجهزة الضرورية لتطوير الصناعة ، خاصة الأجهزة والمواد الكيماوية ، كما حدث مع مصنع المطاط الحديث والسيلسيون في الخليل ومصنع باطون رام الله(٣١) .

وهناك أمثلة كثيرة متعددة على تضرر الصناعة في الضفة الغربية نتيجة لصعوبات تأمين المواد الخام اللازمة والضرورية في الوقت المناسب . فمثلا ، يعطل قسم من العمال يومين في الاسبوع دون أجر ، في مصنع السلفانا(٣٢) . كما يعاني مصنع باطون رام الله من تدني الانتاج بسبب نقص مادة الاسمنت الرئيسية مما اضطر الشركة الى التحول لانتاج الطوب(٣٣) . وقد توقفت بعض المصانع عن العمل لفترات طويلة نتيجة لتأخر وصول المواد الخام اليها . مثل مصنع السحابات في بيت ساحور .

من هنا نرى أن المواد الخام هي المفصل الذي تستطيع السلطات الاسرائيلية من خلال السيطرة عليه ، التحكم في صناعة الضفة الغربية ، ولذلك يعتبر امرا بالغ الاهمية تحديد المواد الخام الضرورية لهذه المصانع ومحاولة توفيرها محليا .

وغني عن الذكر ، أهمية انشاء مصنع للاسمنت خاصة لما يحتل قطاع البناء من أهمية في الضفة الغربية وفي اسرائيل . وقد بدأت بعض المصانع بالتفكير في هذا الاتجاه ، فمثلا هناك توجه من شركة الزيوت النباتية نحو إقامة مشروع عصر البذور مثل عباد الشمس ، بدلا من استيراد الزيوت من الخارج ، كما يتوجه مصنع الالكترود نحو تصنيع المسحوق الضروري لصناعة قضبان اللحام ، ولكن هذه ايضا ستحتاج الى استيراد بعض المواد الاساسية من الخارج ، ويتوجه مصنع سلك الجلي في الخليل نحو انشاء فرع لانتاج المعاجين اللازمة للزجاج والسيارات والاخشاب . ويتوجه مصنع شركة بلسم للادوية وشركة المنتوجات الكيماوية نحو

تصنيع بعض المواد اللازمة لصناعة الأدوية بالاضافة الى تخطيط الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف لاقامة مصنع لانتاج الفيتامينات للاعلاف والاستفادة من بعض المواد المتاحة مثل الدم في المسلخ والنفايات .

يتبين لنا أن هناك محاولات من قبل المصانع والشركات في الضفة الغربية للتحايل على صعوبات استيراد المواد الخام ، وذلك عن طريق وساطة الوكلاء الاسرائيليين ، أو عن طريق التفكير بانشاء مصانع لانتاج بعض المواد الضرورية للصناعة . وواضح أن السلطات الاسرائيلية تعمل ما في وسعها لضرب صناعة الضفة وعرقلة تطورها ، الا أنه واضح أيضا أنه رغم كافة الصعوبات والجهود المبذولة من أجل تحقيق ذلك ، فان الصناعة العربية ما زالت قادرة على الاستمرار .

رأس المال

من الصعب الحصول على ارقام دقيقة تتعلق برؤوس أموال المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية ، وذلك بسبب تداخل رأس مال المصنع مع الرأسمال الشخصي خصوصا في الشركات الخاصة . كما أن الارقام المسجلة عادةهي أصغر ممـــا في الواقع، وذلك بقصد التهرب من ضريبة الدخل المفروضة على هذه المصانع . ورغم أن الأرقام التي حصلنا عليها ليست دقيقة ، فانها مؤشر واضح لتطور استثمار رؤوس الأموال الكبيرة في الضفة الغربية بعد ١٩٦٧ ، بالمقارنة مع تدني حجم الاستثمارات حتى تلك السنة. حيث لم يتجاوز عدد المنشآت الصناعية الكبيرة ، ١١ منشأة ، ويبين الجدول رقم ١٠ تطورا واضحا في عدد هذه المؤسسات ، بالاضافة الى نمو حجم الرأسمال المستثمر في المشاريع الجديدة مقارنة بما كان قبل الاحتلال ، مما يدل على مدى عرقلة السلطة الاردنية قيام مثل هذه المشاريع في السابق .

وقد بدأ كثير من المصانع عمله كشركات عادية ، ثم تحولت الى مساهمة خاصة ، ثم الى عامة ، كما هو الحال مع شركات الأدوية(٣٤) ، ومصنع الالكترود (٣٥) .

وتعتمد المصانع الجديدة على مساهمة أكثر من شخص كما يوضح الجدول رقم١٠ وذلك لان الصمود في وجه منافسة الشركات الاسرائيلية يتطلب رؤوس أموال تفوق امكانيات الافراد . فمثلا ، بلغ عدد المساهمين في شركة جاما للمواد الكيماوية ٧ أشخاص ، وفي الشركة العربية للأعلاف ، ١٨ شخصا ، وحتى مصنع البلاط للضفتين الذي انتهى به المطاف ليكون شركة خاصة ، بدأ عمله سنة ١٩٧٦ كشركة مساهمة .

وقد لعب الانخفاض المستمر لليرة الاسرائيلية دورا في استثمار رؤوس الأموال المتاحة في مشاريع صناعية ، بالاضافة الى تحديث مستمر في هذه المشاريع . وفي كثير من الاحيان يكون المساهمون من ذوي الدخل المحدود ، مما يؤدي الى عدم القدرة على منافسة الصناعة الاسرائيلية وقد استطاعت بعض مصانع الضفة الغربية الصمود أمام هذه المنافسة بسبب رأسمالها الضخم الذي ساعد في تطوير وتحديث الاجهزة والمعدات بالاضافة الى القدرة على تخفيض قيمة المبيعات حسب متطلبات السوق . إلا أن امكانية الاستثمارات الكبيرة في الضفة الغربية تظل محدودة ، بعكس ما هو قائم في اسرائيل . كما أن الصناعة الاسرائيلية تتمتع بدعم السلطات الحكومية لها ، في الوقت الذي تفتقر صناعة الضفة الى أي دعم أو تشجيع .

الجدول رقم ١٠

أهم المؤسسات الصناعية في الضفة الغربية للفروع المختلفة من حيث رأس المال والملكية حتى العام ١٩٧٩ .

الفرع	المؤسسة	رأس المال الحالي بالدينار الأردني	الملكية	عدد المساهمين	سنة التاسيس
المواد الغذائية	شركة الصناعات الزراعية (قسم البندورة)	٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	٢	١٩٥٢
والدخان	شركة الصناعات الزراعية (قسم الزيوت)	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٣
	مصنع خليل الرحمن للمعكرونة	٨٤,٠٠٠	شركة عادية	٢٠	١٦٧٧
	شركة معكرونة الغزال	٥٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٣
	مخبز شحادة الحديث	٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٣٠
	مصنع الجبشة للشوكولاته	١٠٠,٠٠٠	—	—	١٩٦١
	شركة الزيوت النباتية	٥٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٣٠٠٠	١٩٥٢
	مصنع الاصدقاء للبسكوت	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	٦	١٩٧٨
	شركة مصنع سلفانا	—	شركة خاصة	—	١٩٥٤
	شركة السجائر العالمية	١,٠٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة عامة	—	١٩٧٤
	شركة سجائر القدس المساهمة	١,٥٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٢٠٠٠	١٩٦٤
النسيج والتريكو والملابس والخياطة	مصنع الاقصى للنسيج	—	مؤسسة خاصة	٢	١٩٤٤
	مصنع عزات ادعيبس للنسيج	١٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٧٨
	مصنع العشي للنسيج والتطبيع	٢٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٧٢
	شركة أوبي جي للنسيج	٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٦
	شركة النسيج الوطنية	١٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٣
	مصنع نسيج وخياطة قمصية	—	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٨
	مصنع سليم ناصر للاقمشة والمناشف	٥٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	٤	١٩٦٥
	مصنع نجيب ناصر	—	مؤسسة خاصة	٢	١٩٣٧

	مصنع اسكندر قمر	—	شركة خاصة	—	١٩٥٢
الجلود	مصنع شمس الدين الزعتري للدباغة	٤٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	قبل ١٩٦٧
أثاث ومفروشات	شركة مصانع معايعة للموبيليا	٣٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٥
	مصنع البندك للاسرة		مؤسسة خاصة	—	—
المنتجات الكيماوية	مصنع المطاط الحديث والسيلسيون	٢٠,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٣
المطاط والبلاستيك الاسفنج الدهان والأدوية)	مصنع دهان يونفرسال	٢٥,٠٠٠	شركة مساهمة	٨	١٩٧٢
	مصانع شركة الصناعة العربية	١,٠٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٢٠	١٩٧٢
	شركة المنتوحات الكيماوية	١٥٠,٠٠٠	شركة خاصة	٢	١٩٦٧
	شركة البلاستيك الأردنية	٥,٠٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٥٧
	شركة ملحيس للصناعة والتجارة	—	شركة خاصة	٧	—
	شركة رباح لصناعة الاسفنج	٨٠,٠٠٠	شركة مساهمة محدودة	٤	١٩٧٧
	شركة المصنع الكيماوي الأردني	٦٧,٠٠٠	شركة مساهمة	٤٢	١٩٦٨
	شركة بيرزيت لصناعة الأدوية	٢٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة	١٠٠	١٩٧٤
	مصنع شركة فلسطين لصناعة الأدوية	٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة	٥٠	١٩٦٩
	مصنع بلسم لصناعة الادوية	٢٠٠,٠٠٠	شركة مساهمة محدودة	٢٥	١٩٧٠
	شركة جاما للمواد الكيماوية	٥٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	٥	١٩٧٩
	شركة القدس للمستحضرات الطبية	٣٠٠,٠٠٠	شركة مساهمه عامة	١٠٠	١٩٦٧
	شركة السختيان اخوان	—	شركة خاصة	٣	١٩٧١
	شركة نابلس لصناعة الادوية البيطرية	٢٦,٠٠٠	شركة خاصة	٤٠	١٩٧٣
	الشركة العربية للأعلاف	١٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٧٧
	شركة فلسطين للأعلاف	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٧٠
	الشركة الوطنية للأعلاف	٢٠٠,٠٠٠	شركة خاصة	٣	١٩٧٧

منتجات غير معدنية	مصنع أوهنسيان للورق	—	شركة خاصة	—	—
	مصنع البلاط للضفتين	٢٥,٠٠٠	شركة مساهمة	—	١٩٧٦
منتجات معدنية	مصنع الالكترود	٧٥٠,٠٠٠	شركة مساهمة عامة	٢١٢	١٩٧٣
	مصنع سلك الجلي/الخليل	٣٠,٠٠٠	شركة خاصة	—	١٩٦٤
	مصنع رويال لصناعة السخانات الشمسية	٢٠,٠٠	شركة خاصة		١٩٧٨
	شركة نيروخ لصناعة القبانات	—	شركة خاصة	٤	١٩٥٣
	شركة جنين الزراعية (التنك)	٢٠٠,٠٠	شركة مساهمة عامة	٤٠٠	١٩٧٠
	مصنع أبو عيطة لشمسيات الفلورسنت	٢٠,٠٠٠	شركة خاصة	٤	١٩٧٠
	شركة مصانع التنك / نابلس		شركة مساهمة خاصة	٥٠	١٩٥٦
	مصنع انتاج قطع معدنية	٢٥,٠٠٠	مؤسسة خاصة	—	١٩٦٤

الضرائب والجمارك

لا تنتهج السلطات الاسرائيلية سياسة معلنة ضد تطوير اقتصاد الضفة الغربية ، ولكن كما بينا سابقا ، فانها تعمل بكافة الوسائل باتجاه ضربه وتكييفه حسب احتياجاتها في القطاعات المختلفة . ورغم أنه طوال السنوات التسع الأولى من الاحتلال ، تم تطبيق قانون الضرائب الاردني على الضفة الغربية ، الا أن تفاقم الازمة الاقتصادية في اسرائيل واستمرار الوضع الناجم عن حرب تشرين ، أدى الى عجز في الموازنة بلغ حوالي ٤ مليارات دولار سنويا(٣٦)، عدا عن الديون القومية الخارجية التي تجاوزت ١٤ مليار دولار . وقد أدى هذا الوضع الى بحث السلطات الاسرائيلية في سنة ١٩٧٦ عن بدائل لتغطية هذا العجز . واعتبرت الضرائب البديل الامثل الذي يحقق هذا الهدف وفي نفس الوقت يحول دون ارتفاع الاسعار ، أو البطالة . فاستحدثت الضريبة الاضافية التي تعني عمليا ارتفاع السلع للمستهلك . وقد استلزم تطبيق هذه الضريبة في الضفة الغربية ، تعديل قانون الضرائب الاردني المعمول به حتى تلك الوقت . وقد بدء العمل بالقانون الجديد في أول تموز سنة ١٩٧٦ (٣٧) ، مما أدى الى اضرابات في بعض مصانع الضفة الغربية مثل مصنع الكبريت في نابلس(٣٨) ، ومصانع الاحذية في الخليل(٣٩) . بالاضافة الى موجة من التظاهرات عمت كافة أنحاء الضفة الغربية . وكانت حصيلة ضريبة القيمة الاضافية في الاشهر الستة الأولى من سنة ١٩٧٧ ، ما قيمته ٢٤ مليون ليرة اسرائيلية(٤٠) . في حين استحدثت هذه الضريبة لاستيفاء مبلغ اجمالي قدره ٢,٥ مليار ليرة اسرائيلية(٤١) . وهذا يعادل قيمة صادرات الضفة الغربية تقريباً للعام ١٩٧٨ ، الامر الذي يدل

على مدى الاستغلال الذي يتعرض له السكان في الضفة الغربية .

وقد أثار اجتماع الصناعيين المنعقد في الضفة الغربية ، بتاريخ ١٩٧٩/٢/٢١ ، معوقات السياسة الضرائبية للتطور الصناعي ، حيث يجمع من الضرائب الصناعية فقط لأحد مكاتب الجمارك في الضفة الغربية ، حوالى ١٦ مليون ليرة شهريا(٤٢) .

وتفرض هذه الضريبة على جميع الصفقات ، سواء كانت بيع أو شراء ، استيراد أو تقديم خدمات . وتسري على جميع المعاملات التجارية في كل مرحلة من مراحل الانتاج والتسويق ، من بدء الاستيرادوحتى بيع المفرق.وعندما بدىءالعمل بهذه الضريبةغير المباشرة،كانت تفرض بنسبة٨ ٪ على البضائع والخدمات والمواد المستوردة ، وبنسبة ٦ ٪ على اجور المؤسسات المالية وأرباحها ، ونسبة ٣٪ على المؤسسات التي لا تجني أرباحا . إلا أن هذه النسب ما لبثت ان وصلت حسب قرار الحكومة الاسرائيلية في ٧٧/١١/٢٨ الى ٩٪ ، ١٢٪ و ٥٪ على التوالي(٤٣).

وقد أدى تطبيق هذه الضريبة الى ارتفاع أسعار الكهرباء ، والماء ، والوقود ، والسكن ، والسلع المستوردة ، والمنتوجات الصناعية المحلية . ويتولى جباية هذه الضريبة من المستهلك التجار وأرباب العمل .

وبالاضافة الى الضريبة المذكورة ، تفرض السلطات الاسرائيلية جمارك على ما يستورد من بضائع ، وذلك في محاولة لاغلاق باب الاستيراد أمام المصانع العربية ، فاذا ما أخذ بعين الاعتبار قيمة الشحن وتخليص البضائع ، تصبح قيمة ما يدفع من اجل استيراد بضاعة ما ، مساوية لثمنها . وعلى سبيل المثال ، فان مصنع الاقصى للنسيج يستورد مواده الخام عبر حيفا وتبلغ قيمة تكلفة الاستيراد من ثمن البضاعة كما يلي . ٧٠٪ جمارك ، وهذه تتضمن قيمة الضريبة الاضافية ، ٢٠٪ ثمن شحن ، ١٠ ٪ مقابل تخليص البضاعة . وتبلغ قيمة الضريبة الاضافية المستوفاة من هذا المصنع ما بين ٢٥ ــ ٣٠ ألف ليرة اسرائيلية سنويا . وفي مصنعي سنقرط والعشي للنسيج تبلغ قيمتها حوالى ٢٠,٠٠٠ ليرة لكل منهما .

وفي شركة سجائر القدس المساهمة المحدودة ، يظهر بوضوح حجم المكوس والضرائب الباهظة التي تستوفيها السلطات الاسرائيلية من مصانع الضفة الغربية . فمثلا ، يستوفى ٦٥٪ من قيمة المبيعات كمكوس ، و ٣٨ ٪ من أرباح الشركة كضريبة دخل ، و ١٥ ٪ من قيمة المواد الخام المستوردة ، عدا عن استيفاء نسبة معينة على كل كغم من التبغ المستورد . بالاضافة الى قيمة الضريبة الاضافية .

وتجنبا لعقبات الاستيراد والتصدير ، يلجأ كثير من أصحاب المصانع الى وسطاء اسرائيليين للقيام بالاجراءات اللازمة ، مما يدفع المصانع العربية باستمرار لمزيد من التبعية للشركات الاسرائيلية . وتظل الصناعة في الضفة الغربية مهددة باستمرار بقرارات جديدة تمليها السلطات الاسرائيلية . ولذلك فان فئة أرباب المصانع تعيش في خوف مستمر ، فهي مهددة في كل لحظة بالافلاس . ورغم ما يمكن أن يقال عن اعتمادها على الاقتصاد الاسرائيلي وارتباطها به ، إلا أن ذلك الارتباط تمليه الضرورة اكثر مما تمليه المنفعة . وهي تختلف عن فئة الوسطاء التجاريين الذين لا يملكون شيئا في الضفة الغربية ، ويعتمدون بشكل أساسي على الشركات الاسرائيلية في استيراد المنتوجات التي تحتاجها الضفة الغربيه . وهؤلاء عادة قلة . وهم مستفيدون من وجود الاحتلال . أما فئة ارباب المصانع ، فلا تتضرر بزواله ، فلها ما تملكه من مصانع ، وتستطيع استيراد ما تريد من مواد خام دون عراقيل . وهي رغم أنها تستوفي ما تدفعه من ضرائب ومكوس من المستهلك ،إلا أن ذلك يعني ارتفاع تكلفة المنتوجات الصناعية ، وبيعها بأسعار مرتفعة ، مما يجعلها أضعف في المنافسه أمام مثيلاتها من المنتوجات الاسرائيلية المدعومة من قبل السلطات الحكومية .

الخبرة الفنية

تفتقر معظم مصانع الضفة الغربية الى الخبرة الفنية الضرورية لتطوير الانتاج ، رغم ارتفاع نسبة الخريجين من الجامعات والمعاهد العليا . إلا أنه من الواضح أن معظم هؤلاء لا يستطيعون العمل في الضفة الغربية خاصة وان تعليمهم في الغالب أكاديمي . وفي الواقع فان تطور مصانع الأدوية بالشكل الذي أوضحناه ، عائد أساسا الى توفر الصيادلة هناك ، كما أن التطور الذي حصل في شركة السجائر العالمية بعد خسارة مستمرة ناتج عن الاستعانة بالخبرة الفنية المتوفرة لدى شركة سجائر القدس . كما أن التطور الذي حصل لدى الشركة الوطنية لصناعة الاعلاف عائد الى وجود خبير فني متخصص يعمل كمدير للمصنع وله ٥٠ ٪ من رأسماله . وعلى خلاف مصنع سنقرط للنسيج الذي يتميز بعدم وجود أية خبرة فنية لدى أصحابه ، يبرز مصنع العشي للنسيج والتطبيع نتيجة لوجود خبرات فنية وادارية ، تساهم باستمرار في تطوير الانتاج . ويعود السبب في صمود بعض الصناعات أمام المنافسة الأسرائيلية لتوفر الخبرة الفنية الضرورية لتحسين الانتاج . مثل البلاستيك ، والالكترود . وتعاني مصانع الجلود والدباغة والخزف من نقص في الخبرة الفنية ولذلك لم يحصل فيها أي تطوير .

وقد طرحت جامعة بيرزيت امكانية تطوير مصنع المطاط الحديث والسيلسيون عن طريق اجراء التجارب الكيماوية الضرورية لذلك . ويمكن لهذه الجامعة أن تقوم بحل جزئي لمشكلة النقص في الخبرة الفنية ، خاصة في مجال الصناعة الكيماوية .

ولا يقتصر النقص في الخبرة الفنيه اللازمه لتطوير الانتاج انما يتعداه للايدي العامله الفنيه في المصانع في مختلف الاختصاصات . وذلك بسبب الهجرة الى الخارج خاصه بعد سنه ١٩٧٢ . حيث أدى انخفاض الليرة الاسرائيليه المستمر وبالتالي ارتفاع الأسعار الى نحرر كثير من السكان خاصه عمال مصانع الضفه الغربيه ، في الوقت الذي بلغ معدل الاجور للعمال في الاردن أكثر من ضعفي المعطى في الضفه الغربيه . الأمر الذي دفعهم الى البحث عن ظروف عمل أفضل . كما توجه الكثير من العمال الفنيين الى دول الخليج للعمل هناك ، خاصه بعد قدوم مندوبين لشركات في هذه الدول لتوقيع عقود عمل مع العمال في الضفه الغربيه . وقد ساعدت السلطات الاسرائيليه هذه الهجرة عن طريق منح حريه الحركه للعمال عبر الجسور ، كما لم تعارض السلطات الأردنيه هذه الهجرة باستثناء بعض الاجراءات الشكلية .

لذلك يبقى الحديث عن التأهيل المهني للعمال لا معنى له دون أن يترافق ذلك مع خطة جادة لتطوير الصناعة . أما التأهيل المهني بالمطلق ، فهو في الحقيقة لا يعني سوى تهجير مزيد من الطاقة البشرية . ولذلك ليس غريبا أن تقوم السلطات الاسرائيلية بفتح مراكز للتأهيل المهني مباشرة بعد الاحتلال ، حيث كانت فترة التدريب تمتد من ثلاثة أشهر إلى خمسة . وفيما بعد وصلت الى ١٥ شهرا. وقد تخرج من هذه المراكز حوالى ١٢,٠٠٠ مهني كما هو مبين في الجدول رقم ١١ ، يعمل معظمهم في اسرائيل .

الجدول رقم ١١

توزيع خريجي مراكز التدريب المهني في الضفه الغربيه التابعة لسلطات الحكم العسكري حتى العام ١٩٧٨

	العدد
مركز التدريب المهني في بيت جالا	٧٠٠(٤٤)
مركزالتدريب المهني في الخليل	٣٠٠٠(٤٥)
مركزالتدريب المهني في رام الله	٥٩٠(٤٦)
مركزالتدريب المهني في أريحا	٥٠٠(٤٧)
مركزالتدريب المهني في نابلس	٢٥٣٧(٤٨)
مركزالتدريب المهني في سلفيت	٨٩٤(٤٩)
مركزالتدريب المهني في قلقيلية	٥٠٠(٥٠)
مركزالتدريب المهني في طولكرم	١٤٤٥(٥١)
مركزالتدريب المهني في جنين	٢٤٠٠(٥٢)
مجمـــوع	١٢,٥٦٦

ومن الملاحظ أن معظم خريجي المدارس الصناعية والمهنية،الثانوية منها والعالية ، لا يعملون في مصانع الضفة الغربية . حيث لا يتناسب ما يلقون من تاهيل مع حاجات هذه المصانع . فالمواضيع التي تدرس هي بشكل أساسي الخراطة والحدادة واللحام والنجارة والتنجيد والأدوات الصحية والتدفئة والراديو والتلفزيون والخياطة . حيث يتخرج معظم هؤلاء إما للعمل في اسرائيل ، أوللتوجه نحو دول الخليج . وفي أحسن الاحوال يعملون كحرفيين في الضفة الغربية ، وهؤلاء قلة . وواضح ان هناك اقبال على هذه المدارس حيث يقبل أقل من نصف عدد المتقدمين بطلبات التحاق . وهذا يدل على توجه كثير من طلاب الضفة الغربية نحو التعليم المهني . ورغم قلة عدد هذه المراكز والمدارس الخاصة بمثل هذا النوع من التعليم، إلا انها تلتقي اكثر مع احتياجات الخليج اكثر من ضرورات الضفة الغربية . ولا تساهم هذه المراكز عمليا في تطوير قطاع الانتاج الصناعي رغم حاجة هذا القطاع الملحة الى الخبرات الفنية المختلفة .

الجدول رقم ١٢

خريجي المدارس الصناعيه الثانويه في الضفه الغربيه منذ ١٩٧٠ ـ ١٩٧٨(٥٣)

اسـم المدرسة	المكان	عدد الخريجين
المدرسة الصناعية الثانوية	القدس	٢٤٢(٥٤)
المدرسة الصناعية الثانوية	نابلس	٦٥١(٥٥)
مدرسة السلزيان الثانوية الصناعية	بيت لحم	١١٨(٥٦)
مركز التدريب المهني للاتحاد اللوثري	القدس (بيت حنينا)	٤٠٧(٥٧)
مدرسة عبد الله بن الحسين الثانوية الصناعية	القدس	٤٩(٥٨)
مدرسة دير ديوان الصناعية	رام الله	٢٠(٥٩)
المدرسة الصناعية الثانوية	طولكرم	لم يتخرج أحد بعد
مجموع		١٥٨٧

الجدول رقم ١٣

الطلاب المقبولون في مراكز التدريب المهني للعام ١٩٧٨

	اسم المؤسسة	المكان	عدد الطلاب
١ـ	مركز التدريب المهني	قلنديا	٤٢٦ (٦٠)
٢ـ	مركز تدريب المعلمات	الطيرةـ رام الله	٣٥٤ (٦١)
٣ـ	دار الايتام الاسلامية الصناعية	القدس	١٢٩ (٦٢)
٤ـ	مدرسة جمعية الشبان المسيحيين	عقبة جبر ـ أريحا	١١٥ (٦٣)
٥ـ	مدرسة البر بابناء الشهداء	عقبة جبر ـ أريحا	١٦٥ (٦٤)
٦ـ	مدرسة المشروع الانشائي العربي	أريحا	٣٨ (٦٥)
٧ـ	المعهد الفني الهندسي (البوليتكنيك)	الخليل	١٠٠ (٦٦)

الصناعة ومساهمتها في الانتاج المحلي الاجمالي

لم يكن للصناعة في الضفة الغربية دور مهم في الانتاج المحلي الاجمالي منذ الحاقها بالنظام الهاشمي . وذلك نتيجة للسياسة الالحاقية التي اتبعها هذا النظام في أضعاف تكوينها الاقتصادي وخاصة في هذا القطاع . فلم يتجاوز الانتاج المحلي للضفة الغربية أكثر من ٣٦ ٪ من مجمل الانتاج في الضفتين ، حيث بلغت مساهمة القطاع الصناعي في سنة ١٩٦٦ ما يعادل ٤ ٪ من اجمالي الانتاج القومي للضفتين ، كما لم تزد نسبتها من الانتاج المحلي للضفة الغربية نفسها عن ٨,٧ ٪ [٦٧] . وترتفع بالمقابل نسبة مساهمة قطاع الخدمات ، حيث وصلت في ذلك العام الى ٦١٪ من الانتاج المحلي للضفة ، و ٢٢٪ من اجمالي الانتاج القومي للضفتين . ورغم أن قطاع الزراعة ساهم بحوالى ٢٦ ٪ من الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية ، إلا أنه لم يساهم بأكثر من ٨٪ من اجمالي الدخل القومي للضفتين [٦٨] .

وتشير الاحصاءات الاسرائيلية الى أن الناتج المحلي الاجمالي للضفة الغربية قد انخفض بعد الاحتلال مباشرة . فبعد أن كان في سنة ١٩٦٦ حوالى ١٦٦ مليون دولار [٦٩] ، أصبح في سنة ١٩٦٨ حوالى ٣٢٣ مليون ليرة اسرائيلية أي ما يعادل ٩٥ مليون دولار [٧٠] . ونتيجة لتوقف المساعدات الخارجية بسبب ظروف الحرب فقد كان الناتج القومي الاجمالي لا يزيد عن ٣٤٤ مليون ليرة اسرائيلية في تلك السنة [٧١] . وترتفع نسبة الفارق بين الناتج القومي الاجمالي والناتج المحلي الاجمالي بعد ذلك بسبب زيادة العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل . وقد بلغت قيمة الناتج المحلي في سنة ١٩٧٧ ، حسب أسعار سنة ١٩٦٨ كما يبين الجدول رقم ١٤ ، ٧٥٢ مليون ليرة اسرائيلية ، أي ما يعادل ٢١٥ مليون دولار . وهذا النمو عائد الى ارتفاع مساهمة قطاع البناء ، الذي أدى الى زيادة سنوية في الانتاج المحلي تعادل حوالى ٥ ملايين دولار .

الجدول رقم ١٤

الانتاج القومي الاجمالي والمحلي الاجمالي للضفة الغربية(بالمليون ليرة اسرائيلية) (٧٢)

السنة	حسب أسعار السوق		حسب أسعار ١٩٦٨	
	الانتاج المحلي	الانتاج القومي	الانتاج المحلي	الانتاج الاجمالي
١٩٧٢	٨٨٣	١,١٦٧	٥٧٨	٧٤٣
١٩٧٣	١,٠٤٠	١,٢٦٧	٥٧٢	٧٠٥
١٩٧٤	١,٨٦٧	٢,٣٦١	٦٨٨	٨٩٣
١٩٧٥	٢,٥١٨	٣,٢٧٨	٦٥٦	٨٨٣
١٩٧٦	٣,٧٦٥	٤,٨٥٦	٧٧٣	١,٠١٥
١٩٧٧	٤,٩٢٠	٦,٤٥٦	٧٥٢	١,٠٠٤

وقد ظلت مساهمة الصناعة في الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية تقريباً ثابتة طوال فترة الاحتلال ، كما كانت عليه قبل ذلك . ففي سنة ١٩٦٦ ، بلغت نسبتها ٨,٧ ٪ من اجمالي الانتاج المحلي . ويشير الجدول رقم ١٥ إلى أن هذه النسبة بلغت أقصاها في سنة ١٩٧١ ، وذلك بسبب حوافز التصدير للمنتجات الصناعية المصدرة للأردن والتي بلغت أقصاها في تلك السنة .

الجدول رقم ١٥

الأهمية النسبية للقطاعات الاقتصادية في الانتاج المحلي الاجمالي للضفة الغربية (بالأسعار الجارية)(٧٣)

القطاع	١٩٦٦	١٩٦٨	١٩٦٩	١٩٧٠	١٩٧١	١٩٧٢	١٩٧٣	١٩٧٤	١٩٧٥
الزراعة الغابات الاسماك	٢٦,١	٣٦,٦	٤٠,٢	٣٤,٤	٣٦,٣	٣٦,٨	٣٤,٦	٤٤,٥	٣٠,٣
الصناعة	٨,٧	٨,٢	٨,٧	٩,٣	٩,٦	٨,٢	٨,٤	٨,١	٨,٤
البناء	٤,٧	٣,٥	٥,٢	٦,١	٦,٨	٨,٥	١٠,٤	١١,٣	١٥,٥
الخدمات العامة	٦٠,٥	٥١,٦	٤٥,٨	٥٠,٢	٤٧,٣	٤٦,٥	٤٦,٦	٣٦,١	٤٥,٨
مجموع	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠	١٠٠,٠

وضع الصناعة والعمل النقابي

أدى التشويه الذي تعرضت له الصناعة في الضفة الغربية طوال فترة الالحاق الهاشمي وتحت ظروف الاحتلال الاسرائيلي ، الى تغليب الطابع الحرفي على هذه الصناعة . فلم تستطع استيعاب أكثر من ١٦ ٪ من القوة العاملة في الضفة الغربية كما بينا سابقا . ورغم ما أشرنا اليه من زيادة في عدد العاملين في الضفة الغربية في قطاع الصناعة ، الا أنه لم يحدث تغيير حقيقي في بنية هذا القطاع . فالزيادة الحاصلة هي في الحقيقة في عدد النساء اللواتي يلزمن المنازل . ولم تزد كثيراً نسبة العاملين في المصانع نفسها . حيث كان حوالى ٩٠ ٪ من مؤسسات الضفة الغربية الصناعية يضم تسعة عمال أو أقل في العام ١٩٧٩(٧٤) .

وقد ادى صغر هذه المصانع وعدم التنسيق والترابط بين الصناعات المختلفة الى ضعف

وتفكك في القوة العاملة في هذا القطاع . فلا يتجاوز عدد المؤسسات التي تضم ٥٠ عاملا فاكثر ، ١٤ مؤسسة كما مر سابقا .

وقد أدى فتح المجال أمام الأيدي العاملة العربية للعمل في اسرائيل بأجور أعلى مما يعطى في الضفة الغربية الى هجرة كثير من عمال المصانع . الامر الذي نتج عنه عدم ثبات العمال واستمراريتهم ، وزيادة الاعتماد على الاطفال والنساء . كما أن تدني نسبة العاملين بأجور والتي لم تزد في سنة ١٩٧٧ عن ٦١ ٪ ، أدى الى تداخل بين علاقات العمل والعلاقات العائلية ، مما أضعف امكانية تبلور طبقة عاملة ثابتة . وحتى في المؤسسات الكبيرة ، فمن الملاحظ أن معظم أصحاب المصانع لا يقومون بالادارة فقط ، بل يقدمون أكبر جزء ممكن من العمل اليدوي ، خاصة في الفترة التي تعقب بدء تأسيس العمل .

وقد ترك مثل هذا الوضع أثرا كبيرا على تشكيل العمال الطبقي ، وجعل امكانية تنظيمهم وتاطيرهم في نقابات أمرا صعبا . كما أن أصحاب المصانع الكبيرة يعارضون انتماء العمال الى مثل هده النقابات تحسبا من اضرابات محتملة من أجل زيادة الأجور أو تحسين ظروف العمل . ولذلك فليس غريبا أن لا يتجاوز عدد المنتجين الى نقابات عمالية بما فيه مدينة القدس ، ٨٠٠٠ عامل(٧٥) . ويتبين من الجدو رقم ١٦ ، قلة عدد عمال المصانع المنتسبين مقارنة بغيرهم من العمال .

الجدول رقم ١٦

توزع المنتسبين للنقابات في الضفه الغربيه للعام ١٩٧٩(٧٦)

اسم النقابة	البلد	عدد المنستبين
نقابة الخياطة	نابلس	٢٨
نقابة البناء	نابلس	١٥٠٠
نقابة المؤسسات	نابلس	٢٥٠٠
نقابة المطابع	نابلس	١٢٨
نقابة المخابز	نابلس	٤٩
نقابة الاحذية	نابلس	٢٦٠
نقابة سائقي السيارات	نابلس	١٠٤
نقابة الغزل والنسيج	الخليل	١٢٠
نقابة مشاغل الخليل	الخليل	٢٩٤
نقابة الخياطة	الخليل	٤٥
نقابة عمال صانعي الاحذية	الخليل	١٣٦
نقابة عمال المؤسسات	بيت لحم	٣٠٦
نقابة عمال الصيدليات	رام الله	٥٠
نقابة عمال المؤسسات	رام الله	٤٦٠
نقابة عمال المؤسسات	جنين	٤٠٢
نقابة عمال المؤسسات	طولكرم	٢٨٣
نقابة عمال المطاعم والفنادق	القدس	٧٥٠
نقابة عمال الجلود	نابلس	——
نقابة عمال السائقين والكراجات	الخليل	٢٧
نقابة شركة القدس للكهرباء	القدس	٣٥٠
نقابه مستشفى المطلع	الطور	١٥٠

ورغم حدوث بعض الاضرابات في مصانع الضفة الغربية احتجاجا على تدني الأجور ، الا أن رؤية التناقض مع العدو الصهيوني كأساس يدفع العمال في كثير من الأحيان الى التحاور مع أصحاب المصانع والذين هم أيضا مضطهدون من نفس العدو .

وقد عاد عمال أكثر من مصنع للعمل ليس لأن مطالبهم تحققت ، إنما عن طريق الوصول إلى حل يكفل استمرارية المصنع بالاضافة الى زيادة نسبية في أجورهم . فكما بينا هناك كثير من المصانع مهددة بالتوقف نتيجة المنافسة الاسرائيلية على سوق الضفة الغربية . بالاضافة الى أن هذه الصناعة مهددة في كل لحظة بالتوقف بقرار من السلطات الاسرائيلية . إلا أن ذلك ليس مبررا لعدم رفع أجور العمال في معظم مصانع الضفة الغربية بشكل يضمن للعامل مستوى معيشيا مناسبا .

فرفع الأجور يعتبر عاملا هاما في الحفاظ على القوة العاملة في المصانع ، واستمراريتها ، وبالتالي ، حفظ الطاقة البشرية من التهجير .

خاتمة

يتضح مما سبق أن الاحتلال الاسرائيلي يلعب دوراً متمما لما أدت إليه السياسات السابقة له من أضعاف اقتصاد الضفة الغربية ، وعرقلة نمو القطاعات المنتجة فيها . وهذا ليس غريبا ، لأنه لا يمكن النظر الى نشأة اسرائيل بمعزل عن الدور الذي لعبه الاستعمار والامبريالية في تفتيت المنطقة وتقسيمها وخلق كيانات ودول تشكل أدوات طيعة ، يرتبط مبرر وجودها في خدمة الاستراتيجية الامبريالية في المنطقة .

وقد انتهجت سلطات الاحتلال الاسرائيلي سياسة تؤدي الى خنق الصناعة في الضفة الغربية بكافة الوسائل والطرق الممكنة . ووضعت ، كما أشرنا في هذه الدراسة ، العراقيل أمام استيراد المواد الخام ، علما بأن كافة مصانع الضفة الغربية تعتمد على الاستيراد في بعض المواد الضرورية لها . كما فرضت الضرائب الباهظة التي تثقل كاهل أرباب المصانع . بالاضافة الى ضيق السوق المحلية وعدم توفر امكانية التصدير لمعظم المنتوجات الصناعية . وعمليا فقد تراجــع كثير من الصناعات خاصة تلك التي حرمت من التصدير للأردن .

وبالمقابل نمت تلك الصناعات التي اعتمدت في تسويقها على السوق الاسرائيلية ، مثل النسيج والملابس . كما تطورت الصناعات التي يتطلبها قطاع البناء ، مثل الحجارة ، والطوب ، والبلاط ، والرخام ومناشــر الحجر ، والأثاث .

ومن الملاحظ أن الصناعات التي تعتمد في الأساس على الرأسمال الكبير ، لا تتوفر لها فرص النجاح ، لأنها لا تستطيع منافسة مثيلاتها من الصناعات الاسرائيلية المدعمة من قبل السلطات . أما الصناعة التي تعتمد على العمل اليدوي المكثف فهي تحمل امكانية نجاحها ونموها . ولا تتأثر من المنافسة الاسرائيلية ، لأن قطاع الصناعة في اسرائيل يعاني من النقص في الأيدي العاملة . والتي أصبحت امكانية توفرها صعبة للتراجع المستمر في الهجرات التي تؤمن عادة مثل هذه الأيدي . ولذلك فان الشركات والمصانع الاسرائيلية تلجأ إلى استغلال « العمل العربي » لتوفير الأيدي العاملة الضرورية ليس للصناعة فقط ، بل للزراعة والبناء . وبعد أن استنفدت هذه الشركات الأيدي العاملة من الذكور ، توجهت للاناث . ويبلغ عدد العاملين من الضفة الغربية في اسرائيل حسب الاحصاءات الاسرائيلية ٣٦٠٠٠ عامل(٧٧) . ومثل هذا العدد تقريبا يعمل بطرق غير رسمية عدا عن العاملين في الضفة الغربية نفسها لصالح

الشركات الاسرائيلية . وفي الواقع فان العمل في اسرائيل يستقطب هذا العدد الضخم من العمال العرب ليس بسبب ارتفاع الآجور فقط مقارنة بما يدفع بالضفة الغربية ، فقد أشرنا في السابق إلى ان الفارق بين الآجور أصبح بسيطا جداً مقارنة بالسابق ، إنما بسبب عدم توفر امكانية العمل في الضفة الغربية فالعمال العرب يفضلون البقاء في الضفة على العمل باسرائيل حتى بأجور أقل فيما اذا توفر عمل ثابت ودائم ، خاصة وان معظم العاملين بطرق غير رسمية يعملون بشكل موسمي وغير دائم ، وبالتالي يعانون من بطالة حقيقية ، كما أن العمال العرب إذ يعملون في الضفة الغربية يوفرون الوقت الذي يصرف في التنقل بالاضافة الى نفقات السفر . عدا عن الشعور بالآمن الذي يفتقد أثناء العمل في اسرائيل . ولذلك تصبح ضرورة ملحة مسألة ايجاد فرص عمل جديدة في الضفة الغربية تستوعب الطاقة البشرية العاملة في اسرائيل . ومن هنا تأتي أهمية انشاء مصانع جديدة تعتمد على العمل اليدوي المكثف لاستقطاب أكبر عدد ممكن من القوة العاملة ، وبالتالي الاستفادة من الطاقة البشرية المستثمرة من قبل العدو .

(١) كان مجموع ما يصدر للأردن في سنة ١٩٦٦ يقدر بحوالى ٢ مليون دينار ، اما ما يستورد منه فيبلغ حوالى ٤ ملايين دينار . جميل هلال . **الضفة الغربية والتركيب الاجتماعي والاقتصادي (١٩٤٧ ــ ١٩٤٨)** بيروت ، مركز الابحاث ، ص ١٦١ .

(٢) الارقام من سنه ١٦٧٢ وحتى سنـــه ١٦٧٤ مستحرجه من *Statistical Abstract of Israel* 1975, table xxi vol 12, p. 693.
اما الارقام من سنه ١٦٧٥ وحتى سنه ١٦٧٧ فمن *Administered Territories Statistics Quarterly* (Jerusalem 1978) vol 2, table Cii, p. 6.
والارقام لسنه ١٦٧٨ فمن *Administered Territories* vol 4, table C-1, p. 6.

(٣) بلغت قيمة الصادرات الزراعية في سنة ١٩٦٦ حوالى ١,٦ مليون دينار . هلال ، مصدر سبق ذكره .

(٤) كانت قيمة صادرات الضفة الغربية في ذلك العام حوالى ٤ ملايين دينار اردني ، اما وارداتها فقد كانت ٢٤ مليون دينار . المصدر نفسه .

(٥) *Administered Territories*, no 2. table C-9, p. 19, and N°. 4, table C-9, p. 19.

(٦) *Administered territories* N°. 4, table C-., p. 10.

(٧) اقتصاديات المناطق ... ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨ .

(٨) *Administered territories* N° 4, 1978 Table C-5, p. 15.

(٩) ينتج المصنع بالاضافة الى السمنة ، المرجرين ، وعلب التنك اللازمة للتعبئة

(١٠) *Administered Territories*, N° 4.

(١١) قدمت اسرائيل مكافأة تشجيعية لجميع صادرات الضفة الغربية وقطاع غزة الى الاردن ، خاصة المنتوجات الصناعية ، ووصلت في اب ١٩٧٠ الى ٢٠ ٪ من قيمة هذه الصادرات ، إذا ما أودعت حصليتها بالدينار الأردني في البنوك الاسرائيلية . وذلك بغية اجتذاب الدينار الاردني الذي يعتبر عملة صعبة لثبات قيمته مقارنــة بالليــرة الاسرائيلية هلال . مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢٠ .

(١٢) **الفلسطينيون في الوطن العربي** ، القاهــرة ، جامعة الدول العربية ١٩٧٨ ، جدول رقم ١٦ ، ص ٢٥٠ ، وهلال . مصدر سبق ذكره ، ص ٢٢١ ،

Sheila Ryan, «*Israel Economic Policy in the Occupied Areas*» MERIP (Wachington D. C) 1974, No. 24.

(١٣) ينتج هذا المصنع حوالي ٢٥ نوعا من الشوكولاتة والتوفي والبسكويت وغيرها .

(١٤) يقوم المصنع بالاضافة الى تعليب البندورة ، بصنع المربيات وتعليب الخضار ، بالاضافة الى صنع علب التنك اللازمة للتعبئة .

(١٥) ينتج هذا المصنع ٤٠ نوعا من قضبان اللحام ، منها ما هو خاص بانابيب البترول .

(١٦) تقدر مبيعاته بحوالى ٥٠٠,٠٠٠ ليرة اسرائيليــة شهريا

(١٧) تقدر مبيعاته بحوالى ٥,٠٠٠ ليرة اسرائيلية يوميا .

(١٨) ينتج هذا المصنع نحو ٥٠٠ صنف من الادوات البلاستيكية ، بالاضافة الى انتاج المواد الاسفنجيــة وفرشات الزنبرك .

(١٩) *Administered territories*, N°. 4, table C-7, p. 17.

(٢٠) ينتج هذا المصنع ١٢ نوعا من المعكرونة ، ويسوق نصف انتاجه من السبجيتي في اسرائيل .

(٢١) يعتبر غزة منطقة زراعية بالدرجة الاولى ، ولكن توجد فيها بعض الشركات والمصانع الكبيرة والمهمة مثل مصانع مرتجي للكولا (ستار) ، ولسلك الجلــي ، ولتعبئة الحمصيات ، وشركة شسطي للصناعة والتجارة ،

ومصنع غزة للاعلاف ، ومصنع الهلال للسمنة ، ومصنع المبيدات الحشرية ، وشركة تعبئة سفن اب .

(٢٢) تنتج شركة بيرزيت نحو ٩٠ صنفا من الادوية ، وشركة بلسم حوالى ١٠٠ صنفا . وشركة القدس للمستحضرات الطبية ، ١٠٠ صنفا ، وشركة فلسطين ، ١٣٠ صنفا ، أما المصنع الكيماوي فينتج ٩٠ صنفا .

(٢٣) ينتج مصنع شركة الصناعات العربية الاصناف التالية ٣ أنواع من مسحوق الصابون للغسيل ، يدوي واتوماتيك ، وشامبو للشعر ، وسائل للغسيل البيتي ، وصابون للجسم على شكل شامبو ، وكلور . أما مصنع المنتوجات الكيماوية فينتج مواد التنظيف ، مبيضات الغسيل ، والصابون السائل، والمعجون وكلور ، وصابون لتنظيف البلاط ، شامبو .

(٢٤) تبلغ انتاجية مصنع نابلس ، ٥ الاف تنكة يوميا ، اما مصنع جنين فيصل الى ٣ الاف تنكة .

(٢٥) تنتج شركة سجائر القدس ٦ انواع من السجائر ، أما شركة السجائر العالمية فتنتج ٧ انواع

(٢٦) تقوم السلطات الاسرائيلية بدعم الصناعة الاسرائيلية من حيث رأس المال وقروض بفوائد قليلة ،

(٢٧) الدرجة من حيث الضخامة في الانتاج والجودة .

(٢٨) من ايطاليا واسبانيا بالدرجة الاولى ، ثم من اليونان وقبرص .

(٢٩) سنغافورة ، ماليزيا ، الملايو .

(٣٠) **الطليعة** ، القدس ٣١ اب ، ١٩٧٨ .

(٣١) **المصدر نفسه** ، ١١ اذار ، ١٩٧٩

(٣٢) **المصدر نفسه** ، ٤ أيلول ، ١٩٧٨ .

(٣٣) **المصدر نفسه** ، ١١ اذار ، ١٩٧٩

(٣٤) بدأت شركة المستحضرات الطبية عملها كشركة خاصة من ٣ أشخاص ، ثم تحولت الى شركة مساهمة خاصة ، وفي سنة ١٩٧٨ أصبحت مساهمة عامة . كما بدأت شركة بيرزيت لصناعة الادوية سنة ١٩٧٤ كشركة مساهمة خاصة ، ثم تحولت الى مساهمة عامة بلغ عدد المساهمين فيها ١٠٠ شخص . كما بدأت شركة بلسم عملها كمصنع بسيط سنة ١٩٧١ ، وتحولت في سنة ١٩٧٤ الى شركة مساهمة محدودة ثم الى مساهمة عامة في سنة ١٩٧٤ ، يساهم بها ١٠٥ اشخاص .

(٣٥) تاسس في سنة ١٩٧٣ كشركة عادية تضم ٢٠ شخصا ثم تحول الى شركة خاصة مساهمة تم الى مساهمة عامة بلغ عدد المساهمين فيها ٢١٢ شخصا .

(٣٦) من تصريح لوزير المال في ذلك الوقت ، يهو شواع رابينوفيتس ، في مقابلة نشرتها دافار في ٧٦/٩/١٠ . **نشرة م . د . ف** ، ٧٦/١٢/١٦ ، عدد ٢٤ ، ص ٤٦٩ .

(٣٧) **المصدر نفسه** .

(٣٨) **الدستور** ، عمان ٣ كانون الثاني سنة ١٩٧٨ .

(٣٩) **الطليعة** ، ٢٥ كانون الثاني ، سنة ١٩٧٩ .

(٤٠) **الدستور** ، ٣٠ تموز سنة ١٩٧٧ .

(٤١) **نشرة م . د . ف** ، ٧٦/١٢/١ ، عدد ٢٠ ــ ٢٣ ، ص ٨١١ .

(٤٢) **الطليعة** ، ١ اذار سنة ١٩٧٩ .

(٤٣) **نشرة م . د . ف** ، ١٩٧٦/١٢/١ ، عدد ٢٠ ــ ٢٣ ، ص ٨١١ . وصحيفة **القبس** ، ٨ نيسان ١٩٧٨ .

(٤٤) يدرس في هذا المركز بالاضافة الى ما ذكر حول المراكز الاخرى ، صناعة خشب الزيتون والخياطة ، **المصدر نفسه** ص ٢٥

(٤٥) حسن القيق ، **التعليم الصناعي في الضفه الغربية** ، القدس ، ١٩٧٩ ، ص ٢٥ .

(٤٦) تدرس مادة الحياكة والتطريز . **المصدر نفسه** ، ص ٢٦ .

(٤٧) تدرس مادة الحدادة واللحام بالاضافة الى الخياطة . **المصدر نفسه** .

(٤٨) تدرس النجارة والحياطة والصوف والتبليط والطوبار والنجارة . **المصدر نفسه** .

(٤٩) تدرس مادة الحدادة واللحام والتبليط والطوبار . **المصدر نفسه** ، ص ٢٧ .

(٥٠) يدرس الطوبار والخياطة . **المصدر نفسه** ، ص ٢٨ .

(٥١) يدرس النجارة والتبليط والطوبار والخياطة ، **المصدر نفسه** .

(٥٢) تدرس النجارة والتبليط والطوبار والحياطه . **المصدر نفسه** ، ص ٢٩ .

(٥٣) يتم تدريس المواضيع التالية في هذه المدارس الخراطة والتسوية، الحدادة واللحام ، النجارة ، التنجيد والديكور ، الادوات الصحية والتدفئة المركزية ، الراديو والتلفزيون ، الكهرباء ، السيارات

(٥٤) المدرسة الوحيدة التي تأسست بعد الاحتلال هي في طولكرم ، سنة ١٩٧٦ ، أما كافة المدارس الاخرى قبل الاحتلال ، وقد كانت مدرستا عبد الله بن الحسين ، ودير ديوان مركزين للنشاط الصناعي في المرحلة الاعدادية ، وتحولت فيما بعد الى مدرسة ثانوية .

(٥٥) يتقدم للمدرسة ٤٠٠ طالب كل سنة ، يقبل منهم ١٢٠ ــ ١٤٠ فقط . القيق ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ٨١٧

(٥٦) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ٣٠٠ طالب يقبل منهم ١٣٠ فقط ، **المصدر نفسه** ، ص ٩ ، ١٠

(٥٧) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ١٠٠ طالب يقبل منهم ٥٠ فقط ، **المصدر نفسه** ، ص ١٠ ، ١١

(٥٨) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ٢٥٠ طالب يقبل منهم ٥٠ فقط . **المصدر نفسه** ، ص ١١ ، ١٢ .

(٥٩) يتقدم لهذه المدرسة حوالى ١١٠ طلاب يقبل منهم ٧٠ طالبا فقط وقد تخرج أول فوج سنة ٧٧ . **المصدر نفسه** ، ص ١٦ .

(٦٠) بلغ عدد الخريجين منذ تاسيس المعهد سنة ١٩٥٣ ، ٢٨٢٨ طالبا، ويتم تدريب الطلاب بالاضافة الى التاهيل المهني ، على المهن الصناعية التي يدرب عليها في المدارس الصناعية الثانوية السالفة الذكر ، **المصدر نفسه** ، ص ١٩ .

(٦١) يتم تدريب الفتيات على الحياكة والتجميل ، بالاضافة الى المهن الطبية المساعدة . **المصدر نفسه** ، ص ٢٠ .

(٦٢) **المصدر نفسه** ، ص ٢١ .

(٦٣) **المصدر نفسه** .

(٦٤) **المصدر نفسه** ، ص ٢٢

(٦٥) **المصدر نفسه** ، ص ٢٣ .

(٦٦) يقبل في هذا المعهد الطلاب الذين حازوا على الشهادة الثانوية العامة بفرعيها القسم العلمي او الصناعي . ويعد هذا المركز الفنيين الهندسيين التطبيقيين ولم يتخرج أحد من هذا المعهد لحداثة تاسيسه في نهاية سنة ١٩٧٨ **المصدر نفسه** ، ص ٣٠ ، ٣١ .

(٦٧) هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٨ و ١٤٩ .

وديع شراعية ، **التنميه الاقتصاديه في الاردن** ،

القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، جامعة الدول العربية ١٩٦٨ .

(٦٨) **المصدر نفسه** .
(٦٩) **المصدر نفسه** .
(٧٠) S.A. 1978, table xxvii-6. p. 668.
(٧١) **المصدر نفسه** .
(٧٢) **المصدر نفسه** .
(٧٣) النسب لسنة ١٩٦٦ مأخوذة من هلال ، **مصدر سبق ذكره** ، ص ١٤٨ . أما للسنوات الاخرى فمن اقتصاديات المناطق المحتلة ، **مصدر سبق ذكره** ، جدول رقم ١٣ .

(٧٤) هشام عورتاني ، **الدوافع الاقتصادية للهجرة من الضفة الغربية** ، نابلس ، جامعة النجاح ، ١٩٧٦ ص ٢ .
(٧٥) هناك ١٨ نقابة منتسبة الى اتحاد النقابات العام من مجموع ٢١ نقابة في الضفة الغربية .
(٧٦) تأسست كافة هذه النقابات قبل الاحتلال باستثناء نقابة عمال الصيدليات في رام الله التي تأسست سنة ١٩٧٨ .
(٧٧) *Administered Territories", no 2.*

منير شفيق

حرب آذار ١٩٧٨ عسكرياً

أغلق الربع الاخير من عام ١٦٧٦ مرحلة ، وآذن ببدء مرحلة جديدة . وكان أبرز مؤشرات ذلك مؤتمر الرياض (١٧ تشرين الاول/ اكتوبر ١٦٧٦) ومؤتمر القاهرة (٢٥ تشرين الاول ١٦٧٦) ، اللذين اعلنا نهاية الصدام المسلح الفلسطيني ـ السوري ، وعودة الوئام السياسي بين الجانبين ، وثبتا وجود القوات السورية في لبنان تحت اسم قوات الردع العربية ، كما أكدا مجددا على اتفاقية القاهرة بين الثورة الفلسطينية والدولة اللبنانية ، وكان ذلك بمثابة التكريس او التصديق العربي الشامل لها .

كانت هذه النتائج تعني ، من الناحية السياسية ، انزال ضربة قاسية بمخطط المؤامرة الاميركية ـ الصهيونيه في لبنان ، وفتح الطريق امام اعادة توحيد لبنان وتكريس عروبته . ولكن تحقيق ذلك كان يتطلب الدخول في مرحلة جديدة من الصراع السياسي والعسكري . الامر الذي اعاد الجنوب الى مكانته الاولى ، باعتباره مركز الثقل في الصراع المسلح . وكان هذا يعني الاقتراب ، اكثر فاكثر ، من نقطة الصدام المباشر مع العدو الصهيوني .

ولهذا ، ما ان عقدت اتفاقيتا الرياض والقاهرة ، وتم التاكد من انهما ستجدان طريقهما الى التطبيق ، ولو جزئيا ، حتى بدأ الجيب العميل في الجنوب يتصدر الواجهه من جهه الدور الذي راح يلعبه ، او على الاصح ، من جهة الدور الذي انيط به . وهكذا ، بدأ عمليات واسعه للسيطرة على المزيد من القرى الجنوبيه الحدوديه .

الاندفاع جنوبا

التقطت قيادة الثورة الفلسطينية ، بسرعة ، الاتجاه الجديد للصراع . فاندفعت بقواتها جنوبا، ودون ان تاخذ فترة، ولو قصيرة ، لتلأم جراحها وتلتقط انفاسها ويجب التذكر هنا ان هذا الاتجاه الجديد الصائب ، بعيد النظر ، كما اثبتت الاحداث ، قد شق طريقه في حينه ، وسط معارضة ظالمة اتهمته بالمغامرة ، ودعت الى المحافظة على القوى الذاتية وعدم ارسالها الى الجنوب « لئلا تصبح بين المطرقة والسندان » . كانت تلك المعارضة تعيش مرحلة ١٦٧٥ ـ

١٩٧٦ ، وقد صعبت عليها رؤية سمات المرحلة الجديدة : الامر الذي يسمح بالقول ان القيادة العامة لقوات العاصفة كانت سترتكب خطأ فادحا تنجم عنه كارثة لو انها استمعت الى تلك الموضوعات، او رضخت لضغوطها . ذلك ان الجنوب كان سيقع ، حتما ، فريسة سهلة للخائن سعد حداد ، او على الاصح ، كان سيصبح تحت الاحتلال الصهيوني المباشر تظلله يافطة « لبنانية » ؛ لانه من غير الممكن توقف ذلك التمدد السرطاني ما لم تندفع القوات جنوبا ، وبكل ثقلها ، لمواجهته ، وردعه .

لم يكن القرار بدفع القوات جنوبا قرارا مغامرا ، او مجرد قيام بالواجب القومي . لقد كان يستند الى شفافية وعمق في الرؤية السياسية لمجمل الاوضاع العامة في لبنان والمنطقة والعالم . وقد اثبتت الوقائع العملية ان ذلك التحرك العسكري قد نجح في وقف التدهور وحصر الجيب العميل . وبالطبع ما كان له ان ينجح في ذلك لولا صواب رؤيته السياسية ودقة تقديره للموقف السياسي العام .

لقد اثبتت تلك التجربة ، مرة اخرى ، ان العمل العسكري في الظروف الفلسطينية واللبنانية لا يكون ناجحا الا في ظل تقدير سديد للموقف السياسي العام ، لأن هذا التقدير هو الذي يسمح بتنظيم الخطوات العسكرية من جهة الهجوم والدفاع او من جهة المكان والزمان . بل اثبتت الوقائع ان المقاتل الفلسطيني والمقاتل الوطني اللبناني تتضاعف قدراتهما القتالية ومعنوياتهما حين يتخلصان من التقدير السياسي المتشائم السوداوي لاوضاع تحمل في طياتها ايجابيات وظروفا مؤاتية تسمح بتحقيق مآثر ومنجزات ونجاحات على رغم ما يحيط بها ، في الوقت نفسه ، من سلبيات وظروف غير مؤاتية .

معارك ١٦٧٧

كان نزول قوات العاصفة الى الجنوب ، بعد اتفاقيتي الرياض والقاهرة، وتثبتها في المحاور الرئيسية ، يسيران في سباق مع الزمن . ولم يكن التثبت في القطاع الغربي او الاوسط او الشرقي ، عملا بسيطا وميسورا ، بل احتاج ، حقيقة ، الى عزيمة الرجال ، والى المعنويات العالية في ظل القصف والمناوشات والحشود المعادية والحرب النفسية المدمرة . ولم تمض اسابيع حتى كانت القوات قد تخندقت جيدا ، وبدأت تثبت اقدامها في الارض ، وذلك في ظل ظروف من القتال تختلف نوعيا عن ظروف حرب السنتين في الداخل اللبناني . وهكذا لم ينته عام ١٩٧٦ او يبدأ عام ١٩٧٧ ، حتى كان الجنوب ، في اغلبه ، بيد القوات الفلسطينية ــ اللبنانية المشتركة ، وانحصرت مناطق سعد حداد في جيبين · الاول محور رميش ــ عين ابل · والثاني القليعة ــ مرجعيون ، وكان قاطع بنت جبيل يفصل بين الجيبين ؛ مما جعله في المرحلة القادمة . احد المحاور الاكثر اهمية في حرب سعد حداد ضد قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية والشعبية اللبنانية . وقد شكلت المحافظة عليه والحيلولة دون سقوطه بيد القوات العميلة أحد الأسباب الرئيسية لحرب الجنوب فيما بعد ، وذلك لأهميته بالنسبة للخطة الصهيونية ــ الاميركية . بل سنرى ، فيما بعد ، انه المكسب الوحيد الذي اصرت القوات الصهيونية على الاحتفاظ به بعد اضطرارها للانسحاب من المناطق التي احتلت في حرب اذار ١٩٧٨ .

كان النصف الاول من عـــام ١٩٧٧ مسرحا لاشد المعارك التي انتهت بكسر شوكة

الهجمات العامة التي شنتها قوات الانعزاليين . فقد شهدت تلك المرحلة معارك هامه في بلدة الخيام ونواحيها ، ثم اوقف الهجوم العام الذي شن للسيطرة على عقدة ابل السقي . وهو أمر ، لو تم ، كان يعني سقوط القطاع الشرقي . ولكن بطولة قوات العاصفة واستماتتها في الدفاع عن تلك العقدة ، بقيادة الرائد محمد علي (ابو يعقوب) الذي استشهد في تلك المعركة ، حالت دون تلك النتيجة الوخيمة ، بل ثبتت الثورة الفلسطينية في تلك الارض التي ما زالت محروسة بالفدائيين الشجعان .

أما محور بنت جبيل ـ الطيبة ـ رب ثلاثين ، فقد حمل بدوره ثقلا رئيسيا في تلك المرحلة حيث اشتركت قوات العاصفة في القطاعين الاوسط والغربي ، والجنوب عموما ، في الدفاع عن المحور : فكانت معركة تلة شلعبون التي احتلت ثم استردت في اليوم نفسه ، ثم معركة الطيبة ـ رب ثلاثين ، التي كانت عملية استردادها وتحريرها من اهم المآثر العسكرية ، خصوصا من جهة حجم القوات التي اشتركت فيها ، (وقد تألفت القوة الضاربة من مختلف كتائب قوات القسطل) ، او من جهة صواب تقدير الموقف السياسي ودقة الخطة العسكرية ، ومستوى الاداء . لقد ادت تلك المعركة الناجحة الى كسر شوكة هجوم قوات سعد حداد المعززة بالقصف والامداد الصهيونيين ، ثم انكفائها الى الدفاع بقية من عام ١٩٧٧ .

البعد السياسي لمعارك ١٩٧٧

كان لصد الهجمات اليومية ، ثم لمعارك ابل السقي وتلة شلعبون والطيبة ، بعد سياسي هام ورئيسي ، الى جانب اهمية البعد العسكري المادي . ذلك ان النجاحات في التصدي وفي اجتراح انتصارات ، قد رفعت من معنويات جماهير الجنوب وعززت تلاحمها مع الثورة الفلسطينية وضربت مؤامرة الايقاع بين الثورة الفلسطينية وجماهير الجنوب . بل يمكن القول ان المعركة السياسية في جنوب لبنان تشكل الوجه الاهم للصراع في ميدان لم يتوقف فيه القصف والقتال .

ومن هنا يمكن القول أن العمل السياسي السليم بين الجماهير ، وصحة الشعارات السياسية التي تطرح في الجنوب ، يشكلان الشرط الاساسي لاحباط المؤامرة الصهيونية ـ الاميركية ـ الانعزالية ، بل انهما شرط للصمود العسكري ، وان كانا غير مجديين الا في ظل صمود عسكري وبطولات وتضحيات . وهكذا ، تظهر تلك العلاقة المتبادلة الحية بين السياسة والقتال ، او بين العمل مع الجماهير والقتال ضد العدو . ولعل من الجدير قوله هنا انه حينما كان هنالك قتال حقيقي كان هنالك عمل سياسي سليم مع الجماهير . وحيثما كان هنالك عمل سياسي سليم مع الجماهير كان هنالك قتال حقيقي . كما ثبتت صحة هذه المقولة من جهة نقيضها : حيثما كان القتال رديئا وضعيفا ـ ربما لا قتال ـ كان العمل مع الجماهير رديئا ، او خاطئا سياسيا ، او كثير التجاوزات ، طبعا كان لكل قاعدة عامة شذوذها ، ذلك ان الذي بيده بندقية ، ويستقوي على الشعب فيطغى يكون من المؤمنين بقانون القوة والتسلط ، متعبداً في محرابهما . ولهذا ، حين يواجه عدوا اقوى منه ، او متفوقا عليه ، ينهار ويولي الادبار . اما الذي ، بيده بندقية ويحترم الشعب ، ويعمل من اجل مثل اعلى ، فلا يكون مؤمنا بقانون القوة والتسلط . ولهذا حين يواجه عدوا اقوى منه او متفوقا عليه ، يثبت في الميدان ويقاتل بشجاعة وشرف وايمان .

اجواء ما قبل حرب اذار ١٩٧٨

وهكذا دخل عام ١٩٧٨ ، وقد فشلت المؤامرة في الجنوب عسكريا وسياسيا . وبدأت مرحلة العد العكسي : الأمر الذي جعل العدو الصهيوني يستعد لشن الهجوم المضاد ، لكي يمنع تدهور قوات عملائه في الجنوب ، وليوقف تصاعد العمل العسكري والانتفاضات الشعبية في فلسطين . وليمنع تواصل الانتصارات السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية . وهذا يفسر الهجوم الواسع الذي شنته قوات سعد حداد على قرية مارون الراس في ١٩٧٨/٣/٢ ، وهي قرية في رأس جبل يسيطر على بنت جبيل ويطل على الأرض الفلسطينية التي تبعد عنه مرمى بندقية . وكانت ، بسبب حساسية موقعها الاستراتيجي ، خالية من القوات المسلحة دائما : لأن الوصول اليها يعني تغيرا في ميزان القوى العسكري في القطاع الاوسط أن لم يكن على مستوى الجنوب كله .

كان من الواضح ان احتلال مارون الراس مجرد خطوة للوثوب على محور بنت جبيل ، ان لم يكن اسقاطه دون قتال . ولهذا جاء القرار من قيادة الثورة الفلسطينية بالرد الفوري ، قبل ان تتموضع القوات أو تلتقط انفاسها . وبالفعل حدثت مأثرة في ذلك اليوم نفسه ، حيث شن هجوم مضاد في وضح النهار ، فاجأ القوات الانعزالية التي لم تتوقع التجرؤ على مثل هذا الهجوم فورا ونهارا ضد موقع مثل موقع مارون الراس . وسرعان ما تشتت سرية مؤللة تركت عددا من آلياتها ومعداتها وجثث قتلاها وهي تلوذ بالفرار .

وبهذا انقلب الموقف في غير مصلحة العدو الصهيوني ، ناهيك عن جماعة الجيب العميل . وقد زاد الوضع خطورة بالنسبة اليهم ، حين رأوا قوات الثورة الفلسطينية والقوات الوطنية والشعبية اللبنانية تتمركزا في القرية وتباشرا عمليات التحصين والخندقة : الأمر الذي يعني ان المواجهة في تلك المنطقة اصبحت مباشرة مع المستعمرات الصهيونية .

لم يكد العدو الصهيوني يجمع اجزاء صورة الوضع الجديد حتى كانت عملية الشهيد كمال عدوان قد اندلعت في القلب ، بل في اكثر النقاط حساسية . وكانت عملية جريئة اسفرت عن معركة بطولية اسطورية اهتزلها الكيان الصهيوني من اعماقه ، وانشدت لها انظار العالم اعجابا او اندهاشا ببطولة تلك المجموعة من الفدائيين بقيادة الشهيدة دلال المغربي . فكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير . وقد سبقها تصاعد مستمر للكفاح المسلح ، وتواصل للانتفاضات الشعبية داخل الأرض المحتلة ، وهزائم للمؤامرة الصهيونيه ـ الاميركية على مستوى لبنان عموما ، والجنوب خصوصا ، ثم انتصارات سياسية ودبلوماسية لمنظمة التحرير الفلسطينية على مستوى دولي، ثم عزلة خانقة لخط الاستسلام الساداتي الذي تمثل ، في حينه ، بزيارة العار للقدس ، ثم ، فيما بعد ، بتنازلاته الخيانيه في كامب ديفيد ومعاهدة واشنطن . ولكن ، في المقابل ، اذا كانت هذه كلها تشكل اسبابا لشن حرب الجنوب ، فأن تلك الحرب لم تأت في ظروف سياسية عامة مؤاتية للعدو الصهيوني . ولعل الدليل البسيط السريع على ذلك انه لم يستطع ان يحقق مبتغاه في احتلال الجنوب حتى نهر الليطاني ، او يضع يده على مياه الليطاني ، فاضطر الى التراجع والانسحاب من القسم الاعظم من الأراضي التي احتلها في حرب اذار ١٩٧٨ ، وذلك على خلاف معظم التقديرات التي كانت تستبعد حدوث التراجع والانسحاب من الليطاني . ولهذا ، يمكن القول ان القرار الصهيوني بالحرب تم في

ظروف التراجع العام والعزلة ، وتلقي الضربات ، وضمن وضع عربي ودولي غير مؤات للتوسع والاحتلال،على الرغم من ان الجيب الانعزالي وسع مناطق سيطرته اثر تلك الحرب فشملت قاطع بنت جبيل في القطاع الاوسط والخيام في القطاع الشرقي .

توقع الهجوم

كانت كل لحظة تمر بعد ١١ اذار ١٩٧٨ ، مرشحة لتصبح ساعة الصفر لحرب العدوان . بل ان العدو راح يحشد قواته باعداد ضخمة قرب الحدود اللبنانية منذ فجر ١٢ اذار ، ثم اخذت تتوالى المؤشرات والمعلومات ، حتى التصريحات الرسمية حول حتمية الحرب . ويبدو ان سوء الأحوال الجوية في ١٢ و ١٣ و ١٤ اذار ، هو الذي اجل موعد الهجوم الى منتصف ليلة ١٤ ـ ١٥ اذار ١٩٧٨ .

اذا كانت الحرب امراً متوقعاً الى ما فوق مستوى الاحتمال المرجح ، فقد دارت النقاشات حول الخطة الصهيونية · هل سيكون هجوما شاملا على كل الواجهة يتقدم لاحتلال الجنوب حتى الليطاني ؟ هل سيبدأ بانزال وراء الخطوط ثم بعملية اطباق على القوات بعدا اغلاق طرق الانساب عليها ؟ هل سيأخذ شكل اختراق من اكثر من محور ، ثم تجري عمليات الالتفاف والتمشيط ؟ هل ستشمل الحرب محورين اساسيين في القطاعين الاوسط والشرقي ، بحيث يتصل جناحا الجيب العميل ، وبهذا يكون الهدف محور الطيبة ـ بنت جبيل في القطاع الاوسط ، والخيام ومحور ابل السقي في القطاع الشرقي ؟.

في الحقيقة ، لم يكن من السهل ترجيح احد الاحتمالات ، وان غلب ترجيح احتمال الحرب الواسعة على طول الواجهة حتى الليطاني ، وهو الذي حدث فعلا . اما السبب ، فكان التناقض بين ايهما سيتغلب على الآخر : غطرسة العدو وطبيعته المتعجرفة ، أم تقديره العقلاني للوضع السياسي العام . ان التقدير السياسي العام ، خصوصا ، الوضع الأميركي المتأزم وغير القادر ، في تلك المرحلة ، على تحمل صراع على مستوى احتلال شامل ، كان يفرض ان يكون الهجوم محدودا . ولكن الغطرسة والعجرفة تفرضان ردا انتقاميا شاملا ، وربما التصور ان الاحتلال الشامل يضع العدو في موقع تفاوضي اقوى بالنسبة الى وجود الثورة الفلسطينية في الجنوب ، بل في لبنان كله . ومن هنا تغلب هذا الجانب على خطة الحرب ، ولكنه ارتطم بمقاومة فلسطينية ولبنانية باسلة وشجاعة وطويلة النفس ، واستعداد لمواصلة المقاومة ، وارتطم بمعارضة عربية ودولية ضد أميركا شبه شاملة . مما فرض الانسحاب ، حقيقة خلال ثلاثة اشهر . وقد اجبرت الامبريالية الاميركية على التصويت لمصلحة الانسحاب الفوري ، ولم تكن قادرة على تغطيته في البقاء مدة اطول .

اهداف الهجوم

كان العدو الصهيوني يعلم ان قيادة الثورة الفلسطينية متأكدة من حتمية شنه لحرب واسعة . بل ربما تعمد ان يفسح لها مجال الانسحاب . وقد استمر على هذ الخط حتى بعد بدء هجومه العسكري . والدليل على ذلك انه لم ينزل قوات وراء خطوط الثورة ، واستخدم اسلوب التقدم من الواجهة باتجاه الليطاني .

من هنا يصح الاستنتاج ان العدو كان يريد انزال هزيمة سياسية ومعنوية بمنظمة

التحرير الفلسطينية وبالقوات المشتركة في الجنوب ، وذلك عن طريق دفعها ، بارخص ثمن ، الى اخلاء الجنوب . أما هدفه الثاني ، فكان تدمير ما تبقى من القوات ، ولكن دون تعريض قواته إلى خسائر كبيرة ؛ وهذا ما يفسر استخدامه تكتيك الاحتلال اولا بأول ، وليس تكتيك الانزال وراء الخطوط والاختراق لضرب الطوق على مسرح العمليات ، وذلك تجنبا لوضع قوات الخصم امام خيار القتال المستميت اذا رفضت الاستسلام ، وهو تكتيك اسلم عاقبة حين يغري الخصم بالهرب . اما من الجهة الاخرى فهو يسمح بتحشيد تكتيكي للقوى ضد كل موقع بنسبة ١٠:٢٠ (لمصلحة العدو) ، كما يؤمن سرعة في الانجاز اذا انهار الخصم ولاذ بالفرار . اما التكتيك الآخر ، فله مزايا عسكرية على مستوى العملية ككل ، خصوصا حين يدمر القوات المقابلة او يفرض الاستسلام عليها ، ولكنه مكلف جدا اذا صممت تلك القوات على المقاومة في قلب الحصار ، وهو ما يتوقعه العدو من الفدائيين والقوى الوطنية اللبنانية لحظة يجدون انفسهم امام خيار الموت او الاستسلام ، لأنهم سوف يختارون القتال حتى الشهادة . وعندئذ تطول المعارك وتزداد كلفتها .

يصح مما تقدم ، ترتيب اهداف العدو من حربه على كما يلي :

١ ــ انزال هزيمة سياسية ــ معنوية بقوات الثورة والقوى الوطنية اللبنانية ، وطردها من الجنوب الى ما وراء الليطاني .

٢ ــ فرض احتلاله وهيمنته على ارض الجنوب ، وتعميم تجربة « الجدار الطيب » حتى الليطاني ، وتحقيق اطماعه في الأرض والماء .

٣ ــ ابادة ما يمكن من القوات ضمن الاطار المذكور اعلاه .

وبهذا يكون ، في حالة النجاح ، قد زعزع مكانة الثورة الفلسطينية وهيبتها عربيا ودوليا ، ويكون قد احتل ارضا وحسن من مواقعه ومواقع الانعزاليين في لبنان ضد الثورة الفلسطينية وسوريا والحركة الوطنية والقوى الشعبية الاسلامية ، وضد الوضع العربي عموما ، ويكون قد انتقم لعملية كمال عدوان بما انزل من خسائر بقوات الثورة الفلسطينية .

هنا ايضا كان قرار القيادة الفلسطينية الصمود والتصدي وخوض الحرب حتى اخر مدى . وقد استعادت ذكريات معركة الكرامة : فكانت محاولة العدو اغراءها على الانسحاب بمثابة الدعوة لها الى حشد القوات ودفعها الى مواجهة الحرب الخامسة من اجل تسطير ملحمة بطولية تصفع غطرسة العدو الصهيوني ، وتشكل الرد على سياسة التخاذل والاستسلام .

محصلة عامة للحرب

اعلن العدو ، رسميا ، ان حملته في الجنوب ستستغرق ٢٤ ساعة ، وربما ٤٨ ساعة ، حتى يكون قد وصل الليطاني ، و « طهر » الجنوب من « المخربين » . ولكن الذي حدث انه ارتطم بمقاومة ضارية لم يتوقعها : مما جعلها حرب ثمانية ايام ، وقد انتهت بوضع الثورة الفلسطينية ندا له في المواجهة ، وبدون ان يتمكن من السيطرة على مدينة صور . ثم تضافرت العوامل السياسية فاجبرته على الانسحاب . ولم يفد من كل تلك الحرب الا بتوسيع رقعة سيطرة سعد حداد على بعض الاجزاء الجديدة . ولكن حتى هذا تم ، فيما بعد ، عن طريق تواطؤ

قوات الطوارىء الدولية ، او بعض اطرافها على الاقل . إن هذه الجوانب السلبية يجب ألا تمنع من تحديد المحصلة العامة للحرب ، وهي خروج الثورة الفلسطينية أعلى شأنا على كل الاصعدة الشعبية والرسمية فلسطينيا وعربيا ودوليا ، ناهيك عن بروز الثورة الفلسطينية عسكريا ، لأول مرة ، باعتبارها ندا للعدو الصهيوني . وقد نالت ذلك من خلال قتالها المستمر ثمانية أيام بلياليها ، وانزالها خسائر فادحة بالعدو ، وتجنبها لخسائر كبيرة ، ومحافظتها على قواها الذاتية عبر القتال نفسه ، ثم مضاعفتها لجسم قواتها نتيجة تدفق المتطوعين .

ان كل ذلك يجعلنا نقطع بان العدو فشل في تحقيق اي من اهداف العملية ، بينما حققت الثورة الفلسطينية انتصاراً باهراً يصح وصفه بالكرامة او الكرامات .

العملية عسكريا

تبين مما تقدم ، ان هجوم العدو فقد عنصر المفاجأة من ناحية التحرك المباغت ، او — كما يقال — على حين غرة . بيد ان هذا لا يمنع استخدام الاساليب الاخرى لتحقيق المفاجأة بطريقة استخدام النيران او الحركة التكتيكية ، الخ .

لقد بدأ العدو ، في الدقائق الاولى بعد منتصف ليلة ١٤ — ١٥ اذار ، هجومه مستخدما القصف التمهيدي الشامل على طول الحدود . وقد اشتركت اسلحة الطيران والمدفعية والبوارج في ذلك ، ثم تحرك بمشاته لاحتلال بعض المواقع الاساسية في الظلمة الحالكة ، وقبل ساعتين من انبلاج الفجر : اي ان العدو استخدم في الهجوم ثلاثة تكتيكات ، كان اولها بدء القتال في حلكة الظلام ، وهو ما لم يمارسه العدو من قبل بما في ذلك قصف الطيران ليلا · وكان ثانيها استخدام المشاة الراجلة بدلا من الدبابات : وذلك في الشحنة الاولى من الهجوم . وقد ابقى آلياته في اليوم الاول بعيدة نسبيا ، واسند إليها مشاركة مباشرة محدودة · وكان ثالثها عدم اللجوء الى تكتيك الاختراق ليجعل قوات القشرة تحت الحصار ، وقد قطعت طرق امدادها ، وانما استخدم تكتيك التطويق والاختراق من الخلف بالنسبة لكل موقع على انفراد ، والاحتلال اولا بأول ، وعدم ترك مواقع معادية وراءه.

يجب ان يلاحظ هنا ان استخدام هذا التكتيك بحاجة الى وقفة متأنية . فهو ، فضلا عن جوانبه التي تحمل سمة المفاجأة التي تعوض عن فقدانه للمفاجأة المتعلقة بالزمان والمكان، فانه قد يكون اسلوبا جديدا يعد العدو نفسه لاستخدامه في اية حرب عربية قادمة . فهو ، بهذا التكتيك ، مارس اسلوبا جديدا يكون قد تدرب عليه ، ثم يكون قد قوم التجربة واستخلص منها دروسا قد تفيده في حروبه القادمة . وهنا يجب ان نلاحظ ما يلي

أ — الدقة العالية في التنسيق بين قصف الطيران والمدفعية وبين حركة المشاة . حيث لوحظ انعدام الفارق الزمني **تقريبا** بين توقف القصف وبين اقتحام المشاة للمواقع التي كانت هدفا للرمايات .

ب — كانت حركة العدو القتالية في الليل على درجة عالية من الاتقان ، بما في ذلك قصف الطيران ، وهو امر يجب ان يؤخذ بجدية ، خصوصــا فيما يتعلق بالتوقيت لتحقيق المفاجأة ، او في اثناء الحرب نفسها .

جـ — التكتيك الذي استخدم في احتلال المواقع غلب عليه الالتفاف من الخلف ، حيث كان يعبر بمشاته من نقاط ميتة بين المواقع — لا يتوقع المدافع المرور منها او يكون المدافعون عنها قد

تركوها ان توهموا دون ان يشعروا ـ ومنها يخرق الموقع من خلف ، اساسا من نقطة امداده : اي كان تكتيك العدو هو القصف المركز للموقع ، وفي اثناء ذلك يتم تطويقه وتهيئة اقتحامه من خلفه . (ان المفاجاة باقتحام الموقع من خلفه غير ممكنة باستخدام الاليات ، ولكن تصبح ممكنة حين تستخدم المشاة . وقد استخدمت الكواتم في بعض المواقع للاستمرار في تحقيق مفاجاة الالتفاف) .

د ـ في اليوم الثاني والثالث والرابع غير العدو تكتيكه : حيث راح يعطي دورا اكبر للطيران والدبابات ، وذلك ، كما يبدو ، لانزعاجه من الخسائر التي لحقت به في اليومين الاول والثاني . وقد فوجىء بمقاومة لم يتوقعها : لانه هيأ كل الظروف لانسحاب المقاتلين واخلاء المواقع . ورغم ذلك ، وجد هنالك اصرارا على منازلته في مجابهة في قلب الخنادق الامامية وليس باسلوب حرب العصابات التقليدي . ولهذا ، اصبح يستخدم تكتيكا يمكن تسميته « جس النبض من اجل الاقتحام بلا مقاومة » : فقد كان يكفي ، بعد القصف الكثيف وتحرك الآليات ، ان تخرج بضع رصاصات مقاومة من قلب الموقع حتى يتوقف التقدم ويعود ليقصف بلا هوادة .

لقد فقد العدو المبادرة في هذا التكتيك ، واصبح معتمدا كليا على الآليات وعنصر النيران دون الحركة ، وهذا ما جعل تقدمه بطيئا جدا .

فوجىء العدو عند استخدامه للآليات بالالغام (م . د) التي اعترف بانها زرعت بصورة جيدة ، وانها انزلت به خسائر .

هـ ـ في الايام الخامس والسادس والسابع ، غير العدو تكتيكه للمرة الثالثه ، حيث اصبح اكثر عزما في التقدم ، واكثر استعدادا لتقبل الخسائر ، فلم يعد يتوقف عندما تعطب اليه من الياته ، وإنما اصبح يتركها ، ويواصل التقدم ، كما اصبح على استعداد لان يترك وراءه بعض المواقع . ان الايام الثلاثه الاخيرة كانت سباقا مع الزمن ، من اجل الوصول الى الليطاني ومدينة صور ، انها الايام التي حاول ان ينقذ فيها هيبه جيشه الذي اضطر ان يتقدم بسرعه السلحفاة في مواجهه قوات يتفوق عليها عدديا بسبعه اضعاف على الاقل ، بحسب تقديراته . فهو يقدر قوات الفدائيين بسبعه الاف ، وقواته التي شاركت في الهجوم بـ ٢٥ الفا ، دون حساب الفروق في قوة النيران والاليات والطيران والتكنولوجيا والتدريب واللوجستيقا . وهي فروق بعشرات المرات . اما بالنسبة الى الموقع الواحد ، فكان الفرق لا يقل عن نسبه ٢٠ ١ .

الثغرات التي ظهرت في قيادة العدو للعمليات العسكريه

١ ـ على الرغم من أنه حشد قوى متفوقه جدا لحوض المعركه الا انه لم يتوقع ان يستخدمها في قتال فعلي . وإنما لارهاب الخصم واجباره على الفرار ثم قصف التمرة بلا كبير عناء . وهذا ما اربكه عندما واجه مقاومه حقيقيه ، فلم يستطع ان يهتدي الى التكتيك المناسب فورا .

٢ ـ الغرور والاستعلاء . وقد تبدى ذلك منذ الساعات الاولى من الهجوم . حيث راح الجنود والضباط يرقصون ويغنون في المواقع التي دخلوها (احد الامثله في مارون الراس) قبل

ان ينظفوها فعليا . انهم لم يتصوروا ان يبقى احد ليقاتلهم بعد كل ذلك القصف والتدمير ، ولهذا ، عندما فوجئوا بالنيران من مسافة عشرة امتار ، انقلب رقصهم وغناهم الى قتلى وجرحى وصراخ وانين وهبوط في المعنويات .

٣ ــ التخبط في الاستخدام التكتيكي للمشاة ، بعد ان خسروا في اليوم الاول على كل الجبهات (الغربي ، الأوسط ، الشرقي) ، مما جعلهم يصدرون تعليمات للجنود بعدم ترك الدبابات ، بل النوم ليلا في داخلها دون حراسات خارجية . فكان تكتيك المرحلة الثانية مذلا للجنود ، مضعفا لمعنوياتهم ؛ الأمر الذي انزل ضربات كثيرة بالاليات ، وأبطأ وتيرة التقدم وحصر الحركة والتواجد في الشوارع الرئيسية ؛ مما سمح لاعداد كبيرة من الفدائيين أن تعود من وراء الخطوط سالمة ، بعد ان استمرت في اقتناص المناسبات وهي تنسحب .

٤ ــ التغيير في التكتيك لم يكن نتيجة خطة وانما نتيجة ردود فعل .

٥ ــ سوء تقدير الموقف ؛ مما جعل تصريحات قادة العدو متناقضة وهزيلة وقد فقدت مصداقيتها .

٦ ــ كان العدو يبدل قوات الجبهة كل ليلة ، وذلك حفاظا على المعنويات ، والنشاط . ولكن هذا التكتيك يحمل نقطة ضعف شديدة ؛ لان عملية التبديل تكشف القوات لهجمات مضادة في اللحظة المناسبة .

تكتيك الثورة

كان قرار قيادة الثورة بالتصدي وصنع « كرامة » جديدة قرارا صحيحا وشجاعا ينسجم مع المعطيات السياسية والمادية بين الثورة وبين العدو الصهيوني .

وافيد من الايام الثلاثة الممتدة من ١٢ الى ١٥ اذار ، في الاعداد لمواجهة الهجوم . فقد كان من الضروري اعادة توضيع القوات . فالقوات كانت موضعة على اساس المعارك مع القوى الانعزالية ، لا على اساس مواجهة هجوم شامل او جزئي من قبل الجيش الصهيوني مباشرة . الأمر الذي تطلب اخذ عدد من الاجراءات التي اثبتت انها صحيحة بعد شن الهجوم ، وذلك مثل تخفيف الاعداد من بعض المواقع ، ونشرها في مواقع اخرى ، والتمويه والانتشار والاستنفار ضد الطيران .

ثم بادرت القيادة العامة الى تزويد المقاتلين بتجهيزات مضاعفة تكفيهم لعدة أيام ، في ظل معركة متواصلة ، تحسبا لانقطاع الاتصال . وقد رفع هذا من المعنويات ، عندما وزع على كل مقاتل عدة وحدات نارية اضافية . وكان الأمر كذلك بالنسبة الى التموين ، بالاضافة الى التجهيز بالنسب نفسها على مستوى كل محور وكل قطاع .

وساعد أخذ القرار بالمواجهة ورفض الانسحاب ، على تحقيق تهيئة نفسية عاليه لمواجهة هجوم واسع . وكانت شجاعة ابطال عملية الشهيد كمال عدوان ملهما للمقاتلين لاجتراح بطولات جديدة . ومن الجهة الاخرى فان من الضروري ان يلاحظ ان التحصين كان جيدا في كثير من المواقع الامامية ؛ مما ساعد على التقليل من الخسائر في ظل القصف الجوي والمدفعي . وقد ادى ذلك الى ازالة الوهم من خطورة قصف الطيران ، ورؤية امكانات للقتال في ظروف سيطرة الطيران على الجو . ان ضحايا القصف الجوي بين الفدائيين في حرب اذار تكاد

لا تذكر ، وهذه مسألة يجب ان تعمم على القوات وفي التدريب لازالة وهم الطيران . بل يمكن ان يكون ذلك درسا تفيد منه بعض الجيوش العربية .

لقد استخدمت الثورة الفلسطينية تكتيك تلقي الصدمة الاولى بمجابهة محدودة تهز زخم الهجوم وتنزل بالعدو خسائر ملموسة ، ثم الانسحاب الى عقدة ثانية قريبة ، وهكذا ... وقد اثبت هذا التكتيك انه مناسب حتى عند مواجهة قوات متفوقة تفوقا عاليا ، ولكنها ضعيفة سياسيا وتريد انتصارا سريعا ولا تحتمل خسائر عالية . وهو تكتيك أنسب ، في هذه المرحلة من مراحل تطور الثورة ، من تكتيك اخلاء المواقع وترك العدو يتقدم بلا مجابهة تحت شعار مقاتلته بحرب عصابات وراء خطوطه الامامية . لقد اثبتت تجربة حرب الجنوب ان التكتيك الانسب يكمن في الدفاع الايجابي المحدود عن المواقع والمتسلسل في عقد ومحاور في العمق ، او بكلمات اخرى ، أن جعل الصدمة الاولى ترتطم بمقاومة ملموسة تسمح بتنظيم القتال فيما بعد ، وعلى كل المستويات هذه . اما الانسحاب الفوري من امامه ، فيقود الى اضعاف امكانات المجابهة ، سواء في الشكل العصابي او غيره . ان تكتيك تلقي الصدمة الاولى ومواجهتها مواجهة محدودة ، وليس الهرب من امامها ، يؤدي عدة اغراض :

٢ ـ يرفع معنويات المقاتلين ويسمح بتنظيم قتال تراجعي بأقل ما يمكن من الخسائر ، وابقاء الروح الهجومية .

١ ـ انه يزعزع زخم الهجوم ويربك تكتيك العدو ، مما يفرض عليه بطئا في التقدم ، يشكل احد شروط انتصار الثورة ، سياسيا ، عليه .

٣ ـ يسمح باستمرار القتال وراء خطوط العدو ، خصوصا من قبل الذين شاركوا في تلقي الصدمة الاولى ، وبعد ان يكونوا قد تطعموا في المواجهة .

٤ ـ رفع معنويات الجماهير ، وهذه مسألة في غاية الاهمية بالنسبة الى ظروف الثورة في بلادنا .

هنا يمكن ان تضاف ملاحظات سريعة اخرى حول تجربة حرب اذار :

١ ـ اثبت اسلوب زرع الالغام جدارة في اعاقة العدو وانزال الخسائر المادية به ، على رغم ما لديه من فرق هندسية ، خصوصا استخدام اسلوب الزرع العشوائي لحقول الالغام .

٢ ـ وجود م . ط . ولو متوسطة ، أخاف الطائرات وأفقدها القدرة على التركيز .

٣ ـ ان وضوح المهام والخطة ، على مستوى المحور والموقع والمجموعة ، كانت له ايجابيات عديدة ، خصوصا عندما فقد الاتصال .

٤ ـ يجب ان يشدد على قانون عسكري يمكن استنتاجه من تجربة الثورة الفلسطينية ، وهو . « لكي ننسحب بشكل جيد ، يجب ان نقاتل بشكل جيد » : لأن امر الانسحاب هو امر قتالي ينفذ وفق الاصول العسكرية وليس فرارا .

٥ ـ اهمية التهيئة المسبقة واللقاءات السياسية التي اجرتها قيادة الثورة مع الضباط والمقاتلين .

٦ ـ استطاع المقاتل ان يقاتل بحماسة من موقع لموقع وهو يتراجع . لكن هذا النوع من القتال يتطلب توعية مسبقة خاصة تهدف الى توعية المقاتل ، وذلك بالتوضيح ان هذا هو الاسلوب الامثل في ميزان القوى القائم ، كما انه الاسلوب الذي يصنع نصرا في ظروفنا ، الامر الذي يتطلب القضاء على الفكرة القائلة . « اما نقاتل دفعة واحدة او نتراجع دفعة واحدة » ، او على الموضوعة القائلة « ان حرب العصابات تفرض تجنب المواجهة ، فتترك العدو يتقدم ثم تناوشه من وراء خطوطه » .

لقد استخدمت قوات الثورة ، في مواجهة الهجوم الصهيوني ، عددا من التكتيكات ، كان اهمها ثلاثة تراتبت وفق تطور العمليات ، وهي :

أ ـ تلقي الصدمة الاولى في المواقع الامامية ، والقتال من الخنادق وفي الشوارع وداخل البيوت . اي الاشتباك الفعلي ، وهو ما وصفه العدو بانه « كان قتالا من شارع لشارع ومن بيت لبيت » .

ب ـ الانسحاب من الخط الاول على شكل مجموعات تمسك بنقاط عند عقد خلفية ، حيث تستقبل العدو بالضرب من كمائن غير متوقعة . وقد ادى ذلك الى توقف هجوم الاليات من اجل اعادة تقويم الوضع والتمشيط بنيران الطيران والمدفعية .

جـ ـ عندما تعود العدو مواجهة تكتيك المجموعات في نقاط موضعة في طرق تقدمه ، وذلك باستخدامه اسلوب عدم الالتفاف للخسائر ، والاستمرار في التقدم ، ومطاردة المجموعات ، ردت عليه الثورة بتكتيك ثالث ، وهو اسلوب الجمع بين التشكلين (أ) و(ب (، وذلك عن طريق حشد عدة مجموعات (ثلاث او اربع) ، عند عقدة رئيسية ، ومفاجاة العدو بمعركة مواجهه شبيهة بمواجهة اليوم الاول وبالزخم نفسه ، كما حدث في معركة جويا ، وهو ما لم يكن يتوقعه العدو مطلقا .

لكن الثورة استخدمت ، الى جانب هذه التكتيكات الاساسية ، بتكتيك ملحقه اخرى ، مثل : القتال على طريقة حرب العصابات وراء الخطوط ، خصوصا من قبل الافراد الذين تخطتهم الدبابات ، او الذين انتشروا في اثناء القصف ، كما استخدمت الالغام المضادة للدروع وللافراد ، قبل بدء الحرب ، استخداما واسعا كجزء من الخطة الدفاعية .

دروس قديمة جديدة

ثمة عدد من الملحوظات التي تجب الافادة منها مستقبلا ، الى جانب الدروس التكتيكيه الاساسية التي مر ذكرها

□ « **الخندقة » في العمق** : ان القتال الدفاعي التراجعي ، على اساس العقد العميقه ، تكتيك ناجح جدا في ظروف ثورتنا في المرحلة الراهنه ، ولكنه يتطلب الاهتمام بتحصين وتعزيز العقد التي في العمق . فالذي حدث في بعض المواقع ، ان التحصين كان جيدا في النقاط الاماميه (على القشرة) . اما العقد في الخلف ، فلم تكن محصنه ومعدة لتصلح نقاطا اماميه ، وهذا ما

اضعف زخم المواجهة في بعض العقد الخلفية : لانه فرض الاعتماد على طبيعة الارض بشكلها المبكر ، وحرم الافادة من مواقع استراتيجية مهمة للغاية كانت مناسبة جدا لمواجهة العدو فيها لو كانت محصنة او مخندقة . ان الدرس الذي يجب تعلمه هنا ، هو ضرورة الخندقة والتحصين في عقد العمق . اي الاهتمام بخط الدفاع الثاني والثالث والرابع والخامس في الصراع ضد العدو الصهيوني .

□ **التناوب في الرمايه :** ضرورة اعادة تدريب المجموعات على مبدأ التناوب في الرمي في اثناء الاشتباك القريب ، حتى تتاح فرصة المحافظة على زخم النيران ، واعادة تعبئة المخازن بصورة متناوبة . فقد حدث مع بعض المجموعات خلل في تطبيق هذا المبدأ ، وكادت تنشا عنه مخاطر .

□ **اخلاء الجرحى :** ان مسالة القدرة على اخلاء الجرحى من المسائل الهامة بالنسبه الى المقاتل . ويؤدي توفرها الى زيادة في الاندفاع القتالي ، وهذا يتطلب توفير نقالات حتى على مستوى المجموعة .

□ **الاسلحه :** اثبت الرشاش الخفيف والـ « ب ٧ » والهاون ٦٠ ، والدكتريوف ، والغرينوف المعدل ، انها من افضل ما يمكن ان تتسلح به المجموعة ، وذلك لما تملكه من فعاليه ومرونة في النقل والاستخدام .

□ **المدفعيه :** اثبتت وحدات المدفعية ان باستطاعتها العمل حتى بوجود طيران في الجو . كما ان فعالية المدافع د٧٥ و٨٢ ، تزداد اذا توفرت الطواقم الكافية . ان وجود مضاد الطائرات من شانه ان يربك الطائرات ويجعل قصفها بلا دقة . اما لو توفرت صواريخ سام لاربكت حركتها ارباكا .

□ **تجهيز المقاتل :** اثبتت حرب الجنوب اهمية تجهيز المقاتل بما يساعده على البقاء عدة ايام وراء خطوط العدو ، بما في ذلك ان يؤمن له حذاء متين . فهنالك من قطع ٤٠ كيلومترا مشيا على الاقدام .

□ **طيران العدو :** اثبتت هذه الحرب ان الطيران ضعيف الفعالية بالنسبة للوحدات المقاتلة المنتشرة جيدا او المخندقة ، بينما تزداد فعاليته ضد المباني ، خصوصا في القرى ، وضد المدنيين . اما خطره ، فهو على المعنويات اكثر منه على جسد المقاتل : وهذه مسألة يمكن معالجتها عندما يثبت للمقاتلين ان الخسائر من الطيران تكاد لا تذكر حتى بالنسبة للمواقع التي قصفت بضراوة ولم يغادرها المقاتلون .

مواجهة السلبيات المستجدة : لقد أثبتت التجربة أن حوض المعارك يحتاج الى تهيئة مسبقة للمقاتل لكي لا يفاجأ حين تحرب أجهزة الاتصال ، أو حين يتعذر رمي المدفعية ، أو حين تقطع الطرقات ، أو حين يصبح المقاتل وراء خطوط العدو . فهذه الامور يجب أن تؤخذ في الحسبان وتكون هنالك ثقة بامكانية حوض المعارك بحدوثها ، أو بعبارات أخرى ، ثمة ضرورة محاربة فكرة حوض المعارك على المسطرة ، أو أن يكون كل شيء في مكانه ويجري وفق الخطة المرسومة .
لقد اثبتت تجربتنا أننا نستطيع أن نخوض معارك ناجحة بوجود نواقص وثغرات وحدوث ما لم يكن متوقعا .

الاهتمام بالمعنويات أثناء القتال : لا يكفي شحن المقاتل والجماهير بمعنويات عاليه قبل بدء المعركه ، وإنما يجب أن يستمر ذلك في كل لحظه من لحظات المعركه . وهنا يمكن لفت الانتباه الى ضرورة عدم نشر الاخبار السلبيه . ولكن حين ينتشر خبر سلبي ، فمن الخطا إنكاره . وإنما يجب تفسيره ، وذلك للمحافظه على المصداقيه والصدق مع المقاتل والناس . كما أن من الضروري التاكد من صحه المعلومات التي تنقل على الأجهزة . ويجب أن يراعى أن ينقل بعض المعلومات لمن يهمهم الأمر فقط وليس للجميع (مثلا المعلومات عن إنزال وراء الخطوط ، أو احتراق لجبهه ما) . أما من الجهة الاخرى ، فثمه حاجه ماسه للاهتمام بمعنويات الجماهير ومساعدتها ، خصوصا في المواقع الخلفيه . فقد اثبتت التجربه أن المواقع الخلفيه عرضه لهبوط المعنويات اكثر من المواقع الاماميه .

حرب آذار مرحلة جديدة

تبقى كلمة اخيرة حول حرب اذار ١٩٧٨ ، وهي تحولها الى نقطة انطلاق متقدمة في العمل الفلسطيني . فقد مثلت مرحلة جديدة على المستوى السياسي ، ولكنها كانت مرحلة جديدة ايضا بالنسبة الى التجربة القتالية في الثورة . ويكفي ملاحظة ان جبهة الجنوب بعدها ، وعلى الرغم من وجود قوات الطوارىء الدولية ، قد اصبحت في حالة حرب دائمة ، بل ان العدو الصهيوني خاض مع الثورة الفلسطينية حرب استنزاف دامت ثمانية اشهر سنة ١٩٧٩ . ولعل اهم سمات هذا الوضع ، هو الوقوف امامه وجها لوجه ورد الصاع صاعين . وما كان هذا التطور في ميزان القوى ليتحقق لولا نتائج حرب اذار من جهة ، ولولا نشوء ظروف سياسية اكثر مؤاتاة من جهة اخرى .

حقا ، لقد شكلت حرب أذار ، منذ سنتين ، بداية مرحلة جديدة ما زلنا نعيشها ، وان كنا في هذه الايام على ابواب انتهاء تلك المرحلة ، وبداية مرحلة جديدة اخرى ، لعلها تاتي استمرارا لسابقتها وتخطيا لها الى امام ، رغم السحب الدكناء التي تتلبد فوق سماء لبنان ومن حوله .

نبيل بدران

المؤسسات الاجتماعية في الثورة الفلسطينية

مع إستمرار مسيرة النضال وتطويرها ، تمتنت المؤسسات الاجتماعية التاريخية (جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، الشؤون الاجتماعية في حركة فتح) ، وظهرت مؤسسات جديدة ، تهتم ببعض الجوانب الاجتماعية للشعب العربي الفلسطيني والجماهير اللبنانية الملتحمة معه في النضال ضد الصهيونية والقوى المضادة . والاهم ايضا ، تبلورت وتعمقت تطورات وقناعات ، تلح في تطوير وتنويع العمل الاجتماعي كجزء من العمل الثوري ، وما يرافق ذلك من جهد لاكتشاف مزيد من مجالات العمل ، او التمهيد لعمل مثمر في مجالات تعثر العمل ضمنها .

ان النظرة التكاملية ، التي تهدف الى تحديد مسار التطور المستقبلي، تفرض معالجة موضوع المؤسسات الاجتماعية في الثورة ، بافق اوسع ، بحيث يشمل تعريف المؤسسات الاجتماعية ، جميع الاطر المؤسسية ، والتي تعنى بتحسين الوضع الاجتماعي للجماهير او بعض فئاتها . وتتميز هذه المؤسسات باطار منظم ودائم ، لتوفير الخدمات وتحقيق التطور المستقبلي . ويتجاوز هذا التعريف المفهوم الضيق للمؤسسات الاجتماعية ، كعنايه بالحالات الخاصة .

ويشمل تحسين الوضع الاجتماعي رعاية الفرد والأسرة والجماعة ، وتطوير وضعهم . وفي اطار الثورة يفرض القيام بهذه الرعاية وتحقيق التطوير ، بالانسجام التام مع الاهداف الاستراتيجية والمرحلية . ان التشديد على مفهوم المؤسسات الاجتماعية هذا ، لا يفرض علينا الاسترسال في الحديث عن جميع اشكال العمل الاجتماعي في الثورة ، تجنبا لما قد يترتب على هذا الاسترسال من اطالة في البحث ، قد لا تحقق المعالجة والوضوح المطلوبين .

فالهدف من البحث الحالي ، متابعة سير العمل الاجتماعي عبر المؤسسات واستكشاف مدى وضوح واجبات الثورة تجاه الجماهير كجزء من العملية التعبوية ونرى معالجة الموضوع من خلال عرض سريع لانواع المؤسسات الاجتماعية ، ثم تقديم عرض تاريخي لظروف نشوئها، والانتقال بعد ذلك الى توضيح مدى علاقة هذه المؤسسات بوعي اجتماعي

محدد ، وما يوضح هذا الوعي من تطور مستقبلي ، ومن ثم ابداء بعض التطورات حول مستقبل العمل الاجتماعي .

اولا : المؤسسات الاجتماعية في الثورة

يشمل الجدول المثبت في المقالة خمس عشرة مؤسسة ، ترتبط مباشرة او غير مباشرة بمنظمة التحرير الفلسطينية ، اوبالمنظمات السياسية . والى جانب هذه المؤسسات يوجد بعض المؤسسات الاهلية ، والتي تنسق مع الثورة ، مثل « الجمعية اللبنانية لانعاش المخيم الفلسطيني » ، او « صندوق الطالب الفلسطيني » .

يتضح من الجدول تغطية المؤسسات المذكورة لعديد من جوانب العمل الاجتماعي ، وتكاملها . ومن المفيد ايضا القيام بتدقيق في نوعية هذه المؤسسات ، لتتجلى الصورة .

١ ــ تسعى بعض هذه المؤسسات تقديم خدمات لجميع افراد الشعب ، وتنظيم الاطر للوصول الى جميع التجمعات الفلسطينية ، مثل الهلال الاحمر الفلسطيني ، والتعاونيات الاستهلاكية . وتسعى مؤسسات اخرى الى رعاية كامل الفئة التي هي محط اهتمامها، مثل الشؤون الاجتماعية (رعاية جميع اسر الشهداء والمعتقلين) ، صامد (تشغيل اسر الشهداء) ، المدارس الثانوية (الطلاب الثانويون) ، المجلس الاعلى لرعاية الشباب والمنظمات الشبيبية، واخيرا جمعية الكفيف الفلسطيني . وكان من المفروض ذكر رياض الاطفال التابعة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية في هذا الاطار ، والتي كان مخططا لها ان تشمل جميع المخيمات والتوسع تدريجيا لتستقبل اكبر عدد ممكن من فئة عمر ٤ ــ ٦ سنوات ، لكن وضع الاتحاد غير المستقر جمد هذا الطموح

٢ ــ مؤسسات لا تطمح الى تغطية كافة إحتياج الجماهير في خدمات معينه . بل تسعى الى إشعار الجماهير بارادة العمل الاجتماعي لدى التنظيم المعني ، وابراز نموذج اخر من العمل الاجتماعي ، ومثال ذلك المستوصفات لدى التنظيمات ، وكل من مؤسسه غسان كنفاني والنجدة الاجتماعية .

٣ ــ بالرغم من صعوبة العمل الجبهوي الفعال ، استطاعت بعض المؤسسات الاقتراب كثيرا من العمل على المستوى الوطني .

أ ــ استطاعت جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني ، تركيز صورتها الوطنية ، وحصولها على التأييد العام ، على اساس انها الجهه الاساسيه لتوفير الخدمات الصحية ، والانطلاق من هذه القناعة لتحسين مستوى الخدمات المقدمه ، وتوفير المزيد منها .

ب ــ ارادة المجلس الاعلى لرعاية الشباب عامه وحركه الكشاف الفلسطيني خاصة ، تحقيق نشاط شبيبي عام ، وتشجيع النشاط الرياضي ، ويساعد المجلس الاعلى ، بمسعاه ، رغبه الشباب انفسهم في تقويه النشاط الرياضي الفلسطيني ، وإخضاع التنافس الفئوي الى قواعد ومفاهيم ، تعود بمردود ايجابي على الرياضه وعلى نشاط النوادي عامه .

ج ــ اقتناع المنظمات السياسية بضرورة دعم عمل تعاوني استهلاكي واحد ، لتجميع اكبر عدد ممكن من المكتتبين بالاسهم التعاونية ، وتوفير الاموال اللازمة لتمويل انشاء

تعاونيات ذات حجم مقبول لتوفير اكبر قدر من السلع ، وبأسعار متدنية فعليا . كما ان وحدة العمل التعاوني الاستهلاكي وفي اطار الاتحاد العام لعمال فلسطين ، تدعم هذا الاتحاد ، وتزيد من تلاحم جماهير العمال معه .

٤ ـ عمد العديد من المؤسسات الى التشكل في جمعية إجتماعية محلية ، لتاخذ صفة قانونية . تفيدها في نشاطها الاجتماعي والاقتصادي ، وتضمن بقاءها كمؤسسة ومن هذه المؤسسات ، جمعية أسر مجاهدي وشهداء فلسطين في سورية ، وكل من الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني ، وجمعية معامل أبناء شهداء فلسطين « صامد » ، ومؤسسة غسان كنفاني والنجدة الاجتماعية في لبنان .

٥ ـ ان معظم المؤسسات المعنية ، مرتبطة بحركة فتح ، او تحظى بدعم مادي منها . ونتيجة المساعدة المقدمة من الحركة ، استطاعت هذه المؤسسات النمو ، وتحمل أعبائها على المستوى الوطني ، مما جعلها تاخذ طابعا وطنيا عاما ، يفرض عليها تحمل كامل حجم المسؤولية في الوقت الحاضر ، والاستعداد لتحمل المسؤولية المتعاظمة مستقبلا . واضحت هذه المسؤولية كبيرة جدا ، مما دعى منظمة التحرير الى توفير الدعم لبعض هذه المؤسسات ، والتفكير بالحاق عدد اخر من المؤسسات الاجتماعية رسميا بها وتمويل قسم كبير من احتياجاتها .

ثانيا : مراحل نسوء وتطور المؤسسات الاجتماعيه المختلفه

تجاذب علاملان اثرا في نشوء المؤسسات الاجتماعية في الثورة الاحتياج الاجتماعي والرغبة في عمل اجتماعي يلازم النشاط الجماهيري . فتضخم اعباء محددة ، مرتبطة بتصاعد العمل الثوري ، ولا تندرج تحت انماط خدمات وكالة الغوث ، حتم انساء بعض المؤسسات، مثل جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني او الخدمات الطبية (المستوصفات) للتنظيمات لمعالجة المقاتلين ، او مثل الشؤون الاجتماعية في حركة فتح لرعاية اسر الشهداء والمعتقلين .

كما ان نشوء ازمة التحاق الاسرة بمعيلها في الكويت ، بعد حرب ١٩٦٧ ، حتم انشاء مدارس منظمه التحرير هناك . وتجربة هذه المدارس ، والتي استمرت حتى العام المدرسي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، توضح نمط استيعاب هذه المنظمة لدورها الاجتماعي . لقد جرى فتح المدارس على مضض . وكان الاتجاه منذ البدء الحاق التلامذة بمدارس وزراة التربية الكويتية ، ثم الحاق هذه المدارس بالوزارة ، وخصوصا ان ابنية مدارس منظمة التحرير هي ابنية لوزارة التربيه ، وتعمل كاحدى مدارسها صباحا . ومع استمرار اشراف منظمة التحرير ، اخذت تتبلور لجان اشراف وتخطيط ، والتي بدورها اخذت توضح اسس ونمط توجيه الاجيال الصاعدة وربطها بقضيتها . الا ان قيادة منظمة التحرير التي لم تكن بعد مهيأة لدعم تجربة تربوية متكاملة ماديا ، بقيت تتمسك بمبدأ واجب الاقطار العربية ووكالة الغوث وتقديم الخدمات الاساسية .

ولكن تطور الحرب الاهليه في لبنان ، ودخول دولة العدو طرفا مباشرا في الحرب ، وتصعيد موجات النزوح ، ادخل على الفكر الفلسطيني مفهوم واجب رعاية الجماهير ، وجعل هذه الرعاية قسما اساسيا في الصمود ، وما يترتب عن ذلك من اعباء مادية .

المؤسسة	رعاية الاسرة	مؤسسة رعايه	رعاية الاموه والطفولة	رياض اطفال	تشغيل	تاهيل	نشاط شبيبي
الشؤون الاجتماعية في حركة فتح	رعاية اسر الشهداء والمعتقلين	ـ بيت المقدس في عمان ـ مساعدة بيت اسعاد الطفوله				منح دراسية	
جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني	طب علاجي ووقائي		مراكز امومة وطفولة ـ حضانة		مراكز تطرير	معهد تدريب	
الضمان الصحي في حركة فتح	توفير العلاج للمصمومين واسرهم						
مستوصفات التنظيمات السياسية	طب علاجي						
الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية		بيت ابناء الصمود ـ تل الزعتر	حضانة		مركز تطريـر	وتاهيل	
جمعية رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين		بناء المدينة التعليمية في سوريا سورية					
الاتحاد النسائي العربي الفلسطيني		بيت إسعاد الطفولة سوق الغرب ،لبنان					
مؤسسة غسان كنفاني		بناء مؤسسة رعاية في برج الشمالي					
النجدة الاجتماعية			حضـانة		مراكز تشغيل	مراكز تاهيل	
جمعية الكفيف الفلسطيني					تشغيل	تاهيل	
المجلس الاعلى لرعاية الشباب							نوادي ، وكشاف ونشاط رياضي
المنظمات الشبيبية							معسكرات ، ونوادي
المعاهد الثانوية							
جمعية معامل ابناء شهداء فلسطين « صامد »						تعليم ثانوي في لبنان	
الاتحاد العام لعمال فلسطين التعاونيات الاستهلاكية	خفض تكاليف المعيشة				تشغيل	وتاهيل وتدريب	

ومن المفيد تتبع نشوء وتطور المؤسسات عبر الحقب التي مر بها النضال الفلسطيني . وتميزت حقبة النضال على الساحة الاردنية، بعد العام ١٩٦٧، بوجود تجمع فلسطيني ضخم ملتف حول الثورة ، ونشاط العديد من الاجهزة الرسمية والجمعيات الاهلية في نطاق رعاية نازحي حرب ١٩٦٧ . كما تميزت تلك الفترة ، بانطلاق الحماس الثوري الفلسطيني والعربي عامة ، وشغف هذا الحماس باشكال من التعبئة الجماهيرية ، تبرز الطموح الى مجتمع ثوري جديد .

نشأ الهلال الاحمر الفلسطيني والخدمات الطبية عامة ، لتقديم المعالجة للمقاتلين ، ثم تطور الوضع باتجاه توصيل الخدمات الطبية الى نازحي الاغوار ، بعد اشتداد القصف الصهيوني ، واتباع العدو اسلوب تهجير السكان . ولما كان الطلب على العلاج المجاني اكبر من الامكانيات الرسمية المتاحة (الدولة الاردنية ، وكالة الغوث) ، استجابت الخدمات الطبيه الفلسطينية لطلب الاهلين ، واخذت تشملهم تدريجيا ، يشجعها التحاق عدد متزايد من الاطباء والمرضين والمرضات بالثورة ، وتدفق المساعدات الطبية من الاقطار العربية والخارج .

وفي الوقت نفسه ، بدأ الاهتمام المركز باسر الشهداء والمعتقلين وباعدادهم المتزايدة . وجسد هذا النشاط استعداد المرأة لدعم النضال . ويمثل العمل الاجتماعي مجالا رحبا لها ، وخصوصا ان العديد من الكوادر النسائية كان محصنا بخبرات في هذا النطاق ، ويطمح الى توظيف هذه الخبرات في نطاق الثورة .

ومع ازدياد عدد الاحداث المنخرطين في الثورة ، والمتحمين مع المقاتلين ، ومع القطاع السياسي ــ الجماهيري ، برزت ضرورة توفير عناية خاصة بهذه الفئة . فانشئت حركة فتح معسكرات الاشبال ، وتطور النشاط بعد ذلك الى عمل مركزي ، باسم مؤسسة الاشبال ، واخذ العديد من الكفاءات التربوية يمنحها إهتمامه .

ومع استمرار النضال على الساحة الاردنية ، اخذت النشاطات الاجتماعية تتبلور وتاخذ منحى جديدا . اخذت جميعة الهلال الاحمر الفلسطيني تتولى مساعدة اسر المعتقلين في الداخل ،وتطـور هذه المساعدة لتصبح تشجيعا للتراث الوطني مثل التطريز ، لتحسين دخل الاسرة وابراز هذا التراث . ومن جهتها اخذت الشؤون الاجتماعية تتوجه نحو تاهيل زوجات واخوات الشهداء والمعتقلين مهنياً . فجرى فتح مشاغل تاهيل خياطة وتطريز ، وتحويل هذه المشاغل تدريجيا الى مراكز انتاج ، والاستفادة من اطار العمل لتكثيف تطوير المرأة اجتماعيا وسياسيا .

وفي نطاق تعبئة المخيم الفلسطيني في الاردن ، والتي ظهرت اهميته الجماهيريه والقتالية ، اخذت التنظيمات الفدائية تعنى ببلورة اشكال من العمل الشعبي ، وتكسب من خلاله ثقة الجماهير وارتباطها بها ، ومن ضمن هذه الاشكال حملات محو الامية ، ومشاغل التطريز ، وانشاء المزارع .

وتميز العمل الاجتماعي ، حينذاك ، بكونه عملا تطوعيا ، يعتمد على المبادرات الفردية . يتقبله العمل السياسي ، كنشاط رديف ، لكن لا ينظر اليه كعمل متلازم عضويا معه ومع العمل العسكري، بحيث يتطلب تخطيطا وتقييما يوازيان المجهود الممنوح للعمل السياسي والعسكري.

وعلى كل حال ، اوجد النشاط الاجتماعي على الساحة الاردنية ، مدا على مستوى الساحات الفلسطينية الاخرى ، خصوصا في لبنان : فجرى انشاء فروع للخدمات الطبية وللشؤون الاجتماعية . واخذت هذه الفروع تفكر في نشاط محلي يتجاوب مع الاحتياجات الجماهيرية المباشرة . وكان المخيم الفلسطيني في لبنان ، يعاني من مشاكل عديدة ، نتيجة اهمال السلطات اللبنانية له ، وتضاؤل خدمات وكالة الغوث .

وعلى الساحة الاردنية نشأت فكرة رعاية ابناء الشهداء والمعتقلين ، وجاء الواقع مع مساعدة قدمها محسن عربي من ليبيا ، فافتتحت دار بيت المقدس للفتيات . وجاءت احداث الاردن واستشهاد العديد من الاباء والامهات ، لتعطي حافزا قويا للشؤون الاجتماعية على تبني بيت اسعاد الطفولة ، في سوق الغرب – لبنان ، والتابع للاتحاد النسائي العربي الفلسطيني في لبنان ، وجعله يستقبل ضعف العدد الموجود . ومن الجدير ذكره ان عامل الايواء تغلب على عامل الرعاية الواعية . فاستقبلت مدرسة بيت اسعاد الطفولة الاطفال والاحداث دون تمييز بالمستوى التحصيلي او الوضع النفسي : مما أوجد مناخا تربويا غير صحي . فكان التفاوت العمري في الصف الواحد ، يزيد عن خمس سنوات ، كما اسقط الازدحام كل قدرة على تنظيم نشاطات تربوية وترفيهية ضرورية للنمو الجسدي والذهني .

وامام ازدحام عدد الاطفال في مدرسة بيت اسعاد الطفولة ، وتضخم اعداد ابناء الشهداء والمعتقلين ، اخذت اوساط حركة فتح من جهة ، وجمعية رعاية اسر مجاهدي وشهداء فلسطين من جهة اخرى ، تخططان لانشاء مدينة تعليمية في دوما ، قرب دمشق ، تستوعب حوالى ١٠ الاف تلميذ . ولتحقيق المشروع جرى تجنيد العديد من الامكانيات والطاقات له .

رافق انتقال زخم الثورة الى الساحة اللبنانية مواجهة اعباء متزايدة، الى جانب مواجهة الظواهر الاجتماعية المتراكمة لدى التجمعات الفلسطينية هناك . وكان على المؤسسات الاجتماعية مواجهة النتائج الاجتماعية لاحداث الاردن ، من مصابين واسر شهداء ومعتقلين . ومن جهة اخرى فان تزايد حدة المعارك في جنوب لبنان ، ولـد مزيدا من اعباء المعالجة ورعاية الاسر .

واذا استثنينا الخدمات الصحية ورعاية اسر الشهداء والمعتقلين ، بقي التصور الرسمي الفلسطيني قائما على ضرورة الالحاح على وكالة الغوث بالاستمرار في تقديم خدماتها ، وتطويرها ، وعدم منافستها . خصوصا وان جميع افراد التجمعات الشعبية الفلسطينية في لبنان مسجلة في وكالة الغوث ، ولها حق الاستفادة من خدماتها . ومن هنا نشأت حركة احتجاج تجاه وكالة الغوث تتبناها منظمة التحرير . ومن جهة اخرى لم تنل المطاليب الخاصة بتقديم مساعدات مباشرة من منظمة التحرير أو التنظيمات السياسية لمشاريع في المخيمات ، أي اذن صاغية ، بحجة عدم وقوعها ضمن اختصاص او مجال خدمات منظمة التحرير وعدم وجود الامكانيات المادية المطلوبة . ورافق هذا الوضع غياب ادارة شعبية فعالة في المخيم ، تجهد، جماعيا، في تحسين الوضع الاجتماعي والمطالبة بالدعم المادي اللازم .

إلا أن الاحساس الجماهيري العام بضرورة تحسين الوضع الاجتماعي في المخيمات ، نتيجة سياسة الاهمال التى تبعتها الحكومة اللبنانية ، وقبولها لتفاقم الوضع الصحي في مخيمات بيروت ، لاعطاء مبرر دائم لطلب نقلها الى الجنوب ، جعل الافراد والقطاعات المختلفة

تثابر على ايجاد الوسائل المكنة لمساعدة سكان المخيمات . ومن هنا كان طموح جمعية معامل ابناء شهداء فلسطين «صامد» عند انشائها، خدمة المخيمات الى جانب خدمة اسر الشهداء. فتشغيل العاطلين عن العمل وتوفير سلع رخيصة ، كانا هدفين دائمين لمؤسسة صامد .

وأعطت تجربة جمعية انعاش المخيم الفلسطيني قرب مخيم شاتيلا في بيروت ، ومنذ أوائل السبعينات، نموذجا لمركز قادر على توفير عدة نشاطات في الوقت نفسه، تساهم في تطوير الوضع الاجتماعي في المخيم . فتلازم نشاط تشغيل النساء في حقل التطريز مع استعمال المركز كروضة في الصباح ، وكصفوف تعليم عام او مهني في المساء ، الى جانب تشجيع نشاط شبيبي ثقافي ورياضي . ووظفت ايضا قاعات المركز وحدائقه للنشاطات العامة . واخضع هذا النموذج للتقييم، فبانت ضرورة التصاقه بالمخيم ، ليبقى التفاعل قويا مع المجتمع المحلي . وهذا ما سعت اليه الجمعية حينما اسست مركزا في مخيم تل الزعتر ، واخر في مخيم بعلبك . ويوفر الالتصاق ايضا حمايه امنية اكبر للموجودين داخل المراكز ولا يشل عملها في حال التوتر الامني .

وفي ظل جمود حركة الاشبال ، نتيجة غياب العديد من الكوادر ، التي كانت فاعلة على الساحة الاردنية ، برز المجلس الاعلى لرعاية الشباب كجزء من دائرة التنظيم الشعبي . واستفاد هذا المجلس من تجربة العمل مع الشبيبة على الساحة الاردنية ، ليغرس فكرة تنظيم نشاطات شبيبية متحررة من العصبية الحزبية . فشجع نشوء جمعية الكشاف والمرشدات الفلسطينية، ودعم الاندية الرياضية وانشاء المزيد منها ، وتنشيطها عبر الدورات الرياضيه وانشاء المزيد منها ، وتنشيطها عبر الدورات الرياضية، وانشاء اللجان الاولومبية والمساهمه في الدورات الرياضية العربيه والعالمية . لقد جاء نشاط القيمين على المجلس بمثابة مبادرات فرديه شجاعة ، لم تجد دوما الدعم الكامل . كما تخلل النشاط الشبيبي على مستوى المجلس تكسات ، نتيجة توالي المعارك على الساحة اللبنانية، وعدم ايجاد صيغه ، تبرز المجلس خلال المعارك مثل تقديم الخدمات الاجتماعية المختلفة .

وسبق احداث العام ١٦٧٣ نشوء مؤسسة غسان كنفاني الثقافية ، والتي وجدت في مناخ ما بعد حوادث ايار ١٦٧٣ تجاوبا اكبر مع اهدافها محليا وعربيا وعالميا . فبدأت نشاطها بانشاء رياض الاطفال . وفي الوقت نفسه بدأ قسم التخطيط التربوي في مركز التخطيط الفلسطيني يوجه اهتمامه نحو تدريب معلمات رياض الاطفال ودعم انشاء مزيد من الرياض . وعمد الى دعم تولي الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية هذه المهمات والتوسع المخطط في هذا المجال . وبعد العام ١٦٧٣ شهدت حركه انشاء رياض الاطفال نموا مطردا، فاصبح النشاط في هذا الحقل رمزا لاهتمام التنظيم السياسي بالعمل الاجتماعي .

وجاءت احداث العام ١٦٧٥ ، لتضع منظمه التحرير امام نضال شامل ومستمر ، ناتج عن أثر الاحداث الحربيه على الوضع الجماهيري العام . فتوضحت ضرورة دعم صمود المخيمات ، والاهتمام بمجموعات النازحين . وبرزت جلية واضحة حتمت الاعباء الاجتماعيه المتعاظمه والمتتاليه اعتماد الاطر المؤسسيه الاجتماعيه القائمه ومنها من كان جنينيا للتصدي للاعباء المستجدة . عقب ذلك خضعت هذه الاطر لتطور سريع ، ومع استمرارها وتطورها رسخت ايضا هذه الاطر الوعي لنشاطها وللاعباء الاجتماعية عامه .

وفي الحوادث ، أخذت الجماهير تلح من جانبها على ضرورة الاهتمام باوضاعها . وتبادر الى اقتراح مشاريع وملاحقة تمويلها وانجازها . ودفع مناخ الاحداث والجماهير المنظمات الجماهيريه الى تكثيف نشاطها الاجتماعي . فبادر الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية الى انشاء بعض المشاريع ، مثل حضانه ومطعم ومؤسسه رعاية هي بيت ابناء الصمود . وقام الاتحاد العام للعمال الفلسطينيين في لبنان بانشاء التعاونيات الاستهلاكية امام اتساع حجم اعباء رعايه اسر الشهداء ، نشطت الشؤون الاجتماعية في انشاء رياض اطفال .

واتضحت أهمية مؤسسة صامد في توفير فرص عمل للعاطلين عن العمل من جهة ، وتوفير بعض الاحتياجات المدنية من جهة اخرى. فحصلت صامد على مساعدات وقروض لتحقق التوسع الانتاجي المطلوب ، وانشاء مزيد من المشاغل الصناعية . وقد جرى استنفار هذه المؤسسة مع مؤسسات اخرى لتقديم مساعدات للنازحين وتوفير انواع الكساء والمآكل . ومع نزوح سكان تل الزعتر طلب من صامد التوسع السريع لتوفير مجال عمل لابناء تل الزعتر في الدامور وخارجها .

وبرهنت تجربة رعاية سكان تل الزعتر في الدامور على اهمية وجود المؤسسات الاجتماعيه والاقتصادية المتخصصة ، ووجود الكوادر الادارية والفنية اللازمة ، لمواجهة الاعباء الطارئة ، ودعم صمود الجماهير وتحسين وضعها المعيشي والحياتي عامة . وفي نطاق هذه التجربة تسارع التقاء الفكر الفلسطيني الرسمي مع التطلعات الجماهيرية ، مما أوجد قناعة مشتركة وراسخة حول ضرورة دعم العمل الاجتماعي ، واستيعابه كجزء متمم للنضال الوطني . فسمحت هذه القناعة بتشجيع انتقال بعض الشباب المتخصص في القطاع العسكري او السياسي الى القطاع الاجتماعي ، ودعم هذا القطاع معنويا وماديا لاستقطاب عناصر وكوادر مهنية أو متخصصة .

وشجع هذا الوضع على طرح مشاريع نشاطات اجتماعية جديدة، مثل مؤسسة الضمان الصحي ، وجمعية الكفيف الفلسطيني .

وكان من أثر الاعباء الاجتماعية على مستوى الساحة اللبنانية ، وبروز المناخ الجماهيري الضاغط وتولد القناعة المشتركة ،دعوة المندوبين من الساحة اللبنانية الى المجلس الوطني الفلسطيني في دورته الثالثة عشرة (القاهرة ١٩٧٧) ، وباقي المندوبين لمناقشة الاوضاع الاجتماعية في خارج الاراضي المحتلة ، الى جانب مناقشة الاوضاع في الداخل . ووجدت هذه الدعوة اذانا صاغية ، بحيث وافق المجلس على معظم توصيات لجنتي التربية والتنظيم الشعبي فانشئت دائرة الشؤون الاجتماعية والمجلس الاعلى للتربية والثقافة والعلوم وصدرت توصيات بانشاء مدارس ثانوية في لبنان ، ودعم رياض الاطفال، ودعم ومؤسسات الرعاية الاجتماعية .

ولم يعن عدم طرح القضايا الاجتماعية على المجلس الوطني في دورته الرابعة عشرة (دمشق ١٩٧٨) ، غيابها التام . فلقد كانت تفرض ثقلها عند الحديث عن نمط توزيع المبالغ المخصصة من قبل مؤتمر القمة في بغداد واسلوب توطيد العمل الجبهوي الوطني .

إنطلاقا من القرارات التربوية الصادرة عن الدورة الثالثة عشرة ، جرت مبادرات جماهيرية على مستوى الساحة اللبنانية لانشاء مدارس ثانوية ، وبلغ عددها حتى العام

الدراسي ١٩٧٩ ـ ١٩٨٠ اربع مدارس، مما اقتضى انشاء قسم اشراف تربوي خاص بها . ومع تجمد الحرب الاهلية ، وعودة الشباب الى المدارس والجامعات ، والى مزاولة الاعمال المدنية انتعشت النوادي الفلسطينية ، وجرى فتح المزيد منها . كما وضعت الحركات الشبيبية الناشئة ثقلها في دعم النوادي وتطويرها .

وأخيرا لم تكن التجربة النضالية على الساحة الفلسطينية في لبنان ، المؤثر الوحيد في بلورة الوعي حول النشاط الاجتماعي ، إذ كان لمتابعة العمل الاجتماعي في الاراضي المحتلة ودعمه اثرهما ايضا في تعميق الوعي بترابط العمل الاجتماعي بالعمل السياسي . ونجمل سمة المرحلة الحالية بكونها مرحلة بلورة الوعي للعمل الاجتماعي ، وما يزال ينقص هذا الوعي الرؤية الشاملة والارادة بالتحرر من تقاليد بالية متسربة الى العمل الاجتماعي كعمل خيري يعتمد فقط على التطوع والحسنات .

ثالثا : مستوى وعي المؤسسات لدورها وموقف الثورة

اتضح من التحليل السابق ، ترابط مراحل تطور النضال مع بزوغ ونمو اشكال النشاط الاجتماعي، وادراك ضرورة تثبيت العمل الاجتماعي في صلب النضال الوطني ادراكا تدريجيا، وتتميز هذه الحقبة من المسيرة النضالية ، ببروز ارادة عامة ، عازمة على دعم اشكال العمل الاجتماعي ورفض أي تقليص لمستوى الخدمات المقدمة ، الافتخار بهذه النشاطات كتعبير عن تكامل النضال في الثورة الفلسطينية ودليل على المستوى المتحقق للشعب العربي الفلسطيني . ولذا تشعر المؤسسات الاجتماعية المختلفة بثقة متزايدة بالذات ، وبطموح نحو تطوير عملها ، مما جعلها تخطط لمشاريع مستقبلية وتسرع في تامين تمويلها . ويدفعها الى هذا التخطيط ايضا تجاوب عالمي مستعد لدعم نشاطات اجتماعية فلسطينيه.ولم يطل الوقت ببعض المؤسسات الاجتماعية لتحسس ضرورة استقطاب الكوادر المتخصصة ، وتطوير الكوادر والعناصر العاملة ، والاتجاه حاليا الى تنظيم اعداد داخلي للكوادر الوسطى وللعمال المهرة . فانشات جمعية الهلال الاحمر الفلسطيني مراكز اعداد لتخصصات طبية مختلفة . عززت هذا الاتجاه بانشاء قسم تدريب يشرف على النشاط التاهيلي والتدريبي ويخطط له. وعمدت مؤسسة صامد الى انشاء شعبة تخطيط تطوير القوى العاملة ، واناطة مهمة الاشراف على التدريب والتاهيل في المؤسسة بادارة متطورة .

ومع توطد ارادة التوسع والتطور ، توضحت الحاجة الملحة لبناء اطر إدارية وفنية ، قادرة على توجيه المؤسسه حاضرا ومستقبلا ، ونتيجة لذلك اخذ يتقلص العمل التطوعي الخيري ، ويأخذ مكانه العمل المتفرغ والخاضع لقانون الثواب والعقاب. وهكذا برزت الحاجة الى اداريين ومهنيين من تخصصات معينة . ومع انتسابهم الى المؤسسة ، اوضحوا عمليا ضرورة تعيين كفاءات من تخصصات جديدة .

إلا أن الوعي الفلسطيني ما يزال ينقصه الوضوح الكامل حول ربط العمل الاجتماعي بالعمل السياسي .فالسمه المهيمنة على نشاط المؤسسات التقوقع والتخلف في فهم اهمية التنسيق العضوي بين مختلف المؤسسات ، والتنسيق بين هذه المؤسسات، والتنظيم السياسي . وفي الحقيقة تتسجع التنظيمات السياسية من جهه ،ومنظمة التحرير من جهة اخرى. هذا الاتجاه ،

مع عجزها عن توضيح رؤية ثورية وطنية للعمل الاجتماعي ، وتحديد مبادىء وأسس العمل ومراحله ، والتي تستمد من مفهوم التعبئة الجماهيرية الشاملة .

ما يزال ينظر الى العمل الاجتماعي ، كتخط للمشاكل الطارئة ، أو يجري ابرازه كبرهان على نشاط اجتماعي لتنظيم معين. ولم يكتشف العمل السياسي حتى الآن الضرورة العضوية للعمل الاجتماعي كتحصين لصمود الجماهير وتطوير قدراتها ، وتعويدها الاعتماد على الذات ، واتباع نسق العمل التعاوني الجماعي . ولم يكتشف العمل السياسي ايضا ، ضرورة العمل الاجتماعي كاسلوب لاعداد الكوادر الجماهيرية قياديا ومهنيا ، والتي تكون دعائم وروافد للقيادات السياسية والعسكرية .

ومن المؤسف ان دوائر ومراكز منظمة التحرير ،تشكك بدورها، وتحجمه كعمل اعلامي شكلي أو كنشاط خدماتي محدود ،لتزيح عن عاتقها واجب وايجاد سبل التنسيق الفعال بين المؤسسات المتشابهة والقريبة تخصصا في مجال نشاطها . وتغفل ايضا واجب تهيئة مناخ تفكير مشترك وبرامج مشتركة لتطوير الكفاءات ، بهدف الوصول الى تصورات جديدة على المستوى الوطني ، ترسم معالم عمل اجتماعي مثمر ، وتوضح سبل توسعه في المستقبل ليشمل جميع القطاعات والفئات المعنية اجتماعيا .

ومع غياب اهتمام الجهات المعنية ، غاب التفكير بايجاد تنسيق بين النشاطات المختلفة ، لترشيد اداء كل نشاط وتقديم اقصى الخدمة او الفائدة الممكنة .

ومن جهة اخرى ما يزال يكتنف العمل الاجتماعي ، مفاهيم وأساليب عمل متخلفة ، مرفوضة عالميا ، تتناقض مع ابسط المفاهيم الثورية. فاتباع الاسلوب التقليدي في الرعاية الاجتماعية لابناء الشهداء وطمس شخصية الطفل وتشويهها ، امر غير مقبول . والرضوخ لاساليب التعليم القائمة والبارز فشلها ، هو ايضا تعبير عن عجز في توضيح الاهداف والاسس وتقويم الوضع . ومن ثم نرى ان تفضيل شكليات النشاط على العمل التربوي أو الاجتماعي الهادف ، اضحت سمة سلبية ترافق الاطر المختلفة .

رابعاً : ضرورة تطوير العمل الاجتماعي الفلسطيني

إن اهتمام الاطر القيادية السياسية بالعمل الاجتماعي ، من ناحية تحديد الاحتياجات الجماهيرية، أو من ناحية التقييم الدائم للمؤسسات القائمة ، هو عمل ضروري وأساسي ويكتمل مسار التقييم مع اشراك اطر بحث وتخطيط وعمل جماهيري أو تعبوي ابداء ملاحظاتها واقتراحاتها وفق توجيهات سياسية تتفق واستراتيجية النضال ومقتضياته المرحلية .

وأضحت الجماهير الفلسطينية تامل بتجاوب منظمة التحرير مع حقوقها المشروعة وتجدها مكملة لواجباتها تجاه الثورة . مما يدعو منظمة التحرير، وبالحاح، لى توضيح كامل حقوق وواجبات الافراد والجماعات ، انطلاقا من دراسة علمية وحوار جماعي . والعمل بعد نلك ، على تطبيق هذه الحقوق والواجبات على هدى الامكانيات المتاحة والظروف الملائمة ، على ان تتغلب ارادة والثورة، ارادة التغلب على الصعوبات. ان تملك منظمة التحرير لوضوح تام حول حقوق وواجبات الفرد الفلسطيني يساعدها على بلورة مجالات نشاط ودعم تطورها . ويساعد

أيضا على تحديد اسلوب عمل واسلوب تجنيد للقدرات الذاتية من جهة ، واستقطاب اقوى للدعم المادي العربي والعالمي .

كما ان الوضوح الوطني والثوري للعمل الاجتماعي يساعد ايضا على تحديد الاطر المختلفة المطلوب نشاطها في مجال محدد ، وتوزيع العمل فيما بينها ، وتقديم الدعم المتبادل، وحث هذه الاطر من مؤسسات ومنظمات جماهيرية على تطوير مفاهيمها الذاتية وتحديد ادق لاهدافها ، لتصل الى تطبيق اسلوب عمل يتلاءم والاعباء المتنامية ، وقابل للتطوير مع دخول مراحل توسع جديدة .

ومن المؤسف ان اسلوب التعامل مع الاعباء اليومية ، يلهي المسؤولين والكوادر في المؤسسات المختلفة ، عن تقييم موضوعي لنشاطها ، استنادا الى تصورات واهداف واضحة ، والتي هي بدورها حصيلة ابحاث وندوات متخصصة تشترك فيها كوادر المؤسسة واحيانا كوادر سياسية وجماهيرية وعلمية من خارجها . ومن الضروري ايضا تنظيم مثل هذه الندوات على المستوى الوطني او المحلي والقطاعي الفلسطيني ، لتوضيح الاعباء الوطنية أو القطاعية ، وتعميق القناعة بضرورة التنسيق على مستوى بعض المهمات مثل التدريب ، والبحث ، والحملات الجماهيرية .

إن التقييم والتفكير الجماعيين ، واعداد الكوادر المتأقلمة مع الظروف الفلسطينية والعربية عامة ، عوامل اساسية في تحقيق جدلية واعية ، تنمي الوعي السياسي الشمولي ، وتطور من أسلوب عمل جماعي قادر على خدمة الاهداف الثورية . وما أحوجنا الى جهد مكثف ومتعدد الاطراف ، يعمق من استيعابنا للمهمات الاجتماعية الملازمة للنضال الوطني، ولطرق انجازها بنجاح. فيصبح حينئذ التعامل مع هذه المهمات متحررا من الأساليب التقليديه الفاشلة. وان تبدو المرحلةالحالية، مرحلة القناعةبضرورة الاعتماد في العمل الاجتماعي على كوادر وعناصر متخصصة ، ومرحلة التفكير الجاد بتنظيم اعداد ممنهج للفرد قبل العمل او خلاله ، الا ان مستوى الوعي لاهمية الاعداد في مجالات العمل الثوري ما يزال جزئيا ويتسم بالمهنية الضيقة . فالمطلوب حقا هو وعي متكامل ، يرفع شعار « الوعي الاجتماعي الشمولي للكادر السياسي ، والكفاءة العملية للكادر الجماهيري والوعي السياسي الناضج للكادر المهني » . بحيث تستطيع هذه الفئات التفاعل مع بعضها ، والتخطيط والتنفيذ المشترك ، في اطار قناعة تامة بالقدرات الذاتية .

فالمطلوب حقا ، تنظيم اعداد متعدد الجوانب والمستويات ، يهيىء الكوادر والافراد ، لادراك عمق المسؤولية الملقاة على عاتقهم والابداع في العمل كجزء من المسؤولية والالتزام الثوري ، والتحلي برغبة قوية لتطوير انفسهم اجتماعيا وثقافيا ومهنيا ، والمثابرة على تقديم الافكار والحلول لتطوير العمل . ومن هنا فان اتباع اسلوب ربط الاعداد بالعمل وسيلة فعاله لخلق القدرات والاتجاهات المرغوبة . واخذت تظهر تجارب في هذا الحقل تساعد على بلورة الاسلوب الانجح . مثل المعهد الفلسطيني للتنمية الادارية . ومعهد الاعداد في الهلال .وتدريب معلمات رياض الاطفال خلال العمل .،واخيرا فكرة انشاء الجامعة المفتوحة .

ومن ايجابيات اسلوب ربط الاعداد بالعمل تشجيع التكفير والابداع لدى الفرد وتقييم وابداء واقتراح الحلول الملائمة . وتزداد فعالية هذا الاسلوب مع وضوح سبل الارتقاء المهني للفرد ، من خلال ادراكه لترابط دورات التدريب أفقيا وعاموديا،بحيث يستطيع احتساب الجهد المطلوب للوصول الى مستويات مهنية متقدمة . وهذا يعني تنظيم برامج اعداد متداخلة ومتلاحقة تكون بمجموعها او بمجموع قسم منها ، اعداداً متوسطا أو عاليا ، مما قد يطيل مدة التدريب المتقطع الى عدة سنوات . ويشرف على هذا التدريب مراكز متخصصة تنظم دورات مختلفة ، وتعد وتطور العناصر والكوادر لنشاطات اجتماعية مختلفة .

وان مبدأ اعداد العناصر والكوادر ، واعطاء هذا الاعداد الاولوية فـي النشاط الفلسطيني يخلق تجاويا عربيا وعالميا، واستعدادا من الجهات المختلفة للمساهمة في تمويل برامج الاعداد . ومن البديهي انه كلما كان الهدف اوضح والتخطيط اسلم ، كان التجاوب العربي والعالمي اسرع واكبر .

وأخيرا ، يجب اعطاء أهمية خاصة للاحتكاك بالتفكير العربي والعالمي ، والاشتراك في الندوات والمؤتمرات المتخصصة وبناء العلاقات العمليه المفيدة لتطوير العمل الاجتماعي الفلسطيني .

د. رياض منصور

الجاليـة الفلسطينيـة في الولايات المتحدة خلفيتها وواقعها الاجتماعي وآفاق تطورها

أولا الخلفيه الاجتماعيه للجاليه ، وواقعها الاجتماعي الجديد

الخلفيه الاجتماعيه التي جاء منها المهاجرون قبل القدوم الى الولايات المتحدة : يبلغ عدد المهاجرين الفلسطينيين الى الولايات المتحدة ٣٥,١٢١ بدءا من العام ٥٠ وحتى العام ٧٦ . الا ان الدراسة حول العمل سوف تتناول المهاجرين بدءا من العام ٥٩ بحسب المعطيات الاحصائية الموجودة ، بمعنى انها لن تتناول الا العدد ٣٠٩٦٢ . وهذا يعني ضعفا ضئيلا بالنتائج ، على الرغم من الاعداد المهملة فيما قبل العام ٥٠ ثم فيما قبل العام ٥٩ ، وهو ضئيل من حيث الحجم ، ثم هو ضئيل من حيث المعرفة العامة التي بينت أسباب الهجرة التي يخضع لها الجميع .

وبالنسبة للعدد موضع الدراسة (٣٠٩٦٢) فهو لا يعتبر بكامله قوة منتجة لانه يشمل النساء والاطفال والعاطلين عن العمل لكبر السن أو سواه . وهؤلاء يشكلون حجما ضخما بسبب الوضع العام في الوطن ، الذي يجمد المرأة كربة بيت بنسبة عالية ، كما هو عائد للنسبة العالية من الاطفال . ويوضح الجدول رقم (١) ان حجم هذه القوى غير المنتجة هو ٥٥٪ من مجموع المهاجرين قبل عام ٦٧ ، ثم ترتفع نسبته الى ٦٧٪ ما بين ١٩٦٧ ــ ١٩٧٦ .

هذا بصفة عامة ، الا ان قسما من هذه القوى وهم الشباب ما بين ١٤ ــ ١٩ وهم الطلبة عادة ، يضطرون ، بسبب الظروف الاقتصادية الى بيع قوة عملهم بأسعار بخسة سواء أنجزت الدراسة او لم تنجزها وعلى أساس العمل بالساعة . كما ان قسما من الاناث يضطررن الى المشاركة بالعمل ، وكذلك بالنسبة للعاطلين عن العمل من كبار السن أو سواه نتيجة لضغط الحياة الاجتماعية ومتطلبات المجتمع الاستهلاكي .

عدا ذلك يتبقى ٢٧٪ تقريبا من الجالية ، وهم ما يمكن اعتبارهم القوى المنتجة ، والذين يعطون الخلفية الاجتماعية للجالية بأكملها لحظة القدوم الى الولايات المتحدة وقبل قدومهم ، من حيث هم القوى المنتجة أساسا ، حتى وبعد اعتبار الاستثناءات المذكورة أعلاه ، اذ ان هذه الاستثناءات انما تبقى عاملا مساعدا لتحسين الوضع أكثر منها وضعا جديدا . وهي لا تكون

هذا الوضع الجديد الا بعد مرور فترة من الزمن وهو ما سندرسه لاحقا .

ان القوى المنتجة تتوزع على الطبقات التالية

١)**شرائح البرجوازيه المتوسطة**: الريفية (الفلاحون الملاك او المدراء الزراعيون)، ونسبتهم ٢,٥٪ من حجم القوى المنتجة ، أو التجارية (كملاكي المؤسسات التجارية والعقارات أو المصدرين وباعة المنتوجات الزراعية او مدراء الشركات بكاملها ، أو أقسام منها ووكلاء الشركات الاجنبية وموظفي الدولة أو الادارة العامة ... الخ) وحجمهم لا يتجاوز الـ ١٤٪ . (جدول ١ مكرر) . وبذلك يكون مجموع شرائح هذه البرجوازية ١٦٪

٢) **شرائح البرجوازيـة الصغيرة** : شكلت هذه الفئة من حملة الشهادات الجامعية المحترفين والتقنيين من أطباء ومهندسين ومحامين ومعلمين وأساتذة جامعات ومعاهد عليا وصيادلة وفنانين .. الخ ، شكلت نسبة ٢٦٪ من القوى العاملة .

ومن المفيد أن ننظر الى حجم هذه الشريحة بالنسبة لحجم المهاجرين عامة ، اذ ان حجمها يعادل حوالى ١٠٪ من حجم الجالية ، فاذا أخذنا بعين الاعتبار ان حجم المتعلمين الفلسطينيين من حملة الشهادات الجامعية هو ٦٠ الف (من أصل حوالى ٣ ملايين فلسطينـــي) أي حوالي ٢٪ ، واذا قارنا هذا بالحجم السابق والمتواجد في الولايات المتحدة ، أمكننا استخلاص ان الولايات المتحدة تشكل مركز استقطاب ونهب للملكات العلمية والادمغة المتعلمة الفلسطينية بوتيرة عالية جدا لا يتناسب وحجم الجالية الفلسطينية .

كما شكلت شريحة الكتبة (ماسكي الدفاتر ، سكرتيرات ، ضاربي الة كاتبة ، سعاة بريد ، جباة ضرائب .. الخ) نسبة ٨٪ وشكلت شريحة (بائعين متجولين ، دلالين ، باعة بوليصات تأمين.. الخ) نسبة ٦٪ ، وبذلك يصل حجم البرجوازية الصغيرة بشرائحها هذه الى نسبة ٤٠٪ من حجم القوى المنتجة .

٣) **العمال** : تالفت هذه الطبقة من مشغلي الالات ، وعمال المصانع ، (سائقو الباصات والشاحنات وسيارات الأجرة ، قاطع تذاكر وجامعها في الباصات والقطارات ـ غزالون ، صباغون ، مشغلو الالات في المناجم والمصانع ، مشحمو الالات ، محمصو الافلام ، لحامو اوكسجين ، عمال المصانع والمستودعات .. الخ) وهم يشكلون ١٤٪ . ومن شريحة الحرفيين وكبار العمال أو العمال المهرة أمثال الخبازين والحدادين والنجارين والبنائين والكندرجيه وعمال الكهرباء والخياطين والمشرفين على العمال في الورش .. الخ وهم يشكلون ١٧٪.ومن شريحة عمال الخدمات (طباخو مطاعم وفنادق ، النادلون والنادلات في المطاعم ، عتالون ، حلاقون ، أذنة ، قابلات ، بوابون .. الخ) ويشكلون ٦,٥٪.ومن شريحة عمال المنازل ، ويشكلون نسبة ١٪ .

أما الشرائح الزراعية ، التي تضم فئة العمال الزراعيين والزراعيين المهرة (عمال أجرة ، رعاة ، المشرفون على العمل الزراعي في المزارع .. الخ) فتشكل نسبة ٥٪ .

وبذلك تتشكل طبقة العمال بشرائحها المختلفة نسبة ٤٢,٥٪ من حجم القوى المنتجة .

ان التحليل السابق يوضح ان الغالبية العظمى من القوى المنتجة الفلسطينية المهاجرة الى الولايات المتحدة هي من الطبقات الكادحة (البرجوازية الصغيرة ٤٠ + ٤٢,٥ عمال = ٨٢,٥٪) . وهو يعني ان ٨٢,٥٪ من المهاجرين هم من الفئات الكادحة لحظة قدومهم الى الولايات المتحدة . وقد هاجرت هذه الفئات المختلفة بهدف التخلص من الظروف السياسية والاقتصادية التي تعانيها ، وبهدف الحصول على العمل المفقود في الوطن والموضوع ، اذا وجد ، تحت خطر الموت والدمار . ويجب الانتباه الى ان هذا التوزيع يقوم على ما سجلته دوائر الهجرة الاميركية أو يقوم على ما هو مسجل في جوازات السفر ، وهي التي تحدد نوع المهنة السابقة ولا تحدد الوضع بالضبط كاشفة نوع البطالة . ولذا نرجح بأنه بالامكان اضافة نصف شرائح الطبقة المتوسطة ، خاصة الفلاحين ، والذين فقدوا أرضهم او تركوها نتيجة لتدابير العدو الصهيوني الترسعية ، والتي تهدف الى الاستيلاء على الأرض . وهذا يعني ارتفاع نسبة المهاجرين الفقراء الى ٩٠٪ أو أكثر من ذلك . وهذا ما سنحاول توضيحه ، اذ أن السؤال بعد هذا . ماذا حصل لهذا الجيش من المهاجرين الذين جاؤا لبيع أنفسهم في سوق العمل المأجور ، وبأي ثمن ، وبما في ذلك الطبقة المتوسطة ؟

ان المعطيات الديمغرافية غير متوفرة ، لتقدم لنا الاجابة المطلوبة عن مصير القوى المنتجة بكاملها . لذا سيتم التعرض لهذا الموضوع بالاعتماد على من يتجنس منهم في سنة التجنيس فقط بالنسبة لكل منهم . ان هذا الاعتماد بطبيعة الحالة يعني دراسة ١/٣ الجالية المهاجرة (بعد سنة ٥٩) تقريبا ، أي العدد المتجنس وهو ١٠٦٩٢ ، ويعني دراسة ٦٥٪ من القوى المنتجة المتواجدة فقط . كما ان الاعتماد يعني تقبل وضع متحرك ما قبل سنة التجنس ، ووضع سكوني ما بعد سنة التجنس ، وهو ما لا يمكن الركون اليه حتما . ومما يؤدي الى صعوبة التعميم ، ان الأخذ بهذه التحفظات لا يلغي امكانية الاستنتاج كلية ، اذ يبقى الوضع العام في الولايات المتحدة محددا لخيارات ضئيلة ، مثلما ان وضع هؤلاء المهجرين يحدد خيارات أقل .

الجدول رقم (١) تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب المهن *

السنه	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين		فلاحين ومدراء		مدراء وموظفين رسميين وملاك مؤسسات		كتبه وما شابهها		باعه		حرفيين، وكبار العمال .. الخ		الالات وما شابهها		عمال المنازل الخصوصيين (خدم)		عمال الخدمات عدا الخدم		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال صناعيين عدا الزراعة والمناجم		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٥٩	٦٠٧	٧٧	٪١٢	٧	٪١	٢٢	٪٣	٣٤	٪٦	٢٢	٪٣	٥٥	٪٩	٢٤	٪٤	١	—	١٠	٪٢	٢	—	٤	٪١	٣٤٩	٪٥٨
١٩٦٠	٥٣٦	٨٣	٪١٦	١٠	٪٢	٤٠	٪٨	٣٤	٪٦	٢٢	٪٤	٣٤	٪٦	١٤	٪٣	١	—	١٠	٪٢	٦	٪١	٨	٪٢	٢٧٤	٪٥١
١٩٦١	٦٥٨	٨٥	٪١٣	١٤	٪٢	٤٣	٪٧	٢٨	٪٤	١٥	٪٢	٤٦	٪٧	٨	٪١	٥	٪١	١٣	٪٢	١٢	٪٢	٩	٪١	٣٨٠	٪٥٨
١٩٦٢	٧٧١	٩١	٪١٢	٨	٪١	٤٦	٪٦	٣٢	٪٤	٢٥	٪٣	٤٦	٪٦	١٥	٪٢	—	—	١٨	٪٢	١٤	٪٢	١٣	٪٢	٤٦٢	٪٦٠
١٩٦٣	٧٥٢	٨٧	٪١٢	١٢	٪٢	٦٢	٪٨	٢٩	٪٤	٢٨	٪٥	٦٥	٪٩	٩	٪١	١	—	١٨	٪٢	١٥	٪٢	١٥	٪٢	٤٠١	٪٥٢
١٩٦٤	٧٢٦	٨٩	٪١٢	١٢	٪٢	٦٩	٪١٠	٣١	٪٤	٤٧	٪٧	٢٢	٪٣	٢٥	٪٣	١	—	١٥	٪٢	١١	٪٢	١٦	٪٢	٣٨٨	٪٥١
١٩٦٥	٧٠٢	٧٠	٪١٠	١٤	٪٢	٩٦	٪١٤	٢٩	٪٤	٤٥	٪٦	٢٢	٪٥	٢٢	٪٣	٢	٪١	١٦	٪٢	٧	٪١	٩	٪١	٣٥٩	٪٥١
١٩٦٦	١٣٢٥	١٢٤	٪٩	٣٤	٪٣	٩٦	٪٧	٤٤	٪٣	٤٣	٪٣	١٠٢	٪٨	٣٥	٪٣	٥	٪١	٣٦	٪٢	١٧	٪١	٢٩	٪٢	٧٧٠	٪٥٨
١٩٦٧	١٦٠٤	١٧٥	٪١١	٢٥	٪٢	٨٢	٪٥	٦٠	٪٤	٣٣	٪٢	١٢٢	٪٨	٤٣	٪٣	١٢	٪١	٢٨	٪٢	١٠	٪١	٢٣	٪١	٩٩١	٪٦٣
١٩٦٨	٢٠١٠	١٨١	٪٩	٢١	٪١	٦١	٪٣	٦٤	٪٣	٣٩	٪٢	١٢٢	٪٦	٤٢	٪٢	٩	٣٩	٪٢	١٣	٪١	٣٤	٪٢	١٣٨٤	٪٦٩	
١٩٦٩	٢٦١٧	٢٢٢	٪٨	٤٥	٪٢	١٠٤	٪٤	٦٥	٪٣	٤٧	٪٢	١٨٣	٪٧	٦٦	٪٣	٨	—	٣٤	٪١	٢٣	٪١	٤٠	٪٢٠	١٧٨٠	٪٦٨
١٩٧٠	٢٨٤٢	٢٥٤	٪٩	٤٧	٪٢	١٠٤	٪٤	٨٧	٪٣	٧١	٪٢	٢٢١	٪٨	٨٦	٪٣	١٩	٪١	ـ٥	٪٢	٢٢	٪١	٦٧	٪٢	١٨١٩	٪٦٤
١٩٧١	٢٥٨٨	٢٤٩	٪١٠	١٩	٪١	١١٢	٪٤	٦٧	٪٢	٥٤	٪٢	١٧٤	٪٧	١١٠	٪٤	١٢	٪١	٧١	٪٣	٥١	٪٢	٥٤	٪٢	١٦١٥	٪٦٢
١٩٧٢	٢٧٥٦	٣٠٠	٪١١	٢	—	١٨٦	٪٧	٦٣	٪٢	٧٤	٪٣	١٦٥	٪٦	٨٣	٪٣	١٤	٪١	٧٠	٪٢	١٠٤	٪٤	٦٠		١٦٣٥	٪٥٩
١٩٧٣	٢٤٥٠	٢٥٧	٪١١	١	—	١٢١	٪٥	٥٥	٪٢	٤٧	٪٣	١٢٢	٪٥	٩٩	٪٤	١٤	٪١	٨٧	٪٤	٧٠				١٤٩٧	٪٦١

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنين .. الخ		مدراء واداريين عدا الزراعة		باعة		كتبه وما شابهها		حرفيين وما شابهها		الالات وما شابهها		ميكانيكي اجهزة المواصلات		عمال صناعيين عدا الزراعة		فلاحين ومدراء زراعيين		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل الخصوصيين « الخدم »		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١٩٧٤	٢٨٣٨	٢٢١	٪٨	١١٨	٪٤	٤٣	٪٢	٨٠	٪٣	١٤٦	٪٥	٤٥	٪٢	٤٤	٪٢	١٠٤	٪٤	—	—	٩١	٪٣	٩٠	٪٣	١٢	—	١٨٤٤	٪٦٥
١٩٧٥	٢٥٧٨	٢٠٤	٪٨	١١١	٪٤	٣٠	٪١	٦٧	٪٣	١٦٢	٪٦	٤٩	٪٢	٢٣	٪١	٥٩	٪٢	٥	—	٥٤	٪٢	٧٨	٪٣	—	—	١٧٢٦	٪٦٧
١٩٧٦	٢٥٦٦	٢١٨	٪٩	١٤٠	٪٩	٢٨	٪١	٨٢	٪٣	١٢٥	٪٥	٤٧	٪٢	٣٠	٪١	٧٩	٪٣	٥	—	٣٥	٪١	٥٩	٪٢	٤	—	١٧١٤	٪٦٧
المجموع	٢٠٩٢٦	٢٦٨٧	٪١٠	١٦٢٣	٪٥	٧٢٣	٪٢	٩٥١	٪٢	١٩٤٥	٪٦	٨٢٢	٪٣	٩٧	—	٦٩٢	٪٢	٢٨١	٪١	٥٥٧	٪٢	٧٢٧	٪١	١٢١	١	١٩٢٩٩	٪٦٢

* إبتداء من عام ١٩٧٤ تغير تقسيم المهن من ١٢ تصنيف الى ١٣ تصنيف كما وغير ترتيب التصنيفات كذلك .

** عند جمع النسب المئوية لجميع الفئات يخرج المجموع اكثر من ١٠٠٪ اما بزيادة ١,٥٪ او ٢٪ كحد اقصى وذلك عائد لفارق التقريب النسبي ، (أي اكبر من ٥٠ وكان يقرب الى ١٪ واصغر من ٤٩ وكان يقرب الى صفر) ، حيث كان مجموع التقريب في الغالبية السابقة يصل الى ١٠٠٪ ولكنه في الحالات المشار اليها لم يحصل التطابق

الجدول رقم (١) مكرر
تقسيم المهاجرين عند قدومهم حسب المهن

العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفون والتقنيون الخ ..		مدراء اداريون عدا الزراعة		باعة		كتبه وما شابههم		حرفيون وما شابههم		ميكانيكيو اجهزة مواصلات		عمال صناعيون عدا الزراعيين		فلاحون ومدراء زراعيون	
	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
١١,٥٢٧	٢٩٨٧	٪٢٦	١٦٢٣	٪١٤	٧٢٣	٪٦	٩٥١	٪٨	١٩٤٥	٪١٧	٩٧	٪١	٦٩٣	٪٦	٢٨١	٪٢,٥

عمال وكبار عمال زراعيون		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل وخصوصا الخدم		عمال وما شابههم	
العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة
٥٥٧	٪٥	٧٢٧	٪٦,٥	١٢١	٪١	٨٢٣	٪٧

الجدول رقم ٢
تقسيم المتجنسين حسب المهن *

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين .. الخ .		فلاحين ومدراء زراعيين		مدراء وموظفون رسميون وملاك مؤسسات		كتبة وما شابههم		باعة		حرفيون وكبار العمال .. الخ .		الالات وما شابهها		عمال المنازل الخصوصيين « خدم »		عمال الخدمات عدا الخدم		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال صناعيون عدا الزراعة والمناجم		امهات واطفال وعاطلين عن العمل	
		العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد	النسبة	العدد		العدد	
١٩٥٩	٢٠٩	٢٨	٪١٣	—	—	٢٢	٪١١	٤	٪٢	١٨	٪٩	٢٤	٪١١	٢٤	٪١١	١	—	٩	٪٤	—	—	٤	٪٢	٧٥	٪٣٦
١٩٦٠	٢٢٧	٤٣	٪١٩	١	—	١٦	٪٧	١١	٪٥	٢٢	٪١٠	١٧	٪٧	٢٣	٪١٢	٢	٪١	٦	٪٣	—	—	٦	٪٣	٨٠	٪٣٥
١٩٦١	٢٨٧	٢٨	٪١٠	١	—	٣٠	٪١٠	٢٠	٪٧	٣٤	٪١٢	٣٤	٪١٣	٢٧	٪٩	٢	٪١	١٤	٪٥	١	—	١٩	٪٧	٧٧	٪٣٧
١٩٦٢	٥٦٥	٥٢	٪٩	—	—	٤١	٪٧	٥٨	٪١٠	٥٢	٪٩	٧٠	٪١٣	٥٦	٪١٠	—	—	٥٥	٪١٠	—	—	٣٢	٪٦	١٤٨	٪٣٦
١٩٦٣	٤٢٥	٥١	٪١٢	—	—	٣٦	٪٨	٣٢	٪٧	٣٣	٪٨	٤٠	٪٩	٢٧	٪٦	٢	٪١	٢٥	٪٨	—	—	١٨	٪٤	١٦٠	٪٣٧
١٩٦٤	٣٣٣	٤٦	٪١٤	—	—	٣٤	٪١٠	٢٤	٪٧	١٩	٪٦	٢٥	٪٨	٢٥	٪١	٢	٪١	٢٥	٪٨	—	—	١٢	٪٤	١٢١	٪٣٦
١٩٦٥	٣٩٠	٦٦	٪١٧	—	—	٣٦	٪٩	٢٤	٪٦	٣٣	٪٩	٣٢	٪٨	٢٩	٪٧	١	—	١٨	٪٥	—	—	٩	٪٢	١٤٢	٪٣٦
١٩٦٦	٤٠١	٣٦	٪٩	—	—	٥٢	٪١٣	٣٧	٪٩	٣٠	٪٨	٣٠	٪٨	٢٣	٪٦	١	—	٢٩	٪٧	—	—	٦	٪١	١٥٧	٪٣٩
١٩٦٧	٣٨٤	٥٢	٪١٤	—	—	٣٨	٪١٠	٢٦	٪٧	٤٤	٪١١	٢٩	٪٨	٢٧	٪٧	١	—	١٩	٪٥	١	—	٨	٪٢	١٣٩	٪٣٦
١٩٦٨	٣٩٩	٥٦	٪١٤	١	—	٤٨	٪١٢	١٩	٪٥	٣٨	٪١٠	٢٤	٪٦	٣٥	٪٩	—	—	٣١	٪٨	١	—	١٣	٪٣	١٣٣	٪٣٣
١٩٦٩	٣٩٧	٥٠	٪١٣	—	—	٥٤	٪١٤	٢٦	٪٧	٣٢	٪٨	٢٩	٪٧	٢٨	٪٧	—	—	٢٦	٪٧	—	—	١٣	٪٣	١٣٨	٪٣٥
١٩٧٠	٤٢٩	٤٦	٪١١	—	—	٦٠	٪١٤	٢٨	٪٧	٤١	٪١٠	٢٨	٪٧	٣٦	٪٨	—	—	٢٨	٪٧	—	—	١٣	٪٣	١٤٩	٪٣٥
١٩٧١	٥٤٤	٧١	٪١٣	—	—	٧٩	٪١٥	٢٥	٪٥	٣٧	٪٧	٣٥	٪٦	٤٣	٪٨	—	—	٣٦	٪٧	١	—	١٩	٪٣	١٩٨	٪٣٦
١٩٧٢	٨٥٤	١٢٢	٪١٤	—	—	١٢١	٪١٤	٤٩	٪٦	٦٧	٪٨	٦١	٪٧	٦٠	٪٧	١	—	٥٢	٪٦	—	—	٣٥	٪٤	٢٨٦	٪٣٤
١٩٧٣	١٠٠٦	١٠٩	٪١١	—	—	١٤٢	٪١٤	٦١	٪٦	٧٩	٪٨	٨٤	٪٨	٦٤	٪٦	٢	—	٤٠	٪٤	٢	[illegible]	٥١	٪٥	٢٧٧	٪٣٨

السنة	العدد الاجمالي	حملة الشهادات المحترفين والتقنيين .. الخ: العدد	حملة الشهادات: النسبة	مدراء واداريون عدا الزراعة: العدد	مدراء: النسبة	باعة: العدد	باعة: النسبة	كتبة وما شابههم: العدد	كتبة: النسبة	حرفيون وما شابههم: العدد	حرفيون: النسبة	الالات وما شابهها: العدد	الالات: النسبة	ميكانيكيو اجهزة المواصلات: العدد	ميكانيكيو: النسبة	عمال صناعيون عدا الزراعة: العدد	عمال صناعيون: النسبة	فلاحون ومدراء زراعيون: العدد	فلاحون: النسبة	عمال وكبار عمال زراعيين: العدد	عمال زراعيين: النسبة	عمال خدمات ما عدا الخدم: العدد	عمال خدمات: النسبة	عمال المنازل الخصوصيين "الخدم": العدد	عمال المنازل: النسبة	امهات واطفال وعاطلون عن عمل: العدد	امهات: النسبة
١٩٧٤	١١٥٧	٩٩	٪٩	١٥٧	٪١٤	٧٧	٪٧	٧٥	٪٦	٩١	٪٨	٨٤	٪٧	٩	٪١	٥٦	٪٥	—	—	١	—	٤٣	٪٤	٣	—	٤٦٢	٪٤٠
١٩٧٥	١٢٦٤	١٥٤	٪١١	١٩٨	٪١٥	٧٦	٪٦	٩٤	٪٧	١٢٨	٪٩	١١١	٪٨	١١	٪١	٦٣	٪٥	١	—	٢	—	٦٢	٪٥	١	—	٤٦٣	٪٣٤
١٩٧٦	١٣١٢	١٤١	٪١١	٣٠٠	٪١٥	٩٥	٪٧	٧٧	٪٦	١٠٩	٪٨	١٠١	٪٨	١٢	٪١	٤٩	٪٤	—	—	١	—	٦٩	٪٥	١	—	٤٥٧	٣٥
المجموع	١٠٦٩٣	١٢٥٠	٪١٢	١٣٦٤	١٣	٨٢٨	٪٨	٦٩٠	٧	٨٩٠	٨	٨٢٨	٪٨	٣٢	١	٤٣٧	٤	٤	١	١٠	١	٥٩٧	٪٦	٢١	١	٢٧٦٢	٪٢٥

ثانيا : الواقع الاجتماعي للفلسطينيين المتجنسين

في البدء نذكر الملاحظتين التاليتين حول هؤلاء المتجنسين : ١)ان العدد الاجمالي للمتجنسين هو ١٠٦٩٣ خلال الاعوام ٥٩ ــ ٧٦ (الجدول رقم ٢) . ويجب ان يضاف لهذا العدد ما مقداره١٥٦٥٧٢، وهو الناتج عن الزيادة الطبيعية وهم المولودون في امريكا ، والذين يحصلون على الجنسية الاميركية تلقائيا ، فيكون مجموع المتجنسين من الجالية هو ٢٦٣٦٥ اي ما نسبته ٤٨٪ وهذه النسبة يجب ان ترتفع نتيجة لعدم وجود احصاء عن المتجنسين ما قبل العام ٥٩ . ويمكن استخدام النسبة اياها (كحد ادنى) لاستخلاص عدد المتجنسين لما قبل العام ٥٩ . ان عدد المهاجرين ما قبل العام ٥٩ هو ٦٤٢٩ ، وبحسب الفرض المتقدم يكون عدد المتجنسين منهم هي ٣٠٨٥ ، ويكون مجموع عدد المتجنسين المفترض هو ٢٩٤٥٠ ، اي ما نسبته ٥٤٪ من مجموع الجالية كحد ادنى .

وهذه الارقام تشير الى واقع مفروض على الجالية ، ومضطرة للتعامل معه لادامة الاقامة ، ولايجاد العمل المناسب . لكن هذه الارقام تشير من ناحية اخرى الى واقع سياسي مر ، ولا تظهر خطورته الضخمة الا بعد مضي زمن ما ، وعندها يصبح ما هو مقبول اضطرارا عبارة عن الامر الواقع . وبذلك تنتقل من قضية تكيف مع المجتمع الجديد الى قضية اندماج بالمجتمع الجديد ، بكل ما يعنيه الاندماج من الحنين الى الماضي ، ومن الانسلاخ عن الواقع السياسي الفلسطيني ، كهوية وكشخصية وطنية ومواطنية ، ومن انسداد افق العلاقات مع الوطن ، والتي تتحول بعد جيلين او اكثر الى مجرد خطوط رقيقة هشة ، تشير وجدانيا الى الاصل لا اكثر ! ان السؤال المنطقي في هذه الحالة الخاصة ليس، هل نجح تنظيم الهجرة بما لم تستطع مشاريع التوطين صنعه ؟ بل هو كيف يمكن ، ضمن معطيات هذا الواقع ، تنظيم المهاجرين ، لتثبيت شخصيتهم الوطنية الفلسطينية ، ولا بقاء العلاقة المتينة مع الوطن كجالية فلسطينية مغتربة ، على نحو محدد ! وهو ما سنعالجه لاحقا .

٢ ــ الملاحظة الثانية . ان الجدول رقم ٢ يوضح ان نسبة الامهات والاطفال والعاطلين عن العمل هي ٣٥٪ ، اي ان عددهم ٣٧٦٢ من عدد المتجنسين المذكورين . وقد سبق ان حددنا ان العاطلين عن العمل عددهم ١٥ شخصا ، مما يدل على كون العطل عن العمل راجع الى كبر السن او الى عدم القدرة على الاعالة وما شاكل ذلك، مع ملاحظة ان السن التي تسمح بالتمييز ، بحسب المعطيات الاحصائية هي سن العشرين ، وبذلك حسب الطلاب ضمن هذه النسبة ، وقد سبق ان ذكرنا ايضا ان نسبة هؤلاء انخفضت نتيجة لاضطرار من هم دون العشرين ، وكذلك النساء والعاطلين عن العمل للاسباب المذكورة ، للعمل لتأمين الحياة ، وهذا الاضطرار يدفعهم الى تقبل اي نوع من العمل ، مهما تدنت نوعيته .

على ضوء هذا ، يجب ان نضاف الى هؤلاء نسبة مفترضة ، هي ٣٠٪ والتي تحدد نسبة الاناث في العام ٥٩ ، لتحديد نسبتهم فيما قبل ذلك بصورة تقريبية اي ما قيمة ١٩٢٥ . وكذلك يجب اضافة الزيادة الطبيعية وهي ١٤٦٤٣ (للاعوام ٥٧ ــ٧٦ ، وبعد حذف الزيادة الطبيعية لما قبل عام ٥٧ نتيجة لكون المولودين اصبحوا فوق العشرين) وبذلك يكون مجموع هؤلاء هو ١٩٣٣٠ ، اي ما نسبته ٦٦٪ من مجموع الجالية المتجنسة ، وهي نسبة مرتفعة جدا تتعدى النسب الموجودة في الوطن اصلا . ان معظم هذه النسبة ، كما هو واضح ، هم من الشباب دون ٢٠ ، وهي فئة عاطلة عن العمل بحكم صغر السن من ناحية ، وبحكم

ارتفـاع نسـبة العاطلين عن العمل بين الشباب في امريكا اصلا لسوء الحالة الاقتصادية بعد انتهاء حروب جنوبي شرق آسيا ، وعلى سبيل المثال فان نسبة العاطلين عن العمل بين شباب الاقليات (الاثنية غير البيضاء) يفوق ٣٠٪ في بعض الاحيان . واذا كانت المعلومات غير متوفرة عن هذه الفئة المتجنسة ، كفئة فلسطينية ، فان المعلومات المعروفة عن الشباب الاميركي عامة ، وما يعانيه من اضطرابات واستلاب ، يعكس الى حد بعيد واقع هذه الفئة المولودة هناك .

من هنا فان استخلاص الاساسي هو التدني الضخم لنسبة القوى العاملة والمنتجة ، وبالاستناد الى ما تم ايضاحه اعلاه ، بعكس ما توحي به ارقام الجدول المجردة عن واقع الجالية المتعدد الجوانب ان ما تقدمه دوائر الهجرة يوضح ان نسبة القوى العاملة هي ٦٥٪ على حين ان ما اوصلت اليه هذه الملاحظة من ربط الارقام بالواقع الحقيقي للجالية يثبت ان هذه النسبة تنخفض الى ٣٤٪ عن حجم الجالية العام .

ان الدخول ، بعد ذلك : بمعطيات الجدول ، وخاصة الجدول رقم ٢ مكرر ، سيكمل هذا الاستنتاج ، بايضاحه واقع القوى المنتجة ، والذي يشكل ، بحد ذاته ، واقعا اكثر مرارة لجالية كادحة تعاني مرارة البعد عن الوطن ، مثلما تعاني مرارة الكدح والاستغلال في مركز الامبريالية الاكبر .

ان الجدول يوضح انقسام القوى المنتجة الى الطبقات التالية

١ ـ شرائح البرجوازية المتوسطة

لقد اندثرت من صفوفها الفئة الريفية بشكل شبه كامل كما وان افراد هذه الفئة قد هبطوا تماما وبغالبيتهم الساحقة الى مستوى شرائح البرجوازية الصغيرة حسب ظروف الطبقات الاجتماعية في الولايات المتحدة . ومع انه يوجد اعداد قليلة جدا من بين صفوف هذه الفئة ممن ينتمون حقا للبرجوازية المتوسطة التجارية (ملاك الشركات بيع الجملة للمواد التي يشتريها الباعة المتجولون منهم بغرض بيعها بالمفرق كالسجاد والساعات .. الخ) وملاك عدة محلات بيع الاغذية الكبيرة (سوبر ماركت) وملاك العقارات العديدة والاسهم باحجام كبيرة . الا ان هذا العدد يبقى هامشيا جدا ومقتصرا على بضعة افراد موجودين في بضعة مدن كبيرة بشكل اساسي (نيويورك ، ديترويت ، سان فرانسيسكو على سبيل المثال) ولهذا فان النسب الموجودة في جدول رقم ٢ تحت البند (مدراء وموظفون رسميون وملاك مؤسسات) تصبح حقا جزء من شرائح البرجوازية الصغيرة لان غالبية هذه الفئة هم من (ملاك البقالات الصغيرة والمتوسطة الحجم وملاك المطاعم والبارات وبعض العقارات المحدودة ، وكذلك بعض مدراء فرعيين لشركات صغيرة او فروعها وملاك محطات البنزين .. الخ) .

٢ ـ شرائح البرجوازية الصغيرة

تزايدت نسبة هذه الشرائح بصورة عامة لنزول شرائح البرجوازية المتوسطة الى هذه الطبقية بفقدانهم شروط العمل التي جعلتهم ينتمون الى هذه الطبقة في الوطن ، ولتبدل مقاييس الانتماء الطبقي المعتمدة في و . م . ذات التكاليف المعيشية المرتفعة . على هذا الاساس تكون هذه الشرائح مكونة مما اعتبر مدراء .. وهو ٢٠٪ وحملة شهادات ١٨٪ (انخفضت نسبتهم نتيجة لتبدل موقع العمل) وباعة ١٢٪ (ارتفعت نسبتهم الى الضعف)

وكتبة ١٠٪ (زيادة بنسبة الـ ١/٣ تقريبا) . وبذلك يكون حجم هذه البرجوازية الصغيرة هو بنسبة ٦٠٪ من حجم القوى المنتجة .

٣ ــ العمال

انخفضت نسبة العمال الزراعيين وعمال المنازل واجهزة المواصلات الى عدد لا يكاد يذكر وارتفعت نسبة مشغلي الالات من ٧٪ عند الهجرة الى ١٢٪ وانخفضت نسبة الحرفيين من ١٧٪ الى ١٣٪ وارتفعت نسبة عمال الخدمات من ٦,٥ الى ٩٪ وحافظت نسبة عمال الصناعة على نفسها ٦٪ . وبذلك يكون مجموع نسب العمال ٤٠٪ .

ان هذا يوضح ان العمال الزراعيين وعمال المنازل وعمال الميكانيك واجهزة المواصلات اضطروا الى تبديل موقع عملهم ، وقد اتم الانتقال الى فئة عمال الخدمات وعمال الالات . وهو ما حدث جزئيا بالنسبة لقسم من الحرفيين ، على قاعدة التكيف مع المجتمع الاميركي ومتطلباته ، باتجاه بيع قوة العمل بحسب ما يفرضه على المهاجرين .

ان محصلة هذا التحليل توضح ان مجمل الجالية الفلسطينية بعد التجنس هي من الطبقتين الدنيتيـــن. البرجوازية الصغيرة والعمال . فاذا اضفنا الى ذلك ما تم استخلاصة عن القسم غير المدروس اتضحت حقيقة اوضاع هاتين الطبقتين عبر عملية التحول الاجتماعية التي يتعرضون لها .

وبما ان الجالية الفلسطينية تمر بمرحلة انتقالية سركبة الخصائص فهي تحوى على جيش من المهاجرين سنويا وكذلك تحوي على جيش من المولودين سنويا ، وان خصائص هذه الجالية لا تزال متاثرة بشكل اكبر بخصائص مقارنة الاوضاع المزرية في البلدان التي قدم منها المهاجرون من الاوضاع في امريكا (والتي تبدوا فيها بان الاوضاع الامريكية افضل للقادمين حديثا) بحكم طغيان حجم المهاجرين على المولودين . ولكن ما ان يحسم هذا الوضع الاستثنائي لصالح المتوالدين والذي يتزايد باضطراد لتصبح الجاليـــة الفلسطينية باغلبها بعد حين جالية من الجيل الثاني . عندها يصبح الفلسطينيون في امريكا اجتماعيا ،جزء من هذا المجتمع بخصائصه العديدة وبمآسيه ومشاكله وتطاحناته الحادة . سيجاب على التساؤل حين ذاك ، هل حقا جاء الفلسطينيون الى بلاد العسل والرخاء ام جاؤا الى بلد اخر من بلاد العذاب والشقاء ؟ .

الجدول رقم ٢ مكرر

تقسيم القوى المنتجه المتجنسة حسب المهن

العدد الاجمالي	حمله الشهادات المحترفون أو التقنيون		مدراء واداريون عدا الزراعه		باعه		كتبه وما شابهم		حرفيون وما شابههم		مشغلوا الالات وما شابههم		ميكانيكو اجهزة مواصلات		عمال صناعيون عدا الزراعة	
	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة
٦٩٣١	١٢٥٠	٪١٨	١٣٦٤	٪٢٠	٨٢٨	٪١٢	٦٩٠	٪١٠	٨٩٠	٪١٣	٨٢٣	٪١٢	٣٢	—	٤١٧	٪٦

فلاحون ومدراء زراعيون		عمال وكبار عمال زراعيين		عمال خدمات ما عدا الخدم		عمال المنازل الخصوصيه الخدم	
عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة	عدد	نسبة
٤	—	١٠	—	٥١٧	٪٩	٢١	—

الجدول رقم ٣

توزع المهاجرين حسب كثافتهم السكانية في الولايات المختلفة

السنة	العدد الاجمالي	كاليفورنيا العدد	كاليفورنيا النسبة	الينويز العدد	الينويز النسبة	نيويورك العدد	نيويورك النسبة	ميسغن العدد	ميسغن النسبة	نيوجرسي العدد	نيوجرسي النسبة	اوهايو العدد	اوهايو النسبة
١٩٦١	٥٦٤٤	١١٤٨	/٢	٧٣٥	/١٣	٦٩٩	/١٤	٤٦٢	/٨	٣٠٠	/٥	٢٦٥	/٥
١٩٦٢	٤٤١٩	٩٩٨	/٢٣	٦٤٤	/١٥	٥٣٩	/١٢	٢٨٣	/٩	١٨٥	/٤	١٦٥	/٤
١٩٦٣	٤٢١٤	٩ ٢	/٢١	٦٨٩	/١٦	٥٥٣	/١٣	٣٦٤	/٩	٢٣٥	/٦	١٤٥	/٣
١٩٦٤	٤١٢٧	٩٢١	/٢٢	٥١١	/١٢	٥٣٨	/١٣	٥١١	/١٢	٢٥١	/٦	١٣٧	/٣
١٩٦٥	٤٢٢١	٩٤٠	/٢٤	٥٠٠	/١٢	٥٩٣	/١٤	٤١٠	/١٠	٢٧٤	/٦	١٤٢	/٣
١٩٦٦	٤٤٨٢	٩٨٦	/٢٢	٥٣٣	/١٢	٥٩	/١٣	٤٠٧	/٩	٢٦٣	/٦	١٧٦	/٤
١٩٦٧	٥٦٤٦	١ ٨٤	٫٢٩	٧٥٣	/١٣	٧٣٦	/١٣	٥٩٤	/١١	٣٦١	/٦		
١٩٦٨	٦٩٩٤	١٤١٧	٫٢٠	١٠٧٥	/١٦	٩٢	/١٣	٧٨	/١١	٣٦٦	/٥	٣٢٧	/٥
١٩٦٩	٨٦٧٢	١٧٩٤	/٢١	١٤٢٣	/١٦	١١٢٣	/١٣	٩٤٤	/١١	٤٤٧	/٥	٤١١	/٥
١٩٧	٩ ٥٨	٢ ٠٩	٫٢٢	١٥١٩	/١٧	١١١١	/١٣	٧٤٣	/٨	٤١٤	/٥	٤٧٦	/٥
١٩٧١	١٠١٣٦	٢٣٧٢	/٢٢	١٤٣٢	/١٤	١٣٦٥	/١٣	١٢٣٩	/١٢	٧٤	/١	٤٦٥	/٥
١٩٧٢	١١٢٥٨	٢٣٧٤	/٢٣	١٦٣٨	/١٥	١٢٤٥	/١١			٨٤٦	/٨	٤٥٩	/٤
١٩٧٣	١٢٠٣٥	٢٤٣١	/٢	١٧٧١	/١٥	١٤٣٨	/١٢	١٣٣٩	/١١	٨٦١	/٧	٥٩٣	/٥
١٩٧٤	١١٣٥٥	٢١٦٥	٫١٩	١٧٢٢	/١٥	١٢٥٣	/١١			٢٣٠	/٦	٥٠٢	/٤
١٩٧٥	١٣١٣٧	٢٦٤	/٢٠	١٩٧٨	/١٠	١٥٦٧	/١٢	١٤٦٠	/١١	٨٧٤	/٧	٥٨٦	/٤
١٩٧٦	١٢٠٢٩	٢٤٦٦	٫٢١	١٧٥٨	/١٢	١٤٦١	/١٢	١٣٥٣	/١١	٨٥٧	/٧	٤٩	/٤

السنة	تكساس العدد	تكساس النسبة	بنسلفانيا العدد	بنسلفانيا النسبة	مستوسنس العدد	مستوسنس النسبة	فلوريدا العدد	فلوريدا النسبة	بورتوريكو العدد	بورتوريكو النسبة	فرجينيا العدد	فرجينيا النسبة	ميرلاند العدد	ميرلاند النسبة	واشنطن العدد	واشنطن النسبة	بقية الولايات العدد	بقية الولايات النسبة
١٩٦١	١٩٧	/٣	٢١٣	/٤	٢٠٤	/٤	١٢٦	/٢									١٢٩٤	/٢٣
١٩٦٢	١٤٧	/٣	١٦١	/٤	١٦٣	/٤	١٢٠	/٣									١٩٥	/٢١
١٩٦٣	١٢٦	/٣	١٢٩	/٣	١١٢	/٣	١١٧	/٣									٨٤٢	/٢٠
١٩٦٤	١٣٤	/٣	٤٦	/١	٩٩	/٢	١٤٥	/٤									٨٣٤	/٢٠
١٩٦٥	١٤٦	/٣	١٢١	/٣	١٣٢	/٣	١٣٩	/٣									٨٢٤	/١٩
١٩٦٦	١٣٨	/٣	١٢١	/٣	٩٩	/٢	١٤٨	/٣									١٠٣٢	/٢٣
١٩٦٧	١٦٢	/٣	١٢٩	/٣	١٢٥	/٢	٩٦٣	/٢									١٥٣٩	/٢٧
١٩٦٨	١٩	٫٣	١٤٥	/٢	١٣٣	/٢	١٩٦	/٣									١٤٣٥	/٢١
١٩٦٩	٢٢٦	/٣	١٧٨	/٢	١٥٥	/٢	٢١٣	/٣									١٧٥٨	/٢٠
١٩٧	٢٢٥	/٣	١٩٨	/٢	١٥٠	/٢	١٩٣	/٢									٢٠ ٦	/٢٢
١٩٧١	٢٩٧	/٣	٢٠٣	/٢	١٧٩	/٢	٢٣	/٢									٢٣٨١	/٢٤
١٩٧٢	٣١٦	/٤	٢١٤	/٢	٢٠١	/٢	٢٦٠	/٢									٢٤١٥	/٢١
١٩٧٣	٣٣٩	/٣	٢٤١	/٢	١١٨	/١	٢٩٠	/٢									٢٦١٤	/٢٢
١٩٧٤	٣٩٨	/٤	٢٤٢	/٢	١٠٩	/١	٢٣١	/٢									٢٧٣٠	/٢٤
١٩٧٥	٤٣٨	/٣	٢٤٤	/٥	٢٣٨	/٢	٢٩٣	/٢	٤٢١	/٣	٢٧٨	/٢	٣٩٢	/٣	٨١	/١	٦٠٧	/١٢
١٩٧٦	٤١١	/٣	١٩٥	/٢	٢٣١	/٢	٢٥٠	/٢	٤ ٤	/٣	٢٦٧	/٢	٣٥١	/٣	٦٩	/١	١٤٦٠	/١٢

ملاحظة : بالنسبة للمربعات الفارغة فانه لم تتوفر الارقام حسب تقارير دائرة الهاجرة لتلك الاعوام كما وان هناك في بعض الاعوام مشكلة تقريب نسبي كما بين تحت حاشية ** الجداول ١٢ و١٣

اين يتواجد الفلسطينيون وكيف نظموا انفسهم

اين يتواجد الفلسطينيون في ولايات امريكا ؟ : يبرز جدول رقم ٢ ، الكثافة السكانية للفلسطينيين في الولايات المتحدة المختلفة ، ويتمركز الفلسطينيون في ولاية كاليفورنيا اكثر من أي ولاية اخرى . ويتواجدون في كاليفورنيا بنسبة ٢١٪ من مجموع الفلسطينيين في القارة (اي حوالى ١١,٠٠٠ شخص فلسطيني يقطنون كاليفورنيا). ويلي كاليفورنيا ولاية الينويز حيث يتواجدون بنسبة ١٥٪ من المجموع العام (اي حوالى ٨,٢٥٠ شخص) ثم ولاية نيويورك التي يتواجد بها الفلسطينيون بنسبة ١٣٪ من المجموع العام (اي حوالى ٧,١٥٠ شخص) فولاية ميشغن حيث حجم الجالية بها ١٠٪ من المجموع العام (اي حوالى ٥,٥٠٠ شخص) وبعد ذلك ولاية نيوجرسي بحجم ٦٪ من مجموع الفلسطينيين في امريكا (اي حوالى ٣,٣٠٠ شخص) ، يلي نيوجرسي ولاية اوهايو حيث يتواجد بها الفلسطينيون بنسبة ٤٪ من مجموع الفلسطينيين العام في امريكا (اي حوالي ٢,٢٠٠ شخص) ثم ولايتي تكساس وميريلاند وكذلك بورتوريكو بحجم ٣٪ لكل منها (اي ١,٦٥٠ شخص لكل ولاية) ثم ولايات بنسلفانيا وميسشوست وفلوريدا وفرجينيا بحجم ٢٪ لكل ولاية (اي حوالى ١,١٠٠ شخص في كل ولاية) ثم ولاية واشنطن بحجم ١٪ (اي حوالى ٥٥٠ شخص) . وما تبقى حوالى ١٣٪ من مجموع الفلسطينيين في امريكا (اي حوالى ٧,١٥٠ شخص)متبعثرين على عشرات الولايات المتبقية .

وتجدر الاشارة الى ان اماكن التمركز الرئيسية للفلسطينيين (المدن) هي ، في كاليفورنيا منطقة الخليج (مدينة سان فرانسيسكو) ومدينة لوس انجلوس اللتان تشكلان المركزين الرئيسيين للفلسطينيين في كاليفورنيا ، واما في الينويز فان منطقة مدينة شيكاغو تشكل نقطة التمركز الكبرى ، وفي ولاية نيويورك تشكل مدينة نيويورك وضواحيها المركز الرئيسي ومدينة يفلو المركز الثانوي ، وفي ميشغن تشكل ديترويت وضواحيها المركز الرئيسي وفي اوهايو تشكل منطقة شمال شرق الولاية (كليفلاند ويغستاون) منطقة التمركز الرئيسي . واما في تكساس فمدينتا هيوستن ودالاس تشكلان المناطق الرئيسية للتجمع . وفي بورتوريكو مدينة سان هوان وفي ميرلاند مدينة بلتمور (القريبة من العاصمة واشنطن) . وفي بنسلفانيا ، فيلادلفيا ، وفي فلوريدا مدينتا جاكسنفيلد وميامي ، وفي ميسشوستس مدينة بوسطن، وفي فرجينيا مدينتا رتشموند نورفولك ، وفي واشنطن مدينة سياتل ، والخارطة المرفقة تبرز أماكن التمركز في الولايات المختلفة والنسب لكل ولاية وأسماء مدن التجمع الرئيسية

كما وان تدقيق جدول رقم (٣) عبر السنوات لكل ولاية يبرز الى حد بعيد استقرار نسبي لحجم الجالية في كل ولاية ، وقلة التغييرات الحادة في الكثافة السكانية لكل ولاية عبر السنين . بمعنى اخر ان الجالية لا تغير بشكل ملحوظ تمركزهامن ولاية لاخرى عبر السنين ، أي انها لا تقوم بهجرة داخلية في الولايات المتحدة بشكل ملموس.فمثلا الهجرة الى كاليفورنيا تذبذبت صعودا وهبوطا بمعدل تارجح بين ١٩٪ كحد أدنى الى ٢٣٪ كحد أعلى من مجموع الفلسطينيين العام في أميركا وبالنسبة لالينويز تارجح بين ١٢٪ الى ١٦٪ ونيويورك تارجح بين ١٢٪ الى ١٤٪ ، وميشغن تارجح بين ٨٪ الى ١٢ ٪ وهلم جرا . ولا تبرز النسب لاية ولاية زيادة أو هبوط مضطرد لتعطي مؤشرات على ان ولايات محددة بدأت تفقد سكانها الفلسطينيين ، أو

ولايات أخرى بدأت تتزايد نسبة حجم الجالية الفلسطينية بها ، ولهذا بوسعنا استخلاص النتيجة بأن الفلسطينيين قليلوا الهجرة داخل أميركا من ولاية الى أخرى .

كيف نظم الفلسطينيون أنفسهم في الولايات المتحدة ؟

مرت عملية تنظيم الفلسطينيين لأنفسهم في أميركا بمرحلتين رئيسيتين ، وكانت حرب ١٩٦٧ هي الفاصل الكبير بين المرحلتين . ففي المرحلة الاولى (ما قبل حرب ١٩٦٧) تميز العمل المنظم بينهم بين تنظيم أهل مدينة ، بلدة أو قرية مثلا ، (نادي رام الله) الى المساهمة بأشكال التنظيم القومية الواسعة (الاتحاد العربي الاميركي في الخمسينات ومنظمة الطلبة العرب) . وهذان الشكلان للعمل التنظيمي جاءا كانعكاس لانتعاش الحركة السياسية القومية بين أبناء الجالية العربية (من ضمنها الفلسطينية) وخاصة في صفوف الطلبة (بعث وناصريين) تلك الحركات القومية طرحت ومارست برامجها الجماهيرية كانعكاس لفكرها الداعي لطغيان القومية على حساب طمس الشخصية الفلسطينية المستقلة والتي كانت (وما تزال) مهددة بالذوبان والاندثار على أيدي البرنامج الصهيوني الامبريالي الرجعي العربي . فعلى أيدي هذه القوى القومية « والتي كانت لوحدها في الميدان الى نهاية الستينات » لم يكن بالامكان اطلاقا بناء المنظمات الفلسطينية الخاصة ، سواء القطاعية منها أو حتى النوادي الفلسطينية كقطاعات خاصة من الفلسطينيين . هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية ونظرا لعدم وجود قوى سياسية فلسطينية، غير القوى القومية هذه، بين صفوف جاليتنا في الخمسينات وبداية الستينات، بسبب ضعفها في الوطن أصلا نظرا لسيطرة التيار القومي الناصري والبعثي على الشارع الفلسطيني ، ازاء مثل هذه الظروف لم يكن بامكان العناصر الفلسطينية التواقة للتنظيم الفلسطيني الخاص الا ان تنزع نحو اشكال من التنظيم هي على معرفة بها من خلال حياتها اليومية ، أي الاشكال العائلية او المدينية للتنظيم . وهذا ما تعودت عليه في الوطن قبل هجرتها قبل ١٩٤٨ أصلا ، ولهذا شكل أبرز تنظيم من هذا النمط ، هو نادي رام الله، في بداية الخمسينات . ولقد لعب نادي رام الله عبر الاعوام دورا نشطا في بناء مشاريع حيوية لأهل مدينة رام الله مثل بناء مستشفى رام الله الاهلي في مرحلته الاولى وكذلك وسع في مرحلته الثانية . ويشكل هذا المستشفى الى الان أهم مؤسسة صحية في لواء رام الله . وكذلك في مشروع مبنى بلدية رام الله الجديد وكذلك المبنى الجديد لمدرسة خليل ابو ريا على طريق رام الله ـ بيتونيا ، وكذلك مكتبة رام الله العامة بالاضافة الى فتح مراكز لأهل رام الله في المدن الكبيرة في أميركا حيث تقام بها حفلات الافراح التي يحافظ من خلالها على العديد من تراث وعادات شعبنا الفلسطيني الغالية . وبذلك ساهمت هذه المؤسسة التي تأثرت بالرياح الوطنية في السبعينات وغيرت اسمها الى نادي رام الله / فلسطين ، بدورها وعلى طريقتها الخاصة في خدمة جزء من ابناء شعب فلسطين في الوطن والمهجر ، وطور هذا النادي عمله مؤخرا ليشكل ناديين فرعيين داخله أحدهما للشباب والثاني للمرأة ، لاكتشافهم من خلال تجربتهم أهمية بناء هذين الناديين القطاعيين نظرا للاوضاع والهموم الخاصة لهذين القطاعين .

اذن أبان تلك الفترة الأولى تميز التنظيم الفلسطيني بكونه اما تنظيما بلديا او مدينيا (أهل بلد أو مدينة) او (تنظيما قوميا عربيا) وبين هذين الشكلين التنظيميين ضاع شكل التنظيم

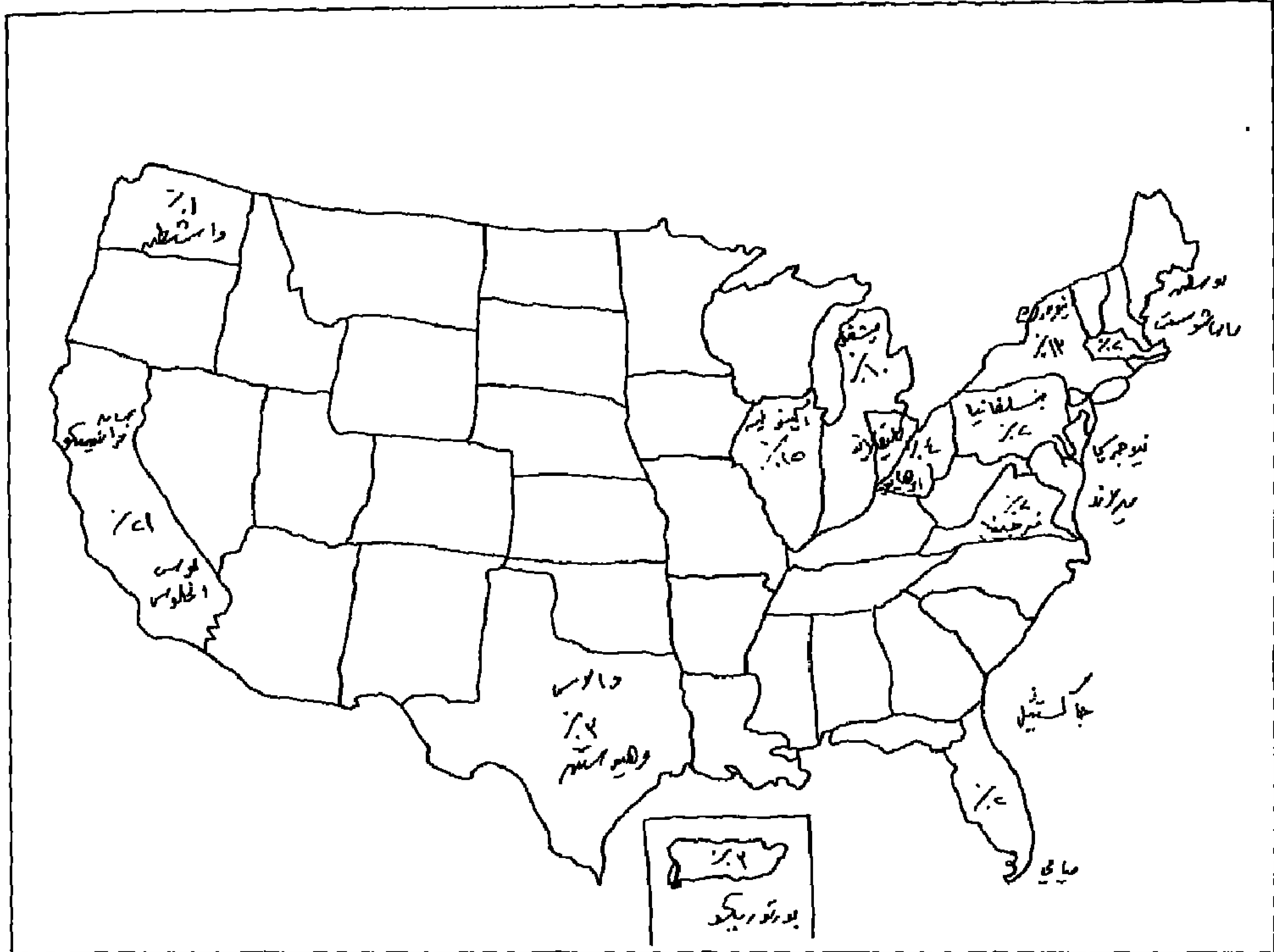
الفلسطيني الوطني الخاص ، الذي هو أرقى من تنظيم جزء من ابناء فلسطين لانهم من القرية الفلانية منها، وكذلك تعبيرا عن ضرورة حفظ الشخصية الفلسطينية المستقلة بدلا من تذويبها القومي دون ان يعني ذلك انفصالية فلسطينية مطلقة ، بل تنظيمات فلسطينية مستقلة تقيم أرقى العلاقات الاخوية مع المنظمات العربية الأخرى القطرية منها والقومية ، وبهذا يصبح البعد القومي للنضال الوطني اخذا مجراه الصحيح .

أما في المرحلة التي تلت حرب ١٩٦٧ ، فلقد تميزت هذه المرحلة بولادة قوى سياسية (انصار فصائل المقاومة) وبدأت هذه الفصائل تؤثر على طبيعة العمل الجماهيري بين صفوف الجالية ، كما أثرت وتؤثر فصائل المقاومة في الوطن بعد ١٩٦٧ على مجموع الشعب الفلسطيني وكيفية تنظيمه في الداخل وبلدان الشتات . ولذلك ، ومع ان أشكال التنظيم السابقة بقيت وزاد قسم منها (نادي أهل بيت حنينا ، نادي أهل الساحل .. الخ) أو زادت فروعها (حوالى عشرين فرعا لنادي رام الله) وبقيت المنظمات القومية (منظمة الطلبة العرب) وزاد قسم منها مثل نوادي الجالية العربية الاجتماعية في نيويورك وشيكاغو .. الخ، الا انه أيضا بدأ ببناء مؤسسات فلسطينية طابعها الرئيسي الى الان اما خيري (جمعية الاراضي المقدسة ، الصندوق العربي الفلسطيني ، الهلال الاحمر الفلسطيني ، جمعية النجدة الفلسطينية) أو أعلامي ثقافي (لجنة الاعلام الفلسطيني ، المشروع الاعلامي الفلسطيني ، لجنة فلسطين الديمقراطية . الخ) وما انبثق عن هذه المؤسسات من نشرات او جرائد فلسطينية منطقية أو لعموم أميركا ، اشهرها جريدة « الموت الفلسطيني » الصادرة من لوس انجلوس والتي توقفت عن الصدور منذ فترة .

ومع بلورة البرنامج المرحلي لمنظمة التحرير الفلسطينية ، برنامج العودة وتقرير المصير وبناء الدولة المستقلة ، وما واكبه من تطور لبرامج تنظيم عموم القطاعات للشعب الفلسطيني في اتحاداتها الخاصة وبناء الفروع لهذه الاتحادات في جميع اماكن تواجد الفلسطينيين ، بدأنا نتلمس تاثيرات هذه البرامج على طبيعة تشكيل المنظمات الجماهيرية الفلسطينية في الولايات المتحدة . اذ بدأ بالنضال من أجل تشكيل فروع للاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٧٤ . وتعثرت التجربة لأسباب عديدة ، الا ان الفكرة بقيت صحيحة ليعاد العمل على تطبيقها بعد ان خرج المؤتمر الثامن للاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيروت عام ١٩٧٨ بقرار بهذا الخصوص . كما وبدأ النضال لتشكيل فروع الاتحاد العام لطلبة فلسطين في بيروت عام ١٩٧٨ بقرار بهذا الخصوص . كما وبدأ النضال لتشكيل فروع الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية كذلك منذ ١٩٧٥ ، بتشكيل فرع في منطقة نيويورك/ونيوجرسي . وبهذا شكلت بداية ممارسة تطبيق برنامج تنظيم الفلسطينيين قطاعيا بدايات مرحلة جديدة مقبلون عليها تنتشر فيها فروع المنظمات الجماهيرية القطاعية بشكل واسع ، وتتحد جميعها وأنصار فصائل المقاومة وعموم المنظمات الفلسطينية الأخرى بمؤسسة فلسطينية واحدة « مثل الكونجرس الفلسطيني في أميركا » مشكلة جميعها جبهة وطنية محلية متحدة تكون ذراع منظمة التحرير الفلسطينية بين صفوف الفلسطينيين في أميركا .

كمـا ان النشاط الفلسطيني بعد ١٩٦٧ لم يقتصر على بدايات التحول في الاشكال التنظيمية فقط ، وانما شهد بدايات نشاطات متغيرة نوعيا لدعم نضال الشعب الفلسطيني ،

وكان تغير الاشكال التنظيمية ليس الا تمشيا مع الحاجات المتزايدة والمتلائمة مع هذه النشاطات، وأمثلة مهمة عن هذه النشاطات هي :



١) زيادة وتيرة الدعم المادي للمؤسسات الفلسطينية الانسانية والاجتماعية والخيرية في المناطق المحتلة ولبنان ــ أمثال الهلال الاحمر الفلسطيني في لبنان ــ وكذلك المستوصفات الصحية الفلسطينية الاخرى ، وجمعية انعاش الاسرة في البيرة ، وجمعية اسر الشهداء ، واللجان الاجتماعية الاخرى المتكفلة بعائلات الشهداء والمشوهين والمعتقلين ، وجامعة بيرزيت .. الخ . ولقد لعبت المؤسسات الخيرية الفلسطينية في أميركا الدور البارز في هذا المجال وخاصة جمعية الاراضي المقدسة .

٢) كثافة النشاط السياسي والاعلامي لصالح نضال الشعب الفلسطيني من خلال الاحتفالات العديدة بالمناسبات الوطنية والمظاهرات او المهرجانات والندوات وتوزيع المنشورات والجرائد والمجلات بانتظام على ابناء الجالية الفلسطينية والعربية .

٣) زيادة التأثير على الوسط الاميركي بالنسبة لقضية الشعب الفلسطيني ، وخاصة القوى التقدمية والليبرالية المتفتحة (كنائس) مما ساهم في توليد لجان تعمل لصالح دعم نضال الشعب الفلسطيني بصورة او اخرى .

ولقد شكلت مجموع النشاطات الوطنية بين صفوف الجالية ادوات فعالة في رفع درجة الوعي الوطني بين صفوف افراد الجالية ، هذا الوعي الذي اخذ بدوره يزيد من رفع وتيرة العمل الوطني بأشكاله المنظمة، وخاصة بعد حرب ١٩٧٣ الوطنية ، وتعاظم دور وسمعة منظمة التحرير الفلسطينية التي تلتف حولها الجالية الفلسطينية بشكل واسع وبحماس .

خلاصات وافاق العمل المستقبلي

اثبتت الدراسة ان الدوافع الرئيسية لهجرة الفلسطينيين لاميركا هي سياسية واقتصادية سببها وسارع من وتيرتها قيام دولة اسرائيل على أرض الفلسطينيين الوطنية وما سبب ذلك من تشرد ومآسي وظروف حياتية صعبة .

والجالية الفلسطينية بأغلبيتها في أميركا حديثة العهد نسبيا في مغتربها الجديد ، ولا يزيد عمرها أساسا عن الـ ٣٠ عاما (منذ عام ١٩٤٨) ، وكانت الحروب تدفع دائما الى تزايد عدد المهاجرين وخاصة عائلاتهم . ويبلغ عدد هذه الجالية حوالى ٥٥,٠٠٠ الف نسمة حسب ما اشارت اليه الجداول السابقة ، ويقدر عددها مع نهايات حزيران ١٩٧٩ بحوالى ١٧٠,٠٠٠ الف نسمة (حوالى ٢٪ من مجموع الفلسطينيين في العالم) . وتأتي غالبية المهاجرين (أكثر من ٨٥٪ من المجموع) من الفلسطينيين المقيمين في الاراضي الفلسطينية والاردن ، وهجرتهم في تزايد مضطرد ومعدلها في السبعينات يفوق الـ ٢٥٠٠ شخص سنويا ، وتزايدها الطبيعي يقارب الـ ٢٠٠٠ شخص سنويا مع نهاية السبعينات . ونسبة الذكور الى الاناث هي حوالى ٦٠٪ ذكور و ٤٠٪ اناث، وهذه النسبة في تقارب مضطرد. وحوالى نصف عدد الجالية من ذوي الاعمار دون العشرين عاما ، ويشكل ذوو الاعمار ما بين ٢٠ ــ ٢٩ عاما حوالى ٢١٪ من المجموع العام ، وما فوق الاربعون عاما يشكلون ١٩٪ من المجموع العام ويشكل الشباب بمن فيهم الأطفال (أي فئة ما دون الثلاثين عاما) حوالى ثلثي مجموع الجالية الفلسطينية في أميركا .

وأما بالنسبة للخلفية الاجتماعية فهي خلفية كادحة تصل الى حدود ٩٠٪ من مجموع المهاجرين . وما عدا ذلك فلقد جاءوا من شرائح البرجوازية المتوسطة . أما الواقع الاجتماعي للجالية ، بعد استقرارها في الولايات المتحدة فلقد بقيت صبغته العامة كادحه ، حسب الواقع الاميركي بالطبع ، وزادت نسبة القوى غير المنتجة الى ٦٦٪ . الا ان حجم نسبة شرائح البرجوازية الصغيرة (حوالى ٦٠٪ من القوة العاملة) قد تضاعفت وكذلك العمال (٤٠٪ من مجموع القوة العاملة) . ويبرز بشكل واضح حجم الفئات الاجتماعية التالية —

١) ملاكو المحلات التجارية الصغيرة والمتوسطة (بقالات اساسا) وبعض المطاعم والبارات ومحطات البنزين .. الخ ، يبلغ حجمهم حوالى ٢٠٪ من مجموع القوة العاملة .

٢) حملة الشهادات المحترفون والتقنيون .. الخ (مهندسون ، اطباء، اساتذة جامعات ومدارس،محاسبون قانونيون .. الخ) ويبلغ حجم هذه الفئة حوالى ١٨٪ من مجموع القوة العاملة

٣) كما وتوجد فئات كادحة عديدة صغيرة كفئات مستقلة (أمثال الحرفيين والكتبة والبائعين ، والعمال بفئاتهم المختلفة) والذين يتحلون بالصفة الشبابية ، اي ان أعمار غالبيتهم تتراوح بين ١٨ ــ ٢٩ عاما . ويشكلون نسبة عالية حوالى ٤٠٪ من مجموع القوى العاملة .

وبالاضافة لهذه الفئات الثلاث ، تجدر الاشارة الى حجم نسبة المرأة الفلسطينية في الولايات المتحدة (٤٠٪ من المجموع العام) ، وكذلك حجم الطلبة الفلسطينيين الجامعيين الذين كان تعدادهم حوالى ١٠٠٠ طالب عام ١٩٧٦ (يحملون فيز طلبة او مهاجرين) حسب أرقام معهد التربية العالمي(٣٧) ويضاف الى هذا الرقم عدد اخر من الفلسطينيين (الطلبة) المتجنسين الذين لم يدخلوا في احصاءات معهد التربية لانهم ليسوا اجانب . ولا يظن ان العدد يتعدى في أحسن الاحوال الـ ٢٠٠٠ طالب جامعي فلسطيني على أية حال ، اي حوالى ٤٪ من المجموع العام للفلسطينيين في أميركا .

ويتواجد الفلسطينيون في كاليفورنيا (سان فرانسيسكو ولوس انجلوس) بكثافة ٢١٪ من المجموع العام ، ومن ثم في الينويز (شيكاغو) حوالى ١٥٪ من المجموع، في نيويورك (نيويورك) حوالى ١٢٪ من المجموع العام ، وميشغن (ديترويت) حوالى ١٠٪ من المجموع ، في نيوجرسي (نيويورك) حوالى ٦٪ من المجموع ،في أوهايو (كليفلاند وينغستاون) ٤٪ من المجموع ، أي يتواجد في هذه الولايات الخمس ٢/٣ مجموع الفلسطينيين في أميركا ، ويتواجد سدس المجموع العام في سبع ولايات اضافية (بورتوريكو ، ميرلاند ، تكساس ، فلوريدا ، بنسلفانيا ، فرجينيا ، وميسشوست)، والسدس المتبقي مبعثر على العشرات من الولايات المتبقية . الفلسطينيون منظمون في نوادي البلدان والقرى (نادي رام الله بفروعه العديدة ونادي بيت حنينا ، ونادي الساحل .. الخ) وفي المؤسسات الخيرية والانسانية الفلسطينية (جمعية الأراضي المقدسة ، الهلال الأحمر الفلسطيني ، جمعية النجدة الفلسطينية ، والصندوق العربي الفلسطيني .. الخ) وبعض المنظمات الجماهيرية الناشئة كالاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، وكذلك هم منظمون في المنظمات القومية الجماهيرية (منظمة الطلبة العرب ، النوادي العربية الاجتماعية ، واتحادات البقالين العرب) ، وعلى المستوى السياسي فهناك أنصار فصائل المقاومة الفلسطينية ، كذلك أنصار الاحزاب القومية (بعث من خلال دعم جناحه الفلسطيني) .

هذه باختصار خلاصة واقع جاليتنا الفلسطينية حاليا ، ويحمل هذا الواقع في ثناياه مقومات نهوض نوعي جديد ، كما أبرزت تلك الحقائق العديدة بالارقام - فما هي افاق تطور العمل بين صفوف هذه الجالية المتنامية كما ونشاطاً ؟ .

ان الواقع يشير الى وجود عامل موضوعي مناسب ، وهو وجود حجوم عددية كبيرة لأبناء شعبنا من قطاعات خمسة في هذه المرحلة ولسنوات قادمة ، هذه القطاعات هي .

١) حجم كبير من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٨ ـ ٤٠ عاما (½ السكان) وغالبيتهم من الشباب العامل في قطاعات مختلفة من وسائل الانتاج . ولكنهم لا يتواجدون بأحجام كبيرة في مهنة واحدة ، أو مصنع واحد أو مدينة واحدة للمهنة الواحدة ، ولذلك في هذه المرحلة يصعب (نتيجة قلة العدد في المهنة الواحدة في المدينة الواحدة) بناء منظمات خاصة للمهنة الواحدة ، ولذلك فان الشكل التنظيمي الممكن والمناسب هو بناء فروع لاتحاد الشباب الفلسطيني في المدن التي يتوفر فيها مئات من هؤلاء الشباب مثل نيويورك وديترويت وشيكاغو وسان فرانسيسكو .. حيث يتحد في هذه المؤسسة جميع الشباب الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل أهداف شعبهم الوطنية ، وابراز شخصيتهم الوطنية ، ودعم ممثلهم الشرعي والوحيد منظمة التحرير الفلسطينية ، ويطور هؤلاء الشباب تجربة جماعية مشتركة ضمن الاتحاد لحل ما يمكن حله من مشاكلهم الاجتماعية والحياتية بطريقة جماعية (كنقيض للحلول الفردية الحالية التي لا تسمح لهم بتحسين عموم وضع الشباب) نتيجة للقوة التي يمكن ان يخلقوها اذا ما اتحد مئاتهم في فروعهم المحلية ، ليتحد آلافهم في مؤتمرهم العام لجميع الفروع في الولايات المتحدة .

٢) حجم كبير من النساء (٤٠٪من مجموع السكان) اللواتي يتواجدن بأحجام كبيرة في المدن الرئيسية كنيويورك وسان فرانسيسكو وديترويت وشيكاغو ، مما يسمح بتنظيم فروع عديدة للاتحاد العام للمرأة الفلسطينية ، حيث تتحد فيه جميع النساء الفلسطينيات المنخرطات في النضال من أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك المناضلات من أجل تحسين أوضاع المرأة الفلسطينية في أميركا من خلال تطوير الدورات التأهيلية لمحو الأمية باللغة الانجليزية وتعليم الطباعة العربية والانجليزية بهدف ايجاد وظائف ، وكذلك فتح مدارس تعليم اللغة العربية للاطفال الفلسطينيين ، وفتح المستوصفات في أماكن تجمع الجالية حيث يداوم هناك الأطباء الفلسطينيون والعرب ، وتحضر الأمهات أطفالهن للمعاينة .. الخ . أو أن تدير شؤون المستوصفات أخوات ممن يتقن اللغة الانجليزية والعربية حيث يترجمن للأطباء غير العرب (اذا تعذر توفير أطباء عرب) ما تقوله النساء اللواتي لا يتقن الانجليزية ، وما الى غيره من المهمات التي تفرضها حاجة النساء الفلسطينيات في المدن المختلفة ، بما فيها أخذ أوقات محددة على محطات الراديو والتلفزيون العربي ليبث فيها ركن للمرأة وركن للطفل .. الخ .

٣) الحجم الكبير من أصحاب البقالات الصغيرة والمتوسطة ويصل في مدن مثل سان فرانسيسكو ونيويورك الى عدة مئات ، وعشرات في شيكاغو وديترويت وكليفلاند، حيث بالامكان توحيد جميع أصحاب البقالات الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل حقوق شعبهم الوطنية .. وكذلك لتحسين أوضاعهم الاقتصادية من خلال الشراء الجماعي (تعاونية) المشترك ، وحتى امكانية تطوير شركات مساهمة متواضعة للبيع بالجملة لأصحاب البقالات وتوزع أرباحها للمساهمين المالكين من أصحاب البقالات نفسها ، وممن اراد ان يكون مالك أسهم من أبناء الجالية الاخرين .

٤) حجم كبير من الخريجين الفلسطينيين (١٢٪ من مجموع السكان) وليس سرا أن معظم أعضاء منظمة الخريجين العرب هم فلسطينيون . ولذلك بالامكان جدا تشكيل منظمة الخريجين الفلسطينيين ، التي يجب ان تبني أفضل العلاقات مع منظمة الخريجين العرب ، حيث يتوحد كذلك في صفوف هذه المنظمة جميع الفلسطينيين الخريجين المنخرطين في النضال من

أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك لتحسين أوضاع ظروف الخريجين الفلسطينيين المتمثلة أساسا في تحويل المنظمة كاطار وسيط يجمع المعلومات عن الوظائف الشاغرة الملئها بالخريجين الفلسطينيين . وتشكيل فروع لهذه المنظمة في ديترويت ونيويورك وسان فرانسيسكو وشيكاغو وواشنطن .. الخ .

٥) حجم ملائم من الطلبة الجامعيين الفلسطينيين لتشكيل العديد من الفروع في المدن التي يتواجد فيها على الأقل ١٥ طالبا جامعيا فلسطينيا لتتوحد جميع هذه الفروع من خلال المؤتمر العام لطلبة فلسطين في الولايات المتحدة . ويتوحد داخل هذا الاتحاد جميع الطلبة الفلسطينيين المنخرطين في النضال من أجل أهداف شعبنا الوطنية .. وكذلك للتعامل الجماعي لحل مشاكل الطلبة أبان فترة الدراسة وقبل التخرج .

ان هناك امكانية واقعية لتشكيل العديد من الفروع لهذه المنظمات القطاعية الخمس ، وان تتوحد فروع كل قطاع من خلال مؤتمرات قطاعية في منظمة واحدة في جميع الولايات المتحدة . كما وان الارضية متوفرة كذلك لتوحيد هذه المنظمات القطاعية الخمس وجميع منظمات أهالي المدن والقرى (رام الله ، ساحل .. الخ) والمؤسسات الخيرية الفلسطينية (هلال ونجدة .. الخ) وأنصار فصائل المقاومة في الكونغرس الفلسطيني الاميركي الموجود حاليا ، كجبهة وطنية متحدة لكل شيء منظم لابناء الشعب الفلسطيني في أميركا ، على مستوى مركزي (عموم أميركا) وتبنى مجالس محلية في المدن الرئيسية لمندوبي جميع ما هو فلسطيني منظم في تلك المدن لتنظيم وتوجيه العمل الوطني والجماهيري الفلسطيني على مستوى المدن ايضا .

ان هذا البرنامج الجماهيري لتنظيم الجالية الفلسطينية ليس ممكنا بحكم توفر العامل الموضوعي فقط ، ولكنه أيضا ممكن جدا لتوفر العامل الذاتي كذلك (وجود طليعة ثورية منظمة للشعب الفلسطيني في الولايات المتحدة وهي انصار فصائل المقاومة) . وبهذا فان الجالية قد دخلت فعلا مرحلة النهوض المنظم الذي دخله الشعب الفلسطيني منذ سنوات في الآراضي المحتلة ولبنان ومناطق أخرى من بلدان الشتات .

وكما هو صحيح بانه لا توجد حركة ثورية بدون نظرية ثورية ، فانه صحيح تماما كذلك انه لا ثورة منظمة بدون حركة ثورية ، ولهذا فانه لم يكن بوسع الجالية الفلسطينية في الخمسينات ان تنظم نفسها بشكل خلاق جديد (ثورة) نظرا لانعدام وجود قوى ثورية بينها ، فان الصورة الان في الجزء الثاني من السبعينات تختلف تماما ، اذ انه توجد بين صفوفها طلائع ثورية مجربة انهت العقد الأول من عمرها الجديد ، وتدخل العقد الثاني من عمرها مدشنة مرحلة بناء المنظمات الجماهيرية القطاعية الواسعة ، ليصبح الشعب بعموم قطاعاته فعلا منظما ليؤثر ويتأثر بالحركة الوطنية الشاملة للشعب الفلسطيني جميعه في الداخل وبلدان الشتات .

واخيرا فان هذه الدراسة بحاجة الى تجديدها مرة كل ٥ سنوات نظرا لتدفق اعداد كبيرة جديدة من المهاجرين سنويا ، وكذلك نظرا للزيادة الطبيعية السنوية المتنامية ، مما يغير ليس فقط من العدد الاجمالي للجالية الفلسطينية وانما يغير ايضا تركيب وضعها الاجتماعي والديمغرافي ولربما أماكن تمركزها . كما وان هذه الدراسة يمكن ان تشكل نموذجا لدراسات حول الجالية العربية من الاقطار العربية الاخرى لبنان وسوريا والعراق واليمن

ومصر .. الخ ، للوصول الى صورة دقيقة عن واقع الجالية العربية ككل لمعرفة الخصائص المشتركة والفروقات كذلك ان وجدت ، لتسهيل عملية تطوير البرامج العملية سواء بين صفوف الجالية من القطر المعني او سواء لتحديد أشكال العمل المشترك بين الجاليات الأخرى من الأقطار المختلفة .

ومن المفيد ، ومن الممكن ايضا تشكيل فريق بحث ميداني لجمع ليس فقط أسماء وعناوين ابناء الجالية الفلسطينية من خلال منظمات المدن والقرى (رام الله ، بيت حنينا ، ساحل .. الخ) ولكن كذلك من خلال اجراء مقابلات مع المسنين والمسنات المهاجرين القدامى ، لجمع المعلومات عن أسباب ومشاكل الهجرة في مراحلها الأولى وعن كيفية التأقلم في أميركا ومشاكل العمل واللغة .. الخ ، للبدء في تدوين تاريخ جاليتنا المهاجرة من جميع جوانبه ، للتعلم منه من ناحية ولحفظه والاعتزاز به كتراث لجزء من شعبنا الفلسطيني يضاف لمجموع تراث الشعب الفلسطيني في الداخل وبلاد الشتات وينقل للأبناء عن الاباء دوما .

مكـرم يونـس

القيادة الميدانية الجديدة في الجيش الاسرائيلي

جرت في الاسابيع الاخيرة ، عملية اعادة تنظيم الجيش الاسرائيلي.وقد سبقها ورافقها جدل واسع شارك فيه معظم القادة الحاليين والسابقين للجيش ، وتركز على اعادة العميد يسرائيل طال الى الجيش ، وتسليمه مهمة تشكيل القيادة الميدانية (قيادة القوات البرية) فيه .

وتنبغي الاشارة الى ان حساسية هذا الموضوع ، وخطورته بالنسبة للمؤسسة العسكرية الاسرائيلية ، أدتا الى اخضاع ما ينشر عنه الى رقابة عسكرية مشددة ، حالت دون نشر تفاصيل مشروع طال لاعادة تنظيم الجيش بشكل عام ، وانشاء القيادة الميدانية بشكل خاص . غير ان الخلافات داخل المؤسسة العسكرية ، والجدل العنيف المسموع ، بين المؤيدين والمعارضين ، ادت الى تسريب معلومات وتفاصيل عن هذا المشروع ، تتيح تكوين فكرة عامة عما يجري من تطورات هامة في اخطر مؤسسات الكيان الصهيوني وأهمها .

ان صورة الجيش الاسرائيلي وحالته ، في اواخر سنة ١٩٧٩ ، هما اللتان حدتا بالمسؤولين عن جهاز الامن ، اتخاذ بعض الخطوات لتنفيذ اجزاء من المشروع التنظيمي الذي كان العميد طال قد قدمه سنة ١٩٧٧ . فالأسباب الرئيسية لاعادة تنظيم الجيش من جديد ، وادخال تغييرات على الهيكلية العسكرية له ، مع بداية الثمانينات ، هي .

١ ــ « **حجم الجيش** . فبعد حرب يوم الغفران ١٩٧٣ . تضخم الجيش الاسرائيلي بشكل كبير ، بحيث اصبحت عمليه ضبطه والسيطرة عليه ، خصوصا في الشؤون الادارية من اصعب المهمات ...

٢ ــ « **الميزانيات واحجامها الكبيرة** : مع تضخم الجيش ، تضخمت ميزانيته ايضا : الأمر الذي اثقل على الميزانية العامة للدولة ، وبالتالي ادى الى اقتطاع مبالغ ضخمة من الميزانيات التي يفترض ان تنفق على مجالات حيوية عدة . اضافة الى هذا [هنالك ضرورة] لضبط ميزانية الجيش وحمايتها من البعثرة والتبذير .

٣ ـ « **ضائقة القوى البشريه** : فالجيش ، في ظل التنظيم والتقسيم القديم ، استوعب طاقات بشرية وعددية هائلة . الا ان هذه الطاقات تهدر هدرا كبيرا في القيادات المزدوجة والتقسيمات والتداخلات ، بحيث تؤثر سلبا في قدرة الجيش كوحدة متكاملة ، وفي مستواه العملياتي .

٤ ـ **مشاريع التدريب والمناورات** : اضافة الى كل هذه الاسباب ، هناك سبب اخر ربما كان الأهم والأكثر الحاحا ، وهو مشاريع التدريب والمناورات ، التي اصبحت غير متجانسة تماما . ففي حالة الحرب اصبحت هذه التدريبات عقبة تحول دون أن ينفذ الجيش مهماته في الميدان بشكل كامل ، وذلك لعدم وجود الوحدة والتجانس في التدريب »(١) .

كل هذه البيانات والمعطيات ملزمة لكل من لا يريد الحفاظ على حالة الجمود في الجيش ، بالمبادرة لاعادة التنظيم العسكري من جديد . خاصة وان الحرب المستقبلية تتطلب مضاعفة وتدعيم القوات البرية ، من حيث الكم والكيف ، كما تحتم وجود تعاون مشترك بين كافة اسلحة وقطاعات الجيش المختلفة . وعلى الرغم من ان المعارضين لمشروع طال ، من القيادات العسكرية ، يقرون بضرورة التغيير واعادة تنظيم الجيش ، فانهم يزعمون ، ان بالامكان احداث هذا التغيير ، واعادة التنظيم ضمن الاطار الحالي ، دون حاجة الى انشاء قيادة ميدانية مشتركة للقوات البرية .

٥ ـ فكرة القيادة الميدانيه : « طرحت فكرة انشاء قيادة خاصة للقوات البرية في الجيش الاسرائيلي ، لأول مرة عام ١٩٦٥ ، وبعد ذلك بحثت الفكرة ذاتها عام ١٦٦٦ ، في رئاسه الأركان العامة ، في فترة خدمة اللواء حاييم بار ـ ليف رئيسا للأركان . ثم اعيد بحث الفكرة ذاتها في فترةخدمة اللواء ديفيد اليعازر عام ١٩٧٢ . وقد رفضت الفكرة جملة وتفصيلا في كل مرة »(٢) .

ولكن على الرغم من هذا الرفض ، من قبل اعلى سلطة عسكرية ، وهي رئاسة الاركان العامة ، بقي الجيش بحاجة الى عملية اعادة التنظيم من جديد ، ثم طرحت هذه الحاجة نفسها بالحاح بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، والنتائج التي ترتبت عليها ، بعد ان اتضح ، خلال الحرب ، انعدام وجود التنسيق والتعاون بين اسلحة الجيش الاسرائيلي . وخلال الحرب عمل كل سلاح وكانه جيش خاص ، ومنفرد ، عن باقي الاسلحة الاخرى . وفي المحاولات القليله التي كانت تستلزم التعاون والتنسيق بين الاسلحة لسد احتياجات المعركة ، كانت عملية التنسيق تاخذ وقتا طويلا ، انعكس سلبا على سير المعارك .

ونتيجة للدروس المستخلصة من الحرب ، تم « في عام ١٩٧٥ ، تكليف العميد شموئيل غونين باعداد مشروع اساسي ومفصل لقيادة القوات البرية . وبالفعل قام غونين باعداد مشروع مفصل ، قدمه لرئيس الأركان العامة اللواء مردخاي غور في العام ١٩٧٦ ، لكن المشروع جمد ، وكان على العميد يسرائيل طال اعادة دراسته من جديد للتعرف على انعكاساته وتاثيراته على مختلف قطاعات الجيش »(٣) .

مشروع القيادة الميدانية

على ضوء دراسته لمشروع العميد غونين لانشاء قيادة ميدانية للقوات البرية ، قام طال ، بتكليف من وزير الدفاع شمعون بيرس ، بوضع مشروع خاص باعادة تنظيم عمل وزارة الدفاع

ورئاسة الاركان العامة ، وكان من بين ما اقترحه طال انشاء القيادة الميدانية الخاصة بالقوات البرية . الا ان وزير الدفاع ، الذي كان قد عينه مستشارا له ، جمد المشروع ولم ينفذ من بنوده ومواده أي شيء . وهكذا حفظ مشروع طال في ملفات وزارة الدفاع ورئاسة الاركان العامة .

لكن المشروع عاد وخرج الى حيز التنفيذ بعد قرارين من وزير الدفاع عيزر وايزمن باعادة طال الى الخدمة النظامية في الجيش ، وباعادة فتح ملف قيادة القوات البرية . « ففي ١١/١٢/١٦٧٦ ، وبعد مناقشات دامت ثلاث ساعات ، اقرت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست ، التوصيات التي تقدم بها وزير الدفاع عيزر وايزمن ، وهي اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية في الجيش الاسرائيلي »(٤) .

وكما سبق وذكرنا ، فان تفاصيل المشروع لهذه القيادة لم تنشر بالترتيب وبالقدر الكافي لوضعها امام القارىء كاملة ، وذلك بدوافع السرية التي توليها السلطات العسكرية لمثل هذه المشاريع . ومن خلال الحوار والتعقيب على المشروع ، وعلى نقاط الخلاف حوله ، يمكن التعرف على بعض اجزاء منه ، ، ليس من كتابات ومقالات المعلقين العسكريين والصحفيين ، بل من ابرز القادة العسكريين الذين حاولوا ايضاح هذا المشروع بالقدر الذي يسمح لهم بعدم تجاوز قواعد السرية . ومن ابرز هؤلاء العميد اهرون ياريف .

يقول ياريف « ستضم قيادة القوات الميدانية ، داخل اطارها ، ثلاث قيادات لضباط اسلحة رئيسيين ، اضافة الى قيادة القوات المدرعة ، التي تعتبر هي الاخرى قيادة ضابط مدرعات رئيسي . والقيادات الاربع هي ضابط سلاح المشاة والمظلات الرئيسي ، ضابط المدرعات الرئيسي ، ضابط سلاح المدفعيه الرئيسي ، ضابط سلاح الهندسة الرئيسي . ومن هذه القيادات التي يشغلها ضباط الاسلحة الرئيسيين ستشكل قيادة القوات الميدانيه »(٥) .

وتنبغي الاشارة الى وجوب التمييز بين ماهية السلاح كسلاح ، وبين دور ضابط السلاح الرئيسي . وبدون هذا التمييز والتوضيح لا يمكن فهم هيكلية القوات البريه في الجيش الاسرائيلي ، وبالتالي لا يمكن فهم موضوع قيادة القوات الميدانية .

فالسلاح ، هو اطار مهني يضم كل من جرى اعداده لهذه المهنة ، التي يتولى مسؤوليتها السلاح المقصود . والسلاح ليس اطارا عملياتيا ، لذا فان ضابط السلاح الرئيسي ، لا يحمل لقب قائد السلاح ، بل ضابط رئيسي للسلاح . والسلاح مؤلف من وحدات من انواع مختلفه — او بتعبير أدق — من ازدواجية في الوحدات المختلفة . ويمكن هنا ان ناخذ سلاح الاشارة كمثال في السلاح هناك وحدات اشارة على مستوى الالويه ، واخرى على مستوى الفرق ، ثم وحدات اشارة على مستوى القيادات الخ . مثال اخر سلاح المدفعيه في هذا السلاح يمكن ان نجد كتيبة مدفعية ميدانية ، كتيبة مدفعيه متوسطة ، كتيبة مدفعية ثقيله ، وكتيبه مدفعيه مضادة للطائرات .. الخ(٦) .

وتشكل كل هذه الوحدات من كافة الاسلحة ، بانضمامها معا ، تحت قيادة واحدة — سواء كان هذا بشكل دائم أم مؤقت — الاطار العملياتي ، اي القوة المقاتله في ميدان المعركه البرية (الالوية والفرق) .

وتوجد هذه الوحدات في غالبيتها تحت امرة قادة قيادات المناطق والجبهات ، في فترات

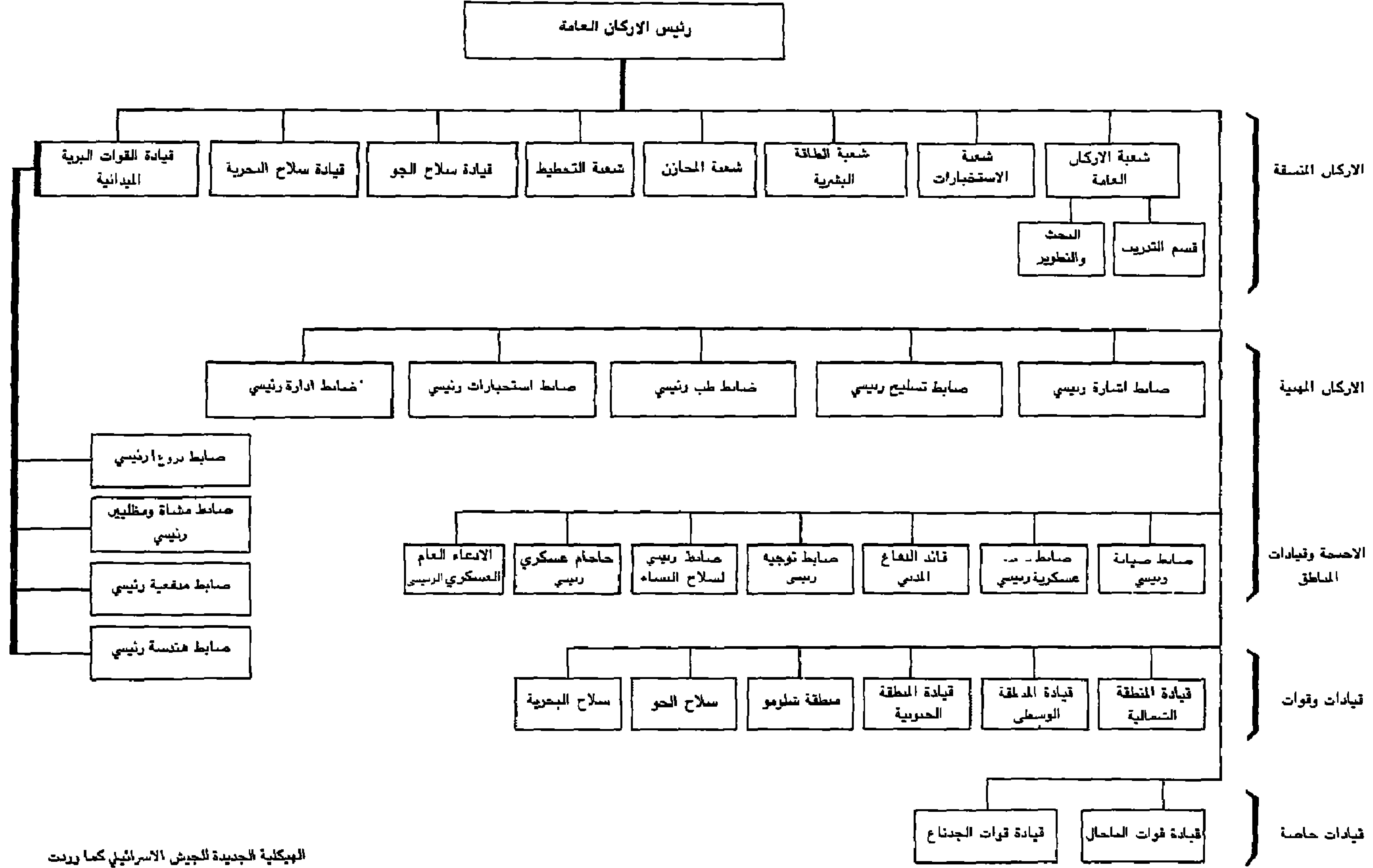
السلم والحرب ، سواء كانت من الوحدات النظامية ، ام في قوات الاحتياط . وهذا يعني ان ضابط السلاح الرئيسي ، هو نوع من رئيس رابطة او نقابة مهنية ، مهمته الاساسيه ، هي رعاية السلاح المسؤول عنه مهنيا . وهذه المهمة تبقى في اطار السياسة التي تحددها انرع واقسام وشعب هيئة الاركان العامة ، عن طريق فرز القوى البشرية لهذا السلاح او ذاك ، واعداد هذه القوى وتقدمها ، وتطوير وسائل التخطيط في السلاح ، وبلورة نظريته القتالية ، وتشغيل وحداته ، ثم تحديد الأوامر والتوجيهات المهنية ـ وليس العملياتية ـ الناجمة عن ضروريات نظرية القتال ، وعن الخواص الفنية والتقنية للأجهزة والمعدات العسكرية(٧) .

وبلغة اخرى ، يشرف ضابط السلاح الرئيسي فقط على اعداد السلاح مهنيا ، اي التخصص في التدريب ، ويقوم باعداد القوى البشرية المفرزة الى سلاحه ، كما يشرف على اقتناء المعدات اللازمة وتدريب جنود السلاح عليها ، ويخطط لتطوير نظرية القتال . اما صلاحيات اصدار الأوامر العملياتية ، وقيادة هذا السلاح في ميدان المعركة ، او فرز وحدات منه للقيام بمهمات الامن الجاري واليومي ، او تحديد كميات الذخيرة لكل وحدة في مهمتها ، فتبقى في يد قادة المناطق .

« وعليه فان قيام قيادة القوات الميدانية ، لا يلغي قيادات ضباط السلاح الرئيسيين الاربعة [الذين ذكرناهم] بل سيبقون في قياداتهم ضمن اطار قيادة القوات الميدانية ، وما سيلغى هو وضعهم المستقل فقط . ووفقا لهذا تصبح جميع مهامهم ، وتقاريرهم ، وتوجيهاتهم ، من ضمن صلاحيات واختصاص القيادة الميدانية ، وليس من اختصاص رئاسة الاركان العامة »(٨) .

لذا ، يتلخص الفرق بين المشروع الذي قدمه العميد شمونيل غونين ، وبين مشروع طال ، بالتالي في مشروع غونين ، تبقى قيادات ضابط السلاح الرئيسي تمارس عملها ومهامها محافظة على وضعها المستقل ، والى جانبها تقام قيادة للقوات البرية ، دون صلاحيات ملزمة لضباط السلاح الرئيسيين . اما طال فقد اخضع ضباط السلاح الرئيسيين للقيادة الميدانية ، والغى استقلاليتهم ، ليصبحوا من حيث السلم التنظيمي تابعين للقيادة الميدانية ، وليس لرئاسه الاركان العامة مباشرة . وهذا هو الفرق والتقاطع بين قيادة غونين وقيادة طال التي آقـ...

هيكلية جيش الدفاع الاسرائيلي الجديدة



الهيكلية الجديدة للجيش الاسرائيلي كما وردت في مشروع العميد يسرائيل طال(٩١) .

وهذا يعني أن اعباء كثيرة ستسقط عن كاهل رئاسة الأركان العامة ، التي ستتفرغ بدورها الى مهام اكبر وبجدية اكثر للجيش ، من حيث امكانيتها لرؤية الصورة الشاملة لكل القطاعات .

« ان قيادات ضباط الاسلحة الرئيسية ، التي سيصار الى دمجها في اطار قيادة القوات الميدانية ، هي التي ستشكل الجزء الرئيسي والأصيل من مركبات وعناصر القوة المقاتلة في ميدان المعركة البرية . واضافة الى ذلك ، هناك عنصران مهمان . سلاح الاستخبارات العسكرية ، وسلاح الاشارة. وقد تحاشى طال في مشروعه دمج قيادات هذه الاسلحة في القيادة الميدانية ، ذلك لأن هذه الاسلحة تقوم بمهمات حساسة ومهمة خارج اطار القوات المقاتلة »[١٠] .

ان تطوير ودمج عناصر ومركبات القوة المقاتلة (المشاة ، المدرعات ، المدفعية وسلاح الهندسة) في اطار قيادة واحدة ، تسيطر على معسكرات وبرامج التدريب لهذه الأسلحة ، «يساهم بشكل مباشر في تدعيم وتقوية هذه الأسلحة ، وبالتالي في تدعيم وتقوية الجيش . اضافة الى ان دمج هذه الأسلحة في اطار القيادة الميدانية ، يمكن ان يكون الضمانة للتوازن المعقول بينها ، ويمكن ان تكون بشكلها الجديد وبرامج تدريبها ، ملائمة تماما لظروف ميدان المعركة البرية المتوقعة في المستقبل »[١١] .

لذا ، فان هذه الأسلحة ، ونتيجة للتخصص المهني ، والدمج والتوازن فيما بينها ، ستكون هي المستفيدة الاولى من عملية التطوير للقوات البرية المقاتلة ، بكل عناصرها ومركباتها الرئيسية .

أما رئاسة الاركان العامة ، بحكم طبيعة عملها ، فتقوم بثلاث مهام رئيسية في الجيش ، وهي :

أ ــ وظيفة « العقل » ، كما اسماها المارشال شنوشنكوف ، من الجيش السوفياتي ، اي التفكير ، التخطيط ، التنظيم ، البناء ، الاعداد والتدريب ، وتشغيل « الاستراتيجيه النشطة والتكتيك » فـي الجيش الاسرائيلي ، وذلك لقيامه بالمهام التي يكلف بها على الوجه الاكمل .

ب ــ مهمة القيادة العملياتية الرئيسيه .

ج ــ مهمة قيادة القوات البرية في الجيش .

«وتشكل قيادتا سلاح الطيران وسلاح البحرية الجزء الاساسي من احتياجات رئاسه الأركان العامة ، بالنسبه للمهمتين ، الاولى والثانيه (اي « عقل الجيش » ، والقيادة العملياتيه الرئيسية) . وهاتان المهمتان هما الاصعب في فترات السلم ، وفترات الحرب . لذلك فان معالجة رئاسه الاركان العامه لهاتين المهمتين على الوجه الاكمل (خاصه بعد حرب يوم الغفران وازدياد حجم الجيش ، والتعقيدات الناجمه عن المشاكل الاستراتيجيه ، التي اخذت تتحول الى مشاكل مركبه اكثر فاكثر ، وتزايد الاجهزة والشبكات المعقدة والمعدات الحديثة التي يستعملها ، او تلك التي ينوي استعمالها في المستقبل القريب) ستاتي بالضرورة

على حساب المهمة الثالثة لرئاسة الاركان ، اي مهمة قيادة ذراع القوات البرية . وهذا سيمس حتما بامور التخصص والدمج والتوازن في مركبات القوات المقاتلة »(١٢) .

حرب الجنرالات الجديدة

بعد ان اقرت لجنة الخارجية والامن التابعة للكنيست التوصيات التي تقدم بها وزير الدفاع بشأن انشاء القيادة الميدانية ، وتولي العميد يسرائيل طال قيادتها ، برزت خلافات حادة وقاسية بين العديد من قادة وعمداء الجيش الاسرائيلي ، في الخدمة وخارجها ، وقد تعدت هذه الخلافات البحث الموضوعي في مشروع القيادة ، ووصلت الى ما يشبه عملية التجريح وتوجيه النقد بين المؤيدين والمعارضين للموضوع من جهة ، وبين طال صاحب المشروع ، والمعارضين له شخصيا من جهة أخرى . واصبح الجدل والاتهامات عبارة عن حرب جديدة بين الجنرالات ، تذكر بالمناقشات المريرة والحادة بين قادة البلماخ (سرايا الصاعقة) ، من جهة ، وبين الضباط المسرحين من الجيش البريطاني في العام ١٩٤٧ ــ ١٩٤٨ من جهة اخرى . فمنذ ذلك النقاش حول اقامة جيش عبري ، قبيل ما سمي بحرب الاستقلال ، وخلالها ، تبلورت في الجيش الاسرائيلي مدرستان . مدرسة البلماخ والوحدة ١٠١ المكونة من المظليين والمشاة ، ومدرسة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، من اسلحة المدرعات واسلحة مهنية اخرى . وفي الواقع لم يكن هناك تمييز او فصل حاد وقاطع بين المدرستين ، وقد أخذ الكثير من الضباط من المدرستين (مثل العقيد اوري بن ــ اري ، الذي نشأ وبرز في البلماخ ، ثم اصبح بعد ذلك من ابرز قادة المدرعات في تاريخ الجيش الاسرائيلي) . ففي حرب العام ١٩٤٨ « سيطرت على الجيش مدرسة البلماخ ، وبعد انتهاء الحرب سلم بن ــ غوريون قيادة الجيش الى الضباط المسرحين من الجيش البريطاني . وقبيل العدوان الثلاثي على مصر في العام ١٩٥٦ ، وعندما كان موشي دايان رئيسا للأركان العامة توازنت القوى بين المدرستين . الا أن هذا التوازن لم يدم كثيرا . فبعد حرب ١٩٥٦ عادت مدرسة المدرعات لتحتل مكان الصدارة في الاركان العامة »(١٣) .

وكان من ابرز مؤسسي مدرسة المدرعات ، خلال حرب ١٩٤٨ ، الاب الروحي للبلماخ اسحاق سديه ، والقسم الاكبر من ضباطها كانوا من البلماخ ، ومن مجموعة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، امثال حايم لاسكوف ، ويسرائيل طال ، واوري بن ــ اري ، وديفيد اليعازر ، وحايم بار ــ ليف . بل انه « منذ تعيين اللواء اسحاق رابين رئيسا للأركان عام ١٩٦٤ ، وحتى الآن ، كان جميع رؤساء الاركان العامة من رجال البلماخ . وبعد حرب الايام الستة كان جميعهم من البلماخ ، الذين تحولوا الى المدرعات . وقد وصل الدمج الى ذروته بين المدرستين قبيل حرب يوم الغفران »(١٤) . وكان على رأس هرم الجيش ديفيد اليعازر من البلماخ الذي تحول الى رجل مدرعات ، اما نائبه فكان من ضباط الجيش البريطاني ورجل مدرعات ، كذلك كان قائد الجبهة الجنوبية من رجال المدرعات .

الا ان « الهزة الارضية » في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، والنقد الشديد الذي وجه الى سيطرة سلاح المدرعات على الجيش « ادت الى حل الحلف التاريخي ، وعودة احد فروع البلماخ للسيطرة على الجيش ، وهو فرع المظليين [ممثلا في] اللواء مردخاي غور ، رئيس الاركان السابق ، ورفائيل ايتان رئيس الاركان الحالي »(١٥) . ولقد كان غور وايتان مجرد ضابطين

صغيرين في البلماخ ، ثم اصبحا ضابطين ميدانيين في اطار كتيبة المظلات ، التي نفذت معظم الغارات والعمليات الانتقامية ، خلال النصف الاول من الخمسينات بقيادة اريئيل شارون . وخلال خدمة هؤلاء ، وصل الى المراكز القيادية العديدمن الضباط الذين ترعرعوا في الجيش ، في سلاح المظلات ، ومن أبرزهم العميد دان شمرون قائد المنطقة الجنوبية ، والعميد موشي ليفي قائد المنطقة الوسطى .

« ان عودة طال لقمة القيادة العاملة في الجيش ، واحتمالاته بان يصبح رئيسا لهيئة الاركان العامة ـ بعد انتهاء فترة خدمة رفائيل ايتان ـ احدثت هزة ارضية في اوساط الجيش ، لآن عودة طال تعني قطع خط البلماخ في القيادة العليا . كما انها تبعد احتمالات احتلال احد الضباط الذين ترعرعوا في الجيش الاسرائيلي ، من دون تبعية للبلماخ او لمجموعة الضباط المسرحين من الجيش البريطاني ، لمنصب رئيس الاركان العامة »[١٦] .

فعودة طال الى الجيش لا تعني فقط قطع خط البلماخ في القيادة العليا ، بقدر ما تعني أيضا عدم ترك الهيمنة على الجيش في يد ضباط مدرسة أريئيل شارون .

المعارضه والتاييد لمشروع طال

بعد ان اقر مشروع اقامة القيادة الميدانية وتعيين العميد يسرائيل طال رئيسا لها ، تفجرت الخلافات ـ كما ذكرنا ـ بين قادة الجيش الاسرائيلي . وقد تركز الخلاف في البدايه ، على شكل تساؤلات بالنسبة لمدى فاعلية هذه القيادة . واول هذه التساؤلات « الا يمس موضوع اقامة قيادة للقوات الميدانية بوحدة المسؤولية في القيادة العليا ، خلال الحرب ؟ اليس هناك خطر من ان تلغي هذه القيادة الجديدة ، بعض الاسلحة وقيادات المناطق ؟ الا تبتلع هذه القيادة ، التي لا تملك اية صلاحيات عملياتية خلال الحرب ، موارد ومصادر ثمينة سواء بالقوى البشرية او الميزانية ؟ »[١٧] .

كما ان بين اعضاء رئاسة الاركان العامة ، ومن الخبراء العسكريين الذين خدموا في الجيش ، من يعارض « صورة الوضع » التي تلزم باحداث تغيير ، واقامة قيادة ميدانيه . وهناك تساؤلات اخرى تركزت حول شخصية طال . وهذه التساؤلات تقول ان « طال هو الرجل الذي ادخل الى الجيش الاسرائيلي ، ذلك الفهم الذي تلخص بالتفوق التام للدبابة ، وبالتالي فقد ادى هذا الفهم الذي فشل تماما ، الى عزلة الدبابة في حرب يوم الغفران »[١٨] . اما المؤيدون لمشروع طال ، فيرون بان حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، اثبتت في التحليلات التي اعقبتها بان « المفاهيم الرئيسية للجيش كانت صحيحة ، ولها ما تستند عليه ، من حيث بناء القوات ونقاط التركيز التي نفذت في العديد من الاسلحة . فالعميد طال يسعى الى دمج مختلف العناصر في المعارك البرية ، لذا فانه سيقيم هذه القيادة وسيقودها لاثبات ذلك »[١٩] .

ويجد الرافضون في الدعوة الى الغاء شعبة التدريب ، كما جاء في مشروع القيادة الميدانية ، حجة اخرى لمعارضة المشروع ، فيتساءلون عمن يدرب التشكيلات المحاربة في الجيش ؟ هل عملية التدريب ستكون من صلاحيات هذه القيادة الميدانية ، التي ستسيطر بالضرورة على قيادات المناطق ؟ وماذا سيحدث بالنسبة للاسلحة الاخرى التي لن تشملها قيادة القوات البرية ؟ ويرد المؤيدون على هذه الحجج بالقول « ان التدريب سيكون تحت امرة واشراف القيادة الميدانية (المهنية) ، وهذا التدريب سيتم على ضوء برامج فعالة في الجيش ، وبالضبط

على عرار التدريبات في اطار التشكيل . وستكون هذه القيادة هي المسؤولة عن برامج التدريب والمناورات المشتركة بين مختلف الاسلحة ، كما يحدث في التدريبات والمناورات التي تنفذ حاليا في مركز التدريب الرئيسي في الجنوب ، حيث تتدرب هناك وحدات من سلاح المدرعات ، والمشاة ، والمدفعية ، والهندسة ... وهذا المركز يثبت ان بالامكان تنفيذ تدريبات مركزة ، لاربعة اسلحة برية تحت امرة قيادة واحدة »(٢٠) .

والحجة الاخرى للمعارضين هي « ان قيادة كهذه ستخلق بالضرورة منطقة عازلة بين الاسلحة البرية وبين رئيس الاركان . اضافة الى انها قد تخلق حالة من الاحتكاك بين قادة الاسلحة المختلفة ، وبين قيادات المناطق ، كذلك بين المجموعتين ورئيس الاركان العامه . وقد يتعارض هذا الامر ، ويعود باثر سلبي على العديد من المراتب العسكرية »(٢١) . وعلى هذه الحجة يرد المؤيدون للمشروع بقولهم أنه « لن تكون هناك منطقة عازلة ، ففي الماضي لم تشكل قيادة القوات المدرعة منطقة عازلة بين رئيس الاركان وبين الفرق المدرعة . اما بالنسبه للاحتكاكات ، فليس هناك خبراء عسكريون يسقطون هذا الاحتمال ، وهذه الحقيقه دفعت وزير الدفاع للقول . ستكون هناك امواج ، ومن لا يجيد السباحة سوف يغرق »(٢٢) .

من جملة هذه الحجج طرح المعارضون تساؤلات اخرى ، منها ماذا ستكون مهام هذه القيادة الجديدة اثناء الحرب ؟ وقد رد المؤيدون « بأن هذه القيادة سوف تدمج في جبهات القتال مع باقي قطاعات الجيش ، كما كان يحدث بالنسبة لقيادة قوات المدرعات »(٢٣) .

اراء القادة المؤيدين والمعارضين

حدد معظم قادة الجيش الاسرائيلي مواقفهم من مشروع طال وتعيينه على راس القيادة الميدانية . ولم يكتف هؤلاء بطرح التساؤلات والحجج دون تحديد اسمائهم ومواقفهم من المشروع ومن شخصية طال . والسؤال المركزي هنا هو كيف وافق رئيس الاركان رفائيل ايتان على المشروع ، في الوقت الذي ظل يعارضه ، ويعارض تعيين طال الى ما قبل ٢٤ ساعه من صدور قرار الموافقة ؟ يقال ان موافقة ايتان على المشروع جاءت بعد محادثه هاتفيه اجراها معه وزير الدفاع وايزمن ، الذي قال له « لقد منحتك تفويضا منذ اليوم الاول الذي عينتك فيه رئيسا للاركان العامة ، ورغم انك مطالب بالاستقالة اكثر من اي رئيس اركان سابق ، فانني لا زلت اقف من ورائك وامنحك الدعم ، ويحق لي في هذه المرة ان تقدم انت الدعم لي »(٢٤) .

وليس هذا هو السبب الوحيد لموافقة رفائيل ايتان على مشروع طال ، بل ان بعض الخبراء في جهاز الامن يردون ذلك الى اسباب اخرى . « فعندما كان طال قائدا للقوات المدرعه ، ورفائيل ايتان قائدا للواء المظلات النظامي ، تعاون الاثنان في الغارة على قرية السموع عام ١٩٦٦ . وفي هذه الغارة تم لاول مرة دمج وحدات من المدرعات ووحدات من المظليين . بشكل منظم ، وكانت الغارة صورة مصغرة لمعارك رفح عام ١٩٦٧ . فقد كان طال هو قائد المعركه كونه قائدا للفرقة المهاجمة ، وكان ايتان احد قادة الالوية الثلاث في الفرقة . ولقد احرز طال وايتان في هاتين المعركتين انتصارا كبيرا ، الامر الذي جعل ايتان مقتنعا بعملية دمج القوات البرية تحت قيادة واحدة »(٢٥) .

وقد يفسر هذا ، الى حد ما ، موافقة رفائيل ايتان قائد الاركان الحالي ، على مشروع طال لاقامة قيادة ميدانية للقوات البرية في الجيش ، اضافة الى هذا كان طال هو المسؤول الاول ،

من اوساط الجيش ، الذي رعى ايتان ودفعه الى منصب رئيس الاركان العامة . ففي مقابله صحفية قال ايتان عن المشروع . « لو اردت لما قبل المشروع . وليس في هذا المشروع اي مساس بمكانتي وصلاحياتي ، لقد عارضه الاخرون ، وليس انا . وكان بعض القادة قد اكتفوا بمعارضتهم خلال النقاش ، وبعضهم من فغر فاه اكثر مما ينبغي امام الصحافة . كذلك يقول بعض العمداء ان طال شخصية بارزة ولها قدرة على السيطرة ، وهو بالتالي سيقلص صلاحياتهم ، وهذا في رأيي كلام فارغ »(٢٦) .

وعن المشروع نفسه قال ايتان « لقد تبنينا جزءا من مشروع طال ، ونحن الان نقوم بعمليات في القيادة والاركان لدراسة النتائج . واذا كلفنا المشروع اكثر من اللازم فاننا لن ننفذه . ان مشروع طال في الواقع ، ليس نظرية قتالية جديدة ، بل هو مجرد اطار قيادي وتنظيمي ، هدفه تقديم اجابات للمشاكل الحقيقية التي يعاني منها الجيش » .

واذا اعتبرنا رئيس الاركان الحالي ايتان من ابرز الموافقين على المشروع – وهو فعلا كذلك – فان اللواء مردخاى غور رئيس الاركان السابق يعتبر من ابرز المعارضين ، وهو لا يكتفي كما سبق وذكرنا ، بمناقشة المشروع بشكل موضوعي ، بل يرفضه جملة وتفصيلا ، ويركز في رفضه هذا ، على رفض طال كشخصية عسكرية ملائمة لقيادة القوات الميدانية ، وكرئيس مستقبلي للاركان العامة . ويقول غور « لمعالجة كل موضوع يجب اولا تحديد الاولويات ، وساحددها بشكل واضح . ان اخطر ما في الامر هو تعيين العميد طال ، قائدا للقوات البرية ، مع احتمال تعيينه فيمابعد رئيسا للاركان . وارى ان احتمال تعيين طال رئيسا للاركان لايجوز ان يخرج الى حيز الوجود ... اما بالنسبة لما يتعلق بقيادة القوات البرية ، فهذا مجال مختلف كليا ، اذ لا يجوز البحث في اقامة قيادة قوات ميدانية على امتداد اكثر من سنتين ، ولا يجوز لاحد ابداء رأي مختلف في الموضوع . واعتقد انه من الافضل ان تخضع المواضيع المتعلقه بالاستراتيجيه والبنية الاساسيه للجيش ، لنقاش عام .... ويشاركني مطالبي ورأيي هذا ، عشرات القادة الذين لم يعلنوا اراءهم على الملأ ... لذا يجب بحث الكثير من الامور التي حصلت عشيه حرب يوم الغفران ، ولم يجر بحثها »(٢٧) .

الا ان حملة غور ضد طال ومشروعه ، واحتمالات تعيينه ، لم تتوقف عند هذا الحد ، والامر الذي يفسر الخلاف بين مردخاى غور وطال ان الاثنين بقيا مخلصين لمفاهيمهما ، ومدرستيهما . وضمن هذه الحملة قال غور « انني عارضت المشروع عندما كنت رئيسا للاركان العامة ، ولا زلت اعارضه ، وحسب رأيي فالعميد طال ليس ملائما ليحتل اكبر منصب في الجيش ، وخاصه بعد تصرفاته عشيه حرب يوم الغفران وخلالها وبعدها »(٢٨) .

وربما تعود حملة غور على طال ، الى النقد الشديد الذي وجهه طال لغور حول تخطيط عملية الليطاني ، واحتلال الجنوب اللبناني ، والخسائر الكبيرة ، نسبيا ، التي مني بها الجيش الاسرائيلي خلال هذه العمليه ، قبل سنتين . واذا كان طال محقا في نقده هذا ، فان الحساب لم ينته مع غور بعد ، خصوصا وان مؤيدي طال في مشروعه وتوليه قيادة القوات الميدانيه ليسوا مقتصرين على مجموعه الضباط والقادة المسرحين من الجيش البريطاني . ولا على الضباط التابعين لمدرسة المدرعات . فهناك مثلا العميد دان شمرون ، قائد المنطقه الجنوبيه ، الذي يتمسك باراء « مبدئية » بالنسبه لكل ما يتعلق بالقيادة الميدانيه وتعيين طال قائدا لها .

« فعندما كان شمرون ضابطا رئيسيا لسلاح المظلات والمشاة ، كان يؤيد اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية ، عندما قدم مشروع شموئيل غونين . وان قرار تعيين طال على رأس هذه القيادة هو مدعاة لتاييده اكثر »(٢٩) . وليس دان شمرون المؤيد الوحيد لمشروع طال ، ففي معسكر المؤيدين بعض ابرز قادة الاسلحة في الجيش الاسرائيلي ، مثل العميد موشي ناتيف ، والعميد امنون ريشف .

اما معسكر المعارضين فيضم ، رئيس شعبة العمليات الحالي العميد يانوش بن غال ، والعميد موشي ليفي ، ورئيس قسم التدريب في رئاسة الاركان العميد امير دروري . والغريب هو ان اعضاء معسكر المعارضة في قمة الهرم العسكري هم من انصار رفائيل ايتان الرئيس الحالي للاركان . وربما يدعم هذا الرأي القائل ان موافقة ايتان ، كرئيس اركان ، على مشروع طال ، جاءت بطلب من وزير الدفاع عيزر وايزمن ، وليس نتيجة قناعة ذاتية .

كما ان التاييد الذي حاز عليه العميد طال من قادة الاسلحة في الجيش ، لم يكن هو التاييد الوحيد ، فهناك العديد من العمداء خارج الجيش ، الذين يمكن اعتبارهم من الخبراء العسكريين ايدوا طال ، فقد قال ، مثلا ، شموئيل غونين قائد الجبهة الجنوبية خلال حرب ١٩٧٣ . « ان انشاء قيادة ميدانية للاسلحة البرية هو هدف بحد ذاته ، وان انشاء هذه القيادة عبارة عن مشكلة تنظيمية فقط . والتنظيم وسيلة فقط لحل المشكلة ، والمشكلة موجودة في الجيش ، وهي انعدام التنسيق والدمج بين الاسلحة ... ان طاقم المعركة في الميدان ، يجب ان يكون متعدد الاسلحة ، فلم تعد هناك حرب تعتمد على حقول الالغام لعدم تقدم العدو ، والمدفعية بهدف تحييد ارض المعركة ، وسلاح المشاة بهدف تامين خطوط ومحاور الهجوم ، وحتى الان لم تكن هناك قيادة للاسلحة البرية ، بعكس سلاح الطيران والبحرية ، لهذا السبب لم يكن هناك اب للاسلحة البرية ، وهذه الحقيقة مست بها من حيث الاولويات والميزانيات »(٣٠) .

لقد اصبح الجيش الاسرائيلي الان في وضع بدا اكثر وضوحا منه في الماضي ، وهو ان القوات البرية هي التي تشكل عنصر الحسم في ميدان المعركة . وهذه الخلاصة ، او الاستنتاج ، اصبح مؤكدا وقاطعا ، بعد ان تبين ان القوات البرية في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، لم تتلق سوى دعم قليل ومحدود من سلاح الطيران . لذا يقول غونين . « يجب ان تكون جميع القوات البرية تحت سقف واحد ، ويجب ان تكون لهذه القيادة صلاحيات « قيادية » ، وليس فقط صلاحيات التنسيق ... على ان تمثل القيادة الميدانية جميع القوات البرية ، امام رئاسة الاركان العامة في جميع المواضيع . وبهذا تتفرغ الاركان العامة ، لتكون اركان عامة لجميع قطاعات الجيش ، واليوم هي [ليست كذلك] »(٣١) .

اما اللواء ديفيد اليعازر ، الذي توفي بالسكتة القلبية ، والذي كان رئيسا للاركان العامة خلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، واقيل بعدها ، أثر تقديم لجنة اغرانات توصياتها ، فقد قال في حينه « بان استنتاجاته الرئيسية المتعلقة بالطريقة التي قاتل بها الجيش الاسرائيلي في حرب يوم الغفران هي يجب زيادة التنسيق بين الاسلحة والاذرع في الجيش ، وادخال تغييرات كبيرة على هيكلية الوحدة والاركان ، وفي اجهزة وشعبة التدريب . فلم يكن في هذه الحرب تنسيق كاف بين المدرعات والمشاة المحمولة ... وبين سلاح المشاة واسلحة الطيران والاسلحة البرية ... وان مشروع طال لاقامة قيادة ميدانية لجميع الاسلحة البرية ، الذي كان قد طرحه

قبل حرب يوم الغفران ، يهدف بالاساس لاصلاح هذه الاخطاء »(٣٢) .

ويؤيد افراد معسكر المعارضة لمشروع طال ، وعلى رأسهم رئيس الاركان السابق مردخاي غور ، ولفيف من العمداء الاخرين ، ضرورة زيادة التنسيق والدمج بين انرع الجيش المختلفة . لكنهم يعتقدون ايضا ، انه يمكن عمل هذا في الاطار الحالي للجيش . وربما كان هؤلاء محقين من حيث المبدأ ، ولكن حتى حرب تشرين الاول ١٩٧٣ ، فشلت جميع المحاولات . ووفقا لكل التقديرات فان الوضع لم يتحسن حتى الان . ولقد اعطيت فرصة اربع سنوات لرئيس الاركان غور لاصلاح ما فسد في الجيش ، وحل جميع مشاكله ، ويبدو انه اخفق في ذلك ، والسبب يعود لكون هذه الوحدات تميل الى المحافظة على اطرها الحالية .

ويبدو ان وزير الدفاع وايزمان استند على وجهات نظر كبار القادة ورؤساء الاركان السابقين في الجيش الاسرائيلي ، قبل اتخاذ قراره باعادة طال للجيش ، والموافقة على بعض اجزاء من بنود مشروعه ، الذي تضمن اقامة قيادة ميدانية للاسلحة البرية . ويثبت هذا القول ، رأي مهندس حرب ١٩٦٧ ، ورئيس اركانها اللواء اسحاق رابين ، الذي شغل منصب سفير اسرائيل في الولايات المتحدة ، ثم منصب وزير فرئيس للحكومة .

ويرى رابين ان اقامة قيادة للقوات الميدانية ليست فكرة جديدة . وان وزراء الدفاع ورؤساء الاركان السابقين سبق وبحثوا هذا الموضوع ، وتوصلوا الى استنتاجات ، كل واحد في حينه . لذا ليس هناك حاجة لمزيد من البحث والتمحيص . « والان حان وقت انشاء قيادة كهذه في الجيش ، واعتقد ان هذا عمل صحيح ... هذا تغيير تنظيمي نابع من الحجم الآخذ بالتزايد في قوة الجيش الاسرائيلي . وانني مع هذا التغيير ، خاصة على ضوء المشاكل المتوقعة للجيش وللاركان العامة في السنوات القادمة . فالسلام مع مصر يتطلب انسحابا الى الحدود الدولية في سيناء ، لذا سيخلق وضع جديد . سلام على الجبهة الجنوبية ، وتهديد وحرب على الجبهة الشرقية »(٣٣) .

ويضيف رابين ان القيادة الميدانية للاسلحة البرية تستطيع ان تعيد من جديد بلورة « نظرية الحرب » في الجيش . كما ان انشاء هذه القيادة سوف يمكن هذه القوات نفسها ، وكذلك المراتب اللوجستيكية ، من الحصول على عناية واهتمام اكبر مما كان في الماضي . وسيكون مسؤول واحد عن هذه الامور ، يستطيع ان يرى بشكل اشمل الصورة القتاليه البريه التي يتوقعها الجيش . كذلك فان المعالجة والعناية والمتابعة من قبل هذه القيادة ، سوف يعفي رئاسة الاركان العامة للتفرغ لعمل اكثر جدية واكثر نفعا . اما القيادات التي سيتم الغاؤها ، مثل قيادة القوات المدرعة ، فستعود بشكل جديد .

ان الجيش بحاجة لمثل هذا التغيير ــ كما يقول رابين ــ كي لا يغرق في الرقابة والروتين ، مما سيخلق تحديات فكرية وتنظيمية فيه.و « بالنسبة للعميد طال ، فاعتقد انه الرجل الملائم جدا ، ليكون على رأس هذه القيادة . وان خبرته ومعرفته الواسعة ، تعطيانه الفرصة لانشاء وتشغيل القوات الجديدة ، واستثمار الافضل منها ... لقد عين طال قائدا لقيادة القوات المدرعة خلال فترة خدمتي كرئيس للاركان ، وخلال هذه الفترة احدث ثورة في مدفعية الدبابات . وقد اعطت هذه الثورة ثمارها الايجابية في معركة تحويل روافد نهر الاردن ، وحرب الايام الستة ،

وحرب الاستنزاف ، وفي حرب يوم الغفران . لقد اثبت طال انه رجل بناء للقوات ومحارب ، وقائد لفرقة المدرعات في حرب الايام الستة ... وليس بوسعي الا ان ابارك قيام القيادة الميدانية وتعيين طال على رأسها »(٣٤) .

اما العميد اهرون ياريف فقد ادلى ايضا بدلوه في هذا الشأن ، وقال . « المطلوب احداث تغييرات في قيادات الاسلحة الحالية ، واهم تغيير يمكن لنا ان نفعله هو اقامة قيادة القوات البرية . وهي تسهل على الاركان العامة في عدة مجالات ، منها مجال الاسلحة التي تشكل العنصر الرئيسي للقوات البرية المقاتلة ، خاصة وان التنسيق امر حيوي . لذا سيكون التسهيل في اعباء الاركان العامة اكثر ، ومعالجة قضايا التنسيق ستكون افضل ، لأن هذه المهام ستلقى على عاتق القيادة الجديدة ، التي لن يكون لها مهام اخرى » و«بالسبة لقيادات المناطق الشمالية والشرقية والجنوبية ، فان القيادة الميدانية الجديدة لن تغير من صلاحيات هذه القيادات ... فمجال المسؤلية والسيطرة على القوات المعززة لقيادات المناطق ، في حالات الهدوء وحالات الحرب ، سيبقى ثابتا ، خاصة وان هذه القيادات ستبقى هي القيادات العملياتية الرئيسية ، والتي ستدير الاركان العامة بواسطتها العمليات البريـة في اي وقت »(٣٥) .

وعن هذه القيادة يضيف اهرون ياريف ، وكان سابقا رئيس الاستخبارات العسكرية ثم وزيـر اعلام ومستشار رئيس الحكومة لشؤون الارهاب . « ان اقامة هذه القيادة يعني بالدرجة الاولى ، مزيدا من التخصص المهني ، مزيدا من الدمج ومزيدا من التوازن ، بالنسبة للمركبات والعناصر الرئيسية للقوات المقاتلة في المعارك البرية ... اضافة الى هذا ، فان القيادة الجديدة تعني تخفيف الاعباء عن كاهل الاركان العامة ، وخاصة بالنسبة للمهام التي كانت مهملة حتى الان »(٣٦) .

اما القرار الذي يقضي بان يكون طال قائد هذه القيادة الميدانية ــ والكلام لا يزال لاهرون ياريف ــ فهذه الحقيقة هي الضمانة ، بان الهدف سيتحقق فعلا . وهنا لا يسعنا الا ان نبارك قيام هذه القيادة ،ويمكن ان نأسف فقط ، لأن هذا القرار لم يتخذ قبل عدة سنوات .

دوافع اقامه القيادة الميدانيه الجديدة

كان طال قد قدم مشروعه بشأن انشاء قيادة ميدانية بعد الانقلاب السياسي الذي وقع في ايار ١٩٧٧ وتسلم ليكود الحكم ، وتولي عيزر وايزمن وزارة الدفاع . وقدم طال مشروعه هذا الى الوزير بطلب منه . ولكن منذ تلك الوقت ، حفظ المشروع ولم يخرج من الملفات الا في اواخر العام ١٩٧٩ .

ويبرر وايزمن هذا التاخير ، الذي دام قرابة سنة ونصف السنة ، بقوله انه كان من غير الممكن احداث تغييرات جوهرية في الجيش ، خاصة وان هناك رئيس اركان جديد . اضافة الى ان الدولة كلها تواجه مرحلة جديدة ، نجمت عن اتفاق السلام بين مصر واسرائيل ، الامر الذي يترتب عليه تنفيذ انسحابات عسكرية كبيرة ، ثم اعادة انتشار الجيش في مناطق ومواقع جديدة .

الا ان الاسباب الحقيقية لهذا التاخير هي غير تلك التي ذكرها وايزمن« لقد واجه عيزر وايزمن مشاكل عديدة ، منها كرامة وسمعة الجيش ووزارة الدفاع التي وصلت الحضيض ،

وتورط رئيس الاركان العامة في عملية اصدار العفو عن الضباط والجنود الذين ارتكبوا جرائم ... ضد المواطنين اللبنانيين ، اثناء معركة الليطاني ، ثم قضية ايلون موريه والبيان الشهير لوزير الدفاع . اضافة الى كل هذا ، تورط وايزمن نفسه في قضية طرد بسام الشكعة ثم التراجع عن قرار الطرد . وكل هذه الامور سلطت اضواء سلبية على وزارة الدفــاع والجيش »(٣٧) .

بناء على كل ما سبق ، وجد وزير الدفاع نفسه في موقف حرج ، فانشغاله في عملية اتفاق السلام مع مصر ، حال دون ممارسته للمهام العسكرية ، وبالتالي لم يترك بصماته وطابعه على الجيش ، وهذا ما أراد وايزمن تحقيقه قبل ان ينهي فترة خدمته . اما الامر الذي بدا اكثر الحاحا ، فهو « خطر استقالة رئيس الاركان العامة لاسباب مختلفة ، دون ان يكون هناك مرشح جيد ، يرث الاركان العامة ، خاصة وان مردخاي غور ورفائيل ايتان لم يعدا المرشح الجيد لرئاسة الاركان العامة »(٣٨) .

كما أن عدم اعداد مرشح ملائم لهذا المنصب سوف ينعكس ، مستقبلا ، على الجيش ، وبالتالي على فترة خدمة عيزر وايزمن كوزير للدفاع ، وعلى الدولة في عهد حكومة ليكود . خاصة وان قادة المناطق يفتقرون الى التجربة الميدانية الفعلية في قيادة الفرق والتشكيلات . ونظرا لهذه الاسباب ، وبترشيح من نائب وزير الدفاع مردخاي تسيبوري ، ومن مستشار الوزارة لشؤون الامن ، العميد ابرهام تمير ، اتخذ وايزمن قراره هذا بتنفيذ بعض بنود مشروع العميد يسرائيل طال . وبهذا القرار يكون وايزمن قد اوجد المرشح ، ذا الكفاءة العالية ، لرئاسة الاركان في حالة استقالة الرئيس الحالي ، وكذلك ضمن بصماته وطابعه على الجيش في المستقبل المنظور .

وعودة طال الى الزي العسكري لا تعني فقط اقامة قيادة للقوات الميدانية . فهو لا يعتبر مجرد عميد ، او رقم في خانة الارقام العادية ، انه شخصية هامة لا يمكن تجاهلها .

واذا ما قاد طال الجيش ، فانه سيبذل كل ما في وسعه لجعله قوة لا يستهان بها في المنطقة ، وربما تعني عودة طال اكثر من اي شيء اخر الجبهة الشمالية والشرقية ، اضافة الى جبهة المقاومة الفلسطينية ، التي لا يمكن تحديدها بحدود جغرافية . وكما جرت العادة ، فان طال بحاجة الى تجربة عملية لكل القوات التي سيشرف على اعدادها وتدريبها ، ضمن قيادة القوات البرية . وهذه القوات قد لا تجد مكانا لتنفيذ ما تعلمته على يد طال ، الا على الجبهتين السورية والفلسطينية ، في عمليات عسكرية محدودة او في حرب محدودة ــ لاختبار ما تم انجازه .

وفي ظل الظروف الراهنة ، وتورط حكومة ليكود الحالية في ازمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، هناك احتمال قيام حكومة اخرى من ليكود برئاسة عيزر وايزمن اذا لم يخسر ليكود الحكم تماما في الانتخابات العامة المقبلة . وبناء على ذلك ، قد يكون المرشح الاول لوزارة الدفاع ، كوزير مهني ومتخصص ، هو العميد يسرائيل طال ، خاصة ان حب طال للجيش يجعله منغمسا تماما في الامور العسكرية ، ويبقيه بعيدا عن السياسة . وهذه قد تكون افضل مواصفات يطلبها رئيس حكومة في وزير دفاعه . والوزير الحالي وايزمن يقيس التجربة على نفسه ، فهو وزير غير مريح بالنسبة لبيغن ، وأعتراضاته على السياسة الخارجية والداخلية ، وعلى تفاصيل مشروع السلام مع مصر ، وتهديداته بالاستقالة ، تجعله يشكل عنصر شغب على

الحكومة بشكل عام ، وعلى رئيس الحكومة بشكل خاص . وربما كان وايزمن قد استخلص التجربة من نفسه . لذا ـ وهذا تقدير حذر ـ فان طال هو المرشح الامثل لوزارة الدفاع في حكومة ليكود برئاسة عيزر وايزمن .

ويبدو ان وايزمن ، بموافقته على اقامة قيادة القوات البرية وتعيين طال قائدا لها ، قد اصاب عصفورين بحجر واحد .

نبذة عن حياة طال

ولد طال في مستوطنه اقامها والده ، وهي مستوطنة محانيم في الجليل . وعندما كان طفلا ابدى اهتماما شديدا بالامور الفنية . وعندما بلغ السادسة عشر من عمره ، بدأ يصنع اسلحه محلية . خلال شبابه كان رجل مواصلات في قوات الهاغاناه . في السابعة عشرة والنصف تطوع في الجيش البريطاني عام ١٩٤٢ . انضم الى اللواء اليهودي المقاتل ضمن الجيش البريطاني ، وحارب في ايطاليا ، حيث كان رامي رشاش متوسط تحت امرة اللواء حاييم لاسكوف . بعد الحرب انضم الى المجموعة الخاصة بعمليات الانتقام من النازيين . وعندما عاد الى فلسطين حاول الدخول في سلاح الطيران ، لكنه اعتبر الخبير الاول لاسلحة الاسناد ، واضطر للعمل في مجال التدريب . عندما بدأت حرب عام ١٩٤٨ ، تم ايفاده الى تشيكوسلوفاكيا لشراء اسلحة للجيش الاسرائيلي . خلال الحرب كان مدربا لاحد الالوية في البلماخ . قاد مجموعة الرشاشات في عملية الهجوم على اللطرون ، والقسطل ، ثم اصبح ضابط عمليات في اللواء السابع المدرع الذي احتل مدينة الناصرة والجليل الغربي . درس سنتين في الجامعة العبرية بالقدس بعد ان نال شهادة الثانوية العامة عام ١٩٥٢ . وفي العام ١٩٦١ نال جائزة امن الدولة ، عن عمله في تطوير الاسلحة ، وكان قد طور « بنجلور طربيد » هذا السلاح الذي شكل العنصر الرئيسي خلال الغارات الانتقامية ضد القرى العربية على كافة الجبهات . وقام بادخال تعديلات على مدفعية الدبابات لزيادة فاعلية نيرانها ومداها . اما اخر واكبر انتاجه فهي دبابة مركفاه التي خططها وصممها دون ان يدرس الهندسة بشكل رسمي ، ثم اشرف على تصنيعها . ويعتبر طال القائد الذي بنى سلاح المدرعات ، واوجد نظريته القتالية[٣٩] .

وتعيد عودة طال الى الخدمة النظامية في الجيش ، جيل الجنرالات الذين خرجوا من الجيش بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ . هذا الجيل الذي مهر الجيش بخاتمه ، وترك بصماته بارزة عليه . امثال شارون ، وبارليف ، وديفيد اليعازر ، واسحاق رابين ، واخرين .

استقال العميد يسرائيل طال مرتين من الجيش ، لكنه بقي مرتبطا به ، لانه شعر انه لم يستنزف بعد ، وان باستطاعته تقديم اشياء كثيرة للجيش في ميادين القيادة والتنظيم وتطوير الاسلحة .

المرة الاولى التي استقال فيها طال من الجيش ، كانت في اذار ١٩٦٩ ، عندما كانت حرب الاستنزاف المصرية في ذروتها ، وكان في تلك الوقت قد امضى اربع سنوات ونصف سنه قائدا لقوات المدرعات ، وكان المرشح الاول لرئاسة الاركان العامة بعد انتهاء خدمة رئيس الاركان في حينه ، حايم بارليف . « ولم يستطع طال التسليم بتصور رئيس الاركان ، بالنسبة لشكل وطريقة الدفاع عن خط قناة السويس ، وادارة الجيش ، فوجه انتقادات شديدة ضد خط

بارليف ، وقد شاركه في الرأي العميد اريئيل شارون . ثم قرر طال استخلاص السابع والعبر ، وقدم استقالته »[٤٠] .

في ٢٨ اذار عام ١٩٧١ ، عاد الى الجيش ليتفرغ لصناعة دبابة اسرائيلية ، وذلك في عهد وزير الدفاع موشي دايان . بعد حوالى سنة عين رئيسا لشعبة العمليات ، ونائبا لرئيس الاركان* العامة ، بعد تسلم ديفيد اليعازر رئاسة الاركان .

الاستقالة الثانية ، حدثت في اذار ١٩٧٤ ، بعد ان اعفي العميد غوتين من منصبه كقائد للجبهة الجنوبية ، وجاء طال بدلا منه . وخلال حرب الاستنزاف في الثغرة الاسرائيليه عرب قناة السويس ، رفض طال امر وزير الدفاع موشي دايان بزيادة القصف والنيران ضد المصريين ردا على اية عملية . « وقد قال طال في حينه ، ان هذه الاوامر تعني اشعال نار الحرب من جديد ، وهذا امر يجب على الحكومة ان تتخذه وليس وزير الدفاع ، ورفض تنفيذ الامر . وعندما عاد الى مبنى الاركان العامة وجد ان صلاحياته قد نزعت منه كنائب لرئيس الاركان ، حيث عين العميد يتسحاق حوفي في هذا المنصب ، كذلك اقيل من شعبة العمليات . بعد ذلك طلب من موشي دايان ان يخبره ، اذا ما كان قد ادرج اسمه في قائمة المرشحين لرئاسه الاركان . ولكن الاخير رفض ، فاستقال طال للمرة الثانية من الجيش »[٤١] ، الى ان عاد اليه مؤخرا كقائد للقوات الميدانية .

---

(١) « معارف » ٢/١٢/١٩٧٩ .
(٢) من مقال لايلي تابور ، « هاعولام هازيه » ، العدد ٢٢٠٥ ، ٥/١٢/١٩٧٩
(٣) المصدر نفسه .
(٤) من مقال لايتان هابر ، « يديعوت احرونوت » ، ١٤/١٢/١٩٧٩ .
(٥) من مقال لاهرون ياريف ، « معاريف » ، ١٨/١/١٩٨٠ .
(٦) المصدر نفسه .
(٧) المصدر نفسه .
(٨) المصدر نفسه .
(٩) من مقال ليهشواع بتسور ، « معاريف » ، ١٢/١٢/١٩٧٩ .
(١٠) اهرون ياريف ، مصدر سبق ذكره .
(١١) المصدر نفسه .
(١٢) المصدر نفسه .
(١٣) من مقال لاوري ميلشطاين ، « دافار » ، ١٤/١٢/١٩٧٩ .
(١٤) المصدر نفسه .
(١٥) المصدر نفسه .
(١٦) المصدر نفسه .
(١٧) من مقال مردخاي غور ، « يديعوت احرونوت » ، ١٤/١٢/١٩٧٩ .
(١٨) « معاريف » ، ٣/١٢/١٩٧٩ .
(١٩) المصدر نفسه .
(٢٠) المصدر نفسه .
(٢١) انظر ايلي تابور ، مصدر سبق ذكره .
(٢٢) انظر المصدرين رقم ١ و١٨ .
(٢٣) المصدر نفسه .
(٢٤) انظر المصدر رقم ٢ .
(٢٥) انظر المصدر رقم ١٣ .
(٢٦) من مقال عدنان بار ، معاريف » ، ٢٨/١٢/١٩٧٩ .
(٢٧) ر . ا . ا . العدد ١٩٧٢ ، ٢٧ – ٢٨/١/١٩٨٠ .
(٢٨) انظر المصدر رقم ٦ .
(٢٩) المصدر نفسه .

(٢٠) من مقال لشمونيل غونين ، « **يديعوت احرونوت** » . ١٩٧٩/١٢/١٤ .

(٢١) **المصدر نفسه .**

(٢٢) انظر **المصدر رقم ١٣ .**

(٢٣) من مقال ليتسحاق رابين ، « **يديعوت احرونوت**» ، ١٩٧٩/١٢/١٤ .

(٢٤) **المصدر نفسه .**

(٢٥) انظر **المصدر رقم ٥ .**

(٢٦) **المصدر نفسه .**

(٢٧) انظر **المصدر رقم ٢ .**

(٢٨) **المصدر نفسه ٢٩ .**

(٢٩) **المصدر نفسه .**

(٤٠) **المصدر نفسه .**

(٤١) « عل همشمار » ، ١٩٧٩/١٢/٢ .

العقيد الركن
حسن أبو لبده

الدفاع الجوي والطيران الاسرائيلي

من خلال الاساطير وشطحات الخيال الانساني أولا ، وبعد مغامرات التجريب للرواد الذين حاولوا تقليد الطير ، مثل العربي عباس بن فرناس، ثم التجارب العلمية الرائدة في البحث عن الطائرة ، كوسيلة تطير بالانسان ويتحكم فيها ، كالامريكيين (الاخوة رايت)ثانيا،دخلت الطائرة معترك الحياة عام ١٩٠٢ ، لتبشر بوسيلة جديدة للنقل عبر البعد الجوي الثالث . لم يمهل الانسان الطائرة طويلا ، حتى ادخلها معترك القتال فخاضت الحرب العالمية الأولى لتعرض قدرات متواضعة ، ولتضيف فنا جديدا من فنون القتال في الجو[١] .

وعملا بالمبدأ القائل بأن لكل سلاح سلاحا مضادا ، فقد جاءت الاسلحة المضادة للطائرات لتقابل هذا التهديد الجديد . وبدأ سباق لا هوادة فيه بين تطوير أسلحة التهديد الجوي الجديدة وبين الاسلحة المضادة لها .

سارت عجلة التطوير بخطى واسعة وسريعة ، في كلا مجالي وسيلة التهديد الطائرة وما تحمله وسلاح الدفاع الجوي المضاد لها . وجاءت الحروب المختلفة ، لتضع ناتج هذا التطوير في كل مرة محل التجربة العملية ، ولتخرج بدروس مستفادة ، لتجري مزيدا من التطوير والتعديلات المناسبة على الوسيلتين معا ، واستخدامها في التطبيق العملي مرة اخرى .

وتبرز أهمية الطيران . في قدرته على زيادة قوة الصدمة . بل أن الطيران الاسرائيلي قد تكفل في حرب حزيران ١٩٦٧ ، في تحقيق صدمة تامة وحاسمة بتدميره للطيران المصري على الأرض . ويبدو أن القول الشائع ، بأن اسرائيل جيش يملك دولة ، قد تطور ليصبح سلاح طيران يملك دولة[٢] .

وفي حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ــ وللمرة الأولى في التاريخ العسكري الحديث ــ لعب الدفاع الجوي دورا هجوميا ، على كلا جبهتي القتال المصرية والسورية ، بالاضافة لدوره الدفاعي التقليدي ، محدثا خسائر جسيمة في الطيران الاسرائيلي . ففي الحرب ، كان الفوز دائما من نصيب الوسيلة القادرة على الرد على مميزات الوسيلة الاخرى واستغلال عيوبها .

تطور وسيله التهديد الجوي

استخدم الانسان البالونات في أول عهده بالطيران ، كوسيلة أخف من الهواء تمكن من الارتفاع والتحليق في الجو . ولما لم يتمكن من الاستفادة منها في الأعمال الحربية ، لبطئها

وصعوبة التحكم في مسارها ، طورها الى المناطيد التي استطاع ان يتحكم في مسارها ويزيد من سرعتها .وأثناء الحرب العالمية الأولى ، استخدمت المناطيد في الغارات الجوية . ففي ١٩ كانون الثاني (يناير) ١٩١٥ ، بدأت الغارات الجوية الالمانية على بريطانيا بواسطة مناطيد (زبلين) الشهيرة . ولم تحقق غير القليل من الخسائر البشرية والمادية ، ولكنها احدثت اضطرابا معنويا لدى السكان واثرت على سير الانتاج(٣) .

ونتيجة لتعرض المناطيد للاصابة بعد تنظيم الدفاع الجوي بالمدافع المضادة للطائرات تحولت الى الغارات الليلية وزادت من ارتفاعها . وطورت قيادة الدفاع الجوي البريطانية شبكة دفاعها الجوي ، فادخلت الانوار الكاشفة واستخدمت المدفع الفرنسي عيار ٧٥ ملم بعد أن عدلته كمدفع مضاد للطائرات . ولما زاد عدد المناطيد المسقطة ، اضطرت القيادة الالمانية الى ايقاف غارات المناطيد ، ولجأت الى استخدام قانفات القنابل في غاراتها الجوية على لندن ، بعد أن أصبحت أقدر على القيام بهذه المهمة . وعرضت الطائرة ـ خلال الحرب العالمية الأولى ـ قدرات متواضعة في كلا مجالي القتال والاستطلاع . وبعد الحرب بدأ التطور يدخل عليها ، فزاد من سرعتها الامامية ضمن ما زاد من قدراتها الاخرى ، وارتفع بفاعلية ما تحمله من تسليح متطور ، وزاد ايضا من حجم وفاعلية وسائل المساعدات (من كشف وتوجيه واتصال ، الخ) التي تخدم الطائرة .

وفي الحرب العالمية الثانية ، حققت شبكة الدفاع الجوي البريطانية ، انتصارها الشهير على سلاح الجو الالماني (اللوفتواف) ، محدثة خسائر فادحة في طائراته وخاصة طياريه . وعلى الاثر طور الالمان واستخدموا الصواريخ أرض ـ أرض بعيدة المدى ، واطلقوا على الجيل الأول (ف ١) وعلى الجيل الثاني (ف ٢) ، حتى لا يعرضوا طياريهم للخطر .
وفي العام ١٩٤٤ وقبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية ، حقق الالمان وثبة نوعية في الطائرات الحربية ، عندما اخترعوا الطائرات النفاثة المقاتلة من طرازي مسرشميت ١٦٣ ومسرشميت ٢٦٢(٤) .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، بدأت مختلف الدول الصناعية الكبرى في انتاج وتطوير الطائرات المقاتلة النفاثة ايضا . ولم تمض خمس سنوات على انهاء الحرب ، حتى كانت معظم اسلحة الطيران في الدول الكبرى ، مستبدلة طائراتها المروحية القديمة ، بطائرات نفاثة حديثة .

استمر تطور قدرات الطائرة النفاثة وخاصة بعد الحرب الكورية ، من حيث زيادة سرعتها وارتفاع سقف عملياتها بما يفوق المدى الفعال لاقوى المدافع الثقيلة المضادة للطائرات ، مما ادى الى تطور سريع للصواريخ الموجهة ارض ـ جو ، كحل مناسب لمواجهة الارتفاع الكبير والسرعة العالية للطائرات التي اصبحت تحسب بالماخ (سرعة الصوت) .

ونتيجة نسبة الاصابة العالية التي حققتها الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات ، على الطائرات المغيرة ، تم تطوير الصواريخ البالستيكية والصواريخ الجوالة بمختلف انواعها وادخلت في الاستخدام العملي كاسلحة للهجوم الجوي ، بالاضافة الى الصواريخ الموجهة جو ـ ارض بعيدة المدى ، التي تطلق من قانفة تحلق بعيدا عن المدى المؤثر لشبكة الدفاع الجوي المعادية(٥) .

وعلى اثر التطور الهائل لاجهزة الكشف الراداري بعيد المدى ، والتي تستطيع التقاط الاهداف الطائرة من مسافات بعيدة ، بدأت الطائرات المغيرة ، مستفيدة من التطور التكنولوجي في تصميمها ، والمساعدات الملاحية الحديثة المتوفرة لها ، في استخدام تكتيكات الطيران على ارتفاع منخفض جدا قد يصل الى ارتفاع ٣٠ مترا عن الارض ، حتى تتمكن من

استخدام التضاريس الطبوغرافية للارض ، في الاختفاء من الكشف الراداري ، والوصول الى الهدف ومفاجاته ، قبل ان يتهيأ الدفاع الجوي لصدها وتدميرها . ويرى خبراء الدفاع الجوي بان استخدام تكتيكات الطيران على ارتفاع منخفض سوف يستمر ما دامت تحقق العديد من المزايا(٦) .

تطور وسائل الدفاع الجوي

استخدمت الاطراف المتحاربة الطائرة في الاعمال القتالية في الحرب العالمية الاولى . وبالرغم من تاثيرها المادي المحدود الا ان تاثيرها المعنوي كان كبيرا وكان لا بد من مواجهتها بسلاح مضاد اخذ يتطور في قدراته الدفاعية ليواكب التطور في وسيلة التهديد الطائرة .

ونتيجة وقوع الجزيرة البريطانية فريسة للتهديد الجوي الالماني خلال الحربين العالميتين أقام البريطانيون دعائم للدفاع الجوي على اسس ثابتة وتشمل : انذاراً مبكراً : سلاحاً مناسباً مضاداً للطائرات ؛ وسائل ادارة ناجحة ونظام اتصال فعال تترابط عناصرها لتكمل بعضها بعضا . وكان تطوير اي عنصر منها دافعا الى ضرورة ادخال التطوير المناسب على سائر العناصر(٧) .

وفي الحرب العالمية الاولى ، كانت وسائل الانذار الخاصة باكتشاف اقتراب القاذفات ضعيفة ومتخلفة للغاية ، اعتمدت على المراقبة والتنصت ، والتبليغ الهاتفي لمراكز المدفعية المضادة .

وكانت وسيلة التصدي للطائرات المغيرة ، عبارة عن المدافع المضادة والرشاشات الخفيفة والمتوسطة والثقيلة والتي يتراوح مداها بين مئات الامتار وثلاثة الاف متر . كما استخدمت الطائرات المقاتلة في التصدي للقاذفات المعادية المغيرة .

كان التصدي للقاذفات المغيرة على الهدف يتم بواسطة المدافع المضادة لتدميرها او ابعادها ، وخارج الهدف يتم مطاردتها بالطائرات المقاتلة . وعندما انتقل الالمان للغارات الليلية ادخلت قيادة الدفاع الجوي الانوار الكاشفة لانارة الهدف الجوي(٨) .

وفيما بين الحربين العالميتين ، تم تطوير جهاز الرادار الذي نجح العالم البريطاني روبرت واطسون وات في تصميمه حتى بلغ مداه ٧٥ ميلا في العام ١٩٣٦ ، واصبح في الامكان ، عن طريق العين السحرية التي يزود بها ، تحديد اتجاه الطائرات المقتربة وارتفاعها التقريبي . وفي العام ١٩٣٥ كان العلماء البريطانيون قد توصلوا الى صنع جهاز عرف باسم بيب شلويك يرسل معلومات تبلغ اليا عن موقع الطائرة الصديقة الى محطة الرقابة الارضية وبها يمكن تمييزها عن الطائرات المعادية . كما اخترعوا جهازا لاسلكيا ذا ذبذبة عالية للغاية كان يوفر اتصالا صوتيا واضحا بين الطيار ومحطات المراقبة الارضية ، وبذلك توفرت للدفاع الجوي وسيلة يمكن بواسطتها التمييز بين الطائرات المعادية والصديقة ، ووسيلة للسيطرة على الطائرات الصديقة وتوجيهها نحو الطائرات المعادية(٩) .

شهدت الاسلحة الارضية المضادة للطائرات تطورا تقنيا كبيرا خلال الثلاثينات ، بعد ان ساد الاعتقاد عقب انتهاء الحرب العالمية الاولى ، بان السلاح المضاد للطائرات هو الطائرة المقاتلة فقط . فبالنسبة للرشاشات الثقيلة ، ادخلت انواع متعددة واعيرة مختلفة من هذه الاسلحة، وتم اعتماد طرازات متعددة السبطانات من اجل غزارة النيران. وطورت المدافع الالية الخفيفة لتكون واحدة من اكثر الوسائل المضادة للطائرات فاعلية ، لما تتمتع به من غزارة

النيران وقوتها ، وكان اهمها المدفع الالماني ذو الاربع سبطانات فلاك ٣٨٠ / ٢٠ ملم ، والذي ركب على ناقلة مدرعة نصف مجنزرة ليكون مدفعاً مضاداً للطائرات ، ذاتي الحركة . واهم مدفع ظهر من هذه الفئة المدفع السويدي بوفورز عيار ٤٠ ملم . وطورت المدافع الثقيلة التي خصصت للتعامل مع القانفات الثقيلة والمتوسطة المحلقة على ارتفاعات شاهقة. وكانت غالبية هذه المدافع مجهزة باجهزة رؤية وكشف ليلية ، ورادارات بدائية في بعض الاحيان يمكنها التصدي للطائرات المغيرة ليلا وفي الاحوال الجوية السيئة . وكان اهم ما ظهر من هذه الفئة المدفع الالماني فلاك ــ ٣٦ / ٤١ عيار ٨٨ ملم والذي وصل مداه الفعال الى ٣٨ الف قدم(١٠) .

وخلال الحرب العالمية الثانية ، استمرت بريطانيا في تحسين وتطوير شبكة دفاعها الجوي بتزويدها بمزيد من المقاتلات الاحدث طرازاً (سبتفاير) ، ورفع كفاءة وسائل الاتصال الارضية ــ الجوية ، وتطوير اجهزة الرادار ، فظهرت رادارات تكتيكية ورادارات ادارة نيران اكثر تطوراً .

وكان ابرز تطور راداري في العام ١٩٤٠ بل في الحرب كلها حين توصل العلماء البريطانيون الى اختراع جهاز الماغيترون وكان صغير الحجم، يرسل موجات دقيقة يمكن التقاطها على هوائي صغير. وبذا امكن تجهيز المقاتلات الليلية برادار صغير كان يستطيع تحديد موقع القانفات المعادية على مسافة عدة اميال . وباطلاع العلماء الاميركيون على هذا الجهاز امكنهم اختراع رادار تكتيكي عرف برقم ٥٨٤ وبرقم ٣ موديل ٥ الذي جمع بين عمليتي الانذار المبكر وادارة النيران ، مع جعل المدافع متصلة به بصورة الية ، وبذلك تتجه بدقة نحو الهدف اليا(١١) .

شهد الدفاع الجوي ــ في نهاية الحرب العالمية الثانية ــ بداية تطور جديد ومثير عندما اخترع الالمان الطائرات القاتلة . واثبتت خبرة الحرب العالمية الثانية ، ان الطائرات المقاتلة هي اكثر اسلحة الدفاع الجوي فاعلية ، وان الاسلحة الارضية المضادة للطائرات تاتي في المرتبة الثانية .

بالرغم من التحسينات العديدة التي ادخلت على الرشاشات الثقيلة والمدفعية المضادة للطائرات في الفترة التي اعقبت الحرب العالمية الثانية ، كالزيادة الكبيرة في السرعة الابتدائية لخروج المقذوف من السبطان ، والزيادة العالية في المدى ومعدل النيران وادخال الطابات الرادارية ، واستخدام اجهزة الرادار والاجهزة الحاسبة الالكترونية ، لزيادة الدقة والكفاءة ، الا انها لم تتمكن من التغلب على القيود التي تلازمها ، مثل المدى النسبي وسرعة الدانة التي تتناقص بعد اطلاقها ، وعدم امكان تصحيح مسار القذيفة بعد اطلاقها من المدفع . وللتغلب على هذه القيود ، كان من الضروري ادخال الصواريخ الموجهة سطح ــ جو .

اعتبرت الصواريخ الموجهة ارض ــ جو ، السلاح المناسب من اسلحة الدفاع الجوي الارضية ، لمواجهة الارتفاع الكبير والسرعة العالية للطائرات فضلا عن ضمان نسبة عالية من الاصابة .

لعل من اهم العراقيل التي تصادف انظمة الصواريخ ارض ــ جو بوجه عام ، ضعف قدرتها على السير عبر الاراضي الوعرة . وكان الهدف هو العثور على عربة ذات قدرة عالية على السير عبر مختلف انواع الاراضي ، ومن ثم تم الحصول على نظام للصواريخ المضادة للطائرات المحملة على المجنزرات . واثبت هذا النظام امكان الاعتماد عليه تماما في اداء ما يناط به من مهام الدفاع الجوي تحت مختلف الظروف(١٢) .

اصبحت سرعة انتقال وسيلة التهديد الجوي ، التي تقاس بالماخ (سرعة الصوت) وتكاد تلامس السطح البري او البحري في طيرانها ، تؤثر بالطبع على مدى التبكير بالانذار ، لتنشيط وسائل الدفاع . ويرتبط هذا الاثر بنظام ادارة الدفاع والمتابعة الدقيقة والمستورة لوسيلة التهديد في تحركها المتزايد السرعة والاتصال الذي يربط بين عناصر الدفاع وأسلحته . ولا شك في ان استخدام الطائرات النفاثة والصواريخ بعيدة المدى والقذائف بدون طيار ، كاسلحة تهديد جوي ، ادى الى اختزال الوقت اللازم لتوصل العبوة المدمرة عبر المسافات الكبيرة . وبالتالي اختزال الوقت اللازم لتلقي الانذار عند الهجوم والتصدي له . وتطلب ذلك تطوير نظام صاروخي مضاد للطائرات ، مستقل ذاتيا ، سريع الحركة ، بحيث يمكن كشف الهدف المغير وتتبعه وقصفه في نطاق مركبه واحدة(١٣) .

وفي حرب فيتنام ، ونتيجة التفوق الجوي الامريكي الساحق ، ركزت القيادة الفيتنامية بشدة على تكثيف وسائل الدفاع الجوي الارضية ، وابتكار اساليب وتكتيكات مناسبة لمواجهة التفوق الجوي الامريكي.وتمكن رجال الصواريخ الفيتناميون في العالم ١٩٧٢ من اسقاط ١٥ طائرة من طراز ب ــ ٥٢ ، وهي قانفة ثقيلة مجهزة بوسائل الكترونية متطورة للغاية . كما اثبتت الطائرات المعترضة ميغ ٢١ فعاليتها ضد طائرات الفانتوم الاميركية .

ولعل التحدي الحقيقي الذي واجه انظمة الدفاع الجوي . هو الهجوم الجوي على ارتفاع منخفض جدا . فنجاح الضربة الجوية الاسرائيلية الخاطفة التي تمت ضد اسلحة الجو العربية الجاثمة على الارض صباح ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، ادى الى الشك في امكانية التصدي لهذا النوع من الطيران . وهنا عمدت الدول الصناعية الكبرى الى تطوير اجهزة الرادار القادرة على اكتشاف الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة جدا ، وتطوير طائرات الانذار المبكر القادرة على اكتشاف هذه الاهداف دون التعرض لمشكلات الثنيات والعوائق الارضية ، التي تعيق الرادارات الارضية من اكتشافها . وبدأت هذه الدول عملية تطوير سريع للاسلحة الارضية القادرة على التعامل بفاعلية مع هذا النوع من الهجوم الجوي . والجدير بالذكر ان الصواريخ الفردية المضادة للطائرات ، والمدافع الخفيفة سريعة الرمي والتي يتم توجيهها بواسطة الرادار ، هي الا قدر على التعامل الفعال ضد الاهداف الجوية المهاجمة على ارتفاعات منخفضة جدا(١٤) .

الدفاع الجوي الحديث

ما زالت الاوساط العسكرية في العالم ، تذكر حادثة الطائرة الكوبية التي اخترقت المجال الجوي فوق ولاية فلوريدا بالولايات المتحدة الامريكية ، في اوائل السبعينات ، واستمرت في اختراقها الى ان وصلت الى مسافة ٢٥ ميلا من مدينة نيواورليانز ،دون ان تكتشفها وسائل الدفاع الاميركية . ثم الحادث الذي وقع في ١٩ اذار (مارس) ١٩٧٨ عندما اصدرت القيادة الجوية الاميركية بيانا جاء فيه ، ان طائرتين عسكريتين سوفياتيتين من طراز تو ــ ١٦ اخترقتا المجال الجوي في الاسكا حتى مسافة ١٥٠ ميلا(١٥) .

دلت هذه الحوادث على مدى ما تعانيه انظمة الدفاع الجوي حتى الحديثة منها ، من مشاكل في اكتشاف الاهداف الجوية التي تخترق المجال الجوي للدول والانذار المبكر عنها في الوقت المناسب .

وتنشأ الثغرة التى تشكل المتاعب لنظام الانذار المبكر عن الاهداف الجوية من احد عاملين .

١ــ اقتراب الطائرات المغيرة على ارتفاعات منخفضة جدا للحصول على المفاجأة .

٢ ــ ظهور الصواريخ المدارية في اواخر الستينات ، ومدى امكان اختراقها للمجال الجوي

للدولة المعادية على ارتفاع منخفض في مدار حول الارض، جعل فترة الانذار عن اقترابها قصيرة للغاية .

ويهدف الدفاع الجوي الى منع او التصدي لاي هجوم او اختراق جوي معادي ، تقوم به الطائرات او الصواريخ الاستراتيجية ، للحيلولة أو للتخفيف من النتائج المحتملة لهذا العمل الجوي .

ويقسم الدفاع الجوي الى
- دفاع جوي عن الدولة او الاقليم .
- دفاع جوي عن القوات المقاتلة ، وهو جزء من الدفاع الجوي عن الدولة .

الدفاع الجوي عن الدولة

يضم هذا الدفاع اربعة فروع مختلفة ومتكاملة .
١ - الطائرات المقاتلة المعترضة .

٢ - الاسلحة الارضية المضادة للطائرات (الرشاشات والمدفعية المضادة للطائرات ، والصواريخ الموجهة ارض - جو الثابتة والمتحركة) .

٣ - اجهزة ووسائل الكشف والانذار المبكر والمتابعة والتمييز .

٤ - نظام ادارة النيران الارضية ، وتوجيه القتال الجوي ، والتنسيق بين وسائط الدفاع .

يضاف اليه في الدول الكبرى ، نظام ضد الصواريخ الباليستيكية ، مع ما يتضمن من صواريخ مضادة للصواريخ واجهزة كشف وانذار لها(١٦) .

ادى استخدام القانفات النفاثة الضخمة والصواريخ العابرة والطائرات الموجهة الكترونيا عبر المسافات الكبيرة ، الى اختزال الوقت اللازم لتوصيل القوة التدميرية الى اهداف الخصم ، وبالتالي اختزال الوقت اللازم لتلقية الانذار عن الهجوم.وتختلف الآراء حول الاسلحة المضادة التي تستخدم ، فالبعض يفضل غمر منطقة الهدف بوابل من القذائف المتوسطة العيار البسيطة التصميم بادوات الكترونية بسيطة . ويحبذ البعض الاخر ، الاعتماد على عدة الكترونية ممتازة قادرة على تحديد مكان الهدف بالضبط ، واستخدام اسلحة ذات عيار كبير تستطيع تدمير الهدف بقذيفة او اثنتين. والجدير بالذكر ، ان مركبة مدرعة مضادة للطائرات تلبي جميع هذه الاحتياجات بالمدافع فقط ، تكون اقرب الى بارجة منها الى دبابة ، ولا بد ان يكون ثمنها خياليا(١٧) .

وللمعادلة بين مختلف الاحتياجات والامكانيات ، فان الاسلحة المضادة للطائرات التي يجري انتاجها واستخدامها اليوم ، تقع بين هذين النقيضين . فبدلا من استخدام نظام مثالي من المدفعية المضادة للطائرات ، يجري استخدام نظم مدفعية اقل دقة تساندها نظم صاروخية ارض - جو ، ثابتة ومتحركة للعمل فيما وراء مرمى المدافع ، لسد الثغرات ، وتعميق الدفاع الجوي ، وتوفير التكامل والحماية المتبادلة لاسلحته . وتقوم المقاتلات المعترضة بالعمل خارج مدى الاسلحة الارضية المضادة للطائرات وبالتنسيق معها . ورغم التطور التقني والتكتيكي الذي لحق الاسلحة ارض - جو وسطح - جو ، بقيت الطائرات المقاتلة المعترضة هي اكثر اسلحة الدفاع الجوي فاعلية .

وفي حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ ، شكلت الطائرات المقاتلة المعترضة ميج ٢١ بعد رفع مستوى قدراتها ، وشبكة الصواريخ المصرية والسورية والمحمية بمختلف انواع المدفعية والرشاشات المضادة للطائرات ــ بعد استكمال بنائها ــ غطاء فعالا فوق جبهتي قناة السويس والجولان ، امتد حتى كامل العمق التكتيكي الاسرائيلي .

والجدير بالذكر ، انه مهما توافرت وسائل الدفاع الجوي ، فانها لا تستطيع صد الضربة الجوية بنجاح كامل . ولا يوجد من الناحية العملية شبكة دفاع جوي بمنآى عن الاختراق . وبات من المحتم وجود القوة ــ لدى الدولة التي تعرضت للهجوم الجوي ــ القادرة ليس فقط على امتصاص الضربة الاولى ، التي تستهدف شل القدرة الدفاعية وامكانات الرد المضاد ، ولكن القيام بالضربة الثانية المضادة لتدمير الخصم ايضا . ومن هنا بات مهما واساسيا ، وجود قوة فاعلة للردع ، للرد على الضربة الاولى بالكم والكيف الذي يحقق ردع الخصم ، مع اتخاذ كافة الاجراءات التي تحقق عدم قابلية هذه القوات للتدمير في الضربة الاولى . ومبدأ الردع في حد ذاته يمكن ان يمارس التاثير المعنوي على الخصم ، اي التاثير السيكولوجي على ارادته ، بهدف اقناعه بان الحرب تنطوي على كارثة محققة لا يمكن تجنبها[١٨] .

الطيران الاسرائيلي: نشاته وتطوره

تاسس الفرع الجوي لمنظمة الهاغاناه في ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ ، بقيادة اهرون ريمز ، الضابط السابق في الجيش البريطاني . وتالف هذا الفرع من ١١ طائرة مروحية من عدة انواع .

وعندما انسحبت بريطانيا من فلسطين ، في ١٥ ايار (مايو) ١٩٤٨ ، سيطر الاسرائيليون على ١٢ قاعدة جوية بريطانية وثلاث مطارات مدنية . وقامت المؤسسات اليهودية، وخصوصا في الولايات المتحدة، بتمويل صفقات من الطائرات حصلت بموجبها اسرائيل على اعداد كبيرة من طائرات ستيفــاي وموسكيتــوز، وطائرات نقل سي ــ ٤٦ ، وقانفات قنابل ب ــ ١٧ التي اشتركت في الاغارة على القاهرة ودمشق في حرب ١٩٤٨ . كذلك تم الحصول على مقاتلات ميزرشميث الالمانية الصنع ، من تشيكوسلوفاكيا[١٩] .

وفي العام ١٩٥٣ ، بدأ الاسرائيليون تسلم طائراتهم المقاتلة النفاثة من نوع ميتيور الانجليزية الصنع. وفي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٥،تسلموا١٥ طائرة اورغان،كدفعة اولى، الى ان وصل عدد طائرات هذا النوع حوالي ٧٥ طائرة . وفي العام ١٩٥٦ تم تسليمهم ١٢ طائرة ميستير ٤ المتطورة، فرنسية الصنع .

وفي عشيه حرب ١٩٥٦ ، كان سلاح الجو الاسرائيلي يتالف من ١٦ طائرة ميستير ٤ ، ٢٢ اورغان ، ١٥ ميتيور ، ٢٦ موستانغ ، ١٦ موسكيتوز ، ١٧ هارفارد ، ١٦ طائرة نقل سي ــ ٤٧ ، ٣ طائرا ت نقل نورد اطلس ، ٢ قانفة قنابل ب ــ ١٧ . علاوة على عدد من الحوامات وطائرات النقل الخفيفه[٢٠] .

وبعد الحرب ، استمرت اسرائيل في تعزيز سلاحها الجوي بالطائرات الفرنسية التي كانت مواصفاتها تتوافق مع سياستها الجوية الهادفة الى الحصول على طائرات متعددة المهام .

وفي العام ١٩٥٩ ، بدأ سلاح الجو الاسرائيلي في تسلم الطائرة النفاثة الاسرع من الصوت سوبر مستير ب ــ ٢ ، وهي طائرة مقاتلة متعددة المهام . وفي العام ١٩٦٢ بدأوا في

تسلم الطائرات المقاتلة الفرنسية الصنع ميراج ـ ٣ ذات السرعة الاكثر من ضعف سرعة الصوت .

كانت القوة الضاربة لسلاح الجو الاسرائيلي ، عشية حرب حزيران (يونيو) كما يلي
٩٠ ـ ٩٥ طائرة ميراج ـ ٣ ، ٢٤ طائرة سوبر ميستير ، ٢٨ طائرة ميسيتر ـ ٤ ، ٣٠ ـ ٤٩ طائرة ميتيور ، ٤٠ ـ طائرة اورغان ، ٦٠ طائرة تدريب فوغا ماجستير معدة للدعم الارضي ، بالاضافة الى عدد من الحوامات وطائرات النقل الخفيفة الاخرى[٢١] .

نتيجة العدوان الاسرائيلي التوسعي على اراضي ثلاث دول عربية (مصر وسوريا والاردن) في العام ١٩٦٧ ، وايقاف فرنسا تزويد اسرائيل بالسلاح ، اصبحت الولايات المتحدة الاميركية ممول اسرائيل الرئيسي بالسلاح .

بدأت اسرائيل في العام ١٩٦٨ ، تسلم طائرات السكايهوك التي سبق ان طلبتها من الولايات المتحدة العام ١٩٦٦ . وتعتبر هذه الطائرة من افضل القاذفات الخفيفة في العالم الغربي . كما بدأت اسرائيل في تسلم طائرات الفانتوم الاميركية اواخر العام ١٩٦٩ ، وهي من افضل المقاتلات القاذفة في العالم .

كان سلاح الطيران الاسرائيلي عشية حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ يشمل الاعداد الاتية من الطائرات تقريبا ١٢٢ مقاتلة فانتوم ف ـ ٤ أي ، ٢٠٠ قانفة سكايهوك١ ـ ٤ ، ٦٠ مقاتلة ميراج ـ ٣سي ج، ٣٠ مقاتلة ميستير ـ ٤ ، ١٢سوبر ميستير، ٩٠طائرة فوغا ماجستير للتدريب والدعم الارضي ، ٦ فانتوم للاستطلاع ، ١٠ سكايهوك للتدريب والقصف ، ٣٤ طائرة نقل نوردا طلس ، ١٢ طائرة ستراتوكروز للنقل والتشويش الالكتروني وتزويد الطائرات المقاتلة بالوقود في الجو ، ٨ س ـ ٤٧ للنقل ، ٧طائرات هيركيوليس للنقل واطلاق الطائرات الموجهة (دون طيار) ، ٣٠ حوامة اغوستابيل ب ـ ٢٠٥ ، ٢٤ حوامة سي هـ ـ ٥٣ ، ١٢ حوامة سوبر فريلون ، وعدد من طائرات النقل والحوامات الخفيفة الأخرى[٢٢] .

والجدير بالذكر ، ان الاسرائيليين استفادوا من التجربة الاميركية في حرب فيتنام حول النقل السريع بالحوامات للقوات الخاصة ، الى ارض المعركة ، او الى اماكن خلف خطوط العدو . كما استخدموا الحوامات ، بعد ان جهزوها بالصواريخ المضادة للدبابات ، في التصدي للدبابات العربية .

ودعما لاستراتيجيتها الهجومية ، التي تعتمد على سياسة الذراع الطويلة ، تستمر اسرائيل في تطوير وتحديث سلاحها الجوي ، وقد حصلت في بداية العام ١٩٧٧ على المقاتلة المتفوقة « ف ـ ١٥ » (النسر) ، التي تعتبر من اقوى المقاتلات في العالم .

استراتيجيه الاستخدام والمهام

ارتبط تطور سلاح الطيران الاسرائيلي وتطور تكتيكاته واساليب استخدامه، بأفكار شخصيات القادة الذين توالوا على قيادته . فبعد الجنرال اهرون ريمز ، الضابط السابق في القوات الجوية الملكيه البريطانية ، والذي قاد السلاح في حرب ١٩٤٨ ، استلم الجنرال شلومو شاير ، القائد السابق للبحرية الاسرائيلية ، السلاح في العام ١٩٥٠ . وخلفه في العام ١٩٥١ ، الجنرال حاييم لا سكوف ، الاخصائي بالمدرعات . وكان من النتائج

الحتمية لتعيين اشخاص كهؤلاء لا يستجيب تكوينهم لمتطلبات المنصب الذي يشغلونه ، تطور السلاح خلال الفترة ١٩٥٠ ـ ١٩٥٢ على الارض اكثر من تطوره في الجو . فانشئت القواعد الجوية ، وانشئت وحسنت مهابط جديدة ومساكن للفنيين والطيارين . وتم تزويد الطيارين بعدد كبير من المدارس الفنية والمهنية ومراكز التدريب ، وطبق الانضباط الصارم(٢٣) .

وفي العام ١٩٥٣ تسلم الجنرال دان طولوفسكي ، الطيار القديم في القوات الجوية الملكية البريطانية ، قيادة السلاح . وقلب مذهب هذا القائد ، جميع المفاهيم السائدة والمتعلقة بالاستراتيجية والتكتيك الجويين ، فعمل على تزويد سلاح الجو بطائرات مقاتلة حديثة ، لانه لا يمكن خوض حرب بدون اسراب المطاردات لحماية اسرائيل من وصول الطيران العربي اليها ، واسراب القانفات المقاتلة لنقل الحرب الى خارج حدودها . كما اصر على توفير السرعة والفاعلية للسلاح ، حتى يتلاءم مع الوضع الاستراتيجي الصعب لاسرائيل المحاطة باعدائها العرب . فركز على التدريب الراقي للطيارين والفنيين ، وعلى توفير التجانس والحداثة للطائرات وجعل للسلاح الجوي الافضلية المطلقة في مجال التطوير على باقي اسلحة الجيش الاسرائيلي(٢٤) .

بعد طولوكوفسكي ، تسلم الجنرال عيزر وايزمن ـ عام ١٩٥٨ ـ قيادة سلاح الجو الاسرائيلي . وكان وايزمن كسلفه ، مقتنعا بان السيطرة الجوية لا تتحقق الا بطيران سريع وفعال ومتجانس النوعية . وكان يؤمن بان مهمة السلاح الجوي الاساسية ، تقوم على ابادة القوى الجوية المعادية . وعندما تتحقق هذه المهمة وتصبح سماء اسرائيل امنع من ان تنتهك ، يستطيع الطيران الانصراف الى مهمته التالية التي تقوم على تقديم الدعم والعون للقوات الارضية . وقد عمل وايزمن على ان يكون سلاح الجو فعلا ، الاداة الرئيسية في استراتيجية نقل المعركة لارض الخصم .

وفي نيسان (ابريل) عام ١٩٦٦ ، خلف وايزمن ، الجنرال مردخاي هود . وتميزت فترة قيادته قبل حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، بالانهماك الكامل في التدريب العملي الشاق للطيارين والفنيين ومختلف الاخصائيين في السلاح(٢٥) . وقاد هود، السلاح الجوي الاسرائيلي في الضربة الصاعقة للطيران العربي على الارض ، في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ ، والتي كانت العامل الرئيسي في كسب الحرب . ويقول الون « املت الظروف الجيو ـ ستراتيجية والسياسية على اسرائيل خطة دفاعية لا تعترف بمفهوم التقهقر والانسحاب ، وتهدف الى نقل الحرب الى ارض العدو ، وتسعى الى تحطيم اكبر قدر ممكن من حشوده العسكرية في اقصر وقت . ويحقق الطيران القوي والفعال ، السرعه وكثافة النيران ، وقوة الصدمة المطلوبة بشكل اساسي ، لتنفيذ استراتيجية الحرب الخاطفه ، التي تعتمدها اسرائيل في نقل المعركه سريعا الى ارض الخصم .

ورغم ان المسرح الرئيسي للحرب المتوقعه كان على الاراضي ، فانه لم يكن من الممكن التفكير في نصر عسكري سريع ، بدون تفوق جوي . وعلى ذلك فقد تم توسيع القوة الجوية . لقد تطورت الى قوة متعددة الاغراض قادرة على الاشتباك في قتال جوي والهجوم على البر والبحر ، وتقديم معاونة للقوات البريه السريعة التقدم . كما اصبح لها القدرة على القيام بمهام اضافية عديدة مثل الاستطلاع والنقل وانزال القوات والمواصلات ، واعمال الاسعاف والانقـــاذ »(٢٦) .

ولتعزيز قوتها الجوية ، ركزت اسرائيل على تحقيق العوامل الفاعلة في الحصول على التفوق الجوي ، من مخابرات متفوقه ، وتخطيط مدروس ، وكفاءة الادارة والسيطرة

العالية ، والاستفادة من الطاقة الكاملة للطائرة والفني والطيار عن طريق دقة الاستخدام، المبني على التدريب الراقي والروح المعنوية العالية . وتنسجم التركيبة الجديدة لسلاح الطيران الاسرائيلي مع الاستراتيجية العسكرية الهجومية لاسرائيل ، اكثر مما كانت عليه قبل حرب حزيران ١٩٦٧ ، أذ أن جميع الطائرات الاميركية التي زودت بها اسرائيل هي طائرات هجومية ، فطائرة الفانتوم وان كانت تستعمل لجميع الاغراض ، الا انه بسبب حمولتها الكبيرة من المواد الحربية ، والتي تصل الى اكثر من سبعة اطنان ومداها الواسع (١٦٠٠ كم) هي قانفة اكثر منها مطاردة معترضة . وكذلك السكاي هوك القانفة الهجومية الخفيفة والتي تستطيع حمل اكثر من اربعة اطنان من المواد الحربية(٢٧) . وذلك بالاضافة الى ما لدى سلاح الجو الاسرائيلي من أدوات الكترونية حديثة ، غاية في التطور والتعقيد ، من وسائل كشف واستطلاع وتشويش وحرب الكترونية وصواريخ موجهة ، جو ــ جو وجو ــ ارض .

والجدير بالذكر ، ان الطيران مهما كانت فاعليته وتفوقه ، لا يمكنه حسم المعركة ، عدا معارك الصحارى المكشوفة ، والذي كان للتفوق الجوي دور حاسم فيها . والامثلة على ذلك واضحة ، ابتداء من الجزائر ، ومرورا بكوريا وفيتنام كنموذج للحرب بمختلف اشكالها ، والتي لم تتمكن القوة الجوية الهائلة ، والتفوق الجوي المطلق من قهر الارادة الصلبة للشعوب الثائرة وطليعتها المقاتلة .

الثورة الفلسطينية والتفوق الجوي الاسرائيلي .

نتيجة التطور السريع والهائل لوسائل وطرق الهجوم الجوي ، من طائرات اسرع من الصوت وصواريخ باليستيكية عابرة للقارات ، وصواريخ جوالة وطائرات موجهة (بدون طيار) ، علاوة على الوسائل الكونية ، التي تنطلق باسلحة الدمار من الفضاء الخارجي ، تعقدت مشكلة الدفاع الجوي . فوسائل الهجوم الطائرة ، وخصوصا الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة ، وبسرعة عالية جدا ، قادرة على الوصول الى اهدافها ومفاجأتها وضربها . وبالتالي لا يمكن للدفاع الجوي من تحقيق اغراضه الا بالاتي

١ ــ منع الضربة الجوية من الوصول الى اهدافها بتدميرها والقضاء عليها .

٢ ــ في حالة وصول الضربة الجوية الى اهدافها ، العمل على تخفيف اثارها ، حتى لا تكون مجدية ، ولا تحقق اغراضها .

٣ ــ آستخدام الردع الاستراتيجي ، ضد من يحاول القيام بالهجمات الجوية(٢٨) .

ويتطلب ذلك مستوى فنيا وتقنيا متطورا جدا ، وامكانيات باهظة التكاليف ، لا تتيسر الا للدول الصناعية الكبرى .

وفي ظروف حرب العصابات ، لا يتيسر للقائمين بها ، الاسلحة والوسائل الفنية القادرة على الانذار وحماية منطقة نشاطها . فكل ما يمكن توفيره ، في هذا المجال هو المدافع الخفيفة ، والرشاشات الثقيلة ، واحيانا الصواريخ الفردية المضادة للطائرات والتي تعتمد في استعدادها على وسائل انذار بدائية لا تتعدى في الغالب العين والاذن .

ولما كانت المقاومة الفلسطينية هي حرب عصابات في الاساس ، تسيطر على ارض عمل لها ، وتجابه عدوا لديه امكانيات جوية كبيرة ، بات من الضروري حل مشكلة الدفاع الجوي عن قواعد ومناطق الثورة . ويجب ان لا يغرب عن البال ، ان الامكانيات والوسائل المتيسرة في هذا المجال ، لا يمكنها بحال تدمير الاهداف الجوية المهاجمة ، ومنعها من

الوصول الى اهدافها، وكل ما يمكن عمله ، هو تلافي ضربات العدو الجوية ، وجعلها ضربات تطيش في الهواء ، وتقليل الاثار الناتجة عنها ، في حالة تمكنها من الوصول الى الاهداف الحية ، وتدمير بعضها . وبناء على ظروف الثورة ، يمكن ان يبني الدفاع الجوي على الاسس الاتية

١ ــ وضع نقط انذار ، مدربة على مراقبة وتمييز الطائرات ، ولديها احدث وسائل المراقبة والاتصال السريع ، على طرق اقتراب طيران العدو .

٢ ــ الاستفادة من وسائل الانذار الصديقة ــ كلما امكن ــ في التبليغ عن اقتراب طيران العدو .

٣ ــ وضع الاسلحة المضادة للطائرات ، من مدافع خفيفة ، ورشاشات ثقيلة ، وصواريخ فردية ان وجدت ، في مواقع مختلطة ودائرية ، حول الاهداف الحيوية ، والتجمعات السكانية .

٤ ــ اختيار العديد من المواقع الهيكلية والتبادلية ، لكل موقع دفاع جوي ونقطة انذار ، يتم الانتقال اليها على فترات زمنية قصيرة دوريا ، بحيث يتعذر على العدو الجوي مفاجأة الموقع وضربه ، بل قد يكون هو ضحية المفاجأة .

٥ ــ يكون لقواعد المقاتلين ومناطق التجمع والتدريب ومخازن الاحتياجات الحيوية اماكن تبادلية ، ينتقل اليها الافراد والمعدات والاحتياجات الاخرى ، بصفة دورية ، فالتواجد في مكان واحد ولفترة طويلة ، يسهل على العدو الجوي تحديد الهدف بدقة ومفاجأته. والجدير بالذكر ان هناك ميلا غريزيا لدى الافراد للاستمرار في المكان الذي اعتادوه . فبمرور الزمن يتمو رباط من الالفة بين الفرد والمكان حيث يكون الفرد قد وفر في مكانه بعض وسائل الراحة،، وربما بعض العلاقات مع المواطنين ، وهنا يكمن الخطر . فعلى القادة والكوادر توعية عناصرهم على اهمية الانتقال المستمر حفاظا على حياتهم وامنهم .

٦ ــ الاهتمام بالاخفاء والتمويه ، وسرية التنقل ، وتطهير المحيط من العملاء .

٧ ــ اما الموضوع الاكثر اهمية والحاحا فهو الحفر وبناء الملاجيء . فالقول الشائع « احفر او تموت » ، له ما يبرره ، فكثيرا ما انقذت الملاجيء ، وحتى الحفر البسيطة ، العديد من الارواح . وهناك العديد من القصص الحية ، لمقاتلين انقذتهم حفرة ، او خندق محفور في الارض ، من اطنان المتفجرات التي انهالت عليهم بلا هوادة .

٨ ــ انتشار المقاتلين بعيدا عن قواعدهم ، فهو ، بعد الحفر ، احدى الوسائل السلبية الهامة في الدفاع الجوي . ومن المهم التنبيه الى ان هذه الطريقة ، اذا لم تنفذ بشكل منظم مسبقا ، الى اماكن مدروسة ومختارة جيدا ، يمكن منها قيام المقاتلين بتفس واجباتهم ، تكون بعثرة للقوى ، وتؤدي الى نتائج سلبية ، وخصوصا عند قيام العدو بهجوم ارضي ، مستغلا ضرباته الجوية . ولهذا كان لا بد من التحذير ، من الانتشار العشوائي للمقاتلين، الذي قد يحميهم من الهجوم الجوي ، ولكنه يعرض اهدافهم الى أشد الاخطار .

٩ ــ ازالة اثار الضربات الجوية ، وسرعة الاخلاء للاصابات ، واطفاء الحرائق ورفع الانقاض وتطهير الطرق من اثار الانفجارات .

وبعد، فاسرائيل التي جعلت من التفوق الجوي، اساسا لاستراتيجيتها في نقل المعركة بسرعة الى الارض العربية المحيطة بها، استوحت من نظام القواعد الجوية البريطانية، ثم

الاميركية ، أن الطائرات تقدم قوة ضاربة وطاقة تدميرية كبيرتين ، بقوة بشرية ضئيلة نسبيا ، وبالتالي بخسائر ضئيلة للغاية في العمليات العسكرية . فالمدى الواسع الذي تستطيع الطائرات العمل فيه يثبت يد اسرائيل الطويلة ، وقدرتها على ضرب الاهداف العربية البعيدة ، بكل ما لهذا من تأثير على المعنويات العربية ، والاقتصاد العربي[٢٩] . وبالتالي يمكن التأثير على الثورة الفلسطينية وجعل قاعدة انطلاقها ، الى الأراضي المحتلة ، ليست مهددة من العدو فحسب ، ولكنها مغلقة بفعل الصديق ايضا ، بدعوى اتقاء الانتقام الاسرائيلي . ومن نافلة القول ، تأكيد عبث محاولة الثورة الفلسطينية منازلة العدو في مجال تفوقه الجوي . صحيح ان لكل فعل عملا مضادا قادراً على الوقوف مواجهة واجهاض اثاره ، ولكن ليس بالضرورة ان يكون الوجه الاخر له .

والمطلوب اذن هو اتباع اسلوب مصارع الثيران ، في مواجهة الثور الهائج الذي يفوقه قوة بما لا يقاس ، فعلينا ان نطيش ضربات العدو ، ونستنزف قواه قطرة قطرة . نلتحم به ، ثم نجهز عليه في النهاية .

ولا تزال قصة انتصار الثورة الفيتنامية ، ملحمة بطولة ، ماثلة في الاذهان ، حيث لم تستطع مئات الالاف من اطنان المتفجرات ، التي القتها الاف الطائرات الاميركية ، كسر ارادة شعب صمم على الانتصار . ومهما كانت امكانيات العدو الاسرائيلي ، وتفوق قوته الجوية ، فان انتصار الثورة بامتدادها العربي الهائل ، وبمساندة قوى الاحرار في العالم ، ليس فقط في حدود الممكن ، ولكنها حتمية تاريخية .

---

(١) اللواء الطيار الركن علي لبيب ، « التطور الكبير في وسائل التهديد الجوي ووسائل الدفاع » ، **الدفاع العربي** ، العدد العاشر ، تموز (يوليو) ١٩٧٨ ، ص ١٨ .

(٢) هشام عبد الله ، « سلاح الطيران الاسرائيلي » ، **شؤون فلسطينية**، العدد ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٢ ، ص ٩٣ .

(٣) الدفاع الجوي ،**الموسوعة العسكرية**،الجزء الثاني ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩ ، ص ٣٨٠

(٤) المصدر نفسه ، ص ٢٨٧ .

(٥) المصدر نفسه ، ص ٢٨٩ .

(٦) اللواء خضر الدفراوي ، « الثغرة في انظمة الدفاع الجوي » ، **الدفاع العربي** ، العدد التاسع ، حزيران (يونيو) ، ص ٤٦ .

(٧) لبيب ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٨) الدفاع الجوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٨١ .

(٩) المصدر نفسه ، ص ٢٨٣ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص ٢٨٥ .

(١١) المصدر نفسه ، ص ٢٨٦ .

(١٢) ستيفان جايزنهاينر ، « نظام الدبابة المضادة للطائرات » ، **الدفاع العربي** ، العدد العاشر ، تموز (يوليو) ص ٢٦ .

(١٣) المصدر نفسه ، ص ٢٧ .

(١٤) الدفاع الجوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٨٨

(١٥) الدفراوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤٢ .

(١٦) الدفاع الجوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٧٩ .

(١٧) ستيفان جايزنهاير مصدر سبق ذكره ص . ٢٨ .

(١٨) اللواء خضر الدفراوي ، « النظام الفقير والنظام الغني في مواجهة احطر وسائل الهجوم الكوني » **الدفاع العربي** ، العدد الثاني عشر ، ايلول ، (سبتمبر) ١٩٧٨ ، ص . ٥ .

(١٩) رياض الاشقر ، « **سلاح الجو الاسرائيلي** » ، بيروت ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٥ ، ص ١٥ .

(٢٠) المصدر نفسه ، ص ١٧

(٢١) المصدر نفسه ، ص٢١ .

(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٢٩ .

(٢٣) هيثم الكيلاني . **المذهب العسكري الاسرائيلي** ، بيروت ، مركز الابحاث ، منظمه التحرير الفلسطينيه ، ١٩٦٩ ، ص ٦٥١

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٦٥٢ .

(٢٥) المصدر نفسه ، ص ٦٥٨

(٢٦) ايغال الون ، **انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي** (ترجمه عثمان سعيد) بيروت ، دار العودة ، تشرين اول (اكتوبر) ١٩٧١ ، ص ١٧٢ .

(٢٧) عبد الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٣ .

(٢٨) اللواء خضر الدفراوي ، مصدر سبق ذكره ، ص ٥٧ .

(٢٩) عبد الله ، مصدر سبق ذكره ، ص ٧٩ .

د. محمد عبد الرؤوف سليم

الحيازة الفردية في الزراعة اليهودية في فلسطين حتى قيام دولة إسرائيل

لعل المزارع الجماعية والتعاونية في المستوطنات اليهودية ، قد غطيت جيدا في الدراسات العربية المعاصرة . لكن هذه الدراسات لم تعط ، بعد ، الحيازات الفردية للاراضي اليهودية في فلسطين الاهتمام الكافي ، ربما لآن الطابع البارز في الزراعة اليهودية بفلسطين كان الطابع الجماعي والطابع التعاوني.

وكان أغلب الملكيات اليهودية الخاصة من الارض ينتمي للملكيات الصغيرة في حين ينتمي بعض هذه الملكيات الى فئة الملكيات المتوسطة . نلك ان الملاك الكبار انعدم وجودهم بصفة عملية بين اليهود في فلسطين نتيجة للظروف التي عاشها المستوطنون في مرحلة بناء الوطن القومي اليهودي ، فندر أن نجد منهم من يمتلك مزرعة مساحتها الف دونم ، كما ان البعض القليل منهم كان يمتلك بضع مئات من الدونمات ، اي ان « النمط العربي » في ملكيات الأرض انعدم بين المستوطنين اليهود . على ان ما تجدر الاشارة اليه هو ان تصنيف الملكيات اليهودية الخاصة الى ملكيات كبيرة ومتوسطة وصغيرة اذا طبق على اليهود ، فان الأمر يستلزم تعديلا جوهريا حتى يتناسب مع الحقائق المتعارف على وجودها في المجتمع الزراعي في فلسطين . فيجب ان توضع في الحسبان استثناءات خاصة بالنسبة الى وسائل الري التي طبقت في الاراضي اليهودية ، فضلا عن السمات التي انفردت بها المستوطنات اليهودية من حيث نوعيات المحاصيل والالات الزراعية المستخدمة والطرق المتبعة في الزراعة اليهودية ، قبل النظر في تحديد فئات الملكية اليهودية ، نظرا لآن هذا التحديد يجب ان يتم باسلوب مختلف الى حد ما عندما نضع في الاعتبار المجتمع الزراعي في فلسطين ، ككل ، بما في نلك نظام الملكية في القرى العربية . ويقودنا هذا الاسلوب الى القول بآن من يمتلك من العرب قطعة ارض تمتد على مساحة خمسمائة دونم يعتبر مالكا متوسطا ، بينما من يمتلك نفس المساحة من اليهود يوضع في عداد فئة كبار الملاك . ومع ندرة كبار الملاك من اليهود ، فان من امتلك منهم خمسين دونما وضع في عداد الملاك المتوسطين . والحق ان الباحث يجد ان من المألوف في القرية اليهودية ، وبشكل خاص بعد التقدم في بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، ان الملكيات كانت صغيرة ذات مساحات مختلفة .

وتبعا لاحصاء الزراعة اليهودية الذي جرى عام ١٩٢٧ كانت هناك ٢٨٦ ملكية فردية ، اي مزارع فوق ارض يمتلكها الفلاحون اليهود انفسهم تقع في مساحة تتراوح بين مائتين وثلاثمائة دونم لكل منهم ، وقد وصل اجمالي مساحة تلك الملكيات في نفس العام الى ٧١,٨٥٩ دونما . وفي مقابل ذلك ، بين الاحصاء وجود ٢٤٤ ملكية على مساحة ثلاثمائة دونم ، بحيث يصل اجمالي مساحتها الى ١٤٥,٠٠٢ دونما . ويمكن تفسير هذه الارقام بالنظر الى توسع الوكالة اليهودية في مجال التوطين الزراعي ، ذلك التوسع الذي شكل نقطة التحول في مجال بناء الوطن القومي اليهودي في فلسطين . وكان الميل السائد من جانب ذوي السلطة في الوكالة يتجه الى تقليص مساحة الملكية الزراعية الفردية بانتظام وباستمرار داخل المستوطنات اليهودية التي تأسست حتى عام ١٩٢٧ (١) .

وبناء على ذلك ، وتبعا لاحصاء عام ١٩٢٧ المشار اليه يكون عدد الملكيات الفردية اليهودية في مستوى مائتي دونم فاكثر ، قد نما الى ٤٣٤ مزرعة ، وقد قدر أن المزرعة تضم كلا من الارض التي ملكها المستوطن والارض التي استأجرها .

على انه يمكن التمييز بين فترتين متمايزتين في مرحلة البناء اليهودي الاستيطاني في فلسطين . تبدأ الاولى مع بداية عملية التوطين حتى انتهاء الحرب العالمية الاولى ، او بين عامي ١٩٢٠,١٨٨٠ ، حيث امتلك المستوطنون ملكيات متوسطة . فكان كل منهم يمتلك عدة مئات من الدونمات . اما الفترة التالية ، فتبدأ عام ١٩٢١ وتمتد حتى نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين حيث بدأت الوكالة اليهودية تنشيط عمليات التوطين الزراعي ، على نطاق واسع ، وكان طابع الملكية الصغيرة هو السائد . لقد كانت ملكية المستوطن تنكمش مساحتها بصفة مستمرة ، حتى برزت فئة جديدة من المستوطنين كانت ملكية كل منهم تكون جزءا فقط من الملكية في الفترة الاولى .

لقد تعلم قدامى المستوطنين دروسهم في الزراعة من جيرانهم من سكان البلاد الاصليين من خلال ملاحظة ماذا يفعلون ثم التقليد ، فصار عملهم نسخا مما كان يجري في الملكيات الكبيرة في القرى العربية ، كما اسس اليهود مزارعهم على مساحات كبيرة ، متاثرين بالتأكيد بالاحوال والظروف السائدة في بلادهم الأصل، حيث كان من المعتاد وجود ملكيات زارعية كبيرة .

والحق ان احدى الملامح التي تميزت بها المستوطنات اليهودية في السنوات الاربعين الاولى من البناء التوطيني اليهودي في فلسطين تمثلت في وجود الملكيات الكبيرة (من ٢٥٠ دونم الى ٣٠٠ دونم) . ففي المستعمرات التي اسسها روتشيلد في اليهودية والسامرة والجليل كانت الملكيات تمتد في الاغلب على مساحات كبيرة . على ان الذين استوطنوا تلك المستعمرات قاوموا كثيرا من العقبات كما حدث في ريشون لوزيون ونس زيونا وبتاح تكفا والخضيرة (٢) .

ويلاحظ وجود ملامح القرية العربية في المستعمرات اليهودية الاقدم ، مثل بعثرة الملكية في داخل نطاق القرية ، فلم تكن ممتلكات المستوطن مركزة في قطعة واحدة وانما كانت موزعة في انحاء المستعمرة، حيث قسمت المستعمرة الى مناطق مختلفة تبلغ عشر مناطق او اثنتي عشرة منطقة . وكان زمام مستعمرة ميلاهيميا(٣) – على سبيل المثال – يشغل

مســـــــاحة ثمانية الاف دونم ، مقســــــمة الى اربعة عشـــــر حوضـــــا زراعيا ، وكان كل مســــــتوطن يمتلك جزءا في كل منهـــــا ، مما بعثر ممتلكاته في اربعة عشر منطقة . ولم تكن التجزيه في الملكية الفردية اليهودية سائدة على اي حال في كل المستوطنات (٤) .على ان هناك عديدا من الوقائع تدل على ان بعض المستوطنين كانوا يهجرون مزارعهم بحثا عن حياة افضل في المدن وهربا من خشونة العيش في الريف حيث الحياة الزراعية التي لم يألفها اليهودي المهاجر في بلده الاصل ، حتى ان المحاولات الاولى لانشاء مستعمرة روش بناه عام ١٨٧٨ على اطراف وادي الحولة قد انتهت بالفشل حيث هجرت القرية بعد مدة وجيزة من الزمن بسبب نقص رؤوس الاموال وقلة الخبرة الزراعية ، ولم تبعث فيها الحياة من جديد الا بعد وصول الموجة الاولى من الهجرة اليهودية بعد ذلك بنحو اربع سنوات (٥) .

وكانت الملكية الفردية اليهودية تعتمد ايضا على نوع المحصول ، حيث التبعيّة ونوعية التربة المتباينة الخصوبة في فلسطين . وكان معيار انماط المستوطنات اليهودية خلال فترة التوطين الاولى يميل نحو مزارع الحبوب . فحتى يتمكن المزارع من توفير ما يلزمه من الحبوب ، كان عليه ان يحوز ارضا اوسع . والحق ان اغلب المستوطنات الزراعية التي اعتمدت على زراعة الحبوب ، تميزت باتساع المساحة . وقد استمرت هذه السمة في تلك المزارع التي حافظت لدرجة كبيرة على نمطها العام . حقيقة ان المستوطنات التي ادخلت زراعة الكروم واللوز استمرت مساحة الملكية فيها على حالها ، غير انه حدث تغير ملحوظ مع ادخال زراعة البرتقال ، ثم الحمضيات الاخرى . ذلك ان زراعة البرتقال تطلبت استثمار رأس مال كبير ، بذل في استخدام وسائل الري الحديثة وغرس الاشجار ، وتغطية النفقات الكبيرة للزراعة مدة طويلة حتى تنضج الثمار ، الا ان تلك الثمار كانت تقدم عائدا كبيرا حيث كان الانتاج حكرا على مجموعة من المستثمرين . وقد بيع معظمه باثمان عالية في اسواق اوروبا . ثم انتشرت هذه المزارع خلال فترة ما بين الحربين العالميتين ، حيث احتلت زراعة البرتقال مكانا وسطا في الزراعة في فلسطين بشكل عام (٦) .

لقد بدأت المستوطنات اليهودية بداية طيبة ، وكان اجمالي مساحة الاراضي المزروعة باشجار البرتقال لا يزيد عن تسعة وعشرين الف دونم منها عشرة آلاف دونم يزرعها اليهود . وقد اتسعت هذه المساحة من وقت لآخر ، وبصفة خاصة منذ عام ١٩٢٦ حيث زرعت مساحات كبيرة باشجار الحمضيات . ثم ارتفع اجمالي مساحة مزارع الحمضيات الى ثلاثمائة الف دونم في عام ١٩٣٩ ، بينما امتلك اليهود نصف تلك المزارع تقريبا . ثم فقدت مزارع البرتقال مكانتها بعد ذلك ، اذ توقف تصدير الحمضيات الى البلاد الاوربية مع نشوب الحرب العالمية الثانية ، مما سبب ازمة حادة في صناعة الحمضيات ، فهجرت حدائق البرتقال بسبب الحاجة الى المحافظة عليها ، ثم خرب بعضها ، واقتلعت الاشجار في البعض الاخر . وتقلصت بذلك جملة مساحة الارض المزروعة باشجار البرتقال الى ربع مليون دونم في عام ١٩٤٠ ، امتلك اليهود منها مائة وعشرين الف دونم .

وكانت مساحة مزرعة الحمضيات اقل عادة من مساحة مزرعة الحبوب ، حيث تراوح معدل مساحة مزرعة الحمضيات بين عشرين وخمسين دونم .والحقيقة انه وجدت مزارع

حمضيات بلغت مساحة الواحدة منها مائة دونم غير ان عددها كان صغيرا ، وعلى ذلك وقعت مزارع الحمضيات في عداد الملكيات الصغيرة التي مثلت انتقالا الى نظام للري المتطور . (٧)

ويسجل مصدر رسمي للوكالة اليهودية ان الانتاج الزراعي كان مشجعا في اواسط الثلاثينات من هذا القرن ، حيث نال المستوطنون عائدا ماليا معقولا . وقد اقترن ذلك التشجيع بنتائج جيدة في زراعة الحمضيات ومزارع الاشجار المثمرة خاصة في المزارع المروية ، مع الارتفاع في السوق الخارجية ، مما زاد من الاتجاه نحو اقامة مستوطنات على مساحات صغيرة .(٨) وقد حقق انتاج الحمضيات اعلى اسعار في موسم ١٩٢٧/١٩٢٨ ، حيث كان نصيب اليهود من ذلك الانتاج يعادل ستين في المائة من مجمل الانتاج في فلسطين(٩) :

وقد امد المزارع اليهودي السوق الداخلية بمنتجات زراعية بلغت قيمتها ٤٢٤,٠٠٠ جنيه فلسطيني عام ١٩٢٥ مقابل ٢١٢,٠٠٠ جنيه في العام السابق . (١٠) كما بلغ اجمالي ثمن الانتاج الزراعي اليهودي خمسة ملايين جنيه فلسطيني عام ١٩٣٤/١٩٣٥ (١١) ، بينما كان المصدر من الحمضيات ١١,٤٩٤,٠٠٠ صندوق في الموسم الزراعي ١٩٣٦/١٩٣٧ مقابل ١٠,٧٩٥,٠٠٠ صندوق في الموسم السابق عليه حيث بلغت قيمة المصدر منها ٣,٩٠٨,٠٠٠ جنيه فلسطيني . (١٢)

ويشير جرانوت الى ان تطوير وسائل الري ، وترقية وسائل استخدام التربة ادى الى جني عائد مالي كبير عوض المساحة الصغيرة من الارض المنزرعة ، حتى اصبح طابع الملكيات الصغيرة سائدا منذ ان اصبح المستوطن اليهودي على خبرة في زراعة الارض المروية . وقد قلت مساحة الملكيات اليهودية من الارض في الفترة ما بين الحربين العالميتين بشكل ملحوظ .

واصبح الري ممكنا مع اكتشاف مصادر جديدة للمياه في اجزاء عديدة من فلسطين كانت تعتبر ارضا جرداء أو يعز وصول المياه اليها ، واتسع بالتالي نطاق الزراعة المختلطة ، ومن هنا توفرت فرص تقليص حجم الملكيات في المزارع المختلطة . وكان ذلك شيئا ضروريا طالما انه لم يكن من حق المستوطن استعمال كل المياه التي توفرت له ، وانه كان عليه ان يزرع ارضه بنجاح . وقد ثبتت الملكيات في خطط التوطين اليهودي في الفترة الاخيرة من الانتداب البريطاني على فلسطين في نطاق جزء فقط من مساحتها السابقة ، بل ان حجم الملكيات قل في المستوطنات القائمة عن طريق اضافة مستوطنين جدد اليها . ومن هنا وجدت اراضي غير مشغولة بالاستيطان امكن انشاء مزارع جديدة عليها وبذلك امكن انشاء مستوطنات جديدة . وكان هناك العديد من المستوطنات التي انكمشت فيها مساحة الملكية لدرجة ان الارض التي تركت غير مشغولة ، امكن اقامة مستوطنات كاملة فوقها . ومع التوسع في المزارع المختلطة كان هناك ميل مؤكد لتقليص مساحة الملكية من مائة دونم الى ستين دونم ، او من ستين دونم الى اربعين دونم او من خمسين دونم الى خمسة وعشرين دونم ، او اقل بحسب خصوبة التربة وكمية المياه المتوفرة للري .

ومثالنا على ذلك مستوطنة كفارها سيديم التي تأسست عام ١٩٢٤ . لقد ثبتت الملكية الزراعية في بادىء الامر فكانت في حدود مائة وخمسين دونما ، ثم انكمشت الى مائة دونم بعد اثنتي عشرة سنة من انشائها . وكانت تعلة الوكالة اليهودية الى ذلك تكمن في ان توفير مياه الري

مكنت من زراعة الارض بشكل يستغل التربة على نطاق واسع ، وان المستوطنين الذين كانوا وقت وصولهم الى المستوطنة في دور التدريب على الزراعة قد اصبحوا ذوي خبرة . كل هذه العوامل دفعت الوكالة اليهودية الى توفير ٤,٢٠٠ دونمات او ما يقرب من ثلث المساحة التي شغلتها المستوطنة في بادىء الامر (١٢,٠٠٠ دونم) بهدف توطين مهاجرين جدد(١٣) .

ومع انشاء المستوطنات في الجليل في عامى ١٩٢٢ ــ ١٩٢٣ ، كان حجم الملكية الزراعية في هذه المنطقة قد ثبت في حدود ثلاثة وعشرين وخمسة وعشرين دونما ، منها سبعة عشر او ثمانية عشر دونما ارضا مروية . وكان الغرض يكمن في انشاء مزارع مختلطة تشمل مزارع الحمضيات وغيرها من اشجار الفواكه والعلف والخضر . كذلك كانت اغلب المستوطنات التي انشئت في السهل الساحلي تعتمد على مزارع الحمضيات . وكانت الملكية الزراعية في تلك المنطقة تتشابه بصفة عامة في الحجم مع الملكية الزراعية في الجليل ، بل ان الملكية تقلصت مساحتها في الجليل في عدد من المستوطنات . وعلى سبيل المثال ، خصص لكل مستوطن خمسة عشر دونما كان نصفها مزروعا بالحمضيات ، بينما خصص الباقي لزراعة العلف والخضر .

والى جانب المزرعة المشتركة التي اتسمت بها الزراعة اليهودية بشكل عام ، برزت المزارع وحيدة المحصول مثل مزارع الخضر ومزارع تربية الدواجن سواء تلك التي تنتج اللحم او البيض، وبساتين الزهور. وقد تركزت المزارع وحيدة المحصول في المستوطنات المتاخمة للمدن حيث اقتربت من السوق الاستهلاكية. فتكررت تلك الظاهرة في سهل شارون وحول تل ابيب مثل مزرعة كفارازار ، (١٤) التي انتجت الخضر كمحصول رئيسي ، ومزرعة راموت هاشا فيم ، (١٥)التي انتجت الخضر ووجدت بها محطات تربية الدواجن . وقد تحددت الملكية في المستوطنات ذات الطابع نفسه بما يتراوح بين اربعة وخمسة دونمات ، بينما اتسعت مساحة الملكية لتنبسط على تسعة او عشرة دونمات اذا تواجدت حدائق صغيرة لزراعة البرتقال ، حيث سميت تلك المزارع بالمزارع الاضافية التي كانت صغيرة لا تحقق الاكتفاء الذاتي لمالكيها . ولم يعد مالكو هذه المزارع زراعا ، طالما انهم كانوا يحققون الجزء الاكبر من نفقات معيشتهم عن طريق مصادر اخرى للرزق ، حيث كانت مزارعهم تقوم بدور اضافي فقط في هذا المجال . وقد تكرر هذا النمط من المزارع كظاهرة في الزراعة اليهودية ، مرتبطة بعملية التوسع الاستيطاني في المستوطنات الكبيرة وبصفة خاصة ، تلك المستوطنات التي مثلت مراكز كبرى لتوطين الالاف من العمال اليهود ، فكانت بمثابة هامش اضافي يعين العمال وكاستمرار اقتصادي . ذلك ان العمال الذين عملوا في المدن ، وجدوا بهذه الطريقة امتدادا ريفيا للمناطق الحضرية التي تحقق فيها مجال عملهم الاساسي . غير ان الواضح ، ان المزرعة الاضافية كانت أشبه بمزرعة مختلطة في صورة مصغرة ، كانت الملكية فيها على نطاق ضيق طالما كان حجم المزرعة الاضافية لا يتعدى ــ في معظم الاحوال ــ دونمين ، بل ان الحجم هبط في بعض الاحيان الى دونم واحد فقط .

وتبعا للاحصاء الزراعي اليهودي الذي اجري في موسم ١٩٤١/١٩٤٢ ، كان عدد المزارع الاضافية ٤,٦٦٩ مزرعة . وكان حجم الملكية في ٣,٤٥٤ مزرعة منها (اربعة وسبعون في المائة من العدد الاجمالي) يتراوح بين دونم ودونمين فقط ، بينما كان حجم الملكية في ٧٢٣ مزرعة منها (١٥,٥ في المائة من العدد الاجمالي) يترواح بين دونمين وخمسة دونمات ، في حين

ارتفع حجم الملكية الى خمسة دونمات في ٤٩٢ مزرعة .

ويستنبط من نفس الاحصاء توزيع مهني لملاك المزارع الاضافية (١٦) يوضح ان اغلبهم كانوا يعملون في المدن في مجالات الصناعة والحرف اليدوية والبناء والاشغال العامة والنقل والمواصلات والخدمات والمهن الحرة (١٧)

وقد حقق هذا التوزيع الاستيطاني تنسيقا فريدا في نوعية الدخل والانتاج في المستوطنات التي اسستها الوكالة اليهودية والكيرين هايسود حسب متطلبات الاستهلاك المحلي تشهد عليه الارقام التالية وتوضح دخل مستوطنات الكيرين هايسود في عام ١٩٢٦ (١٨)

الانتاج	قمح	خضروات	حمضيات وفواكه أخرى	عنب	موز	البان	بيض
حجمه	طن	طن	طن	طن	طن	لتر	بالواحدة
	٧,٠٠	٥,٠٠٠	٣,٠٠٠	١,٤٥٠	٤٨٠	١٦,٢٢٨,٠٠	١٩,٧٥٧,٠٠
نسبته المئوية لمجمل الانتاج اليهودي	٦٤,٣	٤٣,٣	٧٥	٦٥,٢	٥٢,١	٤٨,٩	٥٠

ولم يكن انتاج مستوطنات الوكالة اليهودية منفصلا عن الانتاج الزراعي في فلسطين ككل ، وانما كان معدله يتبع خطا يسير في اطار التكامل الانتاجي الزراعي في فلسطين بما في ذلك الانتاج الزراعي العربي واليهودي الذي تحدده ارقام الاحصائية التالية بالطن المتري (١٩) .

المحصول	١٩٢٩	١٩٣٠	١٩٣١	١٩٣٢	١٩٣٣
قمح	٨٧,٨٧٣	٨٧,٣٢٩	٧٩,٥٠	٥١,٠٧٣	٤٤,٤٤٧
شعير	٤٦,٢٤٠	٦٠,٠٧١	٤١,٢٠٠	٢٤,٣٠٠	٢٣,٩٢٦
عدس	٣,٨٤٠	٢,,٨٠٠	٣,٧٥٨	١,٦٠٦	١,٥٤٧
	٢,٩٧٧	٣,٢٨٤	٣,٦٧٠	ــ,٧٦٨	٠,٦٥٥
حمص	١,١٨١	١,٢٨٨	١,٠٦٤	١,٤١١	٣,٣٧٣
ذرة	٣١,٤٣٩	٣٧,٠٥٨	١٦,٥٦٢	١٥,٤٥٢	٨,٨٦٠
سمسم	٤,١٦٩	٢,٣٦٥	٢,٠٢٤	ــ,٤٤٩	ــ,٢١٤
زيتون	١٠,٥٠٠	٢,٩٩٣	٣,٩٠٦	٦,٥٥٩	٣,٥٩٩
بطيخ	١٦,٢٩٨	١٤,٨٤٠	٢٢,٠٥٩	٣٢,١٢٥	٢٠,٤٣٤
عنب	٥,٣٤٥	٥,٩٣٦	٨,٢٩٥	٢١,٦٥٣	١٢,١٤٨
طباق	١,١٩٤	ــ,٩٥٣	ــ,٥٠٤	ــ,٥٧١	ــ,٤٠٢
خضروات	١٥,٩٦٣	١٢,٨٦٥	١٥,٠٦٨	٢٤,٢٧١	٢١,٣٠٥

ويمكن التمييز بين ستة فئات من الملكية تبعا لطابع المزارع في المستوطنات اليهودية ، ووفقا لمساحة الارض اللازمة لكل مزرعة .

١ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين مائتين ــ وثلاثمائة دونم في المستوطنات القديمة التي كانت تزرع الحبوب .

٢ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين مائة ومائة وخمسة وعشرين دونما في المزارع المختلطة .

٣ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين اربعين ـ وستين دونما في المناطق التي تقع في نطاق التلال والآكام .

٤ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين عشرة ــ وخمسة وعشرين دونما في المزارع المختلطة بالاراضي المروية .

٥ ــ ملكيات مساحتها تتراوح بين خمسة ـ وعشرة دونمات في المزارع الصغيرة .

٦ ــ دونم واحد وخمسة دونمات في المزارع الاضافية[٢٠] .

وقد بلغ عدد المستوطنات اليهوديةالتي انشأتها الوكالة اليهودية والكيرين هايسود حتى عام ١٩٣٦ ، ثمانية وثمانين مستوطنة استوعبت اربعة وعشرين الف واربعمائة مستوطن بلغ اجمالي مساحتها مائتين وتسعة وستين دونمازرع منها ١٢,١٠٠ دونم حمضيات وتسعة الاف دونم محاصيل متنوعة اخرى ، و ١٤,٢٠٠ دونم محاصيل مروية ، ١٧٧,٢٠٠ دونم محاصيل غير مروية ، كما وجدت في تلك المستوطنات ثمانية الاف وخمسمائة رأس من الابقار الحلوبة[٢١] .

ثم حدثت توسعات في تطوير نظم الري ، فزادت مساحة الاراضي المروية اليهودية من خمسة وعشرين الف دونم في الموسم الزراعي ١٩٣٦/١٩٣٧ الى مائة وستة الاف دونم في عام ١٩٤٥ . وقد نجم عن ذلك توسع في انشاء المستوطنات الزراعية ، فأنشئت في سنوات الحرب العالمية الثانية اثنتين وخمسين مستوطنة ، ثم تبع ذلك ارتفاع في معدل الانتاج الزراعي مع التوسيع في تطبيق نظام المزارع المختلطة بنسبة ثلاثة وسبعين في المائة مقابل عشرين في المائة في المزارع العربية[٢٢] .

وقد اورد جرانوت احصائية[٢٣] عن التوزيع الاقليمي للحيازات اليهودية في اراضي الضفة الغربية ووادي عكا والجليل ووادي الاردن ، واحصائية اخرى[٢٤] توضح ارقامها حجم الحيازات في المزارع الفردية اليهودية ، يستخلص منها النتائج الحسابية التالية .

المساحة	احصاء ١٩٢٧	احصاء ٤١ ــ ١٩٤٢
اقل من ١٠ دونم	١٩,٦٪	١٥,٤٪
من ١٠ الى ٥٠ دونم	٢٥,٢٪	٦٠,٨٪
من ٥٠ الى ١٥٠ دونم	٣٢,١٪	١٥,٩٪
من ١٥٠ دونم فأكثر	٢٣,١٪	٧,٩٪

ومع الهبوط النسبي في عدد الحيازات الاقل من عشرة دونمات ، ارتفع عدد الحيازات المتوسطة التي تتراوح مساحتها بين عشرة دونمات وخمسين دونما بما يربو على الضعف ، بينما

هبط عدد الحيازات التي تتراوح مساحتها بين خمسين دونما ومائة وخمسين دونما الى النصف تقريبا ، مع هبوط عدد الحيازات الكبيرة الى الثلث .

وبالمقارنة بين ارقام الاحصائيتين سالفتي الذكر نجد ان اجمالي عدد المزارع الخاصة تزايد كثيرا (من ٣,١٢٩ مزرعة الى ٨,٧٩٢ بنسبة تصل الى ٢٨١ في المائة). اما بالنسبة لمختلف أنواع المزارع ، فان الملاحظة الاولى تتمثل في عدم تحقيق اي تزايد في عدد المزارع الصغيرة التي لا تزيد عن خمسة دونمات فيما عدا المزارع الاضافية الخاصة بالعمال في المستعمرات الاقدم التي تنفرد بنوع خاص بها . كذلك هبط عدد المزارع التي تقل مساحتها عن دونمين ، فانحدرت نسبتها الى ربع حجمها السابق . اما الحيازات التي تتراوح بين دونمين وخمسة دونمات فقد بقيت على حالها ، بينما هبطت نسبتها الى اربعين في المائة مما كانت عليه عام ١٩٢٧ . وكان هناك تناقص مشبوه في عدد الحيازات الكبيرة التي تزيد مساحتها عن مائتي دونم ، فهبط العدد من ٥٣٠ حيازة الى ٤٣٤ بنسبة ثمانية عشر في المائة . وتسجل الارقام صعودا طفيفا من مائة الى مائة وخمسين دونما بين الفئات التي تتراوح الحيازة فيها بين خمسين ومائة دونم ، وفي نفس الوقت يتضاعف عدد المزارع المتوسطة المساحة (من ٢٥ الى ٥٠ دونم) الى اربعة اضعاف ، غير ان نسبة الزيادة كانت اقل (من ١٢ الى ١٨,٨ في المائة) . اما الزيادة البارزة بشكل اكبر فتلاحظ في الحيازات التي تتراوح بين عشرة وخمسة وعشرين دونما . فبدلا من ٤١٤ مزرعة كانت موجودة في عام ١٩٢٧ ، اصبحت هناك ٣,٦٩٢ مزرعة في عام ١٩٤١/١٩٤٢ ، اي ان عدد تلك المزارع زاد الى تسعة اضعاف .

ويتضح من التحليل الرقمي لكل من الاحصائيتين المشار اليهما انفا ان السمة الغالبة لنمو قاعدة التوطين الزراعي اليهودي كانت بارزة بوضوح . ذلك ان تغييرات جوهرية حدثت في الفترة بين اجراء الاحصائين . فقد وضع المستوطنون في الفترة التالية للحرب العالمية الاولى نصب اعينهم تطبيق مبدأ العمل الذاتي ، بمعنى ان يتولى المزارع واسرته امور الزراعة دون الاستعانة بعامل اجير ، مع تحديد حجم الزيادة حتى لا تتطلب عملا يزيد على طاقته .

كذلك تبرز الارقام هبوط عدد الملكيات الكبيرة وتزايد عدد الملكيات الصغيرة ، كما كان نفس المبدأ مطبقا في القرى الجماعية ،حيث تقلصت مساحة الوحدة الخاصة بكل اسرة .

ويمكن الاستدلال على التحديد المستمر في حجم الحيازات من مقارنة الارقام في مختلف الفترات . ففي عام ١٩٠٠ كان هناك ٧٢٠ مزرعة يهودية متوسطة مساحة الحيازة فيها ١٤٨ دونما ، بينما كان عدد المزارع عام ١٩٢٧ ، ٤,١٠٠ مزرعة متوسط مساحة الحيازة فيها ٧٨ دونما ، بما يكشف هبوطا في المساحة الى النصف تقريبا (٤٧ في المائة) . وفي عام ١٩٤١/١٩٤٢ كانت هناك ١٨,٠٠٠ مزرعة (منها ملكيات خاصة الى ١٢,٥٠٠ و ٥,٠٠٠ وحدة تمثل قرى جماعية) وكانت المساحة المستزرعة في الحيازة تساوي ستة وثلاثين دونما بما يظهر هبوطا جديدا يصل الى اربعة عشر في المائة وفي نهاية عام ١٩٤٤ ، قدر عدد المزارع بما يصل الى عشرين الف مزرعة (منها ١٤,٠٠٠ ملكيات خاصة بما في ذلك ٥,٠٠٠ مزرعة اضافية) ، وستة الاف وحدة زراعية في القرى الجماعية . وتبعا لتقدير اجري في عام ١٩٤٧ وصل عدد

المزارع الى اثنتين وعشرين الف مزرعة .

وكانت الحيازات في المستوطنات اليهودية تجمع في عدد الزمامات المختلفة المساحة منها ما هو قريب من مركز المستوطنة المتمثل في ابنيتها . وبهذا الاعتبار ـ هناك فئتان من المستوطنات يمكن التمييز بينهما ، تضم الاولى المستوطنات التي تاسست في الفترة المبكرة للنشاط الاستيطاني اليهودي ، وكانت تتميز بالمساحة الواسعة بمثل ما هو الحال في الحيازات بينما نجد ان عدد الزمامات التي تضم الحيازات كان كبيرا ايضا ، كما كان بعدها عن مركز القرية يصل الى ثلاثة كيلو مترات وربما اربعة او اكثر بمثل ما كان الحال في القرى العربية . وتضم الفئة الثانية تلك المستوطنات التي تكونت ابان التوسع في النشاط الاستيطاني الصهيوني حيث ظهرت التجزئة في اغلب الاحوال في المزارع الخاصة فقط . ذلك ان التجزئة كانت تشكل مشكلة عملية في القرى الجماعية فاختفت مظاهرها .

على ان احصاء ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ تضمن ـ لاول مرة ـ بيانات عن تجزئة الحيازة ودرجة بعثرة زماماتها ، غير ان الاحصاء لا يميز بين فترتي النشاط الاستيطاني اليهودي . ومن بين ٨,٧٩٢ مزرعة خاصة تناولها الاحصاء ، نجد ان ٢,١٢٧ مزرعة فقط (اوما يعادل ٢و٢٤ في المائة) ، فيها عدد القطع التي تكون الحيازة الواحدة يزيد على ثلاثة ، و ٢,٨٣٠ (اوما يعادل ٣٢,٢ بالمائة) تتكون فيها الحيازة من قطعة واحدة فقط من الارض ، و٢,٢٢٥ مزرعة (اوما يعادل ٢٥,٣ في المائة) تتكون فيها الحيازة من قطعتين من الارض ، وفي ١,٦٠١ مزرعة (اوما يعادل ١٨,٢ في المائة) كانت الحيازة فيها تتكون من ثلاث قطع[٢٥] .

وهكذا احدث انتقال الاراضي العربية لليهود تغيرا اساسيا في شخصية الملكية وطابعها . ذلك ان القطع الكبيرة والمتوسطة من الارض اختفت وحلت محلها في اغلب الاحوال ملكيات صغيرة مما ادى الى تغيير هام في المجال الاقتصادي اليهودي تمثل في زيادة الانتاج من خلال استزراع متطور ومركز للتربية، مع زيادة ملحوظة في عدد المزارعين ، وعدد السكان بصفة عامة .[٢٦] .

وتقارن الاحصائية التالية بين قيمة الانتاج الزراعي اليهودي والعربي بالنسبة لمختلف المحاصيل في عـــام ١٩٤٧ مع ملاحظة التفاوت الكبير بين مساحة الاراضي التي يزرعها العرب وتلك التي يزرعها اليهود [٢٧] .

المحصول	الانتاج اليهودي بالجنيه الفلسطيني	الانتاج العربي بالجنيه الفلسطيني	الجملة
الحبوب	٤٩٧,٠٤٨	٤,٤٠٣,٤٠٩	٤,٩٠٠,٤٥٧
الخضروات	١,٧٤٥,٨٧٠	٥,١١٣,٥٥٣	٤,٨٥٩,٤٢٣
العلف	٩٥١,١٧٨	١٥٦,٨٤٨	١,١٠٨,٠٢٥
الفواكه ما عدا الحمضيات	١,٣٧٩,٦٢٠	٣,١٣٩,٣٧٤	٤,٥١٨,٩٩٤

المحصول	الانتاج اليهودي بالجنيه الفلسطيني	الانتاج العربي بالجنيه الفلسطيني	الجملة
الزيتون	٥٣,٢٣٥	٣,٢٢٠,٢٢٠	٣,٢٧٣,٥٥٥
البطيخ	٨٣,٩٧٥	٩٦٩,٦٣٠	١,٠٥٣,٦٠٥
الاجمالي	٤,٧١٠,٩٢٦	١٧,١٠٣,١٣٣	٢١,٨١٤,٠٥٩

وقد انتهزت الوكالة اليهودية فرصة قيام الحرب العالمية الثانية ، فقدمت جزءا كبيرا من الانتاج الزراعي اليهودي لتموين الجيوش البريطانية التي وجدت في المنطقة ، وفي نفس الوقت نشطت في بناء المستوطنات الزراعية ، فأنشأت اربعين مستوطنة خلال الحرب،كما استثمرت مليونين من الجنيهات الفلسطينية في توسيع رقعة التوطين الزراعي . ونظرا لتجنيد عدد كبير من يهود فلسطين للمجهود الحربي البريطاني ، عملت اجهزة الوكالة الى تجنيد تلاميذ المدارس في العمل الزراعي في ايام العطلات المدرسية التي امتدت لهذا الغرض تعويضا عن النقص في اليد العاملة اليهودية ، كما قدمت حكومة الانتداب قرضا لتنمية الزراعة اليهودية قدره ثمانمائة الف جنيه فلسطيني . وقد زاد الانتاج الزراعي اليهودي خلال سنوات الحرب بنسبة سبعين في المائة ، واتسعت مساحة الارض الزراعية اليهودية مائتين واربعين الف دونم .

وقد زودت المستوطنات الزراعية اليهودية الجيوش البريطانية بكميات من اللبن الطازج والفاكهة والخضار بلغت قيمتها النقدية عدة الاف من الجنيهات الفلسطينية(٢٨)

---

(١) Granott, A.; *The Land system in Palestine, History and structure*, Eyre and Spottiswoode, London, 1952. pp. 257-258.

(٢) *Ibid*,, pp. 250-251.

(٣) تأسست عام ١٩٠٢ ، تم تغير اسمها الى ميناهيما بعد عشرين سنة من تأسيسها .

(٤) Granott, *op. cit.*, p. 260.

(٥) محمد محمود الصياد (دكتور) جغرافية التوطين اليهودي في فلسطين . مقال نشر في مجله معهد البحوث والدراسات العربية .

(٦) Granatt, *op. cit*, p. 261

(٧) *The Jewish Agency for Palestine;* Establishment in Palestine of the jewish National Home: Memorandum of the Development of the Jewish National Home 1932, submitted by the Jewish Agency for Palestine to the Secretary General of the League of Nations for the Information of the Permenent Iandates Commission, June, 1933.). 9.

(٨) *Zionist Organization and the Jewish Agency for Palestine;* Reports of the Exectives of the Zionist Organization an d the Jewish Agency for palestine submitted to the XIX Zionist Congress, 1935. p. 351.

(٩) *Zionist Organization*, Reports to the XXI Zionist Congress, 1939. pp. 366-369.

(١٠) *The Jewish Chronicle*, 7-6-1935. p. 26.

(١١) *The Jewish Chronicle*· 20-5-1936. p. 20.

(١٢) Jewish Agency; *op. cit.*, p. 11.

(١٣) Granott; *op. cit.*, pp. 261-262.

(١٤) تأسست عام ١٩٣٢ .

(١٥) تأسست عام ١٩٣٠ .

(١٦) Granott; *op. cit*, pp. 262-263.

(١٧) كان عدد الملاك تبعا لاحصاء ١٩٤١/ ١٩٤٢ = ٦,٢٢٩ مالكا منهم ٢,٠٨٦ أو ٣٢/ يعملون في الزراعة ، ١,٢٨١ في الصناعة والحرف اليدوية ، ١,١٧٢ في البناء والأشغال العامة والنقل والمواصلات بينما كان الباقي وعددهم ١,٧٩٨ يعملون في مكاتب الخدمات والمهن الحرة والمهن الدينية والتجارية وغيرها . انظر
Granott; *op. ci.t*, p. 349.

(١٨) Jewish Agency; *op. cit.*, p. 15.

(١٩) C.O. 733-290 (3IT). Annual Report of the Agriculture and forest for the year ending in March 31, 1934. By Mr. M.T. Dave, O.B.F.L.S., Director of Agriculture and forests, Jerusalem P. 10.

(٢٠) Granott; *op. cit.*, p. 264.

(١٢) Jewish Agency; *op. cit*, p. 15.

(٢٢) *Zionist Organization;* Reprots to the XII Zionist Congress 1946. p. 219.

(٢٣) رقم ٢٩ ص ٢٦٩ .

(٢٤) رقم ٣٠ ص ٢٧٠ .

(٢٥) Granott; *op. cit*, pp. 267-274.

(٢٦) The United Nations Special Committee On palestine, *Report to the General Assembly*, October, 1945. Official Records of the Third Session, 1947-1948. Supplement N.11. p. 22.

(٢٧) Granott; *op. cit.*, p. 91.

(٢٨) *Zionist Organization;* Reports to the XXII Zionist Congress. p. 111.

شهادات

روايات شهود عيان
عن اقتحام بنت جبيل في آذار ١٩٧٨

قبل ان ينتصف ليل ١٣ ــ ١٤ اذار سمعت صوت مدفعية بعيد فاحسست بالخوف لأول مرة في حياتي فقد توقعت ان شيئا سيحدث ، سمعت ضربة ثانية فقلت للصبي الذي كان يزورنا ويسهر مع ابني انزل الى الملجأ ، ولم اجرؤ على أمر ابني بذلك ، وقد يحلق في مؤنبا ومستهجنا خوفي ، ولم أبال بما بدر من ابني من تانيب بل رحت الملم بعض الفراش وبعض الحاجيات وانقلها الى الملجأ ، فتحت الشباك لانادي اولادي في الغرفة الخارجية واشير لهم بالنزول الى الملجأ ، فانفتحت الابواب والشبابيك جميعها مرة واحدة بتأثير انفجار صاروخ رمته طائرة وقد وقع قريبا منا.. اسرعنا الى الملجأ وكذلك ركض عندنا جيراننا القريبون منا . وقد أمطرت السماء قذائف .

بقي القصف شديدا ومركزا منذ الثانية عشرة حتى الثامنة صباحا .. كان القصف مختلفا بين قازانات طيران ، وقذائف مدفعية،ورصاص قناص جلس على تلة في « مارون الراس » القرية الواقعة على جبل يعلو « بنت جبيل » والتي كانت وقعت في ايدي الاعداء أول مرة ثم استعدناها ثم عادوا فاخذوها ...

في الساعة الثامنة ــ حين هدأ القصف ــ أعددنا طعام الافطار لجميع الذين في الملجأ ، كنا حوالي مئة شخص .. كنت قد انزلت بابور الكاز للملجأ وابريق الشاي وجرة ماء والخبز المرقوق واللبنة ، فصنعنا الشاي واكلنا جميعا .

فكرت قليلا فلمست ان دخول الاعداء لبلدتنا اصبح امرا مفروغا منه ، فقد كان الدفاع ضعيفا بالنسبة لقوة المهاجمين .. مدفعية القوات المشتركة التي كانت تقاوم حتى الساعة الواحدة ظهرا على طريق الدورة من جهة يارون لم تكن كافية لترد قوة العدو المتفوقة وطيرانه ، وبدا ان معظم المقاتلين قد انسحبوا،ربما ضمن خطة عسكرية مرسومة .

أشرت الى اولادي وضيوفهم المسلحين جميعا ان ينهضوا ويخرجوا من البلدة كي لا يقعوا فريسة في ايدي الاعداء،فسمعوا ما اشرت به عليهم وتقبلوه وحملوا سلاحهم وغادروا الى الجبال الوعرة وكانوا عشرة . بعد مغادرة الشباب للبلد وبعد ان سمعت القصف الشديد يتوالى اثر خروجهم ، احسست بالجزع وفقدت شيئا من اعصابي . ووجدت نفسي اركض وراءهم لكي اطمئن عليهم ، وبينما انا كذلك وقعت امامي قذيفتا صاروخ فخفت ورجعت الى مقري ، خصوصا اني تركت ابنتي في الملجأ ... بقيت في ملجأ البيت حتى الواحدة .. في تلك الساعة ازداد القصف وعنف مما سبب الخوف الشديد بل الرعب لابنتي الصبية ، امسكتها بيدها انذاك وهربت قاصدة طريق

الوعر الى بلدة عيناتا ، تركت الابواب جميعها مفتوحة وبعض ضيوفي في الملجأ وبدا لي حين خرجت من مخبئي ان اهل البلد قد خرجوا تحت جنح الظلام .

سكان المدينة الذين يبلغ عددهم نحو أربعين الفا كانوا قد أخلوا المدينة تقريبا ، ولم يبق منهم الا ثلاثة آلاف أو أقل خرج معظمهم تلك الليلة ، ولم يبق حين دخول الأعداء الا سبعمئة وخمسين شخصا .

بينما انا وابنتي نسير في الوعر ، راحوا يلاحقوننا برصاص الخمس مئة ولم يتركونا وشأننا . رأينا بيتا على أطراف بلدة « عيناتا » مهجورا ففتحنا بابه عنوة ، ودخلنا البيت الفارغ من كل شيء الا من نملية في المطبخ . أشرت على البنت ان تدخل تحت المجلى وقلبت النملية ارضا وازحناها حذاءنا بقرب المجلى .. بقينا هناك من الواحدة والنصف حتى الخامسة مساء . تركت البيت الموحش هناك وصعدت الى داخل بلدة « عيناتا » فلم اجد هناك الا رجلا ضريرا مع زوجته العاجزة.. طلبت منهما ان يقبلاني مع ابنتي ضيفتان تلك الليلة فرحبا بي.. في الساعة السابعة وصلت الدبابات الاسرائيلية وكانوا فقط يضربون بالرشاشات ، نمنا ليلة شبه هادئة .. في الصباح قمت استطلع الاخبار واكشف الطريق لكي اذهب الى قرية « كونين » ، فقد كنت ما زلت قلقة على أولادي الذين اشتركوا في المعارك التي دارت بيننا وبين الكتائبيين في مواقع مارون الراس ، ولهذا السبب خفت على ابنتي الصبية وفضلت الهرب بها لأن للكتائبيين علينا ثار .. كان بنيتي الاتجاه الى بيروت ، وبينما ابحث عن اولادي في « عيناتا » وجدت فراشا متروكا وصحونا لم يكتمل طعام من كان يأكلها وكلبا لا ينبح ، وسلاحا متروكا بالأرض وثيابا ملقاة هنا وهناك .. حين لم أجد في البلدة انسانا غادرت الى « كونين » ، في الطريق وجدت نفسي وجها لوجه مع دبابتين اسرائيليتين ، خاطبوني قبل أن أخاطبهم وكان التعب والقلق قد أخذا مني مأخذا ، قلت لهم بغيظ:ماذا تريدون منا .. ما نحن الا نساء تائهات .. فأشاروا لي بأن أمضي في سبيلي فتابعت السير ولكي لا نلتقي مع العدو سرنا في طريق الوعر .. وصلنا « كونين » مع دخول الدبابات الاسرائيلية وقصف الطيران .. هناك شاهدت جثث قتلى ملقاة على الطرقات ، دخلت البيوت المفتوحة عند أناس لا أعرفهم .. بقينا هناك أربعة أيام والمرأة التي رأيتها ملقاة في الشارع عند وصولي بقيت أربعة أيام ، اذ شاهدتها في اليوم الرابع تنهشها الكلاب ، لقد كان منظرا مقززا للغاية .. في ذلك اليوم جاء الاعداء ولموا القتلى بحرامات ووضعوهم في شاحنة وقد ساعدهم في ذلك من بقي من أهل البلد ، حفروا حفرة ودفنوهم .. بعد يومين جاء كتائبيون ينهبون ويسلبون ، وقد اخذوا من صدر ابنتي قلادة ذهبية ، ولما قلت للشاب اني اعرفك يا هذا وقد استدان ذووك من محلنا ولنا معهم مئات الليرات .. رد القلادة .. غادرت « كونين » الى « برعشيت » هناك سجلت اسمي لمغادرة البلد .. وفي البازورية نصحني اسرائيلي بأن علي الرجوع لأن الفدائيين ربما يقتلونني فقلت له كما انك لم تقتلني كذلك فالفدائي انسان ولن يقتل امرأة ضعيفة .

وصلنا بيروت بعد خمسة عشر يوما من مغادرة البلد فوجدنا ان اسمنا قد ادرج في لائحة الاموات .. وهنا وجدت اولادي وبحثنا عن بيت بلا عفش وها نحن فيما نحن فيه من تعاسة ..

ع بيضون . ٢٥ سنة

لم يكن الليل قد انتصف ، وكنت ما زلت ساهرة في العلية بينما اختي بجانبي تغط في نوم عميق.. ابي وأمي واخي الصغير كانوا في الطابق السفلي . كان الطقس في اليومين السابقين شديد البرودة .. لا بل ان الزوبعة الرعدية والامطار والغيوم التي عمت البلاد يومي ١٢ ــ ١٣ هي التي اخرت عملية الاقتحام .. وقد كان كل الناس ينتظرون تطورات عسكرية بعد التهديد الاسرائيلي الواضح على اثر عملية « دلال المغربي » المشهورة . كان كل الناس متوجسين خيفة .. وكنت شاردة في بحر من الافكار حين ارتجت الاجواء وانقطعت الكهرباء وراحت الانفجارات تتوالى قريبة وبعيدة ، تغطت سماء المدينة بسحابة من الطيران فامطرت السماء قذائف ، أحسست بخوف شديد وعلمت ان الساعة قد اقتربت ، فرحت اوقظ اختي التي راحت بدورها ترفض ان تستيقظ ، فلم تكن تريد ان تقطع نومها ، ولكني لم اتركها ترتاح بل واظبت على اقلاقها بشدة افرك أنفها واشدها باذنها، اصفق على وجهها لكي تسرع بالنزول عند والدي لنرى ماذا عسانا نفعل وخرجت امي تنادينا بشدة فهبطنا الدرج بسرعة بينما اختي تلقي بكل ثقلها علي .

اكملنا الليل في الزاوية الداخلية للطابق السفلي .. كانت الشبابيك والابواب تتحرك بين ان وان اذ كان

القصف شديدا ، وبقينا نتضرع الى الله ان ينهي تلك القصف ، وبقينا لا نعرف طعما للنوم .. وقبل انبلاج الفجر اتفقنا ان ننزل عند جيراننا بيت « علي السعيد » ، معتقدين ان بيتهم المبنى على الطريقة القديمة سيكون اكثر أمنا .. فركضنا اليهم على بعد امتتار فرأينا الانوار الحمراء والصفراء ، أنوار القنابل المضيئة والخطاط تتحرك بسرعة هنا وهناك .. فتح جيراننا قبل ان نقرع الباب ، فقد أحسوا بجلبتنا ، وقد كان الكثيرون يسرعون مارين من هناك نحو « البابور » ... وجدنا جيراننا بنفس الحالة من الذعر والقلق ، لا بل رأينا ما اضحكنا ، لقد ادخلت ابنتهم نفسها تحت كومة من اللحف ، ولم يبد منها شيء الا أسفل وجهها .. جلسنا قريبا منها بجانب كومة اللحف .. في الساعة السابعة وقع صاروخ قريب جدا من البيت ، بعد دقائق طارت واجهة البيت بشكل عجيب فلم يتناثر منها شيء سوى بعض الغبار .. فهمنا آنذاك ان القذائف التي يصلنا صوتها لا تضر ، اما القذائف المضرة فهي التي تصل قبل صوتها .

بعد ان طارت واجهة البيت أصبح كل شيء يدور في الخارج باد لاعيننا ، وقد خطر لوالدي ان يتبع اناسا راهم يتجهون نحو الطاحونة. فلم يشاورنا، حتى لم يلتفت وراءه،وضحكت هنا علياء قائلة . «لقد نسينا والدي » . بقينا مع اهل البيت حتى الظهيرة .. ظل هنالك رد على القصف حتى الظهيرة ، وراح يتلاشى كما يتلاشى ضوء شمعة وصلت الى نهايتها .. اما القصف فقد ظل وبقينا على حالنا من الخوف .. عندما يتكلم الانسان عن تلك اللحظات لا يستطيع ان يعبر عن كل ما يحسن من رعب مقرون بالانتظار ومشاعر اخرى تقبض النفس بقسوتها كأنما تقبض بيد حديدية . بعد الظهر فكرت باللحاق بوالدي ببعض الطعام .. لففت له عروسا من البيض المسلوق الذي اعدته صاحبة البيت للغداء ذلك النهار ورحت اركض نحو الطاحونة باقصى جهدي وانا اتعثر بخطاي ، لقد خاطرت بحياتي من اجل والدي (وعادت الى الضحك) مع انه فر دون ان يعيرنا التفاتا .. بدقائق كان الموت جاثما على الطريق في كل خطوة ، وصلت الى البابور .. هنالك رأيت عيون الجميع محملقة ومنتظرة .. كانوا حوالي أربعمئة .. اطمأنيت على والدي واعطيته العروس وعدت بالسرعة التي جئت بها لكي لا تظن والدتي انني مت .. في تمام الساعة الخامسة سمعنا هدير الدبابات .. الدبابات دخلت من جميع المحاور مرة واحدة .. وراح المسلحون المقتحمون يرشون الرصاص يمينا وشمالا .. وقد سمعت ان الفدائيين الذين بقوا حتى النهاية . الذين ضربوا مثالا في الوطنية والفداء لاقوا حتفهم جميعا في « تلة مسعود، أو شلعبون» فقد ركز الاعداء نار مدافعهم وصواريخهم على تلك التلة فمات كل من بقي فيها ، رافق هؤلاء من شباب البلد في الشهادة حسان شرارة الذي بعثه والده الى باريس فعاد دون علم والده والتحق بالمقاتلين واستشهد .. قاسم ومحمد بزي وفؤاد دباجة .. ويقال ان حسان وزميل له لم يمت بنار الصواريخ بل وجد مذبوحا مما يدل على انه لاقى الاعداء وجها لوجه .

وفؤاد دباجة .. ويقال ان حسان وزميل له لم* يمت بنار الصواريخ بل وجد مذبوحا مما يدل على انه لاقى الاعداء وجها لوجه .

ولنعد الى الطاحونة .. فما أن أحس المجتمعون باقتراب الدبابات حتى خرجوا ، واتجه واحد منهم بولده الرضيع وسلمه الى الضابط في الدبابة الاولى وهو يقول له ان أرواحنا بين أيديكم .. وساله الضابط عما اذا كان يوجد « مخربون » عندهم فاجابه الرجل ان لا مخربين عندنا وجلنا من النساء والاولاد والشيوخ .

تابعت الدبابات طريقها الى الداخل بينما جعل الخوف بعض النسوة يهتفن أهلا بجيش الدفاع الاسرائيلي ، على أمل ألا يعتدي عليهن المهاجمون .

في صباح اليوم التالي سمع الاهلون الاعداء يهتفون بمكبر الصوت ان اذهبوا جميعكم الى البركة .. هنالك فقدت شقيقتي التي ما زال لها رغبة بالنوم ، فقدت توازنها واغمي عليها . وأسعفها الناس الموجودون وسقوها الماء .. بقي الاهلون حول البركة الكبيرة يومين متتالين في قرص البرد وحر الشمس، بعد ذلك فتح لهم الاعداء الحوانيت والبيوت المقفلة الداخل وامروهم بعدم مغادرتها الا ساعة في النهار لواحد من كل عائلة لاحضار الطعام .. وظلوا على تلك الحال سبعة ايام بعدها عاد كل الى بيته .

نبيهة شامي (١٧ سنة)

انا واحدة من عائلة كبيرة فقدت والديها منذ سنين ، فاشتغلت بجد بالدخان وتربية الدواجن، ولم يكن لعائلتنا

---

* هكذا في الاصل

اي ارتباط بالمدينة.. وقد صمم افراد العائلة على الموت بالبيت على الخروج منه، بالرغم من ان البيت ليس به ملجأ ولا يعلوه طابق ثان يرد عنه بعض الضغط .. فتجمعوا في احدى زوايا البيت ولم نغادر بيتنا ابدا ، متكلين على الله .. وكانت لحظات قاسية ثقيلة مرت علينا ليلة ١٣ ــ ١٤ آذار .. وقد صمدنا ، فقد ظل القصف شديدا ومركزا منذ حوالى الثانية عشرة ليلا حتى الثامنة صباحا ، بعد الثامنة صار يخف أنا ويشتد أنا حتى دخول الجيش الاسرائيلي عصرا .

لقد رأيت مسلحين من مقاتلينا يمرون من جانب بيتنا قبل الظهر كانوا ينزلون من تلة مسعود ، وكان معهم خريطة ، وقيل انهم وصلوا الى التلة قبل يوم واحد ، فبدا لي أنهم لا يعرفون الطريق ، وقد سألتهم بلهفة عن الاخبار وتابعوا طريقهم .

في الليلة التالية للاقتحام نمنا بشبه هدوء معوضين ما فاتنا من النوم ، ولكننا كنا خائفين مما يتبع الاقتحام من عدم استقرار ومن مشاكل ..

في الساعة الثامنة من يوم ١٥ سمعنا الاعداء ينيعون بمكبر الصوت « على الجميع الاتجاه نحو البركة » . خرجنا ولم نقبل ببساطة التجمع حول البركة لآن مكانها منزو، فان شاؤوا قتلنا لم يحس بنا أحد. وطلبنا منهم الذهاب الى الساحة التي توصل المدينة بكل مكان من القرى المحيطة .. فرفضوا .. واضطررنا للذهاب الى «البركة» وكان الطقس باردا،فعانينا برودة الطقس وحرارة الشمس ، بينما نجلس على التراب والحجارة المحيطة بالبركة .. كنا حوالى سبعمئة .. هنالك جاء عسكريون اسرائيليون وجاء واحد من جماعة سعد حداد اسمه فارس الشدياق الذي يؤنب الاهالي على حمايتهم للفدائيين ، فرد عليه شاب من عائلة البزي (احمد البزي) وكان محمد فرج يترجم بالانكليزية . وقال الشدياق انهم طردوا المقاتلين من مناطقهم فلم يبق للمقاتلين أي مكان عدا الجنوب .. وقال لهم انه ليس باستطاعتنا نحن العزل ان نقاوم احدا ، والدليل اننا لا نستطيع المقاومة الان .

وفي اليوم التالي سمحوا للاهالي (واحد من كل عائلة) بالذهاب الى بيوتهم لاحضار الطعام مدة ساعة فقط، وبعد ان احتج بعضهم لسبب بعد البيت عن البركة سمحوا لهم بالذهاب لمدة ساعتين .. وفتح الاعداء للاهالي البيوت والدكاكين المقفلة المحيطة وامروهم بالبقاء فيها حيث بقوا سبعة ايام ، كان الاعداء خلالها يفتشون البيوت بحثا عن الفدائيين وعن السلاح .. بعد ذلك سمحوا لكل واحد بالذهاب الى بيته .

وتحدثت الانسة نبيهة عن مشكلة واجهوها بعد ذلك ، فهم يذهبون الى حقول الدخان ما بين الثالثة والرابعة صباحا وهم يجرون عربة صغيرة بدولاب واحد يحتاجونها .. وقد صارت مشكلتهم تتكرر يوميا كلما مروا بالحرس فانه أحيانا يمنعهم من المرور ، وأحيانا يتظاهر بانه لم يعرفهم ويتهمهم ويفتشهم أحيانا اخرى .

ابراهيم سعد (ابو نعمة) ، ٨٠ سنة

كاد الليل ينتصف وانا لم انم بعد ، فقد كنت قلقا ، وكان سبب قلقي انني سمعت اصوات قذائف على «مارون الراس»، القرية التي تعلو بلدنا «بنت جبيل»، وتكشف كل زاوية فيها، والتي تمركز فيها المقاتلون بعد أن استعادوها من الكتائب .. كنت اترقب حدوث اي شيء .. ولم أفاجأ حين سمعت أصوات انفجارات قريبة وبعيدة قوية وضعيفة تسبب الطرش .. فاقترحت على زوجتي ان نذهب الى « الطاحونة » التي بنيت على الطريقة القديمة (عقد حجر) وقد علاها بناء يخفف من وقع القذائف .. مررنا بجارنا « جواد ابو عليوه » واقترحنا عليه ان يرافقنا للطاحونة فقال لنا « الرب موجود فوق بيتي وفوق الطاحونة » فاقتنعت زوجتي برأيه وبلفت الى بيته الصغير ، فتبعتها .. جلست وإياها تحت « تتخيته » الغرفة وكانت قد حملت معها لحافا خفيفا ففردته على رجلينا وجلسنا والقذائف والانفجارات يتوالى صجيجها بشكل عنيف ، فقد توقف شتاء الماء ليأتي شتاء القذائف ، وكنا في حال من الخوف الشديد .. في موعد صلاة الصبح رأيت صديقي ومضيفي « جواد » يفتح الباب ليخرج لقضاء حاجته، فلم يكن في بيته الصغير حمام داخلي، فنصحته بعدم الخروج وقضاء حاجته في اي وعاء من التنك فلم يتعظ .. خرج وعاد وتوضأ ووقف يصلي في منتصف الغرفة ، ونحن ما نزال على الدرج تحت التتخيتة . وبينما هو يصلي اذا بقطعة من السقف تنزل عليه فيقع على الارض، وتبادلت وزوجتي السؤال.« هل اصابك شيء » فقالت زوجتي رجلي أصيبت » ولما كانت كل الانوار قد انقطعت مع بداية القصف لم اتمكن من رؤية رجليها فمددت

يدي اتحسس مكان الجرح فوقع اصبعي في شق عريض ، واحسست بالدم الساخن ينزل منها ، ضمدته بمنديلها وطمانتني عن سلامة العظم . واهتمت بان تكلم الاخ « جواد » لتعرف ما اذا كان ما زال حيا ، نادته ثلاث مرات فرد قائلا . يا أبي.. يا أمي.. يا يدي.. لم تكن عندي الشجاعة الكافية للنهوض من مكاني فقد توقعت ان تنزل قذيفة أخرى علينا ولكن بعد قليل وقد حلفتني بأحيائي وأمواتي ان اذهب الى « الطاحونة .. واخبر من اجده من عائلة « جواد ابو عليوه » بالخبر . خرجت ، ولكثرة ما سمعت من الانفجارات لا أسمع شيئا ابدا ، وحين وصلت الطاحونة وفتحت الباب صاحت النساء مولولات ، وكان الغبار الذي غطى رأسي وثيابي قد اوحى للجميع بأن حادثا سيئا وقع ، أو انهن كن يؤنبني على خروجي في تلك الساعة الخطيرة ، أخبرتهم بان السقف قد وقع على « جواد » ، فجرت كنته وابنته لاسعافه وجريت معهن ، حين وصلنا هناك ثانية سألنا . « هل دخل الكتائبيون البلد » .. وراحت النسوة يرفعن الانقاض واصطحبت زوجتي وعدت الى الطاحونة .

صباح يوم ١٥ اذار دعانا للذهاب الى البركة وقد مشيت مع من مشى بادىء الامر ، ولكني وجدت ان الناس على خطأ في قبولهم الذهاب الى البركة قلت . لابما يجمعوننا لذبحنا دفعة واحدة ، فأشرت لزوجتي التي كانت تؤلمها رجلها ان ندخل قبو احد البيوت فدخلنا ، ولذنا هناك في زاوية منتظرين ما سيحدث .. قضينا في زاوية القبو بقية النهار وطول الليل ، لا أنيس ولا جليس لم نسمع حتى ولا صوت قط أو كلب .. كنا بلا طعام وبلا شراب ، في صباح اليوم الثاني سمعنا يهوديا عراقيا عرفناه فيما بعد ينادي بمكبر الصوت بينما يدور شوارع البلد في سيارة عسكرية . « فدائي سلم سلاحك » عليك الله وأمان الله » . لقد كانوا خائفين من وجود فدائيين مختبئين بكثرة في الاقبية .. وبعد قليل جاء مجندون اسرائيليون يرشون أمامهم الرصاص فخرجت اليهم ورفعت زوجتي يديها فسألونا عما اذا كان يوجد فدائيين عندنا فأجبنا بالنفي .. بقيت مختبئا يوما آخر في القبو .

في ضحى اليوم الثاني ، اي نهار ١٦ سمعت وقع خطى في باحة البيت ثم سمعت صرير الباب فاطمأننت الى وجود احد الاهلين ، خرجت وكلمت المرأة فاعلمتني أن الاعداء سمحوا لواحد من كل عائلة بالتغيب عن ساحة البركة ساعة لاحضار الطعام ، ونصحتني بأن أذهب على أن أدعي أني كنت متغيبا عن البلد ، وذهبت مع زوجتي وأنا آمل أن أجد بعض الطعام أو الشراب الذي أسد به رمقي ورمق زوجتي المصابة .. وقاسينا هناك من البرد ، فلم نكن نلبس الا الثياب الداخلية ، وبقينا مع الناس حتى سمحوا لنا بالرجوا الى بيوتنا لنرى الشوارع قد تغيرت معالمها والبيوت نصفها قائم ونصفها قاعد وصمت المقابر يلف البلد .

السيد موسى طرفه (٧٠ سنة)

لم اترك بيتي ابدا ، وبيتي من البناء القديم القوي ، لم اخف ولم احرك ساكنا .. لقد حضرت أربع حروب ولم يعد صوت الرصاص وصوت القذائف بالشيء الغريب علي .

وسألناه عن الحروب الاربع التي حضرها فقال .

الحرب العالمية الاولى ، والحرب العالمية والثانية ، وحرب كوبا وهذه الحرب .

وسألناه هل استعملت في « كوبا » قذائف وصواريخ بالكثرة التي استعملت بها هنا فرد

اوو .. وماتت زوجتي تحت الانقاض .. (وتابع) تلك كانت حرب ، وبعد ان اتم حديثه عن الاقتحام الاسرائيلي لبنت جبيل واجتياح الجنوب عاد فحدثنا عن حرب كوبا وعن ثورة كوبا .

عاد السيد موسى الى حديثه عن تلك الوقت بينما يشعل السكائر ويدخن .. قال بقيت أدخن واسمع الاخبار واسمع الانفجارات دون ان احرك ساكنا . وفوجئت في اليوم الثاني بجنود يطلقون الرصاص في البيت على غير هدى وبسرعة فصحت بهم قائلا « الويل لكم ألا ترون ؟ » .

وتوقفوا ليأمروه بالنزول الى البركة فأجابهم . انني عاجز عن المشي ، اذا حملتموني انزل – وضحك – فلم يكن عاجزا بالحقيقة عن المشي .

وما حدث بعدها ان احد الانعزاليين صوب بندقيته نحو السيد موسى طرفه ليقتله ، فرده الاسرائيلي وهو يقول . ما لك ولهذا الرجل العجوز . وقد عرّجوا عليه في جولة ثانية وسألوه ان كان يحتاج لطعام ، فقال لهم لست بجائع ، والحقيقة انه كان جائعا ، ولكنه لم يشأ ان يأكل من طعام الاسرائيليين .

حسن ٣٥ سنة

كنا متخوفين من الذهاب الى البركة فلم نلبي النداء عندما طلب منا الاسرائيليون ذلك بمكبر الصوت ، وقلنا في أنفسنا . « نبقى مختبئين في بيوتنا ولن ندعهم يروننا » .. وقبيل الظهر بقليل جاءت امرأة تعرف بوجودنا وكأن الاسرائيليين بعثوها خصيصا وقالت لنا « سيفتش الاسرائيليون البيوت بيتا بيتا وسيقتلون كل من يجدونه في بيته لانهم سيظنونه مقاتلا ، الأفضل أن تسلموا أنفسكم » . ولما وجدنا ان لا بد من الذهاب ذهبنا والأسى يعتصرنا .. كنا حوالى الخمسين ، هناك وجدنا عددا من الاهلين أكثر من أربعمئة شخص .. وقد حشرهم الاسرائيليون في زاوية من السوق الذي يحيط بالبركة وكانت الارض موحلة جدا بعد الشتاء الغزير الذي هطل قبيل عملية الاقتحام .. وصحيح أن هطول المطر توقف قليلا ولكن السماء كانت ملبدة بالغيوم والبرد كان قارسا ، وفي مثل تلك الايام من ايام السلم لم نكن نبتعد عن المدافىء ، أي تظل مشتعلة طوال الليل والنهار .. وكم وجدنا أنفسنا في حال من اليأس حين وجدنا أنفسنا مجبرين على الجلوس على أرض مبللة والطقس على ماهو عليه من السوء .. وكان من بين الجالسين عدد كبير من الشيوخ والعجائز يرثى لحالهم ، وقد أغمي على عدد من الفتيات لفرط التوتر الذي أصابهن .. وقد حكى الشيوخ والعجائز فيما بعد ان تلك الحال من الذعر والهلع والتخريب والاستبداد لم تمر بهم أبدا وان ايام العثمانيين السيئة كانت بسبب الجوع لا أكثر ..

لم نستطع التحرك من اماكننا ، كان كل منا مطرق الراس يفكر ، لم نتحدث الا كلمات متقطعة عند الضرورة .. كنا في حالة يأس شديد اذ كنا نتوقع الموت اما قتلا على ايديهم واما من شدة الجوع والبرد والتوتر ، وكانت الدبابات الاسرائيلية تجوب شوارع بلدنا ذهابا وايابا بينما عدد منهم يحيطنا يتبدل كل بضع ساعات .. بعد الساعة الثانية بعد منتصف الليل فتحوا لنا المحال التجارية التي نجلس امامها فقضينا باقي الليل فيها .. وكانت المحال معامل احذية تركها اصحابها منذ عامين تقريبا .. لم يكن فيها شيء ابدا ، فجلس البعض القرفصاء والبعض الآخر افترش الارض لشدة نعاسه وتعبه .. وفي اليوم التالي اراد الاسرائيليون اظهار طيبتهم فأحضروا بعض صناديق التفاح حين قدوم مصورين صحافيين من وكالات انباء عالمية . وأحلف أن أيا منا امتنع عن تناول حبة تفاح ، فهي أولا من أيد عدوة ، ثم اننا ظننا انه ربما يكون التفاح مسموما ، ولكن الصحافيين ركزوا على تصوير صناديق التفاح اكثر مما ركزوا على تصوير وجوهنا التي اختفى منها اللون والحياة .. ولكن قلوبنا كانت تغلي حقدا وكنا نفكر كيف وصلنا الى تلك الحال ..

في اليوم الثالث سمحوا للنساء بالذهاب الى البيوت لاحضار الطعام لمدة ساعة فقط ، بقينا ننام في المحال سبع ليال ، وبعد أسبوع من تلك الحال قال لنا الاسرائيليون بالعربية المكسرة « بروح بيت » وذهب كل منا الى بيته يتفقده بعيون مشدوهة فالبيوت التي لم تنزلها القذائف العنقودية والصاروخية دخلها الاسرائيليون بيتا بيتا ورشوا فيها الرصاص فاخترق الرصاص الخزائن الخشبية والحيطان والابواب والصور والمرايا وحتى الثياب . فربما ترى اذا تجولت في شوارع « بنت جبيل » اليوم شخصا يرتدي « جاكيتا » مرفوا في كمه او في صدره ، فقد اخترقه رصاصهم آنذاك .. لقد وضع الاسرائيليون بصماتهم على كل زاوية .

بعد رجوعنا الى بيوتنا وبعد ان لمس الاهلون ان الحياة الطبيعية ربما عادت الى مجراها ، منهم من رجع الى بيته بسرعة ليحمي املاكه ، ومنهم من امتنع عن الرجوع نهائيا لاسباب خاصة .

بعد عامين من ذلك التاريخ ارتفع عدد السكان الى حوالي ثمانية آلاف شخص .. اقل من ربع العدد الاصلي .. ووضع هؤلاء ليس بحسن ، بسبب تحكم الاسرائيليين اولا وسعد حداد « وزلمه » ثانيا بالمنطقة وبابنهاتها ، وانهم لا ينتظرون الا يوم التحرر من ربقة هذا الوضع .

محمد ، آمر فصيل ، قاد المقاتلين الثمانية الذين حاربوا في محور « تلة مسعود »

وقعت اول قنيفة على محور « تلة مسعود » في تمام الثانية عشرة وخمس دقائق ، كنا في حالة التأهب والترقب

والاستعداد ، وانهمرت الصواريخ والقذائف من جميع الانواع مرة واحدة ، وظل القصف شديدا ومركزا حتى الرابعة صباحا .. كانت ساعات جهنمية ومن الصعب ان يصف الانسان لحظاتها الرهيبة .. ولكن شعورا واحدا لم يكن ليبارحنا ، هو شعور التحدي الصارخ والتشبث بعدم الاستسلام .. استعملنا في دفاعنا من الاسلحة اولا الكلاشنات وال « آر . بي . جي » .. وبدرجة ثانية او بشكل محدود الـ « دوشكا » والهاون ٦٠ » ومدفع مباشر ٧٥ .. فوجئنا عندما هدأ القصف في الساعة الرابعة بعملية تطويق شديد مصحوبة بتقدم اليات ما يقارب ١٧٠ آلية، فتصدينا لهم، وواجهناهم بتحد شديد رغم قلتنا.. انا شخصيا كنت احس بأني اقبل الموت بسرور مصمما على ان اقتل عددا كبيرا منهم وأعطل عددا من آلياتهم . وقد استطعنا ان نحقق شيئا من حلمنا ، قتلنا وجرحنا منهم ما يقارب سبعين عنصرا ، كنا نشاهدهم يسقطون الواحد تلو الآخر، ولكن مع الاسف راح يتساقط الرفاق ايضا واحدا تلو الآخر . ما اقسى ان يرى المحارب رفيقه يسقط الى جانبه .. انني لا اذكرهم الا ويعتصر الاسى قلبي .. « حسان شرارة » ذلك المقاتل النبيل الذي ارسله ابوه الى الخارج ، فما كان منه الا ان ركب الطائرة وعاد الى وطنه بلا علم والده ، واقسم ان لا ينسحب ابدا وكان في الطليعة حتى استشهد ، ويستشهد « فؤاد دباجة » ثم مقاتلان من الشمال ... بقيت مع اثنين من الرفاق .. نفذت الذخيرة بعد قتال ضار دام سبع ساعات .. تلك القتال الذي حول « تلة مسعود » التيب كانت عامره باشجارها وبساتينها .. حولها الاعداء الى ارض قفر .. لقد ركز عليها الاعداء القصف . قدروا ان مكانها المشرف على المدينة ، وما فيها من صخور ومغاور يجعلها احسن مركز للمقاتلين .

انسحبنا الى داخل المدينة حيث وصلنا المراكز وتزودنا من جديد بذخيرة كلاشنات و« آر . بي . جي » ، ومضاد للدروع ، وكنا آخر من غادر المدينة ، وانطلقنا الى الضواحي حيث صرنا نتربص للعدو في كل مكان على طريقة حرب العصابات ، ونوقع الخسائر في آلياته ونعيق تقدمه .. احيانا كنا نبرز له وجها لوجه .. وبهذه الطريقة انتقلنا من كونين الى برعشيت فالى جويا .

اعداد : مي علوش

الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان

ما هو الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان ، تلك القضية التي سعت الدوائر الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة الاميركية الى اثارة الكثير من الغبار حولها ، وعملت على احاطتها بجو محموم من الدعاية الخبيثة الحاقدة ، ومن التحرك الدبلوماسي الكثيف والنشط ، بغية استثمارها على اوسع نطاق ، وبشكل خاص في منطقة الشرق الأوسط ، التي تلاقي الادارة الاميركية فيها الكثير من المتاعب والمصاعب التي ثارت ، وما تزال تثور ، في وجه كامب ديفيد ، والمخطط الاميركي الذي استهدف اعادة ترتيب الاوضاع في هذه المنطقة الاستراتيجية من العالم ، بما يخدم المصالح الاحتكارية للولايات المتحدة الاميركية ، وللدول الامبريالية الاخرى .

ما هي محصلة الموقف الفلسطيني من قضية افغانستان ، تلك القضية التي يكاد ، استثمار الادارة الاميركية لها يصبح اوسع عملية تزوير تمارسها الامبريالية في تاريخها ، تزوير على الاسلام والمسلمين واستغلال لشعار الاسلام قضية لا علاقة للاسلام بها ، حيث ان الكثير من الجهد الاميركي تركز من اجل اكساب هذه القضية بعدا اسلاميا ، بهدف تكتيل الدول الاسلامية ضد الاتحاد السوفييتي ، الذي استجاب لنداء الحكومة الافغانية لحمايتها من اخطار تهديدات خارجية هادفة الى انهاء النظام الافغاني الثوري ، والعودة بافغانستان الى احضان التخلف والجهل والتبعية للقوى الامبريالية ، ولاستخدامها في مواجهة الثورة الايرانية ، واستعمالها قاعدة تهدد حركات التحرر المجاورة ، وتحاصر رياح التغيير التي بدأت نذرها تهب على اكثر من مكان في هذه المنطقة من العالم .

ما هي حدود الموقف الفلسطيني ؟ وهل كانت هذه الحدود واضحة المعالم بحيث يمكن قراءة ما خلفها من الدوافع ، وما أمامها من مقدمات ؟ خصوصا وان هذه وتلك هي سبب لذلك التفرد او التميز في الموقف الفلسطيني ، الذي انعكس بوضوح في مؤتمر اسلام أباد .

تلك كانت مقدمة لا بد منها ونحن نتحدث عن موقف منظمة التحرير الفلسطينية من القضية الافغانية ، وحتى لا يساء فهم هذا الموقف ، او يجري استغلاله او تحميله اكثر مما يحتمل، خصوصا وان الولايات المتحدة الاميركية هي التي تخوض معركة اعلان الحرب الاسلامية (الدبلوماسية والدعائية وربما الابعد مدى) ضد الاتحاد السوفييتي ، وضد افغانستان . وهي التي تدفع بكامل ثقلها وراء هذه القضية للخروج منها ليس فقط بادانة كاملة للاتحاد السوفييتي ، وانما ايضا لاستثمارها في اقامة حلف او حزام اسلامي واسع ، تطوره الادارة الى حلف عسكري تطل به من جديد على شعوب المنطقة من جهة ، وعلى الاتحاد السوفييتي والنظم الديمقراطية الاخرى التي ما تزال تعمل على تثبيت نفسها وسط المؤامرات الشرسة والمحاولات الدائبة للانقضاض عليها ، من جهة اخرى .

كما ان تلك ايضا كانت مقدمة لكشف ما وصفناه بأوسع عملية تزوير تمارسها الامبريالية على الاسلام

وباسمه ، تعاونها في تلك الانظمة الرجعية،تلك التي كشفت عن دورها ، او تلك التي اكدت دورها ، بهدف التحريض على الاتحاد السوفييتي من جهة ، وبهدف دفع المنطقة،خصوصا الاسلامية منها ، الى احضان الامبريالية الى الابد ، متسترة خلف شعار الدفاع عن الاسلام والحفاظ عليه .

ولقد ادركت منظمة التحرير الفلسطينية ، بما لا يقبل الشك ، هذا الأمر. وضمن فهم عميق وتحليل دقيق لمجمل ما يجري ، اشار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية يوم ١١/١/١٩٨٠ ، في سياق خطاب له في مهرجان اقيم في جامعة بيروت العربية بمناسبة الذكرى العشرين لتأسيس الاتحاد العام لطلبة فلسطين ، لأول مرة الى عملية التزوير الامبريالية هذه باقتضاب ولكن بوضوح حين قال « في الوقت الذي يتباكون فيه على الاسلام في افغانستان ، هم ضد الاسلام في ايران . هذه اشياء يجب ان نضعها في حسابنا ونحن نواجه الطاغوت » .

وكرر الاخ ابو عمار الموقف نفسه في اكثر من خطاب بعد ذلك . ففي يوم ١/١٥ ذكرى ميلاد الزعيم الراحل جمال عبد الناصر ، اكد في مهرجان جماهيري حاشد ، بأن « الامبريالية عندما شعرت بفشلها تطرح اليوم شعار الخوف على الاسلام » .

اما اول موقف دبلوماسي فلسطيني من المسالة الافغانية فكان تصريحا لرئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية ادلى به الاخ فاروق القدومي (ابو اللطف) يوم ١٢/١/١٩٨٠ اثناء زيارة الصداقة الرسمية التي كان يقوم بها لبلغاريا ، حيث صرح بان « الاتحاد السوفييتي – قدم لافغانستان مساعدات غير مغرضة في نضالها ضد الرجعية ومن اجل استقلالها » .

واما موقف منظمة التحرير الفلسطينية في الأمم المتحدة ، لدى مناقشة الوضع في افغانستان ، فكان خطابا القاه ممثل المنظمة الاخ زهدي الطرزي ، شن فيه هجوما واسعا على الولايات المتحدة الامريكية التي وصفها بأنها « تحاول باصرار تحويل الجمعية العامة الى اداة في يدها ، متناسية عهدا من الافعال التي قامت بها حيال بعض البلدان حتى وصل بها الامر الى حالة من الحرب الفعلية غير المعلنة .

« لقد سبق للجمعية العامة ان اعلنت منطقة المحيط الهندي منطقة سلام ، الا ان الولايات المتحدة خلافا لهذا القرار تواصل تعزيز حضورها العسكري في هذه المنطقة التي تبعد عنها الاف الاميال ، كما يجري في الولايات المتحدة اعداد قوات تدخل قوامها ١١٠ الاف شخص لاحتلال مواقع النفط وفرض الحماية عليها » .

وفي هذا السياق ايضا اعرب الاخ خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، في تصريح له يوم ١/١٦ لوكالة نوفوستي السوفياتية عن رفض م.ت.ف. للحملات التي تقوم بها الولايات المتحدة وحلفاؤها لاستغلال ما حدث في افغانستان .

واكد الاخ الفاهوم في التصريح نفسه على وقوف م.ت.ف الى جانب الشعب الافغاني ، وتاييدها الكامل لحقه في تقرير المصير .

واوضح الاخ الفاهوم ان الولايات المتحدة « تحاول استغلال المعونة التي قدمت الى افغانستان بناء على طلب حكومتها الشرعية ، لفرض سيطرتها وانشاء قواعد امريكية جديدة ، ولتعزيز وجودها العسكري في المنطقة » .

في الوقت نفسه ، وفي حديث مع وكالة نوفوستي ١٨/١/١٩٨٠،قال الدكتور جورج حبش ، الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، بصدد سؤال وجهه اليه مراسل نوفوستي في بيروت حول افغانستان « نحن لا نفصل ما بين حملة الافتراءات وبين مجمل السياسة العدوانية للامبريالية » واضاف « ان الحملة لا تستند الى واقع موضوعي قائم بقدر ما تستند الى مجموعة من الاكاذيب ، وتزييف الحقائق . بهدف خلط الاوراق في المنطقة ومحاولة تشويه الواقع القائم والتغطية على النوايا العدوانية للامبريالية ضد كافة شعوب المنطقة » .

في هذا الجو من التصريحات والمواقف الفلسطينية المعلنة والمسؤولة ، فيما يتعلق بقضية افغانستان ، اتت الدعوة السورية العاجلة لاجتماع طارىء لوزراء خارجية جبهة الصمود والتصدي في دمشق .

وفي ١٦/١/١٩٨٠ اجتمعت اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية للنظر في الدعوة السورية وفي ضوء المعلومات والمعطيات التي توافرت لدى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية اتضح ان النقطة الاولى على

جدول اعمال الاجتماع الطارىء سوف تكرس للموقف من افغانستان ، في ضوء الهجمة الاعلامية الدبلوماسية الشرسة التي تقودها الولايات المتحدة الاميركية ، وما يرافقها من تهديد او تلويح بالتهديد ، جعل المنطقة ولأول مرة منذ سنوات طويلة مركز الصراع في الحرب الباردة التي عاد شبحها يطل على العالم من جديد ، من خلال التهديدات الاميركية المستمرة ومن خلال التحركات العسكرية للأساطيل الاميركية السادس والسابع والخامس في البحار والمحيطات المطلة على المياه الدافئة ، كما يقولون . المياه التي تحتضن آبار البترول وتحيط بها ، وتشكل ممرا لمئات الملايين من براميل النفط التي تنعم بها ، وتستثمرها كبرى الشركات الامبريالية الاحتكارية وفي مقدمتها الشركات الاميركية .

وعلى وجه السرعة شكلت اللجنة التنفيذية للمنظمة وفدها الى المؤتمر الطارىء برئاسة فاروق القدومي وعضوية الاخوين عبد المحسن ابو ميزر وياسر عبد ربه ، عضوي اللجنة التنفيذية للمنظمة .

ولعله من المفيد جدا ، في هذا السياق ، استعراض نتائج ذلك المؤتمر الطارىء لوزراء خارجية جبهة الصمود والتصدي ، ولا سيما البرقية التي بعث بها المؤتمر الى الامين العام للمؤتمر الاسلامي ، والى جميع الحكومات الاسلامية ، حيث أن هذه البرقية لها دلالتها وانعكاسها على الموقف الفعلي لقوى الصمود والتصدي . وفيما يلي نص هذه البرقية .

« ان المؤتمر الاسلامي ظهر الى الوجود بعد حريق المسجد الاقصى في القدس الشريف وهو بهذا يتحمل مسؤولية الدفاع عن فلسطين والقدس الشريف ولا يمكن ان يسمح للقوى الاستعمارية وحلفائها استغلاله لتغيير اهدافه الشريفة والنبيلة التي ظهر للوجود من اجلها .

لذلك فان مؤتمر وزراء الخارجية لجبهة الصمود والتصدي المنعقد في دمشق بتاريخ الثامن والعشرين من صفر عام ١٤٠٠ هـ . والموافق للسادس عشر من كانون الثاني ـ يناير عام ١٩٨٠م يطلب اليكم ابلاغ الدول الاعضاء المقترحات التالية .

اولا تأجيل موعد انعقاد المؤتمر الاسلامي الى تاريخ لاحق ، لان السادس والعشرين من كانون الثاني ـ يناير الجاري هو موعد تطبيع العلاقات بين النظام المصري والكيان الصهيوني والذي يشكل خطوة خطيرة من خطوات تطبيع العلاقة بينهما . وان عقد المؤتمر في التاريخ المقترح سيؤدي الى التغطية على هذه الخطوة الخيانية وذلك بجذب الرأي العام العربي والاسلامي والعالمي الى المؤتمر عوضا عن مواجهة الاخطار الحقيقية الناجمة عن هذه الخطوة الخطيرة الجديدة .

ثانيا . عقد هذا المؤتمر في المملكة العربية السعودية باعتبارها البلد المقر للمؤتمر الاسلامي .

ثالثا : تضمين جدول اعمال المؤتمر المواضيع التالية

أ ـ تطبيع العلاقات بين النظام المصري والكيان الصهيوني وما ينجم عنها من انتهاك لحقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة دولته المستقلة فوق ترابه الوطني وتكريسا لاحتلال الاراضي العربية وتفريطا بالقدس الشريف .

ب ـ التهديدات الاميركية بالعدوان المسلح على شعوب المنطقة .

جـ ـ اقامة القواعد العسكرية الاميركية في بعض بلدان المنطقة كمصر وعمان .

ثالثا . يدين المخططات الاميركية وحملات التضليل الامبريالية والصهيونية التي تسيء الى الاسلام ومثله العليا باستخدامها ستارا لاغراضها العدوانية التوسعية ودعوة جميع الدول العربية والاسلامية الى اليقظة تجاه هذه المخططات والتصدي لها صفا واحدا لاسقاطها وللحفاظ على مبادىء حركة عدم الانحياز ومنظمة المؤتمر الاسلامي .

رابعا : يعلن وقوفه الى جانب الثورة الايرانية والشعب الايراني المسلم في الدفاع عن حريته واستقلاله

وسيادته وسيطرته على موارده ومن اجل التخلص من الهيمنة الامبريالية التي تحاول الولايات المتحدة فرضها عليه من جديد .

خامسا : يؤكد احترامه لارادة افغانستان في الدفاع عن وطنها وسلامة اراضيها وعدم انحيازها .

سادسا : يعلن عن عزمه على تعزيز الجبهة القومية للصمود والتصدي وتقويه دورها وتطوير مؤسساتها بما يخدم اهداف الامة العربية .

سابعا : يحذر من اي محاولة لبناء قواعد عسكرية اجنبية في الوطن العربي لان ذلك سيدفع المنطقة العربية الى اتون الصراع الدولي ويفقد دولها استقلالها الوطني وعدم انحيازها .

ثامنا : ان الامة العربية لن تجر الى تحقيق بعض اهداف المؤامرة بالاساءة الى علاقة الصداقة والتعاون القائمة بين الامة العربية والمنظومة الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي .

تاسعا : دعوة الجماهير العربية وكل قواها الوطنية الى القيام بأوسع تحرك يوم السادس والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٨٠ لتعبر عن غضبتها واستنكارها للخطوة الخيانية الجديدة التي يقوم بها النظام المصري في تطبيع العلاقات مع العدو الصهيوني . » .

لماذا خرج الموقف الفلسطيني فيما بعد ، او بشكل ادق ، لماذا بدا موقف المنظمة ، رغم تميزه عن موقفي الجزائر وليبيا ، وكأنه خروج على قرارات خارجية الصمود والتصدي المعبر عنه في البرقية ؟

قبل الاجابة لا بد لنا من نظره نلقيها على بعض الاسس، اولنقل بعض المبادىء ، التي تكاد تمثل نهجا ثابتا في السياسة الفلسطينية . ان ذلك يعين على فهم الموقف الفلسطيني ويسهل تفهم منطلقاته .

فالدبلوماسية الفلسطينية استندت دائما ، ومنذ زمن مبكر على مبدأ مقاطعة المقاطعة ، وبمعنى اكثر تفصيلا فان الدبلوماسية الفلسطينية كان قرارها دائما حضور اية اجتماعات عربية او أسلامية او دولية تعقد ، ويجري خلالها التعرض للقضية الفلسطينية ، اوما يمس هذه القضية من قريب او بعيد ، مباشرة او غير مباشرة . ذلك ان هذه الدبلوماسية ترى من خلال تجاربها الكثيرة والمريرة ان الغياب يسهل التغييب . فغياب المنظمة عن المؤتمرات العربية يسهل التآمر عليها وعلى قضيتها ، ويجعل الاتفاق عليها في السر او العلن امرا واردا بالنسبة لكل من يبتغيه ، وان حضور المنظمة ليس امرا ضروريا فحسب ، دائما هو امر حيوي ايضا ، من منطلق ان هذا الحضور يجعل المنظمة في صورة تفاصيل الاحداث ومعطياتها ، وبالتالي فانه يسهل على المنظمة القيام بعملية المواجهة اثناء مؤتمر ما ، ويسهل عليها في النتيجة القيام بعملية التقويم ، او الفرز ، الضرورية للمواقف والاتجاهات .

والدبلوماسية الفلسطينية ، من خلال خبرتها الطويلة في التعامل العربي والاسلامي والدولي ، اصبحت لديها حساباتها الخاصة في المدى المنظور وغير المنظور ، واصبح ميزان علاقاتها الخاضع لهذه الحسابات خاضعا لتقييم بالغ الدقة . وهي حذرة وحساسة الى حد بعيد بطبيعة الظروف المحيطة بها عربيا على وجه الخصوص ، وحساسيتها في الدرجة الاولى ، وقبل كل شيء ، تكمن في مسالة حيوية هي الحفاظ على استقلاليتها وسط كافة الضغوط .

هذه الملاحظات حول بعض مبادىء الدبلوماسية الفلسطينية كان لابد من وضعها في الحساب ، ونحن نمارس عملية قياس للموقف الفلسطيني من قضية افغانستان .

ونسارع الى القول ان المنظمة قد خرجت على مبادئها تلك خروجا واضحا ، خروجا جزئيا وليس كليا ، فهي حضرت مؤتمر اسلام اباد ولم تشارك في مناقشاته ، وهي تابعت سياق معطياته وتحفظت على مقرراته .

لماذا حدث ذلك ؟ لماذا حضرت المنظمة مؤتمرا منطلقاته تخالف منطلقاتها ، ولماذا اتخذت هذا الموقف المتفرد والذي يقترب من موقف اللاموقف ؟

ونقول ، ذلك كان اجتهادا ، وكان حسابات لامور كثيرة ، واستجابة لمبادىء دبلوماسية تمرست كثيرا في واقع التجربة وتجربة الواقع .

وبغض النظر ، عن صواب هذا الاجتهاد او خطئه ، وبغض النظر عن اية تحفظات او ملاحظات يمكن ان ترد على هذا الموقف، فان الأمر الذي لا بد من تقريره هو ان الموقف الفلسطيني من القضية الافغانية واضح كل الوضوح في ابعاده ومنطلقاته ، عبر عن نفسه وعبر عن القادة الفلسطينيون ، وفي مقدمتهم رئيس اللجنة التنفيذية لنظمة التحرير الفلسطينية ، وهو رأي يتلخص في الاقرار بحق الحكومة الافغانية في طلب المساعدة العسكرية من اصدقائها وحلفائها ، وان الحملة المثارة من حول هذه المسألة على الصعيد الامبريالي ، وعلى صعيد حلفاء وعملاء الامبريالية انما هي حملة تضليل وتزوير واسعة ، بل هي اوسع حملة تزوير يحاولون تمريرها على المنطقة بشكل خاص ، وفي العالم بشكل عام .

لماذا هذه الغيرة على الاسلام في افغانستان دون الغيرة على الاسلام في ايران ؟

لماذا هذا التنادي الشرس والتمادي الى حماية الاسلام والمسلمين في افغانستان ، دون التنادي الى حماية المقدسات وصيانة الحرمات الاسلامية التي تنتهكها اسرائيل منذ العام ١٩٦٧ ؟ ولماذا تتنادى الدول الاسلامية المتباعدة المتناقضة للجهاد ، ويلتف بعضها حول بعض يدا واحدة وقلبا واحدا ويثور غضبها ويغلي دمها ، امام القوات السوفييتية التي دخلت بطلب من الحكومة الافغانية ولا تتنادى امام الاحتلال الصهيوني للقدس التي يقع في القلب منها اولى القبلتين وثاني الحرمين ؟ لماذا يلتفون حول الاسلام ، ومن الذي يلفهم ؟

الاجابة ، من وجهة النظر الفلسطينية ، مهمة وضرورية ، لأنها تعطي القضية بعدها الواقعي ، وهو بعد سياسي وليس دينيا ، وهو من تحريك الولايات المتحدة الاميركية والقوى الحليفة ، والعميلة لها ، والهدف هو ايضا سياسي يتمثل في محاولة تحقيق حزام امبريالي يحيط بالمنطقة يستثمر شعار الاسلام ، ويقوم بحماية المصالح والاستثمارات والاحتكارات الامبريالية في المنطقة ، ولاحكام السيطرة على منابع النفط ومصادر الطاقة ، ولتطويق الثورات ومحاولة حصرها والقضاء عليها ، وفي مقدمتها الثورة الايرانية والثورة الفلسطينية .

ان الامبريالية العالمية ، بقيادة الولايات المتحدة الاميركية ، تحاول ان توفق بين مصالحها في دعم اسرائيل ، ومصالحها في استغلال طاقات العالم العربي والاسلامي ، محاولة حرف النظم العربية عن الخطر الحقيقي المتمثل في الصهيونية ، وتخويفها بالخطر الموهوم ممثلا بالاتحاد السوفييتي ، كما تقول الدوائر الامبريالية .

وفي هذا يقول الاخ عبد المحسن ابو ميزر ، الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، في آخر تصريح فلسطيني حول هذه المسألة ، قبل كتابة هذا المقال ، وذلك في مقابلة له مع صحيفة الرأي الاردنية يوم ٢٢/١/١٩٨٠ ما يلي

« ان المنظمة تعتبر افغانستان دولة شقيقة من حيث هي عضو في المؤتمر الاسلامي ، ودولة صديقة في حركة عدم الانحياز . واننا نحترم ارادة افغانستان في الدفاع عن سلامة اراضيها وصيانة عدم انحيازها ، ونرفض منطق الدول الغربية التي تحاول التظاهر كذبا بالحرص على سلامة الاسلام والمسلمين ، وقد تساءلنا لماذا لا تقف هذه القوى الغربية مع الاسلام والمسلمين في ايران وفي فلسطين والقدس ؟! » .

ويقول ايضا « ان هذا يكشف بوضوح ان هدف الضجة من قبل الدوائر الامبريالية ليس هو الحصر على الاسلام والمسلمين ، وانما هو تسخير العالم الاسلامي ضد الدول الاشتراكية الصديقة لقضايا العرب والمسلمين في فلسطين وايران وغيرها من القضايا التي تكافح فيها الشعوب ضد الامبريالية والصهيونية .

« ان هناك نقطة اساسية في الاستراتيجية الاميركية منذ عهد دالاس وحتى الان ، تتلخص في ان الولايات المتحدة تعتبر الكيان الصهيوني جزءا لا يتجزأ منها ، وهي حريصة على مده بكافة اسباب القوة ، ودعمه في سياسته العدوانية التوسعية .

وفي الوقت نفسه فان الولايات المتحدة لها مصالح مع العالمين العربي والاسلامي وفي مقدمتها النفط ، ولذلك

فهي تعمل من اجل التوفيق بين مصالحها في دعم اسرائيل ، ومصالحها في استغلال طاقات العالم العربي والاسلامي ، وتحاول من خلال ذلك ان تصور للعالم العربي والاسلامي ان الاتحاد السوفييتي خطر كبير عليهم » .

وخلاصة موقف م.ت.ف يفصح عنها قول ابو ميزر . « نحن نرى في المنظمة ان الحملة الغربية ضد الاتحاد السوفيتي تقع في اطار هذه السياسة .. » .

زياد عبد الفتاح

نـدوة
"الجامعة الشعبيـة المفتوحة"

تمهيد

في تقديمه لكراس صغير مكتف ، وضع بين يدي ندوة الخبراء التي عقدت في بيروت بتاريخ ٢٨ و٢٩ و٣٠/١/١٩٨٠ ، وحمل العنوان المثير التالي . « دراسة تمهيدية لجدوى إنشاء جامعة شعبية فلسطينية » ، يقول الدكتور وليد قمحاوي ، رئيس الصندوق القومي الفلسطيني :

« ويبدأ العمل لتحقيق الحلم ... الحلم بأن تكون هذه الجامعة المفتوحة للجميع ، منفتحة أمام كل تطوير في مجالات العلم والتكنولوجيا ، الآداب والفنون ، وتكون رائدة في نهضة ثقافية عربية طال مخاضها وحان مولدها ... وأن تكمل هذه الجامعة أعمال جميع المؤسسات التربوية والتعليمية والثقافية الأخرى ، داخل الوطن الفلسطيني المحتل ، وعلى امتداد الوطن العربي كله ، تقويها وتقوى بها ، تفيدها وتستفيد من إمكاناتها ... وحين يتحقق الحلم ، ستكون هذه « الجامعة الشعبية الفلسطينية » هدية الشعب العربي الفلسطيني إلى أمته العربية ، تربي وتعلم ، وتوجه وتثقف ، وتجمع وتوحد . وبواسطة الكلمة المطبوعة ، والصوت والصورة ، وعن طريق شريط الفيديو والقمر الصناعي ، ستسعى هذه الجامعة لتدخل كل بيت وتتفاعل مع كل عقل » .

هذا الاقتباس المطول من مقدمة مقتضبة للورقة الرسمية الأساسية لمشروع الجامعة الفلسطينية المفتوحة ، يكشف أبرز الجوانب التي يقوم عليها مفهوم هذه الجامعة ، وهي

أ ــ انها ستكون محققة للآمال العريضة للنهضة الثقافية العلمية التكنولوجية المنشودة في الوطن العربي .

ب ــ أنها ستكون فلسطينية المنطلق ، عربية المجال ، « هدية الشعب العربي الفلسطيني الى أمته العربية » .

جـ ــ أنها ستجند كل وسائل الايصال الممكنة ، النظرية والعملية ، الحديثة والتقليدية ، السمعية والبصرية الخ ...

د ــ أنها ستكمل أعمال المؤسسات العربية التربوية والثقافية القائمة حاليا ، وتتفاعل معها ، بحيث تفيدها وتستفيد من إمكاناتها .

ويستطيع المرء ان يمضي إلى ما لا نهاية في استخلاص الاستنتاجات من هذا المقطع الصغير ، الذي يلخص زخم الطموح الجبار، المرافق للدعوة إلى إنشاء الجامعة المفتوحة ، والذي لخصه الاخ ياسر عرفات ، رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بعبارة واحدة جامعة ، حين أراده أن يكون « ثورة ثقافية » ، مع التشديد

على أن تصنع هذه الثورة الثقافية ، لنفسها نموذجها الخاص المنبثق عن وضع الشعب الفلسطيني نفسه ، وألا تكون تقليدا لأي نموذج آخر معروف . وهذا الكلام يكتسب صفة رسمية ايضا : لأنه قيل في خطبة افتتاح ندوة الخبراء الأخيرة في بيروت .

إذن يجب، منذ البدء، أن نتناول المشروع بجدية كافية : لأنه يبدو من خلال طرح مناصريه على الاقل ، أجراء مشروع ثقافي تربوي علمي في التاريخ المعاصر للشعب الفلسطيني ، بل ربما للوطن العربي كله . ويزيد الأمر جديـة أن هذا « الزخم في الطموح » ــ إن صح التعبير ــ ليس من صنع أفراد متحمسين فحسب ، بل إنه يستند إلى تعاون ثلاث جهات رسمية لها إمكاناتها وسمعتها ومكانتها .

أ ــ اليونيسكو .
ب ــ منظمة التحرير الفلسطينية ، ممثلة بشكل مباشر بالصندوق القومي الفلسطيني .
جـ ــ الصندوق العربي للانماء الاقتصادي والاجتماعي .

ومن الضروري التذكير بأن دخول الصندوق القومي الفلسطيني طرفا أساسيا في مشروع الجامعة (بدلا من دخول دوائر أخرى مختصة في المنظمة) ، ناجم أصلا عن الحماسة الشخصية لرئيسه الدكتور وليد قمحاوي ، الذي لا نتجاوز الحقيقة اذا قلنا ، انه جاهد سنوات طويلة ، حتى استطاع أن يجعل من المشروع شيئا مقنعا ولا سيما في أوساط منظمة التحرير .

ويشير غلاف كراس الدراسة التمهيدية إلى أن هذه الدراسة اعدت من قبل مجموعة عمل تمثل هذه الجهات الثلاث . ويعطي الكراس فكرة سريعة عن خلفية الجامعة المفتوحة ، يتضح منها أن المباحثات التمهيدية مع اليونسكو بهذا الشأن ، بدأت في تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩٧٥، ثم تبعتها اتصالات بين منظمة التحرير الفلسطينية والصندوق العربي للانماء في اوائل سنة ١٩٧٦ ، وأخيرا اتفقت الجهات الثلاث على تشكيل فريق عمل يقوم بوضع دراسة تمهيدية للجدوى ، من شأنها ان تحدد مهام ووظائف « دراسة الجدوى » بالتفصيل .

لقد ضم فريق العمل عددا من الخبراء في مجالات مختلفة الديموغرافيا ' علم الاجتماع : المناهج ' وسائل التعليم . وقدرت تكاليف إنجاز « دراسة الجدوى » باكثر من اربعمئة الف دولار ، على أن تكون اليونسكو هي المنظمة الفنية المشرفة على التنفيذ . وقد قام الفريق الذي يتألف من باحثين عرب وفلسطينيين (معظمهم من العرب العاملين في الجامعات الاميركية) ، بالاطلاع على أنماط التعليم المفتوح الذي تمارسه دول العالم المختلفة مثل بريطانيا والدول الاشتراكية . ولم يتبين ، تماما ، ما هو المقصود بالحديث عن التعليم المفتوح الذي تمارسه الدول الاشتراكية ، ولكن يبدو أن فريق الجدوى مهتم جداً بهذا الأمر : وقد انضم إليه مؤخراً بحسب ما أعلنه رئيس فريق العمل في ندوة بيروت ، الدكتور موهلي من جامعة كارل ماركس في لايبزغ ، الذي كان من المقرر أن يحضر الندوة لولا حادث مفاجيء تعرض له وهو في طريقه الى بيروت ، اضطره للعودة الى برلين للمعالجة .

واطلـــع الفريق على الدراسات المتعلقة بالتعليم المفتوح في الصين وتانزانيا ، كما ذهب بعض أعضائه وعاين الجامعة اليابانية المفتوحة والوسائل التكنولوجية التي تستخدمها . كما أجرى الفريق مسحا ميدنيا لأوضاع المخيمات والتجمعات الاخرى الفلسطينية ، وقام بالاتصالات اللازمة بالدول العربية التي تؤوي الفلسطينيين ، وتباحث مع الجهات المعنية فيها بالثقافة والتربية والتعليم العالي والاعلام لدراسة الامكانات القائمة ومجالات التعاون المقبل . وبهذا يكون الفريق قد استطاع تجميع العناصر الكافية لوضع التصور المطلوب ، الذي عرض جانب منه على مشاركي ندوة بيروت .

ويمكن مراجعة تصريحات الدكتور إبراهيم ابو لغد ، رئيس فريق العمل ، لجريدة « **السفير** » ، في ١٩٨٠/١/٣١ ، والواقع أن المشروع لم يلق بعد « التغطية » الاعلامية الكافية . وإذا أريد له ان يكون نموذجا جديداً من نماذج « الثورة الثقافية » ، فلا بد من العمل على تعبئة جماهيرية كافية لمساندته والتفاعل معه .

الدراسة التمهيدية للجدوى

أكدت الدراسة التمهيدية لـ « الجدوى » الحاجة الماسة لتوفير إمكانات التعليم العالي للفلسطينيين ،

ووضعت هذه الحاجة في الاطار السياسي الشرعي المستند الى قرارات هيئة الامم المتحدة ، ولا سيما القرار رقم ٣٢٣٦ (٢٩) ، المؤرخ في ٢٢/١١/١٩٧٤ .

وقدرت الدراسة العدد السنوي للطلبة الفلسطينيين المتخرجين من الثانوية ، بأربعة وعشرين الفا ، يذهب خمسهم على الغالب ، إلى الجامعات العربية ومؤسسات التعليم العالي في الارض المحتلة . والعدد الاكبر من هؤلاء المقبولين ، يذهب الى الكليات النظرية : لان فرص القبول في الكليات العلمية والتكنولوجية محدودة جداً . وهذه الاحصاءات هي ، بالطبع ، مبدئية ، والمعتقد عموما ان عدد الخريجين من الثانوية يفوق التقديرات الواردة هنا . والاهم من ذلك أن الطلبة الجامعيين الفلسطينيين كما تقول الدراسة ــ « لا يعدون فعلا الاعداد اللازم لمواجهة أعباء الحياة التي سيحيونها ، سواء قدر لها أن تكون في مخيم اللاجئين أو في المناطق الريفية او الحضرية التي أتوا منها ، والتي من المفروض أن يعودوا اليها لينمجوا فيها » .

وهكذا يتضافر العاملان الكمي والنوعي ،ليشيرا الى وجوب العمل على إيجاد نظام للتعليم العالي ، قادر على تلبية الاحتياجات المتزايدة للمجتمع الفلسطيني المتميز بظروفه الخاصة : وتجد الدراسة أن العلاج الافضل لهذه الظروف هو « نظام التعليم المفتوح » الذي يستخدم التقنيات الحديثة ووسائل الاتصال الآلية من أجل الوصول إلى الطالب حيثما كان مقره ، ومن أجل تلبية احتياجاته مهما يكن نوعها . وهكذا ، فان النظام المفتوح من المرونة بحيث يلبي الاحتياجات الخاصة للتجمعات الفلسطينية مثلما يلبي الاحتياجات الخاصة للفـرد الفلسطيني ، وهذا ما أكدته ندوة بيروت ، فيما بعد ، حين كرر أحد مشاركيها البارزين ، (الاستاذ عبد الملك الناشف) تاكيد أن هناك أنظمة من التعليم المفتوح بقدر ما هناك من منتسبين الى هذا التعليم : أي انه لا وجود لصيغة جاهزة جامدة تطبق على الجميع تقريبا ، كما هو شأن التعليم التقليدي ، بل إن التعليم المفتوح يجد لكل حالة خاصة دواءها الخاص .

على أية حال ، تحدد الدراسة التمهيدية أهداف الجامعة الشعبية المفتوحة والخطة المقترحة لانشائها ، كما تقدم تحليلا لفئات المجتمع التي ستفيد منها ، وتقديرا لحاجات الفلسطينيين من القوى البشرية الماهرة اللازمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، كما تشمل تصورا عاما لوظائف الجامعة المفتوحة ، وموقعها ، وهيئة تدريسها ، وبنائها الاداري ، وجدواها الفنية والاقتصادية ، ومتطلباتها البشرية والمالية . ومجددا سيدرس كل ذلك ، بالطبع ، وبشكل مفصل ودقيق وموثق في « دراسة الجدوى » التي تضع الدراسة التمهيدية أهم تصوراتها ومتطلباتها . وهكذا يكون أهم ما قدمته « الدراسة التمهيدية » تاكيد أن « **نظام التعليم المفتوح** » هو العلاج النوعي للأوضاع الخاصة للمجتمع العربي الفلسطيني ، وبالتالي ضرورة استكمال دراسة الجدوى .

ندوة بيروت

كانت ندوة بيروت المتخصصة ، ندوة تمهيدية أيضا ' بمعنى أنها كانت خطوة في طريق استكمال دراسة الجدوى ، بما يمكن أن تعطيه لفريق العمل من فرصة للتعرف على اراء مجموعة متنوعة من المختصين من مختلف البلاد العربية من جهة ، وبما يمكن أن تكشف عنه من إمكانات التعاون في سبيل وضع تصور جماعي للخطط العامة لاقامة الجامعة المفتوحة وتحديد طبيعتها ورسم الخطوط العامة للمناهج والسياسة التعليمية .

وقد عقدت الندوة ــ كما ذكرنا ــ بتاريخ ٢٨ و٢٩ و٣٠/١/١٩٨٠ ، وحضرها فريق العمل ، وممثلون عن اليونسكو ، من أبرزهم السيد ديوزين ممثل المدير العام ، والدكتور عبد الله عبد الدائم ، واعضاء في منظمة التحرير في مقدمتهم الدكتور وليد قمحاوي والسيد صبري جريس ، كما ضمت خبراء ومختصين ومسؤولين عن التعليم العالي في الجامعة اللبنانية ، والجامعة الاميركية ، وجامعة دمشق ، وجامعة حلب ، وجامعة اليرموك ، والجامعة الاردنية ، وجامعات الوطن المحتل ، وجامعات الولايات المتحدة الاميركية ، وجامعة الكويت ، وبعض الجامعات البريطانيةوبعض مراكز الابحاث، ومعهد اليونسكو ــ اونروا في عمان . وهكذا ضم الاجتماع خبرات قديرة ومتنوعة ومتحمسة من الباحثين العرب والفلسطينيين .

وقد استضاف مركز الابحاث الندوة وقدم لها التسهيلات الكافية ، كما تم وضع المركز الاقليمي لليونسكو في البلاد العربية بتصرف الندوة ، وقدمت السيدة سعاد اسماعيل ، مديرة مركز اليونسكو بالوكالة ، كل جهد ممكن

لانجاحها . وتميزت الجلسة الاولى بحضور رسمي فلسطيني على أعلى مستوى . فقد حرص الاخ ياسر عرفات على افتتاح الندوة وإلقاء كلمة شاملة توضح تصور منظمة التحرير الطموح لفهوم الندوة ، وكان الى جانبه الاخوة : الدكتور أحمد صدقي الدجاني ، وطلال ناجي عضوا اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف . وشفيق الحوت مدير مكتب المنظمة في بيروت ، الذين واظبوا بقدر الامكان ، على حضور جلسات الندوة بعد الافتتاح ، وفي هذا الحضور الواسع تأكيد للاهتمام الجدي الذي توليه منظمة التحرير لمشروع الجامعة المفتوحة .

وفي اليوم الأول للندوة ، جرت مطارحة عامة حول تصورات الجامعة المفتوحة ووظيفتها ودورها ، واغتنى النقاش بآراء مختلفة : بعضها مؤيد جدا وبعضها معارض بوضوح ، وأكثرها مشفق جدا ، بسبب عظم التجربة وجدتها والخشية من عدم توفر الامكانات الكبيرة اللازمة لانجاحها . كما استفاد الحاضرون من الايضاحات العلمية والتقنية التي قدمها بعض المختصين في أساليب التعليم عن بعد ، مما ساهم في ايضاح طبيعة الفارق بين التعليم الجامعي النظامي والتعليم عن بعد . ولم يكن هناك تلخيص رسمي لنقاش اليوم الاول : لأنه قصد قصداً من أجل الاثارة الذهنية والتفاعل الفكري والمفهومي . ولكن يمكن التوصل منه الى الاستنتاجات العريضة التالية :

١ ــ الجامعة المفتوحة لا تستطيع أن تكون بديلا عن نظام التعليم الجامعي ، ولكنها مكملة له ، وإن كانت ذات طبيعة خاصة وأهداف متميزة .

٢ ــ الجامعة المفتوحة هي العلاج النوعي الملائم للوضع الفلسطيني المتجسد في الشتات والاحتلال والغربة في الوطن .

٣ ــ الجامعة المفتوحة ليست خاصة بمتخرجي الثانوية وإنما هي مشروع ضخم لتعليم جميع الراغبين في متابعة التحصيل مهما تكن اعمارهم أو درجات تحصيلهم .

٤ ــ الجامعة المفتوحة مشروع متعلق بالفلسطينيين أصلا ، ولكنه مخطط على أساس خدمة المنطقة العربية بأسرها .

٥ ــ تعتمد الجامعة المفتوحة ، في هيئتها التدريسية ومختصيها وفنييها ، على الخبرات الفلسطينية والعربية ، كما تتعاون ، في مراكزها المقترحة في البلاد العربية ، مع جميع الهيئات المعنية بالعلوم والثقافة والتعليم العالي .

٦ ــ الجامعة المفتوحة تهجر جميع أساليب التلقين وتتبنى أسلوبا أساسيا تلتزم به التزاما تاما ، وهو تربية ملكات التفكير والمحاكة والابداع واستثارتها .

٧ ــ من المأمول أن تتطور الجامعة الى مشروع ثقافي ثوري طموح كفيل باحداث انعطاف نوعي في طرق التفكير (السكونية) السائدة في الوطن العربي ، وذلك باتجاه المنهجية والدينامية والانفتاح والتقدم .

٨ ــ مهما قيل في الجامعة المفتوحة ، فان التحدي الاساسي الذي يجابهها هو في تحقيق الربط المنشود بين المعرفة والعلم وبين متطلبات الحياة الاجتماعية : أي في وضع العلم والثقافة في متناول المقتضيات اليومية للحياة الفلسطينية والعربية .

٩ ــ الجامعة المفتوحة هي الجامعة الوطنية الفلسطينية التي تعنى بالتعبئة النظرية والعلميه للمجتمع الفلسطيني ، باتجاه تحقيق أهدافه التحريريه والقومية والانسانية

ومن فضول القول ، التأكيد هنا على أن الاقدام على تلخيص تلك الآراء العميقة والخصبة التي قدمت في اليوم الأول للندوة ، بهذه الطريقة المبسطة المرقمة ، هو مغامرة قد تجر على كاتبها غضب المناقشين او عتبهم على الاقل ، ولكن يمكن لكل من حضر الندوة أن يقدر صعوبة بلورة تلك الموشور الملون من الآراء التي شاركت في النقاش : وههنا موطن العذر .

وفي اليوم الثاني للندوة ، انقسم الحاضرون الى ثلاث لجان اختصاصية هي : لجنة العلم والتكنولوجيا :

لجنة العلوم الاجتماعية والادارة ' لجنة التربية والانسانيات .

وكانت أمام هذه اللجان أوراق عمل تتعلق بالفلسفة الخاصة وبالتصورات الرئيسية لكل مقرر من المقررات التي ستعنى بها الجامعة المفتوحة ، من مثل الرياضيات والفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والجيولوجيا (في العلوم) ، والعربية والانكليزية والتاريخ والفلسفة (في الانسانيات) ، وعلم الاجتماع وعلم النفس والعلوم الاقتصادية والتربية والعلوم السياسية (في حقل العلوم الاجتماعية) ، كما كانت هناك أوراق عمل متصلة بالمقررات المهنية ، كالطب وما يتصل به والهندسة والتجارة والزراعة وتكنولوجيا الاغذية والادارة والاعمال التجارية والاقتصادية المختلفة .

ومن الحق ، ومن الواجب أيضا ، أن نقول إن أوراق العمل تفاوتت تفاوتا شديدا في مدى عمقها وأصالتها وجديتها. وإذا كان بعضها قد بلغ شاوا محترما في السعي باتجاه الأصالة والابتكار ، فان بعضا اخر لم يخرج عن المألوف المعتاد ، ولم يكن أكثر من تكرار للتصورات التقليدية للمناهج .

ثم إن هذه الأوراق تفاوتت تفاوتا شديدا في تصورها لموضوعها بالذات : فبعضها تضمن الفلسفة الخاصة للمقرر المعنى ، وبعضها خلا من أية فلسفة ، وبعضها اكتفى بالخطوط العامة للمناهج المقترحة دون الدخول في التفاصيل ، وبعضها أورد الخطوط العامة والتفاصيل ، وبعض اخر أورد التفاصيل دون الخطوط العامة . وظلت مواد كثيرة ، كالعربية والانكليزية ، بدون أوراق عمل . ولكن الأخطر من ذلك كله أن التصور المشترك لتجربة التعليم المفتوح يكاد يكون غائبا عن الأوراق ، ويصعب على المرء أن يستنتج من أوراق العمل أن أصحابها يصدرون من فهم معين لطبيعة الجامعة المفتوحة ' مما جعل بصمات الانظمة الجامعية التقليدية ، التي يدرسون في اطارها ، شديدة الوضوح في أوراق العمل التي قدموها ، لما اعتبروه هم ، أصلا ، موضوعا جديدا ومبتكرا ومتجاوزا كل نظام سابق من نوعه .

على أن هذه الملاحظات السلبية لا تنتقص من أهمية الجهود التي بذلت ، ولكثير من الزملاء عذرهم الخاص ، إما في قصر المدة المعطاة لاعداد الورقة ، وإما في نقص المعطيات الاساسية . ولقد اثبتت هذه الامور ، تماما ، أن ندوة بيروت كانت عملية ضرورية من أجل توفير التفاعل اللازم لبلورة مفهوم الجامعة الفلسطينية المفتوحه .

إذن ، لم يكن سهلا عمل اللجان الثلاث التي أوكل اليها وضع الخطوط العامة للمقررات الجامعية المحورية (أي التي تدرس لجميع طلبة الجامعة) وللمقررات الخاصة بكل فرع من فروع الاختصاص . على أن ادارة الندوة جعلت الأمور اسهل تناولا بتقديمها ورقة معتمدة لتنظيم العمل ، وهي الورقة التي حملت عنوان « اسئلة توجيهية للجان العمل » . وقد تضمنت هذه الورقة خلاصة الاسس التي تبنى عليها خطوط المناهج من جهة ، وتضمنت من جهة أخرى اسئلة دقيقة جدا ، ساعدت اللجان على وضع نتائجها في خطوط واضحة يمكن أن نتبين منها نقاط الالتقاء ونقاط الاختلاف   وهذه الورقة نموذج لما يمكن أن تقدمه ادارة أي اجتماع أو مؤتمر من عون لعمل المؤتمرين وتنظيم جهودهم .

ويلاحظ المرء ، بسهولة ، تداخل مصطلحي « الجامعة الشعبية » و « الجامعة المفتوحة » . ويبدو أن الرأي استقر اخيرا على استخدام الثاني الذي اعتمد نهائيا في الاوراق الرسمية التي قدمت للندوة

وفي اليوم الثالث للندوة ، قرئت تقارير اللجان ، وتبين منها وجود اتفاق كبير بين اللجان الثلاث على المناهج الجامعية المحورية ، واتفاق نسبي بين الاختصاصيين بشأن المناهج التخصصية . وبالطبع يصعب ، في مثل هذا التقرير ، الخوض في خطوط المناهج التخصصية ' لذلك سنكتفي بتقديم الخطوط العامة للمناهج الجامعية المحورية التي تتألف مما يلي :

١ ــ مقرر عام في العلوم ، يتناول مفاهيم العلوم الاساسية وطرائقها وأسسها .

٢ ــ مقرر عام في الانسانيات ، يتناول المفاهيم الاساسية للحضارة والثقافة والاشكال المتنوعة للتراث الانساني .

٣ ـ مقرر عام في العلوم الاجتماعية، يجري فيه التركيز على المجتمع العربي بتاريخه وجغرافيته ومؤسساته وتركيبه ، مع المقارنات اللازمة .

٤ ـ مقرر عام في الدراسات الفلسطينية (القضية الفلسطينية والمجتمع الفلسطيني في الاطار العربي) .

٥ ـ مقرر عام في نظرية المعرفة وفي أساليب البحث وفي التقنيات ، وما يتصل بذلك من الانظمة الحديثة للتوثيق والملاحظة والقياس والتجربة والاستنتاج والتحليل والتعليل .

٦ ـ توفير الكفاءة اللازمة في اللغة العربية .

٧ ـ توفير الكفاءة اللازمة في اللغة الانكليزية (أو بعض اللغات الأخرى) .

٨ ـ توفير الكفاءات المهنية والتدريب العلمي .

وفي نهاية المناقشات ، سجلت ملاحظات كثيرة قيمة تتعلق بوضع الجامعة وطبيعتها ، وبالدراسات العليا في الجامعة ومقر رئاستها المنتظر، كما تتعلق بوسائل اتصالها بالطلبة وضرورة ابعاد التعليم فيها عن طرق التلقين والاستظهار ، وتاكيد علاقتها بالاطار العربي المحيط بها وتجاوبها الاكيد مع المتطلبات النوعية والعملية للمجتمع العربي الفلسطيني .

وخلاصة القول ، أن الجامعة المفتوحة تثير جوانب متعددة وخصبة ، يصعب حصرها في إطار تقرير عام . ولكن يظل السؤال الاساسي ، الذي يثيره هذا المشروع الطموح ، هو : هل يستطيع الوضع الفلسطيني الخاص أن يتمخض ، بالتفاعل مع إطاره العربي العام ، عن تجربة ثقافية حضارية أصيلة لا تقع في مهاوي الابتذال والميكانيكية والاحتيال العلمي والمنهجي ؟

لقد وضعت ندوة بيروت أساسا للتفاؤل بامكان ذلك : لأنها عالجت الموضوع بصراحة وبحذر وبقلق واضح بشأن إمكانات التطبيق .

د . حسام الخطيب

وثائق

مواقف الاحزاب السويدية الرئيسية من القضية الفلسطينية

حظيت القضية الفلسطينية بمكانة مميزة في مناقشات الاحزاب السياسية السويدية المتعلقة بالمسائل الخارجية ، في اثناء المعركة الانتخابية التي جرت في العام الماضي . ولما كانت الحملات الانتخابية في السويد تقتصر ، غالبا ، على الهموم الداخلية ، وقلما تتعرض للسياسة الخارجية ، فان لاهتمام الاحزاب بالقضية الفلسطينية هذه المرة ، مدلولا واضحا ، يبين الوزن المتحقق لها في السويد وفي اوروبا الغربية كلها . والمعروف ان « التحالف اليميني » الذي يضم احزاب الوسط والليبراليين والمحافظين ، قد فاز باغلبية صوت واحد في مواجهة التحالف الذي يتكون من الحزبين الاشتراكي والشيوعي اليساري . وفي اثناء المعركة الانتخابية ، وبالتحديد في ١٩٧٩/٨/٢٥ ، استدعت الاذاعة السويدية ممثلي الاحزاب الخمسة الرئيسية هذه ، لسماع وجهات نظرهم بشأن القضية الفلسطينية ، في اطار برنامج « نحن والعالم » الذي يخرجه ويقدمه السيد « بوكار لستروم » .

فيما يلي نقدم الترجمة الحرفية لاسئلة معد البرنامج واجوبة ممثلي الاحزاب عليها :

*** بوكار لستروم :**

عبر المستشار النمساوي برونو كرايسكي ، منذ فترة قصيرة ،عن اعتقاده بان اعتراف اوروبا الغربية بمنظمة التحرير الفلسطينية بات قريبا . وكان ذلك عقب اجتماعه ومستشار المانيا الغربية السابق فيلي براندت مع زعيم المنظمة ياسر عرفات .

نظرا لاهمية المسألة الفلسطينية على المستوى العالمي ، ارتأينا ان نعرضها على ممثلي الاحزاب الخمسة الرئيسية في السويد ، بهدف معرفة رأيها في الصراع الدائر في الشرق الاوسط بشكل عام . ورأيها في منظمة التحرير الفلسطينية بشكل خاص . ولقد قمنا بتوجيه الاسئلة نفسها الى الاحزاب الخمسة

١ ـ ما هو رأي الحزب بتصريحات المستشار النمساوي كرايسكي ، التي عبر فيها عن اعتقاده بقرب اعتراف دول غرب اوروبا بالمنظمة ؟ وهل حزبكم على استعداد للمساهمة الفعالة التي من شانها ان تمهد امام ذلك الاعتراف ؟ .

٢ ـ كيف يصنف حزبكم الفلسطينيين اليوم ؟ هل هم لاجئون ام شعب له الحق بالحصول على دولته المستقلة ؟ .

٣ ـ هل يعتقد حزبكم ان بالامكان تبرير العمليات العسكرية الاسرائيلية في جنوب لبنان ، واعتبارها خطوات تمليها ضرورة الدفاع عن النفس ضد قواعد الفدائيين الفلسطينيين ، ام يجب ادانتها ؟

٤ ـ ما هو موقف حزبكم من انشاء مستوطنات اسرائيلية في المناطق العربية المحتلة ؟ .

٥ ـ هل تعتقدون ان هناك تحولا في الرأي العام السويدي والدولي بشكل عام ، لمصلحة فلسطين

ومنظمة التحرير ؟ وهل طرأت تبدلات على مفاهيمكم تجاه القضية الفلسطينية ؟ .

*** سفن اندرسون (وزير خارجية سابق) ــ الحزب الديمقراطي الاشتراكي**

١ ــ اعرف ان كرايسكي متفائل جداً بالنسبة لتطورات القضية . ان مسألة الاعتراف بمنظمة التحرير تتعلق بالدرجة الاولى بتصرفات المنظمة نفسها . نحن لم نعترف حتى الان بالمنظمة ، ولا يمكننا ان نفعل ذلك ما دامت المنظمة تقوم باعمال العنف ، وما دامت غير مستعدة للتخلي عن تهديد كيان اسرائيل . من الطبيعي ان يعترف الجميع بالمنظمة في حال موافقتها على العمل في سبيل السلام في المنطقة .

٢ ــ هم شعب له الحق في تقرير مستقبله بنفسه في دولته الخاصة او في المناطق التي يعيش فيها . ونحن نستند في ذلك الى ميثاق هيئة الامم المتحدة وقرارات مجلس الامن التي عبرت ، في اكثر من مناسبة ، عن حق الشعب الفلسطيني في العودة الى المناطق التي هجر منها ، وخصوصاً بعد حرب ١٩٦٧ . المشكلة ايضا مشكلة لاجئين بلا ريب ، الا ان الاساس هو حق الشعب الفلسطيني بتقرير اوضاعه الاجتماعية بنفسه .

٣ ــ لقد قمت دائما بادانة مثل هذه العمليات الانتقامية ، كما ادنت بالمقابل ، العمليات التخريبية لمنظمة التحرير الفلسطينية . ان عمليات القتل هذه سوف تستمر الى ما لانهاية ، ما لم يجلس الطرفان للاتفاق على مائدة المفاوضات. ان حل مشكلة العرب الفلسطينيين ضروري لايقاف حلقة العنف . على ان اسرائيل ، كدولة ، استخدمت اساليب عنيفة للغاية لا يمكن الدفاع عنها .

٤ ــ نحن نعارض بناء المستوطنات الاسرائيلية ، لانها تتنافى والقانون الدولي المستمد من ميثاق هيئة الامم المتحدة وقراراتها بهذا الشأن . وعلى هذا الاساس ، فاننا نرى ان بناء المستوطنات يشكل عقبة في وجه السلام في الشرق الاوسط .

٥ ــ لا نزال ايجابيين للغاية بالنسبة لاسرائيل ، بدليل اننا ما زلنا نعارض كل محاولة لاضعافها ، او تهديد مصالحها الدولية . اما موقفنا من عرب فلسطين ، فقد كان ، دائما ، مؤسسا على ارضية قرارات الأمم المتحدة التي اعترفت لهم بحق تقرير المصير . موقفنا هذا لم يتغير مطلقا . الا ان ما تبلور في السنوات الاخيرة، هو وجود ممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني ، هو منظمة التحرير الفلسطينية . هذا امر يجب القبول به . واذا ما قامت منظمة التحرير بتحمل مسؤولياتها في قيادة الشعب الفلسطيني والسير في طريق حل الصراع عن طريق المفاوضات السلمية ، فمن الطبيعي ان نمنح المنظمة دعما لم تحصل عليه من قبل .

لقد بات واضحاً في السنوات العشر الاخيرة، ان جوهر الصراع في الشرق الاوسط هو مصير الملايين الثلاثة او الاربعة من العرب الفلسطينيين . لا بد من الاعتراف بأن لهؤلاء حقا معادلا للشعوب الاخرى فيما يتعلق بالتعايش وتطوير ثقافتهم وتراثهم ولغتهم وتوجهاتهم الاجتماعية . ان زيادة معرفتنا بهذا النطاق هي التي كانت وراء التغيير الذي طرأ . وبمعنى آخر ، لقد حدث تفهم اعمق لحقوق الفلسطينيين العرب .

*** كارين سودر (وزيرة خارجية سابقة) ــ حزب الوسط**

١ ــ فيما يتعلق بحقيقة تمثيل المنظمة ، نعتقد ان الشيء الاهم هو الافساح في المجال امام الشعب الفلسطيني لاختيار ممثليه بنفسه . هذا سيكون افضل هدية يمكن لمنظمة التحرير ان تحصل عليها . لقد ساهمنا، في الماضي ، بالسماح لمنظمة التحرير بالظهور على منصة الامم المتحدة وتمثيل الشعب الفلسطيني . نحن نعتقد ان المنظمة تتمتع بصفة تمثيلية اكثر من غيرها، على الرغم من وجود ممثلين اخرين للشعب الفلسطيني غير معروفين كثيراً في الخارج . نحن في العادة لا نعترف بمؤسسات من هذا النوع . ان اعترافنا يقتضي وجود حكومة ممثلة لشعب فوق ارض محددة . لذلك نرى ان اهم شيء هو منح الشعب الفلسطيني فرصة لاختيار ممثليه بنفسه . وهذا لا يعني انني اشك بأن منظمة التحرير هي اكثر التنظيمات تمثيلا للشعب الفلسطيني .

٢ ــ نعم ، ان للفلسطينيين حقا في تشكيل دولة خاصة ، ولقد صرحنا بذلك في مناسبات عديدة . والفلسطينيون ، بطبيعة الحال ، يمثلون مشكلة لاجئين ضخمة . لقد عانى الفلسطينيون بشكل مأساوي على مدى عشرات السنين . لذلك نرى ان من

الواجب بحث الموضوعين معا .

٣ ـ لا يمكن ، اطلاقا ، الدفاع عن عمليّات قصف جنوب لبنان التي تودي بارواح الاطفال والمرضى والعزل . لقد ادنت العمليات العسكرية الاسرائيلية هذه بشدة ، عندما كنت وزيرة للخارجية . في الوقت ذاته ، ادنت العمليات الارهابية ضد اسرائيل . فالعنف يولد عنفا ، والطريقة الوحيدة لحل صراع الشرق الاوسط او اي صراع آخر ، هو جلوس الاطراف المتنازعة حول مائدة المفاوضات ، والعمل على الاتفاق بصورة سلمية .

٤ ـ لا يمكن الجمع بين هذه المستوطنات وقرارات الامم المتحدة . ولا شك في ان مخالفة قرارات الامم المتحدة تعتبر أمراً خطراً ، زيادة على ان هذه المستوطنات تزيد من تعقيد حل ازمة الشرق الاوسط .

٥ ـ لقد حدث تفهم اعمق لجوهر المشكلة في الشرق الاوسط ، وللمعاناة التي يعيشها اللاجئون الفلسطينيون في المنطقة . هذا الفهم الاكثر عمقا ادى بدوره الى خلق اجواء للنقاش اكثر توازنا داخل جميع الاحزاب السياسية السويدية . نحن نعتقد ان حل مشكلة الشرق الاوسط يجب ان يرتكز اساسا على حق الشعب العربي الفلسطيني بتقرير مصيره بنفسه ، بما في ذلك حقه في دولته المستقلة ، بشرط ان تعيش هذه الدولة بسلام ، جنبا الى جنب مع اسرائيل . ان كلا الشعبين ، الاسرائيلي والفلسطيني ، لهما حقوق وطنية ، ويجب علينا ان نعمل ونساعد ، بكل ما لدينا من طاقة ، لحل الصراع بشكل يسمح للطرفين بالعيش جنبا الى جنب بسلام . ان المشكلة لا يمكن حلها ، على المدى الطويل ، بواسطة العنف ، بل يجب على الطرفين ان يجتمعا ويعملا على حلها عن طريق المفاوضات .

*** الين هانيلسن ـ الحزب المحافظ**

١ ـ ما يقصده درايسكي هو ضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات السلام في الشرق الاوسط . ان الرأي العام السويدي متحد بشأن هذا الامر ، اذ ان البرلمان السويدي عبر عن ذلك بشكل واضح وبموافقة جميع الاحزاب . تعتبر منظمة التحرير عندنا المنظمة الاكثر تمثيلا للشعب الفلسطيني : اذ انها منظمة عريضة تضم مختلف التنظيمات والافكار . على اية حال ، نحن لا نوافق على المضمون السياسي للمنظمة ولا على الوسائل التي تستخدمها .

٢ ـ كانت القضية في السابق تعتبر مشكلة لاجئين فحسب . وهذا امر خطأ . الفلسطينيون لهم الحق في تقرير مصيرهم بانفسهم ، ولهم حق الاشتراك في المباحثات التي ستقرر حقوقهم الوطنية كشعب .

٣ ـ هذه العمليات العسكرية لا تخدم مصلحة السلام . ربما نفهم ان اسرائيل تشعر بالتهديد ، وترغب ، عبر هذه العمليات ، بمنع العمليات التخريبية ضدها ، الا ان هذا الاسلوب يبقى اسلوبا خطأ : لان الاعتداء على اراضي دولة اخرى لا يخدم مصلحة السلام .

٤ ـ اننا نعتقد ان اقامة المستوطنات امر بالغ الضرر ، ونحن نؤيد ، في هذا المجال ، موقف الحكومة السويدية وقرارات الامم المتحدة بشأن ادانة مثل تلك الاعمال .

٥ ـ لقد حصلت اسرائيل ، في الماضي ، على دعم كبير من الرأي العام السويدي ، وكان ذلك نتيجة عاملين مفهومين ان اسرائيل بعاداتها وتقاليدها المستمدة من الديانة اليهودية تتشابه في بعض نواحيها العادات والتقاليد المسيحية . من ناحية اخرى ، المآسي وعمليات الابادة التي عاناها يهود اوروبا قبل واثناء الحرب العالمية الثانية .

لقد حصل الان بعض التغيير في موقف الرأي العام السويدي في غير مصلحة اسرائيل . ولا شك في ان مواقف اسرائيل من المستوطنات ومواقفها المتشنجة من الاعتراف بالفلسطينيين كانت وراء ذلك التغيير . نحن نؤيد ايجاد حل سلمي يضمن الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ، ويضمن ، بالمقابل ، حق عرب فلسطين بتقرير مصيرهم . ونعتقد ان مواقف منظمة التحرير باتت اكثر اعتدالا ، اذ انها لا تنادي الان بالقضاء على اسرائيل كليا ، كما كانت تفعل قبل بضع سنوات .

*** هانس بليكس (وزير الخارجية اثناء تسجيل البرنامج) ـ الحزب الليبرالي**

١ ـ هذا الامر لا يعتمد على الحزب الليبرالي بقدر ما يعتمد على منظمة التحرير ذاتها . فاذا ما تصرفت

المنظمة بشكل يؤهلها لتحمل المسؤولية ، واذا ما استعملت اساليب اكثر اعتدالا ، فان ذلك سيمنحها مركزا افضل على المستوى الدولي .

٢ ـ انهم كلا الامرين معا . في الماضي كان ينظر الى الفلسطينيين على انهم لاجئون فقط ، وكذلك اعتبرتهم قرارات الامم المتحدة . الا ان الفترة الاخيرة شهدت تطور شعور واضح بان الفلسطينيين يمثلون احد ابرز المسائل السياسية الجوهرية التي يجب حلها في اطار الحل الشامل لصراع الشرق الاوسط ؛ ونحن مع هذا الرأي .

٣ ـ نحن قلقون جداً من تصعيد عمليات العنف ، خصوصاً تصعيد العمليات العسكرية الاسرائيلية ضد جنوب لبنان خلال الاشهر الاخيرة . وبالتأكيد ، نحن نعي ان هذه العمليات هي عمليات انتقامية ، الا ان استخدام العنف الشديد امر بالغ الخطورة ، واننا نعتقد ان على جميع الاطراف تحمل مسؤولياتها في تخفيف حدة العنف ، تمهيداً لحل سلمي .

٤ ـ لقد اكدنا، في عدة مناسبات ، قلقنا لانشاء هذه المستوطنات . ان اتفاقية كامب ديفيد لا تتحدث عن المستوطنات . الا ان من الواضح ان اي حل يهدف الى اعتماد الضفة الغربية اساسا لحل سلمي لصراع الشرق الاوسط، لا بد من ان يتعقد كثيراً بسبب هذه المستوطنات ، وعليه ، فاننا نرى ان اقامتها امر سيىء .

٥ ـ كنا دائماً ضد الاعمال التخريبية لمنظمة التحرير . على انه بات لدينا الآن احساس اوضح بأنه لا يمكن الوصول الى حل للمشكلة الفلسطينية ومشكلة الشرق الاوسط ككل ، بدون ايجاد حل سياسي للفلسطينيين . من الجلي ان المنظمة ذاتها شعرت بان تلك الاعمال التخريبية لا تخدم اهدافها ، وانا امل في ان تستمر المنظمة على هذا الطريق . لقد تكون لدى الناس احساس واضح بان مشكلة الفلسطينيين ليست مجرد مشكلة لاجئين ، بل هي ايضا مشكلة سياسية ، وهذا ينطبق علينا ايضا .

* اوسفالد سوديركفست ـ الحزب الشيوعي اليساري

١ ـ نعم . لقد فعلنا اقصى ما نستطيع من اجل التمهيد للاعتراف بالمنظمة ، ولقد عبرنا مرارا عن رضانا وترحيبنا بالتطورات الاخيرة في هذا المجال . فيما يتعلق بالانتقادات ضد اساليب العنف التي تعتمدها المنظمة ، من الواضح ان المنظمة استخدمت في بعض الاحيان اساليب عنف ربما نعتبرها غير صحيحة . على ان امكانات المنظمة في الفترة التي سبقت حصولها على الاعتراف العالمي ، كانت محدودة ، وكان على المنظمة العمل لاسماع صوتها بخصوص حقوق الشعب الفلسطيني .

٢ ـ لا . انها ليست مشكلة لاجئين . الفلسطينيون شعب طرد من الارض التي سكنها على امتداد آلاف السنين .

٣ ـ يجب ادانتها ولا يمكن الدفاع عنها . ان الاسرائيليين يملكون حل المشكلة ، لكنهم يقولون ، عوضا عن ذلك ، ان على الدول العربية حل المشكلة ، على الرغم من ان الاسرائيليين هم الذين طردوا عرب فلسطين للمرة الاولى في عامي ١٩٤٧ و ١٩٤٨ .

٤ ـ المستوطنات غير شرعية ، ولقد اوضحت قرارات الامم المتحدة تكرارا ، عدم شرعيتها . الا ان الاسرائيليين ما زالوا مستمرين في بنائها بهدف تشديد رقابتهم على الاراضي المحتلة ، والادعاء من ثم بأنها ارض اسرائيلية وليست فلسطينية .

٥ ـ لم يتغير موقفنا ، الا اننا حصلنا ، كغيرنا ، على معلومات وحقائق موضوعية اكثر شمولا ، ادت الى وضوح اكبر في موقفنا . لا شك ان تبدلا كبيرا طرأ على الرأي العام الغربي . لقد ظل الرأي العام يتحدث عن حقوق اسرائيل فقط على امتداد الخمسينات والستينات فحسب، وكان ينظر الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها مشكلة لاجئين فحسب ، يجب على الدول العربية حلها ، لا باعتبارها مشكلة يقع على اسرائيل التي خلقتها تحمل مسؤوليتها . التغير البارز الذي حدث هو قناعة الرأي العام ، الآن ، بان اسرائيل هي المسؤولة عن المشكلة ، وهذا تطور ايجابي بارز .

* بوكار لستروم

يتضح مما سمعنا ، ان جميع الاحزاب السويدية متفقة الى حد بعيد في جميع النقاط التي طرحناها عليها ، باستثناء الحزب الشيوعي اليساري الذي اعلن تأييده غير المتحفظ للفلسطينيين ومنظمة التحرير .

● لقد اقرت جميع الاحزاب ان منظمة التحرير

الفلسطينية هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني .

● وانتقدت جميع الاحزاب اساليب العنف التي تستخدمها المنظمة .

● وشعرت جميع الاحزاب بان المنظمة باتت اكثر اعتدالا ، وانها لا ترفض حل المشكلة عن طريق المفاوضات .

● ادانت جميع الاحزاب الاعتداءات الاسرائيلية على جنوب لبنان .

● اتفقت جميع الاحزاب على ان المستوطنات الاسرائيلية تشكل عقبة في وجه السلام .

● واخيرا اشار الجميع الى ان تحولا طرأ على الراي العام السويدي لمصلحة الفلسطينيين ، وتعليل ذلك هو زيادة المعرفة بالاوضاع الفلسطينية .

شهريات

المناطق المحتلة

تعزيز الوحدة الوطنية
وتجدد النشاط الاستيطاني في الخليل

مع وصول العلاقات المصرية ـ الاسرائيليه الى مرحلة التطبيع ، فمن المفروض أن تكون المرحله القادمة في اطار تنفيذ اتفاقيات كامب ديفيد ، تطبيق ما يسمى بالحكم الاداري الذاتي على الاراضي المحتلة ومع استمرار الجمود في مباحثات الحكم الذاتي بين اطراف كامب ديفيد ، تواصل السلطات الاسرائيلية ممارساتها القمعية ، والاستفزازيه ضد سكان المناطق المحتلة بهدف ايجاد طرف فلسطيني يرضى الدخول الى تلك المباحثات . ومن هنا تشكل ساحة الارض المحتلة ، في هذه الفترة الحلقه المركزيه التي يجب تخطيها لمواصلة مسيرة التسوية بين مصر واسرائيل . ومن هنا كذلك يمكن فهم اجراءات السلطات الاسرائيلية الاخيرة ، وعبر محاولات متكررة لشق وحدة الصف الوطني بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، ومحاولات اعتقال وطرد بعض رؤساء البلديات الوطنيين ، وشراء امتياز شركة كهرباء القدس الوطنية ، واخيرا الاجراءات الوحشية ضد مدينة الخليل العربية ، اثر مقتل المستوطن يهوشوع شلومو . هذا بالاضافة الى استمرار عمليات الاستيطان ، ومصادرة الاراضي العربية المحتلة .

١ ـ الوضع السياسي

تميز الوضع السياسي في الاراضي المحتلة في الفترة الاخيرة ، بالتاكيد على ضرورة التمسك بالوحدة الوطنية ، وضمان رسوخها اثر محاولات بعض العناصر في قطاع غزة تخريب صورة التضامن الوطني ، كما واصلت القيادات الوطنية رفضها محاولات فرض الحكم الاداري الذاتي ، واعلنت مجددا تمسكها القاطع بمنظمه التحرير الفلسطينيه ممثلا شرعيا وحيدا للشعب الفلسطيني ورفض اللقاء مع المبعوث الامريكي لينوفيتش .

المبعوث الامريكي واللقاء مع ممثلي المناطق

في اطار مفاوضات الحكم الذاتي بين اطراف كامب ديفيد . وأمام مشكلة عدم وجود طرف فلسطيني يقبل الدخول فيها . طلب صول لينوفيتش المبعوث الامريكي المشترك فيها اللقاء مع ممثلي المناطق المحتلة . وقد اعلن رؤساء بلديات الصفة الغربية رفضهم اللقاء مع المبعوث الامريكي ، واكدوا ان منظمة التحرير الفلسطينيه هي الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ايما وجد ، وهي بالتالي التي « تملك الحق في التفاوض ، او الحديث باسم الشعب الفلسطيني » (وفا ١٩٨٠/١/٢٦ ، ص ٢) . واضاف رؤساء البلديات في بيان اصدروه بشان الموضوع ، ان اي حل سياسي يجب ان يحظى بموافقه منظمه التحرير الفلسطينية ، وانهم لن يقبلوا اي عرض مهما كان ، طالما انه مرتبط بنهج اتفاقيات كامب ديفيد وملحقاتها .

وكان رؤساء البلديات يردون بذلك على تصريحات نسبت الى لينوفيتش قال فيها ، انه يعلم ان رؤساء البلديات في الضفة الغربية وقطاع غزة رفضوا حتى الان الدخول في هذه المفاوضات ، غير انه اذا

« اقترح عليهم مشروع مغر فسوف يصعب عليهم عدم المشاركة في المفاوضات ... » (المصدر نفسه) .

وكان اللقاء الوحيد الذي حظي به لينوفيتش ، هو لقاءه مع رشاد الشوا ، رئيس بلدية غزة ، حيث عقد الاثنان اجتماعا يوم ٣٠/١/ ١٩٨٠ حضره صموئيل لويس السفير الامريكي في اسرائيل ، ودام اكثر من ساعة ونصف الساعة صرح الشوا بعده ، انه من الضروري « استمرار جهود الولايات المتحدة لتقريب وجهات النظر بين مصر واسرائيل بالمفاوضات على الحكم الذاتي حتى ينضم الفلسطينيون الى المفاوضات في نهاية الامر » (هارتس ، ٣١/١/ ١٩٨٠) .

واوضح الشوا كذلك ، انه في الوضع القائم حاليا، يرفض اي اشتراك لممثلي الفلسطينيين من اي نوع بالمفاوضات ،لان الفجوة كبيرة جدا ، ويجب ان تكون المباحثات الرسمية مع منظمة التحرير الفلسطينية التي يمكنها ان تمثل الفلسطينيين »(المصدر نفسه)

ومن جهة اخرى انتقد الدكتور حيدر عبد الشافي لقاء الشوا مع لينوفيتش لان مثل هذا اللقاء « لايخدم القضية الفلسطينية » وقد رد الشوا على الانتقادات الموجهة اليه بسبب ذلك الاجتماع وقال ، انه من « الخطأ عدم الاجتماع والمقاطعة ، والافضل شرح المواقف لجميع الجهات »(ر .ا. إ ، العدد ١٠٧٤ ، ٣٠ و ٣١ /١/ ١٩٨٠ ، ص ٧) .

وعن الاقتراحات التي تدعو الى بدء تنفيذ الحكم الذاتي في قطاع غزة اولا قبل الضفة الغربية ، اوضح الشوا للصحافيين الذين التقاهم قبل اجتماعه مع لينوفيتش ، معارضته لهذا الاقتراح ، واضاف ، ان منظمة التحرير الفلسطينية ستوافق على الانضمام لمباحثات الحكم الذاتي ، اذا ضمنت اقامة دولة فلسطينية (المصدر نفسه) .

واكد الشوا ، انه لم يأت لاجراء مفاوضات مع لينوفيتش ، بل لطرح وجهة نظر الفلسطينيين وعرض حالتهم .

اما المبعوث الامريكي فقد قال لمجموعة من الصحافيين انه اجرى محادثة « جيدة مع رئيس بلدية غزة ، واتفقنا ان نبحث سويا عن طرق تحقيق حل ، لتقليص الفجوة القائمة بين الاراء المختلفة » (هارتس ،٣١/١/ ١٩٨٠)

ومن جهة اخرى ، تحدثت بعض وكالات الانباء عن اجتماع عقده المبعوث الامريكي مع شخصية فلسطينية اخرى هي انور الخطيب ، حاكم القدس السابق . وذكرت مصادر امريكية ان مثل هذا اللقاء عقد بمنزل الخطيب في القدس يوم ٣٠/١/ ١٩٨٠ . وحسب رواية تلك المصادر فقد وصل الخطيب بعد ظهر ذلك اليوم الى القنصلية الامريكية في شرقي القدس ، وعندما لاحظ وجود صحافيين على مدخل القنصلية ، دخل الى بناء قريب ، واتصل مع موظفي القنصلية تلفونيا ومن ثم خرج الى بيته ، وبعد ذلك خرج من القنصلية صمول لينوفيتش ، والسفير لويس واخرون ، حيث جرى اللقاء في منزل الخطيب ... »(المصدر نفسه) .

اما الخطيب فقد نفى من جهته ماتناقلته بعض وكالات الانباء عن اجتماعه الامريكي . وقال في تصريح صحافي انه « ليس هناك اي جديد لقبول الاجتماع بالمبعوث الامريكي »(الدستور ، ١/٢/ ١٩٨٠) .

الانتخابات البلدية ، ورفض مشاريع الحكم الذاتي

من المقرر ، وبحسب نظام البلديات في الضفة الغربية ، ان تجري الانتخابات البلدية والقروية في شهر نيسان (ابريل) من العام الحالي وقد اعلنت سلطات الاحتلال ، على لسان العميد بنيامين العيزر قائد منطقة الضفة الغربية ، ان هذه الانتخابات ستؤجل الى موعد اخر بسبب قربها من موعد الانتخابات التي ستجري لمجلس الحكم الاداري الذاتي . واوضحت مصادر صحافية اسرائيلية مدى حساسية هذا التبرير ، واكدت ان قرار التاجيل اتخذ ، خوفا من الاضطرابات والفوضى ، وان الحكم العسكري يخشى اجراء الانتخابات ، لان كل سكان الضفة سيصوتون الى جانب مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية فقط ، الذين يعارضون مشروع الحكم الذاتي،وان انتخاب مرشحي منظمة التحرير معناه توجيه ضربة حاسمة لمشروع الحكم الاداري الذاتي » (هارتس ، ٢٣/٢/ ١٩٨٠) .

كما يخفي قرار التاجيل اهدافا اخرى عند سلطات الاحتلال . فهي تحاول انتظار نتائج مباحثات الحكم الذاتي ، حتى تعلن عن موعد موحد لاجراء انتخابات مجلس الحكم الذاتي ، والانتخابات البلدية . في محاولة لاثارة « فتنة » جديدة . وهو ما اوضحه كريم خلف رئيس بلدية رام الله ، وحسب رايه فان السلطات الاسرائيلية تنوي

اجراء الانتخابات في يوم واحد ، وبذلك « يضطر السكان للاشتراك في انتخابات مجلس الحكم الاداري الذاتي » (هآرتس ، ٢٤/١/ ١٩٨٠) . وهذا الامر مرتبط بتوقعات الاسرائيليين لنتائج مباحثات الحكم الذاتي ، وهم ينتظرون الفرصة المناسبة لفرض مشروع الحكم الذاتي على السكان . ودعا خلف السكان الى اعلان تضامنهم ، ووحدتهم الوطنية ازاء هذه المشاريع الاسرائيلية .

ورفض بسام الشكعة ، رئيس بلدية نابلس ،اية انتخابات للمجالس البلدية في الضفة الغربية وقطاع غزة ، اذا كانت تؤدي خدمة لاهداف الاحتلال لفرض ما يسمى بالحكم الذاتي على المواطنين . وبحسب توقعات الشكعة فان السلطات الاسرائيلية ستلجأ الى تأجيل الانتخابات البلدية لان الناخبين سوف يؤيدون « المرشحين المعارضين لسياسة ما يسمى بالادارة الذاتية ، واتفاقيات كامب ديفيد التي لاتحقق الحد الادنى لاهداف وتطلعات الشعب الفلسطيني »(وفا ،٢٠/١/ ١٩٨٠ ص ٩) . واكد الشكعة ان الشعب الفلسطيني يؤمن بوحدته حفاظا على شخصيته القومية ، ولن تستطيع كافه العوامل والمؤثرات الخارجية ان تحرفه عن مسيرته ، وان الشعب الفلسطيني لن يبخل باي شيء في سبيل تحقيق اهدافه وغاياته الوطنية المشروعة .

وتوقع هاشم الصالح ، رئيس بلدية طوباس ، تأجيل الانتخابات البلدية ، لان سلطات الاحتلال تخشى ان تأتي نتائج الانتخابات القادمة « بعناصر اكثر تصلبا وتطرفا في مقاومة الاحتلال ومشاريعه المطروحة » (الدستور ، ٢٤/١/ ١٩٨٠) . واضاف ، ان مشروع الحكم الذاتي مرفوض من الشعب الفلسطيني ، وقد اعترف الجنرال داني ماط ، المنسق العام السابق لشؤون الضفة الغربية ، انه لا يوجد اي شخص يقبل حتى التحدث عن مشروع الحكم الذاتي في الضفة الغربية .

التاكيد على الوحدة الوطنية وفي هذا السياق تحاول السلطات الاسرائيلية اقامه فاصل ما بين الضفة الغربية وقطاع غزة ، بمنع اللقاءات والاجتماعات التضامنية المشتركة . وتنفيذا لهذه السياسة ، فقد منعت سلطات الاحتلال يومي ١٩ و٢٠/١/ ١٩٨٠ وفود الضفة الغربية من الوصول الى قطاع غزة للمشاركة في اجتماع تقرر عقده للتضامن مع سكان القطاع ، ضد الاعتداءات الاخيرة التي وقعت على بعض المؤسسات الوطنية هناك . ويمكن اعتبار اجراءات منع الشخصيات الوطنية من تبادل الزيارات في كل من الضفة والقطاع « خطا سياسيا جديدا ، سيطبع هذه المرحلة للتفريق بين الضفة والقطاع ، وخاصة اجتماعات مؤيدي منظمة التحرير الفلسطينية في كلا المنطقتين » (هآرتس ، ٢١/١/١٩٨٠) .

ورغم كل اجراءات العرقلة الاسرائيلية ، فقد عقد مؤتمر للوحدة الوطنية في قطاع غزة ، حضره اكثر من ١٢٠ شخصية وطنية من رؤساء البلديات ، والمنظمات ، والمؤسسات من جميع انحاء القطاع . ودعا المجتمعون الى اقامة « جبهة وطنية قوية ضد محاولات تنفيذ فكرة الحكم الذاتي » (دافار ، ٢٢/١/ ١٩٨٠) . وانشأت لجنة دائمة « للقيادات العربية في القطاع ، لكي تعمل بالتعاون مع لجنة التوجيه الوطني لسكان الضفة الغربية » (المصدر نفسه) .

وكان المؤتمر ، عبارة عن تظاهرة وطنية ،اظهر مدى قوة التلاحم بين ابناء الشعب الواحد ، والوقوف الموحد الحاسم ضد محاولات الدس والتحريض . والجدير ذكره . ان المؤتمر عقد بناء على خلفية الاحداث الاخيرة المؤسفة التي وقعت في قطاع غزة ، واشترك فيه كل من الدكتور حيدر عبد الشافي رئيس جمعية الهلال الاحمر في القطاع ، والشيخ محمد عواد رئيس كلية الازهر. وادان البيان الختامي للمؤتمر ، اعمال الحرّق والتدمير التي تعرضت لها جميعة الهلال الاحمر في غزة ، واستنكر هذا العمل المنافي للاخلاق الوطنية والتقاليد ، وكافة التعاليم الدينية . واكد المؤتمر ان جمعية الهلال الاحمر هي مؤسسة وطنية وانسانية يجب دعمها واعادة بنائها . (نص البيان في وفا ، ٢٣/١/ ١٩٨٠ ،ص ٦د) .

وفي الاطار نفسه . تردد في القدس ان بعض الشخصيات من الضفة الغربية المقربين للحكم الاردني سيبادرون لاقامة لجنة تدعى « لجنة المصالحة الوطنية ، سيتمثل فيها اعضاء من كل الهيئات السياسية القائمة في الضفة الغربية » (دافار ، ٢٨/١/ ١٩٨٠) .

واضافت المصادر ان قيام لجنة المصالحة جاء على خلفية المصالحة بين « الزعامات المتنافسه في قطاع غزة التي تشكلت اخيرا بلجنة مشتركة . واذا ما قامت لجنة المصالحة في الضفة الغربية فانها ستضم الى جانب رؤساء البلديات ، اعضاء من اليسار وممثلين اخرين للمؤسسات الاسلامية في

شرقي القدس ، والعاملين السابقين في وزارات الحكومة الاردنية » (المصدر نفسه) .

ازاء هذا الموقف الموحد لسكان المناطق ، يتابع المهتمون الاسرائيليون بشؤون الاراضي المحتله محاولاتهم لمعرفة حقيقة التطورات السياسية القائمه هناك ، ملاحظين مدى التبدل الذي طرأ على الحياة السياسية منذ عام ١٩٦٧ ، بينما لا تزال السلطات الاسرائيلية تتعامل معهم وفق ظروف سنوات الاحتلال الاولى ، فالفلسطينيون سكان المناطق ، كما يصفهم احد هؤلاء المهتمين ، ينضوون الان كلهم تحت مظلة منظمة التحرير الفلسطينيه ، وينادون ملء صوتهم ، انهم يعارضون الحكم الذاتي ، واتفاقيات كامب ديفيد بشكل حازم وهم يستغلون فترة المفاوضات بين مصر واسرائيل لتكوين القيادات ، وتجميع الصفوف . وان لجنه التوجيه الوطني هي التي توجه الجماهير وتسيطر عليها ، وتقودها ...

ولا يوجد في لجنه التوجيه الوطني من يؤيد الاردن ، بل يوجد فقط اولئك المتضامنون بوضوح مع منظمه التحرير .. وهناك اتجاه داخل اللجنه لاشراك بعض الشخصيات المؤيدة للاردن بالمستقبل ، وذلك لاظهار مزيد من الوحدة .. ويقتصر الرد الاسرائيلي على النهوض الوطني لسكان المناطق باتباع الاساليب القديمه ، وذلك بمنع سكان الضفه الغربيه من الوصول الى اجتماعات قطاع غزة والعكس والاعتماد بقدر الامكان على الزعماء المعتدلين ، رؤساء الحمائل والمخاتير المحافظين والتقليديين وتحريضهم لاتخاذ خطوات ضد الموجه الوطنيه .

ويخطىء من يظن انه بواسطه الاستيطان تبقى الضفه الغربيه تحت سيطرة اسرائيل ، ولو اضافت الحكومه عشرات بل مئات الملايين من الليرات الاضافيه لضمان استمرار الاستيطان ، فانها لن تستطيع اقناعنا بانه بهذا الاسلوب تحل المشكله الفلسطينيه.ومن المهم جدا التوجه الى سكان المناطق ، وسؤال انفسنا ، هل طريق المعالجه الحاليه هي الطريق الصحيحه ، هل نرى نحن في اسرائيل الامور بشكل صحيح ، او اننا نظهر فقط ما نريد اظهاره واحيانا نبالغ فيه ..

ان الفلسطينيين سكان المناطق ، المقيمين بالقرب منا موجودون الان على مفترق طرق واذا استمرينا بالنظر اليهم بعدم اهتمام متعجرف ، ونعالج الموضوع بدواء لم تثبت نجاعته مع الزمن كما انه لن يكون ناجعا في المستقبل ، فاننا ليس فقط لن نستطيع التحكم بخطوات تبلور الشعب وتوجيهه بايدينا ، وانما سنضاعف شعوره الوطني ، مع ضياع متزايد للاستيطان الاحتلالي الاسرائيلي » (يهودا ليطني ـ هآرتس ، ١٩٨٠/١/٣٠) .

ـ احداث مدينة الخليل

شهدت مدينة الخليل في الفترة الواقعة ما بين ١٩٨٠/١/٣١ و١٩٨٠/٢/١١ سلسلة من الاجراءات القمعية ضد المدينة وسكانها اثر مقتل احد المستوطنين في حي الفضية يوم ١٩٨٠/١/٣١ . واعتقلت القوات الاسرائيلية العشرات من المواطنين ، كما فرضت حظر التجول في المدينة لمدة عشرة ايام متواصلة ، كذلك اعتدى مستوطنو كريات اربع المجاورة على الاماكن المقدسة في المدينة . وكانت الحادثة كذلك مبررا استغلته السلطات الاسرائيلية للسماح لليهود بالاستيطان في احياء المدينة ، وتوسيع مستوطنة كريات اربع ، ومصادره المزيد من الاراضي العربيه .

واعتبر مستوطنو كريات اربع ، في برقية ارسلوها الى رئيس الوزراء مناحيم بيغن ، ان المستوطن الذي قتل ، هو ضحية سياسة الحكم الذاتي ، وسياسه السلام ، وطالبوا باعادة الحي اليهودي في الخليل « للشعب اليهودي فورا ، ومصادرة ٥٠٠٠ دونم لتوسيع مستوطنه كريات اربع ، وذلك لتهدئه الاجواء بين العرب واليهود » (ر.إ.إ العدد ١٩٧٦ ، ١و١٩٨٠/٢/٢ ، ص ١٢) .

واوضح فهد القواسمة في لقائه مع حاكم الضفه الغربيه الاسرائيلي خلفيه الاحداث ، وان سكان كريات اربع اعتدوا على مواطني الخليل اكثر من مئة مرة ، وهذا لا يعني انه « علينا ان نرد بالمقابل ، لكن ما حدث امس تعبير عن افتقاد علاقه حسن الجوار مع مستوطني كريات اربع ، الذين يكررون اعتداءاتهم على ابناء الخليل » (المصدر نفسه)

واستنكر القواسمه التحديات المستمرة التي يمارسها المستوطنون الصهاينة ضد سكان الخليل واخرها كان حادث القتل الذي ذهب ضحيته « اثنين من سكان حلحول نتيجه اطلاق النار عليهم من قبل قوات الامن وسكان كريات اربع » (دافار ، ١٩٨٠/٢/٣)

ولم يرضخ سكان الخليل الى ممارسات

المستوطنين ، فقد جرت عدة مصادمات مع هؤلاء المستوطنين في منطقة الخليل فبالقرب من قرية دورا سيطر « خمسة من المسلحين على خمسة باصات تابعة لشركة ايجد ، ودمر احد الباصات بالوادي المجاور للطريق ... وصباح يوم ١٩٨٠/٢/٢ وقع شجار بين العرب واليهود اطلقت فيه بضع طلقات حيث جرح شيخ عربي هو جاد الله الجعبري (٨٣ عاما) وارسل للمستشفى » (يديعوت احرونوت ، ١٩٨٠/٢/٣) .

واستغل المستوطنون الصهاينة هذه الاحداث ، ليجددوا مطالبتهم للحكومة بالسماح لهم بالاستيطان داخل مدينة الخليل ضمن اطار « الرد الصهيوني المناسب » كما يدعون وبحجة ان لهم املاكا هناك تعود الى عام ١٩٢٩ . كما ان اقتراحا بطرد رئيس بلدية الخليل قدمه الحاخام حاييم دروكمان (المفدال) امام لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، كما طالب باتخاذ خطوات تردع هذة الاعمال ضد اليهود حتى يستطيع مستوطنو المناطق الحياة والتحرك بامن.واقتراح عضو الكنيست يهودا بن ــ مئير ، اتباع «اجراءات العقاب الجماعي وفحص وسائل الدفاع الذاتية لسكان المستوطنات بالمناطق لكي نرى هل هي كافية ام لا » (معاريف ، ١٩٨٠/٢/٣) .

ودعا شارون امام جلسة مجلس الوزراء يوم ١٩٨٠/٢/٣ الى طرد رئيس بلدية الخليل بسبب تصرفه ازاء قضية مقتل الجندي في المدينة . واضاف شارون انه وصل الى استنتاج « اننا نسير على طريق الانتحار ، اننا نعطي لكارهي اسرائيل حق الحديث بوسائل الاعلام ولا نرد بتسدة » (دافار ، ١٩٨٠/٢/٤) . وطالب شارون ، بتوسيع التواجد اليهودي داخل الخليل واسكان المنازل الخالية المحيطة بمبنى هداسا والذي كان حيا سكنيا لليهود .

ويبلغ عدد الابنية التي يطالب شارون باسكانها في الخليل ١٦ مبنى « وهي لا زالت مسجله كاملاك يهودية ، وتخضع لنظام املاك الغائبين » (ر .إ .إ . العدد ١٩٧٧ ، ٣ و ٤ /١٩٨٠/٢ ص ٦) ومن بين تلك المنازل ، بيت هداسا ، الماهول بصفة مؤقته من نساء هداسا ، وبيت الرابي حسون ، وبيت عائلة الصيدلي اليهودي في الخليل ، ومنزلين بجوار الحرم الابراهيمي ، وبناية معروفة باسم بيت رومانو .

ويبدو ان فكرة الاستيطان في الجليل هي فكرة يجري الاعداد لها منذ فترة طويلة . فقد كانت وزارة الاديان قد ساهمت بمبلغ من المال قبل سنة « لاعداد ٢٠ مسكنا لاقامة اليهود في المدينة القديمة بالقرب من كنيس ابينا ابراهيم » (دافار ، ١٩٨٠/٢/٥) . وقد وصل المبلغ الذي دفع لتحسين اوضاع المباني الى ٢ ملايين ليرة ، حيث جرت اعمال ترميم المساكن المهجورة ، وتهيأتها للسكن . كما ان « الحكم العسكري قدم مساعدات لانجاز تلك الاعمال وقد علمت القيادات الامنية بهذا الموضوع » (دافار ، ١٩٨٠/٢/١٦) .

وانسجاما مع الخطوط الاساسية لسياسة الحكومة الاسرائيلية ، والتي صادق عليها الكنيست الاسرائيلي ، فقد اتخذت الحكومة قرارا يوم ١٩٨٠/٢/١٠ يقضي « بالسماح باستيطان اليهود في اي مكان من ارض ــ اسرائيل » (ر.إ.إ. العدد ١٩٨٢ ، ١٩٨٠/٢/١١،١٠ص ٣) . وترك البت في توقيت ومكان التنفيذ الى وقت لاحق . واعرب رئيس الحكومة عن رأية بان الخليل جزء من الضفة الغربية ، وبناء عليه يستطيع اليهود السكن والاقامة فيها . واتخذ كذلك قرارا يدعو الى « تعزيز كريات اربع وزيادة الوحدات السكنية بها ... وخرج الجميع راضين ويعني ذلك ان الحكومة لم تتخذ قرارا قاطعا غير قابل للتاويل في هذا اليوم » (المصدر نفسه) .

ولكن ، كيف ينظر المختصون الاسرائيليون بالشؤون العربية الى تطورات احداث الخليل . فالدكتور شاؤول مسقال من كلية العلوم السياسيه في جامعة تل ابيب ، يرى ابعادا اخرى للاحداث ، فهي تعبير عن « العزة القومية ، والاحساس بان منظمة التحرير تمتطي الموجة . وانه لم يعد بعيدا ذلك اليوم الذي سيتم فيه ايجاد حل او تسويه معينه للقضيه الفلسطينية » (ر.إ.إ.، العدد ١٩٨٢ ، ٨و٩ /٢ ١٩٨٠ ص ١١) . وهو يصف احداث الخليل بانها خطيرة بسبب تداخل عاملين يؤديان للاشتعال.الاول ، الصراع على الارض وهو موضوع حساس للطرفين ، اليهودي والعربي . والعامل الثاني هو المساله الدينية ، التي تتداخل في هذا الموضوع . واذا اخذنا الامرين معا فسيؤديان الى « حريق من الصعب تحديده »

واستذكر الدكتور مسقال احداث عام ١٩٧٦ ، حيث شهدت الضفة الغربية عصيانا مدنيا عندما

امتزجت قضيتا السيطرة على الارض لاغـراض الاستيطان ، والموضوع الديني عندمـا اتخـذت المحكمة العليا قرارا يسمح لليهود بالصـلاة في المسجد الاقصى . ومن المهم ان نذكر ، انه في مثل هذه الظروف « يتاح لمنظمة التحرير الفلسطينيه ركوب الموجة بشكل جاد ومكثف اكثر منهـا في الظروف العادية » (المصدر نفسه) .

ولم يجد احدهم اي وجه للمقارنة بين احداث عام ١٩٢٩ والاحـداث الحاليـة في العـام ١٩٨٠ « فالمستوطن قتل في الخليل الموجودة تحت الحكم العسكري الاسرائيلي بينما كريات اربع التي يسكنها الان المستوطنون وهي في موقع الاشراف على المدينه العربية ، ولا تنظر كريات اربع الى نفسها كغيتو يهودي صغير في قلب السكان العرب المعادين ، وانما كنواة ومستوطنة لسكان يهود كثيرين ، ستشمل وستضم الخليل العربية ... ولقد اثار سكان الخليل ورجال الدين قضية السيطرة البطيئة لسكان كريات اربع على منطقة الحرم الابراهيمـي ، وتوجهـوا عشرات بل مئات المرات الى الحاكم العسـكري واحتجوا على ذلك ، لكن الحكومة وافقت بشكل عام على اعمال سكان كريات اربع ، ووجد هؤلاء السكان دائما من يقدم لهم المساعدة على مواقفهم .

وخلال سنوات حصلت مصادمات عديـدة مع سكان الخليل وكان ابرزها ١٩٧٦ ، حيث تفجرت عنها مظاهـرات ، واعتقـل عشرات من شبـاب الخليل ، وقد فتح مقتل يهوشوع شلومو صفحة جديدة مظلمة من العلاقات العربية ـ اليهودية في الخليل ... ومن يذهب الى الخليل الان ، ويرى العرب واليهود يشعر ان الخليل وكريات اربع برميل من البارود ينتظر ثقابا لاشعاله ... ويمكن منع برميل البارود من الانفجار ، باقامة فاصل بين كريات اربع اليهودية ، والخليل العربية ...

...وان قرار الحكومة الاخير بشان الخليل ، والذي سيعاد نقاشه ثانية في الجلسة القادمة ، عبر عن توجهاته بعض الوزراء « كرد صهيوني ملائم » لكن الرد الملائم للاغتيال هو القبض على القاتل ومعاقبته ، وكل رد اخر معناه عقاب جماعي لكل سكان الخليل » (يهودا ليطني ، هآرتس ١٩٨٠/٢/٦) .

٣ ـ حقائق جديدة عن قضيه شركه كهرباء القدس

على خلفيـة قرار السلطـات الاسرائيليـة في ١٩٨٠/١٢/٢١ ، القـاضي بشراء امتيـاز شركه كهرباء القدس ، كشفـت المصـادر الاسرائيليـة الاعتبارات الفعلية التي تقف خلف ذلك القرار ، رغم كل الادعاءات التقنية ـ الاقتصادية التي عللت بها وزارة الطاقة الاسرائيلية قرار شراء الامتياز ويقع على رأس تلك الاعتبارات الجانب الامني .

ويتعلـق الاعتبـار الاول ، بانتشـار الجيش الاسرائيلي في المنطقة الواقعة في مجال امتياز الشركة حيث ان « عشرين من معسكرات الجيش ، والمعدات العسكرية موجودة في منطقة كبيرة في قيادة الضفة الغربية ... وقد خلق هذا الامر مشكلة معقدة لجهاز الامن.فمن جانب كانوا مضطرين للارتباط بخطوط كهرباء الشركة العربية ، ومن جانب اخر لم يكن ممكنا لعمال الشركة وجميعهم من سرقي القدس ، او الضفة الغربية الاطلاع على كل المعدات العسكرية ومعرفة اجهزتها . وقد بذلت محاولات عديدة للتغلب على هذه الصعوبات لكن الامر لم يكن ناجحا دائما .

وفي حالات اخرى اثير احتجاج قوي من جانب الاجهزة العسكرية ضد الشركة لماطلتها في تنفيذ الخدمات لتلك الاجهزة . فمثلا في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٤ طلبت قيادة الضفة الغربيه من الشركة ان تقوم بايصال الكهرباء الى معسكر حتسون، وجاء في الطلب ، ان التنفيذ يجب ان يكون فوريا . وبعد مماطلة وتاجيل انقضت سنة ، وقدم في شهر كانون اول (ديسمبر) عام ١٩٧٥ طلـب جديد . وفي شهر كانون الثاني (يناير) عام ١٩٧٦ دفع كل المبلغ المطلوب للشركه ، ومرة اخرى جرت مماطلة في تنفيذ العمل بعد ان ادعت الشركة انها لاتملك المحولات المطلوبة . حيث طلبت الشركة دفع مبلغ اضافي لاقامة مبنى للمحول . وفي شبـاط (فبراير) عام ١٩٧٨ ركب محول قديم بدلا من اثنين جديدين كان ثمنها قد دفع قبل سنتين .

ومشكلة اخرى تتعلق بسكن رجال الجيش ، الذين يعملون في مكاتب وزارة الدفاع ، ويقيمون في مجال امتياز الشركة . وقد نوقشت هذه المسألة سابقا بدرجات مختلفة ، ووضعت اعتبارات متعددة من اجل تخفيف الاضرار بقدر الامكان ، ولكن مع مرور الزمن اتضح انه لا يمكن منع عمال الشركة من المعرفة التفصيلية لكل رجال الجيش الدائمين .

وهناك ايضا مشكلة ما يعرف بالاستيطان الامني. فمن عام لاخر تقام مستوطنات يهودية في المنطقة داخل مجال امتياز الشركة وتشترك هذه المستوطنات

في جهاز الامن العام . ويحاول كل مندوب من الشركة بمبادرته او بمبادرة من ارسلوه معرفة تركيب كل مستوطنة ، ومعداتها الامنية اذا وجدت مثل تلك المعدات ... واستنتاجات اجهزة الامن هي انـه بالاضافة الى المشاكل التقنية ــ الاقتصادية التي لا تمكن الشركة من تطوير خدماتها بشكل افضـل للسكان ، هناك المشكلة الامنية ، ولا يمكن للحكومة ان تتجاهلها ، ومن اجل ذلك اتخذ قرار شراء حقوق شركة الكهرباء العربية ، والذي سيطبق في العام القـادم » (يوسـف تسوريئيـل ، معاريـف ١٥/١/١٩٨٠) .

وبالمقابل ، تواصل شركة كهرباء القدس العربية بذل الجهود من اجل تحسين اوضاعها ، وقدراتها رغم كل العراقيل التي توضع في طريقها ، وقد قررت الشركة طرح عطاء دولي لشراء مولدات ومحولات كهربائية بحيث تضاعف من انتاجها .

ودعت الشركة اصحـاب المصانـع والمولـدات والمحولات الكهربائية الدولية التي تبلغ طاقتها ٥ و١٠ و١٥ ميغاوات تقديم عروضهم للشركة التي تنوي تطوير شبكتها العامة . واكد مصدر رسمي في شركه كهرباء القدس ان شركته تمتلك الامكانيات الماليه والايدي العاملة لتطوير اعمال الشركه مما يدحض « الادعاءات الاسرائيليه بعجـز الشركة عن اداء مهماتها وانتاج الكهرباء الكافية لمحافظه القدس » (الدستور ١٠/١/١٩٨٠) وكشف المصدر عن الاجراءات التي تتخذها السلطات الاسرائيلية لعرقله تقدم الشركه ، حيـث ترفض التصريـح للشركه باستيراد المولدات والمحولات الكهربائية . كما قدمت الشركه احتجاجا الى وزارة الطاقه الاسرائيليه ، على الاعمال التي تقوم بها سلطات الاحتلال وتستهدف مد الشبكه الكهربائيه الاسرائيليه الى داخل القطاع الجغرافي لامتياز شركة كهرباء القدس العربيه .

٤ النشاط الاستيطاني

وتستمـر السلطـات الاسرائيليـه في اقامـــه مستوطنات جديدة في الاراضي العربيه المحتله.ففي يوم ٢١/١/١٩٨٠ صادقت اللجنه المشتركة المكونه من الحكومة والمنظمه الصهيونيـه ، على اقامــه مستوطنتين في الضفة الغربيه هما:لبونه في منطقه بوه تسوف ، ومتسبه جبعون بالقرب من مستوطنـه جبعون .

وستقام متسبه جبعـون على اراض « تبلـغ مساحتها ٦٠٠ دونم اشتريت من قبل شركه يهوديه عام ١٩٣٢ » (هآرتس ٢١/١/١٩٨٠) . وتقيم النواة المخصصة للمستوطنة الان في مستوطنـة جبعون .

كما طلب شارون رئيس اللجنة المشتركة ، من مسؤولي الحكم العسكري وادارة اراضي اسرائيل ، فحص المعطيات لاقامة مستوطنات اسرائيلية بين جنوبي عازلة بين قطاع غزة وبين كيبوتس كرم ــ شالوم لاقامة منطقة عازلـة بـين قطـاع غزة ، ومستوطنات منطقة يتحات شالوم .

وتقرر كذلك اقامة مستوطنتين على سفح جبل الخليل بالقرب من الخط الاخضر . الاولى نحوشه على طريق ترقوميا ــ كريت غات : والثانية شيكـف جنوبي امتسيا . واقترح مدير قسم الاستيطـان شمعون رفيف اقامة ثلاث مستوطنات اخرى اضافية في نفس المنطقة بهدف . « الحؤول دون توسع عرب جبل الخليل نحو الخط الاخضر » (ر.إ.إ ، العدد ١٦٦٨ ، ٢١,٢٢/١/١٩٨٠ ص ١٥) .

ومن جهة اخرى اتخذت لجنه الخارجيه والامن التابعة للكنيست قرارا يوم ٥/٢/١٩٨٠ بغالبيه ١١ ضد ٧ يدعو الى زيادة الاستيطان الحكومي في الضفه الغربيه وقطاع غزة ، واوصت اللجنة باعطاء افضليه لتخصيص الموارد لتنفيذ الخطة الاستيطانيه بما في ذلك « بناء قاعدة تحتية مناسبة ، وخاصه تكثيف الاستيطـان على مدخـل القـــدس » (دافـــار ٦/٢/١٩٨٠) . واعتبر القـرار ، ان التواجـد الاسرائيلي المدني في الضفة الغربية وقطاع غزة ، هو شرط « لتثبيت الامن بالمنطقة وتامين حركه الجيش الاسرائيلي ، وبذلك يضمن بشكل مناسب النظام لمدى طويل بيننا وبين جيراننا في الشرق ولمنع اقامه دولة فلسطينيه» (المصدر نفسه) .

ونص قرار لجنه الخارجيه والامن على ان لكل « مواطن اسرائيلي حق شراء الاراضي عن طريق التجارة العادية ، ويجب ازاله العقبات امام ذلك . وان اقامه المستوطنات المدنيه في الضفه الغربيه وقطاع غزة لا تضر بتنفيذ اتفاق السلام مع مصر » (المصدر نفسه) .

٥ ــ مصادرة الاراضي

استولت السلطات الاسرائيليه على مساحـات واسعه من الاراضي في مختلف انحاء الضفه الغربيه المحتله . ففي بيت حانينا بالقرب من القدس صودرت مساحه تبلغ ٢٠٠٠ دونم من الاراضي الزراعيه بحجه « شق طريق بديل للطريق الحالي الذي يربط تل ابيب

بالقدس » (هآرتس ، ١٩٨٠/١/٩) . ورغم اعلان السلطات ان الهدف من المصادرة هو شق طريق رقم ٤ ، الا ان المواطنين العرب اكدوا ان الهدف هو اقامة مستوطنة في المنطقة .

سيجت في منطقة قرية بيت قاد القريبة من جنين ، مساحة من الاراضي تبلغ ٥٠٠ دونم ، ومنع اصحاب الاراضي من دخول اراضيهم وبررت مصادر الجيش عملية المصادرة بانها تمت « لحاجات أمنية مبررة » (المصدر نفسه) . وصادرت سلطات الحكم العسكري كذلك من قرية قلنديا المجاورة للقدس مساحة تبلغ ٥٠٠ دونم وذكرت المصادر نفسها ، ان قرار المصادرة كان قد صدر قبل ٩ اشهر والهدف « شق طريق رقم ٤ الواصل بين تل ابيب والقدس » (المصدرنفسه) .

وكشف السيد هاشم الصالح رئيس بلدية طوباس عن ان سلطات الاحتلال « اغلقت ما يزيد على ثمانين الف دونم في منطقة طوباس . وتعتبر تلك المساحة من اخصب الاراضي الزراعية المروية والتي تعود ملكيتها لسكان طوباس » (الدستور ، ١٩٨٠/١/٢٤) .

واضاف الصالح ان سلطات الاحتلال دمرت في نفس المنطقة اكثر من ١٤٠ مشروعا للمياه بينما حفرت عدة ابار للمياه ، في المنطقة الشمالية من طوباس بقوة انتاجية كبيرة ، الامر الذي ادى الى جفاف الينابيع والابار الارتوازية في تلك المنطقة مما يهدد السكان العرب ، والزراعة باضرار جسيمة .

من ناحية اخرى اثيرت مؤخرا بين اوساط اعضاء الكنيست فضائح تتعلق بشراء الاراضي العربية كان بطلها اريئيل شارون وزير الزراعة حيث حصل شارون على كميات كبيرة من المال رفعها الى جماعه عوش ايمونيم الاستيطانية . وكانت الجماعة تحصل على فرق اسعار وسمسرة من الصفقات التي عقدتها .

وقد كشف اثناء اثارة هذا الموضوع مدى زيف الادعاءات الاسرائيلية التي تقول ، ان المواطنين العرب يبيعون اراضيهم . وتبين ان معظم صفقات بيع الاراضي ، تتم عبر عمليات تزوير ، من قبل اشخاص لا يملكون الحقوق القانونية للتصرف بتلك الاراضي .

وذكر مثلا انه قبل ثلاث سنوات تم شراء ٦٤ الف دونم في الضفة الغربية « من رؤساء قبيلة كانت تضع يدها على تلك الاراض ، لكنها لم تكن تملكها » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨٢ ـ ١٩٨٠/٢/٩،٨ ص ٨) . وكان الوسيط في تلك الصفقة التاجر شموئيل عيناف . ويعترف عيناف انه كان وسيط تلك الصفقة « لكنها ليست صفقة بيع وشراء . لان الارض لم تكن ملكا للبدو ، بل كانت لهم حقوق حيازتها » (المصدر نفسه) . وعادة تتم عمليات بيع الاراضي ، بان يعطى صاحب الارض تفويضا قانونيا مصدقا من الجيران الذين يجب ان يوقعوا على خارطة الارض التي يجري بيعها ، اضافة الى مصادقة مختار القرية كما يفترض تسجيل الصفقة في السجلات العقارية ، ودوائر تسجيل الاملاك وهذا المسار الطويل « دفع في الماضي الى استخدام تفويضات مزيفة ، اضافة الى اجبار بعض اصحاب الاراضي على بيع ارضهم رغما عنهم » (المصدر نفسه) .

محمد عبد الرحمن

اسرائيليات

اسرائيل تستعد لاحتمال اشتعال الجبهة الشرقية
وتبدا مرحله تطبيع العلاقات مع مصر بتقديم نموذج متشدد للحكم الذاتي

في الوقت الذي بدأت فيه اسرائيل تستعد لتنفيذ اجراءات تطبيع العلاقات بينها وبين مصر ، مستغلة الفرصة لتوجيه الانذارات الى الجبهة الشرقية ، خصوصا سوريا والمقاومة الفلسطينية ، راحت تحركات الجيش السوري في لبنان ونشاط المقاومة في الجنوب ، يستأثران بالاهتمام الاكبر في اسرائيل على

الصعيدين الرسمي والعسكري . وذلك رغما عن ان الاجراءات التي اتخذها الجيش السوري قد جاءت بعد التهديدات الاسرائيلية المتكررة منذ اواخر السنة الماضية ، خصوصا على لسان رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحيم بيغن ، الذي اعلن ، مثلا ، امام بعض الضباط والجنود الاسرائيليين في احد معسكرات الضفة الغربية ، في اواخر كانون الاول (ديسمبر) الماضي ،«ان اسرائيل ابتاعت السلام مع مصر مقابل ضحايا كثيرة ، ومن خلال الامل في تثبيته ، بينما لا زالت الجبهة الشمالية والشرقية مضطربة ومعادية وقابلة للانفجار ، وعلى اسرائيل ان تلتزم الحذر والترقب » (هآرتس ، ٢٨ /٧٩/١٢) . وقد عاد بيغن ليؤكد ، بعد مرور اسبوعين على تصريحه هذا ، على ان « اسرائيل ملزمه بالوقوف على اهبة الاستعداد ومراقبة الاحداث الجارية على الجبهة الشمالية وفي سوريا » (هآرتس ، ٨٠/١/١٦) .

ويلاحظ ان ما يجذب اهتمام الاوساط الاسرائيلية ، خصوصا الرسمية والعسكرية منها ، هو تحرك القوات السورية المتواجدة في لبنان ، وانعكاساته على الوضع اللبناني وعلى امكانية نشوب حرب بين اسرائيل وسوريا ، ثم على امكانية تجدد نشاط المقاومة من الجنوب اللبناني بشكل كثيف .

فقد رحبت اسرائيل بانسحاب قوات الردع السورية من بيروت ، واعتبرته « خطوة ايجابية جدا بالرغم من الاخطار المترتبة عليه » ، على حد قول رئيس لجنة الخارجية والامن في الكنيست موشي ارنس (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٧٩ ، ٥و٨٠/٢/٦ ، ص ٦) . وتتمثل هذه الاخطار في نظر اسرائيل في احتمال تجدد الحرب الاهلية في لبنان ، الامر الذي يمكن ان يؤثر على مركز حلفائها في الجبهة اللبنانيه . لذلك عاد رئيس الحكومة الاسرائيلية بيغن ليؤكد ، « ان التزام اسرائيل تجاه المسيحيين في لبنان ما زال قائما . وقد عملت في الماضي على الحيلوله دون تصفيتهم ، وستهب لمساعدتهم مستقبلا اذا تعرضوا للاخطار . وليس القصد المسيحيين في جنوب لبنان فقط ، وانما في شماله ايضا » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨١ ، ٧ و٨٠/٢/٨ ، ص ٣) .

من جهة اخرى ، تعتبر الاوساط العسكريه في اسرائيل ، ان تحرك الجيش السوري في لبنان ، يخلق احتمال قيامه بعملية عسكريه ضد اسرائيل .

وقد اعلن بيغن ان « لدى اسرائيل انباء ومعلومات تفيد بان الاسد قد يحاول البدء بعمليات عسكرية ضد اسرائيل ، الا ان تلك التهديدات لن تخيفنا » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٦٢ ، ١٤ و٨٠/١/١٥ ص ٣) .

وتستبعد المصادر العسكرية الاسرائيلية نشوب حرب شاملة مع سوريا ، الا انها تتوقع احتمال القيام بعمليات عسكرية محدودة . وثمة نقاش واسع في اسرائيل حول هذه المسألة . فهنالك من يرى ان سوريا قد « تغامر » بحرب شاملة ضد اسرائيل ، بينما يعتقد البعض الآخر انه في ظل مؤشرات الوضع الحالية ستكتفي سوريا بعملية عسكرية محدودة ، او بخوض حرب استنزاف من الجولان ضد اسرائيل ، او دفع المقاومة الفلسطينية في الجنوب الى تكثيف نشاطها ضد اسرائيل ، بمساندة من سوريا .

وتذكر هذه المصادر ان هنالك عدة دوافع لدى السوريين للقيام بخطوة عسكرية مهما كان نوعها ، واهمها اولا ، الوضع الداخلي في سوريا . ثانيا ، التنسيق مع الاتحاد السوفياتي لنقل الاهتمام الدولي من افغانستان الى الشرق الاوسط . ثالثا ، ازدياد قوة الجيش السوري الى درجة يمكنه معها خوض مغامرة عسكرية ضد اسرائيل ، لنسف اتفاقات كامب ديفيد ، وعرقلة عملية تطبيع العلاقات مع مصر .

بالنسبة للدافع الاول اعلن رئيس الحكومه بيغن ، ان الوضع الداخلي في سوريا ربما يدفع الرئيس الاسد الى خوض حرب شاملة ضد الجيش الاسرائيلي . ومن هنا ينبع حديث بيغن « بان اسرائيل تتابع الوضع في ضوء الانباء التي تتحدث عن الوضع الداخلي في سوريا ، حيث يعاني نظام الاسد من صعوبات جمة » (المصدر نفسه ، ص ٣) . وتحدث احد المعلقين العسكريين في اسرائيل حول هذا الدافع بقوله « ان المشاكل الداخليه في سوريا تزداد تعقيدا ، ورغم جميع الجهود لم يستطع النظام السوري التغلب على المعارضه . واغتيالات رجالات من السلطة ومن الجيش اصبحت من الحوادث اليوميه . والموجه الدينيه التي تمر على العالم الاسلامي تزيد من معارضه الاكثريه السنيه ضد الاقليه العلويه الحاكمه في دمشق . ويحتمل ان تدفع هذه المشكله الرئيس الاسد وبعض السياسيين

حوله الى اتخاذ قرار حول التهديد بالحرب ضد اسرائيل ، من اجل تهدئة الجو واعادة توحيد المجموعات المتنازعة » (زئيف شيف ، هآرتس ، ١٨/١/٨٠) .

كذلك ترى اوساط اسرائيلية ان الدافع الاساسي الآخر الذي يمكن ان يدفع سوريا نحو القيام بشن حرب ضد اسرائيل ، هو التنسيق مع الاتحاد السوفياتي . وقد اشار وزير الدفاع الاسرائيلي امام لجنة الخارجية والامن في الكنيست ، الى هذا الاحتمال بقوله . « ان السوريين ربما يعملون حسب طلب السوفيات ، وذلك من اجل تحويل الانظار عما يجري في افغانستان » (معاريف ، ٣٠/١/٨٠) . ويلاحظ ان الجميع في اسرائيل ، من رسميين وعسكريين ومعلقين ، قد تطرقوا الى هذه المسألة بجدية بالغة ، خصوصا على ضوء المعلومات التي تنشرها المصادر الاسرائيلية حول الاسلحة الحديثة والخبراء السوفيات الذين يتدفقون على سوريا . وقد ذكرت هذه المصادر « ان عدد هؤلاء الخبراء يبلغ نحو ١٥٠٠ ضابط وجندي .. يعملون في مجال ارشاد الجيش السوري على استيعاب المعدات العسكرية الجديدة التي تصل من الاتحاد السوفياتي . وهؤلاء الخبراء هم رجال عسكريون من جميع فروع اسلحة الجيش الاحمر . وكما هو معلوم ، فان صفقة شراء الاسلحة بين موسكو ودمشق هي في اوجها ، ولقد استوعب السوريون حتى الان نحو مئة دبابة جديدة من طراز تي ــ ٧٢ ، وطائرات ميغ ــ ٢٥ ، واسلحة جديدة مضادة للدروع ، وبطاريات صواريخ ارض ــ جو . ويلاحظ ان الجهد السوري للتزود بالاسلحة مستمر ، وتشير مصادر موثوق بها في اسرائيل الى ان عدد الدبابات لدى السوريين اصبح يفوق عدد الطواقم الموجودة لديهم . لذلك يبدو ان اتجاههم يتمثل في اقامة مجمعات للمعدات العسكرية ، يمكن استخدامها وقت اشتعال الحرب ، وفقط في المرحلة التي تصل بها قوات دعم من الدول العربية الاخرى . وهذا هو عامل مقلق جدا بالنسبة لاسرائيل ، وذو اهمية كبيرة بالنسبة لميزان القوى » (معاريف ، ١٥/١/٨٠) .

ويتطرق المحللون العسكريون في اسرائيل الى قوة الجيش السوري ، فيذكر احدهم ان « مجرى تعاظم الجيش قد بدأ بعد حرب ١٩٧٣ ، الا انه ازداد كثيرا منذ اتفاقات كامب ديفيد . فعزل مصر والشعور السوري بالعزلة في مواجهة اسرائيل ، قد حث السوريين ... على تطوير قدرتهم الذاتية ضد اسرائيل . والهدف هو الاسراع في تغيير ميزان القوى السلبي مع اسرائيل ، ومن اجل ذلك فهم يستخدمون الاموال التي خصصت لهم في مؤتمر بغداد » (زئيف شيف ، هآرتس ، ١٨/١/٨٠) . ويبدو ان ما « يقلق السوريين منذ سنين هو التفوق الجوي الاسرائيلي الكامل . ولا زال هذا التفوق قائما بالنسبة لنوعية الطيارين الاسرائيليين .. وبالنسبة لنوعية الطائرة الحربية اف ــ ١٥ التي تملكها اسرائيل . [الا انه] من ناحية المعدات احرز سلاح الجو السوري تقدما كبيرا . ففي سنة ١٩٧٩ اضيفت له طائرات ميغ ــ ٢٣ هجومية ، وطائرات ميغ ــ ٢٥ . اضافة الى طائرات سوخوي ــ ٢٢ ، وطائرات ميغ ــ ٢١ ، التي تعتبر نموذجا متقدما جدا . واذا اضفنا الى ذلك بطاريات صواريخ ارض ــ جو ، خصوصا صواريخ جديدة من نوع اس ــ اي ــ ٩ ، ينبغي الافتراض عندها ان السوريين نجحوا في سد الكثير من الثغرات في دفاعاتهم المضادة للطيران . ويجب ايضا عدم تجاهل الزيادة الكبيرة والمنهجية في شراء صواريخ ارض ــ ارض من نوع سكاد وفروغ ، التي تستخدم لديهم كذراع رادعة ضد عمليات القصف الاسرائيلية » . والاستنتاج المترتب على هذه المعطيات هو ان « التهديد الجوي الاسرائيلي لن يكون بالضرورة عاملا حاسما يمنع البدء بحرب استنزاف [مثلا] ، في حال اقتناع القيادة السورية بالمبررات السياسية لخطوة كهذه . فالتهديد الجوي الاسرائيلي لم يمنع نشوب حرب ١٩٧٣ ، ولا ينبغي الافتراض انه سيؤثر حاليا على الاسد ، في الوقت الذي يملك فيه الكثير من الطائرات الجديدة ، ومن الطيارين الجدد » (المصدر نفسه) .

وبالنسبة للقوات البرية السورية ، تذكر المصادر الاسرائيلية ان هنالك اتجاهين بارزين في تطويرها « اولهما تحويل الجيش السوري الى جيش مدرع ، اذ تشير المشتريات الواسعة للدبابات ولمضادات الدروع ، الى الرغبة في الغاء معظم فرق المشاة . ووفقا لعدد الدبابات التي تملكها سوريا ، يمكنها تنظيم ثلاث او اربع فرق مدرعة .. والاتجاه الثاني هو زيادة وحدات الكوماندوس والقوات الخاصة . فالركض السوري وراء شراء الطائرات

المروحية في الشرق والغرب (بالاضافة الى ٥٠ طائرة مروحية من طراز غازيل ، وقعت دمشق على صفقة طائرات اخرى مع باريس) يشهد على الجهد في زيادة القدرة على نقل الوحدات الخاصة ، وعلى الاتجاه الهجومي لدى المخططين السوريين » (المصدر نفسه) .

تمثل الرد الاسرائيلي على تحركات الجيش السوري حتى الان ، في ما اعلنه وزير الدفاع وايزمان من ان اسرائيل مستعدة لجميع الاحتمالات « رغم عدم وضوح نوايا سوريا حتى الان » (معاريف ، ٨٠/١/٢٠) . ويدعي وايزمان ان اسرائيل « ستمتنع عن اتخاذ اية اجراءات حازمة ، كي لا تتهم بتصعيد التوتر في المنطقة الشمالية » (المصدر نفسه) . ورغم تأكيدات بيغن ووايزمان المتكررة ، بان اسرائيل ليست لديها نية في مهاجمة سوريا ، فقد اصدر وزير الدفاع الاسرائيلي اوامره كي يكون الجيش الاسرائيلي على اهبة الاستعداد (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨١ ، ٧ و٨٠/٢/٨ ، ص ٦) .

ويلاحظ من تصريحات المسؤولين وقادة الجيش الاسرائيليين ان الاحتمال الاقوى الذي يأخذونه بالحسبان هو قيام سوريا بعملية عسكرية محدودة ضدهم ، او تشجيع النشاط الفدائي من الجنوب . فهم يستبعدون ، في غالبيتهم ، امكانية الحرب الشاملة « بسبب وجود نقاط ضعف عديدة في الوضع الاستراتيجي السوري » – على حد قولهم –، اولها ، كما يدعي رئيس شعبة الاستخبارات في الجيش الاسرائيلي يهوشوع سغي ، مشكلة العمق الاستراتيجي . « فسوريا معزولة في العالم العربي بسبب الانقسام بينها وبين العراق ، وعلاقاتها مع الاردن ، رغم كونها غير متدهورة ، فانها غير جيدة . لذلك فان خوض حرب شاملة في ظل شروط ما بعد التوقيع على معاهدة السلام [الاسرائيلية – المصرية] يبدو مجازفة كبرى ، لا اعتقد ان السوريين قد يقدمون عليها » (ر.إ.إ. ، العدد ١٩٨٢ ، ٨ و٨٠/٢/٩ ، ص ٣) .

كذلك يرى البعض في اسرائيل ان هنالك نقطة ضعف اخرى للقوات السورية المتواجدة في لبنان ، تتمثل في « ضعف دفاعها الجوي ، بحيث يمكن القول انها مكشوفة بمدى كبير لسلاح الجو الاسرائيلي ، الذي يمكن ان تحقق طائراته تفوقا جويا في منطقة لبنان » (زئيف شيف ، هآرتس ٨٠/١/٢٧) .

وتستبعد المصادر الاسرائيلية ايضا قيام سوريا بالبدء بحرب استنزاف ضد اسرائيل من الجولان ، « لان هذه الحرب بمثابة لعبة خطيرة ، لا يمكن ابدا معرفة كيف ستنتهي . اذ ربما ترد اسرائيل على حرب كهذه بقوة كبيرة ، وتجر الجيش السوري في الجولان او في لبنان الى حرب شاملة تلحق به الهزيمة » (المصدر نفسه ، ٨٠/١/٨)

يبقى الاعتقاد السائد ، لدى هذه المصادر ، هو قيام سوريا بتشجيع النشاط الفدائي الكثيف من جنوب لبنان ضد اسرائيل ، وضد الجيب الانعزالي . وحسب تقدير هذه المصادر « يمكن ان يقدم السوريون على تصعيد الوضع العسكري في جنوب لبنان ، بواسطة المبادرة بمعارك جوية مع طائرات اسرائيلية تحلق في سماء لبنان ، وربما يحاولون ايضا توسيع رقعة المواجهة ، بواسطة ارسال قوات لتلك المناطق في الجنوب ، التي لا يتواجد فيها اليوم جنود سوريون ، وذلك من اجل تعزيز قوات [الفدائيين] ، وربما المشاركة في عملياتهم . اما في القطاع الآخر ، اي هضبة الجولان ، فليس من المستبعد ان يسمح السوريون .. بفتح الحدود امام نشاط [الفدائيين] » (يعقوب كروز ، معاريف ، ٨٠/١/١٥) .

بدء عملية تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل

بدأ تنفيذ المرحلة الاولى من تطبيع العلاقات بين مصر واسرائيل ، بتاريخ ١٩٨٠/١/٢٦ ، بموجب نص معاهدة السلام بينهما . وتقتصر هذه المرحلة ، في جانبها العسكري ، على انسحاب الجيش الاسرائيلي في سيناء الى خط العريش – رأس محمد ، وهو ما بدأ تنفيذه في ١٩٨٠/١/٢٣ ، حيث « بدأت قافلة ضخمة من الدبابات والآليات المدرعة بالانسحاب من المنطقة (٥) نحو الخط الجديد » (هآرتس ، ٨٠/١/٢٤) . وقد تم في اليوم التالي تسليم المنطقة المذكورة ، التي كانت تشمل قاعدة عسكرية ضخمة ، تدعى قاعدة « رفيديم » (بئر جفجافة) ، الى مصر ، « بعد ان اخلى الجيش الاسرائيلي جميع المنشآت والاجهزة ، تاركا وراءه مدرجات لهبوط الطائرات وشبكة من الطرق المعبدة وانابيب المياه » (المصدر نفسه) . وكانت قاعدة « رفيديم » تعتبر قاعدة جوية وقاعدة لوجستية عامة

للقوات الاسرائيلية في سيناء . « فمن الناحية الاستراتيجية كانت تعتبر المنطقة الشمالية ــ ورفيديم من ضمنها ــ المعادة الى مصر الان ، بمثابة اهم منطقة للجيش الاسرائيلي في سيناء . وتنبع هذه الاهمية من التكوين الطبوغرافي للمنطقة ، الذي يمكن الدفاع عن وسط الصحراء ، ويشمل مجالات ممتازة للمناورة في حرب المدرعات . وبعد هذا الانسحاب سينتظم الجيش الاسرائيلي الى الشرق من هذه المنطقة ، وعليه ان يأخذ بالحسبان امكانية نشوب قتال ، يتقدم خلاله الجيش المصري الى الشرق من منطقة « رفيديم » وجوارها ، حيث يمكنه بموجب معاهدة السلام الاحتفاظ بكتيبة ميكانيكية في هذه المنطقة » (افتتاحية دافار ، ٨٠/١/٢٣) .

ويشمل الجانب السياسي من هذه المرحلة ، بدء تطبيع العلاقات بواسطة فتح الحدود البرية بين مصر واسرائيل ، واقامة العلاقات الديبلوماسية بين الطرفين ، ثم فتح خطوط اتصال مباشرة ، والغاء المعاهدات المعادية لاسرائيل من جانب مصر ، على غرار المقاطعة الاقتصادية . وبالفعل فقد اعلن وزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان في نهاية زيارته الاخيرة الى القاهرة ، التي قام بها قبل ايام من بدء تطبيع العلاقات ، في الرابع والعشرين من كانون الثاني الماضي ، عن افتتاح الخط البري بين رفح ــ العريش ــ قنطرة ، حيث تستطيع السيارات الاسرائيلية العبور عليه وفق القوانين المصرية (دافار ، ٨٠/١/٢٥) .

كذلك تم تطبيع العلاقات في مجال الاتصالات الهاتفية والبريدية بين مصر واسرائيل ، « حيث يمكن طلب محادثة هاتفية مع مصر ، والحصول عليها مباشرة دون مساعدة السنترالات الدولية في زوريخ ومدريد وطوكيو . كذلك اصبحت علاقات التلكس والرسائل مباشرة ايضا » (ايلان كفير ، يديعوت احرونوت ، ٨٠/١/٢٥) .

وبالنسبة للمقاطعة ضد اسرائيل ، فقد اقر مجلس الشعب المصري في تاريخ ١٩٨٠/٢/٦ مشروع قانون يقضي بالغاء المقاطعة الاقتصادية والتجارية والثقافية ضد اسرائيل ، في سياق عملية تطبيع العلاقات بين البلدين (« النهار » ، ٨٠/٢/٧) . وبالنسبة للعلاقات الديبلوماسية ، تقرر تبادل السفراء رسميا بين البلدين في السادس والعشرين من شباط ، ١٩٨٠ . وقد قامت اسرائيل بتعيين يوسف هداس ، نائب المدير العام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ، مسؤولا مؤقتا في سفارة اسرائيل في القاهرة ، ريثما يتم تبادل السفراء رسميا . وسيكون هداس الرجل الثاني في سفارة اسرائيل في القاهرة ومن المعلوم ان مدير مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية الياهو بن ــ اليسار سيكون اول سفير اسرائيلي لدى مصر ، بينما عينت مصر سعد مرتضى اول سفير لها في تل ابيب .

ردود الفعل الاسرائيلية على بدء تطبيع العلاقات

رحبت اسرائيل بحماس بالغ ببدء مرحلة تطبيع العلاقات مع مصر ، خصوصا وان السادات امر رئيس حكومته ، مصطفى خليل ، ببدء التطبيع الكامل في العلاقات ابتداءا من الخامس عشر من شباط (فبراير) ١٩٨٠ ، اي انه « ابتداءا من هذا التاريخ تبدأ المفاوضات بين البلدين حول ابرام اتفاقات بشأن الطيران والتجارة والثقافة » (معاريف ، ٨٠/١/٢٧) ، وعدم تاجيلها حتى السادس والعشرين من شهر تموز (يوليو) ١٩٨٠ ، كما نصت عليه معاهدة السلام .

رغم هذا الترحيب الاسرائيلي ببدء عملية تطبيع العلاقات ، فان هنالك تخوفا ظاهرا في اسرائيل من ان يؤدي فشل مفاوضات الحكم الذاتي الى شل مجرى التطبيع بين البلدين . « صحيح انه ليس هنالك ربط رسمي بين الامرين ، الا انه ما من شك بان الربط الواقعي قائم .. فالعاملون في مكتب رئيس الحكومة الاسرائيلية ، ووزارة الخارجية المصرية ، لا يخفون ذلك ، وحسب قولهم فان معظم المواضيع المتعلقة بالتطبيع ليست اتوماتيكية ، وانما تلزمها مفاوضات ستدوم حوالى ستة اشهر .. ويقولون ايضا انه يحتمل دائما حدوث تراجع جزئي عن اتفاق السلام ، الى وضع سلام جزئي او [وضع] لا ــ سلام ولا ــ حرب ، في حال فشل المفاوضات حول الحكم الذاتي ، وفي حال استمرار اسرائيل بالاستيطان وبسياستها الحالية تجاه المناطق » (دانييل بلوخ ، دافار ، ٨٠/١/٢٥) .

والامر الثاني الذي يقلق الاسرائيليين هو المعارضة داخل مصر لعملية تطبيع العلاقات مع اسرائيل . وقد تحدث حول هذه المسألة بعض كبار اساتذة معهد شيلوح ، الذين زاروا مصر للاطلاع على الواقع المصري ، رسميا وشعبيا ، فيما يتعلق

بمعاهدة السلام مع اسرائيل . ففي مقابلة مع صحيفة معاريف (٢٥/١/٨٠) تحدث البروفسور حاييم شيكو حول السلام مع مصر بقوله . « ان مجرى السلام ، من الناحية المصرية ، ما زال يقتصر على فئة محدودة في القيادة المصرية . انني بالتأكيد استطيع ان اتصور وضعا ، وهو انه في حال اعتزال السادات الحكم ، او اتخاذه قرارا بشأن تغيير موقفه الحالي كليا ، فان المجموعة صاحبة القرار ، ومعها الشعب المصري كله ، سيتكيفوا مع الخط الجديد . لن تحدث هنالك اضطرابات في الشوارع ، ولن تقوم حركة على غرار حركة « السلام الآن » (المصدر نفسه) .

ويتحدث البروفسور ايتمار رابينوفيتش ، فيقول . « للمصريين مشاكلهم في مجرى التطبيع . فهنالك حساسية بالغة لديهم فيما يتعلق بردود فعل العالم العربي حول فتح السفارات في تل ابيب والقاهرة ، او هبوط طائرات ال ـ عال في القاهرة . وهذه الحساسية والمخاوف الكبيرة قائمة لدى الرسميين ـ مثل الخوف من ان يقطع العالم العربي اتصالاته الجوية مع مصر ـ ولدى الاشخاص العاديين ايضا » (المصدر نفسه) .

ويتطرق البروفسور ايلي ريخس الى مسألة تطبيع العلاقات على المستويين الرسمي والشعبي ، فيقول . « ثمة تمييز هام جدا . فالحكومة بفعل التزامها في اتفاقات كامب ديفيد وفي معاهدة السلام مع اسرائيل ، لا تملك مجالا واسعا للمناورة ، وعليها تنفيذ ما التزمت به . الا ان هذا الالتزام غير مفروض على الانسان المصري ، وعلى المؤسسة العامة عو على المسرح المصري . فهؤلاء معفيون وغير ملزمين بالمشاركة في تنفيذ التزامات الحكومة ، اي المشاركة في مجرى تطبيع العلاقات . فاذا لم يكن هنالك مهرب من فتح سفارة اسرائيلية في القاهرة ، وفتح سفارة مصرية في تل ابيب، فسينفذ هذا الامر . الا ان جماعات اكاديمية او اخرى تتعاطى البحث ليست مضطرة لاقامة علاقات مع هيئات اسرائيلية » (المصدر نفسه) .

ويؤكد اساتذة معهد شيلوح اولئك وجود معارضة قوية في مصر لمعاهدة السلام مع اسرائيل . ويقول البروفسور رابينوفيتش ، مثلا « تتكون الطبقة السياسية النشطة [في مصر] من ثلاث فئات اولا ، الفئة القوية المتماثلة مع سياسة السادات ، ثانيا ، الفئات المعارضة للنظام يسار ، اسلاميون ، راديكاليون ، وناصريون . ثالثا ، مجموعات الوسط التي تنتقد النظام وسياسته فيما يتعلق بحجم التنازلات لاسرائيل ، والارتباط بالولايات المتحدة . وهذه المجموعات غير راضية عن تطبيع العلاقات ، الا انها لا تمارس نشاطات معارضة فعلية . وطالما ان قيادة الجيش المصري تنتمي الى الفئة الاولى ، وتتماثل مع الحكم ، فان السياسة المصرية ترتكز على قاعدة قوية جدا » . ويوجز البروفسور شيكو تحليلاته للوضع المصري بقوله . « هنالك الكثير من المصريين القلقين ـ وبحق ـ من الاجواء بين الاجيال الشابة . فهذه الاجيال نشأت وتربت في نهاية الفترة الناصرية ، وهي تختلف جدا عن الجيل القديم من المصريين . لديها انفتاح اكبر ، وتتحدث بلغة اكثر قبولا وفهما بالنسبة لنا . الا انه في استطاعتها ان تكون اكثر تطرفا من ابناء الاجيال القديمة ، فيما يتعلق بتوجيه النقد الى الحكم . وثمة دلائل مقلقة لغليان اسلامي بين الطلاب ، يثير فعلا قلقا كبيرا لدى النظام المصري » .

لا جدوى العلاقات الاقتصادية

مع بدء تطبيع العلاقات ، بدأت اسرائيل تخطط وتضع مختلف البرامج لاقامة علاقات اقتصادية وتجارية وغيرها مع مصر . وتشير دراسة اجراها معهد الدراسات الاستراتيجيه التابع لجامعة تل ـ ابيب ، الى انه « من غير المحبذ تركيز التعاون بين مصر واسرائيل على المجال الاقتصادي . فاسرائيل لا تملك ما يمكن عرضه على مصر في هذا المجال ، خصوصا الموارد الكافية والملائمة لحجم الاستثمارات المطلوبة في مصر ، وربما تتحول الى كبش المحرقة في حال فشلها . كذلك ثمة خطر للتعاون بين اوساط مضاربة [في الاسواق المالية] يمكن ان تتجاوز القانون ، فتلحق اضرارا باسرائيل » (هآرتس ، ٢/١/٨٠) .

ومقابل وجهة النظر السلبية فيما يتعلق بالتعاون الاقتصادي ، فان الدراسة تشير الى فائدة التعاون الزراعي بين البلدين ، وذلك « بفضل الميزة النسبية التي تملكها اسرائيل ، وبسبب حجم التعاون المحدود الذي يمكن ان يقلل من احتمال الفشل ، وكذلك بسبب الطاقة البشرية في مصر » (المصدر نفسه) .

وانطلاقا من تجارب اسرائيل في التعاون مع دول

افريقية وغيرها ، وبموجب دراسات مختلفة ، تحذر الدراسة من الاعتقاد بانه يمكن « تكبيل يدي مصر » ، والزامها باقامة علاقات مع اسرائيل ، تصمد امام ضغوط اقليمية او سواها » ان الدرس الاساسي من تجارب الماضي .. هو انه رغم اهمية علاقات التعاون بين الدول ، فان قيامها لا يضمن سلاما حقيقيا » (المصدر نفسه) .

على اي حال ، فقد بدأ الخبراء الاسرائيليون يحللون امكانيات التعاون بين اسرائيل ومصر ، وحسب قول احدهم فان هنالك ثلاثة اشياء يمكن لمصر ان تزود بها اسرائيل . النفط ، المياه ، والطاقة البشرية . « بالنسبة للنفط .. فان اسرائيل مهتمة بشراء كميات كبيرة منه ، وقد تم الاتفاق على شراء ربع الاستهلاك الاسرائيلي من النفط [من مصر] ، حيث ستدفع اسرائيل تمنه نحو نصف مليار دولار واكثر في السنة . وبالنسبة للمياه ، فان طاقة اسرائيل تقل عن ملياري متر مكعب في السنة ، وجميعها مستغل تقريبا ، بينما تملك مصر فائضا .. يبلغ حسب التقدير الاسرائيلي نحو ١٠ مليار متر مكعب سنويا .. الا ان السؤال الذي يطرح نفسه هنا كم سيكون ثمن المياه التي ستقطع مئات الكيلومترات من النيل الى جنوب اسرائيل ، [النقب] ؟... ومن اين ستتوفر مليارات الدولارات المطلوبة لتنفيذ هذا المشروع ؟ واضح ان اسرائيل ومصر لا تملكان الامكانات المطلوبة لذلك . والسؤال الثاني متى سنصل الى علاقات كهذه مع مصر ، بحيث يمكن ضمان استمرار حصولنا على هذا العامل الانتاجي ، الذي ستبنى عليه شبكة انتاجية واسعة في الجنوب ، يمكن ان تضاعف انتاج اسرائيل الزراعي » (اسحاق طاوب ، معاريف ، ٨٠/١/٧) .

وبالنسبة للطاقة البشرية ، فان « الجوهر الصهيوني لاسرائيل يمكن ان يغرق في بحر العمال المصريين ذوي الاجر المنخفض . واذا كان بضع عشرات من الآلاف من عمال المناطق المحتلة قد سبب تقهقر اسرائيل الى الوراء تكنولوجيا ، فكيف سيكون الحال مع عرض بمئات الالاف من العمال المصريين الرخيصين . هذا بالاضافة الى نواة النزاع الانساني ـ الاجتماعي الكامن في مجرى مصير الطاقة البشرية (العادية) في اسرائيل » (المصدر نفسه) .

يستنتج من هذا التحليل ، ومن تحليلات اخرى مماثلة صدرت في اسرائيل مؤخرا ، ان النشوة الاسرائيلية فيما يتعلق « باحتلال » السوق المصري ، وبناء علاقات اقتصادية متطورة ، ليس لها ما يدعمها في المستقبل القريب على الاقل . فالاستثمارات المطلوبة في مصر تفوق امكانات اسرائيل في وضعها الاقتصادي الحالي المتأزم ، وما يمكن ان تقدمه مصر من نفط ومياه وطاقة بشرية على سبيل المثال ، يكلف اسرائيل مليارات الدولارات من جهة ، ويؤدي الى تازيم الوضع الاجتماعي والاقتصادي من جهة اخرى . والنتيجة ان الفائدة الكبرى من وراء عملية تطبيع العلاقات تكمن في المجال السياسي ، اكثر منها في المجالات الاخرى ، خصوصا الاقتصادية والاجتماعية .

النموذجان المصري والاسرائيلي في مفاوضات الحكم الذاتي

لم تحرز الجولة التاسعة من مفاوضات الحكم الذاتي ، التي عقدت في اواخر كانون الثاني (يناير) الماضي ، في هرتسليا في اسرائيل ، اي تقدم يذكر في حل الخلافات المستعصية بين الوفدين الاسرائيلي والمصري . وقد عقدت هذه الجولة برئاسة كل من رئيسي الوفدين الاسرائيلي والمصري ، يوسف بورغ ومصطفى خليل ، وبمشاركة المبعوث الاميركي الخاص لمفاوضات الحكم الذاتي صول لينوفيتش ، الذي زار القاهرة قبل وصوله الى اسرائيل ، للاطلاع على حقيقة مواقف البلدين في المفاوضات الدائرة .

وقد سبق انعقاد الجولة التاسعة هذه من مفاوضات الحكم الذاتي ، تقديم نموذجين من جانب كل من اسرائيل ومصر ، بناءا على توصيات الجولة السابقة من المفاوضات . وقام رئيس الوفد الاسرائيلي في لجان العمل لمفاوضات الحكم الذاتي حاييم كوبرسكي ، بتقديم النموذج الاسرائيلي خلال اجتماعات لجان العمل هذه في القاهرة ، في منتصف كانون الثاني (يناير) الماضي . ويحمل النموذج الاسرائيلي عنوان « اقتراح نموذج للحكم الذاتي الكامل لعرب ارض اسرائيل ـ سكان اليهودية والسامرة وقطاع غزة » ، ويوضح ان نية اسرائيل تتمثل في نقل مجالات عمل مختلفة للمجلس الاداري ، معظمها في الحقل المدني ، كما تنص عليه اتفاقات كامب ديفيد . وتشمل الوثيقة الاسرائيلية

توزيعا مفصلا لتلك المجالات ، التي تكون بها اسرائيل مستعدة لمنح « حكم ذاتي كامل » للسكان ، وللمجالات الاخرى التي تنوي اسرائيل الاستمرار في التحكم بها بمشاركة مؤسسات الحكم الذاتي ، واخيرا المجالات التي لا تستطيع التنازل عنها ابدا ، بحيث يبقى التحكم بها من اختصاصها فقط (ايلان كفير ، يديعوت احرونوت ، ٨٠/١/٢٠) .

ومن خلال النظر الى النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي كما نشرته وسائل الاعلام الاسرائيلية ، تتضح الصورة الاتية .

□ مصدر الصلاحيات . الحكم العسكري .

□ عدد اعضاء المجلس الاداري ١١ عضوا .

□ المجالات التي تبدي بها اسرائيل استعدادا لتوكيلها الى المجلس الاداري الزراعة ، الصحة ، . الاديان ، العمل والانعاش ، الصناعة والتجارة ، الاموال ، المواصلات والاتصال ، التعليم والثقافة ، الخ .

□ المجالات التي ستحتفظ اسرائيل بالسيطرة عليها بصورة كاملة . الامن ، الامن الداخلي ، التشريع الاساسي ، الاراضي ، المياه ، الطاقة ، العملة ، الرقابة على الحدود ، العلاقات الخارجية .

□ بالنسبة للشرطة المحلية ، التي نصت على قيامها اتفاقات كامب ديفيد ، فان مجال عملها يقتصر ، وفق النموذج الاسرائيلي ، على المحافظة على النظام الداخلي ، وتنظيم حركة السير ، وما شابه ذلك .

□ يتضح من الوثيقة الاسرائيلية ان اسرائيل تنوي التدخل ايضا حتى في المجالات الخاصة ــ وفق مفهومها هي ــ بالمجلس البلدي ، انطلاقا من « مفهوم الحياة المشتركة بين العرب واليهود » . مثلا ، في مجال التسويق الزراعي ، ووجوب التنسيق بين المجلس الاداري وبين مجلس تسويق الحمضيات في اسرائيل ، وذلك من اجل تعيين نسب محددة لحجم الزراعة في هذا الفرع ، وايجاد طرق لتسويقه في الخارج ، وبصورة مباشرة في الدول العربية .

□ حسب النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي لن تكون هنالك حدود قائمة بين الحكم الذاتي وبين اسرائيل ، وسيكون الوضع مشابها لما هو عليه اليوم . ومن اجل منع اية محاولة من جانب مؤسسات الحكم الذاتي للتعبير عن اي شعور بالاستقلال الوطني ، فان الوثيقة الاسرائيلية تعارض حتى اصدار الطوابع البريدية ، او اصدار العملات . « وبواسطة هذا الحظر ، فانها ، اي اسرائيل ، تضمن عدم حدوث مفاجأة لها في احد الايام ، بواسطة اصدار طابع بريدي يحمل صورة ياسر عرفات ، مثلا » .

□ ستحتفظ اسرائيل بسيطرتها الكاملة على مجالات البث الاذاعي والاعلامي . « اذ ان اذاعة مستقلة في الحكم الذاتي يمكن ان تتحول الى اداة للتحريض .. [كذلك] فان الصحف ستكون خاضعة للرقابة الاسرائيلية . وستسري قوانين الرقابة على هذه الصحف ، تماما كما سري على الصحف الاسرائيلية . كذلك فان اعطاء رخصة لاصدار صحيفه ، ستكون من صلاحيات اسرائيل المطلقة » .

□ فيما يتعلق بالمياه ستكون اسرائيل ــ وفق نموذجها ــ هي المسؤولة عن توزيع الموارد في المناطق المحتلة . الا انها « تقترح تنسيقا وعملا مشتركا مع سلطة الحكم الذاتي . كذلك ، هنالك مجالات اخرى تقترح بها مثل هذا التنسيق والعمل المشترك ، على غرار تسجيل السكان ومراقبة الدخول والخروج من المناطق ، مثلا على جسور الاردن ، ثم المسؤولية على الاماكن المقدسة والاملاك المتروكة .

□ بالنسبة « لاراضي الدولة » في الضفة الغربية ــ كما تسميها الوثيقة ــ فانها ستخضع للسيطرة الاسرائيلية المطلقة . اذ ان « استمرار السيطرة على هذه الاراضي ، سيمكن اسرائيل من اقامه مستوطنات اخرى في المستقبل، وتوسيع المستوطنات القائمة ، وتخصيص مناطق للتدريب للجيش الاسرائيلي » . وحسب النموذج الاسرائيلي ، ستكون اسرائيل ايضا هي المسؤولة عن السكان اليهود والاستيطان في المناطق ، اي ان المستوطنات لن تكون خاضعة لسلطة الحكم الذاتي . وهذا الامر نابع من مفهوم اسرائيل بان الحكم الذاتي يسري على السكان وليس على المناطق (يديعوت احرونوت ، ٨٠/١/١٨ و٨٠/١/٢٠) .

وقد رفضت مصر بشدة النموذج الاسرائيلي للحكم الذاتي ، حيث اعلن ناطق باسمها ، ان

المقترحات الاسرائيلية لن تؤدي فقط الى عدم التقدم في المفاوضات، وانما ستحدث تراجعا الى الوراء. واضاف الناطق ان مقترحات اسرائيل ترتكز على خطأ اساسي وهو تحويل جزئي، وليس كاملا، لصلاحيات الحكم العسكري الاسرائيلي الى المجلس الاداري، كما تنص اتفاقات كامب ديفيد (هآرتس، ٨٠/١/١٧).

ولم تكتف مصر برفض النموذج الاسرائيلي، وانما تقدمت ايضا بنموذج خاص بها، يمكن تلخيص بنوده بالفقرات التالية، كما عرضها رئيس لجان العمل المصرية في مفاوضات الحكم الذاتي عزت عبد اللطيف

☐ ان الحكم الذاتي هو لفترة انتقالية مدتها خمس سنوات، يتم في نهايتها ضمان حق تقرير المصير لسكان المناطق المحتلة دون اي تدخل خارجي.

☐ يجب عدم الفصل بين الضفة الغربية وقطاع غزة، او الفصل بين هاتين المنطقتين وبين القدس الشرقية.

☐ ان الحكم الذاتي سيحل مكان الحكم العسكري، وسيتألف من مجلس تشريعي يتراوح عدد اعضائه بين ٨٠ ـ ١٠٠ شخص، يجري انتخابهم في انتخابات عامة، حيث ينتخبون فيما بعد من بينهم مجلسا مؤلفا من ٥ ـ ١٠ اشخاص. وحسب قول المصريين، تحدد اتفاقات كامب ديفيد بصورة واضحة وجوب انسحاب الحكم العسكري الى اماكن محددة، لاخلاء المنطقة لمؤسسات الحكم الذاتي.

☐ يكون لهيئة الحكم الذاتي صلاحيات تشريعية وتنفيذية، ومجال عملها هو الادارة المدنية والمشاركة في المفاوضات لحل المشكلة الفلسطينية.

☐ يتم تحديد متطلبات الامن للاطراف خلال فترة السنوات الخمس، على اساس متبادل. ولم يتطرق المصريون ابدا الى وجود الجيش الاسرائيلي في المناطق

☐ ان اشتراك مصر والاردن في تحقيق الحكم الذاتي، سيكون نابعا من مسؤوليتهما في الماضي تجاه المناطق المحتلة.

☐ تحتفظ مصر بحقها في ضم فلسطينيين من المناطق، او آخرين، الى وفدها.

☐ ان جميع التغييرات في المركز القانوني والجغرافي للمناطق المحتلة ملغاة.

☐ لن يشارك المستوطنون الاسرائيليون في المناطق المحتلة في الانتخابات لمؤسسات الحكم الذاتي.

☐ يكون مقر مؤسسات الحكم الذاتي في القدس الشرقية (ارييه تسيموكي، يديعوت احرونوت، ٨٠/١/٢٥).

وبالطبع، فقد رفضت حكومة اسرائيل النموذج المصري المذكور، مدعية انه يشكل خطرا على امنها (هآرتس، ٨٠/١/٢٩). واعلن رئيس الحكومة الاسرائيلية بيغن، ان قبول المقترحات المصرية يمكن ان يخلق ممرا يؤدي الى دولة فلسطينية، وان هذه المقترحات مخالفة تماما لنص اتفاقات كامب ديفيد (هآرتس، ٨٠/١/١٨).

ربط الموقف الاميركي من الحكم الذاتي بالسياسة الاميركية في المنطقة

يلاحظ ان الطرفين الاسرائيلي والمصري، باتا يعلقان اهمية خاصة على الموقف الاميركي في المفاوضات المقبلة حول الحكم الذاتي. وحتى الان لم يتقدم الوفد الاميركي للمفاوضات باقتراحات محددة، او على الاقل لم ينشر شيئا حول مقترحات كهذه في اسرائيل. الا ان المصادر الاسرائيلية تتوقع اقتراحات اميركية في المستقبل القريب، خصوصا وانه من المفروض الانتهاء من المفاوضات حتى ٢٦ ايار (مايو) المقبل.

ويلاحظ من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين، وتحليلات الخبراء السياسيين، ان اسرائيل قلقة جدا من الموقف الاميركي، خصوصا بعد التصريحات الاخيرة التي صدرت عن مسؤولين اميركيين حول « مصلحة » الولايات المتحدة في انجاح مفاوضات الحكم الذاتي، كوسيلة لتسهيل تنفيذ سياستها الدفاعية في الشرق الاوسط، عقب التطورات الاخيرة في ايران وافغانستان. فقد اعلن، مثلا، المبعوث الاميركي الخاص لمفاوضات الحكم الذاتي صول لينوفيتش. « ان الاستراتيجية الاميركية الجديدة في الشرق الاوسط لن تكون فعالة، اذا لم يتوفر حل للنزاع العربي ـ الاسرائيلي.

لذلك ، فقد اثبتت التطورات الاخيرة ، ان الحاجة الى ايجاد حل للنزاع ، باتت ذات اهمية حاسمة ، ليس فقط من اجل الاستقرار في المنطقة ، وانما ايضا من اجل المصالح الحيوية للولايات المتحدة بها » (هآرتس ، ٨٠/١/١٨) . وفي معرض تحليل المراقبين في اسرائيل لتصريح لينوفيتش هذا ، يذكرون ان الصلة التي توجدها الادارة الاميركية بين الاحداث الاخيرة وبين محادثات الحكم الذاتي ، هي العنصر الاساسي في هذا التصريح . ومن هنا ينبع القلق في اسرائيل من الموقف الاميركي في المفاوضات المقبلة .

لقد حاولت اسرائيل استغلال الاحداث الاخيرة في المنطقة ، خصوصا في افغانستان وايران ، لمصلحتها ، وذلك على صعيدين . اولا ، تعميق تحالفها مع الولايات المتحدة ، والاندماج في استراتيجيتها الدفاعية في الشرق الاوسط . ثانيا ، استغلال احداث افغانستان وايران للتعتيم على القضية الفلسطينية ، واثبات ادعاءاتها للولايات المتحدة وللدول الغربية الاخرى خصوصا ، بان هذه القضية ليست المشكلة الرئيسية او سبب عدم الاستقرار في المنطقة ، كما يسود الرأي في هذه البلدان .

الا ان تصريحات المسؤولين الاسرائيليين الاخيرة ، ومحاولاتهم الدفاع عن سياسة حكومتهم ، سواء فيما يتعلق « بعرض خدماتهم » على الولايات المتحدة ، والاندماج في سياستها الدفاعية في المنطقة ، او فيما يتعلق بموقفهم من القضية الفلسطينية ، كما ينعكس في مفاوضات الحكم الذاتي ، لا تنم عن ارتياح ظاهر على الاقل لديهم ، وكما يبدو ، لقلة التجاوب الاميركي مع سياستهم . فالولايات المتحدة لم تستجب ، علنا على الاقل ، للدعوات الاسرائيلية « المتعلقة بعرض خدماتها وموانئها وقواعدها الجوية للعمل العسكري الاميركي .. وصدق الوزير شمونيل تامير الذي اعلن اثناء زيارته الاخيرة الى واشنطن ، ان الولايات المتحدة ليس لديها الان سبب خاص للتلويح بعلاقاتها الخاصة مع اسرائيل . فاللعبة الكبيرة لدى الادارة الاميركية الان ، هي الوصول الى تفاهم مع الدول الاسلامية في الشرق الاوسط ، وفي الخليج الفارسي من اجل صد السوفيات . وهذا الامر لا يرتبط بالضرورة بالتخلي عن اسرائيل – اذ اعلن وزير الدفاع الاميركي ان زعماء بلده يعرفون انه بالامكان الاعتماد عليها وقت الضرورة – الا انه يجب على اسرائيل ان تقف الان في الظل » (يوئيل ماركوس ، هآرتس ، ٨٠/١/١٨) .

وربما يعبر حديث رئيس مركز الدراسات الاستراتيجية التابع لجامعة تل ابيب ، اهرون ياريف ، لمجلة الجيش الاسرائيلي (بمحانيه ، ٨٠/١/١١ ، ص ٥) ، عن الاستياء الكبير لدى بعض الدوائر الاسرائيلية من السياسة الاميركية هذه . يقول ياريف . « لم نكن يوما – كما يعتقد الكثيرون خطأ – ملكا استراتيجيا للولايات المتحدة . لم ار حتى هذا اليوم وثيقة او تصريحا لشخصية اميركية مسؤولة ، يقول ان اسرائيل هي المعقل الاستراتيجي للولايات المتحدة في الشرق الاوسط . ادعى الاميركيون طوال الوقت ، ان مصلحتهم في اسرائيل تكمن في التزامهم الاخلاقي تجاهها . صحيح انه ذكرت ايضا قضية المصلحة الاستراتيجية ، الا ان الاكثرية في الحكومة الاميركية لا ترى ، ولم تر ابدا ان لها مصلحة كهذه في اسرائيل » .

وتحدث كذلك حول هذه المسالة البروفسور نداف سفران ، احد الخبراء بقضايا الشرق الاوسط في الولايات المتحدة ، وهو مواطن اسرائيلي سابقا ، وصاحب نفوذ بين الاوساط الحاكمة في واشنطن . يقول سفران في مقابلة مع يديعوت احرونوت (٨٠/١/١٨) . « على اسرائيل الا تتملكها الاوهام ، فليس لها اي دور فعال ومركزي في النظام الاستراتيجي الجاري الذي ستقيمه الولايات المتحدة بعد احداث ايران وافغانستان. ولا ينبغي الاستنتاج من ذلك ان اسرائيل لم تعد ملكا هاما في نظر الحكومة الاميركية ، بل العكس ان اهمية اسرائيل هي كبيرة جدا من وجهة النظر الاميركيه ، ولكن ليس كشريك فعال في الاجراءات الجارية المرتبطة بالازمة الحالية . انها بمثابة الحصن الاخير الذي ستعتمد عليه الولايات المتحدة ، في حال فقدانها كل اوراقها لدى حلفائها المسلمين ، عندئذ تستطيع الاعتماد على اسرائيل في كل ضائقة تحل بها » .

ويبدو ، من حديث المسؤولين الاسرائيليين ، انه ليس المطلوب فقط من اسرائيل حاليا « الوقوف في الظل » ، وانما مساعدة الولايات المتحدة على تحقيق استراتيجيتها الدفاعية في المنطقة ، بواسطة المساهمة في ايجاد حل للقضية الفلسطينية ، الامر

الذي من شانه ان يخرج مصر من عزلتها العربية ، ويكسب الولايات المتحدة رضى الدول الاسلامية « المعتدلة » في المنطقة . فتوافق على الانخراط الفعال في المخططات الاميركية . وقد تحدث وزير الخارجية الاسرائيلي السابق موشي دايان حول السياسة الاميركية في هذا الشأن بقوله . « ان الاميركيين مهتمون الان بتحييد المشكلة الفلسطينية قدر الامكان . لماذا ؟ لكي لا يضطروا الى مواجهة التناقض الذي تطرحه امامهم الدول العربية ، التي تقول « اذا كنتم اصدقاء لاسرائيل ، فانتم اعداء لنا » . وتستطيع اميركا تحقيق تحييد المشكلة ، في حال تحقيق تسوية فقط ، جزئية على الاقل ، للقضيه الفلسطينية . واذا لم تتحقق تسوية كهذه ، فالمطلوب على الاقل خفض التوتر القائم حول هذه القضية » (من مقابلة مع موشي دايان ، يديعوت أحرونوت ، ١٨/١/٨٠) .

وتلاحظ الاوساط الاسرائيلية ان النظام المصري يشارك الولايات المتحدة رأيها هذا ، والوسيلة الوحيدة التي يمكن بواسطتها « تخفيف التوتر القائم حول القضية الفلسطينية» هو تحقيق تقدم في مفاوضات الحكم الذاتي ، « لان تقدما كهذا من شانه ان يفتح منفذا بعد خمس سنين ، لحل المشكلة الفلسطينية ، بشكل يمكن ان يلقى قبولا على الاقل ، لدى العرب « المعتدلين » . خصوصا اولئك الذين يخشون هم انفسهم من قيام دولة فلسطينية مستقلة ، ويفضلون الحل الاردني للمشكلة » (ارييل غيناي ، يديعوت أحرونوت ، ١٨/١/٨٠) .

ومن هنا ينبع قلق المسؤولين الاسرائيليين من احتمال قيام الولايات المتحدة بالضغط عليهم لتغيير موقفهم في مفاوضات الحكم الذاتي . وهم يبذلون جهدهم الان للتوضيح للحكومة الاميركية خطأ تقديرها وسياستها هذه . فرئيس الحكومة بيغن يرفض التراجع عن موقفه حول الحكم الذاتي ، متمسكا بالنموذج الاسرائيلي ، لانه – على حد تعبيره – « يرفض دون اي تحفظ ، ليس فقط قيام دولة فلسطينية ، وانما ايضا انشاء ممر يمكن ان يؤدي اليها . ولو قامت دولة فلسطينية كهذه ، لتحولت خلال زمن قصير ، الى قاعدة سوفياتية .. لان ما حدث في افغانستان يمكن ان يحدث في منطقتنا ايضا ، الامر الذي يشكل خطرا على حقيقة وجودنا . كذلك فان قاعدة سوفياتية ستشكل خطرا على العالم الحر » (هآرتس ، ١٧/١/٨٠) .

اما نائب بيغن ، يغئال يادين ، فقد اعلن ان الولايات المتحدة « تخطىء كثيرا في ربطها حل المشكلة الفلسطينية مع مشاكلها في ايران وافغانستان » (هآرتس ، ٣٠/١/٨٠) . وبحسب قوله فان « حل المشكلة الفلسطينية لا يوفر حلا لمشاكل الولايات المتحدة الدولية . فالسوفيات يواصلون تقدمهم نحو مصادر النفط في الشرق الاوسط ، واقامة الحكم الذاتي في الضفة الغربية وقطاع غزة لن يؤثر على انتاج صفيحة واحدة من النفط » (المصدر نفسه) .

على اي حال ، يلاحظ ان المصادر الاسرائيلية باتت تعلق اهمية كبيرة على الموقف الاميركي في مفاوضات الحكم الذاتي الذي لم تظهر ملامحه كاملة بعد . وقد اكتفت هذه المصادر حتى الان بالتعليق على التصريحات الاخيرة الصادرة عن المسؤولين في الادارة الاميركية ، والتي تطالب اسرائيل بطرح افكار جديدة في مفاوضات الحكم الذاتي . وقد لخص رئيس الحكومة الاسرائيلية السابق اسحاق رابين هذا الوضع بقوله « ينبغي الافتراض اننا سنتوقع مطالب اميركية كثيرة ومتزايدة من اسرائيل للتقدم في موضوع الحكم الذاتي . ويمكن الافتراض ، ان ضغوطا حقيقية على اسرائيل ، ستؤجل الى ما بعد انتخابات الرئاسة الاميركية » (اسحاق رابين ، يديعوت احرونوت ، ٢٥/١/٨٠) .

حمه شاهين

قضـايا دوليــة

عودة عسكريه اميركيه
الى الشرق الاوسط

في كل مرة يعود فيها الشرق الاوسط الى الواجهة في مسائل السياسة الخارجية الاميركية ، يكون هدف الولايات المتحدة الرئيسي من هذا الاهتمام متعلقا بالوضع الاستراتيجي ، وبالتحديد بمحاولة اقامة احلاف ثنائية ، متعددة الاطراف ، تحت قيـادة واشنطن . أو بمحاولة تثبيت وجود عسكري أميركي مبـاشر في صورة قواعـد .. أو « تسهيـلات » عسكرية .

وخلال الاسابيع الماضية عاد الشرق الاوسط الى الواجهة في مسائل السياسة الخارجية الاميركية ، بصورة تتجاوز في مداها وحجمها كل ما يمكن ان ينسب الى التطورات التي حدثت في افغانستان في الاسابيع الاخيرة من العام الماضي . وفي رسالة « حالة الاتحاد » التي القاها الرئيس الامـيركي جيمي كارتر امام الكونغرس ، يوم ٢٤ كانون الثاني (ينايـر) الماضي ، احتلـت قضايـا السياسـة الخارجية ثلثي وقت الخطاب واحتلت مسالة الشرق الاوسط (النفط ، امن الخليج ، أمن اسرائيل ، وعملية السلام الاميركية في المنطقة) اكثر من ثلثي قضـايا السياسة الخارجية . حتى عندما تنـاول كارتر العلاقات بين الولايات المتحـدة وحلفائهـا (اوروبا الغربية وكندا واليابان) ربطها اساسا بالموقف الراهن في الشرق الاوسـط واحتمـالات تطوره

ولكن السّمة ذاتها ـ سمة الاهتمام بالاحلاف أو القواعد العسكريه ـ صاحبت هذا التركيز الاميركي على الشرق الاوسط بصورة ربما لم تعرفها السياسة والاستراتيجية الاميركية منذ اوائل الخمسينات .

لم يكن هذا خافيا في مضمون خطاب كارتر عن « حالة الاتحـاد » ، حيـث وصـف « التدخـل السوفياتي » في افغانستان بانه «يمكن ان يشكل اخطر تهديد للسلام العالمي منذ الحرب العالميـة الثانية » . وربط هذا التهديد باعتماد الولايـات المتحدة وحلفائها على النفط « الأجنبي »وبناء على هذا التصـــور فانـــه ناشـــد دول منطقه الخليـج (الفـارسي) وكذلك حلفـــاء الولايات المتحدة ان تدرك « ان الوضع ... يتطلب جهودا جماعية لمواجهة هذا التهديد الجديد للأمن في الخليج (الفارسي) وجنوب غرب اسيا . ويتطلب مشاركة أولئك الذين يعتمدون على النفط من الشرق الاوسط ، واولئك الذين يعنيهم السلام والاستقرار العالميان . كما يتطلب تشاورا وتعاونا وثيقا مع بلدان فـي المنطقة قد تتعرض للتهديد » .

واضاف كارتر ان مواجهة التحدي « ستحتاج الى ارادة قومية ، وحكمـة دبلوماسيـة وسياسيـة ، وتضحيـة اقتصاديـة ، وبطبيعـة الحـال قدرة عسكرية . ان علينا ان نعد افضل ما لدينا للحفاظ على أمن تلك المنطقة الحرجة » . كما ذكر « ان ايه محاولة من قبل اي قوة خارجية للسيطرة على منطقة الخليج ستعتبر اعتداء على مصالح حيوية للولايات المتحدة ، وسيتم الرد عليها باستخدام كافة الوسائل الضرورية بما في ذلك القوة العسكرية » .

ودعا كارتر على هذا الاساس الى العمل مع بلدان

المنطقة لوضع « اطار تعاون أمني » . وقد اوضح مسؤول في البيت الأبيض الامريكي في اليوم نفسه (١/٢٤) ان هذا الاطار سيتضمن ترتيبات مختلفة ، لأن البعض لا يريد ارتباطات امنية مباشرة مع الولايات المتحدة .

وعلى الرغم من ان عبارات كارتر في هذا الخطاب السنوي واضحة الدلالة على ان الولايات المتحدة معنية من جديد ، وبتركيز شديد ، باقامة علاقات عسكرية ثابتة مع بلدان الشرق الاوسط ، وخاصة الخليج ، رغم استخدامه تعبيرات مغلفة من نوع « اطار تعاون امني » ، « جهود جماعية لمواجهة التهديد » ، فان التفسيرات الاميركية والغربية التي تضمنتها التعليقات المختلفة مع خطاب « حالة الاتحاد » تلقي مزيدا من الضوء على معانيه ومقاصده .

وعلى سبيل المثال فقد كتب جيمس ريستون كبير معلقي صحيفة « نيويورك تايمز » (٢٦ ــ ١/٢٧) يقول ان كارتر أوضح في خطابه « ان الولايات المتحدة ترسم الآن خطا فاصلا حادا وهو ان حقول نفط الشرق الاوسط ــ شانها شان استقلال اوروبا الغربيه واليابان ــ سينظر اليها من الان فصاعدا على انها مصلحه حيويه للعالم الحر . يمكن للولايات المتحدة ان تخوض حربا كبرى من اجلها اذا لزم الامر . تاييدا لهذا دعا الكونغرس الى زيادة ميزانيه الدفاع الاميركيه بنسبه ٥٪ فوق الزيادة التي يفرضها التضخم ، والى اقامه « وجود » عسكري اميركي جديد او امكانيه الحصول على قواعد في الشرق الاوسط » .

ويزيد ريستون ايضاحا فيقول « ان الروس بشكل خاص لن يخيفهم تهديد بمواجهة عسكرية مع الولايات المتحدة عند حدودهم الجنوبية، ففي مثل هذه الحرب ستكون خطوط امداداتهم قصيرة داخل ايران من الشمال ، واقرب من الشرق ايضا في افغانستان . وعلى النقيض من ذلك فان الولايات المتحدة ستكون بعيدة بمسافة تساوي نصف العالم كما كان الحال في حرب فيتنام دون قواعد عسكرية مضمونة او حلفاء موثوق بهم ، باستثناء مصر واسرائيل ، اللتين لا تزالان تتشاحنان حول الفلسطينيين والضفة الغربية وغزة والقدس » .

وفي الاتجاه نفسه يفسر معلق صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » ــ ستيفن كلايدمان ــ (١/٢٩) خطاب كارتر بقوله « ان الولايات المتحدة الآن تعتبر منطقة الخليج ــ شانها شأن اوروبا الغربية واليابان ــ داخلة تحت مظلتها الدفاعية [العسكرية] ... والولايات المتحدة الآن هي بصدد عملية ترتيب لاستخدام تسهيلات أساسية بحرية وجوية في شمال شرق افريقيا والخليج » .

وأكد كلايدمان ــ مثلما فعل ريستون ــ على نقطة الضعف التي تعاني منها الولايات المتحدة من الناحية الاستراتيجية وهي طول خطوط امداداتها مقابل قصر خطوط الامدادات بالنسبة للاتحاد السوفياتي ، الأمر الذي يؤكد ــ ويبرر من وجهة النظر الأميركية ــ أهمية الحصول على قواعد عسكرية دائمة وثابتة في المنطقة ، في الخليج وحوله . ويقول كلايدمان في هذا الصدد « لقد حرك الاتحاد السوفياتي سبع فرق الى داخل افغانستان خلال اسابيع قليلة ، بينما تحتاج الولايات المتحدة الى شهر كامل لادخال فرقة واحدة الى منطقة الخليج في ظل الظروف الراهنة » . وهذا يعني بوضوح ان الولايات المتحدة تحاول تغيير « الظروف الراهنة » الاستراتيجية في منطقة الخليج ليكون بامكانها ان تتواجد في المنطقة وبذلك تقصر خطوط امداداتها اليها .

لكن صحيفة « واشنطن بوست » طرحت في تعليقها ــ بمقال افتتاحي (٢٩ /١) على خطاب « حالة الاتحاد » ــ عدة تساؤلات ، بعضها بالغ الاهمية . فقد تساءلت الصحيفة . « ما هي حدود منطقة الخليج ؟ وهل كل اجزائها متساوية ؟ ما الذي يشكل (بنظر الادارة الاميركية) محاولة لتحقيق السيطرة ؟ وما الذي يعنيه تحقيق السيطرة ؟ هل يتطلب الأمر وضع برامج أخرى تتجاوز تلك التي عددها الرئيس كارتر ؟ اي نوع من التعاون يتوقعه من دول اخرى في المنطقة ؟ ومن الدول الاخرى المعتمدة على النفط ؟ وكيف سترد الولايات المتحدة في حال التخلف عن مثل هذا التعاون ؟ » .

ولعل هذه السلسلة المترابطة من التساؤلات التي طرحتها « واشنطن بوست » لا تجد جوابا الا في نشاطات الولايات المتحدة العسكرية والدبلوماسية ، منذ اللحظة التي انتهت فيها فقرات خطاب كارتر عن « حالة الاتحاد » . لكن قبل الانتقال من اطار التحرك الاميركي بحثا عن قواعد واتفاقات امنية او احلاف في الشرق الاوسط ، كما رسم كارتر خطوطه العريضة في هذا الخطاب ، الى الخطوات الفعلية التنفيذية لهذا التحرك ، لا بد من الاشارة الى حادثة خروج كارتر عن نص هذا الخطاب .

ذلك انه يبدو ان الرئيس الاميركي ادرك في اخر لحظة أن أول ما قد يتبادر الى اذهان قوى معينة داخل الولايات المتحدة عن مسعاه للحصول على قواعد او اتفاقات أمنية في الشرق الاوسط (أي من دول عربية) هو أن ثمن هذا المسعى ربما يدفع من طبيعة العلاقات الخاصة التي تربط الولايات المتحدة . وكان لا بد للرئيس الاميركي ان ينفي هذا التصور حتى قبل ان يخرج الى حيز التعبير العلني . لهذا خرج الرئيس كارتر عن نص خطاب « حالة الاتحاد » ـ وهو خطاب سنوي يسبق القاءه اعداد دقيق وطويل غالبا ـ ليؤكد التزام الولايات المتحدة ببقاء اسرائيل وامنها .

وقد وصفت وكالة « اسوشيتد برس » الاميركية للأنباء هذا الخروج المفاجيء الذي لم يتوقعه احد بانه « خروج ملفت للنظر » . وقد ذكرفيه كارتر « ليدع الجميع الشك جانبا في مسألة التزامنا بامن اسرائيل ... »

لكن من المنطقي ان يثير هذا الجانب غير المكتوب من خطاب كارتر تساؤلا عما اذا كان موجها ليس فقط الى « اللوبي الصهيوني » داخل الولايات المتحدة في الشرق الاوسط لقطع الطريق على اي تصور لديهم بامكان المساومة على العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ؟

ان احدا من اصدقاء اميركا ـ ولعلهم اكثر مقدرة على فهم دوافعها ومراميها ـ لا يساوره شك في أن الولايات المتحدة تريد ان تفرض شروطها حتى وإن كانت هي الجانب الذي يحتاج الى هذا الطرف او ذاك استراتيجيا أو اقتصاديا . في هذا الصدد كتبت صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية (١/٢٧) تقول « من الواضح ان الرئيس (كارتر) يامل في ان تتحمل دول المنطقة نفسها قبل كل شيء المسؤولية للأمن الجماعي فيها والمحافظة على وصول الغرب لنفط الخليج . وأن يكون ذلك بدعم من القوات البحرية والجوية الاميركية . الا ان الدول العربية تعرف انها اذا حاولت ان تقدم لاميركا قواعد عسكرية دون ان تغير اميركا من سياستها نحو الفلسطينيين فلربما توقع بذلك على تفويض موتها . وستجلب بذلك الاضطراب وفقدان النفط . وهي اشد المخاطر التي يخشاها الغرب الآن . وهكذا يجب على الغرب من اجل النفط والامن ـ ان يكسب تاييد شعوب الشرق الاوسط ، وليس مجرد تاييد حكام هذه الشعوب » .

على اي حال فانه لا تاكيد كارتر على الالتزام غير المشروط بأمن اسرائيل ، ولا جولات الدبلوماسية الاميركية ، ولا تحركات الاساطيل الاميركية تؤكد أن الولايات المتحدة تنظر الى الأمور بهذا المنظار .

فماذا عن موقف حلفاء اميركا عن هذه السياسة ؟

من السهل للغاية ، ومن خلال استقراء تطورات الاسابيع منذ القاء الرئيس الاميركي كارتر خطاب « حالة الاتحاد » ـ ان نميز بين موقفين لحلفاء اميركا من مسالة الوضع الاستراتيجي في الشرق الاوسط ومتطلباته .

□ موقف لحلفاء الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط و من ضمنها الخليج من مطالب الادارة الاميركية .

□ وموقف لحلفاء الولايات المتحدة في اوروبا الغربية واليابان الذين خصتهم نداءات كارتر بانهم معرضون بسبب امن الخليج لخطر يفوق الخطر الذي تتعرض له الولايات المتحدة نفسها .

موقف دول المنطقة

لا تزال هناك ملامح مختلفة لموقف دول منطقة الشرق الأوسط والخليج العربي من الاستراتيجية الاميركية في المنطقة ، وثمة اختلافات افقية واختلافات رأسية بمعنى ان هناك تباينا بين مواقف دول المنطقة بعضها عن بعضها الاخر . وهناك تباين اخر في زاوية رؤية موقف دول المنطقة ، حيث ان المعلومات التي تذاع من واشنطن تختلف في كثير من الاحيان ـ عن المعلومات التي تذاع في عواصم المنطقة .

في اليوم الذي انتهت فيه زيارة وفد اميركي على مستوى عال للسعودية برئاسة زبغنيو برجنسكي مستشار الرئيس كارتر لشؤون الامن القومي ـ (٢/٥) قال المسؤولون في الوفد الاميركي ـ في تصريحات ادلوا بها على متن الطائرة التي اقلتهم من السعودية الى القاهرة ـ ان المسؤولين السعوديين ابلغوا برجنسكي والوفد بانهم الآن مستعدون للنظر في « تعاون عسكري أوثق مع الولايات المتحدة في منطقة الخليج لمواجهة تاثير التدخل السوفياتي في افغانستان » . وقال اعضاء الوفد « أن الامير فهد ولي العهد السعودي كان مؤيدا للغاية لعزم الاميركيين على الاحتفاظ بقوة عسكرية في المنطقة ، واستخدام التسهيلات العسكرية في بلدان مختلفة ، واجراء مناورات تدريبية مع دول المنطقة ، وطلب تعاون السعودية في كافة تلك المجالات » .

وقد ذكرت صحيفة « نيويورك تايمز » وهي تورد هذه التصريحات (٢/٦) « ان السعوديين يتخذون ـ علنا ـ موقفا غامضا منذ التدخل السوفياتي في افغانستان . فهم من ناحية تزعموا في مؤتمر اسلام اباد معارضة التحركات السوفياتية ، ولكنهم في الوقت نفسه عارضوا ما وصفوه بأنه نشاط الدول الكبرى . غير ان المسؤولين الاميركيين قالوا انهم كانوا يتوقعون الموقف السعودي الذي يتضمن اصرارا على تسوية المسألة الفلسطينية ، كأولوية كبرى . ولكنهم اضافوا ان السعوديين يبدون الآن اكثر استعدادا بكثير ـ في مجالسهم الخاصة ـ لان يكونوا متعاونين بسبب النشاط السوفياتي في المنطقة » .

وذكرت الصحف الاميركية نقلا عن المسؤولين في الوفد الأميركي الذي زار السعودية ان برجنسكي شرح للأمير فهد سياسة الولايات المتحدة في المنطقة في النقاط التالية .

☐ ان سياسة الولايات المتحدة تقوم على التصميم على اتخاذ خطوات محسوسة لتأمين مزيد من الامن في منطقة الشرق الأوسط ـ الخليج ، وقد وصف برجنسكي هذه المنطقة بانها « المنطقة الاستراتيجية المركزية الثالثة » من حيث الاهمية للولايات المتحدة بعد اوروبا الغربية والشرق الاقصى .

☐ ان الولايات المتحدة ستظل ملتزمة بالتوصل الى اتفاق سلمي بين العرب والاسرائيليين ، مع اعتراف خاص باهمية تحقيق تقدم الآن فيما يتعلق بالمسالة الفلسطينية .

☐ ان الولايات المتحدة بصدد اقامة وجود عسكري منتظم لها في المنطقة . وهي تفعل ذلك عن طريق اكتساب مزيد من قدرة الوصول المنتظم الى القواعد ، وعن طريق رفع درجة قدرتها . وهي مستعدة للاشتراك مع دول اخرى في اشكال مختلفة من المناورات من اجل اعداد افضل لانواع الطوارىء المختلفة .

☐ فيما يتعلق بمسالة التسهيلات العسكرية فان الولايات المتحدة قد اعلنت صراحة رغبتها في استخدام قواعد في الصومال وكينيا وعمان . فضلا عن توسيع قاعدة دييغو غارتيا (في المحيط الهندي) .

وقد ذكر الوفد الأميركي للصحفيين الاميركيين الذين رافقوه انه « أصبح مفهوما للولايات المتحدة الان (بعد المحادثات مع المسؤولين السعوديين) انه في حالة طارىء عسكري في المنطقة يتطلب ارسال قوات اميركية فان السعودية ستسمح بان تستخدم تسهيلاتها » .

تأكيدا على هذا التفاؤل الاميركي بموقف دول المنطقة ، واتساعه ليشمل اكثر من السعودية . صرح وزير الدفاع الاميركي هارولد براون (٢/١٢) بأنه « متفائل بصورة معقولة بأن الولايات المتحدة ستكون قادرة على استخدام قواعد عسكرية في دول الشرق الأوسط المؤيدة للغرب في وقت الأزمات »لكنه رفض تأكيد أو نفي الانباء الصحفية الاميركية بأن اتفاقا قد تم التوصل اليه فعلا بشأن الاستخدام الطارىء لقواعد في سلطنة عمان وكينيا والصومال . لكنه قال « اننا نتفاوض مع عدة دول في المنطقة لتوفير حق الوصول الى تسهيلاتها في اوقات الازمات .. وان هذه المفاوضات اخذت تصل الى نجاح كامل ، لكنني اعتقد انه من السابق لأوانه القول كيف سيكون الوضع » .

وقد رافقت تصريحات وزير الدفاع الاميركي تأكيدات مصدر اميركي رسمي في واشنطن (٢/١٢) بأن سلطنة عمان وافقت على ان تستخدم القوات الجوية والبحرية الاميركية بعض منشآت السلطنة العسكرية . وذكر هذا المسؤول ان الاتفاق المبدئي يمكن الولايات المتحدة من تخزين البترول والعتاد العسكري في سلطنة عمان لاستخدامه في حالة التدخل في هذه المنطقة . ولم تلبث هذه الانباء ان تأكدت عندما اعلن مسؤولون في الادارة الاميركية (٢/١٣) ان الولايات المتحدة أرسلت أول قوة برية أميركية الى منطقة الخليج تمشيا مع تعهد الرئيس كارتر مؤخرا « بمقاومة الاندفاع السوفياتي نحو منطقة الخليج » . وقال هؤلاء المسؤولون ان ١٨٠٠ من مشاة البحرية الاميركية قد ارسلوا الى بحر العرب على متن اربع سفن برمائية . واضافوا ان مشاة البحرية الاميركية سيعملون في بحر العرب لمدة غير محددة .

تناقضت هذه الانباء من الجانب الاميركي مع « تأكيدات » من داخل المنطقة كان ابرزها ما اعلن في الرياض (٢/٨) من ان الامير سعود الفيصل وزير الخارجية السعودية اكد من جديد « رفض المملكة السماح باقامة قواعد عسكرية أجنبية او تقديم تسهيلات عسكرية لاية دولة في اراضيها .. » وان المملكة « لن تعقد اتفاقا بخصوص اي نوع من

أنواع التسهيلات لا مع الأميركيين ولا مع غيرهم » .

بل ان مصادر سعودية كانت قد نقلت عن اربعة خبراء جامعيين اميركيين عادوا الى واشنطن بعد زيارة لدول الخليج (٢/٣) قولهم ان بعض الدول العربية هناك ابدت شكها في صلاحية « مبدأ كارتر » ورفضت عرضه وجودا عسكريا اميركيا في المنطقة . وان هؤلاء الخبراء قالوا ان اكثر دول الخليج لا تزال ترى ان اسرائيل تمثل خطرا أكبر على المنطقة من الاتحاد السوفياتي ، وأن الشك في النوايا الاميركية سيستمر الى ان تبدي ادارة كارتر فهما افضل للقضية الفلسطينية واستعدادا افضل لمواجهة اسرائيل في هذا الموضوع .

اما هؤلاء الخبراء الاربعة فهم نائب الاميرال مارمادوك بين قائد القوة البحرية الضاربة للولايات المتحدة في الشرق الاوسط حتى العام ١٩٧٧ . والدكتور مايكل هدسون مدير مركز الدراسات العربية المعاصرة في جامعة « جورج تاون » الاميركية ، ودين بيتر كرو من مدرسة السلك الدبلوماسي في جامعة « جورج تاون » والدكتور هشام شرابي الاستاذ الفلسطيني — الأميركي في الجامعة نفسها .

بعد ذلك بأيام قليلة أعلن في واشنطن رسميا (٢/١١) ان تجهيز قوة اميركية سريعة ضاربة خاصة بالخليج العربي سيتم في أواخر العام الحالي ، وليس في غضون ثلاث سنوات كما قدر الاستراتيجيون الاميركيون من قبل . وقد أعلن هذا القائد الجديد لهذه القوة اللفتنانت جنرال بي . اكس . كيلي ، الذي كان يتحدث امام لجنة فرعية تابعة للجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الأميركي .

في الوقت نفسه زارت الصومال بعثة عسكرية اميركية في الاسبوع الاول من شهر شباط (فبراير) ، وهي ثالث بعثة اميركية تزور الصومال منذ منتصف شهر كانون الاول (ديسمبر) الماضي . وكانت البعثة الثالثة برئاسة ريجنالد بارتولوميو مدير الشؤون العسكرية — السياسية بوزارة الخارجية الأميركية ، وبحثت مع المسؤولين الصوماليين (٢/٥) في استخدام القوات الأميركية كلا من ميناء مقديشيو وقاعدة بربارا البحرية لدعم وجود عسكري أميركي في منطقة المحيط الهندي . وقد عرضت الولايات المتحدة — بالمقابل — تزويد الصومال بامدادات عسكرية .

وفي القاهرة أعلن وزير الدفاع المصري كمال حسن على (٢/٢) ان « مصر منحت الولايات المتحدة تسهيلات لتمكينها من مساعدة أية دولة عربية-خليجية قد تكون مهددة » . وأوضح أن هذه التسهيلات « جوية بصفة خاصة » .

وهكذا فان التطورات العملية — بصرف النظر عن تناقضات التصريحات — تؤكد ان الولايات المتحدة حققت خطوات محسوسة على طريق فتح أبواب الشرق الأوسط والخليج لقواتها المسلحة لتحصل على قواعد او على تسهيلات تضمن لها وجودا عسكريا دائما وسريع الحركة في المنطقة .

وقد احتل هذا التطور « مانشيت » الصفحة الاولى من صحيفة « نيويورك تايمز » (٢/١٢) التي ذكرت ان عمان وكينيا والصومال قد وافقت على منح القوات الاميركية فرصة الوصول الى التسهيلات العسكرية ، كما وافق زعماء هذه الدول الثلاث ايضا على السماح للقوات الأميركية بالقيام بزيارات منتظمة للقواعد العسكرية ، وتمكين واشنطن من تخزين كميات محددة من الاعتدة والوقود في اراضيها .

ونقلت « نيويورك تايمز » عن مسؤول كبير في ادارة الرئيس كارتر قوله « أن هذا الانجاز هو بداية تحول مهم عن انحدارنا الاستراتيجي في ذلك الجزء من العالم » . ونقلت عن مسؤول كبير بوزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون) وصفه للتسهيلات العسكرية التي حصلت عليها الولايات المتحدة في هذه الدول الثلاث بانها تشكل « قواعد عمليات متقدمة » للسفن والطائرات الاميركية التي ترابط في معظمها في قاعدة « دييغو غارتيا » في المحيط الهندي .

وفيما يتعلق بالسعودية صرح مسؤولون اميركيون — وفقا لرواية « نيويورك تايمز » أيضا — بان « البنتاغون » يقوم بصياغة خطة تقتضي ان تبني السعودية عدة قواعد جويه جديدة حول البلاد تصمم بحيث تلبي الاحتياطات الاميركية وتخزن فيها كميات ضخمة من الاسلحة والوقود . على ان تستخدم هذه القواعد في الظروف العادية السلطات السعودية ، وتستخدمها — في حالة تهديد عسكري تتعرض له السعوديه — الطائرات والقوات الاميركيه التي تنقل اليها على وجه السرعة

موقف اوروبا الغربية

على الجانب الآخر من الصورة ، نجد أن موقف اقرب حلفاء الولايات المتحدة ، وهي دول اوروبا الغربية ، من المناشدة الأميركية بضرورة المساعدة بالفعل لا بالقول في الدفاع عن نفط الشرق الأوسط ضد « الخطر السوفياتي » لا تجد صدى ايجابيا واضحا . وتعكس مواقف دول أوروبا الغربية في هذا الصدد أيضا قدرا من الاختلاف ، ولكنه إختلاف في الدرجة لا في النوع . مثل اختلاف موقف بريطانيا ـ الاكثر التصاقا بالاستراتيجية والدبلوماسية الاميركية ـ مع موقف كل من فرنسا وألمانيا الغربية اللتين تحرصان على درجة من الاستقلالية عن قرار واشنطن لأسباب عديدة ومختلفة أيضا .

وتكشف المواقف المعلنة لدول اوروبا الغربية عن ثلاث نقاط أساسية تجعلها لا تأخذ موقفا مطابقا للموقف الاميركي ، ولا تستجيب للطلبات الاميركية فورا وبالكامل . أولا ضعف الاعتقاد الاوروبي بمصداقية الأسباب التي تقدمها الولايات المتحدة لتبرير الضجة الهائلة التي تحيط بها واشنطن مسألة « الخطر السوفياتي على نفط الخليج » . ثانيا مخاوف دول اوروبا الغربية من ردود الفعل المحلية في الشرق الأوسط . ثالثا مخاوف اوروبا الغربية من رد الفعل السوفياتي .

ففي الوقت الذي بدأت فيه الولايات المتحدة (٢/٨) حملة دبلوماسية مكثفة « لتنسيق موقف مشترك مع حلفائها الرئيسيين ازاء التوتر السائد في المحيط الهندي والناتج عن التدخل السوفياتي في افغانستان » ، أعلنت فرنسا ـ على لسان ناطق باسم « قصر الايليزيه » ـ أنها تعارض أي اجتماع مشترك للدول الغربية « لا يكون من طبيعته في الظروف الراهنة تخفيف حدة التوتر الدولي » . وكان هذا ردا على دعوة اميركية لعقد اجتماع في بون لوزراء خارجية الولايات المتحدة وفرنسا والمانيا الغربيه وبريطانيا وايطاليا تليه قمه مصغرة في واشنطن يحضرها وزراء خارجية الولايات المتحدة واستراليا ونيوزيلندة لبحث الرد على التدخل السوفياتي في افغانستان .

وفي اليوم التالي (٢/٩) اعربت الدوائر الاميركية الرسمية في واشنطن عن استيائها ازاء الرفض الفرنسي . وقالت وكالة اسوشييتد برس الاميركيه « أن رفض فرنسا العنيف للمشروع الأميركي ادى الى زيادة التوتر بين باريس وواشنطن . وهو يعرقل ـ مؤقتا على الاقل ـ الجهود الدبلوماسية التي يبذلها الرئيس الأميركي كارتر للرد على التدخل السوفياتي .

ولكن واشنطن لم تلبث أن تلقت رفضا ثانيا اكثر تحديدا . من جانب بون هذه المرة ، حيث اعلنت حكومة المانيا الغربية (٢/٩) على لسان وزير دفاعها هانتز ابيل « انها تستبعد فكرة توسيع نطاق عمل حلف الاطلسي واحتمال اشتراك قوات من المانيا الغربية في عملية عسكرية في منطقة الخليج » .

وقد تساءلت صحيفة « واشنطن بوست » (٢/١٢) « هل ستقف قوات وسفن الحلفاء الغربية إلى جانب القوات الاميركية اذا وصلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي الى حافة مواجهة عسكرية في الخليج ؟ ». وأجابت بان الرد على هذا السؤال امر بالغ التعقيد، لان المخططين الاستراتيجيين الاميركيين يريدون اضعاف الدفاع عن اوروبا الغربية حيث تتواجد قوات حلف الاطلسي (الناتو)والقسم الاكبر من جيوش حلف وارسو عبر حدود المانيا الغربية . ويعتقد كثيرون من المخططين أن مواجهة سوفياتية ـ اميركية في الخليج يمكن ان تنتشر سريعا نحو اوروبا . ويبدو من مقابلات مع مسؤولين في وزارتي الخارجية والدفاع وفي البيت الأبيض الأميركي (وفقا لرواية « واشنطن بوست ») ان الولايات المتحدة لا تتوقع دعما عسكريا على نطاق واسع في الخليج من اوروبا الغربية ولا من اليابان . انما تريد الولايات المتحدة بالاحرى من حلفائها ان يحسنوا قدراتهم العسكرية الخاصه بحيث يوفروا قوات اميركيه ، خاصة تلك الموضوعة في حالة احتياط في الولايات المتحدة للتدخل في الخليج . ومع ذلك يؤكد المسؤولون الاميركيون ان الولايات المتحدة ستحتاج فعلا في حالة نشوب حرب ـ الى مساعدات حقيقية ، خاصه في صورة قوات بحرية ومتخصصين . ولهذا يقول هؤلا المسؤولون انه بدأت تبزغ سياسة اميركيه ترمي إلى فرض مزيد من الضغط على حلفاء اميركا .

وكشف المسؤولون في واشنطن آن استراليا وحدها من بين حلفاء الولايات المتحدة هي التي ابدت استعدادا لوضع قوات لها على الخطوط في منطقة الخليج في شكل قوة عمل بحريه صغيرة من البوارج والزوارق المسلحه وسفن التزويد بالوقود .

وتقول « واشنطن بوست » ان كثيرين من

الاوروبيين لا يتفقون مع رأي الادارة الامريكية القائل بأن الاتحاد السوفياتي ليس معنيا أساسا بافغانستان انما هو معني بالخليج . فضلا عن أنهم يرون أنهم معرضون لخسائر افدح مما يمكن ان تتعرض له الولايات المتحدة اذا انهارت العلاقات مع موسكو .

وكان اجتماع اطلسي موسع قد عقد في ميونيخ في الأسبوع الثاني من شهر شباط (فبراير) ، ضم وزراء وقادة عسكريين ودبلوماسيين وسياسيين من دول الحلف ، قد انتهى الى نتيجتين أساسيتين ، حددهما كاري سولابرغر في صحيفة « انترناشيونال هيرالد تريبيون » (٢/١٢) على النحو التالي (١) أن الاتحاد السوفياتي قد انفق اكثر بكثير جدا من الولايات المتحدة على قدراته العسكرية خلال السنوات العشر الأخيرة ، واكتسب بذلك تقدما ملحوظا . (٢) ان الأخطار التي تواجه الغرب الآن تكمن في مناطق المصالح الحيوية مثل المنطقة المنتجة للبترول والممرات البحرية المؤدية منها الى أوروبا أكثر مما تكمن في القوس الدفاعي لاوروبا . ومع ذلك – يضيف سولزبرغر – أنه بدا في ذلك الاجتماع « ان هناك اتفاقا عاما على ان الولايات المتحدة وحلفائها الأساسيين في القارة الاوروبية يدركون انهم ليسوا في وضع يمكنهم من خوض الحرب بسبب العدوان على افغانستان ، التي تقع خارج نطاق منطقة حلف الأطلسي ، وانهم – بالتالي ، وعلى الرغم من الاحتجاجات – لا بد أن يقبلوا به . انما يرون الخطر الأكبر على انه هجوم سوفياتي شبه محتوم في الشرق الأوسط . وكان ثمة اتفاق على الحاجة الى التحذير من مثل هذا الاستيلاء ، وضرورة اعداد عمل مشترك ضده اذا وقعت مثل هذه المحاولة فعلا . ولكن حين وصلت المناقشات الى النقطة المحددة المتعلقة بما ينبغي عمله ، تحللت المناقشة » .

ولكن هذه الخلافات بين الولايات المتحدة وحلفائها الغربيين – التي يتعلق جانب كبير منها بالمشكلات الاقتصادية لكلا الطرفين ، التي تمنعه من الاقدام على تحمل نصيب اكبر في النفقات العسكرية ، لان ذلك يضطره لتأجيل مواجهة المشكلات الداخلية الحادة ، خاصة في بلدان أوروبا الغربية – لا تعني انعدام التنسيق الاستراتيجي بين الولايات المتحدة وغرب أوروبا ، ولا تعني ان حلف الاطلسي متمسك بشدة بالحدود الجغرافية الأصلية التي رسمتها له معاهدته الأصلية ، بحيث يمتنع عن التدخل خارج اطار المظلة الاطلسية . وبشهادة سولزبرغر نفسه فان حلف الاطلسي – « من حيث الامر الواقع – قد تجاوز حدوده الجغرافية وأصبح ملتزما الآن بالدفاع عن مصالحه الحيوية في انحاء العالم.وبين هذه المصالح الوصول الى مصادر الطاقة والخامات الأساسية » .

وسواء مد الغرب نطاق حلف الاطلسي الى الشرق الاوسط والخليج العربي ، او اعتمد اساسا على الوجود الاميركي وحده في هذه المنطقه ، فان هناك عودة عسكريه واسعه النطاق للغرب الى الشرق الاوسط ، ومن شانها أن تحلق نقيضها ، كما حدث دائما من قبل .

سمير كرم

قضايا عسكرية

التهديدات الاسرائيلية لسوريا

تجددت مؤخرا التهديدات والتحذيرات الاسرائيليه الموجهة الى سوريا ، بدعوى انها تتأهب لشن هجوم ضد اسرائيل . ففي ١٥/١/٨٠ قال مناحيم بيغن « ان اسرائيل تقف على اهبه الاستعداد لصد اي هجوم سوري محتمل » .

وعندما قامت القوات السورية ، العاملة ضمن نطاق قوات الردع العربية في لبنان ، بالانسحاب من الشريط الساحلي بين بيروت وصيدا ، وتجمعت في مواقع دفاعية في البقاع الغربي في ٢٢/١/٨٠ ، كثفت اسرائيل من طلعات طيرانها الاستطلاعيه فوق

جنوب لبنان وحتى المناطق المحيطة بطريق « دمشق – بيروت » . وفي ٨٠/١/٢٧ ذكرت مصادر عسكرية اسرائيلية مسؤولة ان التحركات العسكرية السورية المذكورة موضع مراقبة دقيقة جدا ، وان القدرة العسكرية السورية اصبحت دفاعية وهجومية في ان ، وهدفها تعزيز الانتشار السوري في لبنان لمواجهة اسرائيل ، وان التعزيزات السورية تقع على مسافة تراوح بين ٢٥ و ٢٥ كيلومترا من الحدود اللبنانية الجنوبية . وان لهذه التعزيزات اهدافا عدة تتمثل في تخريب عمليه تطبيع العلاقات المصرية – الاسرائيلية ، وتصفية المقاومه « المسيحية » للوجود السوري في لبنان ، وتدعيم نظام الرئيس الاسد ، واخيرا الرد على التحذيرات الاسرائيلية الاخيرة .

وفي اليوم ذاته ، ١/٢٧ ، بدأ وزير الخارجيه السوفييتي « اندريه غروميكو » زيارة لسوريا استمرت ثلاثة ايام ، وحذرت وسائل الاعلام السوفييتية ، بهذه المناسبة ، كلا من الولايات المتحدة واسرائيل ومصر من محاولة الاعتداء على سوريا . مؤكدة ان للاخيرة من دعم اصدقائها . ما يمكنها في مطلق الاحوال والظروف من كسر شوكه اي معتد ، وما يمكنها من فرض انتزاع حقوقها واحترام مصالح العرب .

وفي اليوم التالي ، ١/٢٨ ، صرح بيغن بان اسرائيل لا تنوي مهاجمة سوريا رغم الانباء عن تزايد الوجود السوري في لبنان . وكرر بيغن قوله هذا ، في ١/٢٩ ، مؤكدا ان اسرائيل لا تنوي شن اي هجوم على سوريا او اية دولة عربية اخرى مجاورة واثر رصد بعض التحركات العسكرية الاسرائيليه قرب الحدود اللبنانية ، صرح وزير الدفاع الاسرائيلي وايزمان بان اسرائيل اتخذت بعض الاجراءات لمواجهة تهديد محتمل على حدودها مع سوريا ، وذلك على اساس وجود تقديرات عن احتمال قيام الاخيرة بمحاولة للاساءة الى المعاهدة المصرية – الاسرائيلية عن طريق شنّ هجمات عسكرية .

واثر اعلان سوريا عن نيتها في تجميع قواتها العاملة في مدينة بيروت ، يوم ٨٠/٢/٣ ، زاد الطيران الاسرائيلي من طلعاته الاستطلاعية فوق لبنان ومدها حتى « بيروت » والمناطق المحيطه بها . وصرح وايزمان ، في ٨٠/٢/٨ ، بان القوات الاسرائيلية تلقت امرا بان تكون في حال التاهب ، وان اسرائيل تراقب بحذر الوضع في لبنان وتحركات القوات السورية . وقال « اذا كان هذا التصريح يشكل رسالة الى سوريا ، فانني حريص على التشديد على اننا لا ننوي مهاجمة هذا البلد كما اننا لا نرغب في ذلك ... اذا كانت الاستعدادات العسكرية السورية تعود الى تخوف هجوم اسرائيلي ، فاني اطمئن قادة هذا البلد الى اننا لن نبادر في الهجوم ... ولكن اذا هوجمنا فلن نقف مكتوفين ... ان الروس والسوريين يعرفون ان ردنا مختلف عن ردود الآخرين » . واستطرد قائلا « ان مسيحيي لبنان قادرون على مواجهة الوضع الناتج عن اعادة توزيع القوات السورية ... واننا لن نقف مكتوفين اذا هوجم المسيحيون في لبنان » .

وفي اليوم ذاته ، ٢/٨ ، قال الجنرال ساغي ، رئيس الاستخبارات العسكرية الاسرائيلية ، انه يستبعد احتمال وقوع حرب تشنها سوريا ، لكنه توقع ان تقدم الاخيرة على تفجير عمليات عسكرية محدودة ، على اساس ان ذلك يشكل مجازفة محسوبة من جانب السوريين الذين سيراهنون على امكان التحكم في تطور مثل هذا الصراع ، وتجنب تحوله الى حرب واسعة النطاق . واوضح ان لسوريا مصلحة في ذلك ، اذ ان من شانه تعزيز جبهة الرفض ووضع مصر في موقف حرج وصرف انتباه الراي العام عن الازمة التي يجتازها النظام ... وان الاهداف السورية قد تحققت منذ الان اذ ان العالم بدأ ، عن طريق المناخ المتوتر الناشئ ، ينسى افغانستان ويركز اهتمامه مرة اخرى على الصراع الاسرائيلي – العربي .

وقد ردت سوريا عبر تعليق سياسي ، بثته اذاعة دمشق يوم ٢/٩ ، جاء فيه ان سوريا تراقب تحركات الاعداء ونشاطاتهم وتتخذ لكل حال ما يناسبها من المواقف ، ولن يؤثر عليها اي تهديد . ان سوريا تعرف موازين القوى في المنطقة وفي العالم ، وتعرف قواها الذاتية وقدراتها على مواجهه جميع الاحتمالات ولا تخاف التهديدات .

وفي ٢/١٢ قالت الاذاعة الاسرائيليه ان لواء المشاة « غولاني » قام بمناورة في مرتفعات الجولان ، في اليوم السابق ، بحضور الجنرال ايتان رئيس الاركان وقائد المنطقة الشمالية . وقد شاركت في المناورة وحدات من المدرعات والمدفعية . وكان الهدف منها اجراء اختبار عملي للسيطرة على مدينه صغيرة بواسطة وحدات من المشاة تدعمها المدرعات والمدفعية . وقد اذيع في اليوم نفسه تصريح لوايزمان قال فيه « ان قواتنا موزعة ومستعدة لاي احتمال » . وفسر المراقبون ان هذه المناورة والاعلان عنها ، تهدف الى اعطاء مصداقية لنيه الحكومه الاسرائيلية المعلنة عن يقظة قواتها ، وان ذلك مرتبط بالوضع المتوتر في لبنان . وترجح كل هذه التصريحات والتهديدات الاسرائيلية ، المصحوبه بحشود اسرائيلية محدودة نسبيا ، وبتصعيد لنشاط ميليشيات سعد حداد في الجنوب يتمثل في قصف مدفعي عنيف لمدن وقرى الجنوب ، ترجح احتمال قيام اسرائيل بعدوان على جنوب لبنان ، فضلا عن ردع سوريا عن احتمال قيامها بعمليات حرب استنزاف تعرقل من خلالها المفاوضات مع مصر حول الحكم الذاتي في الارض المحتلة وذلك نظرا لان ميزان القوى العسكري القائم حاليا بين اسرائيل وسوريا ، على حدة ، لا يرجح احتمال شن سوريا لهجوم على

القوات الاسرائيلية في الجولان في المستقبل القريب ، خاصة في ظل عدم ظهور اي مؤشرات عملية لتشكيل الجبهة الشرقية ، التي من المفروض ان تضم قوى كل من العراق والاردن وقوات من دول الرفض الاخرى مثل الجزائر وليبيا ، بحيث ينشأ وضع متوازن نسبيا من الوسائط العسكرية بين العرب واسرائيل . اذ ان الجيش الاسرائيلي لديه ، عند التعبئة العامة ، نحو ٣٦ لواء مدرعا و ١٢ لـواء ميكانيكيا و ٩ الوية مشاة و ٦ الوية مظليين و ٩ الوية مدفعية ، لديها حوالى ٣٧٠٠ دبابة و ٤٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة واكثر من ١٢٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر . مقابل نحو ١١ لواء مدرعا و ٩ الوية ميكانيكية و ٤ الوية مشاة و ٣ الوية مظليين وقوات خاصة ولوائي مدفعية ، لديها نحو ٢٧٠٠ دبابة و ١٨٠٠ ناقلة جنود مدرعة واكثر من ١٠٠٠ مدفع ميدان وهاوتزر لدى الجيش السوري . وهذا يعني ان الجيش الاسرائيلي يتمتع بتفوق كمي بمعدل ٢,٣ . ١ في الاولية المدرعة ، و ١,٣ . ١ في الالوية الميكانيكية ، و ٢,٢ : ١ في الوية المشاة ، و ٢ . ١ في الالوية المظليين والقوات الخاصة ، و ١,٤ : ١ في اجمالي عدد الدبابات ، و ٢,٥ . ١ في ناقلات الجنود المدرعة ، و ١,٢ . ١ في المدافع .

اما في مجال القوة الجوية فان لدى السلاح الجوي الاسرائيلي نحو ٦٨٢ طائرة قتال (اي تدخل فيها طائرات التدريب والهليكوبتر والنقل والانذار المبكر والحرب الالكترونية) ، من بينها ٢٥٠ مقاتلة متعددة المهام من طراز « فانتوم » ، و ٢٥ « ف ــ ١٥ » و ٧ « ف ــ ١٦ » ، و ١٢٠ « كفير » ، و ٣٠ « نيشر » ، و ٢٥٠ مقاتلة هجوم ارضي من طراز « سكاي هوك » . اما الطيران السوري فيضم حوالى ٥٠٠ طائرة قتال ، منها ٢٥٠ مقاتلة « ميغ ــ ٢١ » بمختلف انواعها ، و ٣٢ مقاتلة متعددة المهام « ميغ ــ ٢٣ » ، و ٤٨ مقاتلة هجومية « ميغ ــ ٢٧ » و ٤٨ مقاتلة هجومية « سوخوي ــ ١٧ » و ٦٠ مقاتلة هجومية « سوخوي ــ ٧ » ، و ٥٠ مقاتله هجوم ارضي « ميغ ــ ١٧ » . وهذا يعني ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بتفوق كمي في عدد الطائرات بمعدل ١,٣ : ١ . واذا ما انتقلنا الى مجال القوة الناريه الجوية نجد ان اجمالي قدرة الطيران الاسرائيلي في مهام القصف الارضي (بحمولات نموذجية) تبلغ نحو ١٢٦٢ طنا من الحمولات الهجومية . اما في مهام القتال الجوي فتقدر اجمالي قوة نيرانه حوالي ٢٨٤٢ صاروخا جو ــ جو . وبالمقابل تقدر القوة النارية للطيران السوري في الحالة الاولى بنحو ٩٢١ طنا من الحمولات الهجومية ، وحـوالي ١٢٤٠ صاروخا جو ــ جو في الحالة الثانية . وهذا يعني ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بمعدل تفوق ناري يبلغ نحو ١,٤ ١ في مهام القصف ، و ٢,٣ . ١ في مهام القتال الجوي .

اما من حيث التوازن في نوعية التسليح فيمكن القول باختصار شديد ان الطرفين متوازنان بصورة عامة ، في خصائص الاسلحة البرية الرئيسية التقنية وقدراتها التكتيكية . وكذلك الحال في القوة الجوية ، باستثنـاء ان طائـرات الـ « ف ــ ١٥ » و الـ « ف ــ ١٦ » تتمتع ببعض التفوق التقني في مواجهة « الميغ ــ ٢١ » و« الميغ ــ ٢٣ » . كما ان الطيران الاسرائيلي يتمتع بقدرة عمليات افضـل نسبيا ، نظرا لتوفر طائرات الانذار المبكر وادارة العمليات الجوية من طراز « هوك اي » ، وتسلحه بصواريخ جو ــ ارض ذات مدى وقدرة اصابة فعالة (وذلك في مهام القصف الارضي) ، فضلا عن احتمال تمتعه بوسائل تشويش الكتروني افضل .

وعلى ضوء ذلك يرجح احتمال اقدام اسرائيل على عمل عسكري ، في حالة توفر غطاء سياسي له ، وهو ما تعمل من اجله من خلال التهديدات المذكورة ليبدو عملها وكأنه ضربة مضادة اجهاضية لهجوم سوري متوقع .ولكن مثل هذا الهجوم سيواجه بقدرة دفاعية سورية فعالة توضحها تقديرات ميـزان القـوى تستطيع امتصاص الضربة الاسرائيلية لحين وصول قوات عربية اخرى على الاقل .

دبابات « ت ــ ٣٤ » لمنظمة التحرير

قالـت مصـادر عسكريـة اسرائيليـة ، في ١٢/٢/٨٠ ، ان الاتحاد السوفييتي زود للمـرة الاولى منظمة التحرير الفلسطينية باسلحة مدرعة ، في خطوة مباشرة تستهدف تعزيز قوة الفلسطينيين . وذكرت وكالة « يونايتد برس » ان الدبابات المذكورة هي من طراز « ت ــ ٣٤ » ، وقدرت عددها ببضعة عشرات ، ونسبت معلوماتها هذه الى مصـادر اسرائيلية ، زعمت ان الدبابات موجودة في منطقة صيدا في لبنان .

وفي ٢/١٣ اكد الناطق باسم الخارجية الاميركية « هودينغ كارتر » النبا المذكور ، وقال « اننا على علم بوجود بعض الدبابات والسيارات المصفحـة السوفييتية الصنع في ايدي عناصر فلسطينية مسلحة في لبنان . واننا لا نعرف عددها وبالتالي لا نستطيع تأكيد الرقم الذي اعلنته اسرائيل ، كما لا نستطيع التأكيد ما اذا كان الاتحاد السوفييتي قدم هذه الاسلحة مباشرة ... ان كل هذه الاسلحة موجودة شمال نهر الليطاني » . والدبابة « ت ــ ٣٤ » دبابة متوسطة يبلغ وزنها القتـالي (اي مع ذخيرتهـا ووقودها) ٣٢ طنا ، وطولها (مع وضع المدفع في اتجاه الامام) ٨,٠٧٦ امتار ،وعرضهـا ٢,٩٩ مترا ، وارتفاعها ٢,٧٤ مترا ، وعرض جنزيرها ٥٠ سم . وتبلغ قوة محركها الديزل ٥٠٠ حصان ، ومن ثم يبلغ معدل قوة الدفع الى وزنها ١٥,٦٢ حصانا لكل طن . وتحمل ٥٦٠ ليترا من الوقود في خزاناتها الداخلية فحسب (يمكن حمل عدة خزانـات خارجية) ، وتستهلك ١٩٠ ليترا في كل ١٠٠ كلم . وتتراوح سرعتها القصوى على الطرق الممهدة ٥٠ ــ

٥٥ كلم في الساعة ، ويبلغ مدى عملها (على الطرق وبالوقود الداخلي) نحو ٣٠٠ كم . وهي مسلحة بمدفع من عيار ٨٥ مم ، له ٥٦ ــ ٦٠ قذيفة داخل الدبابة ، ويستطيع استخدام قذائف شديدة الانفجار خارقة للدروع يبلغ وزنها ٩,٣ كلغ تستطيع خرق درع سمكه ١٠٢ مم من مسافة ١٠٠٠ متر . وقذائف خارقة للدروع ذات سرعة ابتدائية عالية ، يبلغ وزنها ٥٠ كلغ ، يمكنها ان تخرق درعا سمكه ١٢٠ مم من مسافة ١٠٠٠ متر (وهذا يعني انها قادرة على خرق الدرع الامامي لدبابات « م ــ ٤٨ » و « م ــ ٦٠ » ، فضلا عن دبابات « سوبر شيرمان » الاسرائيلية) . وقد اثبتت حرب ١٩٧٣ ان المسافات العملية التي تجري ضمنها معظم اشتباكات الدبابات تراوح بين ٥٠٠ و ٨٠٠ متر ، ومن ثم فان الدبابات « ت ــ ٢٤ » قادرة على الاشتباك بفاعليه ضد الدبابات الاسرائيلية سالفة الذكر ، كما انها مؤثرة بالتاكيد ضد دروع الدبابات الاخرى من طراز « سنتوريون » و « مركفاه » من مسافة تقل عن الف متر ، وخاصة ضد الدروع الجانبية . ويمكن للمدفع استخدام قذائف شديدة الانفجار ، في الرمي غير المباشر ضد المشاة او اي اهداف اخرى غير مدرعة ، يبلغ وزنها ٩,٥ كلغ حتى مسافة قصوى تبلغ ١٣,٣٠٠ متر . ويبلغ سمك الدرع الامامي لبرج الدبابة ٩٠ مم ، وسمك الدرع الجانبي ٧٥ مم ، وسمك الدرع الامامي لهيكل الدبابة ٤٧مم ، وكذلك سمك الدرع الجانبي للهيكل . ويزيد انحدار درعها الامامي ، بنسبة ٦٠ درجة ، من كفاءة تحمله ثلاث مرات بالقياس لسمك درع مماثل غير منحدر على النحو ذاته . ولذلك فان تدريع الـ « ت ــ ٢٤ » يعد اقوى من تدريع « السوبر شيرمان » التي يزيد سمك درعها عن ٧٥ مم ، ولا يتمتع بالانحدار ذاته .

ولا شك انه رغم قدم طراز الدبابات « ت ــ ٢٤ » ، قياسا بالانواع الاحدث من الدبابات « ت ــ ٥٤/٥٥ » و « ت ــ ٦٢ » ، الا انها تكسب قوات منظمة التحرير قدرة عسكريه افضل في مواجهة العمليات العسكرية الاسرائيلية ، وتدخل بها في بدايه مرحلة جديدة من الفاعلية القتاليه .

صواريخ سوفييتيه للكويت

اعلنت وزارة الدفاع الكويتية في ٩/٢/٨٠ ان سلاح المدفعية في الجيش الكويتي اجرى مناورة بالذخيرة الحية ، يوم ٦/٢/٨٠ ، استخدم فيها صواريخ ارض ــ ارض السوفييتية المعروفة باسم « لونا » . وتضمنت المناورة رميا مباشرا من مدفعية عيار ١٢٢ مم ، ومدفعية ذاتية الحركة هاوتزر من عيار ١٥٥ مم . وعرضا للامكانات القتالية لبعض الوحدات الرمزية في سلاح المدفعية ، وكيفية تصدي الجيش الكويتي لمحاولة وهمية لاحتلال ابار النفط . واعلن مسؤولون في وزارة الدفاع الكويتية قرب استخدام تكنولوجيا عسكرية متقدمة واعتماد قياس المسافات باشعة لايزر . وصرح وزير الدفاع الكويتي ، عقب المناورة ، بان « الكويت تستعد عسكريا للدفاع عن اراضيها ضد اي عدوان خارجي ، وللمشاركه في تحرير الارض العربية المغتصبة » .

والجدير بالذكر ان صواريخ « لونا » ، او « فروغ ــ ٧ » كما تسمى في دوائر حلف « الناتو » ، هي جزء من صفقة اسلحة سوفييتية وقعت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٦ ، على الارجح ، بقيمة نحو ٤٠٠ مليون دولار ، وشملت كميات غير معروفة بدقة من قطع المدفعية وصواريخ ارض ــ جو الصغيرة من طراز « سام ــ ٧ » ، وكذلك صواريخ ارض ــ ارض من طراز « لونا » ، التي لم يعلن عن اشتمال الصفقة المذكورة لها وقتئذ .

والصاروخ « لونا » يبلغ طوله ٩ امتار ، وقطره ٦٠ سم ، ووزنه عند الاطلاق ٢٥٠٠ كلغ . ومداه الاقصى نحو ٧٠ كلم ، وهو صاروخ ذو مرحلة دفع واحدة ، يعمل بالوقود الصلب ، ومن ثم لا يستغرق وقتا طويلا لاعداده للاطلاق . ويحمل رأسا حربيا شديد الانفجار يزن ٥٠٠ كلغ ، كما يمكن تسليحه برأس نووي بقوة ١٠ ــ ٢٠ كيلو طن (الكيلو طن يساوي الف طن من مادة « ت.ن.ت ») ،عند توفر تسليح نووي ، لذلك يعد ضمن الصواريخ النووية التكتيكية ، اي قصيرة المدى . وهو يحمل ويطلق من عربة على عجلات خفيفه الوزن ، وذات قدرات حركية كبيرة . وقد استخدمه كل من الجيشين المصري والسوري في حرب ١٩٧٣ ، ويوجد حاليا في سوريا ومصر والعراق وليبيا والجزائر . والصاروخ المذكور باليستيكي يوجه نحو هدفه مثلما توجه قذائف المدفعية ، بتحديد زوايا الرمي الملائمة لمدى وموقع الهدف . وتفيد المعلومات الغربية بان الانواع الاخيرة من الصاروخ قد تم تزويدها بانظمة توجيه تعمل بواسطة الاحداثيات اللاسلكية . ولا شك في ان امتلاك الجيش الكويتي لبطاريات من هذه الصواريخ يزيد من قوة وبعد مدى نيران مدفعيته ، ويجعلها سلاحا اكثر فاعلية في تامين حد معقول من الدفاع المحلي عن ابار النفط ، او المساهمة بفاعلية ملموسه ضمن قوات الجبهة الشرقية المطلوب تشكيلها في مواجهة اسرائيل . وتفيد اخر التقديرات الدولية لقوة الكويت العسكرية بانها تضم جيشا مؤلفا من نحو ١ الاف جندي موزعين على لواء مدرع ولوائي مشاة لديها اسلحة رئيسية تضم ١٦٠ دبابة من طراز « تشيفتين » (دبابات بريطانية مزودة بمدافع عيار ١٢٠ مم) ، و ٥٠ دبابة من طراز « سنتوريون » و ٧٠ دبابة من طراز « فيكرز مارك ــ ٣ » (دبابات بريطانية مسلحة بمدافع عيار ١٠٥ مم . والنوع الثاني اخف وزنا وتدريعا واكثر سرعه من النوع الاول، اذ يبلغ وزن الدبابه فيكرز ٣٨ طنا واقصى سمك لدروعها ٨٠ مم ، وسرعتها القصوى ٥٣

كلم/ساعة . على حين ان « السنتوريون » يبلغ وزنها ٥٢ طنا ، واقصى سمك لدروعها ١٥٢ مم ، وسرعتها القصوى ٣٤ كلم/ساعة) . بالاضافة الى ١٣٠ ناقلة جنود مدرعة من طراز « ساراسين » و ١٠٠ عربة قتال واستطلاع مدرعة من طراز « صلاح الدين » ، و ٢٠ عربة اخرى من طراز « فيريت » (كلها عربات بريطانية الصنع) . و ٢٠ مدفع هاوتزر ذاتي الحركة ، فرنسي الصنع ، من طراز « أ.م. اكس ـ ١٥٥ » عيار ١٥٥ مم ، و ١٠ مدافع ميدان مقطورة ، بريطانية الصنع ، من عيار ٢٥ رطلا ، فضلا عن عدد من المدافع عيار ١٢٢ مم السوفييتية الصنع . وصواريخ مضادة للدبابات من انواع « فيجيلانت » و« هوت » و« س س ـ ١١ » و « تاو » و ١٤ بطارية صواريخ مضادة للطائرات من طراز « هوك المحسن » ولديها ٣٦٠ صاروخا، فضلا عن عدد غير معروف من صواريخ « سام ـ ٧ » التي تطلق من فوق الكتف . وتضم القوة الجوية الكويتية ٣٠ قاذفة هجوم ارضي من طراز « سكاي هوك » ، و ٢٠ مقاتلة معترضة من طراز « ميراج ف ـ ١ » ، ونحو ٤٨ طائرة هليكوبتر ، من بينها ٣٠ من طراز « غازيل » مسلحة بصواريخ مضادة للدبابات من طراز « هوت » . وهنـاك ١٧٥ من ناقلات جنود مدرعة من طراز « م ـ ١١٣ » ، وعدد غير معروف من ناقلات الجنـود « أ.م. اكس ـ ١٠ » ، ومدافع هاوتزر ومدافع مضادة للطائرات فرنسية ، جميعها تحت الطلب ومفروض ان يكون بعضها او كلها قد سلم الى الكويت . وتوفر هذه الاسلحة قدرة دفاعية جيدة بالنسبة الى حجم وقدرة القوى البشرية في الكويت ، كما قد توفر بعض الفائض في المدرعات لاستخدام قوات عربية اخرى .

« **العراق يحصل على ٢٤ طائرة « ميراج ف ـ ١** » »

قالـت مصـــادر مطلعـــة في باريس ، يوم ٧٩/١٢/٢٠ ، ان فرنسا وقعت عقدا مع العراق يقضي ببيعه ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز « ميراج ف ـ ١ » التــي تصنعهــا شركة « داســو » . وفي ١٩٨٠/١/٤ اكد مسؤولون في صناعة الاسلحة الفرنسية انباء هذه الصفقة ، موضحين ان قيمتها تبلغ ٣٠٠ مليون دولار ، وان العراق عرض زيادة امدادات النفط الى فرنسا لدفع قيمـة الصفقـة المذكورة ، التي قالوا انها سترفع عدد طائـرات « الميراج ف ـ ١ » المباعة حتى الان الى العراق الى ٦٤ طائرة . وكان المعروف ان العراق تعاقد في العام ١٩٧٧ على شراء ٣٦ طائرة من الطراز المذكور ، وجاءت الانباء الاخيرة لتوضح ان الصفقة السابقة تشمل ٤٠ طائرة . ونعتقد ان الاربع طائرات الزائدة هي من النوع المخصص للتدريب المسمى « ميراج ف ـ ١ ب د » المزود بمقعدين .

و« الميراج ف ـ ١ » هي مقاتلة متعددة المهام ، يعتبرها البعض بمثابة « الفانتوم » الفرنسيـة ، وهي احدث مقاتلة فرنسية دخلـت الخدمـة في السبعينات ، وقد حلق نموذجها التجريبي الاول في ٦٦/١٢/٢٣ ، ثم حلق اول نموذج ما قبل الانتاج في ٦٩/٣/٢٠ ، وتاخر تحليق النموذج الانتاجي حتى ٧٣/٢/١٥ ، واثر ذلك بدأ السلاح الجوي الفرنسي في تسلم الدفعات الاولى من جملة ما طلبـه من الطائرات المذكورة ، وهو ١٧٩ طائرة فقط في انتظار الانتهاء من تطوير مقاتلة الثمانينـات الاحـدث « الميراج ٢٠٠٠ » ، التـي ذكر مسؤولوصناعـة الاسلحة الفرنسية ان لسلاح الجو العراقي حق اختيارها بعد ان يبدأ انتاجها مؤخرا . ويبلغ اجمالي طلبات « الميراج ف ـ ١ » حتى نهاية العام ٧٩ نحو ٥٧٤ طائرة ، من ضمنها الصفقـات العراقيـة المذكورة ، و٣٨ طائرة اشترتها ليبيا ، و٥٠ طائرة للمغرب ، و٢٠ طائرة للكويت . وقد صنع منهـا نموذجين مزودين بمحرك اقوى ومعدات الكترونية عرضا على كل من بلجيكا وهولنـدا والدنمـارك والنرويج في العام ١٩٧٤ ، التي كانت تبحث عن ما مجموعه ٣٥٠ مقاتلة حديثة لتجديد قواتها الجوية ، ولكن شركة « جنرال ديناميكس » الاميركية فازت بعرضها الخاص بالطائرة « ف ـ ١٦ » وعقدت ما عرف بصفقة القرن ، التي شملت ما جملته ٣٣٨ طائرة للـدول الاربـع ، اجمـالي قيمتهـا نحـو ٢٨٤٧,٨٩٨ مليون دولار ، وذلك نظرا لتفوق الـ « ف ـ ١٦ » تقنيا وتكتيكيا ، فضلا عن انخفاض تكلفة شراء وتشغيل الاخيرة ، نوعا ما ، بالنسبة الى « الميراج ف ـ ١ » .

وتبلغ قوة دفع محرك « الميراج ف ـ ١ » النفاث التوربوجت ، ٧٢٠٠ كلغ ضغط مع استخدام الحراق الخلفي ، ووزنها القتالي العادي ، في حالة مهام القتال الجوي ، يبلغ ١٠٩٠٠ كلغ ، ووزنها الاقصى في حالة القصف ١٤٩٠٠ كلغ ، ونسبة معدل قوة الدفع الى الوزن ، في الحاله الاولى ، تبلغ ٠,٦٦ كلغ دفع لكل كلغ وزن . على حين تبلغ النسبة المذكورة في « الميغ ـ ٢١ بيس » ٠,٩٣ الى ١ . (على اساس حمولة كاملة من الوقود الداخلي و٤ صواريخ جو ـ جو) ، ونحو ٠,٩٦ الى ١ بالنسبة الى « الميغ ـ ٢٣ » ونحو ١,٠٤ الى ١ بالنسبة الى الـ « ف ـ

١٦ » (في ظروف مماثلة من حيث الوقود والتسليح) ، كما تبلغ النسبة المذكورة ٠,٨٦ الى ١ بالنسبة للمقاتلة الاسرائيلية « كفير سي ــ ٢ » ، و١,١٥ الى ١ بالنسبة للمقاتلة الاسرائيلية « ف ــ ١٥ » و٠,٧٦ الى ١ بالنسبة للفانتوم الاسرائيلية ، وهكذا يتضح ان جميع الطائرات المذكورة لديها امكانات اشتباك جوي قريب افضل (بصورة عامة ودون الدخول في بقية تفاصيل المؤشرات التقنية الخاصة بحساب قدرات المناورة الجوية القتالية) من « الميراج ف ــ ١ » .

وتبلغ السرعة القصوى للميراج ف ــ ١ على ارتفاع ١٢ الف متر ٢٣٣٥ كلم/ساعة (٢,٢ ماك) ، وسرعتها القتالية القصوى على الارتفاع ذاته ١٩١٥ كلم/ساعة ، وسرعتها القصوى على ارتفاع سطح البحر (٣٠٠ متر) ١٤٧٠ كلم/ساعة . ومعدل ارتفاعها الابتدائي (التسلق) ١٩٠ متر/ثانية . والوقت اللازم للوصول الى ١٢ الف متر ٣ دقائق . ومداها القتالي بحمولة نمونجية (صاروخان جو ــ جو + ١٨٠٠ كلغ حمولات هجومية + خزان وقود اضافي) ٩٠٠ كلم على ارتفاع عالي ــ منخفض ــ عالي . و ٥٠٠ كلم على ارتفاع منخفض ــ منخفض ــ منخفض . وهي مسلحة بمدفعين عيار ٣٠ مم مع ١٢٥ طلقة لكل مدفع ، بالاضافة الى ٢ صورايخ جو ــ جو من طراز « ماترا ٥٣٠ » الذي يبلغ مداه الاقصى ١٨ كلم (ذكرت انباء الصفقة أن الطائرات العراقية المذكورة ستزود بصواريخ احدث من طراز « ماتراسوبر ٥٣٠ » التي يبلغ مداها الاقصى ٣٥ كلم) ، وصاروخين قصيري المدى « سايدوندر » وذلك في مهام الاعتراض والقتال الجوي . أو بما مجموعه ٤٠٠٠ كلغ حمولات هجومية مختلفة في مهام القصف الارضي . وتعتبر « الميراج ف ــ ١ » اساسا مقاتلة معترضة على ارتفاع عال ، وتتمتع ايضا بقدرة القيام بمهام الاختراق في العمق العملياتي لعزل الجبهة المعادية ، ومنع وصول الامدادات اليها ، بقصف الطرق ووسائل المواصلات والمطارات الخ . أما قدراتها على الاشتباك الجوي القريب فتأتي في المرتبة الاخيرة من قدراتها في مواجهة المقاتلات الحديثة .

محمود عزمي

صدر حديثا عن مركز الابحاث

القضية الفلسطينية في ايديولوجية البورجوازيةاللبنانية
مدخل الى نقض الفكر الطائفي

تاليف
مهدي عامل

٢٥١ صفحة من القطع الكبير ، ١٣ ل . ل .

صدر عن مركز الأبحاث

الكيانية الفلسطينية
الوعي الذاتي والتطور المؤسساتي
١٩٤٧ ــ ١٩٧٧

تاليف
عيسى الشعيبي

٢٧١ صفحة من القطع الكبير ، ١٣ ل . ل .

صدر عن مركز الابحاث

التعليم والتحديث في المجتمع العربي الفلسطيني
الجزء الثاني
١٩٤٨ ـ ١٩٦٧

تأليف

نبيل أيوب بدران

٢٤٠ صفحة من القطع الكبير ، ١٠ ل . ل .

« رصد إذاعة إسرائيل »

نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية باللغة العبرية .

عادت نشرة « رصد اذاعة إسرائيل » الى الصدور ، مجددا ، عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية . وقد اضيف الى موادها ما تبثه إذاعة الجيش والتلفزيون الاسرائيلي أيضا .

ترسل النشرة الى المشتركين فقط

الاشتراك السنوي

٥٠٠ ل.ل. ، عدا أجور البريد .

ترسل الاشتراكات الى :

قسم التوزيع ، مركز الابحاث ، م . ت . ف . ، ص.ب. ١٦٩١ ، بيروت ـ لبنان .

Palestine Affairs

No. 100, Mars 1980

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center
P. O. Box 1691, Beirut, Lebanon (Tel. 351260, Cables : MARABHATH).

Editor : Mahmoud Darwish

Annual Subscription

Air Mail : Lebanon and Syria - L. L. 60 ($ 24) ; other Arab countries - L. L. 75 ($ 30) ; Europe - L. L. 100 ($ 40) ; elsewhere - L. L.125 ($ 50) .

Surface Mail : L. L. 65 ($ 26) .

السعـــر: ٥ ل.ل. في لبــنان
٦ ل.س. في سوريــا
٦٥٠ فلســاً في الكويت والعراق
١٠ دراهم في دولــة الامارات العربيــة
٦ ل.ل. في سائر الاقطـار العربيــة
٧٥٠ درهــماً في ج.ع.لـ.
٧,٥٠ درهمم في المغرب



